تنبيه المغترين

أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر

تأليف

العارف بالله الرباني

أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني

(٨٩٨ - ٩٧٣ هـ)

حُقِّق على نسخة المؤلِّف وعدة نسخ خطية نفيسة

حققه

الدكتور عبد الرحمن محمود السعدي

دار التقوى

دمشق الشام

تنبيه المغترين

أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه المغترين

أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر

تأليف

العارف بالله الرباني

أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني

(٨٩٨ - ٩٧٣ هـ)

حقق على نسخة المؤلف وعدة نسخ خطية نفيسة

حققه

الدكتور عبد الرحمن محمود السعدي

دار التقوى
دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر

المؤلف : عبد الوهاب الشعراني

الطبعة الأولى : ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

الرقم الدولي : 978-9933-610-43-2

9789933610432

دار التقوى

دمشق الشام

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١

جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+

daraltaqwa.pu@gmail.com

فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ

بين يدي الكتاب

الحمدُ للهِ المتفضِّلِ بالإنعام ، وواسعِ المغفرة ذي الجلالِ والإكرامِ ، لا إلـٰه إلا هو الملك العلَّام ، اللهمَّ ؛ لك الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهكَ ، ولعظيمِ سلطانكَ ، لك الحمدُ ملءَ السماوات وملءَ الأرض ، وملءَ ما بينهما ، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ .

وأفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم علىٰ سيدِ الأوَّلين والآخرين ؛ سيدِنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين ، وعلىٰ آله وصحبه الغرِّ المَيامين ، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ وسار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فقد قال اللهُ سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « خيرُكم قَرْني ، ثمَّ الذينَ يلونَهم ، ثمَّ الذينَ يلونَهم »(١) .

فكانَ مِنْ فضل الله تعالىٰ أنِ اختار لرسوله المصطفىٰ صلَّى الله عليه وسلَّم

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

صحبةً مِنْ أطهرِ الناس قلوباً ، وأصدقِهم حديثاً ، وأعظمِهم مهابةً ، وأشدِّهم حرصاً علىٰ شرعِهِ ؛ فنهلوا مِنْ مَعينِهِ ، وتخلَّقوا بأخلاقِهِ ، وحملوا الأمانةَ التي كلَّفهمُ الله عزَّ وجلَّ بحملها لمَنْ بعدهم ، **واختارَ لأولـٰئك الصحبِ الكرامِ مَنْ أخذَ عنهم وتأدَّبَ بآدابهم** ، وهـٰكذا الأمرُ في كلِّ عصرٍ وزمانٍ ؛ يأخذُ خيرُ الناس عن خيرِ الناس ، ومهما قلَّ عدد مَنِ اختصَّهمُ الله تعالىٰ لحمل شريعته حالاً ومقالاً إلا أنَّهم لا ينقطعونَ ؛ وذلك فضلُ اللهِ تعالىٰ علىٰ هـٰذه الأمة ؛ تحقيقاً لقول رسوله الأكرم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « لا يزالُ طائفةٌ مِنْ أمَّتي ظاهرينَ حتىٰ يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم ظاهرونَ »[1] .

ولو بحثنا لوجدنا أنَّه قد يقع في كلِّ زمانٍ بُعدٌ عن سيرة السلف الصالح ، ويزدادُ ذلك بتطاولِ الزَّمن ، فكانَ من مهمَّة مَنِ ارتضاهمُ اللهُ تعالىٰ لحمل شريعته من العلماء العاملين . . أن يَردُّوا الناسَ بالوعظِ والإرشادِ إلى الدين القويم المستمَدِّ ممَّا أُوحيَ به إلىٰ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، والذي تجلَّىٰ في سيرة صحابتِهِ الكرام رضي الله عنهم ، وسيرةِ تابعيهم بإحسانٍ رحمهمُ الله تعالىٰ .

وكان إمامُنا العارفُ بالله تعالى ؛ **الإمامُ الشعرانيُّ** . . **من أولـٰئك الذين جعلهمُ اللهُ منارةً لأهل زمانهم** بعلمه وحاله ، فأخذته الغَيرةُ الإيمانية لمَّا رأى الناسَ قد غفلوا عن كثيرٍ مِنْ أخلاقِ السلف الصالح ، وتركوا التخلُّقَ بها ، فانبرىٰ رحمه الله تعالىٰ إلىٰ بيان جملةٍ من تلك الأخلاقِ الزاكيَةِ في كتابه

---

(١) رواه البخاري (٧٣١١) من حديث سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، ورواه بنحوه مسلم (١٥٦) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

هـٰذا ؛ « تنبيهِ المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » ، فكان من مظاهر إكرام الله تعالىٰ لمؤلِّفه أن **أصبحَ هـٰذا الكتاب مرجعاً يستنير به كلُّ مَنْ أتىٰ بعده** ؛ حيث جمع أخباراً عظيمة ، وحِكماً بالغة ؛ من سيرةِ سلفِ هـٰذه الأمة علىٰ مدار عشرة قرون ، وصار مَعيناً ينهل منه كلُّ من أراد السلوكَ في طريق القوم .

وممَّا زادَ مِنْ أهميةِ هـٰذا السِّفْر المبارك : ما اجتمعَ في مؤلِّفه رحمه الله تعالىٰ من صفاتٍ تفرَّقت في غيره ؛ فكان رضي الله عنه ممَّن جُمع له علمُ الظاهر والباطن ؛ إذ نشأ نشأةً علميَّة منذ صغره ؛ فحفظَ **القرآنَ الكريمَ** ، وغاص **في علومه** علىٰ أكابرِ مشايخِ عصرِهِ من المفسِّرين ، واهتمَّ **بعلومِ الحديثِ** درايةً وروايةً ، وأخذ **علمَ الفقهِ وأصولِهِ** من العلماء المشهورين بالتحقيق والتدقيق في عصره ، إضافةً إلىٰ **علم أصول الدين والتوحيد** ، واشتغلَ **بعلومِ اللغة العربية** ، وقرأ كثيراً مما صُنِّف في جميع ذلك علىٰ ذوي السَّبْق من أهل زمانه في تلك الفنون .

إضافةً إلىٰ ذلك كلِّه فقد **كان له باعٌ طويلٌ في الاطِّلاع علىٰ كتب أهل التصوُّف** ، وقد صرَّح في مؤلَّفاته بكلِّ ما سبق تفصيلاً[(١)] .

وقد انعكسَ ما أشرتُ إليه علىٰ مؤلَّفاته ، ومنها الكتاب الذي بين أيدينا ؛ فليس فيه أخبارٌ مجردةٌ فحسب ، بلِ اشتملَ علىٰ فوائدَ عظيمةٍ ، ومنافعَ عميمةٍ ، فكان بحقٍّ إماماً يجذب الحائدين عنِ الاستقامةِ إلى الطريقِ القويمِ برفقٍ وحسنِ نُصحٍ ، بالترغيب تارةً ، وبالترهيب أخرىٰ ، وهو

---

(١) انظر علىٰ سبيل المثال كتابه « الميزان الشعرانية » (١/ ٣٢٣ ـ ٣٣٣) .

المنهج الذي استقاه المؤلِّف من مصادر الشريعة التي أُوحيَ بها إلىٰ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ المتمثِّلة بالقرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة .

فجزى اللهُ تعالىٰ **دارَ التقوىٰ** خيرَ الجزاء ، وأتمَّ لها الفضلَ ، وأسبغ عليها كمالَ النعمة ؛ ببذلها الجهودَ الحثيثةَ المباركة في إخراج هـٰذا الكتاب بالحلَّة البهيَّة التي هي بين يديكَ أيُّها القارئُ الكريمُ ، **وأخصُّ بالشكر** الأخ الكريم (**لؤي الأحمر**) ؛ حيث بذل غايةَ وسعِهِ في جمع النسخ الخطيَّة القيِّمة التي كانتِ الأساسَ في إقامة بنيان هـٰذا العمل ـ ومنها تلك النسخة التي خطَّها المؤلِّف بيده ـ ، كما أتاحَ مِنَ الوقتِ ما يكفي لإظهار هـٰذه الدرَّة علىٰ أحسنِ صورةٍ ؛ فجزاهُ الله خيرَ الجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ترجمة

العارف بالله الشيخ عبد الوهّاب الشعراني(١)

اسمه ونسبه

هو الإمامُ القدوةُ المربِّي ، الفقيهُ المحدِّث المجدِّد ، العابدُ العالم ، العارفُ الزاهد ؛ **أبو المواهب عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد ابن موسى الشعراني** الشافعي الشاذلي ، المصريُّ المولدِ والنشأةِ .

والشعراني ـ وكذا : **الشعراوي** ـ : نسبة إلىٰ ساقية أبي شَعْرَةَ ؛ قريةٍ من ضواحي مصرَ ، قال العلامة الزَّبيدي في « تاج العروس » : (وإليها نُسبَ القطب أبو محمد عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي الحنفيُّ نسباً الشعراويُّ ، قُدِّس سرُّه)(٢) .

والحنفيُّ : نسبة إلىٰ محمَّد بن الحنفية ابن سيِّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٣) .

---

(١) انظر ترجمته في « المنن الكبرىٰ » للمؤلف ، و« المناقب الكبرىٰ » للمليجي ، و« الكواكب الدرية » (٣/ ٣٩٢) ، و« الكواكب السائرة » (٣/ ١٥٧) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٤٤) ، و« معجم المؤلفين » (٦/ ٢١٨) ، و« الخطط التوفيقية » (١٤/ ١٠٩) ، و« طبقات الشاذلية الكبرىٰ » (ص ١٣٠) .

(٢) تاج العروس (ش ع ر) .

(٣) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ١٥٨) .

مولده ونشأته

ولد الشيخُ الشعرانيُّ في بلدة قَلْقَشَنْدَةَ من قرى المَنُوفية بمصرَ ، في السابع والعشرين من شهر رمضانَ المباركِ ، في سنة (٨٩٨ هـ) على أصحِّ الأقوال ، ثمَّ نُقِل إلىٰ ساقية أبي شَعْرَةَ ـ بلدةِ أبيه ـ بعد أربعين يوماً من مولده .

وقد نشأ الإمام الشعرانيُّ يتيماً ؛ إذ تُوفِّي والده سنة (٩٠٧هـ) ، وكذلك توفِّيت أمُّهُ قبل قدومه إلى القاهرة ، وكان والده قبل وفاته قد أخذ له الإجازة من الإمام السُّيوطي ، فأجازه بجميع مروياته ومؤلَّفاته ، وعمرُهُ إذ ذاك نحوُ عشر سنين كما ذكر في « الطبقات الوسطىٰ »[١] .

قال الإمام الشعرانيُّ : (وممَّا منَّ الله تبارك وتعالىٰ به عليَّ وأنا صغير ببلاد الريف : حفظُ القرآن وأنا ابن ثمان سنين ، وواظبت على الصلوات الخمس في أوقاتها من ذلك الوقت ؛ فلا أتذكَّر أنني أخرجتُ صلاةً عن وقتها إلىٰ وقتي هـٰذا إلا نسياناً مرة واحدة ؛ فنسيتُ الظهرَ في طريق الحجاز حتىٰ دخل وقت العصر من غير نيةِ تأخيرٍ ، وكثيراً ما كنت أصلِّي بالقرآن كلِّهِ في ركعة وأنا دون البلوغ ، فالحمد لله ربِّ العالمين)[٢] .

وقد انتقل إمامنا الشعرانيُّ إلى القاهرة وعمرُهُ اثنتا عشرةَ سنةً افتتاحَ سنة إحدىٰ عشرةَ وتسعِ مئةٍ ، فأقام في جامع سيدي أبي العباس الغَمْري سبعَ

---

(١) انظر « الطبقات الوسطىٰ » (٢/ ١٠٨٥) .

(٢) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٣٨) .

عشرةَ سنة ، وحنَّن الله عليه شيخَ الجامع وأولادَهُ ، فصار كأنَّهُ واحد منهم ؛ يأكل مما يأكلون ، ويلبس مما يلبسون ، فأقام عندهم حتىٰ **حفظَ متونَ الكتب الشرعية وآلاتِها** ، **وحلَّها على الأشياخ** كما ذكر في « المنن الكبرىٰ »[1] .

وكان ممَّا حفظه : « المنهاجُ » للإمام النووي ، و« ألفية ابن مالك » ، و« التوضيح » لابن هشام ، ثم « جمع الجوامع » ، ثم « ألفية العراقي » ، ثم « تلخيص المفتاح » ، ثم « الشاطبية » ، ثم « قواعد ابن هشام » ، وغيرُها من المختصَرات .

ثمَّ تحوَّل من مسجد الغَمْري إلى المدرسة المعروفة بـ (أم خَوَند) ، فاجتمع إليه الناس ، وحضروا مجالسه ، وانتفعوا به ، وذاع صِيتُهُ ، وعلا شأنه بين العوامِّ والخواصِّ .

ثم إنَّ القاضي عبدَ القادر الأرزيكيَّ اشترىٰ قطعةَ أرضٍ مكملةَ الجدارِ على الخليج الحاكمي تُجاه الدَّرْب الكافوري ، وعَمَرَها مدرسةً على الصِّفة التي هي بها ، وجعل بها مدفناً له ، ونقل إليها الشيخ عبد الوهَّاب الشعرانيَّ ، ووقف حصصاً من الطين كانت له علىٰ جهات البِرِّ ؛ عليه وعلىٰ ذرِّيته وعلىٰ جميع القاطنين عنده بالمدرسة ؛ رجالاً ونساءً وصغاراً ، فهرع الناس من كلِّ أَوْبٍ من الأقاليم ، ونزلوا عند الشيخ بالزاوية وقطنوا بها .

ولم تزل مدرسته مأوى الفقراء والمجاورين ، ولهم بها الراتبُ في الغداة والعشيِّ من ذلك الوقف وما يفتح الله به علىٰ تداول الأوقات والسنين ، كلُّ

---

(١) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٣٩) .

ذلك مع إحياء ليلة الاثنين والجمعة ، واجتماع العدد الوافر والجمِّ الغفير بعد صلاتها في تلك البقعة ، وملازمته لإلقاء الدروس من الفقه ومن مصنَّفاته التصوفية على مريديه في أوقات متعدِّدة.. حتى وافته المنيةُ ، رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن المسلمين خيراً .

شيوخه

أخذ الشيخ الشعرانيُّ عن كثيرٍ من الأشياخ ، وقرأ عليهم ، وكان يراجعهم في حلِّ كلِّ ما أشكلَ كما ذكر ذلك في بعض كتبه[١] .

قال رحمه الله تعالى : (وممَّا منَّ الله تعالى به عليَّ : شرحي لمحفوظاتي السابقة على المشايخ الذين عرضتها عليهم ؛ وهم نحو خمسين شيخاً ذكرنا مناقبهم في « الطبقات »)[٢] .

فكان من جملة مشايخه رحمه الله تعالى :

ـ **الشيخ شمس الدين السَّمَنُّودي (ت٩٢١هـ)** : كان فقيهاً وخطيباً بالجامع الأزهر .

ـ **شيخ الإسلام برهان الدين القَلْقَشَنْدي (ت٩٢٢هـ)** : قرأ عليه قطعة من « المنهاج » للنووي ، وقطعة من « ألفية ابن مالك » ، و« مسند عبد بن حُميد » ، و« الغَيلانيات » ، وكان عالي السَّنَد في الحديث .

ـ **الإمام شهاب الدين القَسْطلَّاني (ت٩٢٣هـ)** : قرأ عليه غالب « شرحه على البخاري » ، وقطعةً من « المواهب اللَّدُنِّية » .

---

(١) انظر على سبيل المثال « الميزان الشعرانية » (١/ ٣٢٣) وما بعدها .

(٢) انظر « المنن الكبرى » (١/ ١٤١) .

ـ **شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)** : قرأ عليه « شرحه لرسالة القشيري » ، و« شرح آداب البحث » ، و« شرح التحرير » ، و« شرح الروض » ، و« شرح مختصره لجمع الجوامع » مع « حاشيته على شرح الجلال المَحَلِّي » ، وغيرَها من الكتب .

وقد قال الشيخُ الشعراني عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : (وقد خدمته ، وقرأت عليه مدَّة عشر سنين ، وقد ذكرت في كتاب « المنن » عدَّة الكتب التي قرأتها عليه ، فراجعه)[1] .

ـ **الشيخ الإمام المحدِّث أمين الدين إمام جامع الغَمْري (ت ٩٢٨هـ ، وقيل : ٩٢٩هـ)** : قرأ عليه الكتب الستة ، و« الغَيلانياتِ » ، و« مسندَ عبد بن حُميد » ، وغيرَها من كتب الحديث ، وأجازه بجميع مروياته ، **وكان له السند العالي** ، فقد أخذ عن الحافظ ابن حجر وغيره ، كما قرأ عليه « شرح المنهاج » للجلال المَحَلِّي ، و« شرح جمع الجوامع » للشيخ جلال الدين ، و« حاشية الشيخ كمال الدين بن أبي شريف » ، و« شرح ابن عَقيل » .

ـ **الشيخ نور الدين الجارحي (ت ٩٣١هـ)** : قرأ عليه « شرح ألفية العراقي » للمؤلف ، و« شرح الشاطبية » لابن القاصِح .

ـ **الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الدَّواخِلي (ت ٩٣٩هـ)** : قرأ عليه « شرح المنهاج » للمَحَلِّي ، وبعضاً ممَّا قرأ على الشيخ أمين الدين ، وغيرَها من الكتب ، وكان فقيهاً أصولياً نحوياً ، محقِّقاً في العلوم .

---

(١) انظر « الطبقات الوسطى » (٢/ ١٠٨٤) ، و« المنن الكبرى » (١/ ١٤٤) .

ـ **الإمام شهاب الدين الرَّمْلي** (ت٩٥٧هـ) : قرأ عليه كتاب « الروضة » إلى أثناء (كتاب الجراح) .

ـ **الشيخ نور الدين الأُشْمُوني** : قرأ عليه قطعة من « شرحه على المنهاج » الذي نظمه ، وكذلك قرأ عليه « شرح نظمه لجمع الجوامع » ، وغير ذلك .

ـ **الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين المَسيري** : قرأ عليه قطعة من « شرح جمع الجوامع » ، ونحوَ النصف من « شرح المنهاج » للمَحَلِّي أيضاً .

ـ **الشيخ الإمام المحقِّق نور الدين المَحَلِّي** : قرأ عليه « شرح جمع الجوامع » بـ « حاشيته » ، و« شرح العقائد » للتفتازاني ، و« حاشية ابن أبي شريف » عليه ، و« شرح المقاصد » للتَّفْتازاني ، و« سراج العقول » للقَزْويني .

إضافة إلىٰ غيرهم من العلماء المتقنين الذين ذكرهم في مؤلفاته[1] :

كالعلامة نور الدين السَّنْهُوريِّ الضرير ، والإمام المحقِّق المتفنِّن في العلوم ملّا عليٍّ العجمي ، وشمس الدين اللَّقَاني المالكي ، وأخيه الشيخ ناصر الدين اللَّقَاني المالكي ، والشيخ نور الدين الطَّرابُلُسي ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن يونس الحنفي المعروف بابن الشَّلَبي ، والشيخ شمس الدين الغَزِّي ، والشيخ جمال الدين الصَّاني ، والشيخ عيسى الإخْنائي ، والشيخ شمس الدين الدَّيرُوطي ، والشيخ شمس الدين الدِّمْياطي ، والشيخ مجلي ، والشيخ صلاح الدين القَلْيُوبي ، والشيخ نور الدين بن ناصر ، والشيخ

---

(١) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/١٤١) وما بعدها .

سعد الدين الذَّهَبي ، وشيخ الإسلام شهاب الدين الشِّيشِيني الحنبلي ، رحمهم الله تعالى أجمعين ، وجمعنا بهم في مستقَرِّ رحمته تحتَ لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

وأمَّا مشايخه في الطريق :

فقد قال الشعراني في « المنن الكبرىٰ » : (**ممَّا منَّ الله به عليَّ** : إلهامي لطلب الاجتماع بأهل الطريق وانقيادي لهم ، فاجتمعَتْ بحمد الله تبارك وتعالىٰ عليَّ خلائقُ لا تحصىٰ من أهل الطريق ، فلم يكن لي وديعةٌ عند أحد سوىٰ هـٰؤلاء الثلاثة ؛ وهم : **سيدي علي المَرْصَفي** ، **وسيدي محمد الشِّنَّاوي** ، **وسيدي علي الخَوَّاص** ؛ سلكتُ على الأوَّلَيْن يسيراً ، وكان فطامي بحمد الله تعالىٰ علىٰ سيدي علي الخوَّاص ؛ أعني : الفطامَ النسبيَّ المعهود بين القوم ، وإلا فالحقُّ أنَّهُ لا فطامَ حتىٰ يموت العبد)[1] .

تلامذته

مِنْ جملة مَنْ تأثَّر به وأخذ عنه :

ـ العلَّامة الحافظ عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، وهو ألمع تلامذته ، وقد نصَّ المناوي ذاتُه علىٰ ذلك[2] .

ـ العلَّامة المحدِّث أحمد بن محمد البِقاعي العَرْعاني (ت ١٠٤٩هـ) ، ذكره المحبِّي[3] .

---

(١) المنن الكبرىٰ (١/ ١٨٤) .

(٢) انظر « الكواكب الدرية » (٣/ ٣٩٢) .

(٣) انظر « خلاصة الأثر » (١/ ٣١٥) .

ـ العلَّامة المحدِّث المقرئ محمدٌ حجازي الملقَّب بـ (الواعظ القَلْقَشَنْدي) (ت ١٠٣٥هـ) ، ذكره المحبِّي أيضاً[١] .

ـ الأمير حسن بك صنجق الذي هجر الإمارة وترك السلطان في سبيل التتلمذ علىٰ يده رحمه الله .

ـ ولده عبد الرحمٰن ، وكان قد خلَفَ أباه بعد وفاته ، ولٰكنه أقبل بعد ذلك علىٰ جمع المال ، واشتغل بعياله[٢] .

ـ الشيخ نور الدين عليٌّ النَّجّاريُّ ، الذي وصفه الإمام الشعراني في إجازته له في خاتمة نسخة « التنبيه » التي كتبها بيده ؛ حيث قال : (الشيخ الصالح ، العالم العلَّامة ، الورِع الزاهد ، الشيخ نور الدين النَّجّاري ثم الأزهريُّ)[٣] .

وممَّن ربَّاهم أيضاً : محمد بن الموفَّق ؛ كاتب ديوان الجيش ، ومحمدُ بن الأمير ؛ شيخ سوق أمير الجيوش ، وأبو الفضل الجَزِيري القبَّاني ، وعلي ابن أمير كبير أزبك ، والحاجُّ علي البسطيُّ ، وغيرهم .

ثناء العلماء عليه

لقد أثنىٰ علماء عصر الإمام الشعرانيِّ ومن أتىٰ بعدهم عليه ثناءً يدلُّ علىٰ سبقه وتقدُّمه عند الخواصِّ قبل غيرهم ، كما أثنَوا علىٰ مؤلَّفاته وما قدَّمه من

---

(١) انظر « خلاصة الأثر » (٤/ ١٧٥) .
(٢) انظر « الكواكب الدرية » (٣/ ٣٩٧) .
(٣) انظر (ص٨٠٦) .

جهود عظيمة في حياته في سبيل هـٰذا الدين القويم ، **وأذكر فيما يأتي طرفاً مما قيل في حقِّهِ** :

ـ قال عنه شيخه الإمام الفقيه **شهاب الدين الرَّمْلي الشافعي** : (**بدايتك نهاية غيرك** ؛ فإني ما رأيت أحداً تيسَّر له مطالعةُ هـٰذه الكتب كلِّها في هـٰذا الزمان أبداً)[1] ، وقال عن كتابه « كشف الغمَّة » : (وقفت علىٰ هـٰذا المؤلَّف الغريب ، والمجموع العجيب ، فرأيته كتاباً لا يُنكَر فضلُهُ ، ولا يختلف اثنان في أنَّهُ ما صُنِّف مثلُهُ)[2] .

ـ وقال عنه شيخه الإمام **ناصر الدين اللَّقاني المالكي** في تقريظه لكتابه « المنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين » : (فقد وقفت علىٰ هـٰذا المؤلَّف العظيم الشأن. . . وكيف لا يكون كذلك **ومؤلِّفه المحقِّق الفهَّامة** ، **شيخ الحقيقة وأستاذ الطريقة** ، **الجامع بين المنقول والمعقول** ، والمرجع والتعويل عليه فيما يفتي به ويقول ، **سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى** ؛ الشيخ أبو محمد عبد الوهَّاب الشعرانيُّ ، المرشد المسلِّك المربِّي ؟! أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته ، وحشرنا في زمرته)[3] .

ـ وقال عنه الشيخ **شهاب الدين البُهُوتي الحنبلي** في تقريظه للكتاب السابق : (وأنت خبير بأن الله تعالىٰ قد **جمع لمؤلِّفه بين الحال والقال**)[4] .

ـ وقال عنه تلميذه الإمام المحدِّث **عبد الرؤوف المناوي** : (**شيخنا** ،

---

(١) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٤٦) .

(٢) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٦٧) .

(٣) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٧٠) .

(٤) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٧٠) .

الإمام العامل ، والهمام الكامل ، إنسانُ عينِ ذوي الفضائل ، وعينُ إنسان الواصلين من ذوي الوسائل ، العابد الزاهد ، الفقيه المحدِّث ، الصوفي المربِّي المُسلِّك)[1] .

ـ وقال عنه الإمام المؤرِّخ شهاب الدين أحمد بن محمد **المَقَّري** التِّلِمْساني : (**ولي الله الربَّاني** ؛ سيدي عبد الوهَّاب الشعراني نفعنا الله تعالىٰ ببركاته)[2] .

ـ وقال عنه الإمام المورِّخ **ابن العماد الحنبلي** : (**هو فقيه النظر ، صوفي الخبر** ، له دُرْبة بأقوال السلَف ومذاهب الخلَف ، كان مواظباً على السُّنَّة ، مبالغاً في الورع ، مؤثِراً ذوي الفاقة علىٰ نفسه حتىٰ بملبوسه ، متحمِّلاً للأذىٰ ، موزِّعاً أوقاته على العبادة ؛ ما بين تصنيف وتسليك وإفادة)[3] .

ـ وقال عنه الإمام المحدِّث المؤرِّخ **نجم الدين الغَزِّي** : (الشيخ العالم العارف الشعرانيُّ . . . **كان رحمه الله من آيات الله تعالىٰ في العلم والتصوُّف والتأليف**)[4] .

ـ ووصفه الإمام **مرتضى الزَّبيدي** بـ(القطب الشعراني قُدِّس سرُّه)[5] .

ـ وقال عنه العلامة المحدِّث **عبد الحي الكَتَّاني** : (هو الإمام الفقيه

---

(١) الكواكب الدرية (٣/ ٣٩٢) .

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ٥٥) .

(٣) شذرات الذهب (١٠/ ٥٤٥ـ٥٤٦) .

(٤) الكواكب السائرة (٣/ ١٥٨) .

(٥) إتحاف السادة المتقين (٤/ ٤٨٦) .

المحدِّث ، الصوفي العارف المُسلِّك ، أبو المواهب عبد الوهَّاب بن أحمد الشعراني)[١] .

ـ وقال عنه العلامة المؤرِّخ **علي مبارك** : (الإمام العلامة ، المعتقَد المسلِّك ، مربِّي المريدين ، قدوة العلماء والصالحين ؛ عبد الوهَّاب بن أحمد. . . الشعراني)[٢] .

ـ وقال عنه شيخ الأزهر الدكتور **عبد الحليم محمود** رحمه الله : (كان عالماً مستنيراً بكلِّ ما تحمله هـٰذه الكلمة من معانٍ)[٣] .

مذهبه في الفقه

بيَّن الإمام الشعرانيُّ مذهبَهُ في الفقه فقال : (فإنَّ الله تعالىٰ قد ألهمني الفهم في كلِّ علم يتداوله الناس اليوم ، حتى إنِّي أقرأ في الأربعةِ مذاهبَ لمن طلب ، وربَّما أوجِّه أقوال كلِّ مذهب أكثرَ من أهله ، **مع أنِّي متقيِّد بمذهب الإمام الشافعي** رضي الله تعالىٰ عنه)[٤] .

وعندما ترجم للإمام الشافعي في « الطبقات الكبرىٰ ». . قدَّمه على الإمام أبي حنيفةَ والإمام مالك بخلاف ما يقتضيه السياق التاريخي ؛ وذلك أدباً منه مع إمامه ، وقال : (**ومنهم** : إمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريسَ الشافعي)[٥] .

---

(١) فهرس الفهارس (٢/ ١٠٧٩) .

(٢) الخطط التوفيقية (١٤/ ١٠٩) .

(٣) عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر (ص٧) .

(٤) المنن الكبرىٰ (٢/ ٤٧١) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (١/ ٥٠) .

وبذلك يُعلم تفنيد ما افتراه بعضهم على الإمام الشعراني بأنَّهُ ادَّعى الاجتهادَ المطلَقَ ، وقد أشار الشعرانيُّ نفسُهُ إلىٰ ذلك فقال : (وقد وقع في سنة سبع وخمسين وتسع مئة . . أنَّ شخصاً ممَّن لا يخشى الله تبارك وتعالىٰ زوَّر عليَّ أنَّني ادَّعيت الاجتهاد المطلَقَ ؛ كأحد الأئمَّة الأربعة . . . ، ولعلَّ شبهتهم في ذلك : كثرة أجوبتي عن الأئمَّة ، فيرونني أُوجِّه هـٰذا المذهب وهـٰذا المذهب كما يوجِّهه أصحابه ، فربَّما يفهمون من ذلك بفهمهم المعكوس ما فهموه)[1] .

الدسّ على الشّعرانيّ في كتبه

تبوَّأ الإمام الشعرانيُّ مكانةً اجتماعيةً بين الناس ليس لها نظيرٌ ، ممَّا دعا بعض الحَسَدة إلى التفكير في قتله ؛ كي يخلوَ الجوُّ لأصحاب الأهواء وطلَّاب المراتب الدنيوية ، بعدما فشلوا في تكفيره وإخراجه من المِلَّة .

فلا عجب بعد ذلك أن نرى الدَّسَّ قد وقع في مؤلَّفات الشعرانيِّ ؛ في حياته قبل مماته ، كما نصَّ هو علىٰ ذلك في العديد من كتبه وفي مواطنَ شتَّىٰ .

وقد أشاع بعض الحَسَدة في مصرَ والحجازِ وغيرهما أموراً مستشنعة في العقائد وغيرها ، ونسبوها لهـٰذا الإمام .

وكانوا قد استعاروا بعض كتبه ليكتبوها ، فدسُّوا فيها عقائدَ زائغةً ، ومسائلَ خارقةً للإجماع ، ونسبوها له ، ودارت تلك المسائل في مصرَ نحو

---

(١) المنن الكبرىٰ (١/ ٣٧١) .

سنة وهو لا يشعر ، فحصل بذلك فتنةٌ في البلد ؛ حيث قال رحمه الله تعالىٰ : (وقد كتب بعض الحَسَدة سؤالاً يتعلَّق ببعض كلماتٍ في كتاب « العهود » ، وقدَّمه إلىٰ شيخ الإسلام شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رضي الله عنه ، فامتنع من الكتابة عليه ، وقال : كيف أكتب علىٰ سؤال يتعلَّق بشخص طالع من الكتب ما لا أعرف له اسماً ، فضلاً عن الخوض فيها ؟!)[1] .

وقال رحمه الله تعالىٰ في خاتمة « المنن الكبرى » : (أرجو من مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحمي هـٰذا الكتاب من كل عدوٍّ وحاسد يدسُّ في فواصله أو غضونه ما يخالف ظاهرَ الشريعة ؛ لينفر الناس عن المطالعة فيه ؛ كما فعلوا في كتابي المسمىٰ بـ « البحر المورود » ، وفي مقدِّمة كتابي المسمىٰ بـ « كشف الغمَّة » . . . ، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وأشيعوه ؛ بقصد صيانة الناس عن الوقوع في عرضي بغير حقٍّ)[2] .

وقال أيضاً : (فكلُّ قليل يُحرِّفون عني مسائلَ لم أقلْ بها قطُّ ، ثم يكتبون بها سؤالاً ويستفتون عنها العلماء ، فيقولون بحسب السؤال ، ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لي بذلك أجورٌ لا تحصىٰ)[3] .

وقد كان أشياخ زمانه يلحظون الفرق بين خطِّه وخطِّ المُغرضين ، وكان يدافع عن نفسه بالنسخ الأصلية الموجودة عنده .

---

(١) المنن الكبرىٰ (١/ ١٦٢) .

(٢) المنن الكبرىٰ (٢/ ٦٥٣) ، وانظر (ص٧٢ـ ٧٣) .

(٣) المنن الكبرىٰ (١/ ٣٧٠) .

بل إنَّه رحمه الله تعالىٰ كان يحارب الدَّسَّ الذي وقع لغيره من العلماء ، وكان يثبت وقوع الدَّسِّ في كتب السالفين من أهل العلم ، ففي معرض حديثه عن الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالىٰ يقول : (وجميع ما عارض من كلامه ظاهرَ الشريعة وما عليه الجمهور . . فهو مدسوسٌ عليه ، كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكَّةَ المشرَّفةِ ، ثم أخرج لي نسخة « الفتوحات » التي قابلها علىٰ نسخة الشيخ بخطِّه في مدينة قُونِيَةَ ، فلم أرَ فيها شيئاً مما كنت توقَّفت فيه وحذفته حين اختصرت « الفتوحات »)[١] .

وبناءً علىٰ ذلك : عندما يعرض لنا نصٌّ مُشكِلٌ من أئمة التصوُّف . . لا يجوز لنا أن نَعْجَل ونرمي صاحبه بالزَّندقة والضلال ، أو الجهل والتخريف ، بل لا بدَّ من وقفة لتبيُّنِ الأمرِ ؛ فقد يكون عدمُ فهم مصطلحات القوم رضي الله عنهم . . سبَّبَ هـٰذا اللَّبْسَ ، يقول المصنِّف في « المنن الكبرىٰ » : (**وقد يكون سبب الإنكار** : جهل المنكِر بمصطلَح القوم رضي الله تعالىٰ عنهم ، وعدم ذوقه لمقاماتهم ؛ فالعاقل من ترك الإنكار ، وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته .

وربما تكلم العارف في نظمه أو غيره علىٰ لسان الحقِّ تبارك وتعالىٰ ، وربما تكلم علىٰ لسان رسوله صلى الله عليه وسلم)[٢] .

---

(١) اليواقيت والجواهر (١/ ٧) .

(٢) المنن الكبرىٰ (١/ ٣٨٧) .

مؤلفاته

إنَّ كثرة الفنون التي برع فيها إمامنا الشعرانيُّ رحمه الله تعالىٰ . . كان لها أثرٌ بيِّنٌ في عِظَم الإرث الذي خلَّفه من بعده ؛ فقد عُدَّ من أفراد المصنِّفين في تاريخنا الإسلامي ؛ إذ وصلت مؤلَّفاته إلىٰ نحو ثلاث مئة كتاب في شتَّى العلوم والفنون ؛ من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والكلام ، والنحو ، والطِّب ، والتصوُّف والأخلاق .

وقد قال الشعراني نفسُهُ في « المنن الوسطىٰ » : (وممَّا منَّ الله به عليَّ أنني **ألَّفت نحو الثلاث مئةِ كتاب في علوم الشريعة**)[١] .

وقال في « المنن الكبرىٰ » : (وممَّا منَّ الله تبارك وتعالىٰ به عليَّ تأليفي كتباً كثيرة في الشريعة ، وغالبها ابتكرته ولم أُسبق إليه) ، ثم عدَّد بعضاً من تلك الكتب[٢] .

وفيما يأتي بعض مؤلَّفاته :

ـ « الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية » .

ـ « الأخلاق الزكية والعلوم اللَّدُنية » .

ـ « الأخلاق المَتبوليَّة المُفاضة من الحضرة المحمدية » .

ـ « آداب الصحبة » .

ـ « آداب الفقراء » .

---

(١) المنن الوسطىٰ (ص ١٤١) .

(٢) المنن الكبرىٰ (١/ ١٦٥) .

ـ « إرشاد الطالبين إلىٰ مراتب العلماء العاملين » .

ـ « إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلىٰ شروط صحبة الأمراء » .

ـ « أسرار العبادات » .

ـ « الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية » .

ـ « الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية » .

ـ « البحر المورود في المواثيق والعهود » ، المسمىٰ بـ « العهود الصغرىٰ » .

ـ « البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير » .

ـ « البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف » .

ـ « بهجة النفوس والأحداق فيما تميَّزَ به القوم من الآداب والأخلاق » .

ـ « تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا » .

ـ « تنبيه الأغبياء علىٰ قطرة من بحر علوم الأولياء » .

ـ « تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر » ، **وهو الكتاب الذي بين أيدينا** .

ـ « الجواهر والدرر الكبرىٰ » .

ـ « الجوهر المصون في علم كتاب الله المكنون » .

ـ « الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم » .

ـ « درر الغوَّاص علىٰ فتاوىٰ سيدي علي الخوَّاص » .

ـ « الدرر المنثورة في بيان العلوم المشهورة » .

ـ « الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع » .

ـ « ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرىٰ » .

ـ « رسالة الأنوار » .

ـ « رسالة في أهل العقائد الزائغة ، وأمورٍ تنفع من يريد الخوض في علم الكلام » .

ـ « رسالة في بيان جماعة سمَّوا أنفسهم بالصوفية » .

ـ « رسالة في التصوف » .

ـ « رسالة في التوحيد » .

ـ « السر المرقوم فيما اختصَّ به أهل الله من العلوم » .

ـ « حاشية علىٰ شرح جمع الجوامع » للمَحَلِّي .

ـ « الطبقات الشعرانية » ، **وطبقاته ثلاث** :

أ ـ « الطبقات الكبرىٰ » ، المسمىٰ بـ « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » .

ب ـ « الطبقات الوسطىٰ » ، المسمىٰ بـ « لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية » .

ج ـ « الطبقات الصغرىٰ » أو « ذيل الطبقات » .

ـ « الطراز الأبهج علىٰ خطبة المنهج » .

- « طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالىٰ والعباد » .

- « العقيدة الشعرانية » .

- « فتح الوهَّاب في فضائل الآل والأصحاب » .

- « القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلـٰهية » .

- « القول المبين في بيان آداب الطالبين » .

- « القول المبين في الردِّ عن محيي الدين » .

- « الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر » .

- « كشف الغمَّة عن جميع الأمة » .

- « الكشف والتبيين » .

- « لباب الإعراب المانعُ من اللحن في السنة والكتاب » .

- « لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدُّث بنعمة الله علىٰ الإطلاق » ، المسمىٰ بـ « المنن الكبرىٰ » .

- « لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية » .

- « المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر » .

- « المختار من الأنوار في صحبة الأخيار » .

- « مختصر تذكرة القرطبي » .

- « مختصر سنن البيهقي الكبرىٰ » .

ـ « مختصر سنن البيهقي الصغرىٰ » .

ـ « مختصر المدوَّنة » في الفروع المالكية .

ـ « مدارج السالكين إلىٰ رسوم طريق العارفين » .

ـ « مفتاح السر القدسي في تفسير آية الكرسي » .

ـ « المقدمة النحوية في علم العربية » .

ـ « الملتقَطات من حاشية ابن أبي شريف علىٰ شرح جمع الجوامع للسبكي » .

ـ « المنح السنية علىٰ الوصية المَتبولية » .

ـ « منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدَّعين للطريق » .

ـ « المنهج المبين في أخلاق العارفين » .

ـ « المنهج المبين في بيان أدلة أئمة المجتهدين » .

ـ « الميزان الخضرية » .

ـ « الميزان الشعرانية المدخلة لجميع مذاهب المجتهدين ومقلِّديهم في الشريعة المحمَّدية » ، **وقد طبع طبعة نفيسة في دار التقوىٰ دمشق الشام** .

ـ « هادي الحائرين إلىٰ رسوم أخلاق العارفين » .

ـ « ورد الأقطاب والمكملين من أصحاب الدوائر الكبرىٰ » .

ـ « وصايا العارفين » .

ـ « اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر » .

وفاته [1]

فاضَتْ روح الشيخ العارف بالله عبد الوهَّاب الشعرانيِّ في **يوم الاثنين بعد العصر ثاني عشر جمادى الأولىٰ من سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة من الهجرة النبوية** ، وذلك بعد مرض الفالج الذي دام قرابةَ الشهر .

وقد كان يوم جنازته يوماً مشهوداً ؛ فقد خرج في جنازته ما يزيد علىٰ خمسين ألفاً ، **ودفن بجانب زاويته** بين السُّورَين ، وكان آخر كلماته : أنا ذاهبٌ إلىٰ ربِّي الرحيمِ الكريمِ .

وبذلك خُتمت حياةُ الإمام الشعرانيِّ بعد أن أمضاها بخدمة هـٰذا الدين القويم ؛ علماً وعملاً ، وقد ترك لمن أتىٰ بعده إرثاً عظيماً في شتَّىٰ فنون الشريعة وعلومها ؛ ظاهراً وباطناً .

رحمه الله تعالىٰ ، ونفعنا به وبعلومه ، وأجرىٰ علينا من بركاته ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) انظر « المناقب الكبرىٰ » (ص١٦٠ـ١٦١) .

كلمة عن كتاب «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»

تعدَّدت عنونةُ هـٰذا الكتاب في النسخ الخطيَّة ؛ حيث وردَتْ في موضعين ضمن كلٍّ واحدة منها زيادةً على العنوان المثبت في طُرَرِها ؛ مرة في مقدمة الكتاب ، ومرة أخرىٰ في خاتمته .

أمَّا العنوان الوارد في طُرَر النسخ :

فلم يثبت في طرة النسخة (أ) أصلاً ، وهو ضمن البتر في النسخة (ب) .

وأُثبتَ في سائر النسخ المعتمدة ؛ ففي طرة النسخة (ج) : « تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » ، وجاء في طرة النسخة (د) مختصراً : « تنبيه المغترين » ، وفي طرة النسخة (هـ) : « تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر فيما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » .

وأمَّا العنوان الوارد في مقدمة الكتاب :

ففي النسختين (أ ، د) : « تنبيه المغترين أوائلَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » ، وفي النسختين (ج ، هـ) : « تنبيه

المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » ، وهو ضمن البتر في النسخة (ب) .

وأمَّا العنوان الوارد في خاتمة الكتاب :

فقد اتفقت النسخ (أ ، ب ، ج ، د) علىٰ عنونته بـ « تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » ، وجاء في النسخة (هـ) مختصراً : « تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر » .

وهكذا نجد أنَّ العنوان الذي اتفقت عليه أغلب النسخ هو « **تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ** » .

وهو العنوان ذاته تقريباً الذي ذكره المليجيُّ في ترجمته للإمام الشعرانيِّ عندما سردَ مؤلَّفاتِهِ ؛ حيث قال : (وكتاب « تنبيه المغترين في أواخرِ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهر »)[1] .

ويؤيِّد هـٰذا العنوانَ أمرانِ :

الأمر الأول : ما صرَّح به المصنِّف في مقدمة الكتاب ؛ حيث قال : (وأرجو مِنْ فضلِ اللهِ تعالىٰ أنْ يكونَ هـٰذا الكتابُ كالمبيِّنِ لما اندرسَ من أخلاقِ القومِ رضيَ اللهُ عنهم بعدَ الفترةِ التي **حصلَتْ بعدَ موتِ الأشياخِ ؛ الذينَ أدركناهم في النصفِ الأولِ مِنَ القرنِ العاشرِ**) .

الأمر الثاني : ما جاء في خاتمة النسخة التي كتبها المصنِّف بخطِّ يده ، حيث قال : (قال ذلك وكتبه مؤلِّفه ؛ العبد الفقير إلى الله تعالىٰ :

---

(١) المناقب الكبرىٰ (ص٧٠ـ ٧١) .

عبدُ الوهاب بن أحمد الشعرانيُّ الشافعيُّ خادمُ الفقراء والمساكين في سابع عشرين رمضان ، **سنة إحدىٰ وستين وتسع مئة** بمصر المحروسة ، حامداً مصلِّياً مسلِّماً) .

ففي هـٰذا إشارة إلىٰ أنَّ فراغَهُ من تأليفه لهـٰذا الكتاب كان في النصف الثاني من القرن العاشر ؛ وهـٰذا يعني : أنَّه أقرب إلىٰ أواخر القرن العاشر من أوائله ، وبذلك يكون العنوانُ المشار إليه هو الراجحَ ، والله أعلم .

الباعث علىٰ تأليف هـٰذا الكتاب

بيَّنَ الإمام الشعرانيُّ رحمه الله تعالىٰ باعثَهُ علىٰ تأليف كتابه « تنبيه المغترين » في مقدمته ؛ **حيث قال** : (**وكان الباعث الأعظم لي علىٰ تأليف هـٰذا الكتاب** : ما رأيتُهُ مِنْ تفتيشِ جماعةِ مولانا السلطان سليمان بن عثمان في النصف الثاني مِنَ القرن العاشر علىٰ ما اختلسَهُ العمالُ وغيرُهم مِنْ مالِهِ ؛ نصرةً له ، وما رأيتُ أحداً مِنْ علماء الشرع يفتِّشُ علىٰ ما اندرسَ مِنْ معالم أخلاق الشريعة المحمدية نصرةً لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ؛ كما فعل جماعةُ مولانا السلطان نصرَهُ الله ! فأخذَتْني الغَيرةُ الإيمانية على الشريعة ، **وألَّفْتُ هـٰذا الكتابَ كالمبيِّن لِمَا اندرسَ مِنْ معالم أخلاقها في دولة علماء الظاهر والباطن** ، فهو نافعٌ لكلِّ فقيهٍ وصوفيٍّ في هـٰذا الزمان ، لا يكاد أحدٌ منهم يستغني عن النظر فيه ، كما ستعرفُهُ عند مطالعتِكَ الكتابَ إن شاء الله تعالىٰ .

وهو كالسيف القاطع لعنق كلِّ مدَّعٍ للمشيخة في هـٰذا الزمان بغير حقٍّ ؛

لأنَّهُ يُفلِّسُهُ حتىٰ يرىٰ نفسَهُ منسلِخةً مِنْ أخلاق القوم ؛ كما تنسلخُ الحيَّة مِنْ ثوبها)[١] .

ثمَّ قال : (ولو أنَّ أحداً جدَّدَ أخلاق القوم في هـٰذا العصر غيري . . لكنتُ دللْتُ الإخوانَ علىٰ مطالعة مؤلَّفِهِ ، ولم أُتعِبْ نفسي في تأليف هـٰذا الكتاب ؛ لأنَّهُ حينئذٍ لا فائدةَ فيه)[٢] .

وهكذا نجد أنَّ باعث إمامنا الشعرانيِّ رحمه الله تعالىٰ **علىٰ تأليف هـٰذا الكتاب** يتمثَّل في **بيان ما اندرسَ من أخلاق السلف الصالح** التي غابت عن أهل زمانه ، فألَّف كتابه ؛ ليكون بمثابة المنارة التي يهتدي بها الناسُ ؛ ليتحقَّقوا بأخلاق أولـٰئك القوم الذين اشتهروا بصلاحِ الحالِ وصدقِ المقالِ رضي الله عنهم .

طريقة المصنِّف في هـٰذا الكتاب

قال الإمام الشعراني في مقدِّمته : (فهـٰذا كتابٌ نفيسٌ ، صغيرُ الحجم ، كبيرُ القدر ، جمعْتُ فيه نبذةً صالحةً منْ فقه طريق أهل الله تعالىٰ ، وما كانوا عليه مِنَ الزهد والورع ، والعلم والخشية والخوف ، وغير ذلك ، وحرَّرْتُهُ على الكتاب والسنة ؛ كتحريرِ الذهبِ والجوهرِ بحسَبِ ميزان علمي وعقلي حالَ الكتابة .

فهو ككتاب « المنهاج » للإمام النوويِّ في الفقه ؛ فكما أنَّ علماء العصر يفتُونَ الناسَ بما فيهِ مِنَ الترجيحات . . **كذلك علماءُ الصوفية يفتُونَ بما في**

---

(١) انظر (ص٦٣) .

(٢) انظر (ص٧٠) .

هـٰذا الكتاب **مِنَ النقول المحرَّرات**)[١] .

وقد كانَ تأليفُهُ لهـٰذا الكتابِ حسبَ الوقائعِ والأحداث التي جرَتْ معه ومع أصحابه رحمهم الله تعالىٰ جميعاً ؛ وقد بيَّن هـٰذا بقوله : (وكان تأليفي لهـٰذا الكتاب **بحسب الوقائع التي تقعُ مني ومِنْ أصحابي** ، وما مِنْ خُلُقٍ ذكرتُهُ فيه إلا وهو واردٌ عليَّ بسببٍ أعرفه)[٢] .

وقد قسَّمَ الشعرانيُّ كتابه هـٰذا إلىٰ أربعة أبواب ، وعَنْوَنَ أغلبَها بقوله : (في جملةٍ أخرىٰ من الأخلاق) ، ويتبيَّن للقارئ أنَّ هـٰذا التقسيم إنَّما كان لدفع الملل الذي قد يحصل فيما لو كان الكتاب كلُّهُ كتلةً واحدةً ؛ إذِ المواضيعُ المندرجةُ تحت تلك الأبواب . . مترابطة ومتشابكة ، ولا يمكن فصلُ الأبواب بشكل موضوعيٍّ عن بعضها بعنوان مستقلٍّ إلا مِنَ الحيثية التي أشرتُ إليها .

وقد بدأ الشعرانيُّ كتابه بمقدِّمةٍ تكلَّم فيها عن أهمية « تنبيه المغترين » ، والباعث علىٰ تأليفه ، وأشار إلىٰ طريقته في التأليف ، وأنَّها بحسب الوقائع التي وقعت منه أو من أصحابه كما أسلفتُ .

وقد اختلفت المقدِّمة بين النسخ ؛ ففي كلٍّ من النسختين (أ ، د) أتت المقدِّمةُ مختصرةً موجزةً ، وفي النسختين (ج ، هـ) أتت مطوَّلةً بذكر زيادات نافعة ، وهي ضمن البتر في (ب) .

والذي يبدو أنَّ الإمامَ الشعرانيَّ رحمه الله تعالىٰ قد كتب مقدمة كتابه ،

---

(١) انظر (ص٦١ـ ٦٢) .

(٢) انظر (ص٦٤) .

ثمَّ أعادها ؛ ليضمِّنها بعضَ الأمور التي دعتِ الحاجةُ إلىٰ بيانها ؛ ككلامه عن فعل بعض مَنْ دسَّ عليه في مؤلفاته ممَّا يخالف ظاهرَ الكتاب والسنة ؛ ليُنَفِّرَ الناس عن مطالعته لتلك المؤلَّفات النافعة ، ويحرمَهمُ الاستفادةَ منها ، فذكر الشعرانيُّ ذلك الفعلَ ، وردَّ علىٰ مَنْ قام به في المقدمة التي زادَ عليها ؛ وهي المثبتة في (ج ، هـ) .

ويمكن أن يُستدَلَّ علىٰ أنَّ المصنِّف قد كتب المقدمة المختصرة أولاً ثمَّ أعادها وزاد فيها . . بأنَّ عنوان الكتاب في المقدمة المختصرة هو : « تنبيه المغترين أوائلَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » ، أمَّا في المقدمة المطوَّلة فهو : « تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » ، وفي هـٰذا إشارة إلىٰ أنَّ ما كتبه آخراً هو ما جاء فيه : (أواخر القرن العاشر) ، وهو العنوان الذي اتفقت عليه النسخ في الخاتمة .

وبناءً علىٰ ذلك فقد **أثبتُّ في متن هـٰذا الكتاب المقدِّمة المطوَّلة** كما هي واردة في (ج ، هـ) ، **وذكرتُ المقدمةَ الموجزة في الحاشية** ؛ لتتمَّ الفائدةُ بذلك[1] .

وقد عرض المصنِّف الأبوابَ التي عقدها لبيان أخلاق السلف الصالح . . **من خلال تقسيمه كلَّ باب إلىٰ فروع متعدِّدة** ؛ ابتدأ كلَّ فرعٍ منها بقوله : (**ومن أخلاقهم رضي الله عنهم**) ، ثم كان يذكر الخُلُق الذي سيتكلَّم عنه ، ويُتبِعُ ذلك بأخبارٍ من سيرة السلف رضي الله عنهم .

---

(١) انظر (ص٧٤ـ ٧٧) .

وقد تعدَّدت تلك الأخبارُ ؛ فبعضُها مِنْ سيرةِ الصحابةِ الكرام رضي الله عنهم ، وبعضُها مِنْ سيرةِ التابعين وتابعيهم ، وقد يأتي بأخبارٍ مِنْ سيرةِ المشايخِ الذين أدركهم رحمهم الله جميعاً ؛ فلم يقتصرِ المصنِّف علىٰ ذكر أخبارِ طبقةٍ واحدةٍ ، بل نوَّع في ذلك حسب ما يقتضيه الحالُ ، وأحياناً كان يأتي بأخبارٍ مِنْ سيرةِ الأنبياءِ السابقين صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم أجمعين ، وقد يذكر طرفاً مِنْ سيرةِ أقوامِهم .

وكان إيرادُ الإمام الشعرانيِّ لأحاديثِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من باب الاستشهاد لأخلاق القوم غالباً .

وكثيراً ما كان يختم الخُلُقَ الذي تكلَّم عنه .. بخلاصةٍ فيها موعظةٌ بأسلوبٍ محبَّبٍ ؛ تفوح منه رائحةُ المودَّة والحرص علىٰ مصلحة القارئِ بما يحمله علىٰ قبول النصح طوعاً ومحبةً ؛ فيقول مثلاً : (فتأمَّل يا أخي) ، أو (فاعلم ذلك يا أخي) ، وما يشبه هٰذه العبارات كما هو واضح في ثنايا الكتاب .

أمَّا بالنسبة لمصادر الإمام الشعرانيِّ في هٰذا الكتاب .. فقد تنوَّعت وتعدَّدت ؛ فكانَ اعتمادُهُ أحياناً على « الصحيحين » والسننِ الأربعةِ وغيرِها مِنْ كتبِ الحديث الأصيلة فيما يتعلَّق بالأحاديثِ التي أوردَها في كتابه .

وكثيرٌ مِنَ الأخبار التي ذكرها .. رواها أبو نعيم في « حلية الأولياء » ، أو الدينوريُّ في « المجالسة وجواهر العلم » ، أوِ ابنُ أبي الدنيا في مصنَّفاته ؛ ككتاب « الزهد » و« الهم والحزن » و« الورع » وغيرها .

وكثيراً ما كان يعتمدُ علىٰ « قوت القلوب » لأبي طالبٍ المكيِّ ،

و« إحياء علوم الدين » للغزاليِّ ، وغيرِهما من كتب التصوُّف والرقائق والأخلاق ، ونادراً ما كان يصرِّح بالأصل الذي نقل عنه .

وقد كان من عادة المصنف في كثيرٍ من المواضع أن يُتبِع الخبر بتعليق عليه بقوله : (**قلتُ**) ، ثمَّ يذكر فائدةً مناسبةً للمقام ؛ من شرحِ كلمةٍ ، أو تفسيرِ عبارةٍ ، أو بيانِ حكمٍ[1] .

---

(١) انظر على سبيل المثال (ص٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦) وغيرها من المواضع .

منهج العمل في الكتاب

إنَّ لكتاب « تنبيه المغترين » أهميةً كبيرةً ومكانةً بارزةً عند السالكين في طريقِ القومِ ، وقد سبق بيانُ طرفٍ من تلك الأهمية[1] ، إلا أنَّه مع ذلك لم يحظَ بما يستحقُّه من الاهتمام ؛ مِنْ حيثُ ضبطُ عباراته ، وتوثيقُ أخباره ، وشرحُ مُشكِلِهِ ، وعنونةُ ما يندرج فيه مِنْ فروعٍ ، فكانَ مِنْ عظيمِ فضل الله تعالىٰ علينا أن وفَّقنا إلىٰ خدمة هـٰذا السِّفر المبارك .

وقد كان مِنْ مظاهرِ ذلك الفضلِ الجليلِ في مسيرة التحقيق لهـٰذا الكتاب . . **الوقوفُ علىٰ نسخٍ خطيَّةٍ متعدِّدةٍ** ؛ تمَّ اعتمادُ خمسٍ منها لتكونَ مرجعاً لحلِّ ما أشكل أثناءَ العمل ، ولا يُصار إلىٰ غيرها مِنْ نسخِ الاستئناس إلا إن تعذَّر الحلُّ من تلك النسخِ المعتمدةِ .

وأهمُّ تلك النسخ : النسخة التي كتبها المصنِّفُ الإمامُ الشعرانيُّ رحمه الله تعالىٰ بخطِّ يده ، وقُرئت عليه غيرَ مرةٍ ، كما هو ظاهرٌ في لوحاتها ؛ وهي النسخة التي رُمز إليها بـ (أ) ؛ فقد نُسجت منها سدى الكتاب ولحمته ، **ثم تمَّتِ المقابلةُ** بشكل كاملٍ على النسخة (هـ) ، مع الاستفادة من سائر النسخ التي تمَّ وصفُها في حلِّ ما أشكل .

وقد تمَّ إثباتُ الفروقِ المهمَّة بذكر الأرجح في المتن غالباً والإشارة إلىٰ

(١) انظر (ص٣٣ـ ٣٤) .

سائر النسخ في الحاشية ، **ولم أتعرَّض للفروقِ غير الجوهرية** .

وإذا اتفقت النسخ علىٰ رسم كلمة ، وتأكَّدَ أنَّ الصواب غير ما أُثبت فيها . . فيُصار إلىٰ تصحيح تلك الكلمة بين معقوفين [ ] ، وهي حالات نادرة ؛ كما في تصحيح لقب عطاء السَّلِيميِّ رحمه الله تعالىٰ ؛ حيث جاءت كلمة (السليمي) في كل النسخ في جميع المواضع (السلمي) .

إضافة إلىٰ ما سبق فقد سرتُ في تحقيق هـٰذا الكتاب وفق الخطوات الآتية :

ـ **عزو الآيات القرآنية الكريمة** إلىٰ مواطنها من المصحف الشريف ؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن ؛ اختصاراً للحواشي ما أمكن ، وذلك بين معقوفين [ ] .

ـ **تخريج الأخبار** التي ذكرها المصنف من مظانِّها ؛ فإن كان الخبر حديثاً نبوياً اتبعت المنهج العلميَّ المتَّبع عادةً في تخريج الأحاديث ؛ وذلك بالتخريج من « الصحيحين » ، فإن لم أجد الحديث فيهما فمِنَ السننِ الأربعة ، فإن لم أجد فمِنَ المصنَّفاتِ والمعاجم والمسانيد الحديثية حسب الحال ، وإذا كان الخبر عن أحد من الأئمة أو التابعين وأرباب التصوف فمن حيث وُجد ، ويُراعى المصدرُ الأقرب للفظِ المصنِّف ما أمكن ، فإن تعدَّدت المصادر اكتفيت باثنين غالباً ، فإن لم أجد تخريجاً للحديث أو الأثر أو القول . . فإنَّني أتركه كما ورد في المتن ، ولا أشير عادة في الحاشية إلىٰ أنَّني بحثتُ فلم أجده .

ـ **ضبط الأواخر** إضافة إلىٰ ضبط المُشكل ، **مع الاهتمام بعلاماتِ**

الترقيم ، **وحصرُ أقوال العلماء** الذين ذُكرت أسماؤهم ، وذلك بين قوسين ( ) ، إلا إذا كان النقلُ علىٰ شكلِ حوارٍ بين اثنين فأكثر .

ـ **وقد أضفتُ لكلِّ خُلُق ذكره المصنف عنواناً توضيحياً** بين معقوفين [] قبل قوله : (ومن أخلاقهم . . .) .

ـ وزيادةً على الحواشي التي وثقتُ فيها ما جاء في هـٰذا الكتاب من أخبارٍ ونقُولٍ . . **فقد أضفتُ تعليقاتٍ توضيحيةً إن لزم الأمر** ؛ كشرحِ غامضٍ ، أو تفسيرِ مبهمٍ ، إضافةً إلى إثبات كثير من الهوامش المفيدة من النسخة (ج) .

وفي الختام : أحمدُ اللهَ تعالىٰ أنْ وفقني بمنِّه وكرمه إلىٰ إتمام تحقيق هـٰذا الكتاب المبارك ، وأسأله سبحانه أن يمنَّ علينا بالقبولِ ، ويتفضَّلَ علينا بالسيرِ علىٰ نهجِ السلفِ الصالحِ ، ويرزقَنا خيرَيِ الدنيا والآخرة ببركة أهله وخاصَّته ، وأنْ يجعلَ هـٰذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنَّه أرحمُ مَنْ سُئل ، وأكرمُ مَنْ أعطىٰ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا وحبيبِنا وقرَّةِ أعيننا محمدٍ رسولِ الله ، وعلىٰ آله الأطهارِ ، وصحابته الأبرارِ ، ومَنْ علىٰ نهجِهم سارَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

حرر في دمشق الشام

عصر الثلاثاء (٦) رمضان المبارك (١٤٤٤هـ)

الموافق (٢٨) آذار/ مارس (٢٠٢٣م)

وكتبه

راجي عفو ربِّ المعيد المبدي

عبد الرحمن بن محمود السَّعدي

وصف النسخ الخطية

النسخة الأولىٰ

وهي نسخة مكتبة نور عثمانية بإستنبول ، ذات الرقم (٢٣٥١) .

وهي نسخة نفيسة تامَّةٌ ، كُتبت بخطٍّ نسخيٍّ معتادٍ بالمداد الأسود ، وجاءت بداياتُ الفقرات فيها بمدادٍ أحمر أحياناً .

وقد تميَّزت بأنَّها **كُتبت بخطِّ المصنِّف** رحمه الله تعالىٰ ، عدا الصفحة الأولىٰ من الورقة الأولىٰ ؛ فقد كتبت بخطٍّ مغايرٍ ، **وقد قُرئت هـٰذه النسخة علىٰ مؤلفها غيرَ مرةٍ** ؛ إذ أُثبِتتِ البلاغاتُ في هوامشها ، وتعدَّدت أحياناً في الموضع ذاته ، وقد أثبتنا تلك البلاغات في حواشي هـٰذا الكتابِ الذي الذي وفَّقنا الله تعالىٰ إلىٰ إخراجه بهـٰذه الحلَّة .

وممَّن قرأها علىٰ مؤلِّفها كما هو مثبَت في خاتمتها :

ـ الشيخ نور الدين النجاري الأزهري ؛ حيث قال المصنف : (بلغ الشيخ الصالح العالم العلامة الورع الزاهد ؛ الشيخ نور الدين النجاري ثم الأزهري . . قراءةً عليَّ لجميع هـٰذا الكتاب ؛ قراءةَ فهم وتدقيق ، وأجزتُ له روايتَه عنِّي وإقراءه لمن يراه أهلاً للاتعاظ والعمل)[١] .

---

(١) انظر (ص٨٠٦) .

ـ الشيخ محمد بن يحيى الترجمان ، حيث جاء بخطِّ يده في الخاتمة : (قرأ كاتبُهُ الفقيرُ إلى الله تعالىٰ محمدُ بن يحيى الترجمان جميعَ هـٰذا الكتاب علىٰ مؤلِّفه فسح الله في مدته)[1] .

وقد ذكر جملة من الشيوخ الذين حضروا ختم الكتاب ، وأجازهم مؤلِّفه بروايته والأخذ بما فيه .

كما تميَّزت هـٰذه النسخة **بوجود تعليقاتٍ نافعةٍ في هوامشها بخطِّ مؤلِّفها** ؛ أغلبها لاستدراكِ نقصٍ ، أو تصحيحِ سهوٍ .

وأشيرُ إلىٰ أنَّ طرةَ هـٰذه النسخة قد خلَتْ من عنوان الكتاب .

وقد وقعت هـٰذه النسخة في (١٣٦) ورقة ، ويتفاوت عدد الأسطر بين ورقة وأخرىٰ ، ولـٰكن جاءت أغلب الأوراق في (٢٥) سطراً تقريباً ، **وقد فرغ مؤلِّفها من نسخها في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (٩٦١هـ)** بمصر المحروسة .

ورُمز لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

وهي نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩١٨١٤) ، والخاص (٢٥٢٠) .

وهي نسخة جيدة إلا أنَّها مبتورة الأول ؛ حيث ذهب ثلثُها تقريباً ؛ فبدايتها قوله : (إنَّ أهونَ ما أنا صانعٌ بالعالمِ إذا آثرَ شهوتَهُ علىٰ طاعتي أنْ

---

(١) انظر (ص٨٠٧) .

أحرمَهُ لذيذَ مناجاتي . . .)[1] .

وقد كُتبت بخطٍّ نسخيٍّ معتاد ، **تميَّز بجماله وأناقته** ، بمداد أسود ، ما عدا بدايات الفقرات ؛ فقد جاءت باللون الأحمر .

وقد وقعت هـٰذه النسخة في (١٥٥) ورقة ، وفي كلِّ ورقة (١٩) سطراً غالباً ، **وقد تمَّ الفراغ من نسخها يوم السبت في الثالث من شهر شعبان من سنة** (١٠١٤هـ) ، علىٰ يد **ناسخها** : محمد بن عامر بن إبراهيم بن علي رحمه الله تعالىٰ .

ورُمز لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة

وهي نسخة مكتبة ولي الدين أفندي بإستنبول ، ذات الرقم (٥٢٣) .

وهي نسخة نفيسة سقط بعض الأوراق من وسطها ، كُتبت بخطٍّ نسخيٍّ معتاد بالمداد الأسود ، وجاءت بدايات الفقرات فيها بمداد أحمر .

وقد تميَّزت هوامشها بتعليقات مفيدة نافعة ؛ كشرحِ كلمةٍ ، أو استدراكٍ علىٰ مسألةٍ ، أو وضعِ عنوانٍ ؛ بالمداد الأحمر أحياناً ، وبالأسود أحياناً أخرىٰ ، وقد تم إثبات كثير من تلك الهوامش في التعليقات إن اقتضى المقام ذلك كما أشرت إليه سابقاً[2] .

وجاء في طرَّتها : (كتاب « **تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ** » تأليف الشيخ الإمام العالم العلَّامة الورع

---

(١) انظر (ص٣٤٢) .

(٢) انظر (ص٤١) .

الزاهد ؛ الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالىٰ ببركاته في الدنيا والآخرة ، آمين) .

وقد وقعت هـٰذه النسخة في (١٣٩) ورقة ، وفي أغلب أوراقها (٢١) سطراً ، **وقد طالعها مع التحشية للمواضع المحتاج إليها وتصحيح الألفاظ المحرَّفة** : خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مراد خان رحمه الله تعالىٰ ، ولم يُذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ، إلا أنَّها **كتبت قبل سنة (١٠٢٩هـ)** ؛ حيث أُثبت في طرَّتها تملُّكٌ في السنة المذكورة .

ورُمز لها بـ (ج) .

النسخة الرابعة

وهي نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٢٤٢٦) ، والخاص (٣٥) .

وهي نسخة نفيسة تامَّةٌ ، كُتبت بخطٍّ نسخيٍّ معتاد بالمداد الأسود ، ما عدا بدايات الفقرات ؛ فقد كُتبت بالمداد الأحمر .

وهي منسوخة من النسخة التي كتبها المؤلف بخطِّ يده ، وهـٰذا ظاهر في خاتمتها .

وقد جاء في طرَّتها : (كتاب « **تنبيه المغترين** » لسيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني تغمَّده الله برحمته) .

وقد وقعت في (٣٠٨) ورقات ، وفي كلِّ ورقة (١٧) سطراً ، **وقد تمَّ الفراغ من نسخها في يوم الخميس في الخامس عشر من شهر ربيع الثاني من**

سنة (١٠٣٧هـ) ، علىٰ يد **ناسخها** : أحمد بن علي الشعراني الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

ورُمز لها بـ (د) .

النسخة الخامسة

وهي نسخة مكتبة أسعد أفندي بإستنبول ، ذات الرقم (١٣٦٨) .

وهي نسخة نفيسة تامَّةٌ ، كُتبت بخطٍّ نسخيٍّ معتاد بالمداد الأسود ، وجاءت بدايات الفقرات فيها بمداد أحمر .

كما **تميَّزت بوضوح الخطِّ وجمال التنسيق** ، ولا سيما عند الأبيات الشعرية.

وجاء في طرَّتها : (كتاب « **تنبيه المغترين أواخرَ القرن العاشر فيما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ** » تأليف سيدنا ومولانا وقدوتنا إلى الله تعالى ؛ الشيخ الإمام العالم العامل العلَّامة المحقِّق المدقِّق الكامل ؛ العارف بالله تعالىٰ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ، نفعنا اللهُ والمسلمين ببركاته في الدنيا والآخرة) .

وقد وقعت هـٰذه النسخة في (٢٠١) ورقة ، وفي كلِّ ورقة (٢١) سطراً غالباً ، **وقد تمَّ الفراغ من نسخها يوم الاثنين في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة** (١١١٤هـ) ، علىٰ يد **ناسخها** : موسى بن سعيد الكومي بلداً ، المالكي مذهباً ، الرفاعي خرقة ، رحمه الله تعالىٰ .

ورُمز لها بـ (هـ) .

إضافةً إلى النسخ المعتمدةِ السالفةِ الذكر **فقد تمَّ الاستئناسُ بعددٍ من النسخ ؛ منها :**

١ـ نسخة **مكتبة ولي الدين أفندي** في إستنبول ، ذات الرقم (٥٢٤) ، والمنسوخة سنة (١١١٧هـ) .

٢ـ نسخة **مكتبة نور عثمانية** في إستنبول ، ذات الرقم (٢٣٥٠) ، والمنسوخة سنة (١١٣٤هـ) .

٣ـ نسخة **مكتبة جامعة الملك سعود** في الرياض ، ذات الرقم (٧٠٧٧) ، والمنسوخة سنة (١٢٤٣هـ) .

٤ـ مطبوعة **دار التقدم** في القاهرة ، سنة (١٣٢٨هـ) .

وقد تمَّت الاستفادةُ منها في مواطنَ يسيرةٍ إن تعذَّر حلُّ ما أشكل من النسخ المعتمدة .

صور من المخطوطات المعتمدة


بسم الله الرحمن الرحيم

راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)

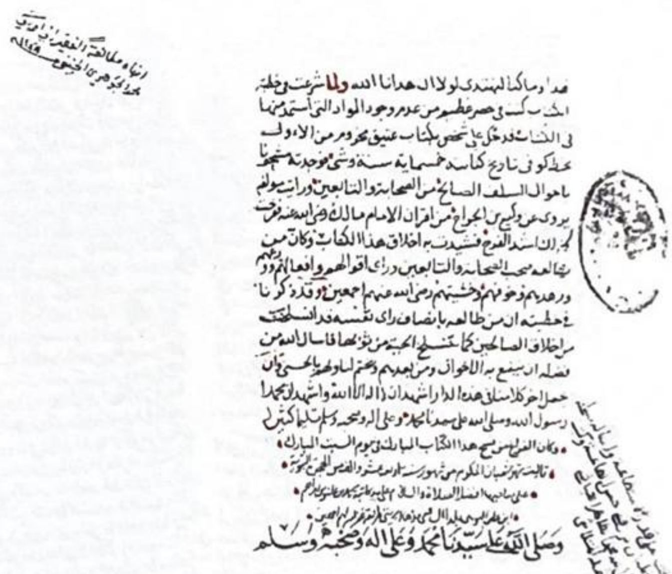


راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



ان اصوب ما انا صانع بالعالم اذا اثر شهوته على طاعتي
ان احرمه لذيذ مناجاتي • وكان وهب بن منبه رضي
الله عنه يقول لاصحابه تعالوا بنا نتوب من الذنب
الذي ترك الناس التوبة منه فيقولون وما هو فيقول حب
الدنيا • وكان يقول سوف يحب الدنيا رجال حتى يعبدوها
ويعبدوا اهلها • وكان الحسن البصري رحمه الله يقول
من لم يجعل حب الدنيا من الكبائر فقد اخطا الطريق
لان الكفر يبنى على الرغبة في الدنيا قلت وذلك لان سبب
الكفر بالله تعالى عصيان ما جاءت به الرسل حسدا
وكبرا وكلاهما من الدنيا • قال عيسى بن مريم عليه
السلام للحواريين حق اقول لكم ان حب الدنيا راس
كل خطيئة • وكان مالك بن دينار يقول اتقوا السحارة
التي تسحر قلوب العلما وتلهيهم عن الله يعني الدنيا
وكان يقول الدنيا اسحر وافتح من سحر هاروت وماروت
يفرق بين المرء وزوجه وسحر الدنيا يفرق بين العبد
وحضرة ربه • وكان الحسن البصري يقول ادركنا الناس
وهم يرون الدنيا عندهم كوديعة يودونها الى صاحبها
ليس لهم فيها ملك ولذلك ذهبوا الى الاخرة خفافا
وكان ابو سليمان الداراني يقول كل الخبز الحاف وانت

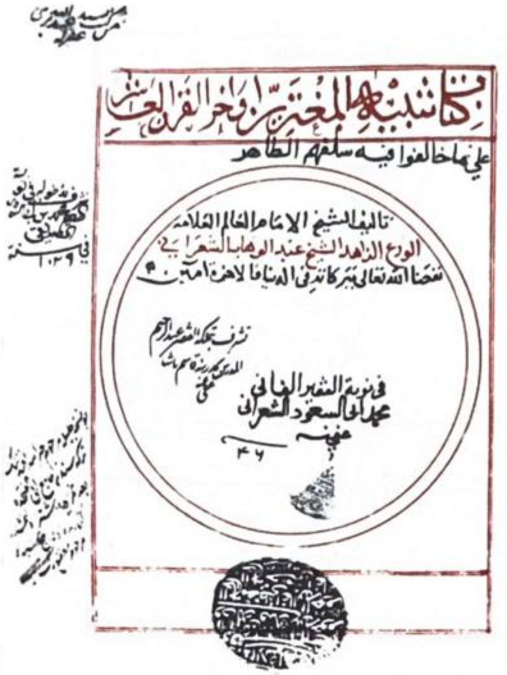
راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)



هدا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ولما شرعت في خدمة
الكتاب كنت في حصر عظيم من عدم وجود المواد التي استمد منها
في الكتابة فدلني على شخص بكتاب عتيق محرر من الاوائل
بخط كوفي تاريخ كتابته خمسماية سنة وشي موجود سنجونا
باحوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين وراتيت سولتم
يروي عن وكيع بن الجراح من اقران الامام مالك رضي الله عنه فرحت
به ان اسند الفرج فشيدت به اخلاق هذا الكتاب وكان من
جملة صحب الصحابة والتابعين ورأي اقوالهم وافعالهم ووزرعهم
وزهدهم وخوفهم وخشيتهم رضي الله عنهم اجمعين و قد ذكرنا
في خطبته ان من طالعه بانصاف راى نفسه قد انسلخت
من اخلاق الصالحين كما تنسلخ الحية من ثوبها فاسال الله من
فضله ان ينفع به الاخوان ومن بعدهم ويختم لنا ولهم بالحسنى وان
حمل اخر كلامنا في هذه الدار اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
• وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك في يوم السبت المبارك •
• ثالث شهر شعبان المكرم من شهور سنة اربع عشرة والف من الهجرة النبوية •
• على صاحبها افضل الصلاة والسلام •

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

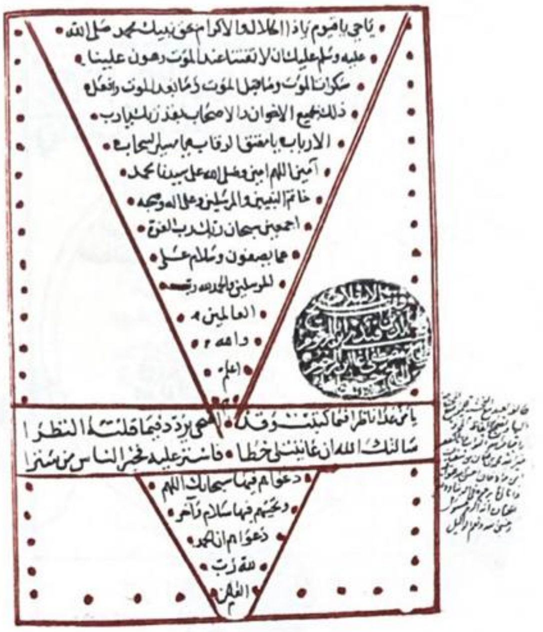


كتاب تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر
على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر
تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة
الورع الزاهد الشيخ عبد الوهاب الشعراني
نفعنا الله تعالى ببركاته في الدنيا والآخرة آمين

راموز ورقة العنوان من النسخة (ج)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ج)


يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام بحق نبيك محمد صلى الله
عليه وسلم عليك أن لا تفتنا عند الموت وهون علينا
سكرات الموت وما قبل الموت وما بعد الموت وافعل
ذلك بجميع الإخوان والأصحاب بجاه نبيك يا رب
الأرباب يا معتق الرقاب يا مسبل السحاب
آمين اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب
العالمين
والله
أعلم
يا من غدا ناظرا فيما كتبت وقد ... أمسى يردد فيما قلته النظرا
سألتك الله إن عاينت لي خطأ ... فاستر عليه فخير الناس من سترا
دعواهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام وآخر
دعواهم أن الحمد
لله رب
العالمين

رامُوز الورقة الأخيرة من النسخة (ج)


كتاب تنبيه المغترين
لسيدي عبد الوهاب
الشعراني
تغمده الله
برحمته
احتبسه ووضعه بزاوية الأستاذ
أبي البركات الشيخ الدردير خلوة إمامها
الشيخ خليل الصفتي وفقا على من ينتفع به

رامُوز ورقة العنوان من النسخة (د)



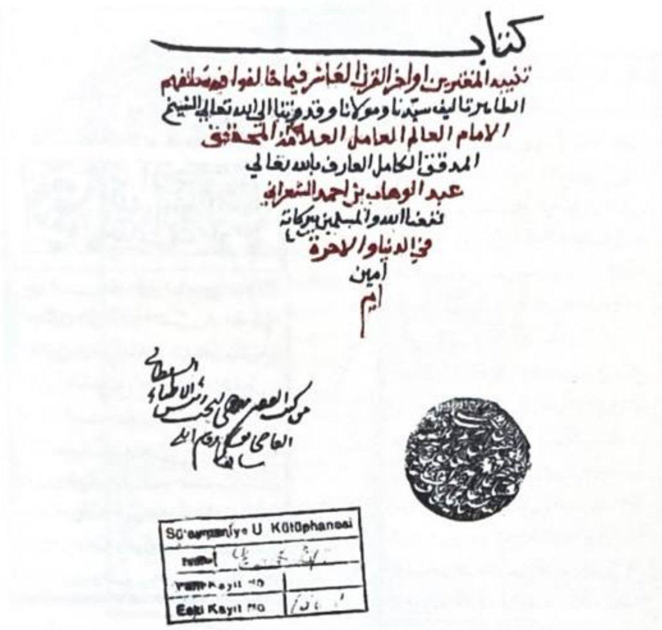


راموز الورقة الأولى من النسخة (د)



قال ذلك وكتبه مؤلفه العبد الفقير
إلى الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني
الشافعي خادم الفقراء والمساكين في سابع
عشر من رمضان سنة احدى وستين
وتسعمائة بمصر المحروسة وكان
الفراغ من تعليق هذه النسخة
المباركة في يوم الخميس خامس عشر
ربيع الثاني المبارك
من شهور سنة سبعة وثمانين
من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام
وذلك على يد الفقير كاتبه أحمد
ابن علي الشعراني الشافعي
غفر الله له ولوالديه

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (د)



كتاب
تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر فيما خالفوا فيه سلفهم
الطاهر تأليف سيدنا ومولانا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ
الإمام العالم العامل العلامة المحقق
المدقق الكامل العارف بالله تعالى
عبد الوهاب بن أحمد الشعراني
نفعنا الله والمسلمين ببركاته
في الدنيا والآخرة
آمين
آمين

راموز ورقة العنوان من النسخة (هـ)

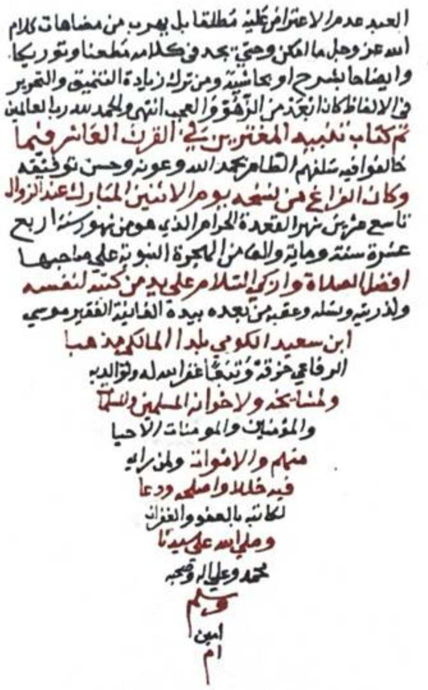


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
يقول مؤلفه عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني عفى الله
عنه أحمد الله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد
وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين
وأقول سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم وبعد فهذا كتاب نفيس صغير الحجم كبير القدر
ضمنته جملة صالحة مما كان عليه السلف الصالح من صفات
معاملتهم مع الله تعالى ومع خلقه وحررته على الكتاب
والسنة تحرير الذهب والجوهر بحسب فهمي حال التأليف
فهو ككتاب المنهاج للإمام النووي في الفقه فكما أن علماء
العصر يفتون الناس بما فيه من الترجيحات كذلك علماء الصوفية
يفتون بما في هذا الكتاب من النقول المحررات فإني شيدت
أخلاقه بأفعال السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء
العاملين رضي الله عنهم أجمعين ومما من الله تعالى علي
بالتخلق به وأنا بل دخولي في طريق القوم خوفا أن يقول
بعض المتعنتين كيف يأمرنا فلان بالتخلق بأخلاق القوم وهو
نفسه لم يتقيد على التخلق بها كما هو الغالب على أهل هذا الزمان
فلذلك صرحت بكثير من الأخلاق التي من الله تعالى بها علي
دون الآن في بقولي وهذا الخلق غريب لم أجد من تخلق به في هذا
الزمان غيري تنبيها للسامعين على تخلقي به وأني ما دعوتهم إلى
التخلق به إلا بعد تخلقي به ولولا ذلك لكان الأولى بي أن أكتم ذلك

عن

عن الإخوان كبقية أعمالنا التي لم نؤمر بطلب الاقتداء بنا فيها
إذ لا فائدة في إظهار الأعمال إلا لأحد شيئين إما ليقتدي الناس
بالعبد فيها وإما ليظهرها من باب الشكر لله تعالى لا غير وكان
لسان حالي يقول لكل متعنت انظر يا أخي في أخلاقي فما وجدتني
متخلقا به فتخلق به وما بقي لك عذر وما لم تجدني متخلقا به
فعذري عذرك فيه وكثيرا ما أكرر الخلق مرارا بعبارات
مختلفة اقتداء بالقرآن العظيم وبصحيح البخاري وغيره من
كتب الأدلة وبيانا للاعتناء بشأن ذلك الخلق وكثرة تساهل
الناس بتركه كما أقول في بعض الأوقات وهذا الخلق قد صار
غريبا في هذا الزمان ولا أعلم أحدا من أقراني تخلق به غيري
إشارة لقلة من تخلق به من الأقران لا ازدراء للإخوان كما
قد يتوهم معاذ الله أن أقصد مثل ذلك وكان من أعظم الباعث
لي على تأليف هذا الكتاب ما رأيته من تفتيش جماعة مولانا
السلطان سليمان بن عثمان في النصف الثاني من القرن العاشر
على ما اختلسه العمال وغيرهم من المنصورة له وما رأيته أحدا
من علماء الشريعة يفتش على ما اندرس من معالم أخلاق الشريعة
المحمدية بنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل جماعة مولانا
السلطان نصره الله فأخذتني الغيرة الإيمانية على الشريعة
والغت هذا الكتاب كالمبين لما اندرس من معالم أخلاقها
في ولة علماء الظاهر والباطن فهو نافع لكل فقيه وصوفي في هذا
الزمان لا يكاد أحد منهم يستغني عن النظر فيه كما ستعرفه عند

راموز الورقة الأولى من النسخة (هـ)



العبد عدم الاعتراض عليه مطلقا بل يهرب من مضاهات كلام
الله عز وجل ما امكن وحتى يجد في كلامه مطعنا وتوريكا
وايضاحا بشرح او بحاشية ومن ترك زيادة التنميق والتحرير
في الالفاظ كان ابعد من الزهو والعجب انتهى والحمد لله رب العالمين
تم كتاب تنبيه المغترين في القرن العاشر فيما
خالفوا فيه سلفهم الطاهر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين المبارك عند الزوال
تاسع عشر من شهر القعدة الحرام الذي هو من شهور سنة اربع
عشرة سنة ومائة والف من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة وازكى السلام على يدي من كتبه لنفسه
ولذريته ونسله وعقبه من بعده بيده الفانية الفقير موسى
ابن سعيد الكومي بلدا المالكي مذهبا
الرفاعي خرقة وتبعا غفر الله له ولوالديه
ولمشايخه ولاخوانه المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات الاحيا
منهم والاموات ولمن رايه
فيه خللا واصلحه ودعا
لكاتبه بالعفو والغفران
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه
وسلم
امين
ام

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)

تنبيه المغترين

أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر

تأليف

العارف بالله الرباني

أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني

(٨٩٨ - ٩٧٣ هـ)

حقق على نسخة المؤلف وعدة نسخ خطية نفيسة

حققه

الدكتور عبد الرحمن محمود السعدي

دار التقوى
دمشق الشام

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

يقول مؤلفه عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني عفا الله عنه :

أحمدُ اللهَ ربَّ العالمينَ ، وأصلِّي وأسلِّمُ على سيدِنا محمدٍ وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلينَ ، وعلى آلِهم وصحبِهم أجمعينَ ، وأقولُ : سبحانَكَ لا علمَ لنا إلا ما علَّمْتَنا ، إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ .

وبعدُ :

فهـٰذا كتابٌ نفيسٌ ، صغيرُ الحجمِ ، كبيرُ القدرِ ، جمعْتُ فيهِ نُبْذةً صالحةً منْ فقهِ طريقِ أهلِ اللهِ تعالى ، وما كانوا عليهِ مِنَ الزهدِ والورعِ ، والعلمِ ، والخشيةِ والخوفِ ، وغيرِ ذلكَ[1] ، وحرَّرْتُهُ على الكتابِ والسنةِ كتحريرِ الذهبِ والجوهرِ ؛ وذلكَ بحسَبِ ميزانِ علمي وعقلي حالَ الكتابةِ .

فهو ككتابِ « المنهاجِ » للإمامِ النوويِّ في الفقهِ ؛ فكما أنَّ علماءَ العصرِ يُفْتونَ الناسَ بما فيهِ مِنَ الترجيحاتِ . . **كذلكَ علماءُ الصوفيةِ يفتونَ بما في**

---

(١) في (ج ، هـ) : (ضمَّنته جملة صالحة مما كان عليه السلف الصالح من صفات معاملتهم مع الله تعالى ، ومع خلقه) بدل (جمعت . . . وغير ذلك) .

هٰذا الكتابِ **مِنَ النقولِ المحرَّراتِ** ؛ فإنِّي شيَّدْتُ أخلاقَهُ بأفعالِ السلفِ الصالحِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ ، والعلماءِ العاملينَ ، رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ ، وبما مَنَّ اللهُ تعالىٰ عليَّ بالتخلُّقِ بهِ أوائلَ دخولي في طريقِ محبة القومِ ؛ خوفاً أنْ يقولَ بعضُ المتعنِّتينَ : كيفَ يأمرُنا فلانٌ بالتخلُّقِ بأخلاقِ القومِ وهو نفسُهُ لم يقدرْ على التخلُّقِ بها ؛ كما هو الغالبُ علىٰ أهلِ هٰذا الزمانِ ؟!

فلذلكَ صرَّحْتُ بكثيرٍ مِنَ الأخلاقِ التي مَنَّ اللهُ تعالىٰ بها عليَّ دونَ أقراني بقولي : (وهٰذا خُلُقٌ غريبٌ لم أجدْ مَنْ تخلَّقَ بهِ في هٰذا الزمانِ غيري) ؛ تنبيهاً للسامعينَ علىٰ تخلُّقي بهِ ، وأنَّني ما دعوتُهم إلى التخلُّقِ بهِ إلا بعدَ تخلُّقي بهِ ، ولولا ذلكَ لكانَ الأَولىٰ بنا كتمُ ذلكَ عنِ الإخوانِ ؛ كبقيةِ أعمالِنا التي لم نرَ مَنْ يطلبُ الاقتداءَ بنا فيها ؛ إذ لا فائدةَ في إظهارِ الأعمالِ إلا لأحدِ شيئينِ ؛ إمَّا ليقتديَ الناسُ بالعبدِ فيها ، وإمَّا ليُظهرَها مِنْ بابِ الشكرِ للهِ تعالىٰ ، لا غيرُ ، وكأنَّ لسانَ حالي يقولُ لكلِّ متعنِّتٍ : انظرْ يا أخي في أخلاقي ، فما وجدتَني متخلِّقاً بهِ فتخلَّقْ بهِ وما بقيَ لكَ عذرٌ ، وما لم تجدْني متخلِّقاً بهِ فعذري عذرُكَ فيهِ .

وكثيراً ما أكرِّرُ الخُلُقَ مراراً بعباراتٍ مختلفةٍ ؛ اقتداءً بالقرآنِ العظيمِ ، وبـ « صحيحِ البخاريِّ » وغيرِهِ مِنْ كتبِ الأدلةِ ، وبياناً للاعتناءِ بشأنِ ذلكَ الخُلُقِ ، وكثرةِ تساهلِ الناسِ بتركِهِ .

كما أقولُ في بعضِ الأوقاتِ : (وهٰذا الخُلُقُ قد صارَ غريباً في هٰذا الزمانِ ، ولا أعلمُ أحداً مِنْ أقراني تخلَّقَ بهِ غيري) ؛ إشارةً لقلَّةِ مَنْ تخلَّقَ

بهِ مِنَ الأقرانِ ، لا ازدراءً للإخوانِ كما قد يُتوهَّمُ ، معاذَ اللهِ أنْ أقصدَ مثلَ ذلكَ !

وكانَ الباعثَ الأعظمَ لي علىٰ تأليفِ هٰذا الكتابِ : ما رأيتُهُ مِنْ تفتيشِ جماعةِ مولانا السلطانِ سليمانَ ابنِ عثمانَ في النصفِ الثاني مِنَ القرنِ العاشرِ علىٰ ما اختلسَهُ العمالُ وغيرُهم مِنْ مالِهِ[1] ؛ نصرةً لهُ ، وما رأيتُ أحداً مِنْ علماءِ الشرعِ يفتِّشُ علىٰ ما اندرسَ مِنْ معالمِ أخلاقِ الشريعةِ المحمديةِ ؛ نصرةً لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ كما فعلَ جماعةُ مولانا السلطانِ نصرَهُ اللهُ ، فأخذَتْني الغَيرةُ الإيمانيةُ على الشريعةِ ، وألَّفْتُ هٰذا الكتابَ كالمبيِّنِ لِمَا اندرسَ مِنْ معالمِ أخلاقِها في دولةِ علماءِ الظاهرِ والباطنِ ، فهو نافعٌ لكلِّ فقيهٍ وصوفيٍّ في هٰذا الزمانِ ، لا يكادُ أحدٌ منهم يستغني عنِ النظرِ فيهِ ، كما ستعرفُهُ عندَ مطالعتِكَ الكتابَ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وهو كالسيفِ القاطعِ لعنقِ كلِّ مُدَّعٍ للمشيخةِ في هٰذا الزمانِ بغيرِ حقٍّ ؛ لأنَّهُ يُفلِّسُهُ ، حتىٰ يرىٰ نفسَهُ منسلخةً مِنْ أخلاقِ القومِ ؛ كما تنسلخُ الحيةُ مِنْ ثوبِها .

وإنِّي أعرفُ بعضَ جماعةٍ بلغَهم أمرُ هٰذا الكتابِ فتكدَّروا ، ولو أمكنَهم سرقتُهُ وغسلُهُ لفعلوا ؛ خوفاً أنْ ينظرَ فيهِ أحدٌ ممَّنْ يعتقدُهم ؛ فيتغيَّرَ اعتقادُهُ فيهم حينَ يراهم بمعزلٍ عنِ التخلُّقِ بأخلاقِ القومِ الذينَ يزعمونَ أنَّهم خلفاؤُهم ، وكانَ الأَولىٰ بهمُ الفرحَ والسرورَ بهِ ؛ فإنَّهُ كلَّهُ نصحٌ ، ولا يجدُ

---

(١) في هامش (ج) عند قوله : (**سليمان ابن عثمان**) : (نسبة إلىٰ جده الأعلىٰ لا إلىٰ أبيه ، يُقال : بنو أمية وبنو العباس . انتهىٰ) .

أحدٌ منهم مَنْ ينصحُهُ بمثلِهِ في هـٰذا الزمانِ .

وقد ألَّفَ أخي الشيخُ أبو الفضلِ الأحمديُّ رحمَهُ اللهُ ميزاناً في نصحِ إخوانِهِ وغيرِهم نحوَ خمسِ أوراقٍ ، فكتبوها بماءِ الذهبِ واللازَوَرْدِ[1] ، وفرحوا بها أشدَّ الفرحِ ، فرضيَ اللهُ عنِ الصادقينَ .

وكانَ تأليفي لهـٰذا الكتابِ بحسبِ الوقائعِ التي تقعُ منِّي ومِنْ أصحابي ، وما مِنْ خُلُقٍ ذكرتُهُ فيهِ إلا وهو واردٌ عليَّ بسببٍ أعرفُهُ ، فرحمَ اللهُ مَنْ رأىٰ فيهِ خللاً فأصلحَهُ ؛ مساعدةً لي على الخيرِ ؛ فإنَّهُ ليسَ منقولاً مِنْ كتبٍ بالأصالةِ ، وإنَّما هو كالاستنباطِ مِنَ الكتابِ والسنةِ وأقوالِ الأئمَّةِ ، وجميعُ ما ذكرتُهُ فيهِ مِنَ النقولِ إنَّما هو كالاستشهادِ لِمَا ذكرتُهُ لا غيرُ ، كما ستراهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وإذا كانَ المؤلِّفُ أولَ مُستنبِطٍ كما ذكرْناهُ . . احتاجَ كلامُهُ إلىٰ مَنْ يتعقَّبُهُ ويستدركُ عليهِ ضرورةً ؛ كما استدركَ العلماءُ مِنَ المتأخرينَ علىٰ مَنْ سبقَهم ، بخلافِ مَنْ كانَ مؤلَّفُهُ مجموعاً مِنْ نُقولِ المتأخرينَ ؛ فإنَّ كلامَهُ لا يحتاجُ إلى التعقُّبِ إلا في النادرِ ؛ لأنَّهُ يرىٰ تنكيتَ العلماءِ علىٰ بعضِهم ، فيأخذُ العبارةَ السالمةَ مِنَ التنكيتِ[2] ؛ كما فعلَ شيخُنا شيخُ الإسلامِ زكريا الأنصاريُّ في مؤلَّفاتِهِ رضيَ اللهُ عنهُ .

فمَنْ ألَّفَ كتاباً لم يُسبقْ إليهِ فقد جعلَ كلامَهُ هدفاً لجميعِ المفسِّرينَ

---

(١) **اللازورد** : حجر سماوي اللون . انظر « شمس العلوم » (٧/ ٤٨٠٧) .

(٢) في هامش (ج) : (**التنكيت** : الطعن ، **والنكَّات** : الطعَّان ، كما في « القاموس » [ن ك ت]) .

والمحدِّثينَ ، والفقهاءِ والأصوليينَ ، والنحاةِ والمتكلِّمينَ ، والصوفيةِ والبيانيِّينَ ، وغيرِهم ، فيحتاجُ في كلِّ قولةٍ إلىٰ جدالِ جميعِ هـٰؤلاءِ العلماءِ قبلَ أنْ يضعَ تلكَ القولةَ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] ؛ وذلكَ لعُسرِ استحضارِ المؤلِّفِ جميعَ ما قيلَ في تلكَ المسألةِ ، وما يَرِدُ علىٰ منطوقِها ومفهومِها حالَ الكتابةِ ، ولو أنَّهُ قدرَ علىٰ ذلكَ ما احتاجَتِ الكتبُ إلىٰ شروحٍ ، ولا احتاجَتِ الشروحُ إلىٰ حواشٍ عليها ، وهـٰذا شأني في مؤلَّفاتي كلِّها ، ما عدا الحديثَ والمختصراتِ مِنْ أصولٍ ؛ فكلُّها مستنبطةٌ مِنَ الكتابِ والسنةِ .

وقد كانَ عمرُ بنُ الخطابِ يُفتي الناسَ ويقولُ : (هـٰذا قولُ عمرَ ؛ فإنْ كانَ صواباً فمِنَ اللهِ ، وإنْ كانَ خطأً فمِنْ عمرَ) انتهىٰ(١) .

وكذلكَ كانَ أبو حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ يفتي ويقولُ : (هـٰذا أكثرُ ما قَدَرْنا عليهِ في العلمِ ، فمَنْ وجدَ أوضحَ منهُ فهو أَولىٰ بالصوابِ)(٢) ، وكثيراً ما كانَ يقولُ : (هـٰذهِ فتوى النعمانِ ؛ فإنْ كانَتْ صواباً فمِنَ اللهِ ، وإنْ كانَتْ خطأً فمِنَ النعمانِ ، والتَّبِعةُ عليهِ فيها في الدنيا والآخرةِ)(٣) ، وهـٰكذا يقولُ مؤلِّفُ هـٰذا الكتابِ .

وأرجو مِنْ فضلِ اللهِ تعالىٰ أنْ يكونَ هـٰذا الكتابُ كالمبيِّنِ لِمَا اندرسَ مِنْ

---

(١) رواه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٣٥٨٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١١٦) .

(٢) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥١) .

(٣) روىٰ نحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٤٠٢) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

أخلاقِ القومِ رضيَ اللهُ عنهم بعدَ الفترةِ التي حصلَتْ بعدَ موتِ الأشياخِ الذينَ أدركْناهم في النصفِ الأولِ مِنَ القرنِ العاشرِ ، **فقد أدركْنا بحمدِ اللهِ تعالىٰ نحوَ مئةِ شيخٍ كانَ كلُّ واحدٍ منهم يُستسقىٰ بهِ الغيثُ** ؛ كسيدي عليٍّ المَرْصَفيِّ ، وسيدي محمدٍ الشِّنَّاويِّ ، وسيدي محمدِ بنِ داودَ ، وسيدي أبي بكرٍ الحَديديِّ ، وسيدي عبدِ الحليمِ بنِ مُصلحٍ ، وسيدي أبي السعودِ الجارِحيِّ ، وسيدي تاجِ الدينِ الذاكرِ ، وسيدي محمدِ بنِ عِنانٍ ، وسيدي عليٍّ الخوَّاصِ ، وغيرِهم ممَّنْ ذكرْناهم في كتابِ « طبقاتِ العلماءِ والصوفيةِ » .

فكلُّ هـٰؤلاءِ كانوا علىٰ قدمٍ عظيمٍ في الزهدِ والعبادةِ والورعِ ، وكفِّ الجوارحِ الظاهرةِ والباطنةِ عنِ استعمالِها في شيءٍ ممَّا نهاهُمُ اللهُ عنهُ ، وكانَ أحدُهم لا يقبلُ شيئاً مِنْ أموالِ الولاةِ ولو كانَ في غايةِ الضيقِ ، بل يطوي ويجوعُ حتىٰ يجدَ شيئاً مِنَ الحلالِ ، ولم يكنْ أحدٌ منهم يعاني ركوبَ الخيلِ ، ولا الملابسَ الفاخرةَ ، ولا الأطعمةَ النفيسةَ ، ولا يتزوجُ المنعَّماتِ ، ولا يسكنُ في القاعاتِ المرخَّماتِ ، إلا إنْ وجدَ ذلكَ مِنْ حلالٍ في نادرٍ مِنَ الأوقاتِ .

وكانَ الملوكُ يعرضونَ عليهمُ الرزقَ والجواليَ والمساميحَ والمرتَّباتِ مِنْ بيتِ المالِ(١) ، فيأبَوْنَ ويقولونَ : مالُ السلطانِ إنَّما هو مالٌ مُعَدٌّ لصرفِهِ في المصالحِ ، وإقامةِ شعائرِ الدينِ ، وإنفاقِهِ على الجندِ الذابِّينَ عنِ المسلمينَ(٢) ، ونحنُ ليسَ فينا نفعٌ لأحدٍ .

---

(١) **الجوالي** : كل جزية تؤخذ من أهل الذمة ، والجالية في الأصل : الجماعة التي تُجلىٰ عن موطنها ، **والمساميح** : ما تجود به النفس . انظر « المصباح المنير » (ج ول) ، و« لسان العرب » (س م ح) .

(٢) في هامش (ج) : (**أي** : الدافعين عنهم نكاية الأعداء) .

وكانَ أحدُهم يقنعُ بالكِسْرةِ اليابسةِ يفتُّها في الماءِ ، ويَغمِسُها بملحٍ ويكتفي بها ؛ **منهمُ** : الشيخُ أمينُ الدينِ الغَمْريُّ ، والشيخُ محمدٌ المغربيُّ شيخُ الجلالِ السيوطيِّ ، ودخلَ عليهِ السلطانُ قايتباي مرَّةً وهو يأكلُ رغيفاً يابساً قد بلَّهُ بالماءِ ، فعرضَ عليهِ ألفَ دينارٍ ، فردَّها وقالَ : لا حاجةَ لي بها ، وأنشدَ للسلطانِ يقولُ :

اقنع بلقمة وشربـة مـاء ولبس الخيش

وقل لقلبك ملوك الأرض راحوا بأيش

فحصلَ للسلطانِ عبرةٌ وبكىٰ ، وحملَ الألفَ دينارٍ .

فأينَ حالُ هـٰؤلاءِ مِنْ مشايخِ هـٰذا الزمانِ الذينَ يسافرونَ مِنْ مصرَ أوِ الحجازِ أوِ الشامِ إلى الرومِ أوِ العراقِ ؛ ليسألوا أنْ يرتِّبَ لهمُ السلطانُ جواليَ أو مسموحاً أو مرتَّباً معَ أنَّ أحدَهم يجدُ في بلدِهِ ما يكفيهِ ؟! وكانَ الأَولىٰ بهم لو عُرِضَ ذلكَ عليهم أنْ يَردُّوهُ ، ولا يزاحموا جندَ السلطانِ في مالِ المصالحِ ؛ كما درجَ عليهِ سلفُهُمُ الصالحُ ، بل لم نرَ أحداً مِنْ مريدي المشايخِ الذينَ أدركْناهم يسافرُ مِنْ بلدِهِ في طلبِ الدنيا فضلاً عنِ المشايخِ ؛ لأنَّ أولَ قدمٍ يضعُهُ المريدُ في الطريقِ أنْ يَخرُجَ عمَّا بيدِهِ مِنَ الدنيا ، ويرميَهُ في بحرِ الإياسِ كما هو معلومٌ .

وقد سافرَ مرةً مِنْ مشايخِ مصرَ شخصٌ إلى الرومِ ، فاجتمعَ بالوزيرِ إياس باشاه ، فقالَ لهُ : ما صَنْعتُكَ ؟ فقالَ : شيخٌ مِنْ أهلِ الطريقِ ، فقالَ لهُ إياسٌ : فما حاجتُكَ التي جئتَ فيها ؟ فقالَ : ترتِّبونَ لي شيئاً مِنْ بيتِ المالِ ، فقالَ لهُ الوزيرُ : هل تعلمُ أنَّ أحداً في مصرَ مثلُكَ في الطريقِ ؟

فقالَ : لا ، فقالَ لهُ إياسٌ : أفٍّ عليكَ مِنْ شيخٍ ، إذا كانَ هـٰذا حالَكَ وأنتَ تزعمُ أنَّهُ ليسَ في مصرَ أحدٌ أعلىٰ منكَ مقاماً . . فكيفَ ببقيةِ المشايخِ ؟! لقدِ ازدرَيْتَ بالفقراءِ وبهدلْتَ الطريقَ ؛ فإنَّ آحادَ المريدينَ لو فعلَ مثلَ ذلكَ وسافرَ مِنْ بلدِهِ إلىٰ غيرِها في طلبِ الدنيا . . لخرجَ عن طريقِ الإرادةِ ، فكيفَ تفعلُ أنتَ مثلَ ذلكَ في حالِ نهايتِكَ ؟! ثمَّ زجرَهُ وأمرَ بإخراجِهِ مِنْ عندِهِ ، فرجع خاسراً لِمَا طلبَ .

ووقعَ لشيخٍ مِنَ الشامِ أنَّهُ سافرَ إلى الرومِ يطلبُ لهُ زيادةَ مرتَّبٍ مِنَ الجوالي ، وكانوا قد أعطَوهُ قبلَ ذلكَ أربعينَ نصفاً كلَّ يومٍ[1] ، فلمَّا بلغَ إستنبولَ جلسَ في طرفِ البلدِ ، وأرسلَ قاصدَهُ إلىٰ الوزيرِ ـ وكانَ إذ ذاكَ إياس باشاه أيضاً ـ يُعلِمُهُ بقدومِ سيدي الشيخِ ؛ ليخرجَ إلىٰ لقائِهِ ، فأبى الباشاه وقالَ للقاصدِ : قلْ لهُ : إنْ كانَ لكم عندَنا حاجةٌ فأْتونا إلى البيتِ ، فأبى الشيخُ ، فقالَ الباشاه : يا عجبا ! كيفَ يسافرُ هـٰذا مِنَ الشامِ إلى الرومِ في طلبِ الدنيا ، ويطلبُ مِنَ الأمراءِ أنْ يعظِّموهُ ويخرجوا إلى لقائِهِ مع أنَّهُ يحتاجُ إليهم وليسَ أحدٌ منهم يحتاجُ إليهِ ؟! وإذا كانَ مَنْ يزعمُ أنَّهُ وليٌّ ـ وقد راضَ نفسَهُ بأصنافِ المجاهداتِ ـ يرىٰ نفسَهُ على الأمراءِ . . فكيفَ بنا معَ عدمِ رياضتِنا نفوسَنا ، وعدمِ حاجتِنا إليهِ ؟! ثمَّ إنَّ الباشاه أرسلَ للشيخِ ضيافةً ، ولم يأتِ إليهِ وقالَ : إنَّما فعلْتُ ذلكَ معَ هـٰذا الشيخِ لأعلِّمَهُ الأدبَ ؛ فإنَّ ذهابَ مثلِنا إنَّما يكونُ لِمَنْ نعرضُ عليهِ الدنيا فيردُّها علينا ،

---

(١) **النصف** : عملة مصرية صغيرة مسكوكة من خليط الفضة والنحاس . انظر « تكملة المعاجم العربية » (ن ص ف) .

وأمَّا مَنْ يطلبُها منَّا ويسافرُ مِنْ وطنِهِ لأجلِ ذلكَ . . فلا يستحقُّ أنَّ أحداً منَّا يمشي إليهِ ، وآخرُ الأمرِ أنَّ الشيخَ رُدَّ خائباً إلىٰ بلادِهِ .

وقالَ لي الأميرُ محمدٌ دفتردار مصرَ مرةً : أنا لا أعتقدُ في مشايخِ مصرَ الآنَ ولو مشىٰ أحدُهم في الهواءِ أو على الماءِ ، فقلْتُ لهُ : لِمَ ذا ؟ فقالَ : لأنِّي رأيتُهم يجتهدونَ في طلبِ الدنيا أكثرَ ممَّا نجتهدُ نحنُ فيها .

قالَ : وقد دخلَ عليَّ شيخٌ منهم في رمضانَ ليفطرَ عندي ، فقلْتُ لهُ : هـٰذا الطعامُ عندي في حلِّهِ شكٌّ ؛ فلا تأكلْ منهُ ، فقالَ : قدِّمْهُ لي وعليَّ حسابُهُ في الآخرةِ ، فكيفَ أعتقدُ مثلَ هـٰذا وأنا لا تطيبُ نفسي أنْ آكلَ منهُ ، معَ أنِّي معدودٌ مِنَ الظَّلَمةِ ؟! انتهىٰ .

ولمَّا ماتَ الشيخُ نورُ الدينِ الشَّونيُّ رأيتُهُ في المنامِ ، وقالَ لي : (أنا نادمٌ علىٰ قبولِ الرَّزْقةِ التي أعطاها لي خاير بيك ؛ فإنِّي طولَ عمري كنْتُ حرّاً) انتهىٰ .

فإياكَ يا أخي أنْ تظنَّ بالمشايخِ الذينَ أدركْناهم أنَّهم كانوا مثلَ هـٰؤلاءِ في قلَّةِ الورعِ والقناعةِ فتسيءَ الظنَّ بهم ، **وإياكَ يا أخي** أنْ تتظاهرَ بالمشيخةِ في هـٰذا الزمانِ إلا إنْ كنْتَ محفوظَ الظاهرِ والباطنِ مِنَ التخليطِ ؛ كأكلِ أموالِ الكُشَّافِ ، ومشايخِ العربِ والظَّلَمةِ ، فإنْ تظاهرْتَ بذلكَ فظاهرُكَ غيرُ محفوظٍ ؛ فقد خنْتَ اللهَ ورسولَهُ وأهلَ الطريقِ ، وأتلفْتَ دِينَ مَنْ يتبعُكَ ، وكانَ عليكَ إثمُ الأئمةِ المضلِّينَ زيادةً علىٰ إثمِكَ ، لا سيما إنِ ادَّعيتَ أنَّكَ أعلىٰ مشايخِ مصرَ مقاماً ، **فلذلكَ وضعْتُ هـٰذا الكتابَ** كالميزانِ الذي يتميَّزُ بهِ الرابحُ مِنَ الخاسرِ ، والمُحقُّ مِنَ المُبطلِ ، والصالحُ مِنَ الطالحِ ، **فاعرضْ يا أخي** ما فيهِ مِنَ الأخلاقِ علىٰ كلِّ مَنْ طلبْتَ أنْ تصحبَهُ مِنْ هـٰؤلاءِ

المشايخِ الظاهرينَ في هـٰذا الزمانِ ؛ فإنْ وجدْتَهُ متخلِّقاً بها فاصحبْهُ ، واقتدِ بهِ ، وقبِّلْ رجلَهُ ، وإنْ وجدْتَهُ غيرَ متخلِّقٍ بها فاضربْ عنهُ صفحاً ، وابعُدْ عنهُ مِنْ غيرِ ازدراءٍ لهُ ، وكِلْ أمرَهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ .

فأكرمْ بهِ مِنْ كتابٍ ! جاءَ علىٰ حينِ فترةٍ مِنْ أيامِ الرجالِ الصادقينَ ، مجدِّداً لِما هُدِمَ مِنْ أخلاقِ القومِ ؛ كما درجَ عليهِ العلماءُ العاملونَ في كلِّ عصرٍ ، فيأتي أحدُهم مجدِّداً بمؤلَّفاتِهِ ما اندرسَ مِنْ معالمِ الطريقِ ؛ كالحارثِ المُحاسِبيِّ ، وأبي طالبٍ المكيِّ ، وأبي نُعيمٍ ، وأبي القاسمِ القُشَيْريِّ ، وأبي حامدٍ الغزاليِّ ، والشيخِ شهابِ الدِّينِ السُّهرَوَرْديِّ وغيرِهم رضي الله عنهم .

وكانَ مِنْ آخرِ المجدِّدينَ في القرنِ التاسعِ سيدي محمدٌ الغَمْريُّ المدفونُ بالمحلَّةِ الكبرىٰ ، فكانوا يسمُّونَهُ : فقيهَ الصوفيةِ ؛ فإنَّهُ ضبطَ في مؤلَّفاتِهِ أخلاقَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأخلاقَ السلفِ الصالحينَ ، ولا أعلمُ أحداً جاءَ بعدَهُ حذا حَذْوَهُ بحمدِ اللهِ في ضبطِ أخلاقِ القومِ غيري ؛ كما ستراهُ في هـٰذا الكتابِ الغريبِ المعنىٰ واللفظِ .

ولو أنَّ أحداً جدَّدَ أخلاقَ القومِ في هـٰذا العصرِ غيري . . لكنتُ دللْتُ الإخوانَ علىٰ مطالعةِ مؤلَّفِهِ ، ولم أُتعِبْ نفسي في تأليفِ هـٰذا الكتابِ ؛ لأنَّهُ يصيرُ حينئذٍ لا فائدةَ فيهِ .

ولعلَّ قائلاً يقولُ : إنَّ مطالعةَ مثلِ كتابِكَ هـٰذا تكشفُ عوراتِ الفقراءِ مِنْ أهلِ العصرِ ، فهلَّا أسبلْتَ ذيلَ السترِ علىٰ إخوانِكَ مِنَ العصرِ ؛ فإنَّهُ لا يدعُ أحداً مِنَ الأكابرِ يعتقدُ في أحدٍ مِنْ هـٰؤلاءِ المشايخِ .

فنقولُ لهـٰذا القائلِ : إنَّ جمهورَ العلماءِ والصوفيةِ مِنَ المتقدِّمينَ والمتأخِّرينَ قد سبقونا إلى التأليفِ في مثلِ ذلكَ ، وبيَّنوا أخلاقَ الصالحينَ مِنَ الطالحينَ ، والصادقينَ مِنَ الكاذبينَ ، والمتفعِّلينَ مِنَ المخلصينَ ، ولم يلتفتوا إلىٰ كونِ ذلكَ يلزمُ منهُ كشفُ سَوْءَةِ مَنْ كانَ بالصفةِ مِنْ أخلاقِ السلفِ الصالحِ[1] .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] ، فهو وإنْ لزمَ مِنْ بيانِهم صفاتِ الصالحينَ هتكُ أستارِ الكاذبينَ . . فلا حرجَ عليهم في ذلكَ ؛ لقصدِهم بالأصالةِ الخيرَ للمسلمينَ ، **ومعلومٌ** : أنَّ الإثمَ إنَّما هو تابعٌ للقصدِ ؛ نظيرُ ما قالَهُ علماؤُنا في الجُنُبِ يقرأُ القرآنَ لا بقصدِ القرآنِ : إنَّهُ لا يأثمُ ، قالوا : لأنَّهُ لا يكونُ قرآناً إلا بالقصدِ[2] ، **ويؤيِّدُ ذلكَ أيضاً** : ما ذهبَ إليهِ جمهورُ علماءِ الأصولِ مِنْ أنَّ لازمَ المذهبِ ليسَ بمذهبٍ[3] .

فعُلِمَ : أنَّهُ يجبُ حملُ جميعِ أشياخِ الشريعةِ والحقيقةِ الذينَ حطُّوا علىٰ أهلِ زمانِهم أنَّهم إنَّما قصدوا رفعَ همَّةِ إخوانِهم إلىٰ أرفعَ ممَّا هم عليهِ مِنَ الأخلاقِ الحسنةِ لا غيرُ ؛ محبةً في رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وفي إحياءِ شريعتِهِ ، لا تَشَفِّياً للنفسِ مِنَ الأقرانِ ، وطلباً للرياسةِ عليهم ، وانتشارِ الصيتِ بالصلاحِ ، حاشاهم رضيَ اللهُ عنهم مِنْ قصدِ مثلِ ذلكَ ،

---

(١) قوله : (من كان بالصفة) كذا في (ج ، هـ) ، وسقطت من (ب) ، ووقع في هامش (ج) : (فيه تحريف أو نقصان) ، **ولعلَّ الصواب** : (بخلاف الصفة) أو (بالضد) بدل (بالصفة) ، **وقد يكون المعنىٰ** : من كان متصفاً ظاهراً بأخلاق السلف الصالح من دون عمل باطن بها ، والله أعلم .

(٢) انظر « مغني المحتاج » (١/ ٢١٧) .

(٣) انظر « البحر المحيط في أصول الفقه » (٢/ ١١٦) .

وأسألُ اللهَ تعالىٰ مِنْ فضلِهِ أنْ ينفعَ بهـٰذا الكتابِ مؤلِّفَهُ ، وكاتبَهُ ، وسامعَهُ ، والناظرَ فيهِ ؛ إنَّهُ سميعٌ قريبٌ مجيبٌ .

وسمَّيتُهُ :

« تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر
على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر »

جعلَهُ اللهُ خالصاً لوجهِهِ الكريمِ ، وأُعيذُهُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ مِنْ شرِّ كلِّ عدوٍّ وحاسدٍ يدسُّ فيهِ ما ليسَ مِنْ كلامي ممَّا يخالفُ ظاهرَ الكتابِ والسنةِ ؛ ليُنَفِّرَ الناسَ عن مطالعتِهِ ، ويحرمَهم ممَّا فيهِ مِنَ الفوائدِ ؛ كما وقعَ لي ذلكَ في كتابي المسمَّىٰ بـ : « البحرِ الموردِ في المواثيقِ والعهودِ » ، وفي مقدِّمةِ كتابي المسمَّىٰ بـ : « كشفِ الغمَّةِ عن جميعِ الأمةِ » ، وحصلَ بذلكَ فتنةٌ عظيمةٌ في جامعِ الأزهرِ وغيرِهِ ، وظنَّ غالبُ المتهوِّرينَ أنَّ ما دسُّوهُ مِنَ العقائدِ الزائغةِ ، والمسائلِ الخارقةِ لإجماعِ المسلمينَ . . مِنْ جملةِ ما اعتقدْتُهُ وتديَّنْتُ بهِ ، وما سلمَ مِنَ الوقوعِ في عِرْضي إلا قليلٌ مِنَ الناسِ ، ولم تخمُدْ تلكَ الفتنةُ حتىٰ أرسلْتُ النسختَينِ الصحيحتَينِ مِنَ « العهودِ » ، ومِنْ « كشفِ الغمَّةِ » إلىٰ علماءِ الجامعِ الأزهرِ .

وكنْتُ بحمدِ اللهِ تعالىٰ قد أَطْلَعْتُ مشايخَ الإسلامِ عليهما ، ووضعوا خطوطَهم عليهما ، وأجازوهما ومدحوا مؤلِّفَهما ، ففتَّشوهما فلم يجدوا فيهما شيئاً ممَّا دسَّهُ الحَسَدةُ وأشاعوهُ ، وسبُّوا مَنْ فعلَ ذلكَ ، وبرَّؤوا ساحتي مِنْ تلكَ العقائدِ الزائغةِ بحمدِ اللهِ ، وما تخلَّفَ بعدَ ذلكَ عن تبرئتي إلا مَنْ وقفَ معَ حظِّ نفسِهِ ، ولم يستبرئْ لدينِهِ مِنَ الفقهاءِ والمباشِرينَ والتجارِ .

ومِنْ جملةِ مَنْ برَّأني وحماهُ اللهُ مِنَ الوقوعِ في عرضي : سيدُنا ومولانا شيخُ الإسلامِ الشيخُ شهابُ الدينِ ابنُ النجارِ الحنبليُّ ، وسيدُنا ومولانا شيخُ الإسلامِ الشيخُ ناصرُ الدينِ اللَّقانيُّ ، وسيدُنا ومولانا الشيخُ شهابُ الدينِ الرمليُّ ، وسيدُنا ومولانا الشيخُ شهابُ الدينِ ابنُ الجلبيِّ الحنفيُّ[1] ، وسيدُنا ومولانا الشيخُ ناصرُ الدينِ الطَّبلاويُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ شمسُ الدينِ محمدٌ الخطيبُ الشربينيُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ نورُ الدينِ الطَّنْدَتائيُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ نجمُ الدينِ الغَيطيُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ سراجُ الدينِ الحانوتيُّ الحنفيُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ شمسُ الدينِ العَلْقَميُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ عبدُ القادرِ المُرْشِديُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ شمسُ الدينِ البَرْهَمْتُوشِيُّ الحنفيُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ زينٌ الجِيزيُّ ، والأخُ الصالحُ الشيخُ أمينُ الدينِ بنُ عبدِ العالِ ، وجماعةٌ كثيرةٌ ذكرْناهم في كتابِ « الطبقاتِ » رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

فكلُّ هـٰؤلاءِ لم يبلغْني أنَّ أحداً منهم صدَّقَ فيَّ شيئاً ممَّا دسَّهُ الحسدةُ ، وأعرفُ بعضَ جماعةٍ مِنَ المتهوِّرينَ في الوقوعِ في أعراضِ الناسِ . . يعتقدونَ فيَّ سوءَ العقيدةِ بحكمِ تلكَ الإشاعةِ إلىٰ وقتِنا هـٰذا ، وما منهم مِنْ أحدٍ اجتمعَ بي قطُّ ، ولا فاوضَني في علمٍ ، ولا زارَني وأنا أؤلِّفُ ، ولا قامَتْ عندَهُ بذلكَ بينةٌ عادلةٌ ، فاللهُ تعالىٰ يغفرُ لهم ويسامحُهم .

وبلغَني عن شخصٍ ممَّنْ نُسبَ إلى العلمِ صارَ يقولُ : ما هـٰذهِ الأمورُ التي تواترَتْ عن هـٰذا الرجلِ ؟! وسمَّاها متواترةً معَ أنَّ الدسَّ والإشاعةَ لم

---

(١) **ويقال له** : ابن الشلبي بإبدال الجيم شيناً .

تكنْ سوىٰ مِنْ شخصَينِ مِنْ أهلِ مصرَ خاصةً ، وهما معروفانِ بينَ أصحابِنا ، لا ينبغي ذكرُهما ؛ خوفاً مِنْ سبِّ الناسِ لهما ، وقد ماتا ودرجا إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ .

فطالعْ يا أخي كتبي وانتفعْ بما فيها مِنَ النصحِ ، ولا تُصغِ إلىٰ قولِ حاسدٍ ؛ فإنِّي حرَّرْتُها بحمدِ اللهِ على الكتابِ والسنةِ قبلَ أنْ أضعَها في الورقِ ، وأنا رجلٌ سنيٌّ محمديٌّ ، وما ألَّفْتُ شيئاً مِنَ الكتبِ حتىٰ تبحَّرْتُ في علومِ الشريعةِ ، وحرَّرْتُ موادَّها علىٰ مشايخِ الإسلامِ ؛ كالشيخِ زكريا ، والشيخِ برهانِ الدينِ بنِ أبي شريفٍ ، والشيخِ عبدِ الحقِّ السُّنْباطيِّ ، والشيخِ نورِ الدينِ المَحَلِّيِّ وأضرابِهم رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

وإياكَ يا أخي أنْ تصغيَ لقولِ أحدٍ مِنْ أتباعِ هـٰذَينِ الشخصَينِ اللذَينِ وقعَ منهما الدسُّ في كتبي ، فربَّما كانَ يعتقدُ فيَّ السوءَ تقليداً لشيخِهِ .

وكانَ سببُ تحريكِ داءِ الحسدِ في هـٰذَينِ الشخصَينِ أنَّهما لمَّا رَأَيا الناسَ بادروا إلىٰ كتابةِ مؤلَّفاتي دبَّرا تلكَ الحيلةَ ، ودسَّا في كتبي العقائدَ الزائغةَ المتعلِّقةَ بالباطنِ ؛ لعلمِهما أنَّهما لو رَمَياني بالفسقِ والمعاصي الظاهرةِ لكذَّبَهما الناسُ ، ولم يحصلْ لهما ما قصداهُ مِنْ تنفيرِ الناسِ عنِّي ، وقد أبرأْتُ ذمَّتَهما في الدنيا والآخرةِ ، وسامحْتُ جميعَ مَنِ اغتابَني بسببِهما ، فالحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) سبقت الإشارة (ص٣٥) إلىٰ أن المقدمة قد اختلفت بين النسخ ؛ ففي (أ ، د): (مَنْ نظرَ فيهِ مِنَ المدَّعينَ بعينِ البصيرةِ . وجدَ نفسَهُ لم يشمَّ لطريقِ القومِ رائحةً ، ورأىٰ نفسَهُ منسلخةً مِنْ صفاتِ الصالحينَ ؛ كما تنسلخُ الحيةُ مِنْ ثوبِها ، وهو كالسيفِ القاطعِ لعنقِ كلِّ مَنِ ادَّعى الصلاحَ في هـٰذهِ الأيامِ ؛ لأنَّهُ يَفليهِ ويبيِّنُ زغلَهُ ، ويُظهِرُ لكلِّ الناسِ=

= أنَّ فعلَ هـٰذا المدَّعي يخالفُ قولَهُ .

وقد أدركْتُ بحمدِ اللهِ تعالىٰ مئةً وخمسينَ شيخاً ؛ مِنْ صُحاةٍ ومجاذيبَ وأربابِ أحوالٍ ومتمكِّنينَ ، وما سمعْتُ أبداً واحداً منهم يدَّعي الصلاحَ أبداً ، معَ أنَّ أفعالَهم كانَتْ تصدِّقُ أقوالَهم ؛ كسيدي محمدِ بنِ عِنانٍ ، وسيدي محمدِ بنِ المنيرِ ، وسيدي أبي بكرٍ الحديديِّ ، وسيدي محمدِ بنِ داودَ ، وسيدي محمدٍ العَدْلِ ، وسيدي محمدٍ الشِّنَّاويِّ ، وسيدي محمدٍ السَّرْوِيِّ ، وسيدي عليٍّ المَرْصَفِيِّ ، وسيدي أبي العباسِ الغَمْرِيِّ ، وولدِهِ الشيخِ أبي الحسنِ ، والشيخِ تاجِ الدينِ الذاكرِ ، والشيخِ عبدِ القادرِ الدُّشْطُوطيِّ ، والشيخِ أبي السعودِ الجارحيِّ ، والشيخِ عليٍّ النَّبْتِيتيِّ ، وسيدي عليٍّ الخوَّاصِ ، والشيخِ أمينِ الدينِ الغَمْريِّ ، وأضرابِهم ممَّنْ ذكرْناهم وذكرْنا مناقبَهم في كتابِ « الطبقاتِ » ، فما كنْتُ أمثِّلُهم في مصرَ وقراها إلا كالشموسِ والأقمارِ ، فلمَّا درجوا إلىٰ رحمةِ اللهِ ورضوانِهِ أظلمَتْ مصرُ وقُراها بالنسبةِ لمَنْ بعدَهم .

فلذلكَ ذكرْتُ للإخوانِ جملةً مِنْ أخلاقِهم ، وشيَّدْتُها بأخلاقِ السلفِ الصالحينَ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ وتابعِ التابعينَ ومَنْ بعدَهم إلىٰ أولِ القرنِ العاشرِ ؛ بياناً لكونِ هـٰؤلاءِ الأشياخِ الذينَ أدركْناهم لم يخرجوا عنِ الكتابِ والسنةِ في شيءٍ مِنْ أقوالِهم وأفعالِهم وعقائدِهم ، وليقوىٰ بذلك قلبُ مَنْ يريدُ الاقتداءَ بهم مِنْ أتباعِ إخوانِنا الموجودينَ الآنَ ؛ كسيدي الشيخِ زينِ العابدينَ المَرْصَفيِّ ، وسيدي الشيخِ كريمِ الدينِ ، وسيدي الشيخِ جمالِ الدينِ بالجبلِ المُقطَّمِ ، وسيدي الشيخِ يوسفَ الطهوانيِّ ، وسيدي الشيخِ عبدِ المُعطي ، وسيدي الشيخِ أحمدَ الخضريِّ ، وغيرِهم مِنْ أولادِ الفقراءِ نفعَنا اللهُ تعالىٰ ببركاتِهمُ الجميعِ ؛ فإنَّ طريقَ القومِ طريقٌ غَبَبٌ ، وسالكَها قليلٌ في كلِّ عصرٍ .

فإذا علمَ العبدُ موافقةَ مشايخِ عصرِهِ لِمَا كانَ عليهِ السلفُ الصالحُ مِنَ الزهدِ والورعِ وغيرِهما . . قويَ قلبُهُ ؛ فقد كانَ هـٰؤلاءِ الأشياخُ علىٰ قَدَمِ الزهدِ والورعِ وكفِّ الجوارحِ الظاهرةِ والباطنةِ عن كلِّ ما نهى اللهُ عنهُ ، وما رأيتُ علىٰ أحدِهم قطُّ شيئاً يَشِينُهُ في دينِهِ ، وكانَ الملوكُ والأمراءُ يَعرِضونَ عليهمُ الأموالَ والرزقَ والمساميحَ والجواليَ والمرتَّباتِ فيردُّونَها ، ويقنعونَ بالكُسيرةِ اليابسةِ مِنْ غيرِ إدامٍ ، وكانَ أحدُهم إذا لم يجدْ شيئاً مِنَ الحلالِ اللائقِ بمقامِهِ . . يطوي الأيامَ والليالِيَ ، ويشدُّ الحجرَ علىٰ بطنِهِ حتىٰ يجدَ الحلالَ ، ولم يكنْ أحدٌ منهم يعاني الملابسَ الفاخرةَ ، ولا المراكبَ النفيسةَ ، =

= ولا المنعَّماتِ مِنَ النساءِ ، ولا أكلَ الشهواتِ ، ولا السكنَ في القاعاتِ المرخَّماتِ ، ولا يسافرُ أحدُهم في طلبِ شيءٍ مِنَ المرتَّباتِ ، وكانَ أحدُهم يلبسُ الجبةَ الحسنةَ والمرقَّعةَ ، ويقولُ : أولُ قَدَمٍ يضعُهُ المريدُ في طريقِ القومِ . . تركُ الدنيا ورميُ ما بيدِهِ منها ، فكيفَ يليقُ بمَنْ يدَّعي المشيخةَ أنْ يسافرَ في طلبِها مِنْ مثلِ مصرَ أوِ الشامِ مثلاً إلىٰ بلادِ الرومِ ؟!

فإيَّاك يا أخي أنْ تظنَّ بالأشياخِ الذينَ كانوا أولَ القرنِ العاشرِ أنَّ أحدَهم كانَ يطلبُ الدنيا ، بل سمعْتُ سيدي محمدَ بنَ عِنانٍ يقولُ : كيفَ يليقُ بالفقيرِ أنْ يكونَ الولاةُ أزهدَ في الدنيا منهُ ؟! فقيلَ لهُ : كيفَ ذلكَ ؟ فقالَ : لأنَّ الأميرَ مثلاً ما أعطى الفقيرَ شيئاً إلا بعدَ زهدِهِ فيهِ ، ولولا زهدُهُ فيهِ ما قدرَ يستخلصُهُ مِنْ يدِهِ أبداً . انتهىٰ .

وإيَّاك يا أخي أنْ تتظاهرَ بالمشيخةِ وأنتَ على الرغبةِ في الدنيا وشراهةِ النفسِ ؛ فتفتحَ بابَ سوءِ الظنِّ بأهلِ الطريقِ ؛ ويقيسوهم كلَّهم عليكَ ، وتتبعَكَ الناسُ علىٰ ذلكَ ، وتُكتبَ مِنَ الأئمَّةِ المضلِّينَ .

وقد جعلْتُ ما في هـٰذا الكتابِ مِنَ النقولِ كالميزانِ التي توزَنُ بها الرجالُ ، ويتبينُ فيها الرابحُ مِنَ الخاسرِ ، والمُحِقُّ مِنَ المُبطِلِ ، والصالحُ مِنَ الطالحِ .

فالعاقلُ مَنْ عرضَ ما فيهِ مِنَ النقولِ والأخلاقِ علىٰ نفسِهِ ، وحكمَ عليها بما يراهُ فيها مِنْ ربحٍ أو خسرانٍ ، وشكرَ اللهَ على الربحِ ، واستغفرَهُ على الخسرانِ .

فأكرِمْ بِهِ مِنْ كتابٍ ! جاءَ علىٰ حينِ فترةٍ مِنْ معرفةِ أحوالِ السلفِ الصالحِ ، مجدِّداً لِما اندرسَ مِنْ معالمِ طريقِهم ؛ فإنَّ الفتراتِ لم تزلْ تقعُ بينَ الأولياءِ بحكمِ الإرثِ للرسلِ ؛ فكما يأتي الرسولُ مجدِّداً لِما اندرسَ مِنْ شريعةِ مَنْ قبلَهُ . . كذلكَ الوليُّ يأتي مجدِّداً لطريقةِ مَنْ سبقَهُ مِنَ الأولياءِ ؛ كما وقعَ للحارثِ المحاسبيِّ ، وأبي طالبٍ المكيِّ ، والحافظِ أبي نعيمٍ ، وأبي القاسمِ الجُنيدِ ، ومَنْ بعدَهم ؛ كالشِّبليِّ ، والسُّهْرَوَرْديِّ ، والغزاليِّ ، وكانَ آخرَ المجدِّدينَ سيدي محمدٌ الغَمْريُّ المدفونُ بالمحلَّةِ الكبرىٰ ، وكانوا يسمُّونَهُ : فقيهَ الصوفيةِ ؛ فإنَّهُ ضبطَ السُّنَّةَ المحمديةَ في كتبِهِ قولاً وفعلاً ، وبيَّنَ فيها ما ابتُدعَ وخرجَ عن قواعدِ الشريعةِ ليُجتنَبَ ، فجزاهُ اللهُ عنِ الإسلامِ والمسلمينَ خيراً .

فرحمَ اللهُ مَنْ أكثرَ مِنْ مطالعةِ هـٰذا الكتابِ ، وطالبَ نفسَهُ بالعملِ بما يراهُ فيهِ مِنَ =

إذا علمْتَ ذلكَ فلنشرعْ في مقصودِ هـٰذا الكتابِ .

فأقول وبالله التوفيق :

= الأخلاقِ ، ويجدِّدُ طريقَ السلفِ بالفعلِ لا بالقولِ ، جعلَهُ اللهُ خالصاً لوجهِهِ الكريمِ ، آمينَ .

وقد سمَّيتُهُ بـ : « **تنبيهِ المغترينَ أوائلَ القرنِ العاشرِ علىٰ ما خالفوا فيهِ سلفَهُمُ الطاهرَ** » ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ) بدل قوله : (فهو ككتاب « المنهاج »...) إلىٰ قوله : (والحمد لله رب العالمين) ، وفي هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه فسح الله في مدته**) .

[البَابُ الأوَّلُ
فِي جُمْلَةٍ مِنْ أَخْلَاقِ السَّلَفِ الصَّالِحِ]

[ملازمة الكتاب والسنة]

من أخلاق السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين : ملازمةُ الكتابِ والسنةِ كلزومِ الظلِّ للشاخصِ ، ولا يتصدَّرُ أحدُهم للإرشادِ إلا بعدَ تبحُّرِه في علومِ الشريعةِ المطهَّرةِ ؛ بحيثُ يطَّلعُ علىٰ جميعِ أدلةِ المذاهبِ المندرِسةِ والمستعمَلةِ ، ويصيرُ يقطعُ العلماءَ في مجالسِ المناظرةِ بالحججِ القاطعةِ ، أوِ الراجحةِ الواضحةِ ، وكتبُ القومِ مشحونةٌ بذلكَ ؛ كما يظهرُ مِنْ أقوالِهم وأفعالِهم .

وقد كانَ سيدُ الطائفةِ أبو القاسمِ الجنيدُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كتابُنا هـٰذا ـ يعني : القرآنَ ـ سيِّدُ الكتبِ وأجمعُها ، وشريعتُنا أوضحُ الشرائعِ وأدقُّها ، وطريقتُنا هـٰذهِ ـ يعني : طريقَ أهلِ التصوفِ ـ مشيَّدةٌ بالكتابِ والسنةِ ، فمَنْ لم يقرأِ القرآنَ ، ويحفظِ السنةَ ، ويفهمْ معانيَها[1] . . لا يصحُّ الاقتداءُ بهِ)[2] .

وكان رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما نزلَ مِنَ السماءِ عِلْمٌ وجعلَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لغيرِ نبيٍّ إليهِ سبيلاً . . إلا وجعلَ لي فيهِ حظاً ونصيباً) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو رأيتُم رجلاً قد تربَّعَ في الهواءِ فلا تقتدوا

---

(١) في هامش (ج) : (الضمير للسنة ، علىٰ حد قوله تعالىٰ : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة : ٣٤]) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٥) ، والسبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ٢٧٣ـ٢٧٤) .

بهِ حتَّىٰ ترَوا صنيعَهُ عندَ الأمرِ والنهيِ ؛ فإنْ رأيتموهُ مُمْتثِلاً لجميعِ الأوامرِ الإلـٰهيةِ ، مجتنباً لجميعِ المناهي . . فاعتقدوهُ ، واقتدوا بهِ ، وإنْ رأيتموهُ يُخلُّ بالأوامرِ ، ولا يجتنبُ المناهيَ . . فاجتنبوهُ) انتهىٰ[1] .

قلتُ : وهـٰذا الخُلُقُ قد صارَ غريباً في غالبِ فقراءِ هـٰذا الزمانِ ، فصارَ أحدُهم يجتمعُ ببعضِ مَنْ ليسَ لهُ قدمٌ في الطريقِ ، ويتلقَّفُ منهُ كلماتٍ في الفناءِ والبقاءِ والشَّطحِ ممَّا لا يشهدُ لهُ ظاهرُ كتابٍ ولا سنَّةٍ ، ويلبسُ لهُ جبةً ، ويرخي لهُ عَذَبةً[2] ، ثمَّ يجلسُ في خرابةٍ مثلاً[3] ، ويُظهِرُ الصمتَ والجوعَ ، ويطلبُ لهُ مرتَّباً مِنْ جَوالي أو مسموحٍ[4] ، ويتوسَّلُ بالوزراءِ والأمراءِ في ذلكَ ، فربَّما رتَّبوا لهُ شيئاً ، فصارَ يأكلُ منهُ حراماً في بطنِهِ ؛ لكونِهِ أخذَهُ بنوعِ تلبيسٍ على الولاةِ واعتقادِهم فيهِ الصلاحَ .

وقد دخلَ عليَّ منهم واحدٌ، فصارَ يخوضُ بغيرِ علمٍ ولا ذوقٍ في الفناءِ والبقاءِ، ومعَهُ جماعةٌ يعتقدونَهُ ، فقلْتُ لهُ : فما شروطُ الوضوءِ والصلاةِ ؟ قالَ : ما قرأْتُ شيئاً في العلمِ ، فقلْتُ لهُ : يا أخي ؛ إنَّ تصحيحَ العباداتِ

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٧١٩) من قول أبي يزيد رحمه الله تعالىٰ ، وأورده بنحوه ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٣/ ٢١٧) من قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (ج) : (**العَذَبة** : بالذال المعجمة طرف الشيء ، **والمراد هنا** : طرف العمامة المتدلِّية على الظهر ، وهي سنة كما يفعله أهل الحديث ، والناس يقولون له : طيلسان ، وهو غلط . انتهىٰ) .

(٣) في (ج ، هـ) : (ثم يسافر إلىٰ بلاد الروم مثلاً) بدل (ثم يجلس في خرابة مثلاً) .

(٤) قوله : (جوالي) كذا في جميع النسخ بإثبات الياء ، وذلك جائز علىٰ وجهٍ ذكره السيوطي في « همع الهوامع » (٣/ ٤٢٨) .

علىٰ ظاهرِ الكتابِ والسنةِ واجبٌ بإجماعِ المسلمينَ ، ومَنْ لم يفرِّقْ بينَ الواجبِ والمندوبِ ، ولا بينَ الحرامِ والمكروهِ . . فهو جاهلٌ ، والجاهلُ لا يجوزُ الاقتداءُ بهِ ؛ لا في طريقِ الظاهرِ ، ولا في طريقِ الباطنِ ، فخَرِسَ ولم يَرِدَّ جواباً ، وانقطعَ عنِّي مِنْ ذلكَ اليومِ ، وكانَ قد أبادَني شراً مِنْ سوءِ أدبِهِ ، فأراحَني اللهُ منهُ .

وكانَ سيدي عليٌّ الخوَّاصُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (طريقُ القومِ رضيَ اللهُ عنهم محرَّرةٌ على الكتابِ والسنةِ تحريرَ الذهبِ والجوهرِ ؛ وذلكَ لأنَّ لهم في كلِّ حركةٍ وسكونٍ نيَّةً صالحةً بميزانٍ شرعيٍّ ، ولا يعرفُ ذلكَ إلا مَنْ تبحَّرَ في علومِ الشريعةِ) انتهىٰ .

قلتُ : فكذبَ واللهِ وافترىٰ مَنْ يقولُ : إنَّ طريقَ الصوفيةِ لم يأتِ بها كتابٌ ولا سنَّةٌ ، وذلكَ مِنْ أكبرِ العلاماتِ الدالَّةِ علىٰ كثرةِ جهلِهِ ؛ **فإنَّ حقيقةَ الصوفيِّ عندَ القومِ** : **هو عالمٌ عمِلَ بعلمِهِ علىٰ وجهِ الإخلاصِ لا غيرُ** ، وغايةُ ما يطلبُهُ القومُ مِنْ تلامذتِهم بالمجاهداتِ بالصومِ والسَّهَرِ والعزلةِ والصمتِ والورعِ والزهدِ وغيرِ ذلكَ . . أنْ يصيرَ أحدُهم يأتي بالعباداتِ على الوجهِ الذي يشبهُ ما كانَ عليهِ سلفُهُمُ الصالحُ لا غيرُ ، ولـٰكنْ لمَّا اندرَسَتْ طريقُ السلفِ باندراسِ العاملينَ بها . . ظنَّ بعضُ الناسِ أنَّها خارجةٌ عنِ الشريعةِ ؛ لقلَّةِ مَنْ يتخلَّقُ بصفاتِ أهلِها ؛ كما بسطْنا الكلامَ علىٰ ذلكَ في كتابِ « المنهجِ المبينِ في بيانِ أخلاقِ العارفينَ » ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[التوقّف عن كلّ فعل أو قول حتى معرفة ميزانه على مصادر الشّريعة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : توقُّفُهم عن كلِّ فعلٍ أو قولٍ حتىٰ يعرفوا ميزانَهُ على الكتابِ والسنَّةِ أوِ العرفِ ؛ لأنَّهُ مِنْ جملةِ الشريعةِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

فعُلِمَ : أنَّ القومَ لا يكتفونَ في أقوالِهم وأفعالِهم بمجرَّدِ عملِ النَّاسِ بها ؛ لاحتمالِ أنْ يكونَ ذلكَ الفعلُ أوِ القولُ مِنْ جملةِ البِدَعِ التي لا يشهدُ لها كتابٌ ولا سنَّةٌ ، وفي الحديثِ : « لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ حَتَّىٰ تَصِيرَ ٱلسُّنَّةُ بِدْعَةً ، فَإِذَا تُرِكَتِ ٱلْبِدْعَةُ يَقُولُ ٱلنَّاسُ : تُرِكَتِ ٱلسُّنَّةُ » . انتهىٰ[1] ؛ وذلكَ لتوارثِ الفروعِ البِدَعَ عن أصولِهم ، فلمَّا طالَ زمنُ العملِ بالبدعةِ ظنُّوا أنَّها سنَّةٌ ممَّا سنَّهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ومِنَ القومِ طائفةٌ إذا لم يجدوا لذلكَ العملِ دليلاً مِنْ سنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الثابتةِ في كتبِ الشريعةِ . . يتوجَّهونَ بقلوبِهم إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإذا حضروا بينَ يديهِ سألوهُ عن ذلكَ ، وعملوا بما قالَهُ لهم ، لٰكنَّ مثلَ ذلكَ خاصٌّ بأكابرِ الرجالِ .

---

(١) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ٩٩) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « مجمع الزوائد » (٧/ ٣٢٦) .

فإنْ قيلَ : فهل لصاحبِ هـٰذا المقامِ أنْ يأمرَ الناسَ بما أمرَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بفعلِهِ أو قولِهِ ؟

فالجوابُ : لا ينبغي لهُ ذلكَ ؛ لأنَّهُ أمرٌ زائدٌ على السنَّةِ الصحيحةِ الثابتةِ مِنْ طرقِ النقلِ[1] ، ومَنْ أمرَ الناسَ بشيءٍ زائدٍ علىٰ ما ثبتَ مِنْ طريقِ النقلِ . . فقد كلَّفَ الناسَ شَطَطاً ، اللهمَّ إلا أنْ يشاءَ أحدٌ ذلكَ ، فلا حرجَ عليهِ ؛ كما هو شأنُ مقلِّدي المذاهبِ المستنبَطةِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ ، واللهُ أعلمُ .

وقد كانَ السلفُ الصالحُ يحثُّونَ الناسَ لا سيما أصحابِهم على التقيُّدِ بالكتابِ والسنةِ واجتنابِ البدعِ ، ويشدِّدونَ في ذلكَ ، حتىٰ إنَّ أميرَ المؤمنينَ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ربَّما كانَ يَهُمُّ بالأمرِ ويَعزِمُ عليهِ ، فيقولُ لهُ شخصٌ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يفعلْ ذلكَ ولم يأمرْ بهِ ، فيرجعُ عمَّا كانَ عزمَ عليهِ رضيَ اللهُ عنهُ .

وهمَّ مرةً أنْ يأمرَ الناسَ بنزعِ ثيابٍ كانَتْ عليهم لمَّا بلغَهُ أنَّها تُصبغُ ببولِ

---

(١) في هامش (ج) : (وكذا زائد على القرآن ، ولم يذكره لعدم الاشتباه فيه ، بخلاف هـٰذا ؛ فإنه سنة من وجه إلا أنه لا يجب العمل به ، **فإن قلت** : إذا أمر بالشيء أو نهىٰ عنه في المنام . . كيف يعمل ؟ هل له الامتثال للأمر أم لا ؟

قلتُ : يعرضه علىٰ كتاب الله وسنة رسوله وعلىٰ قواعد السلف ؛ فإن وجد فيها فبها ، وإلا لا يقدم عليه بمجرد رؤياه ؛ فإن رؤيا النبي وإن كان حقاً ولا يتمثل الشيطان في صورته لـٰكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام خلاف ما استقر في الشرع ؛ لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤية ؛ لأن الخبر لا يُقبل إلا من ضابط مكلف ، والنائم بخلافه ، وكذا الأمر في الإلهام لا يُعمل به إذا خالف الكتاب والسنة ، **فعُلم** : أن إطلاق المصنف في قوة التقييد كما لا يخفى . انتهىٰ) .

العجائزِ ، فقالَ لهُ شخصٌ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد لبسَ منها ، ولبسَها الناسُ في عصرِهِ ، فاستغفرَ اللهَ ورجعَ ، وقالَ في نفسِهِ : لو كانَ عدمُ لُبسِها مِنَ الورعِ لَما لبِسَها صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . انتهىٰ[١] .

وكذلكَ بلغَنا أنَّ الإمامَ زينَ العابدينَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لولدِهِ : اتَّخذْ لي ثوباً ألبسُهُ عندَ قضاءِ الحاجةِ ، وأَنزِعُهُ وقتَ شروعي في الصلاةِ ؛ فإنِّي رأيتُ الذبابَ يجلسُ على النجاسةِ ثمَّ يقعُ علىٰ ثوبي ، فقالَ لهُ ولدُهُ : إنَّهُ لم يكنْ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا ثوبٌ واحدٌ لخلائِهِ ولصلاتِهِ ، فرجعَ الإمامُ عمَّا كانَ عَزَمَ علىٰ فعلِهِ[٢] .

قلْتُ : المنقولُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يكنِ الذبابُ ينزلُ علىٰ ثوبِهِ ، ولا علىٰ بدنِهِ[٣] ؛ فلا يصلحُ ما ذكرَ دليلاً ، إلا لو قالَ لهُ ولدُهُ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يأمرْ بذلكَ ، فليُتأمَّلْ . انتهىٰ .

وأمَّا ما نُقلَ عن أبي يزيدَ البِسْطاميِّ : أنَّهُ كانَ لهُ ثوبٌ لخلائِهِ وثوبٌ لصلاتِهِ . . فليسَ ذلكَ مِنْ حيثُ وقوعُ الذبابِ كما وقعَ لزينِ العابدينَ ، وإنَّما ذلكَ مِنْ بابِ الأدبِ ألَّا يكونَ ثوبُ الخلاءِ ثوبَ الصلاةِ ؛ نظيرُ ما قالوا في تحريمِ استقبالِ القبلةِ واستدبارِها في الغائطِ ، فطلبَ الشارعُ ألَّا تكونَ جهةُ

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٥/١٤٣) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٤٩٥) .

(٢) رواه بنحوه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٥/٢١٨) ، وأورده بنحوه ابن كثير في « البداية والنهاية » (٩/١١٣) .

(٣) انظر « الشفا » (ص٤٦٢) .

قضاءِ الحاجةِ هي جهةَ الوقوفِ للصلاةِ ، فافهمْ .

فعليكَ يا أخي باتِّباعِ السنَّةِ المحمديَّةِ في جميعِ أفعالِكَ وأقوالِكَ وعقائدِكَ ، ولا تُقدِمْ علىٰ فعلِ شيءٍ حتىٰ تعلمَ موافقتَهُ للكتابِ والسنَّةِ ؛ فكذبَ ـ واللهِ ـ وافترىٰ مَنْ يقولُ : إنَّ طريقَ القومِ بدعةٌ .

وإذا كانَ مَنْ يهابُ مخالفةَ الشريعةِ ، ويتوقَّفُ عنِ العملِ حتَّىٰ يعلمَ موافقتَهُ للشريعةِ مبتدِعاً . . فما بقيَ علىٰ وجهِ الأرضِ سنِّيٌّ .

فاعلمْ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كثرة تفويض الأمور إلى الله تعالى]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ تفويضِهم إلى اللهِ تعالىٰ في أمرِ أنفسِهم وأولادِهم وأصحابِهم ؛ فلا يكونُ معوَّلُهم في أمرِ هدايتِهم إلا على اللهِ تعالىٰ ، ولا يطلبونَ شيئاً قطُّ بأنفسِهم وهم غائبونَ عنِ الاستنادِ إلى اللهِ تعالىٰ ، فإنْ فعلوا ذلكَ فيا طولَ تعبِهم !

وقد كانَ ولدي عبدُ الرحمـٰنِ ليسَ لهُ داعيةٌ إلىٰ طلبِ العلمِ ، وكنْتُ في حَصَرٍ عظيمٍ مِنْ جهتِهِ(١) ، فألهمَني الحقُّ تعالىٰ أنْ أفوِّضَ أمرَهُ إليهِ ، ففوَّضْتُ ، فأصبحَ مِنْ تلكَ الليلةِ يطالعُ في العلمِ بنفسِهِ مِنْ غيرِ أمري لهُ بذلكَ ، وحصلَتْ عندَهُ حلاوةُ العلمِ مِنْ تلكَ الليلةِ ، وصارَ فهمُهُ يَرجَحُ علىٰ فهمِ مَنْ سبقَهُ إلى الاشتغالِ بالعلمِ بسنينَ ، فأراحَني اللهُ تعالىٰ بتفويضي إليهِ مِنَ التعبِ الذي كنْتُ فيهِ ، فاللهُ يجعلُهُ مِنَ العلماءِ العاملينَ بما علموا ، آمينَ .

وسمعْتُ سيدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما ثَمَّ أنفعُ لأولادِ العلماءِ والصالحينَ مِنَ الدعاءِ لهم بظهرِ الغيبِ ، معَ تفويضِ أمرِهم إلى اللهِ تعالىٰ ؛ وذلكَ لأنَّ أحدَهم يتربَّىٰ معَ الإدلالِ علىٰ والدِهِ(٢) ، معَ مساعدةِ أمِّهِ إنْ كانَتْ ، ويكتفي بتعظيمِ الناسِ لهُ بحكمِ التَّبَعِ لأبيهِ ، فلا يصيرُ عندَهُ داعيةٌ

---

(١) **الحَصَرُ** : هو ضيق الصدر . انظر « تاج العروس » (ح ص ر) .

(٢) في هامش (ج) : (**الإدلال على الشيء** : التحكم بقرابة أو مكانة كذا في الأفعال ، **والمراد هنا** : عدم الامتثال لأمر الوالد لمكانه عنده وكونه ابنه . انتهىٰ) .

إلى اكتسابِ الفضائلِ غالباً ، ويقولُ في نفسِهِ : إنَّ الذي كنْتُ أتعبُ في تحصيلِهِ مِنَ الجاهِ بالاشتغالِ بالعلمِ والرياضةِ . . قد حصلَ لي بواسطةِ والدي ، بخلافِ أولادِ العوامِّ والفلاحينَ ؛ فإنَّ أحدَهم يفتحُ عينَهُ على الضربِ والحبسِ والإهانةِ مِنَ الحكامِ وأعوانِهم ، ويأخذونَ منهُ الخراجَ بالإهانةِ الشديدةِ ، فيصيرُ يتفكَّرُ في عملِ حيلةٍ تعتقُهُ مِنْ تلكَ الإهانةِ ، فيلهمُهُ الحقُّ تعالىٰ أنْ يشتغلَ بالعلمِ والقرآنِ ، فلا يزالُ كلَّما عظَّمَهُ الناسُ يزدادُ رغبةً في العلمِ والمجاهدةِ ؛ حتىٰ يصيرَ شيخَ الإسلامِ أو شيخَ الطريقِ) .

وقد كانَ سيدي الشيخُ أحمدُ الزاهدُ يخلي ولدَهُ كلَّ خلوةٍ أربعينَ يوماً ، فلا يُفتَحُ عليهِ ، فيقولُ : (يا ولدي ؛ لو كانَ الأمرُ بيدي ما قدَّمْتُ أحداً عليكَ في معرفةِ الطريقِ) انتهىٰ .

قلتُ : وقد خولِفَتْ هـٰذهِ القاعدةُ في بعضِ أولادِ العلماءِ والصالحينَ ؛ كأولادِ الشيخِ تقيِّ الدينِ السبكيِّ ، وأولادِ الشيخِ سراجِ الدينِ البُلقينيِّ ، فجاءَ أولادُهم في غايةِ الكمالِ ، وكذلكَ في بعضِ جماعةٍ مِنْ علماءِ عصرِنا وفقرائِهِ ؛ كسيدي محمدِ بنِ الرمليِّ ، وسيدي محمدِ بنِ البكريِّ ، وسيدي عبدِ القدُّوسِ بنِ الشِّنَّاويِّ ، وسيدي عليِّ بنِ الشيخِ محمدٍ المنيرِ ، وسيدي محمدِ بنِ الشيخِ أبي الحسنِ الغَمْريِّ ، وجماعةٍ ذكرْناهم في طبقاتِ العلماءِ والصوفيةِ التي سمَّيناها « لواقحَ الأنوارِ في طبقاتِ الأخيارِ » ، كثَّرَ اللهُ في المسلمينَ مِنْ أمثالِهم ، ونفعَنا ببركاتِهم ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) في هامش (أ) : (بلغ) .

[كثرة الإخلاص في القول والعمل]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : كثرةُ إخلاصِهم في علمِهم وعَملِهم ، وخوفُهم مِنْ دخولِ الرياءِ في ذلكَ رضيَ اللهُ عنهم ، ولْنبسُطْ لكَ يا أخي هـٰذا المحلَّ ؛ لشدَّةِ حاجةِ الناسِ إلى العلمِ والعملِ والإخلاصِ ، **فأقولُ وباللهِ التوفيقُ** :

ثبتَ في الأحاديثِ الصحيحةِ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَنَّةَ عَدْنٍ خَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي ، فَقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ، ثَلَاثاً ، ثُمَّ قَالَتْ : أَنَا حَرَامٌ عَلَىٰ كُلِّ بَخِيلٍ وَمُرَاءٍ »[1] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ الدنيا بعملِ الآخرةِ نكَّسَ اللهُ قلبَهُ ، وكتبَ اسمَهُ في ديوانِ أهلِ النارِ)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ عيسىٰ علىٰ نبيِّنا وعليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ يقولُ : مَنْ عملَ بما علمَ كانَ وليّاً للهِ حقاً)[3] .

---

(١) رواه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (٢/٣٩٢) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٧٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/٣٨) ، ورواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/٢٦٨) مرفوعاً من حديث سيدنا الجارود رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/١٦٣) من قول عبد الواحد بن زيد رحمه الله =

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قالَتْ لي والدتي : يا بنيَّ ؛ لا تتعلَّمِ العلمَ إلا إذا عملْتَ بالعلمِ ـ أي : نويتَ العملَ بهِ ـ وإلا فهو وَبالٌ عليكَ يومَ القيامةِ)[١] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في معاتبتِهِ لنفسِهِ : (تتكلَّمين بكلامِ الصالحينَ القانتينَ العابدينَ ، وتفعلينَ فعلَ الفاسقينَ المنافقينَ المرائينَ ؟! واللهِ ؛ ما هـٰذهِ صفاتِ المخلصينَ)[٢] .

وكانَ الفُضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يكنْ في أعمالِهِ أكيسَ مِنْ ساحرٍ . . وقعَ في الرياءِ)[٣] .

وقيلَ لذي النونِ المصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : متىٰ يعلمُ العبدُ أنَّهُ مِنَ المخلصينَ ؟ فقالَ : إذا بذلَ المجهودَ في الطاعةِ ، وأحبَّ سقوطَ المنزلةِ عندَ الناسِ[٤] .

= تعالىٰ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤١٤) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٠) من قول سفيان الثوري فيما يقرؤه علىٰ علي بن الحسن رحمهم الله تعالىٰ .

(٢) وأخبارُهُ في موعظة النفس مشهورة ، روىٰ طرفاً منها أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٤٤ـ ١٤٦) ، وما ذُكر رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٤٦) من قول ابن السماك رحمه الله تعالىٰ .

(٣) **لعله أراد بقوله** : (**أكيسَ من ساحر**) ؛ **أي** : أشدَّ حرصاً وفطانة منه في معرفة مواطن الرياء ، **أو أنه أراد** : أن يكون كالساحر في إخفائه عمله ، فكما أن الساحر ماهر في خفة يده وتلبيسه على الناس سحرَه . . فكذلك على العامل لله أن يُخفي جَهدَه عملَه عن الناس حتىٰ لا تدخله الآفات .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٣) .

وكانَ محمدُ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أحبُّ للإخوانِ أنْ يُظهرَ أحدُهمُ السَّمتَ الحسنَ بالليلِ[1] ؛ فإنَّهُ أشرفُ مِنْ سَمْتِ النَّهارِ ؛ وذلكَ لأنَّ السَّمتَ الحسنَ في النَّهارِ يراهُ الخلقُ ، والسَّمتَ الحسنَ في الليلِ يكونُ لربِّ العالمينَ) .

وقيلَ مرَّةً ليونسَ بنِ عبيدٍ : هل رأيتَ أحداً يعملُ بعملِ الحسنِ البصريِّ ؟ فقالَ : ما رأيتُ مَنْ يقولُ بقولِهِ ، فكيفَ أرىٰ مَنْ يعملُ بعملِهِ ؟! كانَ رضيَ اللهُ عنهُ وعظُهُ يُبكي القلوبَ ، ووعظُ غيرِهِ يُبكي العيونَ[2] .

وقيلَ ليحيى بنِ معاذٍ : متىٰ يكونُ الرجلُ مخلصاً ؟ فقالَ : إذا صارَ خُلُقُهُ خُلُقَ الرضيعِ ؛ لا يبالي مَنْ مدحَهُ أو ذمَّهُ[3] .

وكانَ أبو السائبِ رضيَ اللهُ عنهُ إذا طرقَهُ بكاءٌ في سماعِ قرآنٍ أو حديثٍ أو غيرِهما . . يصرفُهُ إلى التبسُّمِ[4] .

وكانَ أبو عبدِ اللهِ الأنطاكيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا كانَ يومُ القيامةِ قالَ اللهُ تعالىٰ للمُرائي : خذْ ثوابَ عملِكَ ممَّنْ راءيتَهُ) ، وفي روايةٍ عنهُ : (إذا طلبَ المُرائي ثوابَ عملِهِ يومَ القيامةِ . . يقالُ لَهُ : خذْ ثوابَ عملِكَ ممَّنْ كنْتَ ترائيهِ) ، وفي روايةٍ : (يُقالُ لهُ : ألمْ تُوسِّعْ لكَ الناسُ في

---

(١) في هامش (ج) : (**السمت** : هيئة أهل الخير ، يقال : فلان حسن السمت ؛ **أي** : الهيئة . انتهىٰ) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١١٩٢) .

(٣) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢٩) من قول بعض الحكماء .

(٤) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢١٠) عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالىٰ .

المجالسِ لأجلِ علمِكَ وعملِكَ ؟ ألَمْ تكنْ رئيساً في دنياكَ ؟ ألَمْ تُرْخِصْ لكَ الناسُ بيعَكَ وشراءَكَ ؟ ألَمْ يكرِموكَ ؟ ألَمْ ؟ ألَمْ ؟ ألَمْ ؟ مثلُ هٰذا وأشباهِهِ)[1] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما دامَ العبدُ يستأنسُ بالناسِ فلا يَسلَمُ مِنَ الرياءِ)[2] .

وكانَ الأنطاكيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**المتزيِّنونَ ثلاثةٌ** : متزيِّنٌ بالعلمِ ، ومتزيِّنٌ بالعملِ ، ومتزيِّنٌ بتركِ التزيُّنِ ، وهو أغمضُها وأحبُّها إلى الشيطانِ)[3] .

وكانَ إياسُ بنُ معاويةَ أخاً لإبراهيمَ التيميِّ رضيَ اللهُ عنهما ، وكانَ كلٌّ منهما لا يثني على الآخرِ مِنْ ورائِهِ ، ويقولُ : (الثناءُ معدودٌ مِنَ الجزاءِ ، ولا أحبُّ نَقْصَ ثوابِ أخي بالثناءِ عليهِ بينَ الناسِ)[4] .

وكانَ الأنطاكيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ الإخلاصَ في أعمالِهِ الظاهرةِ وهو يلاحظُ الخلقَ بقلبِهِ . . فقد رامَ المُحالَ ؛ فإنَّ الإخلاصَ ماءُ القلبِ الذي بهِ حياتُهُ ، والرياءُ يميتُهُ)[5] .

---

(١) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢٨ـ ٢٩) ، وروى الترمذي (٣١٥٤) ، وابن ماجه (٤٢٠٣) من حديث سيدنا أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه . . نادىٰ منادٍ : من كان أشرك في عملٍ عَمِلَهُ لله أحداً . . فليطلب ثوابه من عند غير الله ؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة » (٣٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٩) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٨٧) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٠٤٠) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٨٢) .

وكانَ يوسفُ بنُ أَسْباطٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما حاسبْتُ نفسي قطُّ إلا وظهرَ لي أنَّني مراءٍ خالصٌ)[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ ذمَّ نفسَهُ في الملأِ فقد مدحَها ، وذلكَ مِنْ علاماتِ الرياءِ) .

وكانَ ابنُ السَّمَّاكِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّ المُرائيَ بعلمِهِ وعملِهِ أخبرَ الناسَ بما في ضميرِهِ . . لمَقَتُوهُ وسفَّهوا عقلَهُ)[2] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تسألْ أخاكَ عن صيامِهِ ؛ فإنَّهُ إنْ قالَ : أنا صائمٌ . . فرحَتْ نفسُهُ بذلكَ ، وإنْ قالَ : إنَّهُ غيرُ صائمٍ . . حزنَتْ نفسُهُ ، وكلاهما مِنْ علاماتِ الرياءِ ، وفي ذلكَ فضيحةٌ للمسؤولِ ، واطِّلاعٌ علىٰ عورتِهِ مِنَ السائلِ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : إنَّ الرجلَ ليطوفُ بالكعبةِ وهو يرائي أهلَ خراسانَ ، فقيلَ لهُ : وكيفَ ذلكَ ؟ فقالَ : يحبُّ أنْ يقولَ فيهِ أهلُ خراسانَ : إنَّ فلاناً مجاورٌ بمكةَ علىٰ طوافٍ وسعيٍ وعبادةٍ ، فهنيئاً لهُ[3] !

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يراؤونَ بما يعملونَ ، وصاروا اليومَ يراؤونَ بما لا يعملونَ)[4] .

---

(١) وقد عُرف عنه شدة محاسبته لنفسه كما روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٣٨ـ٢٣٩) .
(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٦/ ٣٨٢) .
(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٣٣٥) .
(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٣٣٣) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا قرأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] . . يقولُ : (اللهمَّ ؛ إنَّكَ إنْ بلوتَنا هتكْتَ أستارَنا وفضحتَنا ، وأنتَ أرحمُ الراحمينَ)[١] .

وكانَ أيوبُ السختيانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنَ الرياءِ بما لا تعملُ تطاولُكَ علىٰ غيرِكَ بما تحفظُهُ مِنْ أقوالِ غيرِكَ في العلمِ ؛ فإنَّ ذلكَ الذي تتطاولُ بهِ ما هو علمَكَ ، ولا استنبطْتَهُ) .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما اتَّقى اللهَ مَنْ أحبَّ أنْ يذكرَهُ الناسُ بخيرٍ ، ولا أَخلصَ لهُ)[٢] .

وكانَ عكرمةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أكثِروا مِنَ النيَّةِ الصالحةِ ؛ فإنَّ الرياءَ لا يدخلُ في النيَّةِ)[٣] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لا يحتاجُ شيءٌ مِنْ فروعِ الإسلامِ إلىٰ نيَّةٍ بعدَ أنِ اختارَ صاحبُهُ الدخولَ في الإسلامِ) .

وكذلكَ كانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ يقولُ : (كلُّ ما عملَ المؤمنُ مِنْ أعمالِ الإسلامِ ممَّا لم تَحضرْهُ فيهِ نيَّةٌ . . فنيَّةُ الإسلامِ تجزئُهُ)[٤] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١١١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٦٦٨) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٨٨) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في هامش (أ) : (بلغ قراءة محمد بن يحيىٰ . . .) ، والخبر أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٣٣٤) ، وهو عند الديلمي بنحوه كما في « الفردوس » (٦٨٤٣) من حديث سيدنا أبي موسىٰ رضي الله عنه .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧١) .

قلْتُ : وفي ذلكَ تقويةٌ للسادةِ الحنفيةِ[1] ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ نعيمُ بنُ حمادٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ضربُ الظهرِ بالسياطِ أهونُ علينا مِنَ النيّةِ الصالحةِ) .

وكانَ منصورُ بنُ المُعْتَمِرِ وثابتٌ البُنانيُّ رضيَ اللهُ عنهما يقولانِ : (طلبْنا العلمَ وما لنا فيهِ نيةٌ ، فرزقَنا اللهُ تعالى النيّةَ الصالحةَ بعدُ ؛ وذلكَ لأنَّ العلمَ كلَّهُ يبعثُ صاحبَهُ على الإخلاصِ ، فيصيرُ يتطلَّبُهُ حتىٰ يحصلَ لهُ)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دخولُ أهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ فيهما يكونُ بالأعمالِ ، وخلودُهم فيهما يكونُ بالنياتِ)[3] .

وكانَ أبو داودَ الطيالسيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ينبغي للعالمِ إذا حرَّرَ كتابَهُ أنْ يكونَ قصدُهُ بذلكَ نصرةَ الدِّينِ ، لا مَدْحَهُ بينَ الأقرانِ بحُسنِ التأليفِ) .

وفي التوراةِ : (كلُّ عملٍ قَبِلْتُهُ فهو كثيرٌ وإنْ كانَ قليلاً ، وكلُّ عملٍ رَدَدْتُهُ فهو قليلٌ وإنْ كانَ كثيراً)[4] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا كانَ الحقُّ تعالىٰ يسألُ الصادقينَ عن صدقِهم ؛ مثلَ إسماعيلَ وعيسىٰ عليهما الصلاةُ

---

(١) حيث لم يشترطوا النية في الوضوء والغسل . انظر « البناية شرح الهداية » (١/ ١٤١) .

(٢) رواه بنحوه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٦/ ٣٣٧) من قول منصور بن المعتمر رحمه الله تعالىٰ ، والدينوري في « المجالسة » (٢٩٦٩) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٩) .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٨٤) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

والسلامُ . فكيفَ بالكاذبينَ مثلِنا ؟!)[١] .

ولبسَ داودُ الطائيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ثوبَهُ مرةً مقلوباً ، فقالوا لهُ : ألا تغيِّرُهُ ؟ فقالَ : إنِّي لبسْتُهُ للهِ ؛ فلا أغيِّرُهُ[٢] .

وكانَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**للمرائي ثلاثُ علاماتٍ** : يَكْسَلُ إذا كانَ وحدَهُ ويصلِّي النوافلَ جالساً ، ويَنْشَطُ إذا كانَ معَ الناسِ ، ويزيدُ في العملِ إذا مدحوهُ كما ينقصُ منهُ إذا ذمُّوهُ)[٣] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلُّ شيءٍ أظهرْتُهُ مِنْ عملي فلا أعدُّهُ شيئاً ؛ لعجزِ أمثالِنا عنِ الإخلاصِ إذا رآهُ الناسُ) .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ يلبسُ لبسَ الفتيانِ ، فكانَ لا يعرفُ أحدٌ أنَّهُ مِنَ العلماءِ إلا أصحابُهُ ، وكانَ يقولُ : (المخلصُ مَنْ يكتمُ حسناتِهِ كما يكتمُ سيئاتِهِ)[٤] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قَلَّ عالمٌ تكبرُ حلْقةُ درسِهِ إلا ويطرقُهُ العُجبُ بنفسِهِ) .

ومرَّ الحسنُ البصريُّ علىٰ طاوسٍ وهو يُملي الحديثَ في الحرمِ في حلقةٍ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٠٨) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/١٦٣) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه الأبهري في « فوائده » (١٧) مرفوعاً من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي رضي الله عنه ، وأورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٠) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٦١) من قول يعقوب المكفوف رحمه الله تعالىٰ ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٣٩) من قول أبي حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

كبيرةٍ ، فقالَ لهُ في أذنِهِ : (إنْ كانَتْ نفسُكَ تعجبُكَ فقمْ مِنْ هـٰذا المجلسِ) ، فقامَ فوراً[1] .

ومرَّ إبراهيمُ بنُ أدهمَ علىٰ حلقةِ بشرٍ الحافي ، فأنكرَ عليهِ لكبرِ حلقةِ درسِهِ، وقالَ : (لو كانَتْ هـٰذهِ الحلقةُ لأحدٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما أَمِنَ علىٰ نفسِهِ مِنَ العُجبِ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ لا يتركُ أحداً يجلسُ إليهِ إلا نحوَ ثلاثةٍ ، فغفلَ يوماً فرأى الحلقةَ قد كبُرَتْ ، فقامَ فَزِعاً ، وقالَ : (أُخِذْنا واللهِ ولم نشعرْ) .

وكانَ يقولُ : (واللهِ ؛ لو أدركَ عمرُ بنُ الخطابِ مثلي وهو جالسٌ في هـٰذهِ المجالسِ . . لأقامَهُ وقالَ : مثلُكَ لا يصلحُ أنْ يمليَ حديثَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

وكانَ إذا جلسَ للعلمِ يجلسُ مرعوباً خائفاً ألَّا يعملَ بما علمَ .

وكانتِ السحابةُ تمرُّ عليهِ وهو يقرأُ ، فيسكتُ حتىٰ تمرَّ ، ويقولُ : (أخافُ أنْ يكونَ فيها حجارةٌ ترجمُنا بها)[2] .

وضحكَ شخصٌ مرةً في حلقةِ الأعمشِ ، فأقامَهُ وقالَ لهُ : (تطلبُ العلمَ الذي كلَّفَكَ اللهُ بالعملِ بهِ وأنتَ تضحكُ ؟!) ، ثمَّ هجرَهُ ثلاثةَ أشهرٍ[3] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٤١) من قول بشر بن منصور لعبد الرحمـٰن بن مهدي رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٧) من قول علي بن بكار رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٦) ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي والسامع » (١/ ١٩٣) ، كلاهما بنحوه عن عبد الرحمـٰن بن مهدي رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا آيةٌ في كتابِ اللهِ تعالىٰ ما حدَّثْتُكم[1] ؛ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ . . . ﴾ الآيةَ [البقرة : ١٥٩])[2] .

ولمَّا تركَ سفيانُ الثوريُّ التحديثَ قالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : واللهِ ؛ لو علمْتُ أنَّ أحداً منهم يطلبُ العلمَ للهِ عزَّ وجلَّ . . لذهبْتُ إلىٰ منزلِهِ وعلَّمْتُهُ ولم أحوجْهُ للمجيءِ إليَّ[3] .

وقالوا مرَّةً لسفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ : ألا تجلسُ تحدِّثُنا ؟ فقالَ : واللهِ ؛ ما أراكم أهلاً لأنْ أحدِّثَكم ، ولا أرىٰ نفسي أهلاً أنْ تسمعوا منِّي ، وما مَثَلي ومَثَلُكُم إلا كما قالَ القائلُ : افتضحوا فاصطلحوا[4] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ يقولُ : (لا يجلسُ لتعليمِ العلمِ في المساجدِ إلا جامعٌ للدنيا ، أو جاهلٌ بما عليهِ في ذلكَ مِنَ الواجباتِ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ معَ جلالتِهِ إذا فرغَ مِنْ تفسيرِهِ للقرآنِ يقولُ : (اختموا مجلسَنا بالاستغفارِ) .

وكانَ شدَّادُ بنُ حكيمٍ يقولُ : (**مَنْ كانَ فيهِ هٰذهِ الثلاثُ خصالٍ فليجلسْ للناسِ ، وإلا فليدَعِ الجلوسَ** : أنْ يذكِّرَهم بنعمِ اللهِ تعالىٰ عليهم ؛

---

(١) في هامش (ج) : (هٰذه الجملة تفسير للآية ؛ **كأنه قيل** : وما الآية ؟ **فقال** : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ . . . ﴾ إلىٰ آخره . انتهىٰ) .

(٢) رواه البخاري (٢٣٥٠) .

(٣) رواه بنحوه المروذي في « أخبار الشيوخ » (٢٥٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٦٦) .

(٤) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٧/١٢١) .

ليشكروهُ ، وبذنوبِهم ؛ ليتوبوا منها ، وبعدوِّهم إبليسَ ؛ ليحذروا منهُ) .

وكانَ ابنُ وَهْبٍ يقولُ : سألْتُ الإمامَ مالكاً عنِ الراسخينَ في العلمِ : مَنْ هم ؟ فقالَ : مَنْ عملوا بعلمِهم[1] .

وكانَ الإمامُ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ شيءٌ أعزَّ مِنَ العلمِ ؛ لأنَّ صاحبَهُ يحكمُ بهِ على الملوكِ)[2] .

وقيلَ لابنِ المباركِ : مَنِ الناسُ عندَكَ ؟ فقالَ : همُ العلماءُ العاملونَ المخلصونَ ، قيلَ لهُ : فمَنِ الملوكُ ؟ قالَ : الزهَّادُ في الدنيا ، قيلَ : فمَنِ السَّفِلةُ ؟ قالَ : الذي يأكلُ الدنيا بعلمِهِ وعملِهِ ودينِهِ[3] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (العلماءُ سُرُجُ الأزمنةِ ؛ فكلُّ عالمٍ مصباحُ زمانِهِ يستضيءُ بهِ أهلُ عصرِهِ ، ولولا العلماءُ لصارَ النَّاسُ كالبهائمِ)[4] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (حياةُ العلمِ بالسؤالِ والعملِ بهِ ، وموتُهُ بتركِهما)[5] .

---

(١) أورده ابن رشد في « البيان والتحصيل » (١٧/ ٥١١) .
وفي هامش (ج) : (قال البيضاوي في تفسير هـٰذه الآية : « **أي** : الذين ثبتوا وتمكنوا فيه » ، **وأقول** : لا منافاة بين التفسيرين ؛ لأن من ثبت وتمكن في العلم لا جرم بحسب الغالب يعمل به ، والله أعلم ، لمحرره) .

(٢) رواه أبو طاهر السلفي من طريق أبي الحسين الطيوري في « الطيوريات » (٥٠٤) من قول أبي الأسود الديليِّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٦٧) .

(٤) رواه ابن بطة في « الإبانة » (٤١) من قول سلمة بن سعيد : (كان يقال : العلماء سرج الأزمنة . . .) إلىٰ آخره ، وانظر « إحياء علوم الدين » (١/ ٤٥) .

(٥) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٤٩٦) من قول الحكماء .

وكانَ عكرمةُ يقولُ : لا تُعلِّموا العلمَ إلا لمَنْ يعطي ثمنَهُ ، قالوا : وما ثمنُهُ ؟ قالَ : أنْ تضعَهُ عندَ مَنْ يعملُ بهِ[١] .

وكانَ سالمُ بنُ أبي الجَعدِ يقولُ : (اشتراني مولايَ بثلاثِ مئةِ درهمٍ ، فاشتغلْتُ بالعلمِ ، فما مضىٰ عليَّ سنةٌ حتىٰ جاءَني أميرُ المؤمنينَ زائراً ، فلم أفتحْ لهُ البابَ)[٢] .

وكانَ الشَّعبيُّ يقولُ : (مِنْ أدبِ العلماءِ إذا علموا أنْ يعملوا ، فإذا عملوا شُغِلوا بذلكَ عنِ الناسِ ، فإذا شُغِلوا فُقِدوا ، وإذا فُقِدوا طُلِبوا ، وإذا طُلِبوا هرَبوا ؛ خوفاً علىٰ دينِهم مِنَ الفتنِ)[٣] ، ثمَّ يقولُ : (وردَ في الحديثِ : « أَشَدُّ ٱلنَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِعِلْمِهِ »[٤]) .

وكانَ يقولُ أيضاً : (وردَ في الحديثِ : « أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ عُبَّادُهُمْ جُهَّالاً ، وَعُلَمَاؤُهُمْ فُسَّاقاً »[٥]) .

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة**) ، وقول عكرمة رواه الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (ص٥٧٥) .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٣٠) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٣) .

وفي هامش (ج) : (هـٰذا من باب التحدث بالنعمة لا من باب العجب ؛ فلا تسئ الظنَّ بسلفك) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٣٤) من قول يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالىٰ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢٤٩) من قول الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الصغير » (٥٠٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٤٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣١٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٥٥٥) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ يقولُ : (مَنْ أفتى الناسَ في المشكلاتِ مِنْ غيرِ تربُّصٍ ولا تأمُّلٍ . . فقد عرَّضَ نفسَهُ لدخولِ النارِ)[1] .

وكانَ يقولُ : (مَنْ أفتى الناسَ في كلِّ ما يسألونَهُ فهو مجنونٌ)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (لا تكنْ ممَّنْ يجمعُ علمَ العلماءِ ويجري في العلمِ مَجْرى السفهاءِ)[3] .

قالَ : (وبلغَنا أنَّ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كانَ يقولُ : ما أكثرَ العلومَ ! وليسَ كلُّها بنافعٍ ، وما أكثرَ العلماءَ ! وليسَ كلُّهم برشيدٍ)[4] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ عتبةَ يقولُ : (أطولُ الناسِ ندماً يومَ القيامةِ عالمٌ يتعاظمُ بعلمِهِ على الناسِ)[5] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أخوفُ ما أخافُ علىٰ

---

(١) رواه بنحوه أبو داود (٣٦٥٧) ، وابن ماجه (٥٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، ولفظه عند أبي داود : « من أُفتيَ بغير علم كان إثمه علىٰ من أفتاه » .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ١٨٨) ، والبيهقي في « المدخل إلى السنن » (٧٩٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٢٠٨) .

(٣) أورده بنحوه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢٦٢) من قول الحسن بن آدم رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (١٠٦) من قول وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ فيما يرويه عن سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » (١٧٩) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٢٠) ، كلاهما من قول (إبراهيم بن عيينة) بدل (إبراهيم بن عتبة) ، **ولعله الصواب** ، وإبراهيم بن عيينة هو أخو سفيان بن عيينة رحمهما الله تعالىٰ .

هـٰذهِ الأمةِ مِنْ عالمٍ باللسانِ جاهلٍ بالقلبِ)[١] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمهُ اللهُ يقولُ : (يَهتِفُ العلمُ بالعملِ ، فإنْ أجابَهُ ، وإلا ارتحلَ)[٢] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ يقولُ : (لا يزالُ المرءُ عالماً ما دامَ يظنُّ أنَّ في بلدِهِ مَنْ هو أعلمُ منهُ ، فإذا ظنَّ أنَّهُ صارَ أعلمَهم فقد جهلَ)[٣] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (إنِّي لأبكي على العالمِ إذا رأيتُ الدنيا تلعبُ بهِ)[٤] .

وكانَ يقولُ : (لو كانَ لأهلِ الحديثِ والقرآنِ صبرٌ على الزهدِ في الدنيا ما تَمَنْدَلَ بهمُ الناسُ ، وا سوءتاهْ مِنْ أنْ يقالَ : فلانٌ العالمُ أوِ العابدُ قد قدمَ حاجاً في نفقةِ فلانٍ الفاجرِ !)[٥] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١/ ٢٢) مرفوعاً ، ورواه موقوفاً المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٦٨٣) .

(٢) رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢٧٤) ، ورواه الخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (٤١) من قول ابن المنكدر رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٠٨) .

(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٢١) .

(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٤٢٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨١) ، كلاهما بنحوه من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ ، **وقوله** : (**تمندل**) : تمسَّحَ أو اتخذ منديلاً ، وانظر « القاموس المحيط » (ن د ل) ، وهو كناية عن دنوِّ المنزلة .

وفي هامش (ج) : (**أي** : ما تمسحوا بهم كالمنديل ، كناية عن أخذ صدقاتهم ؛ لأن الصدقات أوساخ الناس ؛ **يعني** : لو كان لهم زهد لما أخذوا صدقاتهم ، وفيه إشارة إلىٰ أن الوسخ يلتزق بالآخذ ويزول عن المعطي ؛ كالمنديل والماسح . انتهىٰ) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (إذا طلبَ العالمُ الدنيا ذهبَ بهاؤُهُ)[١] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (عقوبةُ العلماءِ تكونُ بموتِ قلوبِهم ، وموتُ قلوبِهم يكونُ بطلبِهِمُ الدنيا بعملِ الآخرةِ ؛ فيتقرَّبونَ بذلكَ عندَ الأمراءِ)[٢] .

وكانَ سعيدُ بنُ المسيبِ يقولُ : (إذا رأيتُمُ العالمَ يغشىٰ أبوابَ الأمراءِ . . فهو لِصٌّ)[٣] .

وكانَ الأوزاعيُّ رحمهُ اللهُ يقولُ : (ما مِنْ شيءٍ أبغضَ إلى اللهِ مِنْ عالمٍ يزورُ عاملاً مِنَ العمالِ)[٤] .

وكانَ مكحولٌ يقولُ : (مَنْ قرأَ القرآنَ وتفقَّهَ في الدينِ ثمَّ مشىٰ إلىٰ بيتِ أميرٍ لغيرِ ضرورةٍ . . فقد خاضَ في جهنَّمَ بعددِ خُطاهُ)[٥] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (قرأْتُ في بعضِ الكتبِ المنزَّلةِ : أنَّ أهونَ ما أنا صانعٌ بالعالمِ إذا طلبَ الدنيا بعلمِهِ . . أنْ أَحرِمَهُ لذيذَ مناجاتي)[٦] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأيتُمُ العالمَ يحبُّ

---

(١) أورده بنحوه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٤٧٦) من قول بعض الحكماء .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٥١٤) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٤٩٨) .

(٣) رواه أبو طاهر السلفي من طريق أبي الحسين الطيوري في « الطيوريات » (٦٩٠) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من طريق ابن المسيب رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٥٣) .

(٥) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٢٥) .

(٦) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٠) .

الدنيا فاتَّهِمُوهُ في دينِهِ ؛ فإنَّ كلَّ محبٍّ يخوضُ فيما أحبَّ)[١] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (وا عجباهْ مِنْ ألسنةٍ تصفُ ، وقلوبٍ تعرفُ ، وأعمالٍ تخالفُ !)[٢] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ يقولُ : (مِنْ أشقى الناسِ يومَ القيامةِ عالمٌ عملَ الناسُ بعلمِهِ ولم يعملْ هو بهِ)[٣] .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما عرضْتُ قولي على عملي إلا وجدْتُ عملي مكذِّباً لقولي)[٤] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يقولُ : (لقد أعربْنا في الكلامِ فلم نلحَنْ ، ولحنَّا في العملِ فلم نُعرِبْ)[٥] .

وكانَ الأوزاعيُّ يقولُ : (إذا جاءَ الإعرابُ في الألفاظِ ذهبَ الخشوعُ مِنَ القارئِ والسامعِ)[٦] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٢٥) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٦٢٨) ، والدينوري في « المجالسة » (٩٥٥) ، ورواه أيضاً الدينوري بلفظه في « المجالسة » (١٨٤١) من قول ابن السماك رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه مرفوعاً ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ١٣٧ـ ١٣٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ويصح جعل (من) استفهامية ، والجواب قوله : (عالم . . .) ، كما جاء في هامش (ج) : (استفهم أولاً ثم أجاب بقوله : « عالم » وذلك أبلغ . انتهىٰ) .

(٤) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٠٧١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢١١) .

(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (٨٥١) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/ ٢٤٦) عن شيخ من أهل دمشق .

(٦) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٦٦) من قول بعض السلف ، =

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (بلغَنا أنَّ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كانَ يقولُ : مَثَلُ مَنْ يتعلَّمُ العلمَ ولا يعملُ بهِ كمَثَلِ امرأةٍ زنَتْ سرّاً ، فجاءَها المخاضُ فافتضحَتْ ، وكذلكَ مَنْ لا يعملُ بعلمِهِ يفضحُهُ اللهُ يومَ القيامةِ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ)(١) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِذَا جَاءَ ٱلشَّيْطَانُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ مُرَاءٍ.. فَلْيَزِدْهَا طُولاً »(٢)) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (العملُ لأجلِ الناسِ رياءٌ ، وتركُ العملِ لأجلِ الناسِ شركٌ ، والإخلاصُ أنْ يعافيَكَ اللهُ منهما)(٣) .

ومعنىٰ (**تركُ العملِ لأجلِ الناسِ شركٌ**) : ألَّا يحبَّ أن يعملَ إلا في محلٍّ يَحمدُهُ الناسُ فيهِ ، فإنْ لم يجدْ مَنْ يَحمدُهُ تركَ العملَ أو كسلَ عنهُ .

وكانَ بِشرٌ الحافي يقولُ : (لا ينبغي لأمثالِنا أنْ يُظهِرَ مِنْ أعمالِهِ الصالحةِ ذرةً ، فكيفَ بأعمالِهِ التي دخلَها الرياءُ ؟! والأَولىٰ بأمثالِنا الكتمانُ)(٤) .

قالَ : (وقد بلغَنا أنَّ عيسىٰ عليهِ السلامُ كانَ يقولُ للحوارِيِّينَ : إذا كانَ

= والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٣٦) .

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٣٦) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٥) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٢٠٩٢) ، كلاهما بنحوه من قول الحارث بن قيس رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٤٦٩) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٤٦) .

يومُ صومِ أحدِكم فليدهنْ رأسَهُ ولحيتَهُ ويمسحْ شفتَيهِ ؛ لئلا يَرى الناسُ أنَّهُ صائمٌ)[1] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (خيرُ العلمِ والعملِ ما خفيَ عنِ الناسِ)[2] .

وكانَ عكرمةُ يقولُ : (ما رأيتُ أقلَّ عقلاً ممَّنْ يعلمُ مِنْ نفسِهِ السوءَ ويحبُّ مِنَ الناسِ أنْ يصفوهُ بالعلمِ والصلاحِ ، ولا بدَّ لقلوبِ المؤمنينَ أنْ تطَّلعَ على سوءِ سريرتِهِ ، ومثالُهُ مثلُ مَنْ غرسَ شوكاً وطلبَ أنْ يحملَ لهُ رُطَباً) .

وكانَ قَتادةُ يقولُ : (إذا راءى العالمُ بعلمِهِ وعملِهِ . . يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لملائكتِهِ : انظروا إلى هـٰذا يستهزئُ بي ، ولم يخشَ منِّي وأنا العظيمُ الجبَّارُ !)[3] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يضربُ بالدِّرَّةِ مَنْ يراهُ يُطأطئُ رقبتَهُ في الصلاةِ ، ويقولُ لهُ : (ويْحَكَ ! إنَّما الخشوعُ في القلبِ)[4] .

ومرَّ أبو أمامةَ يوماً على شخصٍ ساجدٍ وهو يبكي ، فقالَ لهُ : (نِعمَ هـٰذا لو كانَ في بيتِكَ حيثُ لا يراكَ الناسُ)[5] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخلاص والنية » (٣٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤٥٠) من طريق هلال بن يساف رحمه الله تعالى .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخلاص والنية » (٣٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٤٩٥) .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٦٩٢) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٦٩١) .

(٥) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٥٦) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٩٨٠) .

وقد كانَ الفضيلُ بن عياضٍ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ إلىٰ مُراءٍ فلينظرْ إليَّ)[١] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يقولُ : (مررْتُ علىٰ حجرٍ مكتوبٍ عليهِ : اقلِبْني تعتبرْ) قالَ : (فقلبْتُهُ ، فإذا فيهِ مكتوبٌ : أنتَ بما تعلمُ لا تعملُ ، فكيفَ تطلبُ الزيادةَ مِنَ العلمِ ؟!)[٢] .

وكانَ يوسفُ بنُ أَسْباطٍ يقولُ : (أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ نبيٍّ مِنَ الأنبياءِ : قلْ لقومِكَ يُخفوا أعمالَهم عنِ الخلقِ وأنا أُظهرُها لهم)[٣] .

وكانَ مالكُ بنُ أنسٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو أحبُّوا أنْ يُعرَفوا بينَ الناسِ ما عُرِفوا)[٤] .

وكانَ أبو عبدِ الرحمـٰنِ الزاهدُ يوبِّخُ نفسَهُ كثيراً ، ويقولُ في مناجاتِهِ : (مَنْ أسوأُ حالاً منِّي ؟! عاملْتُ عبادَكَ في الظاهرِ بالأمانةِ ، وعاملْتُكَ في السرِّ بالخيانةِ !)[٥] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (مَنْ يدلُّني علىٰ عابدٍ بكَّاءٍ بالليلِ بسَّامٍ بالنهارِ وأنا أدعو لهُ ؟)[٦] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٣٣٤) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٦) من قول إبراهيم بن أدهم فيما يحكيه عن رجل خرج في طلب العلم .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٨٩) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٦٩) من قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٠٩) .

(٦) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٦٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٩٨) من=

وكانَ مَيمونُ بنُ مِهرانَ يقولُ : (إنَّ علانيةً بغيرِ سريرةٍ صالحةٍ . . ككنيفٍ مزخرفٍ مِنْ خارجِهِ)[1] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو صحَّتِ النيةُ في العلمِ لم يكنْ عملٌ أفضلَ منهُ ، ولٰكنَّهم تعلَّموهُ لغيرِ العملِ بهِ ، وجعلوهُ شبكةً يصطادونَ بهِ الدنيا)[2] .

ودخلَ سفيانُ الثوريُّ يوماً على الفضيلِ بنِ عياضٍ ، فقالَ لهُ : عِظْني يا أبا عليٍّ ، فقالَ لهُ الفضيلُ : ماذا أعظُكم معاشرَ العلماءِ ؟ كنتُم سُرُجاً يُستضاءُ بكم في البلادِ فصِرْتُم ظُلْمةً ، وكنتُم نجوماً يُهتدىٰ بكم في ظلماتِ الجهلِ فصِرْتُم حَيْرةً[3] ، يأتي أحدُكم إلىٰ هـٰؤلاءِ الولاةِ فيجلسُ علىٰ فُرُشِهم ، ويأكلُ مِنْ طعامِهم ، ويَقبلُ هداياهم ، ثمَّ يدخلُ بعدَ ذلكَ المسجدَ ، فيجلسُ فيهِ ثمَّ يقولُ : حدَّثَنا فلانٌ عن فلانٍ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكذا ، واللهِ ؛ ما هـٰكذا صفاتُ مَنْ يطلبُ العلمَ ، فبكىٰ سفيانُ حتى خنقَتْهُ العَبرةُ وخرجَ[4] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (إذا رأيتُمُ العالمَ أوِ العابدَ ينشرحُ لذكرِهِ بالصلاحِ عندَ الأمراءِ وأبناءِ الدنيا . . فاعلموا أنَّهُ مراءٍ) .

= قول معاوية بن قرة رحمه الله تعالىٰ ، وسيأتي معزواً إليه (ص١٢٥) .

(١) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ١٧٤ـ١٧٥) من قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (ص١٨٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١١٩) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ**) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٤) .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ يقولُ : (إذا رأيتُم طالبَ العلمِ كلَّما ازدادَ علماً كلَّما رغبَ في الدنيا وشهواتِها[١] . . فلا تعلِّموهُ ؛ فإنَّكم تعينونَهُ علىٰ دخولِ النَّارِ بتعليمِكم إيَّاهُ) .

وكانَ كعبُ الأحبارِ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يتعلَّمُ جهَّالُهُمُ العلمَ ، ثمَّ يتغايرونَ بهِ على القُرْبِ مِنَ الأمراءِ ؛ كما يتغايرُ الرجالُ على النساءِ[٢] ، فذلكَ حظُّهم مِنْ علمِهم)[٣] .

وكانَ صالحٌ المريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ ادَّعى الإخلاصَ في العلمِ فليَعرِضْ علىٰ نفسِهِ إذا وصفَهُ الناسُ بالجهلِ والرياءِ ؛ فإنِ انشرحَ صدرُهُ لذلكَ فهو صادقٌ ، وإنِ انقبضَ مِنْ ذلكَ فهو مراءٍ) .

وكانَ يقولُ : (احذروا عالمَ الدنيا أنْ تجالسوهُ ؛ فإنَّهُ يَفتِنُكم بزخرفةِ كلامِهِ ، ومدحِهِ للعلمِ وأهلِهِ مِنْ غيرِ عملٍ بهِ)[٤] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (**مِنْ علامةِ المرائينَ بعلمِهم** : أنْ يكونَ علمُهم كالجبالِ ، وعملُهم بهِ كالذَّرِّ)[٥] .

---

(١) كذا في جميع النسخ بإثبات (كلما) في جواب الشرط ، وفي هامش (ج) : (« كلما » الثاني سهو . انتهىٰ) ، وقوله : (الثاني) في الهامش هنا ؛ **أي** : لفظ (كلما) الثاني .

(٢) كذا في جميع النسخ ما عدا (ب) ففيها : (النساء على الرجال) .

(٣) أورده بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٧٦) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٢) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(٥) في هامش (ج) : (**الذرُّ** : صغار النمل . انتهىٰ) ، وفيه : (**بلغ**) .

وكانَ يقولُ : (لو أنَّ حاملَ العلمِ عملَ بهِ لتجرَّعَ مرارتَهُ ولم يفرحْ بهِ ؛ لأنَّهُ كلَّهُ تكاليفُ ، وكلَّما ازدادَ علماً ازدادَ تكاليفَ ، فلا ينبغي للعالمِ أنْ يفرحَ بعلمِهِ إلا بعدَ مجاوزةِ الصراطِ)[١] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (اطلبوا العلمَ للعملِ ؛ فإنَّ أكثرَ الناسِ قد غلطوا في ذلكَ ، فظنُّوا النجاةَ بعلمِهم مِنْ غيرِ عملٍ بهِ ، وأينَ الآياتُ والأخبارُ الواردةُ في تعذيبِ مَنْ لم يعملْ بعلمِهِ ؟!)[٢] .

وكانَ ذو النونِ المصريُّ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم كلَّما ازدادَ علماً ازدادَ زهداً في الدنيا ، وتقليلاً مِنْ متاعِها ، ونراهمُ اليومَ كلَّما ازدادَ أحدُهم علماً ازدادَ في الدنيا رغبةً وكثرةً لأمتعتِها ؛ مِنْ لباسٍ ومطعَمٍ ومنكَحٍ ومسكَنٍ ومَرْكَبٍ وخادمٍ ونحوِ ذلكَ)[٣] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (كيفَ يكونُ حاملُ القرآنِ عاملاً بهِ وهو ينامُ الليلَ ويفطرُ النهارَ ، ويتناولُ الحرامَ والشبهاتِ ؟!)[٤] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ : (لو أنَّ هـٰؤلاءِ القرَّاءَ أحياءٌ لوجدوا ألمَ

---

(١) **يشهد له** : ما رواه الطبراني في « مسند الشاميين » (٣٥٤٠) من حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « إنَّ المؤمن لا يأمنُ قلبُهُ ، ولا تسكنُ روعتُهُ ، ولا يأمنُ اضطرابُهُ حتىٰ يخلفَ جسرَ جهنَّمَ . . . » الحديث .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٢) .

(٣) روى ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٣٧) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ : (من ازداد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً . . لم يزدد من الله إلا بُعداً ، ولم يزدد من الله إلا بغضاً) .

(٤) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٦٣٣) من كلامه رحمه الله تعالىٰ .

النَّارِ في بطونِهم إذا أكلوا الحرامَ(١) ، ولـٰكنَّهم أمواتٌ يرتعونَ في جيفةٍ في النَّارِ)(٢) .

وقد كانَ منصورُ بنُ المعتمرِ يقولُ لعلماءِ زمانِهِ : (لستُم بعلماءَ ، وإنَّما أنتم متلذِّذونَ بالعلمِ ، يسمعُ أحدُكمُ المسألةَ ويحكيها للناسِ ، ولو أنَّكم عملتُم بعلمِكم لتجرَّعتُمُ المراراتِ والغُصَصَ ، ولحثَّكم علمُكم على التورُّعِ حتىٰ لا يجدَ أحدُكم رغيفاً يأكلُهُ)(٣) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ يقولُ : (كيفَ يصحُّ للعالمِ أنْ يرائيَ بعلمِهِ وهو يعرفُ أنَّ تعلُّمَهُ لهُ لغيرِ اللهِ تعالىٰ ، وذلكَ حابطٌ مِنْ أصلِهِ ؟! فكيفَ يرىٰ نفسَهُ على الناسِ بما هو حابطٌ ؟!)(٤) .

وكانَ الإمامُ النوويُّ إذا دخلَ عليهِ أميرٌ علىٰ غفلةٍ وهو يدرِّسُ العلمَ في المدرسةِ الأشرفيةِ أو جامعِ بني أميةَ يتكدَّرُ لذلكَ ، وإذا بلغَهُ أنَّ أحداً مِنَ الأكابرِ قد عزمَ علىٰ زيارتِهِ في يومِ درسِهِ . . لا يدرِّسُ العلمَ ذلكَ اليومَ ؛ خوفاً أنْ يراهُ ذلك الأميرُ وهو في محفلِهِ ودرسِهِ العظيمِ ، ويقولُ : (**إنَّ مِنْ**

---

(١) في هامش (ج) : (**المراد من الحياة هنا** : حياة الورع والتقوى الخاصة بأهل الله تعالىٰ ؛ بها يدركون الأشياء علىٰ ما هي عليه قبل يوم القيامة ، كما قال علي كرَّم الله وجهه : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » ، ولا يستبعد منهم مشاهدة الحرام ناراً ؛ لأنهم أدركوا الحقيقة وإن كنا لا ندركها ؛ لكوننا محجوبين عنه . انتهىٰ) .

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٩٦٩) من قول سيدنا أبي موسىٰ رضي الله عنه ؛ حيث جمع القراء ووعظهم ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦٨/٧) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣١١/٤) من قول الشعبي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠٧/٢) .

علامةِ المخلصِ : أنْ يتكدَّرَ إذا اطَّلعَ الناسُ علىٰ محاسنِ عملِهِ ؛ كما يتكدَّرُ إذا اطَّلعوا عليهِ وهو يعصي ربَّهُ ؛ فإنَّ فَرَحَ النفسِ بذلكَ معصيةٌ ، وربَّما كانَ الرياءُ أشدَّ مِنْ كثيرٍ مِنَ المعاصي)[١] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (قبيحٌ بالعالمِ أنْ يشبعَ في هٰذا الزمانِ مِنَ الحلالِ ، فكيفَ بمَنْ يشبعُ مِنَ الحرامِ ؟! واللهِ ؛ إنِّي أودُّ أنِّي لو أكلْتُ أكلةً وصارَتْ في بطني كالآجُرَّةِ ؛ فتكفيني حتىٰ أموتَ ، فقد قيلَ : إنَّها تمكثُ في الماءِ أكثرَ مِنْ ثلاثِ مئةِ سنةٍ)[٢] .

وكانَ يقولُ : (ورعُ العلماءِ إنَّما يكونُ في تركِ تناولِ الشهواتِ ، أمَّا المعاصي الظاهرةُ فتراهم يتركونَها ؛ خوفاً أنْ تذهبَ عظمتُهم مِنْ قلوبِ الناسِ)[٣] .

وكانَ يقولُ : (بلغَني أنَّهُ يأتي في آخرِ الزمانِ رجالٌ يتعلَّمونَ العلمَ لغيرِ اللهِ ؛ كي لا يضيعَ ، ثمَّ يكونُ عليهم تبعتُهُ يومَ القيامةِ) انتهىٰ[٤] .

---

(١) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٣١٣) عن الفضيل بن عياض ، وعن حاتم الأصم رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٤٥٦) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٠٩) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٤١٧) من قول يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ .

(٤) روى ابن ماجه (٢٥٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من طلب العلم لغير الله ، أو أراد به غير الله .. فليتبوأ مقعده من النار » .

قلْتُ : ويؤيِّدُهُ حديثُ : « إِنَّ ٱللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَـٰذَا ٱلدِّينَ بِٱلرَّجُلِ ٱلْفَاجِرِ »[1] ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ يقولُ : (**مِنْ علامةِ المرائي بعلمِهِ** : أنْ يُرغِّبَ الناسَ في العلمِ ، ويذكرَ لهم ما فيهِ مِنَ الفضيلةِ ، ثمَّ إذا شاورَهُ أحدٌ عنِ القراءةِ علىٰ أحدٍ مِنْ أقرانِهِ لا يرغِّبُهُ فيهِ كلَّ ذلكَ الترغيبِ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ يقولُ : (قد غلبَ على القرّاءِ في هـٰذا الزمانِ أكلُ الحرامِ والشبهاتِ حتىٰ غرقوا في شهوةِ بطونِهِم وفروجِهِم ، واتَّخذوا علمَهم شبكةً يصطادونَ بها الدنيا)[2] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (لولا نقصٌ دخلَ علىٰ أهلِ القرآنِ والحديثِ لكانوا خيارَ الناسِ ، ولـٰكنَّهُمُ اتَّخذوا علمَهم حرفةً ومعاشاً ؛ ولذلكَ هانوا في ملكوتِ السماواتِ والأرضِ) .

وكانَ بِشرٌ الحافي يقولُ : (مِنْ عقلِ العاقلِ ألا يطلبَ زيادةَ العلمِ إلا إذا عملَ بكلِّ ما علمَ ، فيتعلَّمُ حينئذٍ العلمَ كي يعملَ بهِ)[3] .

وكانَ الشَّعبيُّ يقولُ : (اطلبوا العلمَ وأنتم تبكونَ ؛ فإنَّهُ كلَّهُ حجةٌ عليكم عندَ ربِّكم) .

ولمَّا تركَ بِشرٌ الحافي الجلوسَ لإملاءِ الحديثِ قالوا لهُ : ماذا تقولُ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٢) ، ومسلم (١١١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٨) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٣٧) .

لربِّكَ يومَ القيامةِ ؟ فقالَ : أقولُ : يا ربِّ ؛ قد أمرتَني فيهِ بالإخلاصِ ، ولم أجدْ عندَ نفسي إخلاصاً .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (إذا رأيتُم طالبَ العلمِ يطلبُ الزيادةَ مِنَ العلمِ دونَ العملِ . . فلا تعلِّموهُ ؛ فإنَّ مَنْ لا يعملُ بعلمِهِ كشجرِ الحنظلِ ؛ كلَّما ازدادَ رِيّاً بالماءِ ازدادَ مرارةً)(١) .

وكانَ يقولُ : (إذا رأيتُم طالبَ العلمِ يخلطُ في مطعمِهِ ومشربِهِ وملبسِهِ وغيرِهما ولا يتورَّعُ . . فكفُّوا عن تعليمِهِ ؛ تخفيفاً للحجةِ عليهِ يومَ القيامةِ) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (لو أنَّ عبداً عَلِمَ العِلْمَ كلَّهُ ، وعبَدَ اللهَ حتىٰ صارَ كهٰذهِ الساريةِ أوِ الشَّنِّ البالي(٢) ، ثمَّ إنَّهُ لم يُفتِّشْ ما يدخلُ جوفَهُ : أحلالٌ هو أم حرامٌ . . ما تقبَّلَ اللهُ منهُ عبادةً)(٣) .

وكانَ بشرٌ الحافي يقولُ : (واللهِ ؛ لقد أدركْنا أقواماً كانوا لا يعلِّمونَ أحداً العلمَ حتىٰ يروِّضوا نفسَهُ سنينَ كثيرةً ويَظهرَ لهم صلاحُ نيتِهِ) .

وكانَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ القاسمِ يقولُ : (خدمْتُ الإمامَ مالكاً رضيَ اللهُ عنهُ عشرينَ سنةً ، فكانَ ثمانيةَ عشرَ منها في تعليمِ الأدبِ ، وسنتانِ منها في تعليمِ العلمِ ، فيا ليتني جعلتُ المدَّةَ كلَّها في تعليمِ الأدبِ !)(٤) .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٨٤) من قول مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) **الشنُّ** : الجلد البالي . انظر « المصباح المنير » (ش ن ن) ، ووصفه بالبالي في المتن للتأكيد .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٥٢) من قول موسى بن أعين رحمه الله تعالىٰ .

(٤) روىٰ نحوه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٩) من=

وكانَ الإمامُ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ العلمُ بكثرةِ الروايةِ ، إنَّما العلمُ ما نفعَ وعملَ بهِ صاحبُهُ)[١] .

وقالَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (قالَ لي الإمامُ مالكٌ رحمَهُ اللهُ : يا محمدُ ؛ اجعلْ أدبَكَ دقيقاً ، وعلمَكَ مِلْحاً)[٢] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ يقولُ : (مَنْ حملَ القرآنَ ثمَّ مالَ بقلبِهِ إلى الدنيا . . فقدِ اتَّخذَ آياتِ اللهِ هزواً ولعباً)[٣] .

وكانَ يقولُ أيضاً : (إذا عصىٰ حاملُ القرآنِ ربَّهُ ناداهُ القرآنُ مِنْ جوفِهِ : واللهِ ؛ ما لهـٰذا حُمِلْتُ ، أينَ مواعظي وزواجري وكلُّ حرفٍ منِّي يناديك ويقولُ : لا تعصِ ربَّكَ ؟!)[٤] .

وكانَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ إذا رأى الطالبَ لا يقومُ مِنَ الليلِ . . يكفُّ عن تعليمِهِ ، وباتَ عندَهُ أبو عصمة ليلةً مِنَ الليالي ، فوضعَ لهُ الإمامُ أحمدُ ماءً للوضوءِ ، ثمَّ جاءَهُ قبلَ الفجرِ فوجدَهُ نائماً والماءُ بحالِهِ ، فأيقظَهُ وقالَ لهُ : لمَ جئتَ ؟ فقالَ : أطلبُ منكَ الحديثَ ، فقالَ : كيفَ تطلبُ الحديثَ

= قول ابن سيرين رحمه الله تعالىٰ .

(١) رواه بنحوه الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (ص٥٥٨) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٣٠) بلفظ : سمعت مالك بن أنس يقول لفتىً من قريش : (يا بن أخي ؛ تعلَّم الأدب قبل أن تتعلم العلم) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٤٣) من طريق يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٢٦٦) من قول الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ ، وفي معناه أحاديث كثيرة .

وليسَ لكَ تهجُّدٌ في الليلِ ؟! اذهبْ مِنْ حيثُ جئْتَ[١] .

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ينبغي للعالمِ أنْ يكونَ لهُ خبيئةٌ مِنْ عملٍ صالحٍ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ ؛ فإنَّ كلَّ ما ظهرَ للناسِ مِنْ علمٍ أو عملٍ . . قليلُ النفعِ في الآخرةِ)[٢] ، قالَ : (وما رُئيَ أحدٌ بعدَ موتِهِ وقالَ : « غفرَ اللهُ لي بعلمي » . . إلا قليلاً) انتهىٰ .

وقد رُئيَ الإمامُ أبو حنيفةَ بعدَ وفاتِهِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ اللهُ تعالىٰ لي ، فقيلَ لهُ : بالعلمِ ؟ فقالَ : هيهاتَ ! إنَّ للعلمِ شروطاً وآفاتٍ قلَّ مَنْ ينجو منها[٣] .

ورُئيَ أبو القاسمِ الجنيدُ بعدَ موتِهِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : طاحَتْ تلكَ الإشاراتُ ، وفنيَتْ تلكَ العباراتُ ، وما نفعَنا إلا رُكَيعاتٌ كنَّا نركعُها في السَّحَرِ[٤] .

ورُئيَ أبو سهلٍ الصُّعلوكيُّ بعدَ موتِهِ ، فقيلَ لهُ : ما صنعَ علمُكَ ؟ فقالَ : كلُّ ما كانَ مِنْ دقائقِ العلومِ وجدْتُهُ هباءً منثوراً إلا بعضَ مسائلَ سألَني عنها العوامُّ . انتهىٰ[٥] .

ففتِّشْ يا أخي نفسَك في علمِكَ وعملِكَ ، وابكِ علىٰ نفسِكَ إنْ رأيتَ

---

(١) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٧٨) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١١٠٩) من قول سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢٦٧) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٧) .

(٥) أورد نحوه عن بعض السلف أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٣٢) .

عندَها رياءً أو سمعةً ممَّا نبَّهكَ عليهِ هـٰؤلاءِ السادةُ مِنَ العلماءِ العاملينَ ، وعبادِ اللهِ الصالحينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة على مؤلفه**) ، وفيه بلاغ آخر ذهب معظمه بسبب رداءة التصوير : (**بلغ قراءة... فسح... مدته**) .

[هجر من خالط الأمراء لغير حاجة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : هجرُهم لأخيهم إذا خالطَ الأمراءَ ، وتردَّدَ إلىٰ أبوابِهم بغيرِ حاجةٍ ولا مصلحةٍ ، وقياماً بالأمرِ بالمعروفِ[1] ، وعملاً بحديثِ : « إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِياً يُقَالُ لَهُ : هَبْهَبُ ، أَعَدَّهُ ٱللهُ لِلْجَبَّارِينَ وَلِلْقُرَّاءِ ٱلْمُدَاهِنِينَ ٱلَّذِينَ يَدْخُلُونَ عَلَىٰ أُمَرَاءِ ٱلْجَوْرِ »[2] .

وقالَ والي البصرةِ يوماً لمالكِ بنِ دينارٍ : (أتدري ما الذي أجرأَكَ علينا في إغلاظِكَ القولَ علينا ، وعدمِ قدرتِنا علىٰ مقابلتِكَ ؟ قلَّةُ طمعِكَ فيما بأيدينا[3] ، وزهدُكَ فيهِ)[4] .

وكانَ ابنُ السَّمَّاكِ يقولُ : دخلْتُ علىٰ محمدِ بنِ سليمانَ والي البصرةِ ، فقالَ : يا بنَ السمَّاكِ ؛ عِظْني ، فقلْتُ لهُ : أفٍّ عليكَ وعلىٰ مَنْ ولَّاكَ مظالمَ

---

(١) قوله : (وقياماً) كذا في جميع النسخ المعتمدة بإثبات الواو ما عدا (د) ؛ فليس فيها قوله : (وتردد إلىٰ أبوابهم . . . بالأمر) ، وفي هامش (ج) : (في العطف إشكال ، تأمَّل . انتهىٰ) .

(٢) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٥٤٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٩٧) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ولم يذكرا الشطر الثاني منه .

(٣) في هامش (ج) : (**المراد من القلة** : العدم ؛ لأن الطمع مذموم مطلقاً ، ولأن القليل يجر إلى الكثير ، فالأَولىٰ سدُّ باب الطمع رأساً . انتهىٰ) .

(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٥٦٠) .

العبادِ ، إنَّما يصلحُ أنْ يُسدَّ بكمُ الجسورُ[1] .

ودخلَ محمدُ بنُ واسعٍ علىٰ قتيبةَ بنِ مسلمٍ وعليهِ مدرَّعةُ صوفٍ ، فقالَ قتيبةُ : ما الذي دعاكَ إلىٰ لبسِ مدرَّعةِ الصوفِ ؟ فسكتَ محمدٌ ، فقالَ : أكلِّمُكَ فلا تجيبُني ! فقالَ : إنْ قلْتُ : زهداً . . زكَّيْتُ نفسي ، وإنْ قلْتُ : فقراً . . شكَوْتُ ربي[2] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (واللهِ ؛ لوِ استأذنَ عليَّ هارونُ الرشيدُ ما أذنْتُ لهُ ، إلا أنْ أُغلبَ علىٰ ذلكَ ، فكيفَ بمَنْ يذهبُ هو إليهِ مِنْ هـٰؤلاءِ القرَّاءِ ؟!)[3] .

وجاءَ محمدُ بنُ إبراهيمَ والي مكَّةَ ليسلِّمَ علىٰ سفيانَ الثوريِّ في المطافِ ، فقالَ : (ماذا تريدُ بالسلامِ ؟ إنْ كنْتَ تريدُ أنْ أعلمَ أنَّكَ تطوفُ فقد علمْتُ ، اذهبْ لحاجتِكَ)[4] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (لا يصلحُ أنْ يدخلَ على الأمراءِ ويخالطَهم إلا مثلُ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، وأمَّا أمثالُنا فلا يصلحُ لهُ الدخولُ عليهم ؛ لعجزِهِ عن مواجهتِهم بالنصحِ والإنكارِ عليهم فيما يراهُ منهم مِنَ الظلمِ والجَوْرِ والنفاقِ وفرشِ الحريرِ وغيرِ ذلكَ)[5] .

---

(١) كان ابن السماك رحمه الله تعالىٰ مشهوراً بموعظته للخليفة نفسه ؛ كما رواه الدينوري في « المجالسة » (٧٧٦) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٦٠٨) .

(٣) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٣٥) .

(٤) رویٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٤٨) ، وفيه : أن والي مكة هو عبد الصمد بن علي .

(٥) روى ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١١١٣) من حديث سيدنا أنس بن=

وقد ذكروا مرةً عندَ معاويةَ كلاماً ، وكانَ الأحنفُ بنُ قيسٍ جالساً فلم يتكلَّمْ ، فقالَ لهُ معاويةُ : ما تقولُ في هـٰذا الكلامِ يا أحنفُ ؟ فسكتَ ، فقالَ لهُ : ما تتكلَّمُ ؟ فقالَ : إنِّي أخشى اللهَ إنْ كذبْتُ ، وأخشاكَ إنْ صدقْتُ ، فرأيْتُ السكوتَ أَولىٰ[1] .

وسيأتي الكلامُ علىٰ مَنْ يخالطُ الأمراءَ ويأكلُ مِنْ طعامِهم ويقبلُ هداياهم وغيرِ ذلكَ مفرَّقاً في الكتابِ في مواضعَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العلماء أمناء الرسول علىٰ عباد الله ما لم يخالطوا السلطان ، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل ؛ فاحذروهم واعتزلوهم » .

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥٣) .

[الحرص على ترك النّفاق بكلّ صوره]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عَمَلُهم علىٰ تركِ النفاقِ ؛ بحيثُ تتساوىٰ سريرتُهم وعلانيتُهم في الخيرِ ، فلا يكونُ لأحدِهم عملٌ يفتضحُ بهِ في الدنيا والآخرةِ .

ومِنْ وصيَّةِ أبي العبَّاسِ الخضرِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لمَّا اجتمعَ بهِ في المدينةِ المشرَّفةِ وسألَهُ أنْ يوصيَهُ بوصيةٍ : (إيَّاكَ يا عمرُ أنْ تكونَ وليّاً للهِ تعالىٰ في العلانيةِ ، وعدواً لهُ في السرِّ ؛ فإنَّ مَنْ لم تتساوَ سريرتُهُ وعلانيتُهُ فهو منافقٌ ، والمنافقونَ في الدَّركِ الأسفلِ مِنَ النارِ) ، فبكىٰ عمرُ حتىٰ بلَّ لحيتَهُ(١) .

وفي الحديثِ : « يَخْرُجُ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ أَقْوَامٌ يَخْتِلُونَ ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ(٢) ، يَلْبَسُونَ جُلُودَ ٱلضَّأْنِ مِنَ ٱللِّينِ ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَىٰ مِنَ ٱلْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ ٱلذِّئَابِ ، يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟! فَبِي حَلَفْتُ ؛

---

(١) ثبت لقاء سيدنا عمر بن عبد العزيز بسيدنا الخضر في روايات كثيرة ؛ منها ما رواه الدينوري في « المجالسة » (١٨٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦/ ٤٣٢) .

(٢) في (هـ) : (يجتنون) بدل (يختلون) ، وهي غير واضحة في (د) ، **والختل** : الخداع . انظر « تاج العروس » (خ ت ل) ، **والمعنىٰ** : يطلبون الدنيا بعمل الآخرة بخداعهم .

لَأَبْعَثَنَّ عَلَىٰ أُولَـٰئِكَ فِتْنَةً تَدَعُ ٱلْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ »(١) .

وكانَ المُهلَّبُ بنُ أبي صُفرةَ يقولُ : (إنِّي لأكرهُ للرجلِ أنْ يكونَ للسانِهِ فضلٌ علىٰ فعلِهِ)(٢) .

وكانَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ يقولُ : (ما بلغَ الحسنُ البصريُّ إلىٰ ما بلغَ إلا لكونِهِ كانَ إذا أمرَ الناسَ بشيءٍ يكونُ أسبقَهم إليهِ ، وإذا نهاهمْ عنهُ كانَ أبعدَهم منهُ) .

وكانوا يقولونَ : (ما رأيْنا أحداً سريرتُهُ أشبهُ بعلانيتِهِ مِنَ الحسنِ البصريِّ) .

وكانَ معاويةُ بنُ قُرَّةَ يقولُ : (بكاءُ القلبِ خيرٌ مِنْ بكاءِ العينِ)(٣) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (القلوبُ كالقدورِ ، ومغارفُها ألسنتُها)(٤) .

وكانَ يقولُ : (كونوا عبيداً بأفعالِكم كما أنتم عبيدٌ بأقوالِكم)(٥) .

وكانَ مروانُ بنُ محمدٍ يقولُ : (ما وُصفَ لي رجلٌ قطُّ إلا وجدْتُهُ دونَ ما وصفوهُ بهِ إلا وكيعاً رحمَهُ اللهُ ؛ فإنِّي وجدْتُهُ فوقَ ما وصفوهُ)(٦) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده ابن شمس الخلافة في « الآداب النافعة » (ق ٨) .

(٣) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ٢٧١) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٦٣) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٥) .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٧٠) .

وكانَ عقبةُ بنُ عبدِ [الغافرِ] يقولُ[1] : (إذا وافقَتْ سريرةُ العبدِ علانيتَهُ . . قالَ اللهُ تعالىٰ لملائكتِهِ : هـٰذا عبدي حقاً)[2] .

وكانَ الأنطاكيُّ يقولُ : أفضلُ الأعمالِ تركُ المعاصي الباطنةِ ، فقيلَ لهُ : لِمَ ذا ؟ فقالَ : لأنَّ الباطنةَ إذا تُركَتْ كانَ صاحبُها للظاهرةِ أتركَ[3] .

وكانَ يقولُ : (مَنْ كانَتْ سريرتُهُ أفضلَ مِنْ علانيتِهِ . . فذلكَ الفضلُ ، ومَنْ تساوَتْ سريرتُهُ وعلانيتُهُ فذلكَ العدلُ ، ومَنْ كانَتْ علانيتُهُ أفضلَ مِنْ سريرتِهِ . . فذلكَ الجَورُ)[4] .

وكانَ يوسفُ بنُ أَسْباطٍ يقولُ : (أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ نبيٍّ مِنَ الأنبياءِ : قلْ لقومِكَ يُخفوا لي أعمالَهم وعليَّ أنْ أظهرَها لهم)[5] ، وقد مرَّ مثلُ ذلكَ في خُلُقٍ قبلَهُ[6] .

وكانَ أبو عبدِ الرحمـٰنِ الزاهدُ يقولُ في مناجاتِهِ : (يا ويحي ! عاملْتُ الناسَ بالأمانةِ ، وعاملْتُ ربي بالخيانةِ ، فليتني عكسْتُ) ، ثمَّ يبكي[7] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (مَنْ أمرَ الناسَ بشيءٍ لم يبلغْهُ حالُهُ فهو

---

(١) في جميع النسخ (الغفار) بدل (الغافر) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٠/ ٢٠٩) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٦١) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٨٣) .

(٤) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ١٧٤ـ ١٧٥) من قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (٨٩) .

(٦) تقدم (ص١٠٨) .

(٧) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٠٩) .

منافقٌ ، إلا أنْ يسألَهُ أحدٌ عن حكمِهِ)[١] .

وكانَ يقولُ : (إيَّاكَ أنْ تكونَ في النهارِ أبا عبدِ اللهِ الصالحَ ، وفي الليلِ شيطانٌ طالحٌ) .

وتقدَّمَ عن إبراهيمَ التَّيميِّ أنَّهُ كانَ يقولُ : (ما عرضْتُ علمي علىٰ عملي إلا وجدْتُ نفسي غيرَ عاملٍ بما علمْتُ)[٢] .

وكانَ الزبيرُ بنُ العوَّامِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اجعلوا لكم خبيئةً مِنَ العملِ الصالحِ ؛ كما أنَّ لكم خبيئةً مِنَ العملِ السيِّئِ)[٣] .

وتقدَّمَ قولُ معاويةَ بنِ قُرَّةَ : (مَنْ يدلُّني علىٰ رجلٍ يبكي في الليلِ ويبتسمُ في النهارِ ؟)[٤] ؛ أي : إنَّ ذلكَ لقليلٌ .

وكانَ أبو مسلمٍ الخَولانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ نعمةِ اللهِ عليَّ أنَّني منذُ ثلاثينَ سنةً ما فعلْتُ شيئاً يُستحيا منهُ إلا قُربي مِنْ عيالي) .

وكانَ السَّمَرْقنديُّ إذا مدحَهُ الناسُ يقولُ : (واللهِ ؛ ما مَثَلي ومَثَلُكُم إلا كمَثَلِ جاريةٍ ذهبَتْ بكارتُها بالفجورِ وأهلُها لا يعلمونَ بذلكَ ، فهم يفرحونَ بها ليلةَ الزفافِ ، وهي حزينةٌ مغمومةٌ ؛ خوفَ الفضيحةِ) .

وكانَ أبو أُمامةَ يعيبُ على الرجلِ بكاءَهُ في المسجدِ بحضرةِ الناسِ[٥] .

---

(١) **يشهد لذلك** : قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢-٣] .

(٢) انظر (ص١٠٥) .

(٣) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١١٠٩) .

(٤) انظر (ص١٠٨) .

(٥) سبق تخريجه (ص١٠٧) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ يقولُ : (علانيةٌ بغيرِ سريرةٍ صالحةٍ ككنيفٍ مرخَّمٍ مِنْ ظاهرِهِ[1] ، ومِنْ داخلِهِ النَّتْنُ ، ومَنِ افتخرَ بمالٍ لم يصبْهُ كذَّبَهُ كيسُهُ)[2] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ يعدَّهُ الناسُ مِنَ الصالحينَ بالقولِ فقط دونَ موافقتِهِم في الأفعالِ . . فهو كمَنْ دخلَ وليمةً صنعَها الملكُ لقومٍ خاصِّينَ بغيرِ إذنٍ) .

وكانَ يقولُ : (منِ اكتفىٰ بالقولِ دونَ العملِ جازاهُ اللهُ بالوعدِ دونَ العطاءِ ؛ عقوبةً لهُ) .

وكانَ بلالُ بنُ سعدٍ يقولُ : (إذا ادَّعى الفقيرُ الزهدَ بغيرِ حقٍّ رقصَ الشيطانُ حولَهُ يضحكُ عليهِ ويسخرُ بهِ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ يقولُ : (لا يجدُ عبدٌ صريحَ الإيمانِ بأنَّ اللهَ يراهُ حتىٰ لا يعملَ سراً ما يفتضحُ بهِ غداً) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (لو علمْتُم ما أغلقُ عليهِ بابي دونكم ما جلسَ أحدٌ منكم حولي)[3] .

قلْتُ : وهـٰذا مِنْ بابِ الهضمِ لنفسِهِ والاتِّهامِ لها .

---

(١) في هامش (ج) : (**أي** : مفروش بالرخام . انتهىٰ) .

(٢) **يشهد لمعنىٰ ما ذكر** : آيات وأحاديث كثيرة ؛ منها ما رواه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (٢١٢٩) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « المتشبِّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَيْ زورٍ » .

(٣) رواه بنحوه الدارمي في « سننه » (٥٤٩) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (قد غلبَ على القرَّاءِ في هـٰذا الزمانِ الرياءُ ، يُظهِرونَ للناسِ النسكَ والعبادةَ ، وباطنُهم مشغولٌ بالغِلِّ والحقدِ والشحناءِ لبعضِهم ، فإذا كانَ لكم حاجةٌ عندَ قارئٍ فلا تتشفَّعوا عندَهُ بقارئٍ مثلِهِ ؛ يقسو قلبُهُ عليكم ، ولـٰكنْ تشفَّعوا عندَهُ بأحدٍ مِنَ الأغنياءِ ؛ فإنَّهُ أقضىٰ لحاجتِكم) انتهىٰ[1] .

وسيأتي الكلامُ علىٰ هـٰذا الخُلُقِ في مواضعَ مِنْ هـٰذا الكتابِ[2] .

ففتِّشْ نفسَكَ يا أخي : هل تساوَتْ سريرتُكَ وعلانيتُكَ أم لا ؟ وأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ ؛ فإنَّ مَنْ أظهرَ للناسِ خلافَ ما في باطنِهِ فهو منافقٌ يُحشرُ معَ المنافقينَ ، فاعلمْ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٦) .

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال (ص٢٧٢ـ ٢٧٥) .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه رضي الله عنه**) .

[كثرة الصبر على جور الحكام]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : كثرةُ الصبرِ على جَورِ الحكامِ ، وشهودُهم أنَّ ما جاروا بهِ عليهم دونَ ما كانوا يستحقُّونَهُ بذنوبِهم .

وكانَ المُوبَذانُ يقولُ : (إذا لم تتساوَ سريرةُ الناسِ وعلانيتُهم . . فلا يستغربوا ما يحلُّ بهم مِنْ أنواعِ البلايا والآفاتِ) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ : (كانَ الحجَّاجُ الثقفيُّ بلاءً مِنَ اللهِ وافقَ خطيئةً)[١] .

وكانَ الإمامُ أبو حنيفةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا ابتُليتَ بسلطانٍ جائرٍ فخرقْتَ دينَكَ بسببِهِ . . فرقِّعْهُ بكثرةِ الاستغفارِ لكَ ولهُ) .

وكتبَ أخٌ لمحمدِ بنِ يوسفَ يشكو إليهِ مِنْ جَورِ الولاةِ في بلادِهِ ، فكتبَ إليهِ محمدُ بنُ يوسفَ : (قد بلغَني كتابُكَ ، ولا يخفى عن علمِكَ يا أخي أنَّهُ ليسَ لمَنْ عملَ بالمعصيةِ أنْ ينكرَ وقوعَ العقوبةِ ، وما أرى ما أنتم فيهِ إلا مِنْ شؤمِ الذنوبِ ، والسلامُ)[٢] .

وحبسَ هارونُ الرشيدُ رجلاً ظلماً ، فكتبَ الرجلُ إليهِ : (اعلمْ يا أميرَ المؤمنينَ : أنَّهُ ما مِنْ يومٍ يمضي مِنْ حبسي وبؤسي إلا ويمضي مِنْ عمرِكَ

---

(١) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/ ٢٩١) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٣٦) .

ونعيمكَ مثلُهُ ، والأمرُ قريبٌ ، والحاكمُ بيني وبينَكَ اللهُ تعالىٰ) ، قالَ : فلمَّا قرأَها الرشيدُ خلَّىٰ سبيلَهُ وأحسنَ إليهِ[1] .

وجاؤوا بمالٍ مِنَ السلطانِ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ ؛ ليفرِّقَهُ على الفقراءِ الذين يعرفُهم ، فردَّهُ وقالَ : (إذا حاسبَ اللهُ الظالمَ يومَ القيامةِ علىٰ ما اكتسبَهُ مِنَ المالِ يقولُ : أعطيتُهُ لإبراهيمَ ، فيرجعُ الظالمُ عليَّ يومَ القيامةِ بذلكَ ، ولـٰكنْ مَنْ جمعَهُ فهو أَولىٰ بتفرقتِهِ) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (مكتوبٌ في التوراةِ : قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : قلوبُ الملوكِ بيدي ؛ فمَنْ أطاعَني جعلْتُهم عليهِ رحمةً ، ومَنْ عصاني جعلْتُهم عليهِ نقمةً ، فلا تَشْغَلوا أنفسَكم بسبِّ الملوكِ ، وتوبوا إليَّ أُعطِّفْهم عليكم)[2] .

وكانَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يقولُ لرعيتِهِ : (أنصفونا يا معشرَ الرعيَّةِ ؛ تطلبونَ منا أنْ نسيرَ فيكم سيرةَ أبي بكرٍ وعمرَ ولا تسيرونَ بسيرةِ رعيَّتِهما ، فنسألُ اللهَ أنْ يعينَ كلَّ واحدٍ منا علىٰ صاحبِهِ)[3] .

وكانَ ابنُ السَّمَّاكِ يقولُ : (كما ابتُليتُم بالأعمالِ التي لا تُرضي ربَّكم

---

(١) أورد ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/ ٢١٨) : (وقد حبس الرشيد مرة أبا العتاهية ، وأرصد عليه من يأتيه بما يقول ، فكتب مرة علىٰ جدار الحبس : [من الوافر]

أمـا والله ؛ إنَّ الظلـم شـؤم ... ومـا زال المسـيء هـو الظلـومُ
إلـىٰ ديَّـانِ يـومِ الـديـن نمضـي ... وعنـد الله تجتمـع الخصـومُ

قال : فاستدعاه ، واستجعله في حلٍّ ، ووهبه ألف دينار ، وأطلقه) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٧٢) .

(٣) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/ ٦٢) .

وقلْتُم : إنَّ اللهَ تعالىٰ قدَّرَ ذلكَ . . فأقيموا العذرَ لوُلاتِكم ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ هو المقدِّرُ عليهم ما ظلموكم بهِ[1] ، فكما تقيمونَ العذرَ لأنفسِكم باطناً كذلكَ ينبغي لكم أنْ تقيموا العذرَ لهم ؛ فإنَّ أحدَهم يودُّ أنَّه لم يظلمْ أحداً منكم ، ولـٰكنَّ أعمالَكم هي السببُ في ظلمِكم) .

قالَ : ولمَّا أفضَتِ الخلافةُ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ بكىٰ ، ثمَّ خيَّرَ نساءَهُ وجواريَهُ ، وقالَ : (قد أتاني أمرٌ أشغلَني عنكنَّ ، فلا أتفرَّغُ لَكُنَّ حتىٰ يفرغَ الناسُ مِنَ الحسابِ يومَ القيامةِ) ، فبكىٰ أهلُ بيتِهِ حتىٰ ظنَّ جيرانُهم أنَّهُ ماتَ لهم ميتٌ[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (أدركْنا العلماءَ وهم يَرَونَ جلوسَهم في بيوتِهم أفضلَ ، فصاروا اليومَ وزراءَ الأمراءِ وقهارمةَ الظلمةِ)[3] .

وسُئِلَ عطاءُ بنُ أبي رباحٍ عن شخصٍ يكتبُ بقلمِهِ عندَ الأمراءِ ؛ لا يجاوزُ ما جعلوهُ لهُ مِنَ الرزقِ ، فقالَ : (أرىٰ أنْ يتركَ ذلكَ ؛ أما سمعَ قولَ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص : ١٧] ؟!)[4] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ يقولُ : (إذا همَّ الوالي بالجَورِ أدخلَ اللهُ النقصَ في

---

(١) في (هـ) : (عليكم) بدل (عليهم) .
(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٩) .
(٣) روىٰ نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ١٣٢) عن حماد بن سلمة رحمه الله تعالىٰ ، والقهارمة : جمع قهرمان ؛ وهو الوكيل الذي يتولىٰ إدارة القصر والإشراف عليه . انظر « تاج العروس » (ق هـ ر م) .
(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣١٥) .

أهلِ مملكتِهِ حتىٰ في الأسواقِ ، والأرزاقِ ، والزروعِ ، والثمارِ ، والضروعِ ، وفي كلِّ شيءٍ)[1] .

وكانَ أبو ذرٍّ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ تكونُ أُعطِيَتُهم مِنَ الولاةِ أثمانَ دينِهم)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (مَنْ تبسَّمَ في وجهِ ظالمٍ ، أو وسَّعَ لهُ في المجلسِ ، أو أخذَ مِنْ عطائِهِ . . فقد نقضَ عُرا الإسلامِ ، وكُتبَ مِنْ جملةِ أعوانِ الظَّلَمةِ)[3] .

والمرادُ ها هنا [بنقضِ عُرا] الإسلامِ[4] : مخالفةُ قواعدِ السَّلفِ الصالحِ .

وكانَ طاوسٌ يُكثِرُ الجلوسَ في بيتِهِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقال : (إنَّما جلسْتُ في بيتي لحَيفِ الأئمةِ ، وفسادِ الرعيةِ ، وذهابِ السنَّةِ)[5] .

وكانَ يقولُ : (مَنْ فرَّقَ بينَ ولدِهِ والبُعَداءِ في إقامةِ الحدودِ . . فهو جائرٌ) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ يقولُ : (لم يكنْ أحدٌ أحبَّ إليَّ مِنْ عمرَ بنِ

---

(١) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص١٧٨) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٣٠١/٩) .

(٢) أورده بنحوه القرطبي في « التذكرة » (ص١٢٢٨) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤٧/٧) .

(٤) وقع في جميع النسخ المعتمدة : (بعرا) بدل (بنقض عرا) ، **والصواب** المثبت بدلالة السياق .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/٤) .

عبدِ العزيزِ ، ولَأَنْ أراهُ ميتاً أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أراهُ وَلِيَ عملاً)[١] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (إذا سمنَ الأميرُ بعدَ الهزالِ فاعلموا أنَّهُ قد خانَ رعيتَهُ ، وخانَ ربَّهُ) .

ودخلَ أبو العاليةِ على الخليفةِ فقالَ لهُ : (احذرْ دعوةَ المظلومِ ؛ فإنَّ اللهَ لا يردُّها ولو مِنْ كافرٍ) انتهىٰ[٢] .

فتأمَّلْ يا أخي في نفسِكَ ؛ وانظرْ هل وفَّيْتَ بحقِّ رعيتِكَ في زاويتِكَ[٣] ، أو حقِّ جوارحِكَ ؛ بحيثُ استعملْتَها في مرضاةِ اللهِ ، ومنعتَها مِنْ معاصيهِ ، أم غشَّيْتَ نفسَكَ وجوارحَكَ[٤] ؟ فإنَّ كلَّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيتِهِ ، وإيَّاكَ والدخولَ على الأمراءِ ولو بقصدِ أنَّكَ تأمرُهم وتنهاهم ؛ فإنَّ ذلكَ لا يتمُّ لكَ معَهم ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦/ ٤٣١) من قول ميمون في حقِّ ابنه عمرو رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) **يشهد لذلك أحاديث منها** : ما رواه البخاري (١٤٩٦) ، ومسلم (١٩) من حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « واتقِ دعوةَ المظلوم ؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب » .

(٣) **لعله أراد بالزاوية هنا** : الجهة أو البيت أو المكان الذي أنت فيه ، **ويمكن أن يراد بها** : الزاوية على الحقيقة ؛ وهي مكان اجتماع الصوفية والفقراء ، والله أعلم .

(٤) وقع في هامش (ج) عند قوله (**غشيت**) : (أصله « غششت » بشينين ؛ **أي** : خنت ، من الغش وهو الخيانة ، قلبت الثانية ياء ، وهو لغة لبعض العرب . انتهىٰ) .

[الغيرة إذا انتهكت حرمات الله تعالى]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : غيرتُهم لله إذا انتُهكَتْ حرماتُهُ ؛ نصرةً لشريعةِ نبيِّهم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلا يفعلونَ فعلاً ولا يَصْحَبونَ أحداً إلا إنْ رأَوْا رضا اللهِ تعالىٰ فيهِ ، فلا يحبونَ أحداً ولا يبغضونَ أحداً لعلَّةٍ دنيويةٍ .

وقد ثبتَ في الحديثِ : « ٱلْحُبُّ فِي ٱللهِ وَٱلْبُغْضُ فِي ٱللهِ مِنْ أَوْثَقِ عُرَا ٱلْإِيمَانِ »(١) .

فلو عَبدَ العبدُ ربَّهُ كعبادةِ الثقلَينِ طلباً للثوابِ وهو غافلٌ عن كونِ ذلكَ مِنْ مرضاةِ اللهِ . . فهو خارجٌ عن طريقِ القومِ .

وقد أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : هل عملْتَ لي عملاً ؟ فقال : نعم يا ربِّ ؛ صلَّيْتُ وصمْتُ وتصدَّقْتُ ، وذكرَ أشياءَ ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : هـٰذا لكَ ، ولـٰكنْ هل والَيْتَ لأجلي ولياً ، أو عادَيْتَ لأجلي عدوّاً ؟ فعندَ ذلكَ علمَ موسىٰ أنَّ مِنْ أفضلِ الأعمالِ الحبَّ في اللهِ والبغضَ في اللهِ(٢) .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٤/ ٢٨٦) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣١٦) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً ، وبدايته : « أوحى الله تعالىٰ إلىٰ نبي من الأنبياء ؛ أنْ قل لفلان العابد . . . » الحديث .

وكانَ عليُّ بنُ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لا يصطحبُ اثنانِ علىٰ غيرِ طاعةِ اللهِ إلا وتفرَّقا علىٰ غيرِ طاعةِ اللهِ)(١) .

وكانَ يوسفُ بنُ أَسْباطٍ يقولُ : (إذا دخلْتُم على الولاةِ فلا تخصُّوهم بالدعاءِ ؛ فإنَّهم حاربوا اللهَ ورسولَهُ ، ولـٰكنِ ادعُوا للمسلمينَ ، فإنْ كانوا منهم لحقَتْهمُ الدعوةُ)(٢) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تسألْ أخاكَ عن مودَّتِهِ لكَ ، ولـٰكنِ انظرْ إلىٰ ما في نفسِكَ لهُ ؛ فإنَّ ما عندَكَ مثلُ الذي عندَهُ علىٰ حدٍّ سواءٍ)(٣) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا أحدثَ الرجلُ حدثاً ولم يُبغضْهُ مَنْ زعمَ أنَّهُ أخوهُ . . فمحبتُهُ لغيرِ اللهِ ؛ إذ لو كانَتْ للهِ لغضبَ علىٰ مَنْ عصاهُ)(٤) .

---

(١) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/ ٣٨٨) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٤٠) .

(٣) أورده بنحوه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٤٥٩) ، وأبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٢٣) .

وفي هامش (ج) : (**قلتُ** : قد تتخلف هـٰذه القاعدة ، كما يشهد لذلك حبُّ مغيث وبغض بريرة ، وقصتهما مذكورة في « البخاري » . انتهىٰ) ، **والقصة التي أشار إليها** : هي ما رواه البخاري (٥٢٨٣) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أنَّ زوج بريرة كان عبداً يقال له : مُغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل علىٰ لحيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس : « يا عباس ؛ ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ؟! » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو راجعتِهِ » قالت : يا رسول الله ؛ تأمرني ؟ قال : « إنما أنا أشفع » قالت : لا حاجة لي فيه .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢١٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣١٤) .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يُؤتىٰ بالعبدِ يومَ القيامةِ فيوقَفُ بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ : هل أحببْتَ لي وليّاً حتىٰ أهبَكَ لهُ ؟ .

فأحبُّوا ـ يا إخواني ـ الصالحينَ ، واتخذوا عندَهم أياديَ ؛ فإنَّ لهم دولةً يومَ القيامةِ)[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مصارمةُ الفاسقِ قربةٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ)[2] .

قلْتُ : **ومرادُهُ** : مصارمةُ الفاسقِ بالقلبِ ، أمَّا في الظاهرِ فلا ينبغي مصارمتُهُ ؛ لأجلِ تقويمِ عوجِهِ ، وتبغيضِهِ في صفاتِ الفسقِ ؛ فإنَّ الفاسقَ ضالَّةُ كلِّ داعٍ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فليُفهمْ ذلكَ .

وسُئلَ مرَّةً : هل نعزِّي الفاسقَ إذا ماتَ لهُ ميتٌ ؟ قالَ : لا .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يذكرُ أبا بكرٍ الصدِّيقَ وعمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهما ويبكي ، ويترحَّمُ علىٰ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، ويقولُ : (إنَّهُ كانَ مِنْ أكابرِ العلماءِ ، ولـٰكنَّهُ ابتليَ بحبِّ الدنيا)[3] .

قلْتُ : الذي ينبغي : حملُ حبِّهِ للدنيا علىٰ أنَّهُ يحبُّها لعملِ الآخرةِ ؛ كما

---

(١) روى القسم الأخير منه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٢٩٧) عن أبي الربيع مرسلاً مرفوعاً .

(٢) أورده في « إحياء علوم الدين » (٤/٢٣) ، **والمصارمة** : المهاجرة وقطع الكلام . انظر « تاج العروس » (ص ر م) .

(٣) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/٢١٣) .

عليهِ السلفُ الصالحُ ، بل هو أَولىٰ بقصدِ ذلكَ مِنَ الأولياءِ ـ واللهُ أعلمُ ـ لأنَّهُ صحابيٌّ .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ ادَّعىٰ أنَّهُ يحبُّ عبداً للهِ ولم يُبغِضْهُ إذا عصى اللهَ . . فقد كذبَ في دعواهُ أنَّهُ يحبُّهُ للهِ)[1] .

وكانَ محمدُ بنُ الحنفيةِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أحبَّ رجلاً مِنْ أهلِ النارِ لخيرٍ ظهرَ منهُ . . آجرَهُ اللهُ علىٰ ذلكَ ، ومَنْ أبغضَ رجلاً مِنْ أهلِ الجنةِ لجَوْرٍ ظهرَ منهُ . . آجرَهُ اللهُ علىٰ بغضِهِ إيَّاهُ)[2] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يطردُ الكلبَ إذا جلسَ بحذائِهِ ، ويقولُ : (هو خيرٌ مِنْ قرينِ السوءِ)[3] .

وكانَ يقولُ : (كفىٰ بالمرءِ شراً ألَّا يكونَ صالحاً ، ويقعَ في الصالحينَ)[4] .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ شيءٌ أنفعَ لقلبِ الإنسانِ مِنْ مخالطةِ الصالحينَ والنظرِ إلىٰ أفعالِهم ، وليسَ شيءٌ أضرَّ على القلبِ مِنْ مخالطةِ الفاسقينَ والنظرِ إلىٰ أفعالِهم)[5] .

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٤) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١٢٧٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٠٧٦) .

(٣) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٤) .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٤٣٠) .

(٥) أورد نحوه ابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (٢/ ٢٢٢) عن أبي يعلى الحنبلي =

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (وليُّ اللهِ ريحانٌ في الأرضِ ، فإذا شمَّهُ المريدونَ ، ووصلَتْ رائحتُهُ إلىٰ قلوبِهِمُ . . اشتاقوا إلىٰ ربِّهم) انتهىٰ[1] .

فتأمَّلْ يا أخي حالَكَ ؛ هل أحببْتَ أحداً للهِ وأبغضْتَهُ كذلكَ للهِ خالصاً ، أم أحببْتَ بالهوىٰ وأبغضْتَ بالهوىٰ ؟ واستغفرْ ربَّكَ ، وتبْ إليهِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= محمد بن الحسين رحمه الله تعالىٰ .

(١) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٥٥٧) .

[قلّة الضحك وعدم الفرح بشيءٍ من الدّنيا]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : قلَّةُ الضحكِ وعدمُ الفرحِ بشيءٍ مِنَ الدنيا ، بل كانوا ينقبضونَ بكلِّ شيءٍ حصلَ لهم مِنْ ملابسِها ومراكبِها ، ومَناكحِها ومناصبِها ، عكسُ ما عليهِ أبناءُ الدنيا ؛ كلُّ ذلكَ خوفاً أنْ يكونَ ذلكَ مِنْ جملةِ ما عُجِّلَ لهم مِنْ نعيمِ الآخرةِ ، وكيفَ يفرحُ بشيءٍ مَنْ هو في السجنِ محبوسٌ عن لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟! فكما يحزنُ المحبوسُ عن دارِهِ وأولادِهِ وعيالِهِ ويتكدَّرُ . كذلكَ يحزنُ أولياءُ اللهِ عزَّ وجلَّ علىٰ طولِ عمرِهم وسجنِهم عن ربِّهم في هٰذهِ الدارِ[١] .

وفي الحديثِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقولُ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِٱلنِّسَاءِ عَلَى ٱلْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱلصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[٢] .

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ علي النجاري قراءة علىٰ مؤلفه نفع الله ببركاته**) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٢) ، وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، وروىٰ أصله البخاري (٤٦٢١) ، ومسلم (٤٢٦) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

وفي هامش (ج) عند قوله : (**الصعدات**) : (جمع صُعُد بضمتين ، وهي جمع صعيد : الطريق [أو] وجه الأرض . انتهىٰ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عجبْتُ مِنْ ضاحكٍ ومِنْ ورائِهِ النارُ ، ومِنْ مسرورٍ ومِنْ ورائِهِ الموتُ)[١] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ لا يراهُ أحدٌ إلا ظنَّ أنَّهُ قريبُ عهدٍ بمصيبةٍ ؛ لِما يراهُ بِهِ مِنْ شدةِ الخوفِ والحزنِ[٢] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ربَّ ضاحكٍ وأكفانُهُ قد خرجَتْ مِنْ عندِ القصارِ)[٣] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مرزوقٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (منِ ادَّعىٰ أنَّ الذنوبَ غَمَّتْهُ وأحزنَتْهُ ، وجمعَ في إدامِهِ بينَ عسلٍ وسمنٍ . . فهو كاذبٌ) .

وكانَ الأوزاعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف :٤٩] : (**الصغيرةُ** : هي التبسُّمُ في هٰذهِ الدارِ ، **والكبيرةُ** : هي القهقهةُ فيها)[٤] .

قلْتُ : **ولعلَّ مرادَهُ بالتبسُّمِ هنا** : الضحكُ ، وهو أنْ يضحكَ بصوتٍ يسمعُهُ مَنْ في مجلسِهِ ؛ إذِ التبسُّمُ كانَ ضحكَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[٥] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٢٣) من زيادات نعيم بن حماد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٤٤٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٣٣) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٩/ ٢٧٣) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٨٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٤٦) من قول عبد الله بن ثعلبة الحنفي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٢٤) من طريق الأوزاعي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢/ ١٥٥) ، والآجري في « الشريعة » =

وكانَ ثابتُ البُنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما ضحكَ مؤمنٌ قطُّ إلا وهو في غفلةٍ عنِ الموتِ)[1] .

وكانَ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أكثرُ الناسِ ضحكاً في الدنيا أكثرُهم بكاءً في النارِ)[2] .

ومكثَ سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ لم يضحكْ منذُ أربعينَ سنةً حتىٰ ماتَ ، وكذلكَ غزوانُ الرَّقاشيُّ[3] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (معَ كلِّ ضحَّاكٍ في مجلسٍ شيطانٌ) .

ومرَّتْ مُعاذةُ العدويةُ يوماً علىٰ شبابٍ يضحكونَ وعليهم لباسُ الصوفِ ، فقالَتْ : (سبحانَ اللهِ ! لباسُ الصالحينَ وضحكُ الغافلينَ !) .

وكانَ وُهَيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الضحكُ الذي لا إسرافَ فيهِ هو الذي يظهرُ بهِ السنُّ ، ولا يُسمعُ لهُ صوتٌ ، واللباسُ الذي لا إسرافَ فيهِ هو ما وارى العورةَ ، ووقاكَ مِنَ البردِ والحرِّ ، والطعامُ الذي لا إسرافَ فيهِ هو ما سدَّ الجوعَ ، وكانَ دونَ الشبعِ)[4] .

= (١٠٢٢) من حديث سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه .

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٥٩٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٥٢) ، كلاهما بنحوه من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٢٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٣) .

(٣) رواه بنحوه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٦٥) ، والدينوري في « المجالسة » (٢٧١١) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٥٢) .

وكانَ عونُ بنُ أبي رَزينٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (صحبْتُ عطاءَ [السَّليميَّ] رحمَهُ اللهُ خمسينَ سنةً[1] ، فما رأيتُهُ ضاحكاً قطُّ)[2] .

وكانَ ابنُ أبي رَوَّادٍ يقولُ : (لمَّا ظهرَ المَزْحُ في أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد : ١٦] ، فتركوا المَزْحَ وخشعُوا)[3] .

والآثارُ في ذلكَ كثيرةٌ مشهورةٌ في كتبِ الرقائقِ ، وما تميَّزَ أهلُ اللهِ عزَّ وجلَّ عن غيرِهم إلا بالإقبالِ على الآخرةِ وأعمالِها والتهيُّؤِ لأهوالِها وغيرِ ذلكَ مِنْ أحوالِها .

فتأمَّلْ يا أخي في نفسِكَ ، وما أنتَ منطوٍ عليهِ مِنَ الغفلةِ والسهوِ عمَّا يقرِّبُكَ إلى اللهِ تعالىٰ ، وأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ في الليلِ والنهارِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[4] .

---

(١) في جميع النسخ (السلمي) بدل (السليمي) في كل المواضع من الكتاب ، وانظر ما ورد في منهج العمل (ص٤٠) .
(٢) أورده الموفق بالله الجرجاني في « الاعتبار وسلوة العارفين » (ص ٤٦٧)، ورواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٧٧٣) عن عثمان بن الهيثم المؤذن رحمه الله تعالىٰ ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢١) عن محمد بن صالح الضبي رحمه الله تعالىٰ .
(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٦٥) .
(٤) في هامش (أ) : (**بلغ**) .

[تمنِّي الموتِ عندَ الخوفِ من الوقوعِ في المعاصي]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تمنِّي الموتِ إذا خافوا علىٰ أنفسِهِمُ الوقوعَ فيما يُسخِطُ اللهَ عزَّ وجلَّ عليهم ، وذلكَ بأماراتٍ تظهرُ لهم مِنْ أنفسِهِم هي كالمقدِّماتِ للمعاصي ، والقرائنُ معدودةٌ مِنَ الأدلةِ في مواضعَ .

وقد كانَ عابسٌ الغفاريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ أيامَ الطاعونِ : يا طاعونُ ؛ خذْني ، ثلاثَ مراتٍ ، فقالَ لهُ ابنُ عمٍّ لهُ : كيفَ تقولُ ذلكَ وقد سمعتَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لَا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكُمُ ٱلْمَوْتَ[1] ؛ فَإِنَّهُ ٱنْقِطَاعُ لِعَمَلِهِ » ؟! فقالَ : نعمْ سمعْتُهُ يقولُ ذلكَ ، ولٰكنِّي أخافُ ستّاً سمعْتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتخوَّفُهنَّ علىٰ أمتِهِ ؛ إمارةَ السفهاءِ ، وكثرةَ الشُّرَطِ ، وبيعَ الحُكْمِ[2] ، وقطيعةَ الرحمِ ، والاستخفافَ بالدمِ ، ونَشْواً يتَّخذونَ القرآنَ مزاميرَ ، يقدِّمونَ أحدَهم ليسَ بأفضلِهم في الدينِ ، ولٰكنْ يقدِّمونَهُ ليُغنِّيَهم بها غِناءً . انتهىٰ[3] .

---

(١) قوله : « لا يتمنىٰ » : خبر بمعنى النهي .

(٢) قوله : (بيع الحكم) ؛ أي : أخذ الرشوة في القضاء . انظر « فيض القدير » (٣/ ١٩٤) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣/ ٤٩٣) ، وفيه : (كنا جلوساً علىٰ سطحٍ معنا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال يزيد ـ أحد رواة الحديث ـ : =

وكذلكَ تمنَّىٰ أبو بكرةَ الموتَ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنِّي أخافُ أنْ أدركَ زماناً لا آمرُ فيهِ بالمعروفِ ، ولا أنهىٰ فيهِ عنِ المنكرِ) .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ الموتُ أحبَّ إلى العلماءِ فيهِ مِنَ الذهبِ الأحمرِ ، حتىٰ يأتي الرجلُ قبرَ أخيهِ فيقولُ : ليتَني كنْتُ مكانَكَ)(١) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أطاعَ ربَّهُ لم يتمنَّ الموتَ) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ أحداً فيهِ خيرٌ قالَ لهُ : (ادعُ لي بالموتِ)(٢) .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما مِنْ مؤمنٍ ولا كافرٍ إلا والموتُ خيرٌ لهُ ؛ فإنَّ اللهَ يقولُ : ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٨] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [آل عمران : ١٧٨])(٣) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْتُ مشايخَنا وهم يتمنَّونَ الموتَ ، فكنْتُ أعجبُ منهم ، حتىٰ صِرْتُ الآنَ أتعجَّبُ ممَّنْ لا يحبُّ الموتَ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ذهبَ صفوُ الدنيا وبقيَ

= لا أعلمه إلا عَبْساً الغفاري) ، ويقال : عبس وعابس . انظر « جامع المسانيد والسنن » لابن كثير (٤/ ٤٦٧) .

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥١٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٤) .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٥/ ١١٤) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٧/ ٤٩٦) .

كدرُها ، فالموتُ اليومَ تحفةٌ لكلِّ مسلمٍ)[١] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أحبُّ أنْ يُخفَّفَ عنِّي الموتُ ؛ لأنَّهُ آخرُ شيءٍ يؤجَرُ عليهِ المؤمنُ)[٢] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أهدىٰ إليَّ أخٌ هديةً هي أحبُّ إليَّ مِنَ السلامِ ، ولا بلغَني عنهُ خبرٌ قطُّ أحبُّ إليَّ مِنْ موتِهِ)[٣] .

وكانَ عطاءٌ [السَّليميُّ] رضيَ اللهُ عنهُ يتمنَّى الموتَ ، فقالَ لهُ عطاءٌ الأزرقُ : كيفَ تتمنَّىٰ ما نهى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنهُ ؟ فقالَ عطاءٌ : إنَّما يريدُ الحياةَ مَنْ يزدادُ كلَّ يومٍ خيراً ، وأمَّا مِثلي ومثلُكَ فما يرجو بالحياةِ ؟![٤] .

وكانَ أبو عِنَبَةَ الخولانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ مِنْ صفةِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ لقاءَ اللهِ تعالىٰ أحبُّ إليهم مِنَ الشَّهدِ ، ولم يكونوا يخافونَ عَوَزاً مِنَ الدنيا[٥] ، بل كانوا واثقينَ برزقِ اللهِ ، وكانوا يحبُّونَ الموتَ أكثرَ ممَّا يحبُّ أحدُكمُ الصحةَ)[٦] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٥٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ١٥٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣١٦) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٧٥٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ١٦٢) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المتمنين » (١١٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢٣) .

(٥) في هامش (ج) : (**العوز** : الحاجة والقلة والفقر . انتهىٰ) .

(٦) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٥٢٤) .

وكانَ ابنُ المباركِ يقولُ(١) : قلْتُ مرةً لسهلٍ التُّسْتَرِيِّ : أتريدُ أنْ تموتَ غداً ؟ فقالَ : لا ، ولٰكنِ الساعةَ .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يخافونَ مِنَ الأمراضِ والبلايا ؛ خوفاً علىٰ أنفسِهم أنْ يقعوا في كراهةِ قضاءِ اللهِ تعالىٰ عليهم) .

وكانَ يقولُ كثيراً : (إنَّما خافَ الرجالُ مِنَ البلاءِ لِما فيهِ ، فواللهِ ؛ ما أدري ماذا يقعُ مني لوِ ابتُليتُ ، فلعلِّي أكفرُ ولا أشعرُ)(٢) .

وكانَ يقولُ : (قالَ لقمانُ يوماً لابنِهِ : يا بنيَّ ؛ إنِّي حملْتُ الصخرَ والحديدَ ، فلم أرَ شيئاً أثقلَ مِنَ الدَّينِ ، وأكلْتُ الطيباتِ وعانقْتُ الحِسانَ ، فلم أرَ شيئاً ألذَّ مِنَ العافيةِ ، وذقْتُ المراراتِ كلَّها ، فلم أذقْ شيئاً أمرَّ مِنَ الحاجةِ إلى الناسِ)(٣) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ابكوا علىٰ أهلِ البلاءِ

---

(١) ليس المراد من (ابن المبارك) هنا الإمام عبد الله بن المبارك المتوفىٰ سنة (١٨١هـ) ؛ إذ إن سهلاً التستري وُلد عام (٢٠٠هـ) ، **وقد يكون المقصود** : محمد بن المبارك الصوري ؛ إذ أدرك زمان التستري وإن كان قد مات قبله ، وقد يكون المقصود غيره ، والله أعلم بالصواب .
وتجدر الإشارة إلىٰ أن في كل النسخ المعتمدة (ابن المبارك) ما عدا (هـ) ففيها : (عبد الله بن المبارك) .

(٢) قوله : (أشعر) : صُحِّحت في (هـ) إلىٰ (أشكر) .

(٣) أورده أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (٤/٩٨) ، والثعالبي في « الشكوىٰ » (٢١٢) .

وإنْ كانَ جُرمُكم أعظمَ مِنْ جُرمِهم ؛ فيُحتملُ أنَّكم تعاقَبونَ علىٰ ذنوبِكم كما عوقِبوا أو أشدَّ) .

وكانَ كثيراً ما يبعثُ إلىٰ أهلِ السجنِ بما عندَهُ مِنَ الطعامِ والدراهمِ ، ويقولُ : (إنَّهم مساكينُ) .

وكانَ سهلٌ التُّسْتَريُّ يقولُ : (**أعظمُ ما يُبتلىٰ بهِ العبدُ** : الفراغُ مِنْ أعمالِ الدنيا والآخرةِ ، ولٰكنْ لا يشعرُ بهِ أنَّهُ بلاءٌ إلا القليلُ مِنَ الناسِ)[1] .

وكانَ [سَلْمُ] بنُ قتيبةَ يقولُ : (**مِنْ أعظمِ المروءةِ** : الصبرُ علىٰ أذى الرجالِ)[2] .

وكانَ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يعدُّونَ الإمارةَ أعظمَ بلاءٍ ، ونراهمُ الآنَ يطلبونَها ، وكانوا إذا تولَّىٰ صديقُهمُ الإمارةَ يقولونَ : اللهمَّ ؛ أنْسِهِ ذِكْرَنا ؛ حتىٰ يصيرَ لا يعرفُنا ولا نعرفُهُ) .

وكانَ يحيى بنُ الحسينِ يقولُ : (مَنْ طلبَ السلامةَ احتملَ الملامةَ) .

وكانَ يقولُ : (البلاءُ كلُّهُ ينشأُ مِنَ العافيةِ ، ولو أنَّ فرعونَ أصابَهُ المرضُ ما قالَ قطُّ : أنا ربُّكمُ الأعلىٰ)[3] .

وسمعْتُ سيدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ أعظمِ البلاءِ وقوعُ

---

(١) **يشهد له** : ما رواه البخاري (٦٤١٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ؛ الصحة والفراغ » .

(٢) ما بين المعقوفين في جميع النسخ : (مسلم) بدل (سلم) ، والخبر رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٧٢٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٤١) .

(٣) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٤) .

العبدِ في الرياءِ بعلمِهِ وعملِهِ ، ولٰكنْ لا يشعرُ بذلكَ إلا العلماءُ العاملونَ) .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي وفتِّشْ نفسَكَ ، وإيَّاكَ أنْ تقولَ كما قالَ بعضُ المحبِّينَ حينَ ابتُلِيَ : (اللهمَّ ؛ إنْ كانَ في هٰذا رضاكَ فزِدْني) ؛ فإنَّ رجالَ البلاءِ إنَّما همُ الأنبياءُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ .

وكانَ بالإمامِ الشافعيِّ البواسيرُ ، وكانَتْ تنضحُ دماً ليلاً ونهاراً ، حتىٰ كانَ يجلسُ للحديثِ والطَّسْتُ تحتَهُ يقطرُ فيه الدمُ ، فقالَ يوماً : (اللهمَّ ؛ إنْ كانَ في هٰذا رضاكَ فزِدْني منهُ) ، فسمعَهُ شيخُهُ مسلمُ بنُ خالدٍ الزنجيُّ ، فقالَ : (مَهْ يا محمدُ ! سلِ اللهَ العافيةَ ؛ فأنا وأنتَ لسْنا مِنْ رجالِ البلاءِ)[1] .

وقد كانَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في خطبتِهِ : (أيُّها الناسُ ؛ سلوا اللهَ العفوَ والعافيةَ ؛ فإنَّ المؤمنَ لم يُعطَ بعدَ الإسلامِ أفضلَ مِنَ العفوِ والعافيةِ)[2] .

وسيأتي بسطُ الكلامِ علىٰ هٰذا الخُلُقِ مفرَّقاً في الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[3] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٣٥) ، وفيه : (إدريس بن يحيى الخولاني) بدل (مسلم بن خالد الزنجي) ، وأورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٩) ، وفيه : (إدريس بن يحيى المعافري) بدل (مسلم بن خالد الزنجي) ، **والظاهر** أن الخولاني والمعافري نسبتان لرجل واحد ؛ هو إدريس بن يحيىٰ ، وشهرته بالخولاني أكثر . انظر « تاريخ الإسلام » للذهبي (١٥/ ٣٢) ، و« سير أعلام النبلاء » له (١٠/ ٨٣) .

(٢) رواه الترمذي (٣٥٥٨) ، وابن ماجه (٣٨٤٩) ، كلاهما بنحوه مرفوعاً .

(٣) انظر علىٰ سبيل المثال (ص١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٦٨) .

[كثرة الخوف من الله تعالى في كل الأحوال]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ خوفِهم مِنَ اللهِ تعالىٰ حالَ بدايتِهم وحالَ نهايتِهم ، لٰكنْ في حالِ بدايتِهم مِنَ الذنوبِ وخوفِ العذابِ ، وفي حالِ نهايتِهم خوفَ الإجلالِ والتعظيمِ ، ومِنْ لازمِ خوفِهمُ الندمُ ضرورةً حالَ بدايتِهم وحالَ نهايتِهم .

وفي الحديثِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ[1] ؛ أَنْقِذَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ ٱلنَّارِ ؛ فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ ٱللهِ شَيْئاً »[2] .

وفي الحديثِ : « ٱلْبِرُّ لَا يَبْلَىٰ ، وَٱلذَّنْبُ لَا يُنْسَىٰ ، وَٱلدَّيَّانُ لَا يَفْنَىٰ ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ »[3] .

وكانَ أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**أربعٌ إذا أفرطَ فيها الرجلُ أهلكَتْهُ واستهوَتْهُ** : كثرةُ الجماعِ ، والصيدُ ، والقمارُ ، والذنوبُ) .

وكانَ أبو ترابٍ النَّخشبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا أجمعَ الرجلُ علىٰ

---

(١) قوله : « صفيةُ » و« فاطمةُ » بالبناء على الضم ، ويصحُّ فيهما الفتح للإتباع ، وانظر « إرشاد الساري » (٥/ ١٤) .

(٢) رواه بنحوه البخاري (٢٧٥٣) ، ومسلم (٢٠٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البيهقي في « الأسماء والصفات » (١٣٢) عن أبي قلابة مرسلاً .

تركِ الذنوبِ[1] . . أتتْهُ الأمدادُ مِنَ اللهِ مِنْ كلِّ جانبٍ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ سوادِ القلبِ ثلاثٌ** : أَلَّا يجدَ للذنوبِ مَفْزَعاً ، ولا للطاعةِ مَوْقِعاً ، ولا للموعظةِ مَنْجَعاً) .

وكانَ أبو محمدٍ المَرْوَزِيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**إنَّما شقيَ إبليسُ بخمسِ خصالٍ** : لأنَّهُ لم يُقرَّ بذنبِهِ ، ولم يندمْ عليهِ ، ولم يلُمْ نفسَهُ ، ولم يبادِرْ إلى التوبةِ ، وقنطَ مِنْ رحمةِ اللهِ ، وعكسُ ذلكَ آدمُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ؛ **فإنَّهُ سعدَ بخمسٍ** : أقرَّ بذنبِهِ ، وندمَ عليهِ ، ولامَ نفسَهُ ، وبادرَ إلى التوبةِ ، ولم يقنطْ مِنْ رحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[2] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا عصيْتَ ربَّكَ فبادِرْ بالتوبةِ والندمِ ، ولا تعتذرْ للناسِ ، فإنَّ اعتذارَكَ إليهم أعظمُ مِنَ الوزرِ الذي في معصيتِكَ)[3] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لأنْ أدخلَ النارَ وقد أطعْتُ اللهَ تعالىٰ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أدخلَ الجنةَ وقد عصيْتُ اللهَ)[4] .

وكانَ الأوزاعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لِمَنْ يراهُ مِنْ قرابةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في معصيةٍ : (لا تغرنَّكم قرابتُكم مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ مخالفتِكم لهديِهِ وأمرِهِ ؛ فإنَّهُ قالَ لابنتِهِ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها :

---

(١) في هامش (ج) : (**يقال** : أجمع علىٰ أمرٍ إذا عزم عليه ، كذا في « المصباح » [ج م ع]) .

(٢) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٧٠) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٧) .

(٤) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٧٠) .

« أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً »[1]) .

وكانَ أحمدُ بنُ حَرْبٍ يقولُ : (ألم يَأْنِ للمذنبِ أنْ يتوبَ ؟! فإنَّ ذنبَهُ في الديوانِ مكتوبٌ ، وهو بهِ غداً في قبرِهِ مكروبٌ ، وبهِ إلى النارِ مسحوبٌ) .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : لا ينبغي لعاقلٍ أنْ يؤذيَ محبوبَهُ ، فقيلَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : يؤذي الرجلُ نفسَهُ بعصيانِ ربِّهِ[2] .

وكانَ جعفرُ بنُ محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أخرجَهُ اللهُ مِنْ ذلِّ المعصيةِ أغناهُ بلا مالٍ ، وأعزَّهُ بلا عشيرةٍ ، وآنسَهُ بلا بَشَرٍ)[3] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (قلَّةُ العملِ الصالحِ معَ قلَّةِ الذنوبِ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ كثرةِ العملِ الصالحِ معَ كثرةِ الذنوبِ)[4] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (على قدرِ الخروجِ مِنَ الذنوبِ تكونُ الإفاقةُ للقلوبِ)[5] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (**مِنْ علامةِ مَنْ غرقَ في الذنوبِ** : عدمُ انشراحِ قلبِهِ لصيامِ النهارِ وقيامِ الليلِ) .

---

(١) رواه البخاري بنحوه (٢٧٥٣) ، ومسلم (٢٠٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٩٢٢) عن ابن عيينة عن بعض الحكماء .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨٤٩) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٨٨٣) من قول السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٥) أورده بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/١١٦) عن زوجة أحمد بن أبي الحواري ، واسمها رابعة الشامية .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأصحابِهِ : (قد غرقْنا في الذنوبِ ، ولو أنَّ أحدَكم يجدُ منِّي ريحَ الذنوبِ لَمَا استطاعَ أن يجلسَ إليَّ مِنْ نَتْنِ ريحي)[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (مساكينُ قتلةُ الحسينِ ، لو دخلوا الجنةَ بفضلِ اللهِ كيفَ يجرؤُ أحدُهم أنْ يمرَّ بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقد قتلوا ولدَهُ ؟! وواللهِ ؛ لو أنَّ لي مدخلاً في قتلِهِ وخُيِّرْتُ بينَ الجنةِ والنارِ . . لاخترْتُ دخولَ النارِ ؛ خوفاً أنْ ينظرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إليَّ في الجنةِ نظرةَ غضبٍ تؤذيني وتؤذيهِ)[2] .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو لم يكنْ في الطاعةِ إلا ظهورُ نورِ الوجهِ وبهاؤُهُ ، والمحبةُ في القلوبِ ، والقوةُ في الجوارحِ ، والأمنُ على النفسِ ، والتجويزُ للشهادةِ على الناسِ . . لكانَ في ذلكَ كفايةٌ في تركِ الذنوبِ ، ولو لم يكنْ في المعصيةِ إلا النَّكارةُ في الوجهِ ، والظلمةُ في القلبِ ، واللعنةُ في الذِّكرِ ، والإسقاطُ للشهادةِ ، والخوفُ على النفسِ . . لكانَ في ذلكَ كفايةٌ ، فجعلَ اللهُ تعالىٰ لكلٍّ مِنَ الطائعِ والعاصي أماراتٍ ؛

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٣٧) ، والدينوري في « المجالسة » (١٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤٩) .

(٢) روىٰ نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٢٣٦ـ ٢٣٧) .

وفي هامش (ج) : (**قلت** : نظرة الغضب إنما تُتصوَّر عن غلٍّ وحقد ، وهما لا يكونان في الجنة ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] ، كيف والنبي معصوم عن مثل ذلك في الدنيا والآخرة ؟! مع أنا لو فرضنا دخوله الجنة . . لا يكون بدون رضاه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحىٰ : ٥] ، والرضا والغضب لا يجتمعان . انتهىٰ) .

ليفرحَ الطائعُ ، ويحزنَ العاصي)[1] .

قلتُ : ولعلَّ المرادَ باللعنِ المذكورِ : السبُّ لهُ حالَ التعيينِ ، أو دخولهُ في عمومِ العصاةِ ؛ إذِ اللعنُ لمعيَّنٍ لا يجوزُ إلا بنصٍّ .

وكانَ عطاءٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج : ٣٠] : (حرماتُ اللهِ تعالىٰ : هي المعاصي ؛ يعظِّمُها حتىٰ لا يقعَ فيها)[2] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] قالَ : (كانَ يقولُ : أَوْهِ قبلَ الوقوعِ في النارِ ، أَوْهِ قبلَ أَلَّا ينفعَ أَوْهِ)[3] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (أبى اللهُ إلا أنْ يُذِلَّ مَنْ عصاهُ في الدنيا والآخرةِ بينَ الناسِ ، وما أذنبَ عبدٌ في الليلِ إلَّا وأصبحَ ومذلَّتُهُ علىٰ وجهِهِ)[4] .

وكان الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا يُغَادِرُ

---

(١) روىٰ نحوه مختصراً ابن أبي الدنيا في « التوبة » (١٩٣) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٢١٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٤٣٥٧) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٧٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٨) .

(٤) رواه بنحوه الطبري في « تاريخه » (١١/ ٦٣٨) ، وأورده بنحوه ابن كثير في « البداية والنهاية » (٩/ ٢٧٣) .

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] : (ضجُّوا مِنَ الصغائرِ قبلَ الكبائرِ)(١) .

وكانَ العوَّامُ بنُ حَوْشبٍ يقولُ : (**أربعٌ بعدَ الذنبِ شرٌّ مِنَ الذنبِ** : الاستصغارُ ، والاغترارُ بحلمِ اللهِ ، والإصرارُ ، والاستبشارُ بالمغفرةِ إذا عملَ بعدَهُ طاعةً ؛ فقد لا يغفرُهُ اللهُ بتلكَ الطاعةِ)(٢) .

وكانَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهما يقولُ : (مَنْ أطاعَ اللهَ فقد ذكرَهُ وإنْ قلَّتْ صلاتُهُ وصيامُهُ وتلاوتُهُ للقرآنِ ، ومَنْ عصاهُ فقد نسيَهُ)(٣) .

وكانَ يقولُ : (**مِنْ علامةِ العلماءِ العاملينَ** : ألَّا يوجدَ أحدُهم إلَّا في عملٍ صالحٍ)(٤) .

وسألَ أبو نواسٍ الشاعرُ سفيانَ بنَ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ : كيفَ يكتبُ الملكانِ ما همَّ بهِ العبدُ ولم يعملْ بهِ ؟ فقالَ : الملكانِ لا يعلمانِ الغيبَ ، ولـٰكنْ إذا همَّ العبدُ بحسنةٍ فاحَ منهُ رائحةُ المسكِ ؛ فيعلمانِ أنَّهُ قد همَّ بالحسنةِ ، وإذا همَّ بالسيئةِ فاحَ منهُ رائحةُ النَّتْنِ ؛ فيعلمانِ أنَّهُ قد همَّ بالسيئةِ(٥) .

ولعلَّ المرادَ بالهمِّ هنا : هو العزمُ المصمِّمُ ؛ ليوافقَ الأحاديثَ والقواعدَ الشرعيةَ .

---

(١) أورده الثعلبي في « تفسيره » (٦/ ١٧٥) .

(٢) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٧٢) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٠) من زيادات نعيم بن حماد ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٧) ، كلاهما عن خالد بن أبي عمران مرسلاً .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٣٤) من قول سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٨) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ : (إنَّ اللهَ أمرَ بالطاعةِ وأعانَ عليها ، ولم يجعلْ في تركِها عذراً ، ونهىٰ عنِ المعصيةِ ولم يجعلْ لِمَنْ فعلَها حجةً ، ولو أرادَ تعالىٰ ألَّا يُعصىٰ في الأرضِ أصلاً لَمَا كانَ خَلَقَ إبليسَ ؛ فإنَّهُ رأسُ الخطيئةِ)(١) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما أحبَّ المُتَّقونَ البقاءَ في هـٰذِهِ الدارِ إلَّا ليطيعوهُ فيها لا غيرُ)(٢) .

وكانَ يقولُ : (أدخلَهمُ اللهُ الجنةَ قبلَ أنْ يطيعوهُ ، وقدَّرَ عليهمُ المعصيةَ قبلَ أنْ يعصوهُ ؛ لِمَا سبقَ في علمِهِ تعالىٰ)(٣) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا ضحَّىٰ في العيدِ الأكبرِ يقولُ : (وعزَّتِكَ وجلالِكَ ؛ لو علمْتُ رضاكَ في ذبحِ نفسي لذبحْتُها لكَ) .

وكانَ بِشْرٌ الحافي رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ ولهم أعمالٌ صالحةٌ كالجبالِ ، ومعَ ذلكَ كانوا لا يغترُّونَ ، وأنتم لا أعمالَ لكم ، ومعَ ذلكَ تغترُّونَ ، واللهِ ؛ إنَّ أقوالَنا أقوالُ الزاهدينَ ، وأعمالَنا أعمالُ الجبابرةِ والمنافقينَ !) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا عصيْتَ ربَّكَ ليلاً وأصبحْتَ فرأيْتَ نعمتَهُ سابغةً عليكَ . . فاحذرْهُ ؛ فإنَّ ذلكَ استدراجٌ) .

---

(١) رواه بنحوه الفريابي في « القدر » (٣١٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/١٩٦ـ١٩٧) .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه**) ، والخبر رواه بنحوه ابن الأعرابي في « الزهد وصفة الزاهدين » (٤٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٤) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٥٧) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا السلفَ الصالحَ وهم يستعظمونَ صغارَ الذنوبِ أعظمَ ممَّا تستعظمونَ أنتم كبارَها) .

وقد مكثَ كَهْمَسُ بنُ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ أربعينَ سنةً يبكي علىٰ غسلِهِ يدَهُ بترابِ جارِهِ بغيرِ إذنِهِ[١] .

وربَّما كانَ أحدُكم يظنُّ أنَّ اللهَ تعالىٰ غفرَ لهُ ذنبَهُ حينَ يتقادمُ عهدُهُ ، وذلكَ غرورٌ .

وقد أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : بأيِّ طريقٍ وصلَ إليكم أنِّي قد غفرْتُ لأحدِكم ذنبَهُ حتىٰ يتركَ الندمَ عليهِ ؟! وعزَّتي وجلالي ؛ لأُوقفَنَّ كلَّ مذنبٍ علىٰ ذنبِهِ يومَ القيامةِ) انتهىٰ .

قلْتُ : **ولعلَّ المعنىٰ** : وقوفُ العبدِ عليها ؛ ليريَهُ اللهُ تعالىٰ فضلَهُ عليهِ ، فلا يلزمُ مِنْ ذلكَ عدمُ المغفرةِ ، واللهُ أعلمُ[٢] .

وقالَ يزيدُ الحِمْيَرِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : قلْتُ مرةً لراهبٍ : لِمَ آثرْتُم لبسَ السوادِ على البياضِ ؟ فقالَ : لأنَّهُ شعارُ أهلِ المصائبِ ، ونحنُ أهلُ ذنوبٍ ، وهي أعظمُ المصائبِ .

ومرَّ عُتْبَةُ الغلامُ يوماً علىٰ مكانٍ فارتعدَ ورشحَ عرقاً ، فقالوا لهُ في ذلكَ ،

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢١١) .

(٢) **يشهد لذلك** : ما رواه البخاري (٦٠٧٠) واللفظ له ، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « يدنو أحدكم من ربه حتىٰ يضع كنفه عليه ، فيقول : أعملتَ كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، ويقول : عملتَ كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، فيقرِّره ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، فأنا أغفرها لك اليوم » .

فقالَ : (إنَّهُ مكانٌ عصيتُ اللهَ فيهِ وأنا صغيرٌ)[1] .

وحجَّ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ ماشياً مِنَ البصرةِ ، فقالوا لهُ : ألا تركبُ ؟ فقالَ : أما يرضى العبدُ العاصي الآبقُ أنْ يأتيَ إلىٰ صلحِ مولاهُ إلا راكباً ؟! واللهِ ؛ لو أنِّي أتيتُ مكةَ على الجمرِ لكانَ ذلكَ قليلاً[2] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي وتأمَّلْ فيهِ ، وإيَّاكَ أنْ تتهاونَ بالاستغفارِ إذا تقادمَ عهدُ الذنبِ ؛ فإنَّكَ مِنَ المعصيةِ علىٰ يقينٍ ، ومِنَ المغفرةِ علىٰ شكٍّ ، وأكثرْ مِنَ الاستغفارِ ليلاً ونهاراً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٦١٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٢٢٨) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٢٣١) عن عمر الصوفي صاحب إبراهيم بن أدهم رحمهما الله تعالىٰ .

[كثرة الخوف من الله تعالى أن يعذبهم بالمظالم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الخوفِ مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يعذبَهم علىٰ ما جنوهُ مِنْ مظالمِ نفوسِهم ، ومظالمِ العبادِ ، ولو عُودَ خِلالٍ للأسنانِ ، أو إبرةً يَخيطونَ بها ، لا سيَّما إنْ كانَ أحدُهم يستقلُّ أعمالَهُ الصالحةَ في عينِهِ ؛ فإنَّهُ يشتدُّ خوفُهُ وكَرْبُهُ ؛ لعدمِ أنْ يكونَ معَهُ شيءٌ مِنَ الحسناتِ يعطي منها الخصومَ يومَ القيامةِ ، وربَّما شحَّ أحدُ المظلومينَ يومَ القيامةِ ؛ فلم يرضَ بجميعِ أعمالِ الظالمِ الصالحةِ في مظلمةٍ واحدةٍ مِنْ مالٍ أو عرضٍ أو لطمةٍ ؛ كما سيأتي في خُلُقِ تركِ الغِيبةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ(١) .

وفي الحديثِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَتَدْرُونَ مَنِ ٱلْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؟ » فقالوا : المفلسُ فينا مَنْ لا درهمَ لهُ ولا متاعَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَـٰذَا ، وَقَذَفَ هَـٰذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَـٰذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَـٰذَا ، وَضَرَبَ هَـٰذَا ، فَيُعْطَىٰ هَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُذِفَ فِي ٱلنَّارِ »(٢) .

---

(١) انظر (ص٥٢٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ أُنَيْسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ينادي ربُّ العزَّةِ يومَ القيامةِ : أنا الملكُ الديَّانُ ؛ لا ينبغي لأحدٍ مِنْ أهلِ النارِ أنْ يدخلَ النارَ ، ولا ينبغي لأحدٍ مِنْ أهلِ الجنةِ أنْ يدخلَ الجنةَ ولأحدٍ عندَهُ مظلمةٌ حتىٰ أقتصَّ لهُ منهُ)[1] .

وكانَ وَهْبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تابَ شابٌّ مِنْ بني إسرائيلَ عن جميعِ المعاصي ، ثمَّ صارَ يتعبَّدُ ، فعبدَ اللهَ سبعينَ سنةً ؛ لا يفطرُ ولا ينامُ ، ولا يستظلُّ بظلٍّ ، ولا يأكلُ سميناً ، فلمَّا ماتَ رُئِيَ بعدَ موتِهِ فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : حاسبَني ، ثمَّ غفرَ لي كلَّ ذنبٍ إلا عُوداً مِنْ خِلالٍ خلَّلْتُ بهِ أسناني بغيرِ إذنِ صاحبِهِ ، فأنا محبوسٌ عنِ الجنةِ بسببِهِ إلىٰ وقتي هـٰذا)[2] .

قلْتُ : ويؤيِّدُ ذلكَ حديثُ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ أَخْفَىٰ ثَلَاثاً فِي ثَلَاثٍ : أَخْفَىٰ رِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ ، وَأَخْفَىٰ سَخَطَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ ، وَأَخْفَىٰ أَوْلِيَاءَهُ فِي عِبَادِهِ . . . » الحديثَ[3] ، فربَّما علَّقَ الحقُّ تعالىٰ سخطَهُ علىٰ عبدٍ بوقوعِهِ في ذنبٍ صغيرٍ في عينِهِ ؛ كأخذِهِ الخِلالَ المذكورَ لأسنانِهِ ، أو غسلِ يدِهِ بترابِ جارِهِ بغيرِ إذنِهِ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ الحارثُ المحاسبيُّ يقولُ : تابَ كيَّالٌ عنِ الكيلِ ، وأقبلَ علىٰ

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٣/ ٤٩٥) مرفوعاً .

(٢) أورد نحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٣٢) .

(٣) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٢٠٧) من قول جعفر الصادق رحمه الله تعالىٰ ، ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٥٩) من قول ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

عبادةِ ربِّهِ ، فلمَّا ماتَ رآهُ بعضُ أصحابِهِ في منامِهِ فقالَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ يا فلانُ ؟ فقالَ : أحصىٰ عليَّ خمسةَ عشرَ قفيزاً مِنْ أنواعِ الحبوبِ التي كنْتُ أكتالُها ، فقالَ لهُ : كيفَ ذلكَ ؟ فقالَ : كنْتُ أغفلُ عن تعاهدِ الكيلِ بعدمِ النَّفْضِ مِنَ الغبارِ ، فتراكمَ في قعرِهِ شيءٌ مِنَ الترابِ ، فكانَ كلُّ كيلةٍ تنقصُ بقدرِ ما في القعرِ مِنَ الترابِ[1] .

قالَ : وكذلكَ وقعَ لشخصٍ كانَ لا يتعاهدُ الميزانَ بمسحِها مِنَ الغبارِ ، فكانَ يُعذَّبُ في قبرِهِ ، ويسمعُ الناسُ صياحَهُ في القبرِ حتىٰ شفعَ فيهِ بعضُ الصالحينَ .

وكانَ أبو ميسرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : بلغَنا أنَّهُ ضُرِبَ ميتٌ في قبرِهِ ضربةً التهبَ قبرُهُ منها ناراً ، فقالَ : علامَ تضربوني ؟ فقالوا لهُ : إنَّكَ مررْتَ علىٰ مظلومٍ فاستغاثَ بكَ فلم تغثْهُ ، وصلَّيْتَ مرةً بغيرِ وضوءٍ محقَّقٍ .

قلْتُ : هو حديثٌ رواهُ الطبرانيُّ وغيرُهُ ، واللهُ أعلمُ[2] .

وكانَ شريحٌ القاضي رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم والرِّشوةَ ؛ فإنَّها تعمي عينَ الحكيمِ) ، وفي روايةٍ : (فإنَّها تعمي عنِ الحكمِ الحقِّ)[3] .

---

(١) أورد نحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٣٢) عن غلامٍ لعبد الواحد بن زيد .

(٢) قوله : (قلت : . . . أعلم) : لَحْقٌ مصحح في (أ) وليس في سائر النسخ ، والخبر المذكور رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٠٥١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٤٤) من قول عمرو بن شرحبيل ؛ وهو أبو ميسرة ذاته رحمه الله تعالىٰ ، ورواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ٤٤٣) مرفوعاً من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أورده بنحوه الديلمي في « الفردوس » (٦٩٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله=

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ أحداً مِنَ الولاةِ أو أعوانِهم يتصدَّقُ على المساكينِ.. يقولُ لهُ: (أيُّها المتصدِّقُ على المساكينِ ليرحَمَهم؛ ارحمْ أنتَ الذي ظلمْتَهُ، ورُدَّ إليهِ ظُلامتَهُ؛ فإنَّهُ أخلصُ لذمتِكَ).

وكانَ مَيمونٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ: (مَنْ ظلمَ رجلاً مظلمةً ففاتَهُ أنْ يخرجَ مِنْ مظلمتِهِ.. فليستغفرْ لهُ دبرَ كلِّ صلاةٍ؛ فإنَّهُ يخرجُ مِنْ مظلمتِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ)[1].

وكانَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ: (**مِنِ اقترابِ الساعةِ**: أنْ يكونَ أمراءُ فجرةٌ، وعلماءُ فسقةٌ، وأمناءُ خونةٌ)[2].

وكانَ مَيمونُ بنُ مهرانَ يقولُ: إنَّ الرجلَ ليلعنُ نفسَهُ في الصلاةِ ولا يشعرُ، فقيلَ لهُ: كيفَ؟ فقالَ يقرأُ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وقد ظلمَ نفسَهُ بالمعاصي، وظلمَ الناسَ بأخذِ أموالِهم والوقوعِ في أعراضِهم[3].

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ: (إيَّاكم أنْ تكونوا أوصياءَ؛

= عنهما، ورواه الخليلي في « الفوائد » (١٧) من قول وهب بن منبه: (مكتوب في الإنجيل...) إلىٰ آخره.

(١) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٥٢٢).

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٨٨٦) عن سيدنا معاذ رضي الله عنه موقوفاً، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٥٨) مرفوعاً ضمن حديث طويل.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٠٧٨١)، وأورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٧٧).

فإنَّ الوصيَّ قد لا يقدرُ على العدلِ ولو بالغَ في التحرُّزِ)[١] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أمينُ الخائنِ خائنٌ ، وأمينُ العشَّارِ عشَّارٌ) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكَ أنْ تكونَ وصيّاً ؛ فإنَّ الموصيَ يريدُ أن يستصلحَ بكَ المالَ ، ويُفسِدَ عليكَ دينَكَ ، فكنْ علىٰ دينِ نفسِكَ أحرصَ منكَ علىٰ حفظِ مالِهِ) .

وكانَ أبو يوسفَ صاحبُ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (الدخولُ في الوصيةِ : أولُ مرةٍ غلطٌ ، والثانيةُ خيانةٌ)[٢] .

ورأىٰ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ رجلاً يظلمُ الناسَ في يومِ الجمعةِ ، فقالَ لهُ : (أما تخشىٰ مِنْ ظلمِ الناسِ في يومٍ تقومُ فيهِ القيامةُ ، وخُلِقَ فيهِ أبوكَ آدمُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ؟!)[٣] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أعانَ ظالماً علىٰ ظلمِهِ ، أو لقَّنَهُ حجَّةً يدحضُ بها حقَّ امرئٍ مسلمٍ[٤] .. فقد باءَ بغضبٍ مِنَ اللهِ)[٥] .

---

(١) انظر « حاشية ابن عابدين » (٦/ ٧٠٠) .

(٢) انظر « البحر الرائق » (٨/ ٥٢٢) .

(٣) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩/ ٣٢٨) .

(٤) في هامش (ج) : (**أي** : علمه حيلة يُبطل بها حقَّ مسلم ، **يقال** : دحضت الحجة ؛ **أي** : بطلت ، وتسمية الحيلة حجة لكونها علىٰ صورتها . انتهىٰ) .

(٥) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٧٧) ، وقد رواه بنحوه أبو داود (٣٥٩٨) ، وابن ماجه (٢٣٢٠) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ اللهَ تعالىٰ إذا أرادَ أنْ يُتحِفَ عبدَهُ سلَّطَ عليهِ مَنْ يظلمُهُ)[1] .

وفي الحديثِ : « مَنْ دَعَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ ٱنْتَصَرَ »[2] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو ظلمَني أحدٌ ولم أكافئْهُ كانَ أحبَّ إليَّ مِنْ تركِ زَنيةٍ)[3] .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما ظلمَ أحدٌ أحداً ، ولا أساءَ أحدٌ علىٰ أحدٍ حقيقةً ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت : ٤٦])[4] .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يخرجُ مِنَ الدنيا أقوامٌ أغنياءُ مِنْ كثرةِ الحسناتِ ، فيأتونَ يومَ القيامةِ مفاليسَ ؛ مِنْ أجلِ تبعاتِ الناسِ)[5] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لَأَنْ تلقى اللهَ تعالىٰ بسبعينَ ذنباً فيما بينَكَ وبينَهُ . . أهونُ عليكَ مِنْ أنْ تلقاهُ بذنبٍ واحدٍ فيما بينَكَ وبينَ العبادِ) انتهىٰ[6] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٧٤٢) .

(٢) رواه الترمذي (٣٥٥٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) **يشهد له** : ما رواه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٣٤) من سيرة بعض الصالحين .

(٤) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٣٧٨) .

(٥) أورده بنحوه القرطبي في « التذكرة » (ص٧٢٦) .

(٦) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٣٨٠) ، والقرطبي في « التذكرة » (ص٧٢٦) .

فتأمَّلْ يا أخي في خوفِ السلفِ ، واقتدِ بهم في ذلكَ ؛ **فإنَّكَ علىٰ شفيرِ** الهلاكِ[1] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[2] .

---

(١) في هامش (ج) : (**أي** : على طرف الهلاك ، مستعار من شفير النهر ؛ طرفه . انتهى) .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ مقابلة**) .

[كثرة الخوف من الله تعالى عند ذكر أهوال القيامة وسماع القرآن]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الخوفِ مِنَ اللهِ إذا ذكروا أهوالَ يومِ القيامةِ ، وكثرةُ الغشيانِ والصعقِ إذا سمعوا القرآنَ والذكرَ ، وقد قرأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يوماً : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۞ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢-١٣] ، وكانَ وراءَهُ حُمْرانُ بنُ أَعْيَنَ فخرَّ ميتاً[١] .

ودخلَ يزيدُ الرَّقاشيُّ رحمَهُ اللهُ علىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً ، فقالَ لهُ : عِظْني يا يزيدُ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّكَ أولُ خليفةٍ يموتُ ، فبكىٰ عمرُ ، فقالَ : زِدْني ، فقالَ لهُ : ليسَ بينكَ وبينَ أبيكَ آدمَ أبٌ حيٌّ ، فبكىٰ عمرُ وقالَ : زِدْني ، فقالَ : ليسَ بينَ الجنةِ والنارِ منزلةٌ أخرىٰ ، فسقطَ عمرُ مغشياً عليهِ[٢] .

وكانَ الحسنُ بنُ صالحٍ رضيَ اللهُ عنهُ يؤذِّنُ ، فقالَ مرةً : أشهدُ أنْ

---

(١) **حمران بن أعين** : تابعيٌّ من أهل الكوفة ، رُمي بالرفض ، واختُلف في توثيقه ، انظر « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم (٣/ ٢٦٥) ، و« المغني في الضعفاء » للذهبي (١/ ١٩١) ، والذي صعق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحديث مرسل رواه المروزي كما في « مختصر قيام الليل » للمقريزي (ص١٤٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٩) عن حمران بن أعين ، ولفظه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۞ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ فصعق) .

(٢) رواه بنحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٥٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٥/ ٧٤) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٦١٤) ، بلفظ : (لست أول خليفة يموت . . .) إلىٰ آخره ، **وهو أولىٰ** ، والله أعلم .

لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فغُشيَ عليهِ ، فحملوهُ ونزلوا بهِ مِنَ المنارةِ ، فصعدَ أخوهُ فأذَّنَ وصلَّىٰ بالناسِ والحسنُ في غشيتِهِ[(١)] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما رأيتُ أحداً أكثرَ خشوعاً مِنَ الحسنِ ؛ قامَ ليلةً إلى الصباحِ بسورةِ « عمَّ يتساءلونَ » يردِّدُها ويُغشىٰ عليهِ إلى الفجرِ ، ولم يُتِمَّ السورةَ ، وكانَ كلَّما غُشيَ عليهِ يجدِّدُ طهارتَهُ)[(٢)] .

ومرَّ داودُ الطائيُّ رحمَهُ اللهُ على امرأةٍ تبكي علىٰ قبرِ ميتٍ لها وتقولُ : (ليتَ شعري ! بأيِّ خدَّيكَ بدأَ الدودُ ؟!) ، فخرَّ مغشياً عليهِ[(٣)] .

وكانَتْ شَعْوانةُ العابدةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ في مناجاتِها : (إلـٰهي ؛ أنتَ أكرمُ الكرماءِ ، وسيدُ الساداتِ ، ورجاءُ المسلمينَ ، فأسأُلُكَ أنْ تغفرَ اليومَ لكلِّ مَنْ تعرَّضَ لمعصيتِكَ بعدَ معرفتِهِ بعقوبتِكَ) ، ثمَّ إنَّها تصرخُ وتقولُ : هاه ! ثمَّ يُغشىٰ عليها .

وقرأَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً : (إذا الشمسُ كورتْ) حتىٰ بلغَ : ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ١٠] ، فخرَّ مغشياً عليهِ ، وصارَ يضطربُ على الأرضِ ساعةً طويلةً[(٤)] .

---

(١) كان الحسن بن صالح رحمه الله تعالىٰ مشهوراً بكثرة الخوف والوجل والغشيان عند قراءة القرآن وذكر الله تعالىٰ ؛ كما روى الدينوري في « المجالسة » (٢٢٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/٣٢٨) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٢٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/٣٢٨) .

(٣) رواه بنحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٥٢٤) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/٦٠٦) ، ومحب الدين الطبري في « الرياض النضرة » (٢/٣٧٥) .

وسمعَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ قارئاً يقرأُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٢] ، فخرَّ مغشياً عليهِ ، ثمَّ حُملَ إلىٰ بيتِهِ ، ففاتَهُ الظهرُ والعصرُ والمغربُ والعشاءُ ، وكانَ هو الإمامَ في حارتِهِ ، وفي روايةٍ : أنَّ القارئَ كانَ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ(١) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (صلَّىٰ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ ركعتَينِ خلفَ المقامِ ، ثمَّ نظرَ إلى السماءِ ، فانقلبَ مغشياً عليهِ) ، قالَ الدارانيُّ : (وما فعلَ بهِ ذلكَ مجرَّدُ نظرِهِ إلى السماءِ ، وإنَّما ذلكَ مِنَ التفكُّرِ في أهوالِ يومِ القيامةِ)(٢) .

وكانَ وَهْبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ إبراهيمُ الخليلُ إذا ذكرَ خطيئتَهُ يُغشىٰ عليهِ ، ويُسمعُ اضطرابُ قلبِهِ مِنْ مسيرةِ ميلٍ ، فيقالُ لهُ : تفعلُ ذلكَ وأنتَ خليلُ اللهِ ؟! فيقولُ : إذا ذكرْتُ خطيئتي نسيتُ خُلَّتي)(٣) .

وصلَّى الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ الفجرَ يوماً ، فقرأَ بسورةِ (يسٓ) ، فلمَّا بلغَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يسٓ : ٥٣] . فسقطَ ابنُهُ عليٌّ مغشياً عليهِ(٤) ، فلم يُفِقْ حتىٰ طلعَتِ الشمسُ .

وكانَ ولدُهُ هـٰذا إذا أخذَ في سورةٍ لم يقدرْ أنْ يُتِمَّها ، وكانَ لا يقدرُ أنْ

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١١٠) .
(٢) رواه بنحوه أبو الشيخ الأصبهاني في « العظمة » (٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٧) .
(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢١٨) .
(٤) **الأولىٰ** : (سقط) ؛ فالفاء زائدة في جواب (فلما) .

يسمعَ سورةَ (إذا زلزلت) أوِ (القارعةِ) أبداً ، ولمَّا ماتَ ضحكَ أبوهُ الفضيلُ ، فقالوا لهُ في ذلكَ وكانَ كثيرَ الحزنِ ، فقالَ : (إنَّ اللهَ أحبَّ موتَهُ ، فأحببْتُ ذلكَ لحبِّ اللهِ)(١) .

وكانَ يقولُ لوالدِهِ : (ادعُ اللهَ تعالىٰ لي أنْ يُقْدِرَني علىٰ سماعِ سورةٍ كاملةٍ ، أو علىٰ ختمِ القرآنِ ولو مرةً قبلَ أنْ أموتَ) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ أحدُهم يقرأُ القرآنَ في الليلِ ، فيصبحُ فيعرفُ الناسُ ذلكَ في وجهِهِ مِنْ شدَّةِ التغيُّرِ والاصفرارِ والنُّحولِ والذُّبولِ ، فصارَ أحدُهمُ اليومَ يقرأُ القرآنَ كلَّهُ في الليلِ ، فلا يظهرُ علىٰ وجهِهِ منهُ شيءٌ ، وكأنَّهُ حملَ رداءَهُ)(٢) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ يقولُ : (سمعَ سلمانُ الفارسيُّ قارئاً يقرأُ : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٤٣] ، فصاحَ ووضعَ يدَهُ علىٰ رأسِهِ ، وخرجَ هائماً لا يدري أينَ يتوجَّهُ مدةَ ثلاثةِ أيامٍ)(٣) .

فتأمَّلْ يا أخي في أحوالِ سلفِكَ ، فهل غُشِيَ عليكَ قطُّ عندَ سماعِ كلامِ ربِّكَ خالصاً ، أم لم يُغْشَ عليكَ لا خالصاً ولا مرائياً ؛ لقساوةِ قلبِكَ ؟ فخذْ حذرَكَ ، وعليكَ بالجوعِ ؛ فإنَّهُ يُرِقُّ القلبَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله » (٩٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٠) .

(٢) في (د ، هـ) : (زاده) بدل (رداءه) .

(٣) رواه بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٧٠) ، وأورده بنحوه القرطبي في « التذكرة » (ص٨٣٥) .

[شدة الخوف في كل مرضة لاحتمال دنو الأجل]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : انخلاعُ قلوبهم مِنْ أجسامِهم في كلِّ مرضةٍ يمرضونَها ؛ لاحتمالِ أنْ تكونَ تلكَ المرضةُ آخرَ آجالِهم ؛ فلا يمكنُهمُ التوبةُ ، ولا تداركُ الحقوقِ ، فيذهبونَ إلى الآخرةِ وهم عصاةٌ ؛ كالعبدِ المجرمِ الذي فسقَ في حريمِ سيدِهِ ، وأتَوْهُ بهِ حالَ اشتدادِ غضبِهِ عليهِ ، وللهِ المثلُ الأعلىٰ .

ودخلَ أصحابُ حسانَ بنِ سنانٍ عليهِ في مرضِ موتِهِ ، فقالوا لهُ : كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : بخيرٍ إنْ نجوْتُ مِنَ النارِ ، فقيلَ لهُ : ما تشتهي ؟ فقالَ : ليلةً طويلةً أحييها بالصلاةِ والاستغفارِ قبلَ أنْ أموتَ(١) .

وسيأتي في هٰذا الكتابِ قولُ مالكِ بنِ دينارٍ : (دخلْتُ علىٰ جارٍ لي وهو في مرضِ موتِهِ ، وكانَ مسرفاً علىٰ نفسِهِ ، فقلْتُ لهُ : ألا تعاهدُ اللهَ تعالىٰ علىٰ أنَّكَ لا تعصيهِ ، فلعلَّكَ تموتُ علىٰ ذلكَ ؟!) ، وأنَّهُ سمعَ النداءَ مِنْ ناحيةِ البيتِ : (إنْ كانَ عهدُهُ مثلَ عهودِكَ التي تُعاهِدُنا عليها ثمَّ تنقضُها . . فلا فائدةَ فيهِ ، بل يزدادُ بهِ مقتاً وطرداً) ، وأنَّ مالكاً خرَّ مغشياً عليهِ(٢) .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (١٨٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١١٧) ، وفيهما : (حسان بن أبي سنان) بدل (حسان بن سنان) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٠١) ، وانظر (ص٦٣٨) .

وقالوا للربيعِ بنِ خُثَيْمٍ في مرضِ موتِهِ : ألا ندعو لكَ طبيباً ؟ فتفكَّرَ ساعةً ثمَّ قالَ : أينَ عادٌ وثمودُ وأصحابُ الرسِّ وقرونٌ بينَ ذلكَ كثيراً ؟! وكلّاً ضربنا لهُ الأمثالَ ، وكلّاً تبَّرْنا تتبيراً[١] ؛ معَ أنَّهم كانَ فيهمُ المعالجونَ والأطباءُ ، ومعَ ذلكَ ماتوا جميعاً ، ثمَّ قالَ : واللهِ ؛ لا أدعو لي طبيباً أبداً[٢] .

ودخلوا علىٰ مغيرةَ الخرَّازِ رضيَ اللهُ عنهُ في مرضِهِ ، فقالوا لهُ : كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : موقَراً بالذنوبِ[٣] ، فقالوا لهُ : هل تشتهي شيئاً ؟ فقالَ : نعم ، أنْ يمنَّ عليَّ بالتوبةِ مِنْ كلِّ ما يكرهُ قبلَ موتي[٤] .

ولمَّا مرضَ وهيبُ بنُ الوردِ أرسلَ إليهِ أميرُ مكةَ بطبيبٍ نصرانيٍّ ، فقالَ لهُ : ما تجدُ ؟ فقالَ : معاذَ اللهِ أنْ أخبرَكَ بما بي ، فقالَ لهُ القومُ : أخبرْنا ونحنُ نخبرُهُ ، فقالَ : سبحانَ اللهِ ! أينَ هٰذهِ العقولُ ؟! أتأمروني أنْ أشكوَ ربي إلىٰ عدوٍّ مِنْ أعدائِهِ ؟! قوموا عنِّي أجمعينَ .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : دخلْنا على الفضيلِ بنِ عياضٍ نعودُهُ ، فقالَ لنا : لو لم تجيئوا لكانَ أحبَّ إليَّ مِنْ مجيئِكم ، إنِّي أخافُ أن أشكوَ لكم ربِّي[٥] .

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۞ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨-٣٩] .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٨٩٤) .

(٣) قوله : (**موقراً**) ؛ أي : مثقلاً ، **والوِقْرُ** : الحمْلُ . انظر « المصباح المنير » (و ق ر) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٧٩) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٩٦) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : عُدْنا مرةً مريضاً ، فقلْنا لهُ : كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : أُخرِجْتُ إلى الدنيا وأنا راغمٌ ، وقد عشْتُ فيها وأنا ظالمٌ ، وأفارقُها وأنا نادمٌ .

ودخلَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ عطاءٍ [السَّليميِّ] وهو مريضٌ قد علاهُ الصَّفارُ والغبارُ ، فقالَ لهُ : يا عطاءُ ؛ لو خرجْتَ إلىٰ صحنِ الدارِ ، فقالَ : إنِّي أستحيي أنْ يراني ربي أسعىٰ في حظِّ نفسي[1] .

ولمَّا مرضَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ أتَوْهُ بطبيبٍ ، فنظرَ إليهِ الطبيبُ وقالَ : (هـٰذا رجلٌ قد قطعَ الخوفُ مِنَ اللهِ كبدَهُ ، فلا أقدرُ علىٰ دوائِهِ)[2] .

ولمَّا مرضَ أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ رضيَ اللهُ عنهُ دخلَ عليهِ طبيبٌ نصرانيٌّ ، فمنعَهُ أنْ يمسَّ يدَهُ ، فلمَّا قامَ النصرانيُّ أتبعَهُ أبو بكرٍ بصرَهُ ، ثمَّ قالَ : (يا ربِّ ؛ كما عافيتَني مِنْ بلائِهِ الذي هو الكفرُ فافعلْ بي ما شئْتَ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**قلَّ أنْ ينفكَّ مريضٌ مِنْ غيرِ الأكابرِ عن هـٰذهِ الأربعِ** : الطمعِ ، والكذبِ ، والشكوىٰ ، والرياءِ) .

وكانَ شدَّادُ بنُ حكيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا حُمَّ بالمرضِ يتصدَّقُ بمئةِ درهمٍ ؛ شكراً للهِ تعالىٰ على المرضِ .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ إذا مرضَ لا يتداوىٰ بإشارةِ

---

(١) رواه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٨٤٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٥٥) ، كلاهما بنحوه عن داود الطائي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٨) .

طبيبٍ ، وقالوا لهُ مرةً : ألا ندعو لكَ طبيباً ؟ فقالَ : واللهِ ؛ لو علمْتُ أنَّ شفائي في مسِّ أذني ما مَسِسْتُها ، نِعمَ ما يفعلُهُ ربي عزَّ وجلَّ[1] .

ولمَّا عادوا يحيى بنَ معاذٍ قالوا لهُ : كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : عشْتُ في الدنيا ظالماً[2] .

وقيلَ للإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ في مرضِهِ : كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : أصبحْتُ مِنَ الدنيا راحلاً ، ولسوءِ أعمالي ملاقِياً ، وعلىٰ فضلِ ربي معوِّلاً[3] .

ودخلَ بعضُ الأمراءِ علىٰ داودَ الطائيِّ في مرضِهِ ، فوضعَ إلىٰ جنبِهِ ألفَ دينارٍ ، فقالَ لهُ : خذْها عافاكَ اللهُ ، فقالَ لهُ : ألكَ حاجةٌ ؟ فقالَ : نعم ، ألَّا تأتيَني بعدَ اليومِ ، ثمَّ التفتَ إلى الحاضرينَ وقالَ : هٰذا يريدُ أنْ يزيدَني دنساً علىٰ دنسي قبلَ موتي[4] .

ودخلوا على الفضيلِ بنِ عياضٍ يعودونَهُ فقالوا لهُ : ما تشتهي ؟ قالَ : نظرةً إلىٰ أخي يوسفَ بنِ أَسْباطٍ قبلَ موتي[5] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ إذا رأىٰ بخيلاً يتصدَّقُ في مرضِ موتِهِ . . يقولُ : (اللهمَّ ؛ أَدِمْ مرضَهُ ؛ فإنَّهُ تكفيرٌ لخطاياهُ ، وأفضلُ للفقراءِ) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٧٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤٣) ، كلاهما بنحوه عن سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥١) .

(٣) رواه بنحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٥٧٥) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣١) .

(٥) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٩٦٣) .

وقالوا لمحمدِ بنِ سيرينَ في مرضِ موتِهِ : كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : أجدُني في بلاءٍ شديدٍ ؛ أجوعُ فلا أستطيعُ أنْ أشبعَ ، وأعطشُ فلا أستطيعُ أنْ أروىٰ ، وأرقدُ فلا أذوقُ الكَرىٰ ، قالوا : وكانَ قليلَ الشكوىٰ في مرضِهِ ، ولـٰكنَّهُ اشتدَّ عليهِ ، فلم يطقْ حملَهُ ، فشكا إلىٰ إخوانِهِ ليدعوا لهُ باللطفِ(١) .

ومرضَ الفضيلُ بنُ عياضٍ مرَّةً ، فقالوا لهُ : كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : بخيرٍ ، ولـٰكنِ ادعوا لي بطولِ المرضِ ؛ حتىٰ لا أرى الناسَ ولا يرَوْني(٢) .

ودخلوا علىٰ بكرِ بنِ عبدِ اللهِ يعودونَهُ ، فخرجَ إليهم يُهادىٰ بينَ رَجُلينِ(٣) ، فقالوا لهُ : ادعُ اللهَ لنا ، فقالَ : رحمَ اللهُ مَنِ اشتغلَ بطاعةِ ربِّهِ قبلَ أنْ يصيرَ إلىٰ مثلِ حالي هـٰذا(٤) .

ودخلوا على المأمونِ في مرضِهِ الذي ماتَ فيهِ ، فإذا هو قد أمرَ خُدَّامَهُ أنْ يفرشوا تحتَهُ جُلَّ الدابةِ ، ويبسطوا عليهِ الرمادَ ، وصارَ يتمرَّغُ عليهِ ، ويقولُ : (يا مَنْ لا يزولُ ملكُهُ ؛ ارحمْ مَنْ قد زالَ ملكُهُ)(٥) .

---

(١) روىٰ بعضَ ما ذُكر ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٣٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢٣٤) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٦) .

(٣) في هامش (ج) : (**خرج يُهادىٰ بين اثنين مُهاداة** بالبناء للمفعول ؛ أي : يمشي بينهما معتمداً عليهما لضعفه ، وقال الأزهري : وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه ، وتَهادىٰ تهادياً مبنياً للفاعل : إذا مشىٰ وحده مشياً غير قوي متمايلاً ، **وقد يقال** : تهادىٰ بين اثنين بالبناء للفاعل ، **ومعناه** : يعتمد هو عليهما في مشيه ، « المصباح المنير » [هـ د ي]) .

(٤) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٧٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٢٩) .

(٥) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص١٢٨) ، ورواه ابن أبي الدنيا في =

ودخلوا علىٰ عُتبةَ الغلامِ في مرضِ موتِهِ فقالوا لهُ : كيفَ تجدُكَ ؟ فأنشدَ يقولُ(١) : [من الطويل]

خَرَجْتُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَقَامَتْ قِيَامَتِي ... غَـدَاةَ يُقِـلُّ ٱلْحَـامِلُـونَ جِنَـازَتِـي
وَعَجَّلَ أَهْلِي حَفْرَ قَبْرِي وَصَيَّرُوا ... خُرُوجِي وَتَعْجِيلِي إِلَيْهِ كَرَامَتِي
كَأَنَّهُمُ لَمْ يَعْرِفُوا قطُّ صُورَتِي ... غَدَاةَ أَتَىٰ يَوْمِي عَلَيَّ وَسَاعَتِي

قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : ولمَّا طُعِنَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ دعا بلبنٍ ، فشربَ منهُ ، فخرجَ اللبنُ مِنْ طعنتِهِ ، فقالَ : اللهُ أكبرُ ، فجعلَ جلساؤُهُ يثنونَ عليهِ خيراً ، فقالَ : واللهِ ؛ لوددْتُ أنِّي خرجْتُ مِنَ الدنيا كفافاً كما دخلْتُ فيها ، ولو كانَ ليَ اليومَ جميعُ ما طلعَتْ عليهِ الشمسُ وما غربَتْ . . لافتديْتُ بهِ مِنْ هَولِ المُطَّلَعِ(٢) .

ولمَّا حضرَتْ سلمانَ الفارسيَّ الوفاةُ بكىٰ ، وقالَ : (إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد عهدَ إلينا وقالَ : « لِيَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا كَزَادِ ٱلرَّاكِبِ » ، وها أنا قد جمعْتُ هـٰذهِ الأمتعةَ) ، وأشارَ إليها ، فلمَّا ماتَ

= « المحتضرين » (١١٧) عن بعض الملوك .

(١) أورد الأبيات مع القصة عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٢١ـ١٢٢) عن عبد الله بن عتبة أنه قال : (عدت رجلاً مريضاً . . .) إلىٰ آخره .

(٢) رواه بنحوه أبو يعلىٰ في « المسند » (٢٧٣١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٩٠٥) .

وقوله : (**المُطَّلَع**) ؛ أي : مكان الاطلاع من موضع عالٍ ، **يريد به** : الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت ، ويجوز أن يُضبط بفتح الميم وسكون الطاء علىٰ وزان (مَصْعَد) . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير (٣/ ١٣٢ـ ١٣٣) .

قوَّموها بخمسةَ عشرَ درهماً[1] .

ولمَّا حضرَتْ إبراهيمَ النخعيَّ الوفاةُ بكىٰ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : إنِّي أنتظرُ رسولاً يأتيني مِنْ ربِّي لا أدري هل يبشِّرُني بالجنةِ أو بالنارِ ![2] .

ولمَّا حضرَتْ محمدَ بنَ المنكدرِ الوفاةُ بكىٰ ، فقيلَ لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : أبكي علىٰ ذنوبي التي رأيتُها في عيني هيِّنةً ، وهي عندَ اللهِ عظيمةٌ[3] .

ولمَّا حضرَتْ محمدَ بنَ سيرينَ الوفاةُ بكىٰ ، فقيلَ لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : أبكي علىٰ تفريطي في الأيامِ الخاليةِ ، وإدخالي للنارِ الحاميةِ[4] .

ولمَّا حضرَتْ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ الوفاةُ قالَ : (اللهمَّ ؛ إنِّي أذنبْتُ ؛ فإنْ غفرْتَ لي فقد مننْتَ ، وإنْ عذَّبْتَني فقد عدلْتَ وما ظلمْتَ ، لـٰكنِّي أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ) ، ثمَّ قضىٰ نحبَهُ رضيَ اللهُ عنهُ[5] .

ولمَّا حضرَتْ عامرَ بنَ قيسٍ الوفاةُ بكىٰ ، وقالَ : (إنِّي لم أبكِ جزَعاً مِنَ الموتِ ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولـٰكنِّي أبكي علىٰ عدمِ قضاءِ وَطَرِي مِنْ طاعةِ ربي ، وقيامِ الليلِ في الشتاءِ)[6] .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٥/٤٣٨) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٠٦) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٣٧) .

(٣) رواه بنحوه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/٦٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/٦٨) .

(٤) أورده بنحوه عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٣٣) .

(٥) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص١٢٨) .

(٦) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٧/١١١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٨٨) ، =

ولمَّا حضرَتْ عبدَ اللهِ بنَ المباركِ الوفاةُ قالَ لغلامِهِ : اجعلْ رأسي على الترابِ ، فبكى الغلامُ ، فقالَ لهُ : ما يبكيكَ ؟ قالَ : ذكرْتُ ما كنتَ فيهِ مِنَ النعيمِ ، وأنتَ هو ذا تموتُ علىٰ هـٰذا الحالِ ، فقالَ : إنِّي سألْتُ ربي أنْ أموتَ علىٰ هـٰذا الحالِ ، ثمَّ قالَ : لقنِّي يا أخي (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) إذا رأيتَ الحالَ تغيَّرَ عليَّ ، ولا تُعِدْ عليَّ ذلكَ إلا إنْ تكلَّمْتُ بعدَهُ بكلامٍ[1] .

وكانَ عطاءُ بنُ يسارٍ يقولُ : (وقفَ إبليسُ تجاهَ أحمدَ بنِ حنبلٍ[2] ، وقالَ : يا أحمدُ ؛ خرجْتَ مِنَ الدنيا وأنتَ آمِنٌ مني ، فقالَ لهُ : ما أمنْتُكَ بعدُ)[3] .

ودخلَ الحسنُ البصريُّ علىٰ رجلٍ وهو يجودُ بنفسِهِ[4] ، فقالَ : (إنَّ أمراً هـٰذا آخرُهُ لحقيقٌ أنْ يُزهدَ في أولِهِ)[5] .

= كلاهما بنحوه عن عامر بن عبد قيس التابعي الجليل رحمه الله تعالىٰ ، أما عامر بن قيس فهو أبو بردة الصحابيُّ رضي الله عنه ، **ولعلَّ الصواب** ما في مصادر التخريج ، والله أعلم .

(١) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة**) ، والخبر رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٨٧) .

(٢) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، ويبدو أن في العبارة سهواً ؛ إذ إن عطاء بن يسار رحمه الله تعالىٰ تابعيٌّ توفي سنة (١٠٣هـ) ، وولادة الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ كانت سنة (١٦٤هـ) .

(٣) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠٨) بلفظ : (تبدىٰ إبليس لرجل . . .) إلىٰ آخره ، وروى البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٢٦) عن عبد الله وصالح ابني أحمد بن حنبل يحكيان نحو ذلك عن أبيهما ، ولعل تلك الواقعة حصلت لرجل متقدِّم رواها ابن المبارك ، ثم وقع مثلها للإمام أحمد كما رواه البيهقي .

(٤) في هامش (ج) : (**جاد بنفسه** : سمح بها عند الموت ، « مصباح » [ج و د]) .

(٥) رواه بنحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٥٤٩) .

ولمَّا حضرَتْ أبا ذرٍّ الوفاةُ قالَ : (يا موتُ ؛ اخنُقْ وعجِّلْ ؛ فإنِّي أحبُّ لقاءَ اللهِ)[1] .

ودخلَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ على محتضَرٍ ، فوجدَهُ يقولُ : الحمدُ للهِ ، فقالَ لهُ : أصبْتَ يا أخي ، إنَّ اللهَ تعالىٰ إذا قضىٰ أمراً أحبَّ مِنْ عبدِهِ أنْ يحمدَهُ عليهِ .

ودخلَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ ولدٍ يجودُ بنفسِهِ ، وأبواهُ يبكيانِ عندَهُ ، فقالَ لهما : (لا تبكيا ؛ فإنِّي قادمٌ علىٰ مَنْ هو أرحمُ بي منكما)[2] .

ولمَّا حضرَتْ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ الوفاةُ قالَ : (اللهمَّ ؛ ارحمِ الشيخَ العاصيَ ، ذا القلبِ القاسي ، اللهمَّ ؛ أَقِلْ عثرتي ، واغفرْ زلَّتي ، وعدْ بحلمِكَ علىٰ جهلِ مَنْ لم يثقْ بأحدٍ سواكَ ، ولم يرجُ غيرَكَ) ، ثمَّ بكىٰ حتىٰ علا نحيبُهُ[3] .

ولمَّا حضرَتْ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ الوفاةُ . . نظرَ إلىٰ أولادِهِ وهم يبكونَ حولَهُ ، فقالَ : (قد جادَ لكم هشامٌ بالدنيا ، وجُدْتُم عليهِ بالبكاءِ ، وتركَ لكم ما جمعَ ، وتركْتُم عليهِ ما اجترمَ ، فما أعظمَ منقلَبَ هشامٍ إنْ لم يغفرِ اللهُ لهُ !)[4] .

---

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٤/٣٣٩) ، وابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٣٠٠) ، كلاهما بنحوه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٨٨) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن » (١١١) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٩٤) ، والدينوري في « المجالسة » (٣٠٨٧) .

ولمَّا حضرَتْ أبا هريرةَ الوفاةُ بكىٰ ، فقالوا لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : بُعدُ السفرِ ، وقلةُ الزادِ ، وضعفُ اليقينِ ، وخوفُ الوقوعِ مِنْ على الصراطِ في النارِ . انتهىٰ[١] .

فتأمَّلْ يا أخي نفسَكَ ؛ فإنَّكَ محتضَرٌ على الدوامِ ، ليسَ في يدِكَ نَفَسٌ واحدٌ يطلعُ أو ينزلُ ، وأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ ؛ فإنَّكَ علىٰ شفا جُرُفٍ هارٍ ، واللهُ يتولَّىٰ هُداكَ ، وهو يتولَّى الصالحينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢] .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٩٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٣٨٣) .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه نفع الله ببركاته**) .

[كثرة الاعتبار والبكاء عند رؤية الجنائز]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الاعتبارِ والبكاءِ والاهتمامِ بأمرِ الموتِ إذا رأَوْا جنازةً .

وقد كانَ أبو هريرة رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ أحداً يحملُ جنازةً .. يقولُ لها : (امضي إلىٰ ربِّكِ ؛ فإنَّا علىٰ أثرِكِ ماضونَ)[١] .

وكانَ مكحولٌ الدمشقيُّ يقولُ إذا رأىٰ جنازةً : (اغدوا ؛ فإنَّا رائحونَ ، موعظةٌ بليغةٌ ، وغفلةٌ شنيعةٌ ، يذهبُ الأولُ والآخرُ لم يعتبرْ) ، وكانَ يظلُّ كأنَّهُ لا عقلَ لهُ مدَّةَ أيامٍ[٢] .

وكانَ أسيدُ بنُ حُضيرٍ يقولُ : (ما حدَّثْتُ نفسي قطُّ عندَ رؤيةِ الجنازةِ إلا بما الميتُ صائرٌ إليهِ) ، وربَّما تركَ الأكلَ والشربَ والنومَ أياماً[٣] .

وخرجَ مرَّةً في جنازةٍ ، فلمَّا أدخلوا الميتَ القبرَ غُشيَ عليهِ ، فما رجعوا بهِ إلىٰ بيتِهِ إلا في النعشِ .

وخرجَ مالكُ بنُ دينارٍ في جنازةِ أخٍ لهُ ، فبكىٰ وقالَ : (واللهِ ؛ لا تقرُّ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٣) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢٠٤) ، ورواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦٦٦١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٣) ، كلاهما بنحوه من قول سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٤/ ٣٥٢) .

عيني حتىٰ أعلمَ ما صارَ إليهِ أخي)[1] .

وكانَ الأعمشُ يقولُ : (كنَّا نشهدُ الجنائزَ ولا نعرفُ مَنْ نعزِّي ؛ لأنَّ الحزنَ قد عمَّ الناسَ كلَّهم)[2] .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ يقولُ : (كنَّا نشهدُ الجنائزَ فلا نرىٰ إلا متلفِّعاً باكياً)[3] .

ومرَّ إبراهيمُ الزيَّاتُ علىٰ جماعةٍ يترحَّمونَ علىٰ ميتٍ ، فقالَ لهم : (خافوا علىٰ أنفسِكم خيرٌ لكم ؛ فإنَّ ميتَكم قد جاوزَ ثلاثاً ؛ رؤيةَ مَلَكِ الموتِ ، وذوقَ مرارةِ الموتِ ، وأَمِنَ مِنْ سوءِ الخاتمةِ)[4] .

وحضرَ عمرُ بنُ ذرٍّ جنازةَ رجلٍ كانَ مسرفاً علىٰ نفسِهِ ، وتحاشى الناسُ أنْ يحضروا جنازتَهُ مِنْ شدَّةِ إسرافِهِ ، فلمَّا دلَّوهُ في القبرِ قالَ لهُ عمرُ[5] : (رحمَكَ اللهُ يا فلانُ ، صحبْتَ عمرَكَ التوحيدَ[6] ، وعفرْتَ وجهَكَ

---

(١) أورده عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٥٣ـ ١٥٤) ، ورواه ابن عساكر في « تعزية المسلم » (٢٨) ، واسم أخيه : مَلْحان .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٢١٢٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٥٠) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٢) .

(٤) أورده عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١١٦) .

وفي هامش (ج) : (**أي** : من خوفه ؛ إذ لا يعود إلى الدنيا ، لا أن المراد أنه أمن حقيقة ؛ إذ هو غيب لا يعلمه إلا الله ، أو علىٰ طريق التفاؤل وحسن الظن بالمسلم ، وإلا فمن أين القطع بالأمن ؟!) .

(٥) في جميع النسخ ما عدا (د) : (عمرو) بدل (عمر) في الموضعين ، والمثبت هو **الصواب** ، وانظر « إكمال تهذيب الكمال » (١٠/ ٤٨) ، و« الإيثار بمعرفة رواة الآثار » (١/ ١٤٤) .

(٦) وقع في هامش (ج) : (**أي** : كنتَ مدةَ عمرك موحِّداً) .

بالترابِ ، وإنْ كانوا قالوا عليكَ[١] : إنَّكَ مذنبٌ كثيرُ الخطايا . . فمَنْ هو منَّا لم يذنبْ ولم يُخْطِ ؟ ![٢]) فبكىٰ مَنْ كانَ حاملاً للنعشِ[٣] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واعتبرْ كما اعتبرَ هـٰؤلاءِ ، وأكثِرْ مِنَ البكاءِ والنحيبِ ؛ فإنَّ بينَ يديكَ مِنَ الأهوالِ ما لا يوصَفُ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) في هامش (ج) : (عنك ؛ علىٰ أنه بمعنىٰ : عن) .

(٢) قوله : (يخط) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وأصلها : (يخطئ) فسُهِّلت الهمزة ياءً ثم دخل عليها الجازم ؛ فحذفت الياء للجزم .

(٣) أورده عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٦٢) .

[كثرة الحزن والهم عند ذكر الموت خوفاً من سوء الخاتمة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الحُزْنِ والهَمِّ كلَّما تذكَّروا الموتَ وسكراتِهِ ؛ خوفاً مِنْ سوءِ الخاتمةِ حتىٰ تتزلزلَ عقولُهم مِنْ شدَّةِ الألمِ[(١)] .

وقد كانَ كعبُ الأحبارِ يقولُ : (لمَّا أتى البشيرُ إلىٰ يعقوبَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ لهُ يعقوبُ : ما عندي شيءٌ أكافئُكَ بهِ ، ولٰكنْ هوَّنَ اللهُ عليكَ سكراتِ الموتِ)[(٢)] .

قلتُ : قد تقدَّمَ عن بعضِهم أنَّهُ كانَ يقولُ : (لا أحبُّ تخفيفَ طلوعِ روحي ، وإنَّما أحبُّ التشديدَ ؛ لأنَّهُ آخرُ عملٍ يُثابُ عليهِ المؤمنُ)[(٣)] ، فما هنا في حقِّ مَنْ يُخافُ عليهِ السخطُ إذا شُدِّدَ عليهِ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ يقولُ : (مَثَلُ الموتِ كشجرةِ الشوكِ أُدخلَتْ في جوفِ ابنِ آدمَ ، فأخذَتْ كلُّ شوكةٍ بعرقٍ ، ثمَّ اجتذبَها رجلٌ شديدُ الجذبِ ، فقطعَ ما قطعَ ، وأبقىٰ ما أبقىٰ)[(٤)] .

وكانَ سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رشحَ جبينُ المؤمنِ

---

(١) في (أ ، د) : (حين) بدل (حتىٰ) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٧/ ٢١٩٩) .

(٣) انظر (ص١٤٤) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٧٩٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٦٥) .

عندَ الموتِ ، وذرفَتْ عيناهُ ، وانتشرَ مَنْخِراهُ . . فهو في رحمةِ اللهِ قد نزلَ ، وإذا غطَّ غطيطَ البكرِ المخنوقِ ، وخمدَ لونُهُ ، وأزبدَتْ شفتاهُ . . فهو في عذابِ اللهِ قد نزلَ)(١) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا حضرَ قبْضَ روحِ أحدٍ مِنْ إخوانِهِ يمكثُ أياماً لا يذوقُ طعاماً ولا شراباً ، إنَّما هو البكاءُ والنحيبُ .

وكانَ يقولُ : (ثلاثةٌ لا ينبغي للمؤمنِ أنْ ينساهنَّ : فناءُ الدنيا ، وتصرُّمُ أحوالِها ، والموتُ)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا ذكروا بينَ يديهِ الموتَ لا ينتفعُ بهِ أحدٌ أياماً ، وإذا سألَهُ أحدٌ عن شيءٍ يقولُ : (لا أدري ، لا أدري)(٣) .

وكانَ شقيقٌ الزاهدُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قد خالفَ الناسُ السنةَ في أمورٍ ؛ قالوا : إنَّ اللهَ تعالىٰ تكفَّلَ بأرزاقِنا ، ثمَّ لم تطمئنَّ قلوبُهم إلا بشيءٍ يجمعونَهُ عندَهم ، وقالوا : إنَّ الآخرةَ خيرٌ مِنَ الأولىٰ ، ونراهُم يجمعونَ المالَ ولا ينفقونَهُ ، فكأنَّهم لم يدخلوا الدنيا إلا ليجمعوا الذنوبَ ، وقالوا : لا بدَّ لنا مِنَ الموتِ ، وهم يعملونَ أعمالَ مَنْ ليسَ علىٰ بالِهِ موتٌ)(٤) .

ولمَّا احتُضِرَ عطاءٌ [السَّليميُّ] نظرَ إلىٰ أصحابِهِ وهم يدعونَ لهُ بالتهوينِ ،

---

(١) رواه بنحوه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٥٤٠) مرفوعاً ، وانظر « التدوين في أخبار قزوين » للرافعي (١/ ٤٩٨) .

(٢) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٣) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٧) .

(٤) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٠) .

فقالَ : (كفُّوا عنِ الدعاءِ ، فواللهِ ؛ إنِّي أودُّ أنَّ روحي تتردَّدُ بينَ لَهاتي وحَنْجرتي إلىٰ يومِ القيامةِ ؛ خوفاً ممَّا أهجمُ عليهِ بعدَ الموتِ)[1] .

وكانَ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ إلى الأرضِ بعدَ أهلِها . . فلينظرْ إلىٰ منازلِ الحُجَّاجِ حينَ يرتحلونَ عنها) .

وأنشدَ أبو العتاهيةِ[2] : [من الكامل]

نَفْنَىٰ وَتَبْقَى ٱلْأَرْضُ بَعْدُ كَمِثْلِ مَا ... يَبْقَى ٱلْمُنَاخُ وَتَرْحَلُ ٱلرُّكْبَانُ

وكانَ الحسنُ بنُ عمرانَ يقولُ : (الموتُ أشدُّ مِنْ نشرِ المناشيرِ ، ومِنْ طبخٍ بالقدورِ ، ولو أنَّ ألمَ شعرةٍ واحدةٍ مِنَ الميتِ وُضعَ علىٰ أهلِ الدنيا لوجدوا مِنْ ذلكَ ألماً يَشغَلُهم عنِ الأكلِ والشربِ)[3] .

ومرَّ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما علىٰ بابِ دارٍ فقالَ : ما لي أرىٰ هـٰذهِ الدارَ ساكتةً بعدَ أنْ كانَتْ ناطقةً ؟! فأجابَتْهُ امرأةٌ مِنْ وراءِ البابِ : قد صارَ أهلُها يتامىٰ وأيامىٰ ، فبكى الحسنُ حتىٰ بلَّ لحيتَهُ .

ولمَّا طُعنَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالوا لهُ : إنَّا لنرجو ألا تمسَّكَ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٢٠٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢٤) .

(٢) أورد البيت المقَّري في « نفح الطيب » (٤/ ٣١٧) ضمن مقطوعة للإلبيري الغرناطي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٤١٦) ، وأورده عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١١٣) ، كلاهما بنحوه من قول شداد بن أوس رحمه الله تعالىٰ .

النارُ ، فقالَ : واللهِ ؛ إنَّكم لجاهلونَ ؛ إنِّي لأخشىٰ أنْ أصيرَ فحمةً مِنْ فحمِ جهنمَ[1] .

ودخلَ عليهِ جماعةٌ وهوَ مطعونٌ فقالوا لهُ : استخلفْ ولدَكَ عبدَ اللهِ بعدَكَ ؛ فإنَّهُ عبدٌ صالحٌ ، فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : أَمَا يكفي واحدٌ مِنْ آلِ الخطابِ يأتي يومَ القيامةِ ويداهُ مغلولتانِ إلىٰ عنقِهِ ؟![2] .

وكانَ ابنُ أبي مليكةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا قُبضَ الخليلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ رآهُ بعضُ ولدِهِ ، فقالَ : يا أبتِ ؛ كيفَ وجدْتَ الموتَ ؟ فقالَ إبراهيمُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : وجدْتُ نفسي كأنَّها تُنزَعُ بالسلاسلِ ، وقد سألَني ربي عن ذلكَ فأجبْتُهُ بهٰذا ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : أما إنَّا قد هوَّنَّاهُ عليكَ)[3] .

وكانَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا جاءَ ملكُ الموتِ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ليقبضَ روحَهُ .. قالَ : يا موسىٰ ؛ أشربْتَ خمراً اليومَ ؟ فقالَ : سبحانَ اللهِ ! إنِّي صائمٌ ، فاستنكهَهُ فقبضَ روحَهُ في نكهتِهِ ، فقيلَ لهُ بعدَ موتِهِ : كيفَ وجدْتَ الموتَ يا موسىٰ ؟ فقالَ : كشاةٍ يُسلخُ جلدُها وهي حيةٌ)[4] .

---

(١) رواه بنحوه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٣٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٦٥) .

(٢) رواه بنحوه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٣) ، والإمام أحمد في « فضائل الصحابة » (٣٧٩) .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٤١٠) ، والدينوري في « المجالسة » (٣٩) .

(٤) أورده بنحوه القرطبي في « التذكرة » (ص١٥٢) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ يقولُ : (تمنَّوُا الموتَ في هـٰذهِ الدارِ جهدَكم قبلَ أنْ تصيروا إلىٰ دارٍ تتمنَّوْنَ الموتَ فيها ؛ فلا تُجابونَ) ؛ **يعني** : النارَ[١] .

وكانَ ابنُ سيرينَ إذا ذكروا الموتَ عندَهُ ماتَ كلُّ عضوٍ منهُ[٢] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا أحيا عيسى بنُ مريمَ سامَ بنَ نوحٍ قالَ لهُ عيسىٰ : مُذْ كم أنتَ ميتٌ ؟ قالَ : منذُ أربعةِ آلافِ سنةٍ ، قالَ : كيفَ وجدْتَ الموتَ ؟ قالَ : إلى الآنَ لم تذهبْ عني سكرتُهُ ولا حرارتُهُ)[٣] .

وقيلَ لرابعةَ العدويةِ : أتحبينَ الموتَ ؟ فقالَتْ : لو عصيْتُ آدمياً ما أحببْتُ لقاءَهُ خجلاً منهُ ، فكيفَ وقد عصيْتُ ربي عزَّ وجلَّ ؟![٤] .

وسمعَ يحيى بنُ معاذٍ نائحةً في دارِ رجلٍ مِنَ الأغنياءِ ، فقالَ : (ويحَ المغترِّينَ بالدنيا ! إلىٰ متىٰ يسمعونَ صيحةَ الآخرةِ في دورِهم فلا ينتبهونَ ؟!) .

وكانَ حامدٌ اللفَّافُ يقولُ : (**مَنْ أكثرَ ذكرَ الموتِ أُكرمَ بثلاثةِ أشياءَ** : تعجيلِ التوبةِ ، وقناعةِ النفسِ ، والنشاطِ في العبادةِ)[٥] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١١٢) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » (٣٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٧٢) .

(٣) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤١) ولم ينسبه .

(٤) رواه عبد الجبار الخولاني في « تاريخ داريا » (ص ١٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦/ ١٣٥) ، كلاهما بنحوه من قول أم هارون الخراسانية رحمها الله تعالىٰ .

(٥) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤١) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٦٦) من قول يحيى بن معاذ رحمه الله تعالىٰ .

وقالَ وهبُ بنُ منبِّهٍ : (لمَّا ماتَ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ جالَتِ الملائكةُ في السماواتِ بعضُهم إلىٰ بعضٍ واضعي أيديهم علىٰ خدودِهم وهم يقولونَ : ماتَ موسىٰ كليمُ اللهِ ! فأيُّ الخلقِ لا يموتُ ؟!)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يموتُ عبدٌ حتىٰ يرى الملكَينِ الكاتبَينِ ، فإنْ كانَ صحبَهما بخيرٍ قالا لهُ : جزاكَ اللهُ مِنْ صاحبٍ خيراً ، فنعمَ الصاحبُ لنا كنْتَ ؛ فكم أحضرْتَنا معكَ في مجالسِ الخيرِ ، وكم شمِمْنا منكَ الروائحَ الطيبةَ حالَ طاعتِكَ الخالصةِ ، وإنْ كانَ قد صحبَهما بسوءٍ قالا لهُ : لا جزاكَ اللهُ عنا مِنْ صاحبٍ خيراً ؛ فكم أحضرْتَنا معَكَ حالَ معاصيكَ ، وكم شمِمْنا منكَ رائحةَ النَّتْنِ)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يقدرُ علىٰ رضا اللهِ إلا مَنْ يعلمُ أنَّ اللهَ تعالىٰ يراهُ على الدوامِ) انتهىٰ .

قلْتُ : قد ذكرَ المحققونَ أنَّ مراقبةَ اللهِ تعالىٰ معَ الأنفاسِ . . ليستْ مِنْ مقدورِ البشرِ ، فليُتأمَّلْ ما هنا .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (ما استعدَّ للموتِ مَنْ ظنَّ أنَّهُ يعيشُ غداً) .

وكانَ يقولُ : (الطاعاتُ تتفرَّعُ مِنْ ذكرِ الموتِ ، والمعاصي تتفرَّعُ مِنْ نسيانِهِ)[3] .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٨٦) من قول ثابت رحمه الله تعالىٰ .
(٢) أورده بنحوه عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٣٨) .
(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٨٢) .

فاعلمْ يا أخي ذلكَ ، وعليكَ بالوحدةِ ، ومجالسةِ العُبَّادِ والزُّهَّادِ والعلماءِ العاملينَ ، وإياكَ ومجالسةَ الغافلينَ والراغبينَ ؛ فإنَّ مخالطتَهم ظلمةٌ على القلبِ ، وحجابٌ عن شهودِ أهوالِ يومِ القيامةِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[النظر إلى الدنيا بعين الاعتبار لا المحبة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : النظرُ إلى الدنيا بعينِ الاعتبارِ لا بعينِ المحبةِ لها ولشهواتِها ؛ كما قد درجَ عليهِ جمهورُ السلفِ الصالحِ رضيَ اللهُ عنهم .

وقد جاءَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ يوماً إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لهُ : « أَيْنَ كُنْتَ يَا سَعْدُ ؟ » فقالَ : كنْتُ عندَ قومٍ في الباديةِ هِمَّتُهم لذّاتُ بطونِهم وفروجِهم ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ؟ » فقالَ : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « مَنْ عَرَفَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلَّذِي أَنْكَرْتَهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ فَعَلَ كَفِعْلِهِمْ »(١) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أعملَ الفكرةَ والعِبرةَ في الدنيا لم يَنقصْ لهُ عملٌ صالحٌ) .

وقيلَ لحاتمٍ الأصمِّ : متىٰ يكونُ أحدُنا مِنْ أهلِ الاعتبارِ في الدنيا ؟ فقالَ : إذا رأىٰ كلَّ شيءٍ في الدنيا عاقبتَهُ إلى الخرابِ ، وصاحبَهُ يذهبُ إلى الترابِ .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (ليكنْ نظرُكَ إلى الدنيا اعتباراً ، وسعيُكَ

---

(١) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٤) من زيادات نعيم بن حماد ، وفيه : (سعد بن معاذ) بدل (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنهما .

لها اضطراراً ، ورفضُكَ لها اختياراً)[1] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ خرجَتْ مِنْ دارِهِ جنازةٌ ولم يعتبرْ لها . . لم ينفعْهُ علمٌ ولا حكمةٌ ولا موعظةٌ) .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**تَعجَبُ الأرضُ مِنْ رجلَينِ** : ممَّنْ يمهِّدُ مضجعَهُ للنومِ ويوطِّئُ فراشَهُ ؛ تقولُ لهُ الأرضُ : يا بنَ آدمَ ؛ لِمَ لا تذكرُ طولَ بِلاكَ فيَّ بلا فرشٍ ؟! وتعجبُ ممَّنْ تشاجرَ معَ أخيهِ في قطعةٍ منها ؛ تقولُ لهُ الأرضُ : لِمَ لا تتفكَّرُ في أربابِها قبلَكَ ؟! فكم مضىٰ مِنَ الناسِ رجلٌ ملكَها ولم يقمْ فيها !)[2] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلُّ مَنْ لم يعتبرْ ببصرِهِ وبصيرتِهِ مِنْ هٰذهِ الدارِ إلى الدارِ الآخرةِ . . فهو محجوبُ القلبِ ، قليلُ العملِ)[3] .

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ إبراهيمُ التيميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يبولُ في صحنِ دارِهِ ، فخرجَ ليلةً مِنْ حجرتِهِ ليبولَ فيهِ ، فلم يزلْ شاخصاً إلى الصباحِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : لمَّا أردْتُ أنْ أبولَ تذكرْتُ أهلَ النارِ وما هم فيهِ ، فلم يزالوا يُعرَضونَ عليَّ بسلاسلِهم وقيودِهم إلى

---

(١) أورده السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٣٩٦) من قول مظفر القرميسيني رحمه الله تعالىٰ ، وذكره الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٢٢٠) من قوله رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٤٤٥) ، وعبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٦) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٠) .

الصباحِ ، فلم يأخذْني نومٌ)[1] .

وكانَتْ فاطمةُ امرأةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ تقولُ : (واللهِ ؛ ما سُمَّ عمرُ ولا قُتلَ كما قيلَ ، وإنَّما ماتَ في خشيةِ اللهِ وخوفِ النارِ)[2] .

وكانَ ثابتُ البُنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مرَّ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بتنُّورٍ يوقَدُ ، فتذكَّرَ النارَ الكبرىٰ ، فاضطربَ وصَعِقَ ، وكادَتْ تتخلَّصُ أعضاؤُهُ وأوصالُهُ ، فكانوا يشدُّونَها بالحبالِ حتىٰ يقدرَ علىٰ أن يحرِّكَها ، فلا تزالُ كذلكَ مشدودةً أياماً)[3] .

وكان رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في يومِ الحرِّ : (إلٰهي ؛ لا صبرَ لنا علىٰ حرِّ شمسِكَ ، فكيفَ نصبرُ علىٰ حرِّ نارِكَ ؟!)[4] .

وكانَ يزيدُ بنُ مَرْثَدٍ لا تزالُ عيناهُ تَهمُلانِ بالدموعِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (لو وعدَني اللهُ تعالىٰ علىٰ أنْ يدخلَني ماءَ الحمَّامِ إنْ عصيتُهُ لكانَ يحقُّ لي أنْ أبكيَ الدمَ ، فكيفَ وقد وعدَ مَنْ عصاهُ أنْ يحرقَهُ بالنارِ ؟!)[5] .

ومرَّ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ علىٰ مقبرةٍ ، فسمعَ قائلاً يقولُ : (كمْ

---

(١) أورد نحوه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٣/٣٢٧) عن عطاء السليمي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٢٣٦) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٦٠ ، ٣٦١) .

(٤) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٦٨) .

(٥) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٤٨١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/١٦٤) .
وفي هامش (ج) : (**الوعد** : يستعمل في الخير والشرِّ ، وهنا تمحضت للأخير بقرينة المقام . انتهىٰ) .

مِنْ بدنٍ صحيحٍ ، ووجهٍ مليحٍ ، ولسانٍ فصيحٍ ، بينَ أطباقِ الثرىٰ يصيحُ !)[١] .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ يقولُ : (ما رأيتُ أسخفَ مِنْ عقولِنا ؛ نؤثِرُ الظلَّ على الشمسِ ، ولا نؤثِرُ الجنةَ على النارِ !) انتهىٰ[٢] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واجعلْ نظرَكَ للوجودِ عبرةً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٣] .

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٥٩٩) من قول سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

(٢) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٥٩٩) .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه نفع الله ببركاته**) .

[تحذير الناس ألّا يتبعوا الأفعال الرديئة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تحذيرُهم للنَّاسِ ألا يتَّبعوهم على أفعالِهمُ الرديئةِ التي ربَّما تقعُ منهم في غفلةٍ أو سهوٍ ؛ نصحاً للعبادِ في حياتِهم ، وبعدَ مماتِهم ؛ لئلا يلحقَهمُ الإثمُ بسببِ مَنِ اتبعَهم على تلكَ الصفاتِ الرديئةِ .

وقد بلغَنا : أنَّ السيلَ كشفَ عن قبرٍ أيامَ إسكندرَ ذي القرنَينِ مِنْ ذهبٍ ؛ طولُهُ عشرةُ أذرعٍ ، وعرضُهُ خمسةُ أذرعٍ ، وثخانتُهُ ثلاثةُ أذرعٍ ، ولهُ غطاءٌ محكمٌ طولُهُ وثخانتُهُ وعرضُهُ كذلكَ ، فكشفوا الغطاءَ ، فإذا في ذلكَ القبرِ شخصٌ نائمٌ على سريرٍ قوائمُهُ مِنْ ذهبٍ ، وهو مغطىً بالحريرِ ، وفي عنقِهِ لوحٌ مِنْ زبرجدٍ مكتوبٌ فيهِ : باسمِ واجبِ الوجودِ وعلةِ العللِ ، كلُّ ما لهُ ابتداءٌ فلهُ انتهاءٌ ، قد ملكْتُ الربعَ المسكونَ مِنَ الدنيا ألفَ سنةٍ ، وبلغَ خراجي كلَّ يومٍ زنةَ قبري هـٰذا ذهباً ، وسُخرَ لي الشمسُ والقمرُ والأفلاكُ ، وأطاعَني الريحُ والماءُ والنارُ والحديدُ ، ثمَّ صَعِدْتُ إلى الجوِّ العلويِّ ، وتركْتُ هـٰذا الجسدَ بينَكم يتلاشى ؛ ليعتبرَ بهِ مَنْ بعدي ، فلا مخلوقَ إلا سيفنى ، والباقي اللهُ ربُّ العالمينَ ، ذكرَهُ الغزاليُّ(١) .

ففي ذلكَ تحذيرُ هـٰذا الملكِ الناسَ مِنْ أنْ يتَّبعوهُ في الغفلةِ عنِ الموتِ ؛ اشتغالاً بالدنيا .

---

(١) أورد نحوه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص١٠٣ـ١٠٤) .

وكانَ وَهْبُ بنُ منبِّه رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دخلَ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ غاراً مِنْ غِيرانِ بيتِ المقدسِ فإذا فيهِ سريرٌ عليهِ رجلٌ ميتٌ ، وعندَ رأسِهِ لوحٌ مكتوبٌ فيهِ : أنا فلانٌ الملكُ ، ملكْتُ الدنيا ألفَ عامٍ ، وتزوجْتُ ألفَ بكرٍ ، وبنيْتُ ألفَ مدينةٍ ، وهزمْتُ ألفَ جيشٍ ، وهاذا مصرعي ، فاعتبروا بي يا أهلَ الدنيا)[1] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كم أرادَ عدوُّ الإنسانِ أنْ يضرَّهُ ، فيصرفُهُ اللهُ عنهُ ، وهو لا يشعرُ !) ، ثمَّ يقرأُ قولَهُ تعالى : ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ [المائدة : ١١] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتىٰ يكونَ سماعُ الشعرِ أحبَّ إلى الناسِ مِنْ سماعِ القرآنِ) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (عجبْتُ مِنْ أقوامٍ يعيبونَ على الصالحينَ المباحَ ، ولم يعيبوا علىٰ أنفسِهمُ الذنوبَ القِباحَ ! فترىٰ أحدَهم يقعُ في الغيبةِ والنميمةِ ، والحسدِ والحقدِ والغلِّ ، والكبرِ والعُجبِ ، ولا يستغفرُ مِنْ ذلكَ ، ثمَّ ينكرُ على الصالحينَ لُبسَ أحدِهمُ الثوبَ المباحَ ، أو أكلَ الحلاوةِ والسُّكَّرِ المباحِ) .

وكانَ أبو حمزةَ البغداديُّ يقولُ : (لا تنظروا لشكرِ العامةِ في العلماءِ إذا ماتوا ، ولـٰكنِ انظروا إلىٰ شكرِ الزهَّادِ والعبَّادِ لهم) .

---

(١) أورده بنحوه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٩٠) .

وقالَ صالحٌ المريُّ يوماً : مَنْ أدمنَ قرعَ البابِ يوشكُ أنْ يُفتحَ لهُ ، فقالَتْ لهُ امرأةٌ : وهل أغلقَ بابَهُ تعالىٰ قطُّ ؟! فقالَ صالحٌ : امرأةٌ عقلَتْ ، وشيخٌ جهلَ[١] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (لا يسبُّ النبيَّ أوِ الصالحَ إلا أهلُ مدينتِهِ أو جيرانُهُ ؛ لأنَّهُ ينصحُهم ، فيكرهونَهُ ويسبُّونَهُ)[٢] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأيتَ العالِمَ في مكانٍ مِنَ الأماكنِ التي تَزْري بهِ فلا تعجِّلْ باللَّومِ عليهِ ، فربَّما كانَ أعذرَ منكَ في حضورِهِ ، وأقلَّ لوماً منكَ علىٰ لومِكَ) .

قلْتُ : وسيأتي في هـٰذا الكتابِ أنَّ مِنَ الصالحينَ مَنْ لا يفارقُ مواضعَ المعاصي ؛ ليشفعَ في أهلِها ، ويحوطَهم مِنْ أنْ ينزلَ عليهم بلاءٌ ، فلا ينبغي المبادرةُ بالإنكارِ عليهِ إلا بعدَ الفحصِ عن حالِهِ ، واللهُ أعلمُ[٣] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا صادفَتِ النفسُ مالاً فقد صادفَ الذئبُ غنماً في البرِّيةِ)[٤] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تجعلوا عبادتَهُ تعالىٰ بلاءً

---

(١) رواه بنحوه السلمي في « عيوب النفس » (ص٦) .

(٢) أورده بنحوه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٢٥٤) .

(٣) انظر (ص٣١٩ ، ٣٢٩) .

(٤) روى الترمذي (٢٣٧٦) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٧٩٦) من حديث سيدنا كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم . . بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

عليكم ، فقيلَ : كيفَ ذلكَ ؟ فقالَ : يؤَقِّتُ أحدُكم على نفسِهِ العملَ ثمَّ لا يفي بهِ)[1] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (كلُّ كلامٍ يرجعُ معناهُ إلىٰ أنَّ الآخرةَ خيرٌ مِنَ الدنيا ، ولا ينبغي لأحدٍ أنْ يشكَّ في ذلكَ) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ يقولُ : (مَنْ أحبَّ الدرهمَ لذاتِهِ فقد أحبَّهُ للدنيا ، ومَنْ أحبَّهُ للإنفاقِ والثوابِ فقد أحبَّهُ للآخرةِ) .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وقُلِ : اللهمَّ ؛ لا تجعلْنا عبرةً لغيرِنا ، وبصِّرْنا بعيوبِنا ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٣٢) .

[تحقير النفوس واتهامها بالتقصير]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : رؤيتُهم نفوسَهم أنَّهم مِنْ أفسقِ الناسِ ، وأنَّ مثلَهم لا يستحقُّ أنْ يجيبَ اللهُ لهُ دعاءً ؛ ولذلكَ كانَ أحدُهم يمتنعُ مِنْ أنْ يخرجَ معَ الناسِ للاستسقاءِ أو دفعِ الوباءِ .

وقد كانَ سعيدُ بنُ جبيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : قُحِطَ الناسُ في زمانِ ملكٍ مِنْ ملوكِ بني إسرائيلَ ، فاستسقَوا ، فلم يُسقَوا ، فقالَ الملكُ : إنْ لم يرسلِ اللهُ علينا السماءَ وإلا آذيتُهُ[١] ، فقيلَ لهُ : كيفَ تقدرُ أنْ تؤذيَهُ وهو في السماءِ[٢] ؟! قالَ : أقتلُ أولياءَهُ وأهلَ طاعتِهِ ، فيكونُ ذلكَ لهُ أذىً ، قالَ : فأرسلَ اللهُ تعالىٰ عليهمُ السماءَ فضلاً منهُ وحلماً[٣] .

وقالوا لمالكِ بنِ دينارٍ يوماً : ألا تخرجُ معَنا للاستسقاءِ ؟ فقالَ : أخافُ أنْ تمطرَ عليكم حجارةً لأجلي[٤] .

---

(١) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، **ولعل الصواب** : (إن أرسل) بدل (إن لم يرسل) .

(٢) في هامش (ج) : (**أي** : في السماء أمره أو قضاؤه ؛ **يعني** : من كان بهـٰذه المثابة في القدرة والسلطنة كيف تقدر علىٰ أذاه . . . ؟! **والأولىٰ** : أنه يُحمل علىٰ زعمهم كما ذكره القاضي في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الملك : ١٦] ، والله أعلم . انتهىٰ) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٨٢).

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٧٢٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٠٤٤) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّكم تستبطئونَ المطرَ ، وأنا أستبطئُ الحجرَ)[١] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : خرجَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يستسقي ، فضجرَ ولم يُسْقَ[٢] ، فقالَ للحاضرينَ : مَنْ أذنبَ منكم ذنباً فليرجعْ ، فرجعَ الناسُ كلُّهم إلا واحداً ، فقالَ لهُ : أما لكَ ذنبٌ ؟ فقالَ : نعم ، نظرْتُ مرةً إلى امرأةٍ ، فلمَّا ولَّتْ أدخلْتُ إصبعي في عيني هٰذهِ فقلعْتُها ، فقالَ لهُ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : فادعُ اللهَ للقومِ ، فدعا ، فجُلِّلَتِ السماءُ لوقتِها وأُمطِروا[٣] .

وخرجَ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ثلاثةَ أيامٍ يستسقي فلم يُسقَ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : إنَّ فيكم رجلاً نمَّاماً ، فلا أستجيبُ لكم وهو فيكم ، فقالَ موسىٰ : يا ربِّ ؛ مَنْ هو حتىٰ نخرجَهُ مِنْ بينِنا ؟ فقالَ : يا موسىٰ ؛ أنهاكم عنِ النميمةِ وأكونُ نمَّاماً ؟! فقالَ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : توبوا كلُّكم عنِ النميمةِ ، فتابوا فسُقُوا في الساعةِ[٤] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٤٣٠) .

(٢) ليس في مصادر التخريج الآتية في الحاشية اللاحقة ذكر للضجر ، وفي « إحياء علوم الدين » طبعة دار المعرفة (١/ ٣٠٨) نسبة الضجر إلىٰ قومه ؛ حيث قال : (فلما ضجروا قال لهم عيسىٰ عليه السلام) ، أما في الطبعة المعتمدة لـ « إحياء علوم الدين » (٢/ ٣٩٠) : (أصحروا) بدل (ضجروا) ، وما في « الإحياء » هو الأنسب ؛ إذ لا يليق نسبة الضجر إلى النبي .

(٣) رواه بنحوه عبد الرزاق في « المصنف » (٤٩١٦) مختصراً ، والطبراني في « الدعاء » (٩٦٦) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٣٨٨) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (قُحِطَ بنو إسرائيلَ سبعَ سنينَ حتىٰ أكلوا الميتةَ والأطفالَ ، فكانوا يخرجونَ إلى الجبالِ ويتضرَّعون فلا يُجابونَ ، فأوحى اللهُ إلىٰ موسىٰ أنْ قلْ لهم : لو عبدْتُموني حتىٰ صرْتُم كالسَّوطِ البالي ما قبلْتُ لكم دعاءً حتىٰ تردُّوا المظالمَ إلىٰ أهلِها)[١] .

وأصابَ بني إسرائيلَ مرةً أخرىٰ قحطٌ فاستسقَوا ، فلم يُسقَوا ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : كيفَ أستجيبُ لهم وقد خرجوا بأبدانٍ نجسةٍ ، ورفعوا إليَّ أكفاً قد أكلوا بها الحرامَ حتىٰ ملؤوا بطونَهم ؟! فلا يزدادونَ منِّي إلا بُعداً وقحطاً ، فليتوبوا وأنا أرفعُ عنهمُ القحطَ[٢] .

وقُحِطوا مرةً أخرىٰ حتىٰ أكلوا الكلابَ والميتةَ ، وكانوا يستسقونَ فلا يُسقَونَ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : قلْ لهم : لو مشيْتُم إليَّ بأقدامِكم حتىٰ تحفىٰ رُكَبُكم ، وتبلغَ أكفُّكم عنانَ السماءِ ، وتَكِلَّ ألسنتُكم مِنَ الدعاءِ . . فإنِّي لا أجيبُ لكم داعياً ، ولا أرحمُ فيكم باكياً حتىٰ تردُّوا المظالمَ ، فقالَ موسىٰ لهم ذلكَ ، فقالوا : نحنُ لا نحصي عددَ المظالمِ حتىٰ نردَّها ، فماتوا عطشاً وجوعاً[٣] .

فانظرْ يا أخي إلىٰ كثرةِ اتِّهامِ السلفِ الصالحِ نفوسَهم ، وإيَّاكَ والمبادرة

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٣٨٩) .

(٢) رواه بنحوه أبو داود في « الزهد » (١٣) .

(٣) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٣٨٩) ، وفي آخره : (ففعلوا ، فمُطِروا في يومهم) .

إلى الخروجِ للاستسقاءِ إلا إنْ كنْتَ تظنُّ أنَّ اللهَ غفرَ لكَ ذنوبَكَ كلَّها ، فإنْ لم تظنَّ ذلكَ فتربَّصْ ، ثمَّ تبْ إلى اللهِ تعالىٰ واخرجْ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كثرة العفو والصفح عن الأذى]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ العفوِ والصفحِ عن كلِّ مَنْ آذاهم بضربٍ ، أو أخذِ مالٍ ، أو وقوعٍ في عرضٍ ، ونحوِ ذلكَ ؛ تخلُّقاً بأخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ لا ينتقمُ لنفسِهِ ، وإنَّما ينتقمُ إذا انتُهكَتْ حرماتُ اللهِ(١) .

وكانَ جعفرُ بنُ محمدٍ يقولُ : (لَأنْ أندمَ على العفوِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أندمَ على العقوبةِ)(٢) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ يقولُ : (**مِنْ عدمِ إنصافِكَ** : أنْ تبغضَ الناسَ إذا عصَوا ربَّهم ، ولا تبغضَ نفسَكَ إذا عصَتْ ربَّها)(٣) .

قلْتُ : **المرادُ ببغضِ الإنسانِ نفسَهُ** : معاقبتُها بالجوعِ والعطشِ ، وعدمِ النومِ على فراشٍ ، ونحوِ ذلكَ ، فيعاملُها معاملةَ الشخصِ لمَنْ يكرهُهُ ؛ بالعنفِ ، وعدمِ الشفقةِ ؛ لا كمعاملةِ المحبِّ لمحبوبِهِ ، وقد قالَ أبو يزيدَ البسطاميُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (دعوْتُ نفسي مرةً إلى العبادةِ فأبَتْ ،

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أورده ابن عبد البر في « أدب المجالسة » (٢٦٩) .

(٣) رواه بنحوه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٢٥٥ـ ٢٥٦) من قول أبي جعفر بن سنان رحمه الله تعالى .

فمنعْتُها الماءَ سنةً)[1] ، والله ُأعلمُ .

وكانَ المدائنيُّ يقولُ : (أقبحُ المكافأةِ المجازاةُ بالإساءةِ)[2] .

وكانَ التيميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كثرةُ الاحتمالِ تورِثُ المحبةَ) .

قالَ : وأدخلوا على ابنِ الزبيرِ رجلاً قد أحدثَ ؛ أي : أذنبَ ، فدعا بالسِّياطِ ليضربَهُ ، فقالَ لهُ الرجلُ : أسألُكَ بمَنْ تكونُ يومَ القيامةِ بينَ يديهِ أذلَّ منِّي بينَ يديكَ هنا إلا عفوتَ عنِّي ، فنزلَ ابنُ الزبيرِ مِنْ سريرِهِ ، وألصقَ خدَّهُ بالأرضِ ، وقالَ : قد عفوْتُ[3] .

قلْتُ : ولعلَّ تركَهُ للتأديبِ علىٰ مَنْ أقسمَ عليهِ لعذرٍ شرعيٍّ ؛ كأنْ خافَ مِنْ إقامتِهِ مفسدةً أعظمَ مِنْ إقامةِ التأديبِ عليهِ ، والله ُتعالىٰ أعلمُ .

وسُئِلَ قتادةُ رضيَ اللهُ عنهُ : مَنْ أعظمُ الناسِ قدراً ؟ فقالَ : أكثرُهم عفواً .

وسرقَتِ امرأةٌ مصحفَ مالكِ بنِ دينارٍ ومِلْحَفَتَهُ ، فجعلَ يتبعُها ويقولُ : (أنا مالكٌ ، خذي الملحفةَ ، وهاتي المصحفَ ؛ لا تخافي)[4] .

وكانَ أبو سعيدٍ المَقْبُرِيُّ يقولُ : (**مِنْ تمامِ العفوِ** : تركُ مكافأةِ الظالمِ ،

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٦) ، وابن الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص ١٨٨) ، وأورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (١١/ ٣٥) .

(٢) أورده الوطواط في « غرر الخصائص الواضحة » (ص ٥٠٢) ، ولم ينسبه .

(٣) أورده الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص٤١٥) ، ونسبه إلىٰ عبد الله بن مسلم بن محارب في حادثة له مع هارون الرشيد ، ورواه بنحوه المعافىٰ في « الجليس الصالح الكافي » (ص ٣٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/ ١٤٤) في قصة بين الحجاج ومتَّهمٍ برأي الخوارج .

(٤) أورده بنحوه ابن الملقن في « طبقات الأولياء » (ص٢٨٣) ، ونسبه إلىٰ معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ .

والترحُّمُ عليهِ ، وكثرةُ سؤالِ اللهِ أنْ يعفوَ عنهُ)[1] .

ولمَّا ضُربَ الإمامُ مالكٌ جعلَ ضاربَهُ في حلٍّ مِنْ أوَّلِ سوطٍ ضربَهُ بهِ[2] .

وكذلكَ بلغَنا عنِ الإمامِ أحمدَ لمَّا ضُربَ ، وكانَ يقولُ : (وماذا علىٰ رجلٍ ألَّا يعذِّبَ اللهُ أحداً بسببِهِ ؟)[3] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ صبرَ علىٰ أذى امرأتِهِ لهُ أعطاهُ اللهُ مِنَ الأجرِ ما أعطىٰ أيوبَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، ومَنْ صبرَتْ علىٰ أذىٰ زوجِها لها أعطاها اللهُ تعالىٰ مِنَ الأجرِ مثلَ ما أعطىٰ آسيةَ بنتَ مزاحمٍ رضيَ اللهُ عنها) .

وسيأتي أواخرَ هـٰذا الكتابِ بسطُ الكلامِ علىٰ هـٰذا الخُلُقِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[4] .

---

(١) أورد نحوه الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٢/ ٩٨ـ ٩٩) من قول أبي نواس رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه أبو العرب في « المحن » (ص ٣٣٨) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٧٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٠٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٣٢٠) .

(٤) في هامش (أ) : (بلغ) .

[كثرة تعظيم حرمات المسلمين ومحبة الخير لهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ تعظيمِهم حرمةَ المسلمينَ ومحبتِهمُ الخيرَ لهم ؛ لأنَّها مِنْ جملةِ شعائرِ اللهِ تعالىٰ .

وقد كانَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يحقرَنَّ أحدٌ أحداً مِنَ المسلمينَ ؛ فإنَّ صغيرَ المسلمينَ عندَ اللهِ كبيرٌ)(١) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما يقولُ : (أفضلُ الحسناتِ إكرامُ الجليسِ)(٢) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ ينظرُ إلى الكعبةِ ويقولُ : (إنَّ اللهَ حرَّمَكِ وشرَّفَكِ وكرَّمَكِ ، والمؤمنُ أعظمُ حرمةً عندَ اللهِ تعالىٰ منكِ)(٣) .

وكانَ عكرمةُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم أنْ تؤذوا أحداً مِنَ العلماءِ ؛ فإنَّ مَنْ آذىٰ عالماً فقد آذىٰ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(٤) .

---

(١) أورده الديلمي في « الفردوس » (٧٨١٣) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٦٦٧) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١١٤٥) .

(٣) رواه بنحوه ابن وهب في « الجامع » (٢٢٥) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ٣٧) عنه مرفوعاً .

(٤) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٢٨٤) ، والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (ص ١٤٣) ، كلاهما بنحوه من طريق عكرمة عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (المؤمنُ أكرمُ على اللهِ تعالىٰ مِنْ بعضِ الملائكةِ الذينَ عندَهُ)[1] .

وقيلَ لحاتمٍ الأصمِّ : لِمَ كانَتْ يدُ السارقِ المسلمِ تُقطعُ في خمسةِ دراهمَ معَ أنَّ ديتَها خمسُ مئةِ دينارٍ ؟ فقالَ : لهتكِهِ السترَ ، وفعلِهِ الجَوْرَ ، وتركِهِ الحرمةَ . انتهىٰ .

فتأمَّلْ يا أخي في نفسِكَ : هل عظَّمْتَ حرماتِ المسلمينَ فضلاً عنِ العلماءِ والصالحينَ كما ذكرْنا ، أمِ احتقرْتَهم ووقعْتَ في أعراضِهم ، وصِرْتَ مِنَ الفاسقينَ بذلكَ ؟ واستغفرِ اللهَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه عنه ابن ماجه (٣٩٤٧) مرفوعاً ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٠) موقوفاً .

[كثرة الصبر على أذى الزوجات]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ صبرِهم علىٰ أذىٰ زوجاتِهم لهم ، وشهودُهم أنَّ كلَّ ما بدا مِنْ زوجةِ أحدِهم مِنَ المخالفاتِ لهُ هو صورةُ معاملتِهِ لربِّهِ ، فكما خالفَ ربَّهُ كذلكَ خالفَتْهُ زوجتُهُ ، وهي قاعدةٌ أكثريَّةٌ لا كليَّةٌ ؛ ليخرجَ الأنبياءُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ مِنْ ذلكَ ؛ لعصمتِهم .

وكانَ عوامُّ السَّلفِ إذا لم يشهدوا ما ذكرْناهُ صبروا علىٰ أذاها ؛ لشهودِهم أنَّ نفعَها أكثرُ مِنْ ضررِها .

وكانوا رضيَ اللهُ عنهم يؤدُّونَ إلى المرأةِ حقَّها على الكمالِ ، ولا يمنعُهم مخالفتُها لهم عن ذلكَ ؛ عملاً بنحوِ حديثِ : « أَدِّ ٱلْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ٱئْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ »[1] ، وإنْ كانَ علىٰ كلٍّ مِنَ الزوجَينِ الحقُّ للآخرِ كما هو مقرَّرٌ في كتبِ الحديثِ والفقهِ .

وتقدَّمَ في الخُلُقِ قبلَهُ قولُ كعبِ الأحبارِ : (مَنْ صبرَ علىٰ أذى امرأتِهِ لهُ أعطاهُ اللهُ مِنَ الأجرِ ما أعطىٰ أيوبَ عليهِ السلامُ) ، فراجعْهُ[2] .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ جهادِ المرأةِ حُسْنُ التبعُّلِ لزوجِها)[3] .

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥) ، والترمذي (١٢٦٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر (ص٢٠٢) .

(٣) رواه عنه البيهقي في « شعب الإيمان » (١١٥٢) مرفوعاً .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**أربعةٌ مِنَ الشقاءِ** : كثرةُ العيالِ ، وقلَّةُ المالِ ، وجارُ السوءِ في دارِ الإقامةِ ، وزوجةٌ تخونُ زوجَها)(١) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ تزوَّجَ فقد أدخلَ الدنيا بيتَهُ ، ومَنْ أدخلَ الدنيا بيتَهُ فقد تزوَّجَ ابنةَ إبليسَ ، ومَنْ تزوَّجَ ابنةَ إبليسَ أكثرَ إبليسُ مِنَ التردُّدِ إلىٰ بيتِهِ لأجلِ ابنتِهِ ، فاحذروا مِنَ التزويجِ) انتهىٰ(٢) .

قلْتُ : كلامُ سفيانَ الثوريِّ رضيَ اللهُ عنهُ في حقِّ مَنْ تزوَّجَ بغيرِ نيَّةٍ صالحةٍ ؛ فإنَّ في الحديثِ : « مَنْ تَزَوَّجَ لِلّٰهِ كُفِيَ وَوُقِيَ »(٣) ، ولا بدَّ مِنْ هٰذا الحملِ ؛ ليخرجَ مَنْ تزوَّجَ مِنَ الأنبياءِ والمحفوظينَ مِنَ الأولياءِ ، واللهُ أعلمُ .

وفي الحديثِ : « لَوْلَا أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ سَتَرَ ٱلْمَرْأَةَ بِٱلْحَيَاءِ لَكَانَتْ لَا تُسَاوِي كَفّاً مِنْ تُرَابٍ »(٤) .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الإشراف » (٢٢٥) ، وابن دريد في « الفوائد والأخبار » (٢٠) .

(٢) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٣٥) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ أبو داود (٤٧٧٨) عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ـ ولم يُسمِّه ـ حديثاً مرفوعاً ، وفيه : « ومن زوَّج لله تعالىٰ توَّجه الله تاج الملك » .

(٤) روى الخرائطي في « اعتلال القلوب » (١٥٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « فضلت المرأة في الشهوة على الرجل بتسعة وتسعين ضعفاً ، إلا أن الحياء غلب عليهنَّ » ، وروى الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣٧٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً : « وجعلت الشهوة علىٰ عشرة أجزاء ، وجعلت تسعة أجزاء منها في النساء ، وواحدة في الرجال ، ولولا ما ألقي عليهن من الحياء مع شهواتهن . . لكان لكل رجل تسع نسوة مغتلمات » .

وكانَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ سعادةِ المرءِ خمسةُ أشياءَ** : أنْ تكونَ زوجتُهُ موافقةً ، وأولادُهُ أبراراً ، وإخوانُهُ أتقياءَ ، وجيرانُهُ صالحينَ ، ورزقُهُ في بلدِهِ)[1] .

وقد كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَاحِبِ غَفْلَةٍ ، وَمِنْ جَارِ سُوءٍ ، وَمِنْ زَوْجٍ يُؤْذِي »[2] .

ولمَّا ماتَتْ زوجةُ مالكِ بنِ دينارٍ لم يتزوَّجْ بعدَها ، وكانَ يقولُ : (لو أنِّي قَدَرْتُ على طلاقِ نفسي لطلَّقْتُها)[3] .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**إذا اجتمعَ في المرأةِ ستُّ خصالٍ فقد كَمَلَ صلاحُها** : المحافظةُ على الصلواتِ الخمسِ ، وطواعيةُ زوجِها ، ومرضاةُ ربِّها ، وحفظُ لسانِها مِنَ الغيبةِ والنَّميمةِ ، وزهدُها في متاعِ الدنيا ، وصبرُها عندَ المصيبةِ)[4] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ فتنةِ النساءِ التي حذَّرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منها أنَّهنَّ يُدخِلْنَ على الأزواجِ القطيعةَ للقرابةِ ، ويُحْوِجْنَهُ إلى ذلِّ المكاسبِ ؛ زيادةً على فتنةِ الشهوةِ والمَيلِ) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (المرأةُ الصالحةُ عمادُ الدينِ ،

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٣٨١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ١٧٨) ، كلاهما بنحوه مرفوعاً من حديث سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٨٧٥) مرسلاً عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٥) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٧٧) .

(٤) **يشهد لذلك** : ما رواه ابن حبان في « صحيحه » (٤١٦٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صلَّت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها . . دخلت من أي أبواب الجنة شاءت » .

وعمارةُ البيتِ ، وعونٌ على الطاعةِ ، والمرأةُ المخالفةُ تذيبُ قلبَ صاحبِها وهي ضاحكةٌ)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ[2] : (**علامةُ كونِ المرأةِ مِنْ أهلِ النارِ** : أنْ تضحكَ لزوجِها إذا أقبلَ ، وتخونَهُ إذا أدبرَ) .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لامرأتِهِ : (لو كانَ أهلُ بلخَ كلُّهم معي وأنتِ عليَّ . . ما قَدَرْتُ على حفظِ دِيني) .

وكانَ المدائنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (شكا نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ إلى ربِّهِ سوءَ خُلُقِ امرأتِهِ ، فأوحى اللهُ إليهِ : أنِّي جعلْتُ ذلكَ حظَّكَ مِنَ العتابِ) .

وكانَ عبدُ الملكِ بنُ عميرٍ يقولُ : (إذا طعنَتِ المرأةُ في السنِّ تعقَّمَ رحمُها ، واختلَّ لسانُها ، وساءَ خُلُقُها ، وإذا طعنَ الرجلُ في السنِّ استجمعَ رأيُهُ ، وذهبَتْ حدَّتُهُ ، وحَسُنَ خلُقُهُ)[3] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ المرأةِ الصالحةِ** : أنْ يكونَ حسبُها مخافةَ اللهِ[4] ، وغناها القناعةَ بقسمةِ اللهِ ، وحليُّها السخاوةَ بما تملكُ ، وعبادتُها حُسنَ خدمةِ الزوجِ ، وهمَّتُها الاستعدادَ للموتِ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كنْ معَ زوجِ ابنتِكَ أو أختِكَ على ابنتِكَ أو

---

(١) **يشهد لذلك** : ما رواه أبو داود (١٦٦٤) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وفيه : « ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة ؛ إذا نظر إليها سرَّته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » .

(٢) في جميع النسخ المعتمدة عدا (أ) : (عمر) بدل (عمرو) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العمر والشيب » (٨٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/٤٤٣ ـ ٤٤٤) .

(٤) في (هـ) : (مكسبها) بدل (حسبها) .

أختِكَ ؛ تقيمُ دينَهما بذلكَ ، ولا تكنْ معَ ابنتِكَ أو أختِكَ علىٰ زوجِها ؛ تفسدُ عليهما دينَهما) .

وشكا أبو مطيعٍ البلخيُّ إلىٰ أيُّوبَ بنِ خلفٍ زوجتَهُ ، فقالَ لهُ أيُّوبُ[1] : (مَنْ لم يصبرْ علىٰ أذىٰ زوجتِهِ كيفَ يدَّعي أنَّ لهُ درجةً عليها ؟!) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ في بيتِهِ كالدابَّةِ المربوطةِ ؛ إنْ قدَّموا لهُ شيئاً أكلَ ، وإلا سكتَ وطوىٰ .

وفي الحديثِ : « ٱلْمَرْأَةُ ٱلْفَاجِرَةُ كَأَلْفِ فَاجِرٍ »[2] .

وكانَ إياسُ بنُ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**اثنانِ لا رأيَ لهما** : حاقنُ البولِ ، والمرأةُ السوءُ)[3] .

وسيأتي بسطُ هـٰذا الخُلُقِ في مواضعَ مِنْ هـٰذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وقد درجَ السَّلفُ كلُّهم على الصبرِ على الزوجةِ ، وعدمِ مقابلتِها أو تأديبِها إلا لمصلحتِها ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

❀❀❀

---

(١) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، **ولعل الصواب** : (خلف بن أيوب) بدل (أيوب بن خلف) ، **فيكون المراد** : خلف بن أيوب البلخي الحنفي الذي أخذ عن أبي يوسف رحمه الله تعالىٰ ؛ فلم أجد في كتب التراجم من اسمه أيوب بن خلف ممَّن عاصر القاضي أبا مطيع البلخي رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٥٤١) .

(٢) رواه البزار في « مسنده » (٥٣٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٠١) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه بنحوه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ١٩٤) من قول وزير كسرىٰ .

[الزهد في الرياسة وترك طلبها]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تركُ طلبِ الرياسةِ حتىٰ تفجأَهم وتقدِّمَهمُ الناسُ علىٰ أنفسِهم ، ويصيرَ أحدُهم يقولُ : ما أنا بأهلٍ للإمامةِ مثلاً ، فيقولَ لهُ الناسُ : بل أنتَ أهلٌ لذلكَ وزيادةٌ .

وقد كانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ الرياسةَ قبلَ حينِها فرَّتْ منهُ(1) ، وفاتَهُ علمٌ كثيرٌ)(2) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يطلبْ أحدُكمُ الرياسةَ إلا بعدَ مجاهدةِ نفسِهِ سبعينَ سنةً)(3) .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (إذا جعلَكمُ الناسُ رؤوساً فكونوا أذناباً)(4) .

وكانَ حجَّاجُ بنُ أرطاةَ يقولُ : (قد قتلَني همُّ الرياسةِ وحبُّها)(5) .

وكانَ الأنطاكيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (طلبُ الرياسةِ رأسُ حبِّ الدنيا ،

---

(1) في (هـ) : (مجيئها) بدل (حينها) .

(2) رواه أبو موسى المديني في « اللطائف » (٧٣٠) ، وأورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ١٢٥) .

(3) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٢٦٦ـ٢٦٧) .

(4) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ٢٦٦) .

(5) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ٢٢٦) .

ومعشوقُ النفسِ ، وقرَّةُ عينِ الشيطانِ)[1] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كونوا ذَنَباً ولا تكونوا رأساً ؛ فإنَّ الذَّنَبَ ينجو ، والرأسَ يَهلِكُ)[2] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أحبَّ أحدٌ الرياسةَ إلا أحبَّ ذكرَ الناسِ بالنقائصِ والعيوبِ ؛ ليتميزَ هو بالكمالِ ، وكرهَ أنْ يَذكُرَ الناسُ عندَهُ أحداً بخيرٍ ، ومَنْ عشقَ الرياسةَ فقد تُوُدِّعَ مِنْ صلاحِهِ)[3] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تركُ الرياسةِ ، وتركُ محبةِ المرأةِ . . أَمَرُّ مِنَ الصَّبرِ)[4] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم أنْ تدعُوا أحداً يمشي معَكم ، أو في ركابِكم إذا ركبْتُم لقضاءِ حاجةٍ ؛ فإنَّ ذلكَ معدودٌ مِنَ الفتنةِ للمتبوعِ ، والذلَّةِ للتابعِ)[5] .

قالَ : (وأولُ مَنْ مشىٰ معَهُ الرجالُ يشيِّعونَهُ مِنَ المسجدِ إلى الدارِ . .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٨٦) .

(٢) أورده ابن عبد ربه الأندلسي في « العقد الفريد » (٣/ ١٥٢) ، والثعالبي في « الشكوىٰ والعتاب » (ص ٢٤٤) .

(٣) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٢٦٧) .

وفي هامش (ج) : (أي : أُيس منه ، وتُرك علىٰ حاله ، لا يُبذل فيه النصح ، ولا يُرجىٰ صلاحه . انتهىٰ) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٧) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٨٣٩) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، و(٢٦٨٤٠) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه .

الأشعثُ بنُ قيسٍ ، فكانَ يركبُ والغلمانُ بينَ يديهِ ، فقالَ الناسُ : قاتلَهُ اللهُ مِنْ جبارٍ !)[1] .

فإياكَ يا أخي وحبَّ الرياسةِ في شيءٍ مِنْ أمورِ الدنيا أو ما يؤولُ إليها ، وسيأتي بسطُ ذلكَ في مواضعَ مِنْ هـٰذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[2] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/٨٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/١٤٢) .

(٢) انظر (ص٧٥٢) .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه**) .

[التناصح بين الكبير والصغير]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : نصحُ بعضِهم بعضاً ، فكانَ الكبيرُ لا يتكدَّرُ مِنْ نصحِ الصغيرِ لهُ وبالعكسِ ، وهـٰذا بخلافِ ما عليهِ أهلُ الرُّعوناتِ اليومَ .

وقد نصحْتُ أنا مرةً شيخاً مِنْ مشايخِ هـٰذا الزمانِ ، فهجرَني إلىٰ أنْ ماتَ .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما مِنْ شيءٍ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ شابٍّ ينصحُ شيخاً ، وشيخٍ ينصحُ شاباً ، وبذلكَ صارَ الشابُّ التائبُ حبيبَ اللهِ)[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُوصِيكُمْ بِٱلشَّبَابِ خَيْراً ؛ فَإِنَّهُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، أَلَا وَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ أَرْسَلَنِي شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، فَجَالَسَنِي ٱلشَّبَابُ ، وَخَالَفَنِي ٱلشُّيُوخُ »[2] .

وأنشدوا في ذلكَ[3] : [من البسيط]

---

(١) **يشهد له** : ما رواه ابن أبي الدنيا في « التوبة » (١٨٤) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله يحبُّ الشابَّ التائب » .

(٢) أورده الثعالبي في « اللطائف والظرائف » (ص ٢٥٠) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٤٩٥) ، ونسبه إلىٰ سابق البربري رحمه الله تعالىٰ .

إِنَّ ٱلْغُصُونَ إِذَا لَايَنْتَهَا ٱعْتَدَلَتْ   وَلَنْ يَلِينَ إِذَا لَايَنْتَهُ ٱلْخَشَبُ[1]

قالَ أنسُ رضيَ اللهُ عنهُ : (وكانَ الشبابُ على عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يتعبَّدونَ إلا قليلاً ، فلمَّا توفيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ زادوا في العبادةِ ، وقالوا : إنَّا كنَّا في أمانٍ مِنْ نزولِ العذابِ بنا في حياةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلمَّا ماتَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذهبَ ذلكَ الأمانُ) .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ يقولُ : (ينبغي للرجلِ أنْ يرتدعَ عنِ اللهوِ والمعاصي إذا بلغَ الأربعينَ سنةً ، وإذا طلعَ الشيبُ في رأسِهِ ، وإذا حجَّ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ ، وإذا تزوَّجَ ؛ فإنَّ الزنى بعدَ التزويجِ أقبحُ مِنْ كلِّ قبيحٍ) .

قلتُ : **والمعنى** : أنَّ ما ذكرَ يشتدُّ قبحُهُ على مَنْ تخلَّقَ بهذهِ الصفاتِ ، لا أنَّها كانَتْ مباحةً لمَنْ لم يبلغِ الأربعينَ ؛ نظيرُ ما قالوا : يستحبُّ للصائمِ تركُ الغِيبةِ .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما عمرُ الإنسانِ في هذهِ الدارِ ولو طالَ إلا كنفَسٍ واحدٍ مِنْ جنبِ عيشِ الجنةِ ، ومَنْ ضيَّعَ نَفَساً واحداً يعيشُ بهِ عيشَ الأبدِ . . إنَّهُ ـ واللهِ ـ لمِنَ الخاسرينَ)[2] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ يقولُ : (الشابُّ المتعبِّدُ أحبُّ إلى اللهِ مِنَ الشيخِ المتعبِّدِ)[3] .

---

(١) في (هـ) : (قوَّمْتَها) بدل (لاينتها) ، و(قومتها خشب) بدل (لاينته الخشب) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٤) .

(٣) روى ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٢٢٩) من حديث سيدنا أنس=

ومرَّ رجلٌ علىٰ حذيفةَ بنِ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ وحولَهُ فتيانٌ جلوسٌ ، فقالَ : ما لهـٰؤلاءِ الأحداثِ حولَكَ ؟! فقالَ : وهلِ الخيرُ إلا في الشبابِ ؟! أما سمعْتَ قولَ اللهِ تعالىٰ : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء : ٦٠] ، وقولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ ، وقولَهُ تعالىٰ : ﴿ قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [الكهف : ٦٢] ، وإنَّ اللهَ لم يبعثْ نبياً إلا وهو شابٌّ ؟!(١) .

وفي الزبورِ : (ما بلغَ أحدٌ السبعينَ سنةً إلا اشتكىٰ مِنْ غيرِ علةٍ)(٢) .

وكانَ محمدُ بنُ حسَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تطلبْ مِنْ نفسكَ العملَ في هـٰذهِ السنةِ مثلَ عملِها في السنةِ التي قبلَها ؛ فإنَّ الإنسانَ كلَّ يومٍ في نقصٍ)(٣) .

وقد قيلَ لشيخٍ : كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ : صارَ يسبقُني مَنْ هو معي ، ويدركُني مَنْ هو خلفي ، وصرْتُ أنسىٰ كلَّ شيءٍ سمعْتُهُ مِنَ الخيرِ ، وصرْتُ إذا قمْتُ دَنَتْ مني الأرضُ ، وإذا قعدْتُ تباعدَتْ ، وصرْتُ أبصرُ الواحدَ اثنينِ ، واسودَّ مني ما كنْتُ أحبُّ أنَّهُ يبيضُّ ، وابيضَّ مني ما كنْتُ أحبُّ أنَّهُ

= رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « وفضل الشابِّ المتعبد على الشيخ الذي تعبد بعدما كبرت سنُّه . . كفضل المرسلين علىٰ سائر النبيين » .

(١) رواه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٦٧٢) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٢٧٨) من قول الأصمعي رحمه الله تعالىٰ : (بلغني أن في الزبور مكتوباً . . .) إلىٰ آخره .

(٣) أورده بنحوه الجاحظ في « البيان والتبيُّن » (٣/ ١٠) ، وابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٦/ ٣) .

يسودَّ ، واشتدَّ مني ما كنْتُ أحبُّ أنْ يلينَ ، ولانَ مني ما كنْتُ أحبُّ أنْ يشتدَّ . انتهى[1] .

فتأمَّلْ يا أخي ما ذكرتُهُ لكَ ، واستغنمْ شبابَكَ ، ورقِّعْ مشيبَكَ بكثرةِ الاستغفارِ ؛ فلعلَّكَ تجبرُ ما انصدعَ مِنْ دينِكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) رواه بنحوه مختصراً الدينوري في « المجالسة » (١٢٧٩) ، وأورده بنحوه مختصراً ابن منظور في « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧/ ١٦٨) .

[حسن الأدب مع كل الناس]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : حسنُ أدبِهم معَ الصغيرِ فضلاً عنِ الكبيرِ ، ومعَ البعيدِ فضلاً عنِ القريبِ ، ومعَ الجاهلِ فضلاً عنِ العالمِ ، وقد قالَ تعالىٰ لموسىٰ وهارونَ : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] ، معَ أنَّ فرعونَ كانَ مِنْ أفسقِ الكفَّارِ .

وأجمعوا علىٰ أنَّ علوَّ الدرجاتِ إنَّما يكونُ بزيادةِ الأدبِ ، والأصلُ في الأدبِ شهودُ النقصِ في أنفسِهم ، والكمالِ في غيرِهم ، عكسُ مَنْ كانَ قليلَ الأدبِ .

وقد كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يكرهُ للرجلِ أنْ يُحِدَّ النظرَ إلىٰ أخيهِ .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ إذا دُعِيَ إلىٰ وليمةٍ جلسَ معَ الصبيانِ والمساكينِ دونَ الرجالِ والأغنياءِ .

وكانَ سعيدُ بنُ عامرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ وصفَ إنساناً بما ليسَ فيهِ لعنَتْهُ الملائكةُ) .

وقالَ لهُ رجلٌ يوماً وهو لا يعرفُهُ : يا أصلعُ ، فقالَ لهُ : يا أخي ؛ إنْ كنْتَ لغنيّاً عن لعنِ الملائكةِ لكَ ![1] .

---

(١) هـٰذا الخبر والذي قبله خبر واحد رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٦٨٣) ، وابن=

وكانَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أعلمُ الناسِ باللهِ أشدُّهم تعظيماً لأهلِ « لا إلـٰهَ إلا اللهُ »)[1] .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأيْتَ مَنْ هو أكبرُ منكَ فعظِّمْهُ ، وقلْ : إنَّهُ سبقَني إلى الإسلامِ والعملِ الصالحِ ، وإذا رأيْتَ مَنْ هو أصغرُ منكَ فعظِّمْهُ ، وقلْ في نفسِكَ : إنِّي قد سبقْتُهُ إلى الذنوبِ ، وإذا أكرمَكَ الناسُ فقلْ : هـٰذا مِنْ فضلِ اللهِ عليَّ لا أستحقُّهُ ، وإذا أهانوكَ فقلْ : هـٰذا بذنبٍ أحدثْتُهُ ، وإذا رميْتَ كلبَ جارِكَ بحصاةٍ فقد آذيتَهُ)[2] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا أكثرَ بنو إسرائيلَ المسائلَ علىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وأبرموهُ . . أوحى اللهُ تعالىٰ في يومٍ واحدٍ إلىٰ ألفِ نبيٍّ ليكونوا أعواناً لهُ ؛ تكرِمةً لموسىٰ ، فمالَ الناسُ إليهم ، فوجدَ موسىٰ مِنْ نفسِهِ غَيرةً ، فأماتَهمُ اللهُ تعالىٰ في يومٍ واحدٍ)[3] .

قلْتُ : غَيرةُ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ محمودةٌ ؛ لخروجِهم مِنْ حظِّ النفوسِ بالعصمةِ ، وليسَتْ إماتةُ اللهِ تعالىٰ لهـٰؤلاءِ الأنبياءِ عقوبةً ،

= عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ١٦٥)، وروى ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٣٩٤) من حديث سيدنا عمير بن سعد رضي الله عنه مرفوعاً : « من دعا رجلاً بغير اسمه لعنته الملائكة » .

(١) رواه بنحوه الشجري كما في « ترتيب الأمالي الخميسية » للعبشمي (٢٢٨) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢١١٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٢٦) .

(٣) أورده بنحوه القشيري في « تفسيره » (٢/ ٦٤١) ، والنويري في « نهاية الأرب » (١٣/ ٢٧٦) .

وإنَّما ذلكَ لِمَا سبقَ في علمِهِ تعالىٰ مِنِ انتهاءِ آجالِهم بعدَ معاونتِهم موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يبلغُ العبدُ مقامَ الإحسانِ حتىٰ يحسنَ إلىٰ كلِّ مَنْ صحبَهُ ولو ساعةً)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا باعَ شاةً يوصي بها المشتريَ ، ويقولُ : (قد كانَ لها معَنا صحبةٌ) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**قد قلَّتْ أخلاقُ الرجالِ في ثلاثٍ** : تعظيمِ أخلاقِ الإخوانِ ، وسترِ معايبِهم ، واحتمالِ أذاهم) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بئسَ القومُ قومٌ إنِ استغنىٰ بينَهمُ المؤمنُ حسدوهُ ، وإنِ افتقرَ أذلُّوهُ ، وما مشىٰ صغيرٌ أمامَ كبيرٍ إلَّا عوقبَ بحرمانِ الخيراتِ)[2] .

ومدحوا عندَ الفضيلِ بنِ عياضٍ رجلاً وقالوا : إنَّهُ لا يأكلُ الخبيصَ[3] ، فقالَ : وما تركُ أكلِ الخبيصِ ؟! انظروا كيفَ صلتُهُ للرَّحِمِ ، انظروا كيفَ كظمُهُ للغيظِ ، انظروا كيفَ عطفُهُ على الجارِ والأرملةِ واليتيمِ ، انظروا كيفَ حُسْنُ خُلُقِهِ معَ إخوانِهِ[4] .

---

(١) **يشهد لذلك** : ما رواه الطبري في « تفسيره » (٨/ ٣٤٤ـ ٣٤٥) عن شخص لم يصرح باسمه مرفوعاً ، وفيه : « إن كل صاحب يصحب صاحباً مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار » ، وبنحوه رواه أبو الفرج المعافىٰ في « الجليس الصالح » (ص ١٠٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٢) أورده الثعالبي في « تفسيره » (٢/ ١٣٢) .

(٣) **الخبيص** : نوع من الحلواء ؛ من التمر والسمن . انظر « القاموس المحيط » (خ ب ص) .

(٤) أورده بنحوه الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٣/ ٢٠٦ـ ٢٠٧) . =

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَثَلُ الذي يعلِّمُ الناسَ الخيرَ ويرشدُهم إليهِ . . مَثَلُ مَنِ استأجرَ أُجَراءَ يعملونَ لهُ بأبدانِهم وأموالِهِمُ الليلَ والنهارَ في حياتِهِ وبعدَ مماتِهِ) .

وسمعَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ رجلاً يتمنَّىٰ مالاً ، فقالَ لهُ : ماذا تصنعُ بهِ ؟ فقالَ : أجودُ بهِ على المُقِلِّينَ ، فقالَ لهُ : دَعِ المُقِلِّينَ تكونُ مؤنتُهم على اللهِ لتصيرَ تحبُّهم ؛ فإنَّهم إذا صارَتْ مؤنتُهم عليكَ أبغضْتَهم ، وثَقُلوا علىٰ قلبِكَ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ تعظيمِ أخيكَ المسلمِ إذا ماتَ لهُ ميتٌ في بلدةٍ أخرىٰ أنْ تسافرَ إلىٰ تعزيتِهِ) .

وقد خرجَ أبو معاويةَ الأسودُ مِنَ الشامِ إلىٰ مكَّةَ ؛ ليعزيَ الفضيلَ بنَ عياضٍ في ولدِهِ عليٍّ ، ولم يخرجْ لحجٍّ ولا عمرةٍ(١) .

وكانَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ سرَّهُ أنْ يُظِلَّهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ نارِ جهنَّمَ يومَ القيامةِ فليكنْ بالمؤمنِ رحيماً رقيقَ القلبِ)(٢) .

= وفي هامش (ج) : (لا يكون التورع في الكل دليلاً على الصلاح ما لم ينضمَّ إليه لِينُ الأخلاق ؛ فإنه قد يتركه لعدم اشتهائه له أو لغير ذلك من غير نية صالحة له في تركه . انتهىٰ) .

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٢٤٥) .

(٢) **يشهد له أحاديث ؛ منها** : ما رواه البخاري (٤٩١٨) ، ومسلم (٢٨٥٣) من حديث سيدنا حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كلُّ ضعيف متضعَّف لو أقسم على الله لأبرَّه . . . » الحديث ، وما رواه مسلم (٢٨٦٥) من حديث سيدنا عياض بن حمار =

وكانَ محمدُ بنُ المنكدرِ رضيَ اللهُ عنهُ يقومُ الليلَ ، وإذا طلبَتْ أمُّهُ أنَّهُ يغمزُ رجلَها إلى الصباحِ يرىٰ ذلكَ أفضلَ مِنْ صلاتِهِ[1] .

قلْتُ : وقد قالوا مثلَ ذلكَ في حقِّ شيخِ الإنسانِ[2] .

وكانَ كَهْمَسُ بنُ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : كنْتُ أخدمُ أمِّي وأرفعُ القذرَ مِنْ تحتِها ، فأرسلَ إليَّ سليمانُ بنُ عليٍّ بصرَّةٍ وقالَ : اشترِ بها خادماً يخدمُ أمَّكَ ، فأبَيْتُ وقلْتُ : إنَّ والدتي لم ترضَ غيرَها لخدمتي وأنا صغيرٌ ، فكذلكَ لا أرضىٰ غيري لخدمتِها وأنا كبيرٌ[3] .

وكانَ مُوَرِّقٌ العِجْليُّ رضيَ اللهُ عنهُ يَفْلِي رأسَ أمِّهِ ، ولا يدعُ أحداً يفلي رأسَها غيرَهُ[4] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء : ٢٣] قالَ : إذا بلغا سنَّ الكِبَرِ ، ووليَ مِنْ قذرِهما ما كانا يليانِ مِنْ قذرِهِ في الصِّغَرِ . . فلا يقلْ لهما : أفٍّ ، ولا ينهرْهما ، ولا يمسكْ بأنفِهِ عن رائحةِ قذرِهما ؛ كما كانا لا يمسكانِ أنفَهما مِنْ رائحةِ قذرِهِ[5] .

= المجاشعي رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « وأهل الجنة ثلاثةٌ ـ وذكر منهم ـ ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم . . . » الحديث .

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٤٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٥٠) .

(٢) **لعله أراد** : أن برَّ الشيخ مطلوب كَبِرِّ الأمِّ ، **ويشهد لذلك** : ما جاء في هامش (ج) : (قف علىٰ تعظيم الشيخ) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢١٢) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٥٧٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٥٤١) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٩١٩) من قول مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

وسيأتي في هٰذهِ الأخلاقِ بسطُ الأدبِ معَ الوالدَينِ في مواضعَ ، وأنَّ مَنْ نادىٰ أباهُ أو أمَّهُ باسمِهما فقد عقَّهما ؛ إلا أنْ يقولَ : يا أبي أو يا أمَّاهْ ، وأنَّ مَنْ مشىٰ بينَ يدَيْ والديهِ فقد عقَّهما ؛ إلا إنْ كانَ يميطُ الأذىٰ بينَ يدَيْهما ؛ كما قالَهُ ابنُ مُحَيْرِيزٍ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

فتأدَّبْ يا أخي معَ جميعِ إخوانِكَ المسلمينَ ؛ لا سيَّما الفقراءِ والمساكينِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[2] .

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على « الزهد » (٢٢٩٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٤٢) .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ) .

[شدّة الخوف من الله تعالى أن يختم لهم بسوء]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ خوفِهم مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يختمَ لهم بسوءٍ ، فيكونوا مِنَ المحجوبينَ عنهُ في النارِ .

وكانَ أحدُهم يأخذُ في التفكُّرِ والحزنِ حتىٰ يغيبَ عنِ الحاضرينَ .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا سمعَ بحديثِ : « آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ ٱلنَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ »[1] . يقولُ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ : (يا ليتني كنْتُ ذلكَ الرجلَ)[2] .

وقيلَ لهُ يوماً في ذلكَ ، فقالَ : (أليسَ هو يخرجُ مِنَ النارِ ؟!) .

---

(١) **يشهد لذلك** : ما رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣/ ٢٣٠) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ عبداً في جهنَّم لَيُنادي ألف سنة : يا حنَّانُ يا منَّانُ ، قال : فيقول الله لجبريل : اذهبْ فأتني بعبدي هـٰذا ، فينطلق جبريل ، فيجدُ أهلَ النار مُكِبِّين يبكون ، فيرجع إلىٰ ربِّه فيخبره ، فيقول : أْيتني به ، فإنَّهُ في مكان كذا وكذا ، فيجيء به ، فيوقفه علىٰ ربِّهِ ، فيقول له : يا عبدي ؛ كيف وجدْتَ مكانك ومَقِيلَكَ ؟ فيقول : أي ربِّ ؛ شرَّ مكان ، وشرَّ مَقِيلٍ ، فيقولُ : ردُّوا عبدي ، فيقول : يا ربِّ ؛ ما كنتُ أرجو إذْ أخرجتني منها أنْ تردَّني فيها ، فيقول : دعوا عبدي » .

(٢) أورده بنحوه التستري في « تفسيره » (١/ ١١٢) ، وأبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٥٠) ، وذكر ابن حجر في « القول المسدد » (ص ٣٥) أن قول الحسن أسنده الآجري في أواخر طريق حديث الإفك .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أَمِنَ أحدٌ على دينِهِ ـ يعني غالباً ـ إلا سُلِبَهُ)[1] .

وكانَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أكثرُ ما يُسلبُ الناسُ الإيمانَ . . عندَ الموتِ)[2] .

وكانَ بشرٌ الحافي رحمَهُ اللهُ يقولُ إذا سمعَ حديثَ : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[3] : (مَنْ لي بأنْ يُختمَ لِمثْلي بها ؟) ، ثمَّ يبكي .

وكانَ حامدٌ اللفَّافُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا صعدَتِ الملائكةُ بروحِ المؤمنِ وقد ماتَ على الإسلامِ تعجَّبَتِ الملائكةُ منهُ ، وقالوا : كيفَ نجا هـٰذا مِنَ الدنيا وقد هلكَ فيها خيارُنا ؟!)[4] .

وكانَ الربيعُ بنُ [بَرَّةَ] رحمَهُ اللهُ يقولُ[5] : (تطلعُ روحُ العبدِ على ما كانَ الغالبَ عليهِ قبلَ موتِهِ)[6] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٥٤٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٣٢) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) أورده السمرقندي في « تفسيره » (١/ ٢٤٦) .

(٣) رواه أبو داود (٣١١٦) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥٨٧) ، ورواه بنحوه عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على « الزهد » (٩٣٧) من قول عبد العزيز بن رفيع رحمه الله تعالىٰ .

(٥) ما بين المعقوفين في جميع النسخ (بهز) ، **والصواب** المثبت ، وانظر ما سيأتي في تخريج الخبر اللاحق .

(٦) ذكر نحوه الغزالي من قوله في « إحياء علوم الدين » (١/ ٦٠٥) ، **ويشهد له** : الحديث الذي رواه مسلم (٢٨٧٨) مرفوعاً : « يُبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه » .

قالَ : (وقد دخلْتُ على محتضَرٍ ، فكنْتُ كلَّما أقولُ لهُ : قلْ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ . . يَحْسُبُ الدراهمَ)[١] .

وكانَ مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ يقولُ : (إنِّي لا أعجبُ ممَّنْ هلكَ كيفَ هلكَ ، وإنَّما أعجبُ ممَّنْ نجا كيفَ نجا ! وما منَّ اللهُ على عبدٍ بنعمةٍ أفضلَ مِنْ أنْ يميتَهُ على الإسلامِ)[٢] .

وكانَ زيدُ بنُ أسلمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو كانَ الموتُ بيدي لأذقْتُهُ نفسي وأنا محبٌّ للإسلامِ ، ولـٰكنَّهُ ليسَ بيدي)[٣] .

وبكى سفيانُ الثوريُّ مرَّةً حتى غُشيَ عليهِ ، فقيلَ لهُ : علامَ تبكي ؟ فقالَ : قد بكَيْنا على الذنوبِ زماناً ، ونحنُ الآنَ نبكي على الإسلامِ ؛ أي : خوفاً أنْ يذهبَ منَّا[٤] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ربَّما يعبدُ الرجلُ الأوثانَ وهو في علمِ اللهِ سعيدٌ ، وربَّما يطيعُ وهو في علمِ اللهِ شقيٌّ ؛ لحديثِ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ فَيَدْخُلُهَا . . . » الحديثَ)[٥] ، وهـٰذا هو الذي أذهلَ العقولَ .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٢٤٨) عن الربيع بن برة .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥٨٧) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٧١) من قول سليمان ينصح به ابنه .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٢) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٣٩) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥٨٨) .

(٥) رواه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقول سفيان رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٩) .

وفي الحديثِ : « أَصْدَقُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَكْثَرُهُمْ تَفَكُّراً فِي ٱلدُّنْيَا ، وَأَشَدُّ ٱلنَّاسِ فَرَحاً فِي ٱلْجَنَّةِ أَكْثَرُهُمْ بُكَاءً فِي ٱلدُّنْيَا »(١) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (التفكُّرُ والاعتبارُ يُخرِجانِ مِنْ قلبِ المؤمنِ عجائبَ الحكمةِ ؛ فتسمعُ منهُ أقوالاً ترضاها الحكماءُ ، وتخضعُ لها رقابُ العلماءِ ، ويعجبُ منها الفقهاءُ ، ويسارعُ إلىٰ حفظِها الأدباءُ)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خوفُ المؤمنِ وحزنُهُ علىٰ قدرِ نورِ بصيرتِهِ)(٣) .

وكانَ وجهُ محمدِ بنِ واسعٍ كأنَّهُ وجهُ ثكلىٰ فقدَتْ ولدَها ، وكانَ لا يراهُ أحدٌ إلا زالَتْ مِنْ قلبِهِ القساوةُ(٤) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تصحبْ مِنَ الناسِ إلا مَنْ يعظُكَ برؤيتِهِ قبلَ كلامِهِ)(٥) .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٢٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٩٣) ، كلاهما بنحوه موقوفاً عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٥٢) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٦١) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٧٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٤٧) .

(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٧٨) ضمن الخبر السابق ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/١٥٠) .

إبراهيمَ الخليلِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : يا إبراهيمُ ؛ اغسلْ قلبَكَ ، فقالَ : يا رَبِّ ؛ إنَّ الماءَ لا يصلُ إليهِ ! فكيفَ أغسلُهُ ؟ فقالَ : اغسلْهُ بطولِ الهمِّ والغمِّ والحزنِ علىٰ ما فاتَكَ منِّي وما يفوتُ)[١] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ الأسقامَ التي تصيبُ القلبَ أصلُها مِنَ الذنوبِ ، كما أنَّ الأسقامَ في البدنِ تنشأُ مِنَ الأمراضِ[٢] ، وقد جعلَ اللهُ تعالىٰ لكلِّ داءٍ دواءً ، فإذا اشتدَّ حزنُ الرجلِ رجعَتْ دموعُ عينَيهِ إلىٰ قلبِهِ ، فأَنْحَلَتْ بدنَهُ) .

وقيلَ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : ألا تَخضِبُ شيبَ لحيتِكَ ؟ فقالَ : الخضابُ معدودٌ مِنَ الزينةِ ، ونحنُ في مأتمٍ وحزنٍ ليلاً ونهاراً .

وقالوا لبشرِ بنِ الحارثِ : ما لنا لم نزلْ نراكَ مهموماً ؟! فقالَ : لأنِّي رجلٌ مطلوبٌ مِنَ الحاكمِ بالحقوقِ[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلُّ حزنٍ سوفَ ينقضي إلا حزنَ الذنوبِ ؛ فإنَّهُ يتجدَّدُ علينا معَ الأنفاسِ)[٤] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٣١) ، والدينوري في « المجالسة » (٣٥٧٦) من قول مكحول رحمه الله تعالىٰ فيما يحكيه عن سيدنا موسىٰ عليه الصلاة والسلام .

(٢) في هامش (ج) عند قوله : (**الأسقام**) : (**أي** : الأمراض ، جمع سقم ، **لكن المراد هنا** : الأعراض الناشئة من الأمراض . انتهىٰ) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٦٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٤٢) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٢٨) من قول بكر العابد رحمه الله تعالىٰ ، ورواه أيضاً (٣٠ ، ١٧٥) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] : (إنَّما يُقالُ ذلكَ لمَنْ طالَ خوفُهُ وحزنُهُ في الدنيا ، وأمَّا مَنْ أذنبَ وبَطِرَ ولم يندمْ . . فلا يقالُ لهُ شيءٌ مِنْ ذلكَ)[١] .

وكانَ معاذُ بنُ جبلٍ يقولُ : (لا ينبغي لعبدٍ أنْ يطمئنَّ حتىٰ يجاوزَ جسرَ جهنَّمَ)[٢] ؛ **يعني** : الصراطَ .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ يبكي ويقولُ : (تستريحُ البهائمُ والطيورُ والحيتانُ وأنا مُرتَهنٌ بعملي)[٣] .

وكانَ صالحُ بنُ عبدِ الجليلِ رضيَ اللهُ عنهُ يجمعُ عيالَهُ وأهلَهُ في كلِّ يومِ عيدٍ ، ويجلسونَ فيبكونَ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنِّي عبدٌ أمرَني اللهُ تعالىٰ بطاعتِهِ ، ونهاني عن معصيتِهِ ، فلا أدري هل وفَّيتُ بهما أم لا ، وإنَّما يليقُ الفرحُ والسرورُ يومَ العيدِ بمَنْ كانَ آمناً مِنْ عذابِ اللهِ)[٤] .

وقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَا أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ خَائِفٌ يُرْعَدُ مِنْ هَيْبَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ »[٥] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّما اتَّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً ؛

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٧ـ٧٨) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٠/ ٣٤٢٧) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٣٥٤٠) مرفوعاً .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « المتمنين » (١١٣) من قول علي بن زفر رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده بنحوه ابن الجوزي في « التبصرة » (٢/ ١١٠) .

(٥) روىٰ أبو الشيخ في « العظمة » (٣٦٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (إن جبريل يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالىٰ ، ترعد فرائصه فَرَقاً من عذاب الله تعالىٰ ، يقول : سبحانك لا إلـٰه إلا أنت ، ما عبدناك حقَّ عبادتك) .

لكونِهِ كانَ شديدَ الخوفِ منهُ ، وكانوا يسمعونَ خَفَقانَ قلبِهِ مِنْ مسيرةِ ميلٍ)[1] .

وكانَ موسى بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كنَّا إذا جلسْنا عندَ سفيانَ الثوريِّ فكأنَّما النارُ أحاطَتْ بنا ؛ لِمَا نراهُ عليهِ مِنْ شدَّةِ الخوفِ والجَزَعِ)[2] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ للهِ عباداً إذا ذكروا عظمةَ اللهِ تقطَّعَتْ قلوبُهم في بطونِهم[3] ، ثمَّ تندملُ ، ثمَّ تتقطَّعُ ، ثمَّ تندملُ أبداً ما عاشوا) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خوفُ العبدِ مِنَ اللهِ علىٰ قَدْرِ معرفتِهِ بهِ)[4] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ الحارثِ لا يرفعُ طَرْفَهُ إلى السماءِ أبداً ؛ خوفاً مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ وحياءً ؛ مِنْ حيثُ إنَّ السماءَ قِبلةُ الدعاءِ[5] .

قالوا : وكانَ الخوفُ كثيراً ما يغلبُ علىٰ سفيانَ الثوريِّ[6] ، ومالكِ بنِ دينارٍ ، والفضيلِ بنِ عياضٍ[7] ، فيخرجونَ علىٰ وجوهِهم ؛ لا يدرونَ أينَ يذهبونَ .

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٦) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٨١٦) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٦٠٧) .

(٣) قوله : (بطونهم) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وهو مجاز عن الصدور .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١١١) .

(٥) في (ج ، هـ) : (وحياء من الله تعالىٰ) بدل (من الله . . . الدعاء) ، والخبر رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١١٠) عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٠) .

(٧) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٨٤ ـ ٨٥) .

وكانَ عمرانُ بنُ حصينٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ إنِّي لأودُّ أنْ أصيرَ رماداً ، تنسفُني الرياحُ في يومٍ عاصفٍ)(١) .

وكانَ إسحاقُ بنُ خلفٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ الخائفُ الذي يبكي ويمسحُ دموعَهُ ، وإنَّما الخائفُ مَنْ تركَ فعلَ الأمورِ التي يخافُ أنْ يعذِّبَهُ اللهُ عليها)(٢) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قرأْتُ ليلةً قولَهُ تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، وصرْتُ أردِّدُها ، فإذا بهاتفٍ يقولُ لي : كم تردِّدُ هـٰذهِ الآيةَ ! وقد قتلتَ أربعةَ آلافٍ مِنَ الجنِّ لمَّا سمعوها ، فلم يرفعوا طرفَهم إلى السماءِ حتىٰ ماتوا !)(٣) .

ووقفَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ في يومِ عرفةَ قابضاً علىٰ لحيتِهِ يبكي مِنَ الزوالِ إلىٰ غروبِ الشمسِ وهو يقولُ : (وا سوءتاهْ وإنْ غفرْتَ لي !)(٤) .

وكانَ حمادُ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يجلسُ قطُّ إلا مستوفزاً(٥) ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنَّما يجلسُ مطمئناً مَنْ كانَ آمناً مِنْ عذابِ اللهِ ، وأنا غيرُ

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٤١) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٨٠٦) .
(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/٢٠٦) .
(٣) أورده الطوسي في « اللمع » (ص٣٥٤) حكاية عن بعض الصوفية ، وفيه : (أربعة) بدل (أربعة آلاف) .
(٤) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٨٩٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ١٧٠) .
(٥) في هامش (ج) : (**استوفز في قعدته** : قعد منتصباً غير مطمئن . « المصباح » [و ف ز]) .

آمنٍ مِنْ نزولِهِ عليَّ ليلاً ونهاراً)[١] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا الغفلةُ لماتَ الخلقُ كلُّهم مِنْ خشيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[٢] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ لقد هممْتُ أنْ أوصيَ أهلي إذا أنا متُّ أنْ يقيِّدوني ويَغلُّوني ويُدخلوني القبرَ كذلكَ كما يُفعلُ بالآبقِ مِنْ سيدِهِ)[٣] .

وكانَ يقولُ : (كيفَ يُمنِّي أحدُكم نفسَهُ بدخولِ الجنةِ ، والتنعُّمِ بالحورِ والقصورِ ، وهو مُستوجِبٌ للسعيرِ والثبورِ ؟!) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ إنِّي لا أغبطُ نبياً مرسلاً[٤] ، ولا مَلَكاً مقرَّباً ؛ لأنَّ كلَّ هـٰؤلاءِ يَشهدونَ أهوالَ يومِ القيامةِ ، وإنَّما أغبطُ مَنْ لم يُخلقْ)[٥] .

وسيأتي قولُ سفيانَ بنِ عيينةَ : (ينبغي للعبدِ أنْ يكونَ عندَ اللهِ مِنْ أجلِّ عبيدِهِ ، وعندَ نفسِهِ مِنْ أشرِّ العبيدِ ، وعندَ الخلقِ مِنْ أوسطِهم)[٦] .

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٦١٠) من قول حماد بن عبد ربه رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٢١) من قول أبي حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦١) .

(٤) في هامش (ج) : (**مراده** : المبالغة في التهويل لا نفي الغبطة رأساً ؛ فإنه لا يليق بشأن من يعرف قدر نعمة الله تعالىٰ أن ينكرها ولا يغبط صاحبها ، **ومعلوم** : أنه لا رتبة أعلىٰ من النبوة والمَلَكية ، فكيف لا يُغبَط صاحبهما ؟! انتهىٰ) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٠) ، وفي هامش (ج) : (**بلغ**) .

(٦) انظر (ص٦٧٢) .

وكانَ فرقدُ السبخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دخلَ بيتَ المقدسِ خمسُ مئةِ بكرٍ لباسُهُنَّ المُسوحُ[1] ، فقصَّ عليهنَّ بعضُ الأحبارِ شيئاً مِنْ أمورِ الآخرةِ ، فمِتْنَ جميعاً في ساعةٍ واحدةٍ)[2] .

وكانَ عطاءٌ [السَّليميُّ] رضيَ اللهُ عنهُ لا يتجرَّأُ قطُّ أنْ يقولَ : اللهمَّ ؛ أدخلْني الجنةَ ، إنَّما كانَ يسألُ العفوَ والصفحَ[3] .

قالَ فرقدٌ السبخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ودخلْنا مرةً علىٰ عطاءٍ [السَّليميِّ] ، فوجدْناهُ يبكي وقد وضعَ خدَّهُ على الأرضِ في الشمسِ ، فنظرْنا إليهِ ، فإذا مجرىٰ دموعِهِ في خدَّيهِ قدِ انسلخَ مِنَ البكاءِ ، ورأيْنا ما تحتَ خدِّهِ مِنَ الأرضِ قد صارَ طيناً ووحلاً ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ كثيراً ما يتلقَّىٰ دموعَهُ بيدِهِ ، ويرشُّها حولَهُ حتىٰ يظنَّ الداخلُ أنَّ ذلكَ ماءُ الوضوءِ)[4] .

وبلغَنا أنَّه مكثَ لم يرفعْ طرفَهُ إلى السماءِ أربعينَ سنةً ، فرفعَ رأسَهُ يوماً غفلةً ، ففزعَ ووقعَ علىٰ بطنِهِ ، فانفتقَ في بطنِهِ فتقٌ ، فلم يزلْ مريضاً بهِ إلىٰ أنْ ماتَ[5] .

وكانَ إذا أصابَ أهلَ بلدِهِ بلاءٌ يقولُ : (هـٰذا بذنوبِ عطاءٍ ؛ لو أنَّهُ خرجَ

---

(١) في هامش (ج) : (جمع مِسح بالكسر ؛ وهو لباس الرهبان ، كذا في « المُغرِب » . انتهىٰ) .

(٢) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/٦١٢) ، وابن الجوزي في « المدهش » (٤٢٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٢١٧) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٢١٨) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٢٢١) .

مِنْ بلدِهم لَمَا نزلَ عليهم بلاءٌ)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ غالبَ الليلِ يَمَسُّ جلدَهُ ؛ مخافةَ أن يكونَ قد مُسِخَ[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خرجْنا مرةً معَ عتبةَ الغلامِ ، فمررْنا علىٰ مكانٍ فسقطَ مغشياً عليهِ ، فلمَّا أفاقَ قالَ : هـٰذا مكانٌ عصيتُ اللهَ تعالىٰ فيهِ وأنا دونَ البلوغِ ، وكانَ ذلكَ بعدَ أنْ صلَّى الصبحَ بوضوءِ العشاءِ نحوَ أربعينَ سنةً هو وأصحابُهُ ، حتىٰ نحلَتْ أبدانُهم وتغيَّرَتْ ألوانُهم ؛ حتىٰ صارَتْ كأنَّها قشورُ البطيخِ الهنديِّ)[3] .

وسيأتي في هـٰذا الكتابِ زيادةٌ علىٰ ذلكَ ، وأنَّهُ كانَ يُغشىٰ علىٰ أحدِهم مِنَ البكاءِ ، وبعضُهم بكىٰ إلىٰ أنْ ماتَ . انتهىٰ[4] .

فتأمَّلْ يا أخي في ذلكَ ، وكنْ خائفاً مِنْ ربِّكَ كما درجَ عليهِ سلفُكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[5] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢١) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢٢) .

(٣) سبق تخريجه (ص١٥٥ـ١٥٦) .

وفي هامش (ج) : (وقد سبق مثله ؛ فيحتمل أنه وقع له مرتين ؛ لاختلاف العبارات . انتهىٰ) .

(٤) انظر (ص٣٠٠ـ٣٠٥) .

(٥) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه نفع الله ببركاته**) .

[المواظبة على قيام الليل]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : مواظبتُهم على قيامِ الليلِ صيفاً وشتاءً ، ورؤيتُهم تأكُّدَهُ عليهم ؛ كأنَّهُ فرضٌ ، حتى قالوا : كلُّ فقيرٍ نامَ في الليلِ مِنْ غيرِ غلبةٍ . . فلا يجيءُ منهُ شيءٌ في الطريقِ .

وقد أغفلَ هـٰذا الخُلُقَ كثيرٌ مِنَ الفقراءِ ؛ فينامونَ في الليلِ على طراريحَ كما ينامُ العامةُ وأبناءُ الدنيا[١] ، وبعضُهم يدخلُ غالباً كلَّ يومٍ الحمَّامَ ، فلا يخرجُ منهُ حتى تطلعَ الشمسُ مِنْ غيرِ ضرورةٍ ، بل ترفُّهاً ، وما أقبحَ الشيخَ وهو ذاهبٌ إلى الحمَّامِ كلَّ يومٍ بُكرةَ النهارِ والعامةُ والمريدونَ يرونَهُ !

وكانَ آخرَ مَنْ أدركْتُ مِنْ فرسانِ الليلِ الشيخُ محمدُ بنُ عِنانٍ ؛ كانَ وردُهُ كلَّ ليلةٍ خمسَ مئةِ ركعةٍ ، وهي وردُ المهديِّ على نبيِّنا وعليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ .

وكانَ الشيخُ الصالحُ ذو الأحوالِ والكراماتِ الشيخُ فرجٌ بناحيةِ (شان شلمون) بالشرقيَّةِ . . يحيِّي سيدي محمداً هـٰذا بقولِهِ : (أهلاً براعي الصُّهْبِ) ؛ لأجلِ كونِهِ كانَ مواظباً على قيامِ الليلِ ، وكانَ لا يتهجَّدُ ليالِيَ الشتاءِ إلا فوقَ السطحِ رضيَ اللهُ عنهُ .

---

(١) في هامش (ج) عند قوله : (طراريح) : (جمع طرَّاحة ؛ وهو المقعد المحشو بالصوف ، وأهل إستنبول [يعبرون] عنه بمندر ، وهـٰذه اللغة لا توجد في الكتب ، إنما هي مصرية أخذناها سماعاً . انتهىٰ) .

وفي الحديثِ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ ٱللَّيْلِ ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ ٱلصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَمَقْرُبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، وَتَكْفِيرٌ لِخَطَايَاكُمْ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ ٱلْإِثْمِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ ٱلْجَسَدِ »(١) .

وقالَتْ أمُّ سليمانَ بنِ داودَ عليهِ السلامُ : (يا بنيَّ ؛ لا تنمِ الليلَ ؛ فمَنْ نامَ الليلَ جاءَ يومَ القيامةِ وهو مفلسٌ مِنَ الحسناتِ)(٢) .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (يا داودُ ؛ كذبَ مَنِ ادَّعىٰ محبَّتي ، فإذا جنَّهُ الليلُ نامَ عني)(٣) .

وفي الحديثِ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِٱلْعَبْدِ إِذَا قَامَ يَتَهَجَّدُ مِنَ ٱللَّيْلِ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْبَارِدَةِ ، وَيَقُولُ : ٱنْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي ؛ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ لِحَافِهِ ، وَتَرَكَ ٱلدِّفَاءَ وَٱمْرَأَتَهُ ٱلْحَسْنَاءَ ؛ يُنَاجِينِي بِكَلَامِي ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ »(٤) .

قالَ نافعٌ : وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ يقومُ مِنَ الليلِ ، ثمَّ يقولُ : يا نافعُ ؛ أَسْحَرْنا ؟(٥) ، فأقولُ لهُ : لا ، فيقومُ لصلاتِهِ ، ثمَّ

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣٥٤٩) من حديث سيدنا بلال رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه ابن ماجه (١٣٣٢) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٦٠) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٩) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(٤) روىٰ نحوه الإمام أحمد في « المسند » (١/ ٤١٦) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٩٨٣) من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٥) **أَسْحَرْنا** ؛ أي : صرنا في وقت السحر . انظر « مختار الصحاح » (س ح ر) .

يقولُ : يا نافعُ ؛ أَسْحَرْنا ؟ فأقولُ : نعمْ ، فيقعدُ ، ثمَّ يأخذُ في الاستغفارِ حتىٰ يطلعَ الفجرُ(١) .

وكانَ الإمامُ زينُ العابدينَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نامَ يحيى بنُ زكريا عليهما الصلاةُ والسلامُ ليلةً عن وردِهِ ، وكانَ قد شبعَ مِنْ خبزِ الشَّعيرِ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا يحيىٰ ؛ لوِ اطَّلعْتَ علىٰ جنةِ الفردوسِ اطِّلاعةً لذابَ جسمُكَ ، ولبكَيْتَ الصديدَ بعدَ الدموعِ ، ولَلَبسْتَ الحديدَ بعدَ المُسوحِ)(٢) .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ربَّما تمرُّ عليهِ الآيةُ في وردِهِ مِنَ الليلِ ، فيسقطُ مغشياً عليهِ ، حتىٰ يصيرُ يُعادُ أياماً كما يُعادُ المرضىٰ(٣) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ أيامَ خلافتِهِ لا ينامُ ليلاً ولا نهاراً ، وإنَّما هي خَفَقاتٌ برأسِهِ وهو جالسٌ .

وكانَ يقولُ : (إنْ نمْتُ في الليلِ ضيَّعْتُ نفسي ، وإنْ نمْتُ في النهارِ ضيَّعْتُ رعيتي ، وأنا مسؤولٌ عنهم)(٤) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقومُ للتهجُّدِ إذا هدأَتِ العيونُ ،

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ٢٦٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٩٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٣٤) من قول علي بن أبي الحر رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٩٨) ، والدينوري في « المجالسة » (٥٤٥) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٥٨٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٢٧٣) .

فيُسمعُ لهُ دويٌّ كدويِّ النحلِ حتىٰ يصبحَ[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا غفلَ فأكلَ كثيراً . . يقومُ الليلةَ كلَّها ، ويقولُ : (إنَّ الحمارَ إذا زِيدَ في علفِهِ زِيدَ في تعبِهِ في الأحمالِ)[2] .

وكانَ طاوسٌ رحمَهُ اللهُ يفرشُ فراشَهُ مِنَ العشاءِ ، ويصيرُ يتقلَّبُ عليهِ ، ويئِنُّ إلى الصباحِ لا ينامُ ، وكثيراً ما كانَ يقومُ مِنَ العشاءِ إلى الفجرِ شاخصاً ، وكثيراً ما يمكثُ جالساً مطرِقاً إلى الفجرِ لا يتكلَّمُ[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ خوفَ جهنَّمَ قد طيَّرَ نومَ العابدينَ)[4] .

وكانَ السَّلفُ الصالحُ رضيَ اللهُ عنهم يعرفونَ وجهَ مَنْ نامَ عن قيامِ الليلِ ، ويقولونَ : ما رأيناكَ هـٰذهِ الليلةَ في الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ ، وقد حضرَ فلانٌ وفلانٌ ، وفرَّقوا عليهمُ التحفَ ، وكانوا يعيبونَ علىٰ بعضِهم بعضاً النومَ علىٰ فراشٍ وطيءٍ .

ونامَ بعضُهم علىٰ فراشٍ حينَ قَدِمَ مِنْ سفرٍ ، فنامَ عن وردِهِ تلكَ الليلةَ ؛ فحلفَ أنَّهُ لا ينامُ علىٰ فراشٍ حتىٰ يموتَ[5] .

وكانَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي رَوَّادٍ رضيَ اللهُ عنهُ يُفرَشُ لهُ الفراشُ ، فيضعُ يدَهُ عليهِ ويقولُ : ما ألينَكَ ! ولـٰكنَّ فراشَ الجنةِ ألينُ منكَ ، ثمَّ يقومُ إلىٰ

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٦٧٩) .
(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٤٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٩٦٤) .
(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٩١) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٩١) .
(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٣٨) ، والدينوري في « المجالسة » (٤٧١) ، والرجل هو هند بن عوف رحمه الله تعالىٰ .

صلاتِهِ ، فلا يزالُ يصلِّي إلى الفجرِ[1] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي لأقومُ الليلةَ فيطلعُ الفجرُ فيرجفُ قلبي ، وأقولُ : جاءَ النهارُ بما فيه مِنَ الآفاتِ) .

وكانَ بشرٌ الحافي ، وأبو حنيفةَ ، ويزيدُ الرَّقاشيُّ ، ومالكُ بنُ دينارٍ ، وسفيانُ الثوريُّ ، وإبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهم . . يقومونَ الليلَ كلَّهُ على الدوامِ حتىٰ ماتوا .

وقالوا مرةً لبشرٍ الحافي : أَلَا تستريحُ لكَ في الليلِ ساعةً ؟ فقالَ : (إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد قامَ حتىٰ تورَّمَتْ قدماهُ وقطرَ منهما الدمُ ؛ معَ أنَّ اللهَ تعالىٰ قد غفرَ لهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ وما تأخَّرَ ، فكيفَ أنامُ أنا ولم أعلمْ أنَّ اللهَ غفرَ لي ذنباً واحداً ؟!)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما تركَ أحدٌ قيامَ ليلةٍ إلا بذنبٍ أذنبَهُ ، فتفقَّدوا نفوسَكم كلَّ ليلةٍ عندَ الغروبِ ، وتوبوا إلىٰ ربِّكم لتقوموا الليلَ)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ كثيراً ما يقولُ : (إنَّما يثقلُ قيامُ الليلِ علىٰ مَنْ أثقلَتْهُ الخطايا) .

وكانَ أبو الأحوصِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا العلماءَ والعبَّادَ وهم

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٥٥٠) .

(٢) روى البخاري (٤٨٣٦) واللفظ له ، ومسلم (٢٨١٩) من حديث سيدنا المغيرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ تورَّمت قدماه ، فقيل له : غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ! قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٤٠٠) .

لا ينامونَ الليلَ ، وكنْتُ إذا طُفْتُ بدارٍ أو بمسجدٍ في الليلِ سمعْتُ فيه دويّاً كدويِّ النحلِ ، فما بالُ أهلِ زمانِنا يأمنونَ ممَّا كانَ أولـٰئك يخافونَ منهُ ؟!)[1] .

وكانَ صلةُ بنُ أشيمَ رضيَ اللهُ عنهُ يَصُفُّ قدميهِ للصلاةِ مِنْ بعدِ العشاءِ إلى الفجرِ ، ثمَّ يقولُ إذا فرغَ مِنْ صلاتِهِ : (يا ربِّ ؛ أجرْني مِنَ النارِ ؛ فإنَّ مثلي لا ينبغي لهُ سؤالُ الجنةِ)[2] .

وقالَ رجلٌ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : إنِّي لا أقدرُ علىٰ قيامِ الليلِ ، فصِفْ لي دواءً ، فقالَ لهُ : لا تعصِهِ بالنهارِ وهو يُقيمُكَ بينَ يديْهِ في الليلِ ؛ فإنَّ الوقوفَ بينَ يديْهِ في الليلِ مِنْ أعظمِ الشرفِ ، والعاصي لا يستحقُّ ذلكَ الشرفَ[3] .

وكانَ عتبةُ الغلامُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ إذا توضأَ مِنَ الليلِ قبلَ أنْ ينتصبَ للصلاةِ : (اللهمَّ ؛ إنِّي قد حمَّلْتُ نفسي ما لا أطيقُ مِنَ المعاصي والقبائحِ حتى استحقَّيْتُ الخسفَ والمسخَ ودخولَ النارِ[4] ، وها أنا أريدُ أنْ أقفَ بينَ يديكَ خلفَ كلِّ عاصٍ علىٰ وجهِ الأرضِ ؛ رجاءَ أنْ تغفرَ لأحدٍ منهم ، فيصيبَني منهُ شيءٌ مِنَ المغفرةِ) انتهىٰ[5] .

---

(١) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٩٨) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٢٠٢٧) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٣٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٤٠) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٦) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في هامش (ج) عند قوله : (**استحقيت**) : (من الاستحقاق ، والياء بدل من إحدى القافين) .

(٥) روى ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢٩٢) طرفاً من ذلك .

وكانَ الحسنُ بنُ صالحٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقومُ الليلَ هو وجاريتُهُ ، فباعَها لقومٍ ، فلمَّا صلَّتِ العشاءَ افتتحَتِ الصلاةَ ، فما زالَتْ تصلي إلى الفجرِ ، وكانَتْ تقولُ لأهلِ الدارِ كلَّ ساعةٍ تمضي مِنَ الليلِ : يا أهلَ الدارِ ؛ قوموا ، يا أهلَ الدارِ ؛ صلُّوا ، فقالوا لها : نحنُ لا نقومُ إلى الفجرِ ، فجاءَتْ إلى الحسنِ بنِ صالحٍ وقالَتْ : بعتَني لقومٍ ينامونَ الليلَ كلَّهُ ، وأخافُ أنْ أكسلَ مِنْ شهودِ نومِهم ، فردَّها الحسنُ إليهِ ؛ رحمةً بها ، ووفاءً بحقِّها[1] .

وكانَتْ رابعةُ العدويةُ رضيَ اللهُ عنها تتوضَّأُ كلَّ ليلةٍ ، وتتطيَّبُ ، وتقولُ لزوجِها : ألكَ حاجةٌ ؟ فإنْ قالَ : لا . . قامَتْ إلى الصباحِ[2] .

وكانَتْ تقولُ أوَّلَ الليلِ : (إلـٰهي ؛ نامَتِ العيونُ ، وغارَتِ النجومُ ، وأغلقَتْ ملوكُ الدنيا أبوابَها ، وبابُكَ لا يُغلقُ ، فاغفرْ لي) ، ثمَّ تَصُفُّ قدمَيْها للصلاةِ وتقولُ : (وعزَّتِكَ وجلالِكَ ؛ هـٰذا موقفي بينَ يديكَ إلى الصباحِ ما عشْتُ)[3] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عليكم بقلَّةِ الأكلِ تملكوا قيامَ الليلِ)[4] .

---

(١) أورده بنحوه العجلي في « الثقات » (ص ١١٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٥٥١) .

(٢) في نسبة هـٰذا الخبر إلىٰ رابعة العدوية نظر ؛ إذ لم تتزوج ، **ولعل المراد هنا** : رابعة بنت إسماعيل الشامية زوجة أحمد بن أبي الحواري رحمهم الله جميعاً ، فقد رُوي نحو ذلك عنها ، وانظر « صفة الصفوة » (٤/ ٣٠٢) .

(٣) رواه بنحوه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات » (ص٩٣) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » ، كلاهما عن حبيبة العدوية رحمها الله تعالىٰ .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٨٥) .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يصلِّي الليلَ كلَّهُ ، ويقولُ لأهلِهِ : (قوموا فصلُّوا ؛ فإنَّ قيامَ الليلِ أهونُ مِنْ مكابدةِ الأهوالِ يومَ القيامةِ)(١) .

وكانَ أبو الجويريةِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (صحبْتُ الإمامَ أبا حنيفةَ لا أفارقُهُ ستَّةَ أشهرٍ ، فما رأيتُهُ وضعَ جنبَهُ إلى الأرضِ في ليلةٍ منها)(٢) .

قالوا : ولم يكنْ لأبي حنيفةَ فراشٌ في الليلِ(٣) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما رأيتُ أعبدَ مِنْ أبي حنيفةَ ، ولا أزهدَ ولا أورعَ منهُ)(٤) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ حينَ يتجلَّىٰ مِنَ الليلِ : أينَ المدَّعونَ لمحبَّتي في النهارِ ؟ أليسَ كلُّ محبٍّ يحبُّ الخلوةَ بحبيبِهِ ؟ فها أنا الآنَ مطَّلِعٌ علىٰ أحبابي يكلِّموني على الحضورِ ، ويخاطبوني على المشاهدةِ ، وغداً أُقِرُّ أعينَهم في جنَّتي)(٥) .

وكانَ المغيرةُ بنُ حبيبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رمقْتُ ليلةً مالكَ بنَ دينارٍ وقدِ انتصبَ بينَ يدَيِ اللهِ مِنَ العشاءِ قابضاً علىٰ لحيتِهِ ، فما زالَ يبكي

---

(١) روى ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢) ما يدل علىٰ شدة مواظبة ثابت البناني رحمه الله تعالىٰ علىٰ قيام الليل .

(٢) رواه أبو نعيم في « مسند أبي حنيفة » (ص٢١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٤) .

(٣) أورده الذهبي في « مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه » (٢١) ، وروىٰ نحوه الصيمري في « أخبار أبي حنيفة وأصحابه » (ص ٥٥) .

(٤) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٦ ، ٣٦١) عن غير واحدٍ .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٩) .

ويقولُ : يا ربِّ ؛ ارحمْ شيبةَ مالكٍ ، إلىٰ أنْ طلعَ الفجرُ)[1] .

قالَ : (ورمقْتُ عبدَ الواحدِ بنَ زيدٍ شهراً ، فرأيتُهُ لا ينامُ مِنَ الليلِ شيئاً)[2] .

وكانَ يقولُ لأهلِ الدارِ كلَّ ساعةٍ مضَتْ مِنَ الليلِ : (يا أهلَ الدارِ ؛ انتبهوا ، فما هـٰذهِ دارَ نومٍ ، عن قريبٍ يأكلُكُمُ الدودُ) .

وكانَ صهيبٌ العابدُ رقيقاً لامرأةٍ بالبصرةِ ، وكانَ يقومُ الليلَ كلَّهُ ، فقالَتْ لهُ سيدتُهُ يوماً : إنَّ طولَ قيامِكَ بالليلِ يضرُّ بخدمتِكَ بالنهارِ ، فقالَ لها : فماذا أصنعُ ؛ وإذا ذكرْتُ جهنَّمَ طارَ نومي ؟![3] .

وكانَ أزهرُ بنُ مغيثٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأيْتُ ليلةً حوراءَ مِنْ أجملِ النساءِ ، فقلْتُ لها : لمَنْ أنتِ ؟ فقالَتْ : لمَنْ يقومُ الليلَ في ليالي الشتاءِ)[4] .

وكانَ العلاءُ بنُ زيادٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقومُ الليلَ كلَّهُ ، فقالَتْ لهُ امرأتُهُ : أَلَا تستريحُ لكَ لحظةً ؟ فأطاعَها ، فأتاهُ آتٍ في منامِهِ ، وأخذَ بمقدَّمِ شعرِ

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٩٩) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤١٣) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/١٥٧) .

(٣) رواه ابن الجوزي في « تنوير الغبش » (١٢٥) عن صهيب ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٩٣) من طريق عبد الله بن داود ؛ قال : (حدثني رجل منذ خمسين سنة . . .) ، ثم ذكر نحوه ولم ينسبه إلىٰ صهيب .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/٥٥٣ـ ٥٥٤) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٥٥) عن أزهر أنه قال : (حدثنا أبي وكان من القوامين لله في سواد هذا الليل المظلم . . .) .

رأسِهِ ، وقالَ : قمْ فصلِّ ، ولا تضيِّعْ حظَّكَ مِنْ عبادةِ ربِّكَ ، فقامَ فوجدَ تلكَ الشَّعَراتِ واقفةً ، فلم تزلْ واقفةً حتىٰ ماتَ[1] .

ونامَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ليلةً في بيتِ المقدسِ ، فسمعَ صوتاً مِنْ جانبِ الصخرةِ يقولُ : قيامُ الليلِ يطفئُ لهبَ النارِ ، ويثبِّتُ الأقدامَ على الصراطِ ، فلا تتساهلْ في قيامِ الليلِ ، فما تركَهُ بعدَ ذلكَ حتىٰ ماتَ . انتهىٰ .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واعملْ عليهِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[2] .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٤٢٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٤٤) .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ** . . .) ، وفيه أيضاً : (. . . **وكتبه مؤلفه**) .

البَابُ الثَّانِي

فِي جُمْلَةٍ أُخْرَى مِنَ الْأَخْلَاقِ

[شدّة هضم النفس والتواضع للتلاميذ والمريدين]

فمن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدةُ هضمِهم لنفوسِهم ؛ بحيثُ يصيرُ أحدُهم يتبرَّكُ بتلميذِهِ ، ويحمِّلُهُ الحملةَ[1] ، ولا ينظرُ إلىٰ كونِهِ أعلمَ مِنْ مريدِهِ ، أو أكثرَ عملاً منهُ بطريقِهِ الشرعيِّ ؛ كأَنْ لا يَخشىٰ عليهِ فتنةً بذلكَ .

وقد بلغَنا أنَّ الإمامَ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا أرسلَ قاصدَهُ للإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ يخبرُهُ بأنَّهُ سيقعُ في محنةٍ عظيمةٍ ، ويخلصُ منها سالماً ؛ يعني : مسألةَ هلِ القرآنُ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ ، فلمَّا أخبرَهُ القاصدُ بذلكَ نزعَ الإمامُ أحمدُ لهُ قميصَهُ ؛ سروراً بقدومِ رسولِ الإمامِ الشافعيِّ إليهِ ، فلمَّا رجَعَ الرسولُ بالقميصِ قالَ لهُ الشافعيُّ : هل كانَ هـٰذا القميصُ علىٰ جسدِهِ ، أو بينَهُ وبينَ جسدِهِ شيءٌ آخرُ ؟ فقالَ : كانَ علىٰ جسدِهِ ، فقبَّلَهُ الإمامُ الشافعيُّ ، ووضعَهُ علىٰ عينَيهِ ، ثمَّ صبَّ عليهِ الماءَ في إناءٍ وعركَهُ فيهِ ، ثمَّ عصرَهُ ووضعَ غُسالتَهُ عندَهُ في قارورةٍ ، فكانَ كلُّ مَنْ مرِضَ مِنْ أصحابِهِ يرسلُ لهُ شيئاً مِنْ تلكَ الغُسالةِ ، فإذا مسحَ بهِ المريضُ جسدَهُ عُوفِيَ مِنْ مرضِهِ لوقتِهِ . انتهىٰ[2] .

---

(١) في هامش (ج) : (أي : مصالح الخلق وحاجاتهم . انتهىٰ) .

(٢) رواه بنحوه ابن الجوزي في « مناقب الإمام أحمد » (ص ٦٠٩ـ ٦١٠) ، وأورده بنحوه=

فانظرْ يا أخي تواضُعَ الإمامِ الشافعيِّ معَ الإمامِ أحمدَ معَ كونِهِ مِنْ تلامذتِهِ .

وهـٰذا يدلُّكَ علىٰ أنَّ القومَ معَ كثرةِ أعمالِهِمُ الصالحةِ كانوا لا يَرونَ نفوسَهم علىٰ أحدٍ مِنَ المسلمينَ في ساعةٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ ، عكسُ ما عليهِ المُتَمشيخونَ في هـٰذا الزمانِ .

وكانَ آخرَ مَنْ أدركتُهُ يعتقدُ في تلميذِهِ ، ويتبركُ بهِ ، ويرسلُ لهُ الأرمدَ والمريضَ ليَرقِيَهُ . . الشيخُ محمدُ بنُ عنانٍ والشيخُ محمدٌ السِّرْوِيُّ ، فكانَ الشيخُ محمدُ بنُ عِنانٍ يرسلُ مَنْ يريدُ الدعاءَ لمريضِهِ إلى الشيخِ يوسفَ الحريثيِّ ، وكانَ الشيخُ محمدٌ السِّرْوِيُّ يرسلُهُ للشيخِ عليٍّ الحديديِّ معَ أنَّ الشيخَ يوسفَ والشيخَ علياً المذكورَينِ مِنْ تلامذةِ هـٰذَينِ الشيخَينِ ، فرضيَ اللهُ عنِ الصادقينَ .

فتأمَّلْ يا أخي في أخلاقِ سلفِكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/ ٣٣١) .

[كثرةُ الغيرة على أن يذكر الله تعالىٰ أحدٌ في غفلة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الغَيرةِ علىٰ ذكرِ اللهِ تعالىٰ ؛ أنْ يذكرَهُ أحدٌ وهو غافلٌ ؛ وذلكَ كقصدِ الوالدةِ بالذكرِ تنويمَ ولدِها إذا سهرَتْ بهِ في الليلِ ؛ فإنَّ ذكرَ اللهِ يَجِلُّ عن مثلِ ذلكَ .

وقد قالَ بعضُ الصالحينَ يوماً لمريضٍ : قلْ : يا لطيفُ ، وهو غافلٌ عن كونِهِ بينَ يدَيِ اللهِ تعالىٰ ، فعاتبَهُ ربُّهُ علىٰ ذلكَ في المنامِ ، وقالَ لهُ : قد جعلْتَ ذكرَ اسمي لعباً ولهواً ؟! انتهىٰ .

فاعلمْ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[الرِّفق واللِّين مع كلّ النّاس]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : أنْ يكونَ أحدُهم هيِّناً ليِّناً ؛ فينقادُ للصغيرِ كما ينقادُ الجملُ لهُ .

وفي الحديثِ الذي فيهِ الأمرُ بتسويةِ الصفوفِ : « وَلِينُوا فِي يَدِ إِخْوَانِكُمْ »(١) .

وفي القرآنِ العظيمِ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ومِنْ جملةِ لينِ الفقراءِ : أنَّ أحدَهم إذا دخلَ علىٰ جماعةٍ يذكرونَ اللهَ تعالىٰ كذكرِ العجمِ أوِ المغاربةِ أوِ الشِّنَّاويَّةِ أوِ الرِّفاعيةِ أوِ المطاوعةِ . . ذكرَ معَهم كهيئتِهم في الصوتِ وغيرِهِ بطريقِهِ الشرعيِّ ، وكذلكَ يوافقُهم في ذكرِهمُ الذي لُقِّنوهُ حينَ دخلوا في الطريقِ مِنْ نفيٍ أو إثباتٍ ، ولا يقولُ : هـٰذهِ الكيفيةُ ما هي طريقَ شيخِنا ؛ كما يقعُ فيهِ كثيرٌ مِنَ الناسِ ، فيفوتُهمُ الأجرُ معَ وقوعِهم في الجفاءِ وغِلَظِ الطبعِ .

فاعلمْ ذلكَ ، واعملْ عليهِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه أبو داود (٦٦٦) ، والإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٩٨) ، كلاهما من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

[شدّة الجوع والتقليل من الطّعام]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ الجوعِ بطريقِهِ الشرعيِّ ، وإنْ لم يجدوا شيئاً حلالاً يأكلونَهُ طَوَوُا الليالِيَ والأيامَ ، وقد جرَّبوا فوجدُوا النورَ كلَّهُ والخيرَ في خلوِّ الباطنِ ، حتىٰ إنَّهم قالوا في المَثَلِ السائرِ في الطَّبلِ : إنَّما كانَ صوتُهُ قوياً جَهْوَرِيّاً لكونِهِ خاليَ الجوفِ . انتهىٰ .

وقالوا : ينبغي للعالمِ ألَّا يشبعَ قطُّ ؛ لا سيَّما أيامِ التأليفِ ؛ وذلكَ لئلَّا يُحجَبَ عن كمالِ الفهمِ في القرآنِ والحديثِ والفقهِ وغيرِ ذلكَ ؛ فإنَّ فهمَ الشبعانِ يكونُ ضعيفاً جداً ، ومَنْ شكَّ فليجرِّبْ . انتهىٰ[1] .

وقد أدرَكْنا جماعةً كثيرةً مِنَ الفقراءِ كانوا علىٰ قَدَمِ الصدقِ والجوعِ ، حتىٰ كانَ أحدُهم لا يدخلُ الخلاءَ إلا كلَّ سبعةِ أيامٍ مرةً ؛ حياءً مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يَكثُرَ تردُّدُ أحدِهم للخلاءِ وهو مكشوفُ العورةِ .

وانتهىٰ أمرُ سيدي الشيخِ تاجِ الدينِ الذاكرِ إلىٰ أنَّهُ صارَ يتوضَّأُ في كلِّ اثنَيْ عشرَ يوماً مرةً .

وكانَ سيدي عليٌّ الشُّهاويُّ المشهورُ بالذؤيبِ . . يأمرُ كلَّ مَنْ لقيَهُ

---

(١) وقد ألف الإمام ابن أبي الدنيا رسالة مطبوعة أسماها « الجوع » ذكر فيها الزهدَ في الطعام والتقليلَ منه من سيرة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، والسلف الصالح رحمهم الله تعالىٰ .

بالجوعِ ، ويقولُ : (إنَّهُ سلاحُ المؤمنِ ، وصاحبُ الجوعِ إنْ لم يطعِ اللهَ لم يعصِهِ ؛ لعدمِ وجودِ داعيةٍ تدعوهُ إلى المعاصي) .

وممَّنْ صامَ الدهرَ كلَّهُ أخي الشيخُ الصالحُ عمرُ النَّبْتِيتيُّ المكشوفُ الرأسِ ، وولدُ عمِّهِ الشيخُ عبدُ القادرِ المكشوفُ الرأسِ أيضاً ، وصارَ كلٌّ منهما في غايةِ النورانيةِ ، وعلوِّ الهمَّةِ .

فاعلمْ ذلكَ ، **واتَّبِعْ يا أخي سلفَكَ** ، ولا تأكلْ إلا بعدَ جوعٍ شديدٍ ؛ وهو أنْ تشتعلَ أمعاؤُكَ وتصيرَ تلذعُكَ ؛ لعدمِ وجودِ طبيعةٍ تشتغلُ بطبخِها .

وكانَ الإمامُ الأوزاعيُّ يدخلُ الخلاءَ كلَّ شهرٍ مرةً ، فلمَّا صارَ يدخلُهُ في الشهرِ مرتَينِ صارَتْ أمُّهُ تقولُ : (ادعوا لعبدِ الرحمـٰنِ بالشفاءِ ؛ فإنَّ بهِ علةَ البطنِ) ، كما سيأتي بيانُهُ في هـٰذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[١] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢] .

---

(١) قوله : (وكان الإمام الأوزاعي . . . إن شاء الله) ليس في (ب ، هـ) وهو في (أ ، ج) لَحْقٌ مصحَّحٌ ، وانظر (ص٣٤٧) .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ) .

[الدّعاء لمن دلّت القرائن على عدم إخلاصه والمداومة على تعليمه]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : إذا علموا بالقرائنِ عدمَ إخلاصِ مَنْ يتعلَّمُ مِنْهمُ العلمَ أنْ يدوموا علىٰ تعليمِهِ ، ولٰكنْ يتوجَّهوا إلى اللهِ تعالىٰ في الدعاءِ لهُ بإصلاحِ النيَّةِ[١] ، فيؤجَرونَ هم وإيَّاهُ ، ولا يتركونَ تعليمَهُ ؛ فإنَّ ذلكَ جهلٌ بمرادِ الشارعِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّ العلمَ يُحمَلُ لأمرَينِ : للعملِ بهِ ، ولإحياءِ الشريعةِ بهِ ، فصاحبُهُ علىٰ كلِّ حالٍ مأجورٌ ؛ أجراً ناقصاً أو كاملاً .

وكانَ سيدي عليٌّ الخوَّاصُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما مِنْ حاملِ علمٍ إلا وهو يعملُ بهِ ، ولو في حقِّ نفسهِ إذا ارتكبَ المعاصيَ ؛ وذلكَ لأنَّهُ يتوبُ ويندمُ إذا وقعَ فيها ، فلولا علمُهُ بالحُكْمِ ما اهتدىٰ لكونِ ذلكَ ذنباً ، ولا كانَ تابَ منهُ) .

فقد عملَ مثلُ هٰذا بعلمِهِ مِنْ هٰذهِ الحيثيَّةِ ، وإنْ كانَ مَنِ ارتكبَ المعاصيَ لم يعملْ بعلمِهِ علىٰ مصطلحِ الناسِ ، فافهمْ ؛ فالعلمُ نافعٌ لصاحبِهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، ولم يزلْ علمُ كلِّ إنسانٍ أكثرَ مِنْ عملِهِ في كلِّ عصرٍ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) قوله : (يتوجهوا) كذا في جميع النسخ علىٰ لغة فاشية .

[العزم على العمل بعلم كلّ عالم وإن لم يعمل هو به، والدّعاء له]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عزمُهم على العملِ بعلمِ كلِّ عالمٍ رأوهُ لا يعتني بالعملِ بما علمَ ؛ فيعملونَ بعلمِهِ ، ثمَّ يجعلونَ ثوابَ ذلكَ في صحائفِ هٰذا العالمِ ، ويطلبونَ أجرَهم مِنَ اللهِ تعالىٰ مِنْ بابِ المنةِ والفضلِ ؛ كما أنَّهم إذا قرؤوا في علمٍ مِنَ العلومِ يجعلونَ ثوابَ ذلكَ للمؤلِّفِ ، ولا يزاحمونَهُ فيهِ ؛ لأنَّ ثوابَ كلِّ قولٍ لقائلِهِ ، فافهمْ .

وهٰذا الأمرُ لا يتخلَّقُ بهِ إلا مَنْ كانَ أشفقَ على المؤمنينَ مِنْ أنفسِهم ؛ بحكمِ الإرثِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، كما بسطْنا الكلامَ علىٰ ذلكَ في خاتمةِ كتابِ « المنن الكبرىٰ » .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، **واقتدِ بأسلافِكَ** ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[الصبر على مخالطة العدوّ مع الحذر]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : مخالطتُهم لِمَنْ كانَ عدواً لهم في السرِّ وادَّعىٰ محبتَهم ظاهراً ، وتطويلُ روحِهم عليهِ[1] ، وإيهامُهُ أنَّ أحدَهم صدَّقَهُ في دعواهُ المَحبةَ لهُ ، ولم يَلحَقْ بمَا عندَهُ مِنْ عدمِ الصدقِ ، كما أنَّهم لا يُكذِّبونَهُ قطُّ في دعواهُ ، وكذلكَ لا يمتنعُ مِنْ تقريبِهِ إذا طلبَ منهُ القربَ ؛ فإنَّ ذلكَ يزيدُهُ عداوةً وتعظيماً للفتنةِ ، لـٰكنْ يحتاجُ هـٰذا المخالطُ للعدوِّ إلىٰ حفظِ جوارحِهِ مِنْ سائرِ المخالفاتِ ؛ لأنَّ العدوَّ ربَّما كانَ قصدُهُ مِنَ المخالطةِ اطِّلاعَهُ علىٰ عورةِ أخيهِ ؛ ليصيرَ يهجوهُ بذلكَ في المجالسِ أيَّامَ ظهورِ عداوتِهِ عليهِ ؛ كما هو واقعٌ كثيراً ، فليكنِ المخالطُ لعدوِّهِ المذكورِ علىٰ حذرٍ ، ولا يخالطْ إلا مَنْ يعتقدُ فيهِ الصداقةَ والمحبَّةَ ؛ فإنَّ البُعدَ مِنَ العدوِّ أَولىٰ لكلِّ مَنْ لم يكنْ عندَهُ كمالُ سياسةٍ ، وكثرةُ دِينٍ . انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، **واقتدِ بأسلافِكَ** ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) مصطلح شائع عند العامة كناية عن الصبر .

[رؤيةُ محاسنِ النّاسِ ، والتّعامي عنْ مساويهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : رؤيةُ محاسنِ الناسِ ، والتَّعامي عن مساويهم ؛ حتىٰ إنَّ أحدَهم لا يكادُ يرىٰ في أخيهِ المسلمِ عيباً يهجوهُ بهِ أبداً ، ويصيرُ الناسُ كلُّهم عندَهُ صالحينَ .

فعُلِمَ : أنَّ الصالحينَ لا يُعادونَ أحداً لحظِّ نفسٍ ، وإنَّما النَّاسُ همُ الذينَ يعادونَهم ؛ حسداً وعدواناً .

فإنْ قيلَ : إنَّ صاحبَ هٰذا المشهدِ يَقِلُّ نفعُهُ لأصحابِهِ ؛ مِنْ حيثُ عدمُ النصحِ والتحذيرِ مِنَ المنكرِ ؛ فيصيرُ صاحبُهُ مرتكباً للمعاصي على الدوامِ ، ولا يهتدي لتحذيرِهِ عنها ؛ لعدمِ شهودِها فيهِ ، أو حملِهِ على المحاملِ الحسنةِ !

فالجوابُ : أنَّه يهتدي للتحذيرِ بالإلهامِ الصحيحِ بواسطةِ رابطتِهِ بهِ ، أو بقياسِهِ علىٰ نفسِهِ ، ويقولُ : كما أنِّي أرتكبُ المعاصيَ مثلاً فكذلكَ أخي قد لا يخلو منها ؛ فإنَّ ما جازَ في حقِّي جازَ في حقِّ غيري ، **ومعلومٌ عندَ القومِ** : أنَّ ذِكرَهم نقائصَ إخوانِهم لا يكونُ إلا علىٰ وجهِ التحذيرِ دونَ التشفِّي ؛ لبراءتِهم عن مِثْلِ هٰذا الفعلِ .

وقد تقدَّم أنَّ الكاملَ يُكنىٰ عندَ القومِ أبا العيونِ ، فلكلِّ شيءٍ عندَهُ عينٌ يراهُ بها، فيشهدُ سلامةَ أخيهِ مِنَ النقائصِ ؛ كالرياءِ والنفاقِ ونحوِهما . .

بعينٍ ، ويحذِّرُهُ مِنَ النقائصِ فعلاً أو تقديراً . . بالعينِ الأخرىٰ ، ويحتاطُ لهُ كاحتياطِ مَنْ يتَّهمُهُ بالنقائـصِ مِنْ غيرِ اتهامٍ لهُ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كثرة الشكر لله تعالى واستغفاره إذا كثر الحسّاد]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ شكرِهم للهِ تعالىٰ إذا كثُرَ حسَّادُهم وأعداؤُهم ، ثمَّ كثرةُ استغفارِهم بعدَ ذلكَ ، فيشكرونَ اللهَ تعالىٰ علىٰ تلكَ النعمةِ التي حسدَهمُ الناسُ عليها ، ويستغفرونَ اللهَ تعالىٰ ؛ مِنْ حيثُ إنَّهم كانوا سبباً لوجودِ الحسدِ ؛ لأنَّهُ لولا وجودُهم ووجودُ النعمةِ التي عليهم ما وقعَ أحدٌ في حسدِهمُ المحرَّمِ ؛ فاستغفارُهمُ المذكورُ إنَّما هو تورُّعٌ مِنْ حيثُ اللازمُ للنعمةِ ، وإلا فوجودُ النعمةِ ليسَ بيدِهم ، ويسمَّىٰ هٰذا : استغفارَ الأكابرِ .

[كثرة الاستغفار للحاسد، ورحمته]

وكذلك من أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ استغفارِهم لمَنْ يحسُدُهم ، ورحمتِهم لهُ ، وشفقتِهم عليهِ ؛ لكونِهِ أهلكَ دينَهُ بكثرةِ حسدِهِ لهم ، فيقولونَ : اللهمَّ ؛ اغفرْ لحُسَّادِنا ؛ فإنَّهم لِمَا عندَهم مِنَ الضيقِ لا يحتملونَ رؤيةَ ما مننْتَ بهِ علينا مِنَ النعمِ التي علينا دونَهم[1] ، ولو أنَّ نفوسَهمُ اتَّسعَتْ لم يقعُوا في حسدِنا .

وهٰذا الخُلُقُ لا يكادُ يتخلَّقُ بهِ إلا قليلٌ مِنَ الناسِ ، وغالبُهم يتمنَّىٰ لعدوِّهِ وحاسدِهِ كلَّ سوءٍ .

فاعلمْ يا أخي ذلك ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) قوله : (ما مننت به علينا من) ليس في (ج ، هـ) .

[إنصاف من سعى لهم برزقة ونحوها ؛ بإعطائه شيئاً منها]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : إنصافُهم لكلِّ مَنْ سعىٰ لهم عندَ الأمراءِ والأكابرِ في تحصيلِ رِزْقةٍ أو جَوَالي أو هديةٍ ونحوِ ذلكَ[1] ، فيقاسمونَهُ بالنصفِ أوِ الربعِ بقدْرِ ما يرونَهُ يرضيهِ ، لا سيَّما إنْ وُصفَ أحدُهم بالصلاحِ والزهدِ والورعِ حتىٰ أعطَوهُ ما أعطَوهُ ؛ فإنَّ ذلكَ مِنْ بابِ النَّصْبِ والتلبيسِ[2] ، فلا ينبغي للشيخِ أنْ يَشحَّ عليهِ بما يطلبُهُ مِنْ ذلكَ ؛ لأنَّهُ معدودٌ مِنْ كسبِ ذلكَ الناصبِ حقيقةً ، فالأَولىٰ لهُ عدمُ أخذِ شيءٍ مِنْ ذلكَ مطلقاً إلا بطريقٍ شرعيٍّ .

وقد كثُرَ النصبُ في أهلِ هـٰذا الزمانِ ، فصارَ أحدُهم يوقفُ النقيبَ ينصبُ لهُ عندَ الأمراءِ ومشايخِ العربِ ، ثمَّ إذا أتاهُ بذلكَ يختصُّ بهِ ، ولا يعطي النقيبَ الذي نصبَ وتعبَ شيئاً ، وذلكَ حَيفٌ عظيمٌ .

---

(١) قوله : (جوالي) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وانظر ما ورد تعليقاً (ص٦٦) .

(٢) في هامش (ج) عند قوله : (**النصب**) : (كلمة مولَّدة تستعمل فيما لا يراد حقيقته ، ولذا عطف عليها التلبيس ؛ **أي** : إنما يَصِفُ أحدَهم بالصلاح وليس غرضه ذاك ؛ ليحصِّل بسببه شيئاً ؛ لأنه لما تعذر عليه خداعهم وأخذ شيء من أيديهم لمَّا لم يعتقدوه بالصلاح . . توسَّل بمن يعتقدونه بالصلاح ، وورَّىٰ أنه إنما يأخذ له لا لنفسه ، والغرض عكسه ، يقال : ينصب علىٰ فلان وهو نصَّاب : إذا خدع الناس قولاً أو فعلاً ، وهـٰذه لغة مصرية لا توجد في كتب اللغة . انتهىٰ) .

وبعضُهم رفعَ الشيخَ إلى الحاكمِ ، وذكرَ فيهِ العُجَرَ والبُجَرَ[١] ، حتىٰ قالَ القاضي وجماعتُهُ للشيخِ : أنتَ طمَّاعٌ عظيمٌ .

فإيَّاكَ يا أخي مِنْ فعلِ مثلِ ذلكَ ثم إيَّاكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) قوله : (**وذكر فيه العجر والبجر**) ؛ أي : المساوي والعيوب . انظر « القاموس المحيط » (ب ج ر) .

[العمل بالسُّنَّة عند الخطبة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عملُهم بالسنةِ إذا خَطَبوا امرأةً ؛ فيرَوْنَ منها الوجهَ والكفَّينِ .

قالَ بعضُهم : ويكونُ ذلكَ بغيرِ شهوةٍ ؛ لأنَّها ليسَتْ بمحلٍّ للاستمتاعِ بها الآنَ ، ولكنَّ الجمهورَ على خلافِهِ ؛ لإذنِ الشارعِ لهُ في النظرِ ، قالوا : ولا يتعلَّلْ أحدُهم بالحياءِ ؛ فإنَّ في تركِ النظرِ مفاسدَ وحصولَ شرورٍ إذا لم تعجبْهُ .

ثمَّ إذا رأىٰ أحدُهمُ المخطوبةَ لا يرىٰ منها إلا بقدْرِ الحاجةِ ، فإنْ علمَ مِنْ نفسِهِ الطغيانَ فلينظرْ دونَ القدْرِ المأذونِ فيهِ ، ويفوِّضْ أمرَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، أو يأذنْ لامرأةٍ يثقُ بها تنظرُها لهُ بحكمِ النيابةِ .

فعُلِمَ : أنَّ مَنْ تركَ النظرَ وتعلَّلَ بالحياءِ فهو جاهلٌ بالسنةِ ، جافي الطبعِ ، وحياؤُهُ الذي تعلَّلَ بهِ طبعيٌّ لا شرعيٌّ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كثرة الأدب مع المعلِّم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ أدبِهم معَ مَنْ علَّمَهم آيةً أو سورةً مِنَ القرآنِ وهم أطفالٌ ، فلا يزالُ أحدُهم يتأدَّبُ معَ مَنْ علَّمَهُ الآيةَ مِنَ القرآنِ أوِ البابَ مِنَ العلمِ ، حتَّىٰ إنَّهُ لا يمرُّ عليهِ راكباً ، ولا يتزوجُ لهُ مطلَّقةً ، ولو صارَ مِنْ مشايخِ الإسلامِ أو مِنْ مشايخِ الطريقِ .

ومِنْ أدبِهم معَهُ أيضاً : افتقادُهُ بالهدايا ، وكسوتُهُ وكسوةُ عيالِهِ ومَنْ يلوذُ بِهِ ؛ إكراماً لهُ .

[الكرم مع الفقيه الذي يقرئ الأطفال القرآن]

وكذلك من أخلاقهم : عدمُ البخلِ على الفقيهِ الذي يُقرِئُ أطفالَهمُ القرآنَ ، ولا يستكثرونَ عليهِ شيئاً يعطونَهُ لهُ في الدنيا .

وقد حُكِيَ : أنَّ ابنَ أبي زيدٍ القيروانيَّ صاحبَ « الرسالةِ » أعطىٰ فقيهَ ولدِهِ لمَّا علَّمَهُ حزباً مِنَ القرآنِ مئةَ دينارٍ ، فقالَ لهُ الفقيهُ : أنا ما علَّمْتُهُ شيئاً أستحقُّ بهِ ذلكَ كلَّهُ ، فحوَّلَ ابنُ أبي زيدٍ ولدَهُ مِنْ عندِهِ إلىٰ فقيهٍ آخرَ ، وقالَ : هـٰذا رجلٌ مستهينٌ بالقرآنِ . انتهىٰ .

قلتُ : وقد عملْتُ أنا بهـٰذا الخُلُقِ معَ فقيهي الشيخِ حسنٍ الحلبيِّ ، فكنْتُ أكسوهُ وأكسو أولادَهُ إلىٰ أنْ ماتَ ، ولم أرَ أنَّني قمْتُ بواجبِ حقِّهِ .

وقد كنْتُ ماراً معَ الشيخِ شمسِ الدينِ الدَّيْرُوطيِّ الواعظِ بجامعِ الأزهرِ في سنةِ ثمانِ عشرةَ وتسعِ مئةٍ[1] ، فرأىٰ شيخاً أعمىٰ تقودُهُ ابنتُهُ ، فنزلَ مِنْ علىٰ دابتِهِ وقبَّلَ يدَهُ وماشاهُ زماناً ، فقلْتُ لهُ : يا سيدي ؛ مَنْ هـٰذا ؟ فقالَ : هـٰذا رجلٌ قرأْتُ عليهِ وأنا صبيٌّ شيئاً مِنَ القرآنِ ؛ فلا أقدرُ أمرُّ عليهِ وأنا راكبٌ ، معَ أنَّ الشيخَ شمسَ الدينِ هـٰذا أُعطِيَ مِنَ الجاهِ والاعتقادِ والعلمِ

---

(١) في (ج ، هـ) : (الدمياطي) ، وفي (د) : (الدشطوطي) بدل (الديروطي) ، **والمراد هنا** : الشيخ شمس الدين الديروطي ثم الدمياطي الواعظ ، كان في الجامع الأزهر أيام السلطان قانصوه الغوري ، وكان مُهاباً عند الأمراء ، زاهداً ورعاً . انظر « الطبقات الكبرىٰ » للشعراني (٢/ ١٨٢) .

والصلاحِ عندَ الملوكِ والأمراءِ ما لم نرَ أحداً أُعطِيَ مثلَهُ مِنْ أقرانِه ، حتىٰ إنِّي رأيتُهُ بينَ القصرَينِ يوماً والناسُ يزدحمونَ علىٰ تقبيلِ يدِهِ ، ومَنْ لم يصلْ إليهِ نشرَ رداءَهُ وحذفَهُ عليهِ حتىٰ يصيبَ مِنْ ثيابِ الشيخِ ، ثمَّ يصيرُ يقبِّلُ ذلكَ الرداءَ ؛ كما يفعلُ الناسُ بسترِ الكعبةِ إذا زفُّوهُ في مصرَ .

فرضيَ اللهُ عن أهلِ الأدبِ إلىٰ يومِ القيامةِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[عدم شهود النوافل ، والنظر إليها كالجابرة لنقص الفرائض]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ شهودِهم في نفوسِهم أنَّ لهم نوافلَ مِنَ العباداتِ ؛ ولو قاموا حتىٰ تورَّمَتْ أقدامُهم ، وإنَّما يرَوْنَ نوافلَهم كالجابرةِ لبعضِ النقصِ الحاصلِ في فرائضِهم ؛ إذِ النوافلُ حقيقةً لا تكونُ إلا لِمَنْ كمَلَتْ فرائضُهُ ؛ كما أشارَ إليهِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، فذكرَ تعالىٰ أنَّها نافلةٌ لهُ ؛ لكمالِ فرضِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إذ هو معصومٌ مِنَ النقصِ في عباداتِهِ ، وقد ذكرَ ذلكَ الجلالُ السيوطيُّ وغيرُهُ في الخصائصِ(١) .

وإنْ قُدِّرَ أنَّ أحداً مِنَ الأولياءِ أتىٰ بعبادتِهِ على الكمالِ فذلكَ بحكمِ الإرثِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا مستقلاً .

ورأيتُ في كلامِ بعضِهم : أنَّ الملائكةَ لا تعرضُ على اللهِ تعالىٰ صلاةَ أحدٍ إلا بعدَ تكملتِها لهُ مِنْ نوافلِهِ ؛ أدباً معَ اللهِ تعالىٰ .

وقد فعلَ جماعةُ الملوكِ مثلَ ذلك فيمَنْ كانَ ببدنِهِ عاهةٌ ؛ فلا يعرضونَهُ على السلطانِ أبداً ؛ صيانةً لهُ أنْ يقعَ بصرُهُ علىٰ ناقصٍ ، وإنْ حدثَ ذلكَ في وزيرٍ أو دفتردار أو نحوِهما عزلوهُ ، واستنابوا غيرَهُ .

---

(١) انظر « الخصائص الكبرىٰ » (٣/ ٣٢٤) ، و« دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٤٨٧) .

وما جعلَهُ الناسُ أدباً معَ ملوكِ الدنيا فهو أدبٌ معَ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ الشرعَ قد يتبعُ العرفَ في كثيرٍ مِنَ المسائلِ كما هو معلومٌ .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واعملْ عليهِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) في هامش (أ) : (بلغ) .

[عدم استشراف النفس إلى هدية قادم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ استشرافِ نفوسِهم إلىٰ هديةِ أحدٍ جاءَ مِنَ الحجازِ أوِ الشامِ مثلاً ، فلا يُحدِّثُ أحدُهم نفسَهُ بأنَّ فلاناً سيُهدِي إليَّ شاشاً أو مَداساً أو فاكهةً ونحوَ ذلكَ أبداً[1] ، بل هم غافلونَ عن مثلِ ذلكَ ، وكذلكَ إذا أهدَوا إلىٰ مَنْ جاءَ مِنَ السفرِ المذكورِ شيئاً ابتداءً ؛ لا تحدِّثُهم نفسُهم بأنَّهُ سيكافئُهم علىٰ ذلكَ ، بل هم غافلونَ عن ذلكَ بالكليةِ .

وليسَ ذلكَ مِنْ بابِ سوءِ الظنِّ بأخيهم ، إنَّما هو مِنْ بابِ تركِ الطمعِ ، فهو وإنْ لزمَ مِنْ ظنِّ أحدِهم بأخيهِ أنَّهُ لا يكافئُهُ سوءُ الظنِّ . . فذلكَ ليسَ مقصوداً لهم ، ولا يؤاخَذُ الإنسانُ إلا بما قصدَهُ .

وقد كانَ سيدي عليٌّ الخوَّاصُ رحمَهُ اللهُ إذا سمعَ أحداً يذكرُ أشعبَ الطمَّاعَ ، وأنَّهُ كانَ يفتشُ على الدخانِ . . يقولُ : (إنَّ هـٰذا كانَ حسَنَ الظنِّ بجيرانِهِ ، فجزاهُ اللهُ خيراً) ؛ **يعني** : أنَّهُ محمودٌ في ظنِّهِ الخيرَ ، وإنْ لزمَ منهُ الطمعُ ، فافهمْ .

واعلمْ : أنَّهُ ينبغي لكَ إذا أرسلْتَ هديةً ، وعلمْتَ مِنْ أخيكَ المكافأةَ عليها ؛ لِمَا هو عليهِ مِنَ المروءةِ . . فمِنَ المعروفِ أنْ تخبرَهُ بذلكَ علىٰ لسانِ

---

(١) في هامش (ج) : (**الشاش** : العمامة في عرف الناس ، ولم نجدها في اللغة . انتهىٰ) .

القاصدِ ، وتقولَ لهُ : قلْ لأخي فلانٍ : هٰذا أمرٌ لا يستحقُّ مكافأةً عليهِ ، وقد أقسمَ عليكَ أخوكَ بعدمِ المكافأةِ فيهِ ؛ جبراً لخاطرِهِ ، كلُّ ذلكَ ليُريحَ نفسَهُ مِنْ تعبِ المكافأةِ ولو لحظةً .

وقد أرسلْتُ مرَّةً لأخي الشيخِ شمسِ الدينِ البرهمتوشيِّ هديةً قليلةً ، فأرسلَ لي في الوعاءِ أضعافَها ، فعلمْتُ بذلكَ كِبَرَ مروءتِهِ ؛ فمِنْ ذلكَ اليومِ ما أهديْتُ إليهِ شيئاً ، لٰكنْ لا يخفىٰ أنَّ البداءةَ بالهديةِ مطلوبةٌ شرعاً لا سيما لمَنْ بينَهما عداوةٌ ؛ كما أشارَ إليهِ خبرُ : « تَهَادَوْا تَحَابُّوا »(١) ، وخبرُ : « ٱلْهَدِيَّةُ تُذْهِبُ وَحَرَ ٱلصَّدْرِ »(٢) ؛ أي : غشَّهُ وشؤمَهُ .

فابدأْ بالهديةِ يا أخي بطريقِهِ الشرعيِّ ، واحذرْ مِنِ استشرافِ نفسِكَ إلىٰ هديةٍ ممَّنْ جاءَ مِنْ سفرٍ ، أو إلىٰ مكافأةٍ ممَّنْ أهديْتَ أنتَ إليهِ ، ومتىٰ خالفْتَ ذلكَ فقد خرجْتَ عنِ الطريقِ المستقيمِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(٣) .

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٩٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ١٦٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ نظراً ولد مؤلفه**) .

[تشديد العزومة على الضيف]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : أنْ يشدِّدوا في العَزُومةِ على الضيفِ ؛ فإنَّهُ لا يأكلُ بعدَ ذلك إلا رزقَهُ الذي قسمَهُ اللهُ لهُ .

وكانَ الشيخُ عبدُ الحليمِ بنُ مصلحٍ يحلفُ على الضيفِ أنَّهُ لا يأكلُ عندَ أحدٍ غيرِهِ ما دامَ في بلدِهِ ، فكانَ الضيفُ يأكلُ بعدَ ذلكَ عندَ غيرِهِ ولا يأتيهِ إلا قليلاً ، فقلْتُ لهُ في ذلكَ ، فقالَ لي : قدِ استفدْنا بالتشديدِ في العزومةِ بياضَ الوجهِ ، ولم يأكلْ إلا ما قُسمَ لهُ ، ولو أنَّني لم أشدِّدْ في العزومةِ لربَّما أكلَ عندي على رغمِ أنفي ، وأكونُ مذموماً عندَهُ وعندَ اللهِ وعندَ الخلقِ .

وقد فعلْتُ أنا ذلكَ معَ أولادِ سيدي محمدٍ الشِّنَّاويِّ ، وأولادِ الشيخِ عبدِ الرزاقِ النجاريِّ لمَّا أقاموا عندي مرةً نحوَ ثلاثةِ أشهرٍ ؛ فكنْتُ أغضبُ عليهم كلَّما أكلوا عندَ غيري ، ويحصلُ لهم بذلكَ انشراحُ القلبِ ، ويزولُ ما كانوا يتوهَّمونَهُ مِنْ حصولِ ثقلٍ عندي ، أو تقلُّقٍ منهم .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(١) .

---

(١) في هامش (أ) : (بلغ قراءة) .

[شدّة الورع وتحرّي الحِلّ في المأكل]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ ورعِهم في أمرِ الطعامِ والشرابِ ، حتىٰ إنَّ أحدَهم لا يأكلُ إلا بعدَ أنْ يرىٰ ثلاثَ أيدٍ قد تداولَتْ علىٰ ذلكَ الطعامِ في الحِلِّ ، فإنْ لم تتداولْ عليهِ الأيدي كذلكَ طَوَوْا حتىٰ يجدوا حلالاً يناسبُهم .

وكانوا قبلَ ذلكَ يمتنعونَ مِنَ الأكلِ حتىٰ تتداولَ عليهِ سبعُ أيدٍ في الحلِّ .

وكانَ أخي أفضلُ الدينِ مِنْ آخرِ مَنْ رأيتُهُ مِنَ المتورِّعينَ ، فكانَ لا يأكلُ مِنْ طعامٍ إلا بعدَ تداولِ سبعِ أيدٍ علىٰ ذلكَ الطعامِ في الحلِّ ، فإنْ لم يجدْ طعاماً علىٰ هـٰذا الحكمِ طَوى الأيامَ المتواليةَ حتىٰ تأكلَ الأمعاءُ بعضُها بعضاً ، ويخافَ علىٰ عقلِهِ ودينِهِ ، فهناكَ يأكلُ كالمضطرِّ .

وكانَ يعرفُ تداولَ السبعِ أيدٍ مِنْ طريقِ الكشفِ رحمَهُ اللهُ .

وقد منَّ اللهُ تعالىٰ عليَّ باقتفاءِ أثرِهِ ، لـٰكنْ بتداولِ ثلاثةِ أيدٍ فقطْ ، ثمَّ إنْ حصلَ عندي شكٌّ تقايَأْتُهُ ، وتارةً يطلعُ هو بنفسِهِ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، واقتفِ آثارَ سلفِكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ نظراً ولد مؤلفه**) .

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تفقُّدُهم نفوسَهم كلَّ ساعةٍ ؛ ليُخرِجوا منها صفاتِ المنافقينَ ، ويُدخِلوا فيها صفاتِ المؤمنينَ ؛ لأنَّها عكسُها .

فمِنْ صفاتِ المؤمنينَ التي وصفَ اللهُ بها المؤمنينَ في كتابِهِ : قولُهُ تعالى : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ . . . ﴾ إلى آخرِ الآيةِ [التوبة : ١١٢] .

ومِنْ صفاتِهِم أيضاً : ما ذكرَهُ اللهُ تعالى في قولِهِ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ . . . ﴾ إلى آخرِهِ [المؤمنون : ١-٢] ، ونحوُهما مِنَ الآياتِ .

وفي الحديثِ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »(١) ، وفي حديثٍ آخرَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » ، قالوا : وما بوائقُهُ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ »(٢) .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأيتُموني زِغْتُ عنِ الطريقِ فقوِّموني وانصحوني ؛ فإنَّ المؤمنَ لا يكونُ إلا ناصحاً لأخيهِ)(٣) .

---

(١) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٢/٢٨٨) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروىٰ أصله مسلم (٤٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٢٩٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٥٩٧) ، كلاهما بنحوه من قول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد جمعَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ جملةً مِنْ صفاتِ المؤمنِ ، فقالَ : (أنْ يكونَ كثيرَ الحياءِ ، قليلَ الأذىٰ ، كثيرَ الخيرِ ، قليلَ الفسادِ ، صدوقَ اللسانِ ، قليلَ الكلامِ ، كثيرَ العملِ ، قليلَ الزَّلَلِ ، قليلَ الفضولِ ، كثيرَ البِرِّ لرَحِمِهِ ، وَصولاً ، وقوراً ، صبوراً ، كثيرَ الرضا عنِ اللهِ إذا ضيَّقَ عليهِ الرزقَ ، شكوراً ، حليماً ، رفيقاً بإخوانِهِ ، عفيفاً ، شَفوقاً ، لا لعَّاناً ، ولا سبَّاباً ، ولا عيَّاباً ، ولا نمَّاماً ، ولا مغتاباً ، ولا عجولاً ، ولا حسوداً ، ولا حقوداً ، ولا متكبِّراً ، ولا معجَباً ، ولا راغباً في الدنيا ، ولا طويلَ الأملِ ، ولا كثيرَ النومِ والغفلةِ ، ولا مرائياً ، ولا منافقاً ، ولا بخيلاً ، هشَّاشاً بشَّاشاً ، لا جسَّاساً ولا حسَّاساً[١] ، يحبُّ في اللهِ ، ويبغضُ في اللهِ ، ويرضىٰ في اللهِ ، ويغضبُ للهِ ، زادُهُ تقواهُ ، وهمَّتُهُ عُقباهُ ، وجليسُهُ ذكراهُ ، وحبيبُهُ مولاهُ ، وسعيُهُ لأُخراهُ) ، وذكرَ نحوَ ثلاثِ مئةِ وصفٍ[٢] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو نبتَ للمنافقينَ أذنابٌ ما وجدَ المؤمنونَ أرضاً يمشونَ عليها)[٣] ؛ **يعني** : لكثرتِهم .

وكانَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ الرجلُ يتكلَّمُ بالكلمةِ الواحدةِ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيصيرُ بها منافقاً ، وإنِّي لأسمعُها

---

(١) **الجسَّاسُ** : هو المتتبع للأخبار المتفحص عن بواطن الأمور ، وقريب من ذلك **الحسَّاس** . انظر « المصباح المنير » (ج س س ، ح س س) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٤٦) ولم ينسبه ، ورواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤١٩) من قول ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧٦) .

مِنْ أحدِكم في المجلسِ الواحدِ عشرَ مراتٍ ولا يتنبَّهُ لها !)[1] .

وفي الحديثِ : « ٱلْمُنَافِقُ هِمَّتُهُ فِي ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ ، وَٱلْمُؤْمِنُ هِمَّتُهُ فِي ٱلصِّيَامِ وَٱلصَّلَاةِ »[2] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قوةُ المؤمنِ في قلبِهِ ، وقوةُ المنافقِ في يدِهِ)[3] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ علامةِ المؤمنِ : أنْ يفعلَ الطاعاتِ ، ومعَ ذلكَ يبكي ، وعلامةُ المنافقِ : أنْ ينسى العملَ ثمَّ يضحكُ)[4] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (المؤمنُ يزرعُ نخلاً ويخافُ أنْ يُثمرَ شوكاً ، والمنافقُ يزرعُ شوكاً ويطلبُ أنْ يُثمرَ رُطَباً) انتهى[5] .

---

(١) رواه وكيع في « الزهد » (٤٧٦) ، والإمام أحمد في « المسند » (٥/ ٣٨٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٧٩) ، ولكن في « الحلية » (أربع) بدل (عشر) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٤٧) ، وقال الحافظ العراقي : (لم أجد له أصلاً) . انظر « إتحاف السادة المتقين » (٧/ ٣٥٩) ، وروى ابن عبد البر نحوه في « جامع بيان العلم وفضله » (٩٠٧) من قول سيدنا علي زين العابدين رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٣٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٩٠٥) ، كلاهما بنحوه من قول شميط بن عجلان رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٤٧) .

ويشهد لذلك : ما رواه الترمذي (٣١٧٥) ، وابن ماجه (٤١٩٨) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] ، قالت عائشة : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : « لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا تقبل منهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦١] » .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧١) من قول شقيق البلخي رحمه الله تعالىٰ ، =

ففتِّشْ يا أخي نفسَكَ قبلَ موتِكَ ، وابكِ علىٰ نفسِكَ إنْ وجدتَ فيها أخلاقَ المنافقينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= وأورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/٢٤٧) من قول حاتم الأصم رحمه الله تعالىٰ .

[البعد عن إمساك المال في بداية الأمر ثم جمعه لغرض شرعي]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ إمساكِ الدينارِ والدرهمِ في بدايةِ أمرِهم ، ثمَّ جمعُهما للإنفاقِ في نهايةِ أمرِهم كما مرَّ تقريرُهُ مراراً ؛ وذلكَ لأنَّ حكمَ الإنسانِ في بدايةِ أمرِهِ في الطريقِ . . حكمُ الطفلِ الرضيعِ ؛ فيحتاجُ عندَ الفِطامِ إلىٰ وضعِ الصَّبِرِ على الثديِ ؛ ليكرهَ الرضاعَ مِنَ اللَّبنِ الذي يضرُّهُ ، فإذا وثقْنا بصحةِ كراهيتِهِ لذلكَ صارَ هو يكرهُ شربَ اللَّبنِ[1] ، وتَعافُهُ نفسُهُ ، وكذلكَ الفقيرُ في حالِ نهايتِهِ ؛ يصيرُ يعافُ الدنيا ، وهناكَ يكونُ الكمالُ في إمساكِهِ لها ؛ ليُعِفَّ بها نفسَهُ عن سؤالِ النَّاسِ ، وينفقَ منها في سبيلِ اللهِ تعالىٰ كما أمرَهُ اللهُ تعالىٰ ، وعلىٰ هـٰذا التقديرِ يُنزَّلُ قولُ مَنْ نهىٰ عنِ الدنيا مِنَ السَّلفِ ، ومَنْ أمَرَ بإمساكِها .

وقد كانَ مسلمٌ النحَّاتُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لمَّا ضُربَ الدينارُ والدرهمُ وضعَهما إبليسُ علىٰ جبهتِهِ وقبَّلَهما ، وقالَ : مَنْ أحبَّكما فهو عبدي حقّاً)[2] .

---

(١) في (هـ) : (وثقت أمه كراهيته) بدل (وثقنا بصحة كراهيته) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١/٣٢٨) من قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ورواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٥٨٣) من قول وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ .

قلْتُ : لا بدَّ منِ استثناءِ مَنْ أحبَّ الدنيا للإنفاقِ مِنْ هـٰذا الإطلاقِ ، والله أعلمُ ؛ لأنَّهُ إطلاقٌ في محلِّ التفصيلِ .

وكانَ كَهْمَسُ بنُ الحسنِ لا يمسكُ بيدِهِ ديناراً ولا درهماً ، ويقولُ : (واللهِ ؛ لَجِرابُ بعرٍ أحبُّ إليَّ مِنْ جرابِ ذهبٍ)(١) .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يَكمُلُ مقامُ الفقيرِ إلا برفضِهِ الدنيا ، وعدمِ تقديمِ نفسِهِ فيها على إخوانِهِ ؛ إلا أنْ يكونَ أحوجَ منهم)(٢) .

وقد طلبَ رجلٌ صحبةَ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ، فقالَ : بشرطِ ألا تكونَ أحقَّ بمالِكَ منِّي ، فذهبَ الرجلُ وقالَ : لا طاقةَ لي بذلكَ(٣) .

وفي التوراةِ : (حرامٌ على قلبٍ يحبُّ الدنيا أنْ يقولَ الحقَّ)(٤) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : الدرهمُ عقربٌ ، فمَنْ لم يُحسِنْ رُقيتَهُ قتلَهُ سمُّهُ ، فقيلَ : وما رُقيتُهُ ؟ قالَ : أخذُهُ مِنْ حلِّهِ ووضعُهُ في محلِّهِ(٥) .

وكانَ شُمَيْطُ بنُ عجلانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الدراهمُ أَزِمَّةُ المنافقينَ يُقَادونَ بها إلى المهالكِ)(٦) .

---

(١) روى أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢١١ـ٢١٥) أخباراً تدل على ورع كهمس وكثرة عبادته وزهده .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٨) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٨) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (ص٥١) من قول امرأة من البصرة .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٩) .

(٦) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٧) ، وابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٣٦) .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (لا يكونُ الرجلُ صالحاً حتىٰ يتساوىٰ عندَهُ الذهبُ والترابُ) .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنِ انشرحَ لدخولِ الدنيا عليهِ فهو منافقٌ)[1] ؛ **يعني بذلكَ** : مَنْ تظاهرَ للناسِ بالزهدِ في الدنيا ، وأمَّا مَنْ لم يتظاهرْ بذلكَ فليسَ بمنافقٍ ، واللهُ أعلمُ .

فليفتِّشِ الإنسانُ نفسَهُ ؛ فإنِ انشرحَتْ بالدنيا دلَّ علىٰ نفاقِها الذي كانَ كامناً فيها ولا يشعرُ بهِ .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يضعُ الدرهمَ في كفِّهِ ، ويقولُ : (أفٍّ لكَ لا تنفعُني إلا إنْ خرجْتَ عنِّي)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : إذا دخلَ الدرهمُ الحرامُ مِنَ البابِ خرجَ الحقُّ مِنَ الكُوَّةِ ، قيلَ : فإنْ سُدَّتِ الكُوَّةُ فمِنْ أينَ يخرجُ ؟ فقالَ : يخرجُ مِنْ حيثُ يأتيهِ ملكُ الموتِ[3] .

وكانَ العلاءُ بنُ زيادٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يكمُلُ العالمُ إلا إنْ عفَّ عنِ الدنيا وعنِ النساءِ)[4] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٦٦ـ ٦٧) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٠) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٨) .

(٤) أورد أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٢٦٧) عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه كان يقول : (أحب للمريد المبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج) .
وفي هامش (ج) : (**أي** : اللائي يلهينه عن التوجه إلى الله تعالى ، أو المحرمات عليه=

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يتمثَّلُ بهـٰذينِ البيتَينِ : [من الكامل]

إِنِّـي وَجَـدْتُ فَـلَا تَظُنُّـوا غَيْـرَهُ ... أَنَّ ٱلتَّـوَرُّعَ عِنْـدَ هَـٰذَا ٱلـدِّرْهَـمِ

فَـإِذَا قَـدَرْتَ عَلَيْـهِ ثُـمَّ تَـرَكْتَـهُ ... فَٱعْلَمْ بِأَنَّ تُقَاكَ تَقْوَى ٱلْمُسْلِمِ(١)

فاحذرْ يا أخي مِنْ فضولِ الدنيا ، واقتدِ بسلفِكَ الطاهرِ في الزهدِ . . تسلمْ مِنْ آفاتِها ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(٢) .

= بقرينة أن العفاف يستعمل فيما لا يحل كما في « القاموس » ، ويتعين القصد من النساء بما يناسب المقام ، وإلا فقوله عليه السلام : « حُبِّبَ إلي من دنياكم النساء » ، وقوله عليه السلام: «الدنيا متاع ،وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» إلى غير ذلك من الآثار . . يأباه ، كيف وقد نهى عن التبتُّل والرهبانيَّة؟! انتهى) ، والحديث الأول رواه النسائي (٧/ ٦١) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، والثاني رواه مسلم (١٤٦٧) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(١) روىٰ عنه البيت الأول أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٦) بلفظ (التنسك) بدل (التورع) ، وأوردهما الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ١٢٢) من غير نسبة .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ) .

[محبة الشيوخ تقديم المريدين عبادة الله على خدمتهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : محبتُهم لتقديمِ مريدِهم خدمةَ اللهِ علىٰ خدمتِهم ، فإذا دعَوا واحداً إلىٰ حاجتِهم ولم يرضَ ؛ لاشتغالِهِ بتلاوةِ القرآنِ مثلاً . . كانَ ذلكَ أرجحَ عندَهم مِنْ حاجتِهم ولو كانَتْ ضروريةً ؛ كطحنِ القمحِ ، أو طبخِ الطعامِ مثلاً .

وهٰذا الخلُقُ لا يعملُ بهِ إلا مَنْ خَلَصَ مِنْ رعوناتِ النفسِ ، وصحَّتْ لهُ محبةُ مرضاةِ اللهِ تعالىٰ ؛ حتىٰ صارَ يُقدِّمُ مرضاةَ ربِّهِ علىٰ جميعِ أهويةِ نفسِهِ .

وقد كانَ لي وِردٌ في الصَّلاةِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فطابَ لي الذِّكرُ مرةً ، فاستمرَّيتُ في الذِّكرِ حتىٰ فاتَني وِردي في الصلاةِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، فخجِلْتُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حياءً منهُ ، فعرضْتُ ذلكَ علىٰ سيدي عليٍّ الخواصِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ فقالَ : (لا ينبغي الخجلُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأجلِ ذلكَ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يحبُّ الحقَّ جلَّ وعلا أكثرَ مِنْ نفسِهِ هو بيقينٍ ؛ فلا ينبغي أنْ يُتوهَّمَ فيهِ أنَّهُ يتكدَّرُ منكَ لأجلِ ذلكَ ، بل هو أفرحُ بذكرِ اللهِ تعالىٰ مِنَ الصلاةِ عليهِ ، علىٰ أنَّ الصلاةَ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) قوله : (فاستمريت) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وقد سبق نظير ذلك (ص٢٣٩) ، ونقلت ما جاء في هامش (ج) عندها .

لا بدَّ فيها مِنْ ذكرِ اللهِ تعالى) انتهى .

وهكذا ينبغي أنْ يكونَ الشيخُ ؛ فينشرحَ لاشتغالِ المريدِ بالصلاةِ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أكثرَ ممَّا ينشرحُ إذا صارَ يقولُ : اللهمَّ ؛ ارحمْ شيخي ، واغفرْ لهُ ، ونحوَ ذلكَ ؛ لكونِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحبَّ إلى كلِّ شيخٍ مِنْ نفسِهِ ومِنْ أهلِهِ .

فافهمْ يا أخي ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[تقديم أعمال الآخرة على أعمال الدنيا]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تقديمُ أعمالِ الآخرةِ دائماً علىٰ أعمالِ الدنيا ، فيقدِّمُ أحدُهم وِردَهُ بعدَ صلاةِ الصبحِ علىٰ سائرِ مهمَّاتِهِ ؛ كما يقدِّمُ التهجُّدَ في الليلةِ الباردةِ علىٰ نومِهِ تحتَ اللحافِ .

وعلىٰ ذلكَ درَجَ السلفُ الصالحُ كلُّهم رضيَ اللهُ عنهم ، فمَنْ أصبحَ وهمُّهُ الدنيا فهو خارجٌ عن طريقِ القومِ .

وقد رأيتُ مرةً شيخاً أرادَ التنزُّهَ في بستانٍ ، فتركَ ذلكَ اليومَ الوِردَ ، وصلاةَ الصبحِ في جماعةٍ ، ولهُ عَذَبةٌ وعِمامةُ صوفٍ ، فقلْتُ لهُ : لو لبسْتَ لكَ عمامةً مخطَّطةً ، وقميصاً مخطَّطاً ممَّا يلبَسُهُ العُيَّاقُ[1] ، وصلَّيْتَ الصبحَ في جماعةٍ ، وقرأْتَ الوِردَ .. لكانَ أفضلَ لكَ عندَ اللهِ تعالىٰ ، فلم يدرِ جواباً عن ذلكَ[2] .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ لم تكنْ عندَهُ تسبيحةٌ أو تهليلةٌ واحدةٌ خيراً مِنَ الدنيا بأَسْرِها .. فهو ممَّنْ آثرَ دنياهُ علىٰ آخرتِهِ)[3] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (مَنْ خطبَ الدنيا طلبَتْ منهُ دِينَهُ كلَّهُ في

---

(١) **العُيَّاقُ** : رعاع الناس ، **والعَوْقُ** : من لا خير عنده . انظر « لسان العرب » (ع وق) .

(٢) كذا في (أ) ، وفي سائر النسخ : (يردَّ) بدل (يدرِ) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٢) .

صداقِها ، لا يُرضيها منهُ إلا ذلكَ)[1] .

وكانَ سيدي أبو الحسنِ الشاذليُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الدنيا ابنةُ إبليسَ ، فمَنْ خطبَها كَثُرَ تردُّدُ أبيها إليهِ ، فإنْ دخلَ بها أقامَ عندَهُ بالكليَّةِ) انتهىٰ .

والمرادُ بخطبةِ الدنيا : تمنِّيها ، **وبالدخولِ بها** : إمساكُ الفاضلِ عن حاجتِهِ لغيرِ غرضٍ شرعيٍّ .

فعُلِمَ : أنَّ مَنْ أرادَ أنَّ إبليسَ لا يسكنُ عندَهُ معَ تزويجِهِ ابنتَهُ . . فقد رامَ المُحالَ ؛ ولذلكَ كانَ يتَوَسْوَسُ في نِيَّةِ الصلاةِ وفي الطهارةِ كثيرٌ مِنَ الناسِ الذين يحبُّونَ الدنيا بقلوبِهم .

فافهمْ يا أخي ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رویٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٤) .

[عدم الخوف من ضياع الذُّرِّيَّة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ خوفِهم مِنْ ضياعِ ذُرِّيَّتِهم مِنْ بعدِهم ؛ ولذلكَ كانوا ينفقونَ كلَّ ما يدخلُ يدَهم من الدنيا ، ولا يدَّخرونَ شيئاً ، ولو أنَّهم خافوا علىٰ ذريتِهمُ الضياعَ لحَكَمَ عليهمُ الحرصُ والبخلُ والشحُّ ، وخرجوا عن صفاتِ القومِ .

وقد وردَ في الحديثِ مرفوعاً : « ٱلْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ »[(١)] ؛ أي : يدعُ أباهُ بخيلاً جباناً عنِ الجهادِ وغيرِهِ .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ ، وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ »[(٢)] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أنفقْ يا بنَ آدمَ ، ولا يغُرنَّكَ مَنْ حولَكَ مِنْ هٰذهِ السباعِ الضاريةِ ؛ ابنُكَ وحلائِلُكَ وكلالتُكَ وخادمُكَ[(٣)] ؛ فإنَّ ابنَكَ مثلُ الأسدِ ينازعُكَ فيما في يديكَ ؛ ليختصَّ بهِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٦٦) ، والإمام أحمد في « المسند » (٤/ ١٧٢) من حديث سيدنا يَعلى العامري رضي الله عنه .

(٢) رواه النسائي (٦/ ٢٣٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ٩٢) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) في هامش (ج) : (**الكلالة** : لها معان كثيرة ، والأنسب للمقام ما لم يكن من النسب لحّاً ، أو من تكلَّل نسبه بنسبك ؛ كابن العم وشِبْهه ، أو هي الإخوة للأم ، أو بنو العم=

دونَكَ ، فلا هو يتصدَّقُ بهِ عنكَ ، ولا هو يدعُهُ في يدِكَ لتُنفقَ منهُ في مرضاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وأمَّا حلائلُكَ فهنَّ مثلُ الكلبةِ في البصبصةِ والهريرِ[1] ، وأمَّا كَلالتُكَ فواللهِ ؛ لَدرهمٌ يصلُ إليهم بعدَ موتِكَ أحبُّ إليهم مِنْ حياتِكَ ، وأمَّا خادمُكَ فمثلُ الثعلبِ في الحِيَلِ والسرقةِ ، فلا تطلبِ المحبَّةَ مِنْ هٰؤلاءِ ، وتدَّخرْ مالَكَ لهم ، وتُوقِرْ ظهرَكَ ؛ فإنَّهم إنَّما هم معَكَ علىٰ عُلالةٍ[2] ، فإذا وضعوكَ في اللحدِ رجعوا إلىٰ بيوتِهم ، فبخَّروا الثيابَ ، وعانقوا النساءَ ، وأكلوا وشربوا وبَطِروا بمالِكَ ، وأنتَ المحاسبُ بذلكَ)[3] .

وكانَ أبو حازمٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أنفقوا ولا تخشَوُا الضَّيْعةَ علىٰ أولادِكم ؛ فإنَّهم إنْ كانوا مؤمنينَ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يرزقُهم بغيرِ حسابٍ ، وإنْ كانوا فاسقينَ فلا تساعدوهم على الفسقِ بمالِكم) .

وكانَ سالمُ بنُ أبي الجَعْدِ رضيَ اللهُ عنهُ ينفقُ كلَّ ما دخلَ يدَهُ أوَّلاً فأوَّلاً ، فلامَتْهُ امرأتُهُ علىٰ ذلكَ ، فقالَ لها : (لَأَنْ أذهبَ بخيرٍ وأترككم بشرٍّ . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أذهبَ بشرٍّ وأتركَكم بخيرٍ)[4] .

= الأباعد ، أو ما خلا الوالد والولد ، أو هي من العصبة من ورث معه الإخوة للأم ، الكل من « القاموس » [ك ل ل] فاختر ما شئت . انتهىٰ) .

(١) **البصبصة** : تحريكُ الكلبِ ذنبَهُ طمعاً ، **والهرير** : صوت الكلب دون النباح . انظر « لسان العرب » (ب ص ص ، هـ ر ر) .

(٢) **العُلالة** : ما يُتعلَّل به ، وبقيَّةُ الشيء ، **والمراد** : ينتظرون موته بذهاب ما بقي من عمره . انظر « لسان العرب » (ع ل ل) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٤٠ـ١٤٣) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (٤٦١) .

وكانَ محمدُ بنُ يوسفَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أنفقْ علىٰ أخيكَ الصالحِ ؛ فإنَّهُ خيرٌ لكَ مِنْ ورثتِكَ ؛ فإنَّهُ يدعو لكَ وأنتَ بينَ أطباقِ الثرىٰ ، حتىٰ ربَّما تخرجُ مِنْ قبرِكَ وليسَ عليكَ ذنبٌ بدعائِهِ ، وأمَّا ورثتُكَ فيقتسمونَ مالَكَ وينسَونَكَ ، ولا يرَونَ لكَ فضلاً عليهم ، ويقولونَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ لنا ذلكَ)(١) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يقتني في بيتِهِ سوى الإبريقِ والحصيرِ والمصحفِ(٢) .

وأتاهُ شخصٌ بركْوةٍ جديدةٍ ، فقالَ لإنسانٍ : (خذْ هـٰذهِ الرَّكْوةَ ؛ فإنَّها أشغلَتْ قلبي ؛ خوفاً أنْ يسرقَها أحدٌ)(٣) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (دخلْتُ علىٰ فقيرٍ فرأيتُ عينيهِ قد غارتا مِنَ الجوعِ ، فقلْتُ لهُ : خذْ هـٰذينِ الدرهمَينِ فاشترِ بهما شيئاً وكلْهُ ، فقالَ : في قدرةِ اللهِ تعالىٰ أنْ يُقوِّيَني علىٰ عبادةِ هـٰذهِ الليلةِ بلا طعامٍ ولا شرابٍ ، وإنِّي أخافُ أنْ يَبيتا عندي ، فأموتَ ولم أشترِ بهما شيئاً ، وإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ماتَ ولم يجدوا في بيتِهِ ديناراً ولا درهماً)(٤) .

---

(١) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٢٢٨) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/١٢٢) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٢٣١) .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/٤٠٣) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/٤١١) .

(٤) روى البخاري (٢٧٣٩) من حديث سيدنا عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال : (ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً ، ولا عبداً ولا أمة ، ولا شيئاً ، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة) ، وروىٰ نحوه مسلم =

ولمَّا حضرَتْ محمدَ بنَ كعبٍ القُرَظيَّ التابعيَّ الجليلَ الوفاةُ.. أنفقَ مالَهُ كلَّهُ، فقالوا لهُ: هلَّا ادَّخرْتَ شيئاً لذريتِكَ؟ فقالَ: ادِّخارُهُ لنفسي أَولىٰ، وأمَّا ذرِّيتي فادَّخرْتُ لهم فضلَ ربِّي[1].

ولمَّا حضرَتِ الوفاةُ الحسنَ البصريَّ قالَ لامرأتِهِ: هاتي الدرهمينِ اللذينِ عندَكِ، فأتَتْهُ بهما، فتصدَّقَ بهما، وقالَ: أخافُ إنْ متُّ وهما عندي أنْ تحرقَ النارُ ما بينَ لِحيتي إلىٰ عانتي.

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ: (يخافُ أحدُنا مِنْ فضيحةِ الدنيا وفقرِها، ولا يخافُ مِنْ فضيحةِ الآخرةِ وفقرِها، معَ أنَّ فقرَ الإنسانِ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ في الآخرةِ.. يكونُ بهِ أشدَّ خجلاً مِنَ الناسِ)، ثمَّ يقولُ: (فبئسَ ما فعلْنا)[2].

وكانَ يقولُ: (همُّ النفقةِ والأكلِ والشربِ قد منعَ قلوبَ الغافلينَ عن كلِّ خيرٍ، ولَدرهمٌ واحدٌ يتصدَّقُ بهِ الإنسانُ في حياتِهِ.. خيرٌ لهُ مِنْ ألفِ دينارٍ بعدَ موتِهِ)[3].

وكانَ المدائنيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ: (توريثُ الأولادِ الأدبَ خيرٌ لهم مِنْ توريثِ المالِ؛ لأنَّ الأدبَ يُكسِبُهمُ المالَ والجاهَ ومحبةَ الإخوانِ، ويجمعُ

= (١٦٣٥) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(١) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٥/ ١٤٥).

(٢) أورده بنحوه السلمي في « حقائق التفسير » (١/ ٢٧٤).

(٣) روى الشطر الثاني منه أبو داود (٢٨٦٦) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: « عند موته » بدل « بعد موته ».

لهم بينَ خيرَيِ الدنيا والآخرةِ ، وأمَّا المالُ فإنَّهُ يَعْدَمُ سريعاً ، ويصيرونَ لا دنيا ولا آخرةَ)[1] .

وقد جرَّبْنا المالَ الموروثَ غالباً ، فوجدناهُ لا خيرَ فيهِ ولا بركةَ ؛ لكونِهِ ليسَ هو بكسبٍ للوارثِ ، وربَّما كانَ المورِّثُ بخيلاً بهِ علىٰ ورثتِهِ وغيرِهم .

فانظرْ يا أخي ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) أورده بنحوه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ١٢٠) من قول بزرجمهر .

[زيارة قبور المسلمين كلَّ حين]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : زيارتُهم لقبورِ المسلمينَ كلَّ قليلٍ[١] ؛ عملاً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « زُورُوا ٱلْقُبُورَ ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ ٱلْآخِرَةَ »[٢] .

وهٰذا الخُلُقُ قلَّ مَنْ يعملُ بهِ الآنَ مِنَ الناسِ ، وإنْ وقعَ أنَّهم دخلوا تربةً فليسَ في دخولِهِمُ اعتبارٌ ، وإنَّما ذلكَ أمرٌ عاديٌّ ؛ كزيارتِهم للميتِ في أولِ جمعةٍ ، أو عندَ تمامِ الشهرِ ؛ خوفاً مِنْ تغيُّرِ خاطرِ أهلِ المَيْتِ مثلاً ، لا سيَّما إنْ كانَ لهم عليهِ حقٌّ في زيارتِهم ولدَهُ أو أباهُ لمَّا ماتَ ، وهو غرضٌ آخرُ أجنبيٌّ عمَّا قلْناهُ .

وكانَ آخرَ مَنْ رأيتُهُ عاملاً بهٰذا الخُلُقِ سيدي محمدُ بنُ عِنانٍ ؛ كانَ يزورُ القَرافةَ وغيرَها كلَّ يومِ جمعةٍ ؛ مَنْ عرفَ مِنَ الأمواتِ ومَنْ لم يعرفْ ، ويبكي أولَ ما يرى القبورَ ، ويقولُ الذكرَ الواردَ في ذلكَ ، ثمَّ يقولُ : (ما منهم أحدٌ إلا وهو يشتهي أنْ يصليَ ركعتَينِ ، أو يقولَ : لا إلٰهَ إلا اللهُ ولو مرَّةً) ، ثمَّ يقولُ لأصحابِهِ : (استغنموا عمرَكم) .

وكانَ يزيدُ الرَّقاشيُّ إذا زارَ المقبرةَ يبكي ، ويقولُ : (ليتَ شِعري ؛ بأيِّ

---

(١) قوله (**كل قليل**) ؛ أي : في أحيان متقاربة .

(٢) رواه بنحوه مسلم (١٠٨/٩٧٦) ، ورواه بلفظه ابن ماجه (١٥٦٩) ، كلاهما من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

أعمالِكمُ اغتبطْتُم واستبشرْتُم ؟!) ، ثمَّ يصرخُ مثلَما يصرخُ الثورُ[1] .

وكانَ هشامٌ الدستوائيُّ إذا زارَ المقابرَ ورجعَ إلىٰ دارِه . . يمكثُ أياماً لا يستضيءُ بسراجٍ ، ويقولُ : (أتذكَّرُ بذلكَ ظلمةَ القبرِ)[2] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يزورُ قبورَ آبائِهِ مِنْ بني أمية ، ويقولُ : (كأنَّكم يا آبائي لم تشاركوا أهلَ الدنيا في لذَّةٍ ولا نعيمٍ)[3] .

وكانَ يقولُ للقبورِ : (ما أحسنَ ظواهرَكم ! وإنَّما الدواهي في بواطنِكم)[4] .

ورأى الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ رجلاً يضحكُ في المقابرِ ، فقالَ لهُ : (أما بلغَكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يكرهُ الضحكَ عندَ المقابرِ ؟!)[5] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (يُفتَنُ المَيْتُ في قبرِهِ سبعةَ أيامٍ ؛

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٥/ ٨٧ ـ ٨٨) ، وأورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٤٤٣ـ٤٤٤) ، وعبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٤ـ١٩٥) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٥٥) بلفظ : (كان هشام الدستوائي لا يطفئ سراجه بالليل ، فقالت له امرأته : إن هٰذا السراج يضُرُّ بنا إلى الصبح ، فقال لها : ويحك ! إنك إذا أطفأتِهِ ذكرتُ ظلمة القبر ؛ فلم أتَقَارَّ) ، وبنحو رواية الدينوري رواه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٩٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٧٨) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٢) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٣) من قول الحسن بن صالح رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٦٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٣٢) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والحديث عن كراهة الضحك في المقابر رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٥٥٧) عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً .

ولذلكَ استحبُّوا التصدُّقَ عنهُ سبعةَ أيامٍ ؛ مساعدةً لهُ حتىٰ يُلقَّنَ حُجتَهُ)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مررْتُ علىٰ مقبرةٍ ، فرأيْتُ شخصاً خارجاً مِنْ قبرٍ ؛ يلتهبُ ناراً مِنْ مَفْرِقِهِ إلىٰ قدمِهِ ، فقالَ لي : يا عبدَ اللهِ ؛ اسقِني ماءً ، فلا أدري : أعرفَني باسمي ، أم ناداني كما يُنادى الرجلُ الغريبُ ، فأردْتُ أنْ أسقيَهُ ، فقالَ الملَكُ الموكَّلُ بهِ : لا تسقِهِ ، وما زالَ يضربُهُ بالسَّوطِ حتىٰ رجَعَ إلىٰ قبرِهِ ، فانطبقَ عليهِ)[2] .

وكانَ عطاءٌ [السَّليميُّ] رحمَهُ اللهُ تعالىٰ كثيراً ما يخرجُ بعدَ العشاءِ إلى المقابرِ ، فلا يزالُ يناجيهم إلى الصباحِ ، ثمَّ يرجِعُ ، وكانَ يقولُ : (يا أهلَ المقابرِ ؛ متُّمْ فوا موتاهْ ! وعاينْتُم أعمالَكم فوا عملاهْ !)[3] .

ومرَّ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهما يوماً علىٰ مقبرةٍ ، ففرشَ رداءَهُ وصلَّىٰ ركعتَينِ هناكَ ، فقيلَ لهُ : هٰذا شيءٌ ما رأيناكَ تصنعُهُ قبلَ اليومِ ، فقالَ : ذكرْتُ أهلَ القبورِ وما حِيلَ بينَهم وبينَ العبادةِ ، فأحببْتُ أنْ أتقرَّبَ إلى اللهِ تعالىٰ بركعتَينِ بينَهم[4] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ أعمالَكم تُعرضُ علىٰ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١١) من قول طاوس فيما يرويه عنه سفيان الثوري رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٦٠) ، والبيهقي في « إثبات عذاب القبر » (٢٣٤) .

(٣) رواه بنحوه أبو يعلى الموصلي في « المعجم » (٢٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢٣) .

(٤) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/ ٢٦٥) .

موتاكُم ، فتارةً يُسرُّونَ ، وتارةً يحزنونَ)[1] .

وكانَ كثيراً ما يقولُ : (اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أعملَ عملاً يَخزىٰ بهِ أمواتي مِنْ بينِ الأمواتِ)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ إذا حضرَ دفنَ مَيْتٍ يكادُ يغشىٰ عليه ، ويقولُ : (واللهِ ؛ إنَّ أمراً هـٰذا آخرُهُ لحقيقٌ أنْ يُزهدَ في أولِهِ ، ويُخافَ مِنْ آخرِهِ)[3] .

واعلمْ يا أخي : أنَّهُ ليسَ مِنْ أخلاقِ القومِ حفرُ قبورِهم في حالِ حياتِهم ؛ أدباً معَ اللهِ عزَّ وجلَّ في قولِهِ : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤] ؛ أي : وتُدفنُ .

ولـٰكنْ بلغَنا عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنَّهُ حفرَ قبرَهُ بديرِ سمعانَ هو وفتيانُهُ ، فجعلَ يحفرُ والفتيانُ ينقلونَ الترابَ ، حتىٰ فرغَ مِنْ حفرِهِ ، فدُفنَ فيهِ يومَ السابعِ[4] .

وكذلكَ بلغَنا عن رجلَينِ مِنْ بني خَوْلانَ أنَّهما حفرا قبرَيهما خارجَ بابِ القَرافةِ في الزُّقاقِ الأيمنِ أولَ ما يُخرَجُ مِنَ البابِ ، ونقشا علىٰ لوحِ رخامٍ اسمَيهما ، وأنَّهما يشهدانِ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، بالخطِّ الكوفيِّ ، وقرأْتُهُ أيَّامَ سياحتي .

وكانَ أحدُهم لا يبني علىٰ قبرِهِ قبةً، ولا يعملُ لهُ مقصورةً ، ولا يزخرفُ

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٦٥) ، وابن أبي الدنيا في « المنامات » (٤) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٦٥) ، وهو جزء من الخبر السابق ، ورواه ابن أبي الدنيا مستقلاً في « المنامات » (٥) .

(٣) سبق تخريجه (ص١٧٥) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/٢٥٩ ، ٣٢٠) .

لهُ حائطاً ، ولا يجعلُ في طِيقانِ قبَّتِهِ قِمْرِيَّةً(١) ، خلافُ ما حدثَ مِنْ بعضِ متصوِّفةِ هـٰذا الزمانِ ، ولعلَّ ذلكَ مِنْ مالِ بعضِ الظَّلَمةِ .

فاحذرْ أيُّها الأخُ الصالحُ مِنْ مثلِ ذلكَ ؛ فقد قالوا : كم مِنْ ضريحٍ يُزارُ وصاحبُهُ في النارِ !

وقد رأيتُ شيخاً مِنْ مشايخِ العجمِ باعَ كُتُبَهُ وثيابَهُ وأمتعةَ دارِهِ ، وعملَ لهُ قبَّةً وتابوتاً وستراً وشخاشيخَ ، أصرفَ عليها نحوَ سبعةِ آلافِ نصفٍ(٢) ، وكتبَ علىٰ بابِها : [من مجزوء الخفيف]

قِفْ عَلَى ٱلْبَابِ خَاضِعاً ... وَٱحْسِنِ ٱلظَّنَّ وَٱرْتَجِ
فَهْوَ بَابٌ مُجَرَّبٌ ... لِقَضَاءِ ٱلْحَوَائِجِ

فصارَ كلُّ مَنْ رأىٰ تلكَ القبةَ وتلكَ الكتابةَ يضحكُ علىٰ ذلكَ الفقيرِ ، ويقولُ : خافَ أنَّ أحداً لا يعتني بهِ بعدَ موتِهِ ، فعملَ هو ذلكَ ؛ حتىٰ يقالَ : إنَّهُ شيخٌ ، وهـٰذا كلُّهُ غرورٌ ، وفتحُ بابٍ للاستهزاءِ بالصالحينَ مِنْ أهلِ الزمانِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

فانظرْ يا أخي ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) **القمرية** : شبَّاك صغير . انظر « تكملة المعاجم العربية » (ق م ر) .

(٢) قوله : (أصرفَ) كذا في النسخ التي بين يدي ، وفي (هـ) : (نصف فضة) ، بدل (نصف) ، **وشخاشيخ** : هي الجلاجل التي تكون في إطار الدفِّ ، كما في « معجم تيمور الكبير » (ش خ ش خ) ، وفي « لسان العرب » (ش خ خ) : (**الشخشخة** : صوت السلاح . . . وهي لغة ضعيفة) ، **والنصف** : عملة مصرية صغيرة مسكوكة من خليط من الفضة والنحاس . انظر « تكملة المعاجم العربية » (ن ص ف) .

[عدم الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ ، وعن الصلاة علىٰ رسوله صلى الله عليه وسلم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ غفلتِهم عن ذكرِ اللهِ ، وعنِ الصلاةِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في كلِّ مجلسٍ جلسوهُ ؛ عملاً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا ٱللهَ فِيهِ ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً ـ أي : تَبِعةً ونقصاً ـ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[١] ، وعملاً أيضاً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ إِلَّا عَلَىٰ سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا ٱللهَ فِيهَا »[٢] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قد خفَّفَ اللهُ تعالىٰ علينا بقولِهِ : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، ولم يخصَّ مكاناً دونَ مكانٍ ، ولو أنَّهُ تعالىٰ عيَّنَ لنا مكاناً نذكرُهُ فيهِ لكانَ الواجبُ علينا السفرَ لهُ ، ولو كانَ مسيرةَ ألفِ سنةٍ ؛ كما صنعَ في دعاءِ الناسِ إلى الكعبةِ ، فلهُ الحمدُ والشكرُ علىٰ كلِّ حالٍ) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا ذكرْتُمُ الخلقَ في مجالسِكم فاذكروا اللهَ ؛ فإنَّهُ دواءٌ لداءِ ذكرِ الخلقِ)[٣] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٩٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٠٩) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٩٦) من كتاب سيدنا سلمان إلىٰ سيدنا=

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يشترطُ علىٰ مَنْ يريدُ مجالستَهُ ألا يغفلَ عن ذكرِ اللهِ .

وكانَ عطاءٌ [السَّليميُّ] رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا ينبغي لِمَنْ ظلمَ نفسَهُ أنْ يذكرَ اللهَ تعالىٰ إلا بعدَ التوبةِ والاستغفارِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يلعنُ الظالمَ إذا ذكرَهُ ما دامَ مصرّاً على الظلمِ)[1] .

قلْتُ : وهو يؤيِّدُ ما ذهبَ إليهِ القومُ مِنَ التوبةِ كلَّما أرادوا أنْ يذكروا ربَّهم ؛ احتياطاً لنفوسِهم ؛ لاحتمالِ ظلمِهم لها ولو بارتكابِ المكروهِ ، أو غفلةٍ عن ربِّهم ، أو خاطرٍ مذمومٍ ، ونحوِ ذلكَ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ داودُ الطائيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلُّ نفسٍ تخرجُ مِنَ الدنيا فهي عطشانةٌ إلا نفسَ الذاكرينَ) .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أَولى الناسِ باللهِ مَنِ افتتحَ المجلسَ بذكرِ اللهِ قبلَ الناسِ)[2] .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : إنِّي لأعرفُ متىٰ يذكرُني اللهُ تعالىٰ ، فقالوا لهُ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : إذا ذكرْتُهُ ذكرَني ؛ قالَ تعالىٰ :

= أبي الدرداء رضي الله عنهما ، ورواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٣) من قول ابن عون رحمه الله تعالىٰ .

(١) روى ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٥٥٧) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٣٨٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أوحى الله إلىٰ داود عليه السلام أن قل للظلمة : لا يذكروني ؛ فإنه حق علي أن أذكر من ذكرني ، وإن ذكري إياهم أن ألعنهم) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٩٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٥٣) .

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] (١) .

وكانَ أبو المليحِ إذا ذكرَ اللهَ تعالىٰ يَطْرَبُ ، ويقولُ : (إنَّما طربي بذكرِ اللهِ لي ؛ فإنهُ سبحانَهُ وتعالى يقولُ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾) .

وكانَ إذا مشىٰ في طريقٍ وهو غافلٌ عن ذكرِ اللهِ . . رجَعَ ثانياً وذكرَ اللهَ فيها ولو مرحلةً ، ويقولُ : (إنِّي أحبُّ أنْ تشهدَ ليَ البقاعُ التي أمرُّ فيها كلُّها يومَ القيامةِ)(٢) .

وكانَ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (اللهمَّ ؛ اجعلْني مِنَ الذاكرينَ لكَ ، وإذا رأيتَني جاوزْتُ مجلسَ الذاكرينَ إلىٰ مجلسِ الغافلينَ فاكسرْ رجلي ؛ فإنَّها نعمةٌ منكَ عليَّ)(٣) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (حادثوا القلوبَ بذكرِ اللهِ ؛ فإنَّها

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٥٢٧) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ٩٨) ، كلاهما عن ثابت عن أبي عثمان النهدي رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) **يشهد له** : ما رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ١٩٤) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من بقعة يُذكر الله فيها بصلاة إلا فخرت علىٰ ما حولها من البقاع ، واستبشرت بذكر الله منتهاها إلىٰ سبع أرضين » .

وما رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٣٣) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (إنَّ الجبل يقول للجبل : يا فلانُ ؛ هل مرَّ بك اليوم ذاكرٌ لله تعالىٰ ؟ فإن قال : نعم . . سُرَّ به) ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩١] ، قال : (أفتراهنَّ يسمعْنَ الزورَ ولا يسمعن الخير ؟!) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٣٩) ، ورواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٤٥٣) .

سريعةُ الغفلةِ عنهُ تعالىٰ)[١] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (وا عجَبًا مِنَ الناسِ ! يبكونَ علىٰ مَنْ ماتَ جسدُهُ ، ولا يبكونَ علىٰ مَنْ ماتَ قلبُهُ معَ أنَّهُ أشدُّ !) .

وكانَ بِشرُ بنُ منصورٍ رحمَهُ اللهُ يقلِّلُ مِنْ مجالسةِ الناسِ ، ويقولُ : (الاجتماعُ بالناسِ محلٌّ للغَفَلاتِ ، وواللهِ ؛ ما جلسَ عندي أحدٌ إلا ورأيتُ تَرْكَ مجالستِهِ كانَ خيراً لي ولهُ) انتهىٰ[٢] .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٦٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣٧) .

(٢) رُوي كراهةُ مجالسة الناس عن بعض السلف ؛ كمحمد بن النضر الحارثي فيما رواه عنه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢١٧) ، والعلاء بن زياد فيما رواه عنه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٥٨) ، وداود الطائي فيما رواه عنه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٤٣) .

[عدم وضع الجنب على الأرض إلا عند العجز عن الجلوس]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ وضعِهم جنبَهم على الأرضِ إلا عندَ العجزِ عنِ الجلوسِ وعلمِهم بالقرائنِ أنَّ اللهَ تعالىٰ يسامحُهم بمثلِ ذلكَ .

وكانَ آخرَ مَنْ أدركتُهُ علىٰ هـٰذا القَدَمِ الشيخُ تاجُ الدينِ الذاكرُ رحمَهُ اللهُ ؛ فإنَّهُ أخبرَ أصحابَهُ ليلةَ وفاتِهِ أنَّ لهُ سبعاً وعشرينَ سنةً ما وضعَ جنبَهُ على الأرضِ ، وكذلكَ الشيخُ أبو السعودِ الجارحيُّ رحمَهُ اللهُ ، وكانَ علىٰ هـٰذا القَدَمِ مِنَ السلفِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وبشرٌ الحافي ، ومحمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ ، والإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ ، والإمامُ أبو حنيفةَ ، ورابعةُ العدويةُ ، والأوزاعيُّ ، وجماعةٌ ذكرناهم في « الطبقاتِ » .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إذا غلبَهُ النومُ يقومُ فيجولُ في الدارِ ، وينشدُ : [من الطويل]

وَكَيْفَ تَنَامُ ٱلْعَيْنُ وَهْيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ ٱلْمَحَلَّيْنِ تَنْزِلُ(١)

---

(١) روى ابن أبي الدنيا في « المنامات » (١٤٥) عن رجلٍ ـ لم يُسمِّه ـ : أنه أتاه آتٍ في منامه ثلاث ليال يقول له . . . ثم ذكر البيت ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٤٤) من قول امرأة لذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

وكذلكَ كانَتْ رابعةُ العدويةُ تفعلُ[1] ، وكذلكَ شعوانةُ[2] ، وفاطمةُ الرمليةُ ، ويقلْنَ : (نخافُ أنْ نُؤخَذَ علىٰ بغتةٍ في النومِ) .

فعُلِمَ : أنَّ مَنِ ادَّعى الصلاحَ ونامَ في الأسحارِ مضطجعاً بلا عذرٍ . . فهو كذابٌ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(١) انظر « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٤/ ٢٧) .

(٢) انظر « تنوير الغبش » لابن الجوزي (ص ٢٢٤) .

(٣) في هامش (أ) : (بلغ قراءةً علىٰ مؤلِّفه رضي الله عنه) .

[رقة القلب وكثرة البكاء على التفريط في حق الله تعالىٰ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : رقَّةُ قلوبِهم ، وكثرةُ بكائِهم علىٰ تفريطِهم في حقوقِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فلعلَّ اللهَ تعالىٰ يرحمُهم .

وكانَ علىٰ هٰذا القدمِ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ(١) ، وعمرُ بنُ الخطابِ(٢) ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ(٣) ، وأبو الدرداءِ ، وغيرُهم .

وكانَ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ خطَّانِ أسودانِ في وجهِهِ مِنْ مجرى الدموعِ(٤) ، وكذلكَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما(٥) ، وكذلكَ كانَ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ(٦) ، ويزيدَ الرَّقَاشيِّ(٧) ، والفضيلِ بنِ عياضٍ(٨) ، وبشرٍ الحافي ، ومعروفٍ الكرخيِّ .

---

(١) كما روى البخاري (٤٧٦) من قول السيدة عائشة رضي الله عنها ، وفيه : (وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن . . .) .

(٢) كما روىٰ مسلم (٢٠٧٠) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) كما روى البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢٩٤) .

(٤) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٦٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥١) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٦٧١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٢٩) .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢١٥) .

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٩٨) .

(٨) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢٣١) .

وكانَ يزيدُ الرَّقَاشيُّ إذا دخلَ بيتَهُ بكىٰ ، وإذا قُرِّبَ إليهِ الطعامُ بكىٰ ، وإذا جلسَ إليهِ إخوانُهُ بكىٰ وأبكاهُم ، ويقولُ : (وهل خُلقَتِ النارُ إلا لِمِثْلي ؟!)[1] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ طولَ ليلتِهِ يبكي ، ويجولُ في دارِهِ ، ويصرخُ إلى الصباحِ ، وكثيراً ما يقعُ مغشيّاً عليهِ ، وكانَ يصلِّي في سطوحِ غرفتِهِ ، فيبكي في سجودِهِ حتىٰ تجريَ دموعُهُ وتتقاطرَ مِنَ الميزابِ على النائمينَ تحتَهُ ، حتىٰ يظنُّوا أنَّها سحابةٌ مارَّةٌ أمطرَتْ[2] .

وكانَتْ رابعةُ العدويةُ تبكي وترشُّ دموعَها حولَها ، حتىٰ يظنَّ الداخلُ أنَّ ذلكَ مِنْ ماءِ الوضوءِ .

وكانَ ابنُ السَّمَّاكِ إذا حميَ مجلسُهُ وتباكى الناسُ . . يذكرُ لهم بكاءَ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، وبكاءَ داودَ الطائيِّ ، وبكاءَ سفيانَ الثوريِّ ، وأضرابِهِم ؛ فيستصغرُ الناسُ بكاءَهم في جنبِ بكاءِ هـٰؤلاءِ .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لَأَنْ أبكيَ مِنْ خشيةِ اللهِ حتىٰ تخرجَ مِنْ عيني قطرةٌ واحدةٌ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتصدَّقَ بجبلٍ مِنْ ذهبٍ وأنا غليظُ القلبِ ؛ فإنَّ النفسَ قد تُعجبُ حينَ تتصدَّقُ بجبلِ ذهبٍ ، ولا تُعجبُ إذا بكَتْ)[3] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢٤٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٥/٨٦) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٢٧) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٦٩٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/٣٦٦) ، وقوله : (فإنَّ النفس . . . بكت) ليس في (ب ، ج ، هـ) .

وكانَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**علامةُ الصالحين** : صفرةُ الألوانِ ، وعَمَشُ العيونِ ، وذبولُ الشِّفاهِ)[١] ؛ أي : مِنْ كثرةِ سهرِهم وبكائِهم وجوعِهم .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ البكاءُ بكاءَ العينِ ، إنَّما البكاءُ بكاءُ القلبِ ؛ فإنَّ الرجلَ قد تبكي عيناهُ وقلبُهُ قاسٍ)[٢] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بكاءُ المنافقِ يكونُ مِنْ رأسِهِ لا مِنْ قلبِهِ)[٣] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (البكاءُ عشرةُ أجزاءٍ ؛ واحدٌ منها للهِ تعالىٰ ، والتسعةُ كلُّها رياءٌ ، فإذا جاءَ ذلكَ الجزءُ الذي للهِ في السنةِ مرةً واحدةً نجا صاحبُهُ مِنَ النارِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ)[٤] .

قلْتُ : لا يكمُلُ مقامُ الرجلِ في البكاءِ إلا ببكاءِ عينَيهِ وقلبِهِ ، وأمَّا الباكي بأحدِهما فناقصٌ ؛ لا سيَّما إنْ كانَ لهُ أتباعٌ ؛ فإنَّ بكاءَهُ بالقلبِ لا يذوقُهُ أتباعُهُ ، فيحتاجُ إلىٰ بكاءِ العينِ ضرورةً وإنْ كانَ مقامُهُ قَدِ ارتقىٰ عن ذلكَ ، واللهُ أعلمُ .

وبكىٰ رجلٌ في مجلسِ صلةَ بنِ أشيمَ ، فبكى الناسُ لبكائِهِ ، وكانَ ذلكَ

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٩٠) ، ورواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٢٤٩) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٧) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الصغير » (٧٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١١١) ، كلاهما بنحوه مرفوعاً من حديث سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

(٤) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٢٦٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١١) .

الرجلُ يُحِبُّ أنْ يرى الناسُ بكاءَهُ ، فأُتيَ في المنامِ فقيلَ لهُ : خذْ أجرَ بكائِكَ ممَّنْ أحببْتَ أنْ يراكَ باكياً .

وكانَ شُمَيْطُ بنُ عجلانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كانَ سفيانُ بنُ عيينةَ يردِّدُ الدمعَ في عينيهِ ، ويقولُ : إنَّهُ أبقىٰ للكَمَدِ)[١] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ إذا بكىٰ بكَتْ زوجتُهُ وعيالُهُ وخدمُهُ ، ولا يدرونَ مِمَّ ذلكَ البكاءُ ، ويقولُ : (بلغَنا عن يحيى بنِ زكريا عليهما الصلاةُ والسلامُ أنَّهُ كان يُكِبُّ على القبرِ ، فيبكي الثلاثةَ أيامٍ لا يرفعُ رأسَهُ)[٢] .

وكانَ صالحٌ المُرِّيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الذنوبُ تَطمِسُ القلوبَ ، ولا يُزيلُ ذلكَ الطمسَ إلا شدةُ البكاءِ)[٣] .

وبكىٰ شعيبُ بنُ حربٍ مرَّةً في مجلسِ طاوسٍ حتى أبكى الناسَ[٤] ، فظنَّ شعيبٌ أنَّه فعلَ أمراً عظيماً ، فقالَ لهُ طاوسٌ : (اعلمْ يا أخي : أنَّهُ لو بكىٰ معَكَ أهلُ السماءِ وأهلُ الأرضِ لأجلِ ذنبٍ واحدٍ فعلتَهُ . . لكانَ ذلكَ قليلاً ، فكيفَ تظنُّ أنَّ ذنبَكَ يُمحىٰ ببكائِكَ وحدَكَ ؟!) .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٠٢) من طريق منصور بن عمار .

(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٩) ، وخبر بكاء سيدنا يحيىٰ عليه السلام رواه الدينوري في « المجالسة » (١٥١٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٤/ ٢٠١) .

(٣) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٦٧) .

(٤) توفي طاوس سنة (١٠٦ هـ) ، وتوفي شعيب سنة (١٩٦ هـ) أو بعدها بسنة ، فليُتأمل .

وقيلَ لمالكِ بنِ دينارٍ : أَلَا نأتي لكَ بقارئٍ يُسمِعُكَ القرآنَ ؟ فقالَ : إنَّ الثكلىٰ لا تحتاجُ إلىٰ نائحةٍ[1] .

وكانَ الضحَّاكُ يبكي كلَّ عشيَّةٍ حتىٰ يُغشىٰ عليهِ ، ويقولُ : (إنِّي لا أدري ما صعدَ اليومَ مِنْ أعمالي القبيحةِ ؛ هل غُفِرَ ذلكَ ، أو هو باقٍ في صحيفتي حتىٰ أقفَ عليهِ يومَ القيامةِ ؟!)[2] .

وقرأَ قارئٌ مرةً عندَ سفيانَ الثوريِّ بصوتٍ حزينٍ ، فبكى الناسُ ولم يبكِ سفيانُ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (بئسَ قلبٌ لا يَرِقُّ عندَ سماعِ كلامِ اللهِ إلا إنْ كانَ بصوتٍ حزينٍ) .

قالوا : ولم يكنْ أحدٌ يأتي إلى الناسِ فيقرأُ عليهمُ القرآنَ إلا إنِ استدعاهُ الناسُ .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يعظُ الناسَ ، فيبكونَ حتىٰ يُغشىٰ عليهم ، فسرقوا مصحفَهُ ، فكانَ يقولُ : (كلُّنا نبكي ، فمَنْ سرقَ المصحفَ ؟!)[3] .

وكانَ مكحولٌ الدمشقيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا رأيتُم أحداً يبكي فابكُوا ، ولا تظنُّوا بهِ الرياءَ ؛ فإنِّي ظننْتُ مرةً ذلكَ برجلٍ ؛ فحُرِمْتُ البكاءَ سنةً)[4] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧٣) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٧٦) ، والدينوري في « المجالسة » (٢٩٨٦) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٤) .
(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٨٤) .

فعُلِمَ : أنَّ كلَّ منِ ادَّعى الصلاحَ ولم يبكِ بقلبِهِ عندَ سماعِ القرآنِ . . فهو كاذبٌ ؛ لأنَّ قسوةَ القلبِ تنافي أخلاقَ الصالحينَ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) في هامش (أ) : (بلغ قراءة على مؤلفه فسح الله في مدته ، آمين آمين آمين) .

[سوء الظنّ بالنفس ، ومحاسبتها]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : ظنُّهم بنفسِهمُ الهلاكَ ؛ بسببِ تقصيرِهم في الطاعاتِ ، فضلاً عن وقوعِهم في المعاصي الظاهرةِ ، ويقولونَ : الرجاءُ في اللهِ تعالىٰ أنْ يعفوَ عنَّا هو تحصيلُ الحاصلِ ، وإنَّما الشَّأنُ في ظنِّ أحدِهم أنَّ اللهَ تعالىٰ يؤاخذُهُ على النقيرِ والقِطميرِ ؛ ليخفَّ وقوفُهُ للحسابِ يومَ القيامةِ ؛ فإنَّ مَنْ لم يحاسِبْ نفسَهُ هنا فيا طولَ وقوفِهِ للحسابِ هناكَ ! فنسألُ اللهَ اللطفَ .

وكانَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ هُرْمُزَ الأعرجُ يقولُ : (فتِّشوا أنفسَكم فيما هي عليهِ مِنَ القبائحِ ؛ فإنَّ كلَّ أحدٍ يُحشرُ غداً معَ جنسِهِ ، فمَنْ وقعَ في سائرِ المعاصي فلهُ معَ كلِّ قومٍ حشرٌ)[١] .

وكانَ كثيراً ما يعاتِبُ نفسَهُ ويوبِّخُها ، ويقولُ لها : (إنَّ المناديَ ينادي يومَ القيامةِ : يا أهلَ خطيئةِ كذا ؛ قوموا ، فتقومُ يا أُعَيْرِجُ معَهم ، ثمَّ ينادي : يا أهلَ خطيئةِ كذا ؛ قوموا ، فتقومُ يا أُعَيْرِجُ معَهم ، ثمَّ ينادي : يا أهلَ خطيئةِ كذا ؛ قوموا ، فتقومُ يا أُعَيْرِجُ معَهم ، فأُراكَ يا أُعَيْرِجُ تقومُ معَ كلِّ طائفةٍ !)[٢] .

---

(١) انظر « الدر المنثور » للسيوطي (٧/ ٨٣) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٣٠) .

وكانَ سيدي عليٌّ الخواصُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يكمُلُ الفقيرُ حتىٰ يكونَ ليلاً ونهاراً كأنَّ أهوالَ يومِ القيامةِ نُصْبَ عينَيهِ ؛ وذلكَ ليستعدَّ لها مِنْ هـٰذهِ الدارِ) .

وكانَ يقولُ : (مَنْ أرادَ هدوءَ السرِّ في القبرِ فلا يجعلْ لهُ سريرةً يَفتضِحُ بها يومَ القيامةِ ، وما دامَ لهُ سريرةٌ سيِّئةٌ فالرعبُ مِنْ لازمِهِ إلىٰ أنْ يُبعثَ مِنْ قبرِهِ مرعوباً ؛ ولذلكَ كانَ لقمانُ يقولُ لابنِهِ : يا بنيَّ ؛ كما تنامُ كذلكَ تموتُ ، وكما تستيقظُ كذلكَ تُبعثُ ، فاعملْ عملاً صالحاً تنمْ وتستيقظْ كالعروسِ ، ولا تعملْ سوءاً فتنامَ وتستيقظَ مرعوباً ؛ كالمجرمِ الذي طلبَهُ السلطانُ ليسفكَ دمَهُ)[١] .

وكانَ أويسٌ القَرَنيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (استعملِ الخوفَ في هـٰذهِ الدارِ ؛ فإنَّهُ أنجىٰ لكَ مِنَ العذابِ)[٢] .

وسمعتُ سيدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (اعملْ لنفسِكَ ، ولا تعوِّلْ علىٰ غيرِكَ مِنْ شيخٍ أو صاحبٍ ؛ فإنَّ لكلٍّ منهم يومَئذٍ شأناً يغنيهِ) .

وكانَ يقولُ : (صَفِّ أعمالَكَ مِنَ الرعوناتِ ؛ فإنَّ نورَها يومَ القيامةِ علىٰ قدرِ إخلاصِكَ فيها) .

---

(١) روىٰ نحوه الطبراني في « الدعاء » (١٧٣٧) من قول سيدنا لقمان فيما ينقله الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٥) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ يقولُ : (لا يستضيءُ منافقٌ في نورِ مؤمنٍ ؛ كما لا يستضيءُ الأعمىٰ بنورِ البصيرِ) .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أغلقَ بابَهُ وعصى اللهَ تعالىٰ واستحيا مِنَ المخلوقينَ دونَهُ تعالىٰ . . حاسبَهُ اللهُ حساباً شديداً ، ووبَّخَهُ توبيخاً منكَراً ، ثمَّ ينظرُ إليهِ نظرَ الغضبِ ، ويقولُ للملائكةِ : خذوهُ ، فيبتدرُهُ ألفُ مَلَكٍ أو يزيدونَ ، فيسحبونَهُ علىٰ وجهِهِ ، فيتفتَّتُ في أيديهم)[1] .

فانظرْ يا بنَ آدمَ هل وقعْتَ في مثلِ ذلكَ ، وتشفَّعْ بأنبيائِهِ ورسلِهِ أنْ يَغفرَ لكَ ؛ فربَّما غَفرَ لكَ لأجلِ مَنِ استشفعْتَ بهِ مِنْ أنبيائِهِ وأوليائِهِ .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ يقولُ لنفسِهِ : (كيفَ بكَ يا ربيعُ إذا حُملَتِ الأرضُ والجبالُ فدُكَّتا دكةً واحدةً ؟!)[2] .

وكانَ أبو عمرانَ الجَوْنيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ البهائمَ إذا رأَتْ ما يُصنعُ ببني آدمَ يومَ القيامةِ . . تقولُ : الحمدُ للهِ الذي لم يجعلْنا مِنْ بني آدمَ)[3] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تكنْ ممَّنْ يفضحُهُ الميزانُ والحسابُ يومَ القيامةِ)[4] .

---

(١) رواه بنحوه مختصراً الدينوري في « المجالسة » (١٦١٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٧٥) .

(٢) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (١١/ ٣٠٢ـ٣٠٣) ، وابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٢٠) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣١١) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٦٣) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٦٠٠) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَني أنَّ أهلَ الجمعِ كلَّهم يَعَضُّونَ أناملَهم خجلاً وحياءً مِنَ اللهِ تعالىٰ ؛ كلُّ واحدٍ حزنُهُ علىٰ قدرِ ما فرَّطَ في جنبِ اللهِ) .

وسمعْتُ سيدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : يسهِّلُ اللهُ تعالىٰ على العبدِ طلوعَ روحِهِ بقدرِ ما ذاقَ مِنَ الغُصصِ في مرضاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فقلْتُ لهُ : إنَّ الأنبياءَ أكثرُ الناسِ بلاءً ، ومعَ ذلكَ فقد وردَ : أنَّ أحدَهم يُشدَّدُ عليهِ المرضُ وغيرُهُ ، فقالَ : تشديدُ المرضِ على الأكابرِ قد يكونُ تعظيماً لأجورِهم ، لا لعلاقةٍ دنيويةٍ تَجذِبُهم إليها ، بل لا يجوزُ حملُهم علىٰ ذلكَ ، وبعضُهم يصعبُ عليهِ طلوعُ روحِهِ لأجلِ تلامذتِهِ ، فيريدُ عدمَ الخروجِ مِنَ الدنيا حتىٰ يكمِّلَهم ويرشدَهم إلىٰ كمالِ مقامِ المعرفةِ معَ محبتِهِ للقاءِ اللهِ أيضاً ، فلمَّا تجاذبَ عندَهُ الأمرانِ حصلَ بذلكَ صعوبةُ طلوعِ الروحِ ، ولولا ما عندَهُ مِنْ كمالِ الشفقةِ علىٰ تلامذتِهِ لكانَ أسرعَ الناسِ خروجاً لروحِهِ ؛ طلباً للقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سألَ بنو إسرائيلَ المسيحَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنْ يحييَ لهم سامَ بنَ نوحٍ عليهما السلامُ ، فقالَ : أروني قبرَهُ ، فأَرَوهُ إياهُ ، فوقفَ علىٰ قبرِهِ وقالَ : يا سامُ ؛ قمْ بإذنِ اللهِ تعالىٰ ، فقامَ حيّاً ، وإذا رأسُهُ ولحيتُهُ بيضاءُ ، فقالَ : إنَّكَ مِتَّ وشعرُكَ أسودُ ! فقالَ : لمَّا سمعْتُ النداءَ ظننْتُ أنَّها القيامةُ ، فشابَتْ رأسي ولحيتي الآنَ ، فقالَ لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : كم لكَ مِنَ السنينَ ميْتٌ ؟ فقالَ : خمسةُ آلافِ سنةٍ ، وإلى الآنَ لم تذهبْ عنِّي حرارةُ طلوعِ الروحِ) انتهىٰ[1] .

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨٥) من طريق كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إذا ذكروا يومَ القيامةِ بينَ يديهِ يصيحُ كصياحِ الثكلىٰ ، ويقولُ : (لا ينبغي لابنِ مريمَ أنْ يسكتَ عندَ ذكرِ القيامةِ)[1] .

وكانَ وهيبٌ المكيُّ يقولُ : (كيفَ ينبغي لأحدٍ أنْ يضحكَ في الدنيا وهو يعلمُ أنَّ بينَ يديهِ يومَ القيامةِ صرَخاتٍ وجَوْلاتٍ ووَقَفاتٍ يكادُ الإنسانُ أنْ تتقطَّعَ مفاصلُهُ مِنْ شدَّةِ الخوفِ والرعبِ ؟!)[2] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] ؛ قالَ : (هو مِنْ طلوعِ شمسِ يومِ السبتِ إلىٰ نصفِ النهارِ ، فلا ينتصفُ اليومُ حتىٰ يفرغَ الخلائقُ مِنَ الحسابِ ، ويستقرَّ أهلُ الجنةِ في الجنةِ ، وأهلُ النارِ في النارِ) انتهىٰ[3] .

وكانَ سيدي عليٌّ الخواصُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ وجدَ في نفسِهِ داعيةً للتفرُّجِ في البساتينِ ، والنومِ معَ النساءِ الحِسَانِ في الفرشِ الوطيئةِ ، ولبسِ الثيابِ المبخَّرةِ . . فهو غافلٌ عن أهوالِ القيامةِ ، إلا أنْ يكونَ مِنْ كُمَّلِ الأولياءِ الذينَ لا يَشغَلُهم عنِ اللهِ شاغلٌ في الدارينِ) .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٢٣) ، وابن المبارك في « الزهد » (٢٢٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣١٣) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١١٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤١) .

(٣) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢١٣) عن إبراهيم التيمي في قوله تعالىٰ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : (ما طولُ يومِ القيامة على المؤمن إلا ما بين الظهر والعصر) .

[عدم الاعتناء ببناء الدور إلا بقدر الضرورة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ الاعتناءِ ببناءِ الدورِ ونحوِها ، ثمَّ إنْ وقعَ أنَّهم بنَوا داراً اقتصروا منها على ما يدفعُ الضرورةَ مِنْ غيرِ زخرفةٍ ؛ وذلكَ لعدمِ وجودِ دراهمَ مِنْ حلالٍ يبنونَ بها ، وعدمِ طولِ أَمَلِهم ؛ فلا يدعُهم قِصَرُ أملِهم أنَّهم يبنونَ فضولاً .

وقد بنى سيدي أحمدُ الزاهدُ جامعَهُ ودارَهُ بطينٍ وطُوبٍ ، وسقفَهُ بالجريدِ رحمَهُ اللهُ .

فعُلِمَ : أنَّ كلَّ مَنِ ادَّعى أنَّهُ مِنَ الصالحينَ وبنى البناءَ المحكَمَ فَرَحاً بالدنيا . . فهو كاذبٌ في الطريقِ ؛ لا سيما مَنِ ادَّعى الانقطاعَ إلى اللهِ تعالى في المقابرِ ؛ كالقَرَافةِ ؛ فإنَّ ذلكَ لا يليقُ بهِ بحالٍ ، إلا أنْ يَقِفَهُ على جهاتِ برٍّ وصدقاتٍ ، فيكونُ الباعثُ لهُ على إحكامِ البناءِ دوامَ الصدقةِ بعدَ موتِهِ ؛ كما وقعَ لسيدي مَدْيَنَ ، وسيدي أبي العباسِ الغَمريِّ وأضرابِهما ، فلا اعتراضَ على مثلِ ذلكَ .

وقد مرَّ سيدي عبدُ القادرِ الجيليُّ رضيَ اللهُ عنهُ على شخصٍ يبني داراً ويُحكِمُها ، فأنشدَهُ[1] : [من الطويل]

---

(١) أورد البيتين الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ١٢٣) في قصةٍ مُفادها : أنَّ المأمون بن ذي النون ـ من ملوك الأندلس ـ بنى قصره وأنفق عليه الأموال وجعل فيه عجائب ، فنام فسمع منشداً ينشد هٰذين البيتين .

أَتَبْنِي بِنَاءَ ٱلْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا ... مُقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ ٱلْأَرَاكِ كِفَايَةٌ ... لِمَنْ كُلَّ يومٍ يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ

وممَّنْ أدركتُهُ علىٰ هـٰذا القدمِ سيدي عليٌّ الخواصُ رحمَهُ اللهُ ؛ كانَ يعيبُ على الفقيرِ إذا رآهُ يبني داراً ، ويقولُ لهُ : (إنَّ الذي تَصرِفُهُ علىٰ هـٰذا البناءِ لا تلحقُ تسكنُ بهِ) .

ولمَّا بنىٰ أخي أبو العباسِ لهُ بيتاً في جامعِ البشيريِّ . . أصرفَ عليهِ سبعَ مئةِ دينارٍ[1] ، فقالَ لهُ سيدي عليٌّ الخواصُ : (لو سكنْتَ بأجرةٍ لكفاكَ العُشرُ ممَّا صرفتَهُ في هـٰذا البناءِ ، وكنْتَ تتصدَّقُ بالباقي) .

ثمَّ ماتَ أخي أبو العباسِ بعدَ سبعِ سنينَ أو نحوِها ، وغالبُ ما أنفقَهُ إنَّما كانَ مِنْ مساعدةِ الإخوانِ ؛ لأنَّهُ كانَ لا كسبَ لهُ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا عَمَرَ الفقيرُ بيتاً مِنْ أموالِ إخوانِهِ . . فقد غشَّهم ، وكانَ الأَولىٰ بهِ منعُهم مِنْ صرفِهم مالَهم في ذلكَ البناءِ[2] ، وإرشادُهم إلىٰ ما يكونُ أثقلَ في ميزانِهم يومَ القيامةِ ، هـٰذا لو أنَّهم سألوهُ بهِ ، فكيفَ بما أتَوا بهِ عن سؤالٍ مِنَ النقباءِ تصريحاً أو تعريضاً ؟!) .

وفي الحديثِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كُلُّ دِرْهَمٍ يُنْفِقُهُ ٱلْمَرْءُ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يُخْلِفُهُ ، إِلَّا مَا كَانَ فِي بُنْيَانٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ »[3] .

---

(١) قوله : (أصرف) كذا في جميع النسخ المعتمدة .

(٢) في (ج ، هـ) : (فمن الأولىٰ له نصحهم في عدم) بدل (فقد غشَّهم ، وكان الأولىٰ به منعهم من) .

(٣) رواه الدارقطني في « سننه » (٢٨٩٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥٠) ، =

وقد درجَ السلفُ الصالحُ كلُّهم علىٰ عدمِ الحرصِ وطولِ الأملِ ، حتىٰ إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بلغَهُ أنَّ أسامةَ بنَ زيدٍ اشترىٰ وليدةً إلىٰ شهرٍ ، فصارَ يقولُ : « أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ أُسَامَةَ ٱلْمُشْتَرِي إِلَىٰ شَهْرٍ ؟! وَٱللهِ ؛ إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيلُ ٱلْأَمَلِ » ، ثمَّ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَٱللهِ ؛ مَا رَفَعْتُ قَدَمَيَّ وَظَنَنْتُ أَنِّي أَضَعُهُمَا حَتَّىٰ أُقْبَضَ ، وَلَا فَتَحْتُ عَيْنَيَّ وَظَنَنْتُ أَنِّي أُغْمِضُهُمَا حَتَّىٰ أُقْبَضَ ، وَلَا لَقِمْتُ لُقْمَةً وَظَنَنْتُ أَنِّي أُسِيغُهَا حَتَّىٰ أُقْبَضَ » ، وفي روايةٍ : « حَتَّىٰ أَغَصَّ بِٱلْمَوْتِ »(١) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ جاعَ وقَصُرَ أملُهُ . . لم يجدِ الشيطانُ مِنْ قلبِهِ محلّاً يجلسُ فيهِ)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ : (يا بنَ آدمَ ؛ إنَّما أنتَ أيامٌ ، فكلُّ يومٍ مضىٰ فقد مضىٰ بعضُكَ)(٣) .

وأقاموا الصلاةَ مرةً بحضرةِ معروفٍ الكرخيِّ ، فقدَّموا فقيراً ليصلِّيَ بهم ، فأبىٰ وقالَ : أخافُ أنْ أموتَ في الصلاةِ فأشوِّشَ على الناسِ صلاتَهم ، فعزموا عليهِ ، فقالَ : بشرطِ ألَّا أصليَ بكم صلاةً أخرىٰ ! فقالَ لهُ معروفٌ : تأخَّرْ يا أخي ؛ فإنَّكَ مخلِّطٌ ؛ تخافُ أوّلاً أنَّكَ تموتُ في الصلاةِ ، ثمَّ

= كلاهما بنحوه من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٨٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٩١) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٠٣) من قول بعض الحكماء .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٥٨٦) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٤٢٦) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

تحدِّثُكَ نفسُكَ أنَّكَ تعيشُ إلىٰ صلاةٍ أخرىٰ ! ثمَّ قدَّمَ غيرَهُ فصلَّىٰ بالناسِ ، وقالَ لهُ : قلِ : اللَّهمَّ ؛ مُدَّ في أجلي حتىٰ تنقضيَ صلاةُ الناسِ[1] .

وكانَ داودُ الطائيُّ يقولُ : (مِنْ لازمِ مَنْ طالَ أملُهُ أنْ يسيءَ العملَ غالباً ، ويسوِّفَ بالتوبةِ)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ شأنِ قصيرِ الأملِ أنْ يظنَّ في كلِّ شيءٍ أكلَهُ أنَّهُ لا يخرجُ مِنْ بطنِهِ إلا علىٰ يدِ الغاسلِ بعدَ موتِهِ ، وما جمعَهُ لا ينتفعُ بهِ إلا غيرُهُ ، ومتىٰ ظنَّ أنَّ ما في بطنِهِ يخرجُ منهُ في الخلاءِ ، وما جمعَهُ يأكلُهُ . . فهو طويلُ الأملِ) .

وكانَ أبو عثمانَ النهديُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (عمري الآنَ مئةٌ وثلاثونَ سنةً ، فما مِنْ شيءٍ إلا وتغيَّرَ عليَّ ، إلا أملي ؛ فإنِّي أجدُهُ كما هو ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ)[3] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الدنيا مطلَّقةُ الزهَّادِ ، لا تنقضي عِدَّتُها منهم أبداً ، وكلُّ مَنْ طلَّقَ الدنيا تزوَّجتْهُ الآخرةُ على الفورِ)[4] .

وسمعْتُ سيِّدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يسلمُ إنسانٌ منَّا مِنْ طولِ أملِهِ ؛ لٰكنْ كلٌّ بحسبِ مقامِهِ ، فأعلاهم مَنْ كانَ أملُهُ نَفَساً واحداً ،

---

(١) أورده بنحوه عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٥٦) .

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٩٦) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٦٢١) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٣) .

فهو - أي : طولُ الأملِ - مِنْ رحمةِ اللهِ لكلِّ أحدٍ ، ولولا ذلكَ ما هنئَ لأحدٍ منهمُ العيشُ)(١) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مكتوبٌ علىٰ ظهرِ الحوتِ في البحرِ وعلىٰ ظهرِ النواةِ مِنَ التمرِ : هٰذا رزقُ فلانِ بنِ فلانٍ لا يأكلُهُ غيرُهُ ، ومعَ ذلكَ فالحريصُ يجهدُ ويخافُ على رزقِهِ أنْ يأخذَهُ غيرُهُ)(٢) .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(٣) .

---

(١) **وفي معناه** : ما رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٣) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (لولا السهو والأمل ما مشى المسلمون في الطريق) .

(٢) روىٰ نحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/٣٥٣) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلفه نفع الله ببركاته**) .

[كثرة الشّفقة على كلّ الخلائق]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الشفقةِ على المسلمينَ ، وسائرِ الحيواناتِ ، وسائرِ العصاةِ ، والعملُ علىٰ عدمِ حصولِ نقصِ دِينٍ لأحدٍ بسببِهم ، وهٰذا مِنْ أشرفِ أخلاقِهم ، ولا يقدرُ على العملِ بهِ إلا مَنْ نوَّرَ اللهُ تعالىٰ بصيرتَهُ ، وكانَ أشفقَ على الناسِ مِنْ أنفُسِهم ، وآثرَهم علىٰ نفسِهِ بحكمِ الإرثِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهناكَ يرغبُ الناسُ في القربِ منهُ ، حتىٰ ربَّما زادوا في ثمنِ الدارِ المجاوِرةِ لِمَنْ يشفقُ عليهم أكثرَ مِنَ المجاوِرةِ لأهلِهم ؛ محبةً في القربِ منهُ .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (يُزادُ في ثمنِ الدارِ إذا كانَ جارُها طليقَ الوجهِ ، حلوَ اللسانِ)(١) .

وكانَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ مِنَ المبالغينَ في التخلُّقِ بالرحمةِ ، حتىٰ إنَّهُ ربَّما مرَّ على القومِ فيخافُ ألا يردُّوا عليهِ السلامَ ؛ فلا يسلِّمُ عليهم ، ويقولُ : (أخافُ أنْ يحتقروني فلا يردُّوا عليَّ السلامَ ، فتلعنَهمُ الملائكةُ بسببي)(٢) .

---

(١) روىٰ نحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/ ٣٣) في قصة أبي حمزة السكري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ١٨١) . =

وكانَ أبو عبدِ اللهِ الأنطاكيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا علمْتَ مِنَ الناسِ الوقوعَ في عرضِكَ إذا رأَوْكَ . . فلا تجتمعْ بهم ؛ رحمةً لهم ، إلا في أوقاتِ الصلواتِ والخيراتِ) .

وكانَ المَغازِليُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ لم ينظرْ إلى العصاةِ بعينِ الرحمةِ . . فقد فَسَقَ عن طريقِ القومِ)[1] .

وكانَ معروفٌ الكرخيُّ إذا رأىٰ عاصياً دعا لهُ بالمغفرةِ ، ورجا لهُ الرحمةَ ، ويقولُ : (إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بُعثَ لنجاةِ النَّاسِ والرحمةِ لهم ، والشيطانَ بُعِثَ بإهلاكِهم والشماتةِ بهم) .

ومرَّ عليهِ قومٌ في زَوْرَقٍ في الدجلةِ وبينَ يديهمُ الطَّرَبُ والشرابُ ، فقالوا لهُ : ألا تدعو اللهَ تعالىٰ علىٰ هٰؤلاءِ ؟ فقالَ : اللهمَّ ؛ كما فرَّحْتَهم في الدنيا ففرِّحْهم في الآخرةِ ، فقالوا : إنَّما سألناكَ أنْ تدعوَ عليهم ، وها أنتَ تدعو لهم! فقالَ : معاذَ اللهِ أنْ أدعوَ علىٰ مسلمٍ ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يفرِّحُهم في الآخرةِ إلا إنْ تابَ عليهم في الدنيا . انتهىٰ[2] .

وهٰذا مِنْ حُسنِ سياسةِ معروفٍ رحمَهُ اللهُ .

= وفي هامش (ج): (هٰذا إذا لم يؤد إلى الوقيعة فيه بأنه يترك السنة ، أو جاهل بالسنة ، أو نحو ذلك ، فالبلية هنا ليست أقل مما هنالك ؛ لأن الغيبة محرمة . انتهىٰ) .

(١) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (١٤٢) من قول ابن عون رحمه الله تعالىٰ ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢٧٥) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢٧٦) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٦٦ـ٣٦٧) .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ رحمَهُ اللهُ لا يدعو قطُّ علىٰ مَنْ ظلمَهُ ، ويقولُ : (يكفيهِ ما حصلَ عليهِ مِنْ وزرِ ظُلمِهِ لي ؛ فلا أزيدُهُ وزراً بدعائي عليهِ إذا حصلَتِ الإجابةُ بدعائي)[1] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ إذا نزلَ بفناءِ دارِهِ رفقةٌ وناموا في الليلِ . . يسهرُ يحرسُ متاعَهم إلى الصباحِ مِنْ غيرِ علمِهم بذلكَ ، ثمَّ يقولُ : (سمعْتُ قتادةَ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا . . . ﴾ الآيةَ [العنكبوت : ٣٢] ؛ قالَ : لا تجدُ المؤمنَ إلا وهو يحوطُ المؤمنَ)[2] .

ورُوِيَ أنَّ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ : يا ربِّ ؛ دلَّني علىٰ أحبِّ الخلقِ إليكَ ، فقالَ : يا موسىٰ ؛ أحبُّ الخلقِ إليَّ مَنْ إذا سمعَ بأنَّ أخاهُ المؤمنَ شاكَتْهُ شوكةٌ حزِنَ لها ؛ كأنَّها شاكَتْهُ هو[3] .

وقالَ سالمُ بنُ أبي الجعدِ رحمَهُ اللهُ : (بلغَنا أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جلسَ يوماً في الظلِّ ؛ وأصحابُهُ في الشمسِ ، فنزلَ عليهِ جبريلُ فقالَ : يا محمدُ ؛ تجلسُ في الظلِّ وأصحابُكَ في الشمسِ ؟! فعاتبَهُ علىٰ ذلكَ ؛ تشريعاً لأمتِهِ)[4] .

---

(١) روى الترمذي (٣٥٥٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا علىٰ من ظلمه فقد انتصر » .

(٢) روىٰ قولَ قتادة عبدُ الرزاق في « تفسيره » (٢٢٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٠/٥٠) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٤٥٠) ، وأبو الشيخ في « التوبيخ والتنبيه » (٥١) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

(٤) أورده البوصيري في « إتحاف الخيرة المهرة » (٤٥٣٧) ، والحديث رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧١٣٢) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » =

وكانَ ابنُ عَوْنٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أولُ ما يُرفعُ مِنْ هـٰذهِ الأمةِ الأُلفةُ والشفقةُ)[١] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يهتمُّ بأمرِ المسلمينَ حتىٰ يبولَ الدمَ مِنْ شدَّةِ الحَصَرِ[٢] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ علامةِ الأبدالِ كثرةُ الشفقةِ والرحمةِ لعامَّةِ المسلمينَ)[٣] .

وكانَ معروفٌ الكرخيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (مَنْ قالَ كلَّ يومٍ : اللهمَّ ؛ ارحَمْ أمةَ محمَّدٍ ، اللهمَّ ؛ أصلِحْ أمةَ محمَّدٍ ، اللهمَّ ؛ فرِّجْ عن أمةِ محمَّدٍ . كتبَهُ اللهُ مِنَ الأبدالِ) انتهىٰ[٤] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واقتدِ بسلفِكَ في الرحمةِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٥] .

= (٦٧٥٦) من حديث سيدنا أبي حازم الأنصاري رضي الله عنه .

(١) رواه بنحوه نعيم بن حماد في « الفتن » (١٥٦) من قول عمير بن إسحاق رحمه الله تعالىٰ ، وأورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٦٣) من غير نسبة .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٣) ، **والحَصَر** : ضيق الصدر .

(٣) أورد نحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٧٢) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٦٦) .

(٥) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة . . .**) .

[كثرة الرّياضة للنّفس]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ رياضةِ نفوسِهم حتىٰ يصيرَ أحدُهم ينظرُ للذي عليهِ ببادئِ الرأيِ دونَ الذي لهُ ، فإذا سمعَ نحوَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] . . يرىٰ نفسَهُ جاهلاً ، ويرىٰ جميعَ أقرانِهِ علماءَ ببادئِ الرأيِ ، وأنَّهُ لا يستوي معَ واحدٍ منهم ، ولا يقاربُهُ في مقامٍ ولا حالٍ ، عكسُ ما يتبادرُ إليهِ ذهنُ مَنْ لم يجاهدْ نفسَهُ .

فاعلمْ ذلكَ ، واعملْ عليهِ تجدْ بعدَ ذلكَ راحةً عظيمةً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[موافقة الفقيه ظاهراً إذا أنكر شيئاً من أحوال الطّريق]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : موافقةُ الفقيهِ إذا أنكرَ شيئاً مِنْ أحوالِ أهلِ الطريقِ أو دابَرَهم ، ولا يقيمُ أحدُهم عليهِ الحجةَ إلا إذا علمَ رجوعَهُ لهُ ؛ فإنَّ الفقيهَ في دائرةٍ لا يعرفُ غيرَها .

فإذا قالَ : إنَّ القطبَ مثلاً ، أوِ البدلَ ، أوِ الوتدَ ليسَ لهُ حقيقةٌ . . فقلْ لهُ : نعم ، وانوِ بذلك أنَّهُ ليسَ لهُ حقيقةٌ عندَهُ هو ، وإذا قالَ : إنَّ الأولياءَ قدِ انقرضوا ولم يبقَ أحدٌ منهم . . فقلْ لهُ : صدقْتَ ، وانوِ بذلك على معتقدِهِ هو ، وإذا قالَ : الخَضِرُ عليهِ السلامُ لا وجودَ لهُ . . فقلْ لَهُ : نعم ، لا سيَّما إنْ أتىٰ بكلامِ أحدٍ ممَّنْ ينكرُ ذلكَ ؛ كابنِ تيمية .

وقد خالفَ هٰذا الخُلُقَ جماعةٌ ، وخالفوا الفقيهَ ، فوقعَ بينَهم شرورٌ ، وقذفُ أعراضٍ ، وسبٌّ للطائفةِ ، وما هٰكذا كانَ الأشياخُ السابقونَ رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

وقد كانَ أخي أفضلُ الدينِ إذا جلسَ إليهِ فقيهٌ ، وأرادَ أنْ يفيدَهُ فائدةً . . يقولُ لهُ : قالَ الإمامُ الغزاليُّ كذا وكذا ، فقلْتُ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّما أنقلُ لهٰؤلاءِ الفقهاءِ عنِ الغزاليِّ ؛ لأنَّهُ مِنْ دائرتِهم في الأصلِ قبلَ التصوفِ ، ولو أنِّي نقلْتُ لهُ شيئاً عن أحدٍ ممَّنْ ليسَ هو مِنْ دائرتِهم . . لَمَا قَبِلوهُ منِّي . انتهىٰ .

وممّا يدلُّ لوجودِ الأبدالِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ بُدَلَاءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ ، وَإِنَّمَا دَخَلُوهَا بِسَخَاوَةِ ٱلنُّفُوسِ ، وَٱلنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ »(١) .

وكانَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الأبدالُ بالشامِ ، والعصائبُ بالعراقِ ، والنجباءُ بمصرَ)(٢) .

وسُئلَ عبدُ اللهِ بنُ ماجدٍ الجريميُّ(٣) : أيكونُ مِنَ النساءِ أبدالٌ ؟ فقالَ : نعم(٤) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا الأبدالُ لخُسفَتِ الأرضُ بمَنْ فيها ، ولولا الصادقونَ لفسدَتِ الأرضُ ، ولولا العلماءُ لكانَ الناسُ كالبهائمِ ، ولولا السلطانُ لأهلكَ الناسُ بعضُهم بعضاً ، ولولا الحمقىٰ لخربَتِ الدنيا ، ولولا الريحُ لأنتنَ ما بينَ السماءِ والأرضِ)(٥) .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الأولياء » (٥٨) من حديث الحسن مرسلاً ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٧١) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٩٧) .

(٣) في (ج) : (الخزيمي) ، وفي (د) : (الحريمي) بدل (الجريمي) ، ولم أجده في كتب التراجم .

(٤) روى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٩٩) عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : الأبدال أربعون إنساناً ، قال : قلت له : أربعون رجلاً ، قال : لا تقل : أربعين رجلاً ، ولـٰكن قل : أربعين إنساناً ، لعل أن يكون فيهم نساء .

(٥) أورد بعضه الدينوري في « المجالسة » (١٣١٢) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٣١٤) من غير نسبة .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما مِنْ نبيٍّ إلا ولهُ نظيرٌ في أمتِهِ) انتهى[1] .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ٣٩٤) .

[كثرة العمل على رقة الحجاب حتى يرى كل شيء حياً]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ عملِهم علىٰ رقَّةِ الحجابِ حتىٰ يصيروا يرَوا كلَّ شيءٍ في الوجودِ حيّاً[(١)] ، ويعاملونَهُ معاملةَ الأحياءِ ، فلا يجدُ أحدُهم لهُ خلوةً يعصي اللهَ فيها أبداً ؛ لأنَّه يرىٰ كلَّ شيءٍ ناظراً بعينَيهِ إليهِ ؛ فيستحيي منهُ ، ويصيرُ يعطيهِ حقَّهُ مِنَ الأدبِ ؛ فإنَّهُ لا بدَّ أنَّ المكانَ الذي عصىٰ ربَّهُ فيهِ يشهدُ عليهِ يومَ القيامةِ ، فإذا عصىٰ في محلٍّ فقد عرَّضَهُ لوجوبِ الشهادةِ عليهِ يومَ القيامةِ بينَ يدَيِ اللهِ ولذكرِ الكلامِ القبيحِ أوِ الفعلِ القبيحِ ، حتىٰ يكادُ المكانُ أوِ الحائطُ مثلاً يذوبُ مِنَ الحياءِ ، ويودُّ أنَّ الأرضَ ابتلعَتْهُ ولا كانَ يلفظُ بذلكَ بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وهٰذا خُلُقٌ لم أجدْ لهُ ذائقاً .

فانظرْ يا أخي في ذلك ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[(٢)] .

---

(١) قوله : (يروا) : كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وهو جائز علىٰ لغة .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ) .

[عدم طلب الإجابة إلا عند استقامة القلب]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : أنَّهم لا يطلبونَ مِنَ اللهِ تعالىٰ إجابةَ دعائِهم في حقِّ أنفسِهم ، أو إجابةَ دعائِهم في أحدٍ مِنَ الخلقِ ، إلا إنْ كانَ أحدُهم مستقيمَ القلبِ معَ اللهِ تعالى الاستقامةَ الممكنةَ في حقِّهِ ؛ بحيثُ لا يصيرُ لهُ سريرةٌ سيئةٌ يَفتَضِحُ بها في الدنيا ولا في الآخرةِ ؛ ليأتيَ للإجابةِ مِنْ بابِها .

وكانَ سيدي عليٌّ الخواصُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ أرادَ ألَّا يُرَدَّ لهُ دعاءٌ فليكنْ علىٰ قَدَمِ الملائكةِ في عدمِ العصيانِ) .

وكانَ أبو نَجيحٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّ المؤمنَ لم يعصِ ربَّهُ لكانَ إذا أقسمَ على اللهِ أنْ يُزيلَ لهُ الجبلَ لأجابَهُ)[١] .

وكانَ خالدٌ الربعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ جالساً في ظلِّ الكعبةِ ، فقامَ إليهِ رجلٌ فقالَ : يا أبا إسحاقَ ؛ ما علامةُ المستقيمِ ؟ فقالَ : علامتُهُ أنَّهُ لو أومأَ إلىٰ جبلِ أبي قبيسٍ ؛ أنْ زُلْ عن مكانِكَ لأزالَهُ اللهُ لهُ ، قالَ : فتحرَّكَ أبو قبيسٍ للإزالةِ ، فأومأَ إليهِ إبراهيمُ وقالَ : إنِّي لم أَعْنِكَ بهـٰذا القولِ ؛ قِفْ ، فوقفَ)[٢] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٢٣) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٣٢٢) ، كلاهما بنحوه من طريق عيسى بن حازم رحمه الله تعالىٰ .

وبلغَنا عنِ الجنيدِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ كانَ يقولُ : شهدَ شخصٌ على الوليدِ زوراً ، فقالَ الوليدُ : اللهمَّ ؛ إنْ كانَ كاذباً عليَّ فأرِني فيهِ ، قالَ : فانكبَّ الرجلُ علىٰ وجهِهِ ، وصارَ يضطربُ حتىٰ ماتَ في الحالِ .

وخبَّبَتْ عجوزٌ علىٰ عطاءٍ [السَّلِيميِّ] زوجتَهُ[1] ، فدعا عليها ، فذهبَ بصرُها في الحالِ[2] .

وكانَ الأعمشُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نعمَ الربُّ ربُّنا عزَّ وجلَّ ؛ لو أنَّنا أطعْناهُ في كلِّ ما أمرَنا لأجابَنا في كلِّ ما سألناهُ فيهِ !)[3] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ جالساً تحتَ قنطرةٍ في بلدةٍ تسمَّىٰ مَرْوَالرُّوذَ ، فوقعَ رجلٌ مِنْ أعلى القنطرةِ ، فقالَ إبراهيمُ : (اللهمَّ ؛ أَمسِكْهُ في الهواءِ حتىٰ يأتيَ مَنْ ينقذُهُ مِنَ الهلاكِ ، فوقفَ في الهواءِ حتىٰ أتاهُ الناسُ فأخذوهُ)[4] .

وضربَ شخصٌ مِنْ أعوانِ الولاةِ مالكَ بنَ دينارٍ أسواطاً ، فقالَ مالكٌ : (اللهمَّ ؛ اقطعْ يدَهُ) ، فقُطعَتْ يدُهُ مِنَ الغدِ ، ومرَّ عليهِ بها وهي معلَّقةٌ في عنقِهِ[5] .

---

(١) في هامش (ج) عند قوله : (خبَّبت) : (أي : خدعت زوجته وأفسدتها ، بالخاء المعجمة . انتهىٰ) .

(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/١٢٩) عن أبي مسلم الخولاني بدل عطاء السليمي رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/١٠٥) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٧٢٠) من قول شقيق بن سلمة أبي وائل فيما يرويه عنه الأعمش رحمهما الله تعالىٰ .

(٤) أورده بنحوه ابن الحاج في « المدخل » (١/٣٠٢) .

(٥) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (١٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ =

وكذَبَ شخصٌ علىٰ مُطرِّفِ بنِ عبدِ اللهِ ، فقالَ مطرِّفٌ : اللهمَّ ؛ إنْ كانَ كذَبَ عليَّ فأَمِتْهُ ، فماتَ الرجلُ في الحالِ ، والناسُ ينظرونَ ، فوشَوا بهِ إلىٰ زيادٍ وهو أميرٌ على البصرةِ ، فقالَ : إنْ هي إلا دعوةُ رجلٍ صالحٍ صادفَتْ منيَّةً[1] .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= دمشق » (١٢/ ٥٠) عن حبيب أبي محمد العجمي .

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (٩٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/ ٣٢٤) .

[عدم ادّعاء محبّة أحد إلا بعد مقاسمته المالَ ومشاركته الألمَ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : ألا يدَّعيَ أحدٌ منهم محبةَ أحدٍ إلا بعدَ أنْ يعرِضَ علىٰ نفسِهِ مقاسمتَهُ في مالِهِ ، وإذا أصابَهُ بلاءٌ في جسدِهِ يتألَّمُ كما يتألَّمُ ، فإنْ طابَتِ النفسُ بمقاسمتِهِ كذلكَ ووجدَ الألمَ في جسدِهِ قبلَ ما يجدُ أخوهُ علىٰ حدٍّ سواءٍ . . فليقلْ لهُ : إنِّي محبٌّ ، وإلا فليكُفَّ عنِ الكذبِ ؛ فإنَّهُ نفاقٌ .

وهٰذا الخلُقُ قد قلَّ مَنْ يتخلَّقُ بهِ الآنَ ، وقد تخلَّقْتُ بهِ في حقِّ بعضِ أصحابي دونَ البعضِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[الرحمة بالعصاة ، وعدم ازدرائهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : رحمةُ العصاةِ ، وعدمُ ازدرائِهم ، وفداؤُهم بأنفسِهم ، حتىٰ يودُّ أحدُهم أنَّ جِلدَهُ يُقرضُ بالمقاريضِ ولا يعصي أحدٌ منهم ربَّهُ ، وكانوا يَرَونَ كثرةَ الشفقةِ على العصاةِ أفضلَ مِنَ الدعاءِ لهم .

وكانَ مطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يجدْ عندَهُ رحمةً للعصاةِ فليدعُ لهم بالتوبةِ والمغفرةِ ؛ فإنَّ مِنْ أخلاقِ الملائكةِ أنَّهم يستغفرونَ لمَنْ في الأرضِ) .

وكانَ زهيرُ بنُ نعيمٍ يقولُ : (لقد وددْتُ أنَّ جلدي يُقرضُ بالمقاريضِ ولا يعصي أحدٌ ربَّهُ)[1] .

وكانَ حبيبٌ العجميُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا قرأَ آيةً فيها أنَّ اللهَ غَضِبَ علىٰ قومٍ . . يبكي عندَ قراءتِها ، ويقولُ : (يا ربِّ ؛ أدخلْتَ قلبي الرحمةَ لهم ، فإنْ شئْتَ فاغفرْ لهم ، وإنْ شئْتَ فعذِّبْني عنهم) .

قلْتُ : ولعلَّ مرادَهُ بالرحمةِ التي دخلَتْ قلبَهُ فتحُ بابِ سؤالِهِ ربَّهُ أنْ يرضىٰ عنهم ، لا التحجيرُ على الحقِّ تعالىٰ في غضبِهِ عليهم ؛ فإنَّ الكاملَ مِنْ شأنِهِ أنْ يغضبَ لغضبِ الحقِّ ، ويرضىٰ لرضاهُ .

وقد كانَ حبيبٌ العجميُّ رضيَ اللهُ عنهُ معدوداً عندَ التابعينَ ممَّنْ غلبَتْ

---

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٤٧٧) .

عليهِ الرأفةُ والتسليمُ ، ولـٰكنْ غلبَ عليهِ الحالُ ، وأهلُ الأحوالِ لا يُقتدىٰ بأفعالِهم عندَ أهلِ الطريقِ ؛ فإنَّ اللهَ أرحمُ بعبادِهِ مِنْ حبيبٍ ؛ فرحمتُهُ دونَ رحمةِ الحقِّ بيقينٍ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ منصورُ بنُ محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يرحمُ الرجلَ أنْ يأمرَهُ بأمرٍ ، ويقولُ : (أخافُ أنْ يخالفَ رأيي ؛ فيأثمَ ويقعَ في العقوبةِ وأكونَ أنا السببَ) .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا أنْ يأثمَ الناسُ فيَّ لقلْتُ : إنَّ مَنْ يغتابُني ويذمُّني أحبُّ إليَّ ممَّنْ يمدحُني ؛ لأنَّ المادحَ لي قد يكذبُ ؛ بخلافِ الذامِّ)[1] .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يرحمِ الرجلَ السوءَ فهو أسوأُ حالاً منهُ ، ومَنْ ذُكرَ عندَهُ رجلٌ صالحٌ فلم يجدْ لذكرِهِ حلاوةً . . فهو رجلُ سوءٍ)[2] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ إذا سمعَ بقومٍ ظُلموا في أقطارِ الأرضِ . . يمرضُ لأجلِهم أياماً ؛ حتىٰ يصيرَ يُعادُ كما يُعادُ المريضُ ، فإذا قيلَ لهُ : قد فرَّجَ اللهُ عنهم . . يزولُ مرضُهُ لوقتِهِ[3] .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا سألَهُ أحدٌ حاجةً يصيرُ لا يصلِّي صلاةً إلا دعا لهُ في سجودِهِ حتىٰ تُقضىٰ حاجتُهُ[4] .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠٨/٨) من طريق الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٢٨٦) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨٦/٤) .

(٤) أورد نحوه ابن كثير في « البداية والنهاية » (٢٠٥/١٠) من طريق سفيان بن عيينة =

وردَّ شريكٌ رضيَ اللهُ عنهُ نملةً فارسيةً رآها في سفرتِهِ مِنْ مقدارِ أربعةِ فراسخَ ؛ رحمةً لها[1] .

وكانَ يَفُتُّ الخبزَ للنملِ ، ويَذُرُّ لهم الدقيقَ علىٰ بيوتِهم[2] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يشتري العصافيرَ الصغارَ التي يمسكُها الأطفالُ، ويرسلُها إلىٰ عشِّها ، وكذلكَ الأمهاتُ يرسلُها إلىٰ أولادِها إذا صِيدَتْ[3] .

قلْتُ : وليسَ هٰذا مِنْ بابِ تسييبِ السوائبِ ، إنَّما كانَ الغرضُ منهُ رحمةَ الأمِّ أوِ الولدِ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ معاويةُ بنُ سويدٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا سألَهُ أحدٌ في حاجةٍ فقضىٰ بعضَها . . يُحسُّ بتخفيفِ الهمِّ بقدرِها ؛ مِنْ شدةِ ارتباطِهِ بأخيهِ .

ففتشْ يا أخي نفسَكَ ؛ هل وجدْتَ شيئاً مِنْ ذلكَ لأجلِ إخوانِكَ ؟ وابكِ علىٰ نفسِكَ ؛ فإنَّهُ ليسَ لكَ في مقامِ الصالحينَ نصيبٌ[4] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= رحمه الله تعالىٰ .

(١) أورد نحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٣٢٢) عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٥٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٨/٤٠) من فعل سيدنا عدي بن حاتم رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١٢٧/٢) ، وأورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٨٦) .

(٤) هٰذه العبارة ليست علىٰ إطلاقها ، **ولعل المراد** : إن لم يجد شيئاً من ذلك فليبك علىٰ نفسه ؛ لأنه عند ذلك ليس له في مقام الصالحين نصيب ، والله أعلم .

[القناعة بالموجود عندهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : القناعةُ بالموجودِ ، وعدمُ طلبِهمُ الزيادةَ في الدنيا ؛ مِنْ مطعمٍ ، أو مشرَبٍ ، أو ملبسٍ ، أو مركبٍ ، أو منكَحٍ ، أو مسكَنٍ ، ونحوِ ذلكَ .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خرجَ الغِنىٰ والعزُّ يجولانِ ؛ يطلبانِ مَنْ يقيمانِ عندَهُ ، فلقيا القانعَ فاستقرَّا عندَهُ)[1] .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يأكلُ الخبزَ بالملحِ أوِ الخلِّ ، ويقولُ : (مَنْ رضيَ مِنَ الدنيا بمثلِ هٰذا لم يُذِلَّ نفسَهُ للناسِ)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يقنعْ بخبزِ الشعيرِ في هٰذا الزمانِ ابتُليَ بالذلِّ والهَوانِ)[3] .

واستأذنَهُ شخصٌ مرةً في جمعِ المالِ ، فقالَ : (**مَنْ جمعَ المالَ ابتُليَ بخمسِ خصالٍ** : طولِ الأملِ ، وشدَّةِ الحرصِ ، وكثرةِ الشُّحِّ ، ونسيانِ الآخرةِ ، وقلَّةِ الورعِ) .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٤٠٤) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التوكل » (١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٠٥) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ ، و(٣/١٨١) من قول محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٤٩) ، وأورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/١٤١) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/٩٢) من قول سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

وكانَ حامدٌ اللفَّافُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ الغنىٰ بالقناعةِ فقد أصابَ الطريقَ ، ومَنْ طلبَ الغنىٰ بالمالِ فقد أخطأَ الطريقَ) انتهىٰ[١] .

وقد أدركْتُ مِنْ أصحابِ هـٰذا المقامِ خَلْقاً كثيراً ؛ منهم : شيخي شيخُ الإسلامِ زكريا ، وشيخي الشيخُ أمينُ الدينِ إمامُ جامعِ الغَمْريِّ ، والشيخُ عبدُ الحليمِ بنُ مصلحٍ ، والشيخُ عليٌّ النَّبْتيتيُّ الضريرُ ، والشيخُ عليٌّ البحيريُّ ، والشيخُ محمدُ بنُ عنانٍ ، والشيخُ محمدٌ المنيرُ ، والشيخُ محمدٌ العدلُ ، وغيرُهم ، ورأيتُهم يَفُتُّونَ الخبزَ اليابسَ في الماءِ ويكتفونَ بهِ .

وكانَ الشيخُ تاجُ الدينِ الذاكرُ يقولُ : (ليسَ القناعةُ بأَنْ يأكلَ الشخصُ كلَّ ما وجدَ مِنْ غيرِ كُلفةٍ ، وإنَّما القناعةُ أنْ يكونَ عندَهُ المالُ الكثيرُ والطعامُ ، ومعَ ذلكَ فلا يأكلُ إلا كلَّ خمسةِ أيامٍ أو ثلاثةٍ أُكَيْلةً صغيرةً) .

وكانَ سيدي عليٌّ الخواصُ إذا أكلَ لا يجاوزُ تسعَ لُقَمٍ ، ويقولُ : قالَ رسـولُ اللهِ صلَّـى اللهُ عليـهِ وسلَّـمَ : « حَسْـبُ ٱبْـنِ آدَمَ لُقَيْمَـاتٌ يُقِمْـنَ صُلْبَهُ »[٢] ، واللقيماتُ : مِنَ الثلاثِ إلى التسعِ ، وقولُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حقٌّ وصدقٌ ، فمَنْ آمنَ بهِ الإيمانَ الكاملَ كفَتْهُ التسعُ لُقَمٍ ، ولم يحتجْ إلىٰ زيادةٍ عليها .

وسمعْتُهُ مرةً يقولُ : (مَنْ لم يكتفِ بالتسعِ لُقَمٍ في اليومِ والليلةِ . . فهو

---

(١) رویٰ نحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٥٥) من قول محمد بن علي الكتاني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠) ، وابن ماجه (٣٣٤٩) من حديث سيدنا المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه .

لم يؤمنِ الإيمانَ الكاملَ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حَسْبُ ٱبْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ ») انتهىٰ .

قلْتُ : وينبغي حملُ ذلكَ علىٰ غيرِ أصحابِ الأعمالِ الشاقَّةِ ، أمَّا أصحابُها ؛ كالحرَّاثِ والحصَّادِ والترَّاسِ والفاعلِ ونحوِهم . . فلا يكفيهِ مثلُ ذلكَ[١] ، إلا إنْ صارَتْ قوتُهُ مَلَكِيَّةً ، وغلبَتْ روحانيتُهُ علىٰ جُثمانيتِهِ ؛ كما قلعَ جبريلُ مدائنَ قومِ لوطٍ ورفعَها إلىٰ نحوِ السماءِ ، حتىٰ سمعَ أهلُ السماءِ أذانَ الدِّيَكةِ ونباحَ الكلابِ ؛ معَ أنَّهُ لا يأكلُ ولا يشربُ[٢] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) في هامش (ج) عند قوله : (الترَّاس) : (هو الذي يحمل على البغال أثقال الناس وأمتعتهم ويرفع الحبوب . . . والفاعل : هو من يعمل مع النجار وغيره . . .) .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ٣٢٥) ، وانظر « الدر المنثور » للسيوطي (٤/ ٤٤٧) (٨/ ٤٣٣) .

[شدّة العمل ليرقّ الحجاب فتتجلّى الآخرة بعين القلب]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ عملِهم علىٰ رقَّةِ حجابِهم ؛ حتىٰ يصيرَ أحدُهم يرى الآخرةَ ونعيمَها بعينِ قلبِهِ ؛ وذلكَ ليصحَّ زهدُهُ في الدنيا ، ويتفرَّغَ للآخرةِ ، وإلا فمَنْ حُجِبَ عن رؤيةِ الآخرةِ فبعيدٌ عليهِ الزهدُ في الدنيا .

وقد قالَ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ : (مَنْ أرادَ أنْ يزهدَ في الدنيا مِنْ غيرِ أنْ يرى الآخرةَ بينَ يديهِ . . فقد رامَ المُحالَ) .

وكانَ أبو واقدٍ الليثيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كابدْنا الأعمالَ ، فلم نجدْ في أعمالِ الآخرةِ عملاً أبلغَ مِنَ الزهدِ في الدنيا)[1] .

وسمعَ مالكُ بنُ دينارٍ رجلاً يقولُ : لو أعطاني اللهُ تعالىٰ في الجنةِ بيتاً صغيراً لرضيتُ بهِ ، فقالَ لهُ : ليتَكَ زهدْتَ في الدنيا كما زهدْتَ في الجنةِ .

وسمعْتُ سيدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّما طلبَ سليمانُ عليهِ السلامُ مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ مِنْ بعدِهِ ؛ ليتحقَّقَ بمقامِ الزهدِ ؛ لأنَّ الزهدَ معَ وجودِ الدنيا أعظمُ ممَّنْ كانَ زهدُهُ فيها معَ الفقرِ) انتهىٰ .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو حلفَ حالفٌ إنَّ الزاهدَ في

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٦٧) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (٨٩) .

الدنيا خيرُ الناسِ . . لقلْتُ لهُ : صدقْتَ ، لا تكفِّرْ عن يمينِكَ) .

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أوصىٰ رجلٌ بمالٍ إلىٰ أعقلِ الناسِ . . لصرفْتُهُ إلى الزاهدِ في الدنيا)(١) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يُحشرُ الناسُ كلُّهم عراةً إلا الزاهدينَ في الدنيا)(٢) .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الزاهدُ الصادقُ يقيمُ زهدَهُ بفعلِهِ ، والمتفعِّلُ يقيمُ زهدَهُ بقولِهِ مِنْ غيرِ فعلٍ)(٣) .

وقالَ رجلٌ لسفيانَ بنِ عيينةَ رحمَهُ اللهُ : أشتهي أنْ أرىٰ عالماً زاهداً في الدنيا ، فقالَ لهُ : تلكَ ضالَّةٌ لا توجدُ الآنَ ؛ لأنَّ الزهدَ لا يكونُ إلا في الحلالِ المحضِ ، وأنَّىٰ يوجدُ ذلكَ حتىٰ إنَّ الإنسانَ يزهدُ فيهِ ؟!(٤) .

قلْتُ : التحقيقُ أنَّ الحلالَ موجودٌ ، والمقاماتِ موجودةٌ ، ولـٰكنَّ حلالَ كلِّ إنسانٍ ومقامَهُ علىٰ قدرِ حالِهِ ؛ ولذلكَ طلبَ الشارعُ منَّا أنْ نأكلَ حلالاً ، ونتأسَّىٰ بهِ في الأخلاقِ والمقاماتِ ، ولولا وجودُ الحلالِ وإمكانُ الترقِّي لبطلَتِ الأحكامُ الشرعيَّةُ مِنْ قرونٍ متعدِّدةٍ ، فما ثَمَّ إلا مَنْ يأكلُ

---

(١) نقله النوويُّ في « روضة الطالبين » (٦/١٦٩) من نصِّ الإمامِ الشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٢٠) ، والدينوري في « المجالسة » (٢١٣٢) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٦٥) ، وروىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٦٦) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٩٥٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٢٣٨) من قول يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ .

حلالاً ، ويخافُ اللهَ عزَّ وجلَّ ويتورَّعُ ويزهدُ ، ولٰكنْ علىٰ قدرِ حظِّهِ ونصيبِهِ ، فلعلَّ قولَهُ : (لم يوجدِ الحلالُ) على سبيلِ المبالغةِ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ كانَ أكثرَ الناسِ زهداً في الدنيا . . فهو أكثرُهم عملاً صالحاً) .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ ادَّعى الزهدَ في الدنيا وغضبَ ممَّنْ نقصَهُ عندَ أهلِها . . فهو كاذبٌ في دعواهُ)(١) .

وكانَ حمادُ بنُ زيدٍ يقولُ : (ليسَ شيءٌ أقطعَ لظهرِ إبليسَ مِنَ الزهدِ في الدنيا) .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قد صارَ الزهدُ في الدنيا مذكوراً في الكتبِ ، ولا نجدُ له فاعلاً) .

وسُئلَ يونسُ بنُ عبيدٍ عن غايةِ الزهدِ في الدنيا ، فقالَ : (هو عدمُ الراحةِ فيها بالكليةِ)(٢) .

قلْتُ : وممَّنْ أدركْتُهُ مِنْ رجالِ هٰذا المقامِ الشيخُ عليٌّ الخواصُ ، والشيخُ عبدُ اللهِ الفيوميُّ بتربةِ يشبكَ خارجَ مصرَ(٣) ، والشيخُ مجلِّي المفتي بالصالحيةِ بمصرَ ، والشيخُ شمسُ الدينِ السَّمانوديُّ ، والشيخُ محمدٌ المنيرُ ، والشيخُ عبدُ الحليمِ بنُ مصلحٍ ، والشيخُ محمدُ بنُ داودَ ، والشيخُ

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣١) .

(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٣) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٥٤) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) الظاهر أن **تربة يشبك** : محلة أو مدرسة في مصر ، وانظر « نيل الأمل » (٨/ ٢١٤) ، فما في بعض المطبوعات من زيادة : (المدفون) قبل قوله : (بتربة) . . ليس في جميع النسخ المعتمدة .

أمينُ الدينِ إمامُ جامعِ الغَمْريِّ ، والشيخُ أبو الحسنِ الغمريُّ ، فكلُّ هٰؤلاءِ كانَتِ الدنيا في يدِهم لا في قلوبِهم ، وكانوا لا يردُّونَ سائلاً ، ولو طلبَ عمامةَ أحدِهم أعطاها لهُ .

ولَقيَ الشيخُ محمدٌ المنيرُ شخصاً هربَ جمَّالُهُ[١] في طريقِ الحجازِ ، فأعطاهُ خمسَ مئةِ دينارٍ ، فلمَّا وصلَ التاجرُ إلىٰ مكةَ أتاهُ بخمسِ مئةِ دينارٍ ، فأبىٰ أنْ يأخذَها ، وقالَ : إنِّي لم أعطِها لكَ لآخذَ بدلَها ، معَ أنَّهُ لم يكنْ بينَهُ وبينَ التاجرِ معرفةٌ قبلَ ذلكَ .

فانظرْ يا أخي في فقراءِ زمانِكَ ؛ هل يفعلُ أحدٌ منهم مثلَ ذلكَ معَ صاحبِهِ الأكيدِ في طريقِ الحجازِ مِنْ غيرِ رجوعٍ عليهِ ؟ معَ أنَّ أحدَهم ربَّما يقولُ : إنَّ الشيخَ محمداً كانَ دونَهُ في المقامِ ، وابكِ علىٰ نفسِكَ في تخلُّفِها عن مقاماتِ الصالحينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢] .

---

(١) هٰكذا ضبطت في (هـ) ، **والجمَّالُ** : صاحب الجِمال ، والمراد هنا : مَن ينقُلُ المسافرين وأمتعتهم بجماله بأجرة معلومة ، والله أعلم ، وانظر « الصحاح » (ج م ل) .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلِّفه فسح الله في مدته**) ، وفيه بلاغ ثان : (**بلغ . . . وكتبه مؤلفه**) ، وفيه بلاغ ثالث : (**بلغ**) .

[المبادرة لفعل الصلاة أول وقتها]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : المبادرةُ للإحرامِ خلفَ الإمامِ إنْ كانَ ، أوِ المبادرةُ لفعلِ الصلاةِ أولَ وقتِها ؛ تعظيماً لأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ يتهاوَنَ أحدُهم في تأخيرِهِ ، لا لعلةِ ثوابٍ ، ولا لِلَذَّةِ مجالسةٍ للحقِّ عزَّ وجلَّ في تلكَ الصلاةِ ؛ فإنَّ المبادرَ لأجلِ ذلكَ إنَّما هو ساعٍ في حظِّ نفسِهِ ، بخلافِ مَنْ كانَ الباعثُ لهُ على تلكَ المبادرةِ تعظيمَ أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وعدمَ التهاونِ بهِ ؛ ولذلكَ لمَّا أُمرَ إبراهيمُ الخليلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بالاختتانِ ولم يجدِ الموسىٰ . . اختتنَ بالفأسِ الذي هو القَدُومُ ، فقالوا له : هلَّا صبرتَ حتىٰ تجدَ الموسىٰ ؟! قالَ : إنَّ تأخيرَ أمرِ اللهِ لعظيمٌ(١) . انتهىٰ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/٣٢٦) ، وروىٰ أصله البخاري (٣٣٥٦) ، ومسلم (٢٣٧٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[هوان الدّنيا وشدّة الرّفض لها]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : هوانُ الدنيا عندَهم وشدَّةُ رفضِهم لها ؛ عملاً بقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ لِلدُّنْيَا بَنِينَ ، وَلِلْآخِرَةِ بَنِينَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلدُّنْيَا »[١] .

وروى الطبرانيُّ وغيرُهُ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : دخلْتُ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يوماً ، فوجدْتُهُ يدفعُ شيئاً بيديهِ ولا أرى شيئاً ، فقلْتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما هٰذا الذي تدفعُهُ ؟ فقالَ : « ٱلدُّنْيَا تَطَاوَلَتْ لِي ، فَقُلْتُ لَهَا : إِلَيْكِ عَنِّي »[٢] .

وفي الحديثِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وقفَ على مزبلةِ قومٍ ، فرأى شاةً مَيْتةً ، فمسكَ بأذنِها ، وقالَ : « أَتَرَوْنَ هَٰذِهِ هَانَتْ عَلَىٰ أَهْلِهَا ؟ » ، قالوا : مِنْ هوانِها عندَهم ألقَوها يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « لَلدُّنْيَا

---

(١) أورده البخاري تعليقاً بداية (باب في الأمل وطوله) (٨/٨٩) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٤٤٩٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٧٦) ، كلهم من قول سيدنا عليٍّ رضي الله عنه ، ورواه مرفوعاً الطبراني في « المعجم الكبير » (٧/٣٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٢٦٤) من حديث سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما .

(٢) رواه البزار في « مسنده » (٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/١٦٤) ، لٰكن من حديث سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

أَهْوَنُ عَلَى ٱللهِ مِنْ هَـٰذِهِ عَلَىٰ أَهْلِهَا »[١] .

وفي حديثٍ آخرَ : « لَوْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ ٱللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ »[٢] .

وكانَ ابنُ المنكدرِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تجيءُ الدنيا يومَ القيامةِ تتبخترُ في زينتِها ، فتقولُ : يا ربِّ ؛ اجعلْني لأخسِّ عبادِكَ داراً ، فيقولُ اللهُ تعالىٰ : لا أرضاكِ لهُ ، اذهبي يا لا شيءَ ، كوني هباءً منثوراً)[٣] ، وفي روايةٍ أخرىٰ : (فيقولُ لها : اذهبي إلى النارِ ، فتقولُ : يا ربِّ ؛ ومَنْ يحبُّني معي ؟ فيقولُ لها : ومَنْ يحبُّكِ معكِ ، فتأخذُهم جميعاً إلى النارِ)[٤] .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يوقَفُ مَنْ يعظِّمُ الدنيا بينَ يدَيِ اللهِ ، فيقالُ لهُ : هـٰذا الذي عظَّمَ ما حقَّرَ اللهُ ، فيسقطُ لحمُ وجهِهِ مِنَ الخجلِ)[٥] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ ادَّعىٰ أنَّهُ يحبُّ اللهَ وهو يحبُّ الدنيا . . فهو كاذبٌ ؛ لأنَّ مِنْ شرطِ المحبِّ أنْ يكرهَ ما كرهَهُ محبوبُهُ ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ يكرهُ الدنيا)[٦] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢١) ، وابن ماجه (٤١١١) من حديث سيدنا المستورد بن شداد رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠) ، وابن ماجه (٤١١٠) من حديث سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٧٠) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧١) من قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٥) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٣١-٣٢) .

(٦) رواه بنحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٦٨) من قول ذي النون المصري رحمه الله =

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (يقولُ اللهُ تباركَ وتعالىٰ : إنَّ أهونَ ما أنا صانعٌ بالعالمِ إذا آثرَ شهوتَهُ علىٰ طاعتي أنْ أَحْرِمَهُ لذيذَ مناجاتي)[1] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأصحابِهِ : تعالَوا بنا نتوبُ مِنَ الذنبِ الذي تركَ الناسُ التوبةَ منهُ ، فيقولونَ : وما هو ؟ فيقولُ : حبُّ الدنيا[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سوفَ يحبُّ الدنيا رجالٌ حتىٰ يعبدوها ويعبدوا أهلَها)[3] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ لم يجعلْ حبَّ الدنيا مِنَ الكبائرِ فقد أخطأَ الطريقَ ؛ لأنَّ الكفرَ بُنيَ على الرغبةِ في الدنيا)[4] .

قلْتُ : وذلكَ لأنَّ سببَ الكفرِ باللهِ تعالىٰ عصيانُ ما جاءَتْ بهِ الرسلُ حسداً وكِبْراً ، وكلاهما مِنْ حُبِّ الدنيا .

وقالَ عيسى بنُ مريمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ للحواريينَ : (بحقٍّ أقولُ

= تعالىٰ ، وذكر نحوه الغزالي من كلامه في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٤٣٥) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٤١) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٢٤) من قول سيدنا داود عليه الصلاة والسلام .

(٢) رواه بنحوه أبو داود في « الزهد » (٢٤٤) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) روىٰ نحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٢٤٦) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٥) من قول كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ ، وفيه : (إن الرب قال لموسىٰ عليه السلام . . .) إلىٰ آخره .

لكم : إنَّ حبَّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ)[١] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (اتقوا السحَّارةَ التي تسحرُ قلوبَ العلماءِ وتُلهيهِم عنِ اللهِ)[٢] ؛ **يعني** : الدنيا .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الدنيا أسحرُ وأقبحُ مِنْ سحرِ هاروتَ وماروتَ ؛ لأنَّ سحرَ هاروتَ وماروتَ يفرِّقُ بينَ المرءِ وزوجِهِ ، وسحرَ الدنيا يفرِّقُ بينَ العبدِ وحضرةِ ربِّهِ)[٣] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يرَوْنَ الدنيا عندَهم كوديعةٍ يؤدُّونها إلىٰ صاحبِها ؛ ليسَ لهم فيها مِلْكٌ ؛ ولذلكَ ذهبوا إلى الآخرةِ خِفافاً)[٤] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كُلِ الخبزَ الحافَّ وأنتَ خائفٌ مِنَ الدنيا[٥] ، وإياكَ أنْ تَعُدَّ نفسَكَ بعدَ ذلكَ مِنَ الزاهدينَ ؛ فإنَّ صغيرَ الدنيا يجُرُّ إلىٰ كبيرِها مِنْ حيثُ لا يشعرُ العبدُ)[٦] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٨) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٢٤٧) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٦٣) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٩) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٩٢٠) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٥٠٦) ، كلاهما بنحوه من قول أم الدرداء رضي الله عنها .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٢٩) .

(٥) قال في « لسان العرب » (ح ف ف) : (**الحَفَفُ** : الضِّيقُ وقلَّةُ المعيشة ، **وسويق حافٌّ** : يابسٌ غير ملتوتٍ) .

(٦) روىٰ بعضه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/ ١٠٩) .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ يقولُ : (إنَّما أكثرَ القومُ مِنْ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ لتَبْعُدَ عنهمُ الدنيا ؛ فإنَّهم إذا ذكروا اللهَ بَعُدَتِ الدنيا عنهم ، وإذا تفرَّقوا عنِ الذكرِ أخذَتْ بأعناقِهم) . انتهى[1] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٣٥٢) .

[دوام الجوع الشّرعي مع الجِدَة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : استحياؤُهم مِنْ كثرةِ تردُّدِهم إلى الخلاءِ ، وذلكَ بدوامِ الجوعِ الشرعيِّ معَ الجِدَةِ ؛ اقتداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فقد كانَ يشدُّ الحجرَ علىٰ بطنِهِ مِنَ الجوعِ(١) ، قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (ولو شاءَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأكلَ ، ولٰكنَّهُ كانَ يؤْثِرُ علىٰ نفسِهِ)(٢) .

قلْتُ : قد كانَ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مقامٌ آخرُ أكملُ مِنْ هٰذا ؛ وهو أنَّهُ كانَ يبدأُ بنفسِهِ ولا يجوعُ إلا اضطراراً ؛ لأنَّ الكاملَ مِنْ شأنِهِ أنْ يوفِّيَ طبيعتَهُ حقَّها ؛ لأنَّهُ مسؤولٌ عنها ، فما جاعَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ اختياراً وآثرَ علىٰ نفسِهِ إلا ليُقتدىٰ بهِ في ذلكَ ، فافهمْ .

وكانَ عبدُ الرحمٰنِ بنُ أبي نعيمٍ رحمَهُ اللهُ لا يأكلُ إلا كلَّ خمسةَ عشرَ يوماً أكلةً(٣) ، فدعاهُ الحجاجُ ، ووضعَهُ في بيتٍ ، وأغلقَ عليهِ البابَ خمسةَ

---

(١) رواه ضمن حديث طويل البخاري (٤١٠١) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٠٤٠/٦) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٣٩٦) .

(٣) قوله : (نعيم) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وهو ما صوَّبه ابن السبكي في « معجم الشيوخ » (ص ٢٩٣) ، **والأكثر علىٰ أن الصواب** : (نُعْمٍ) كما في مصادر تخريج الخبر في الحاشية اللاحقة .

عشرَ يوماً ، ثمَّ فتحَهُ ، فإذا هو قائمٌ يصلِّي (١) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ يطوي الأسبوعَ ؛ فلا يأكلُ إلا يومَ السبتِ ، وكانَ يأكلُ إذا أفطرَ سمناً وعسلاً (٢) .

وكانَ الإمامُ أبو حنيفةَ رحمَهُ اللهُ مُقِلّاً جداً ، وكانَ يأكلُ كأكلِ الطيرِ في القلَّةِ ، ولم يكنْ في بيتِهِ إلا الحصيرُ (٣) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أحلىٰ ما تكونُ العبادةُ إليَّ إذا لَزِقَ ظهري ببطني) (٤) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الحكمةُ كالعروسِ ؛ تطلبُ البيتَ الخاليَ تنامُ فيهِ ؛ لتخلوَ بصاحبِها) (٥) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تجمعوا بينَ أُدْمَينِ ؛ فإنَّهما طعامُ المنافقينَ) (٦) .

---

(١) رواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٥٧٤) ، وأبو العرب في « المحن » (ص٣٨٧) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٣٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦١٣) .

(٣) رواه بنحوه الصيمري في « أخبار أبي حنيفة وأصحابه » (ص ٥٠ ، ٥٣) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٢٨) .

(٥) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٨١) من قول كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٦٧) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

وفي هامش (ج) : (**الأُدْم** بضم الهمزة وسكون الدال المهملة : ما يؤكلُ مع الخبز أيَّ شيء كان ؛ مائعاً أو غيره ، ومثله الإدام بالكسر كما في « النهاية الأثيرية » [١/ ٣١] ، =

ورأى عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ رجلاً قد تدلَّتْ جلدةُ بطنِهِ ، فعلاهُ بالدِّرَّةِ وقالَ : (هٰذهِ تشبهُ جلدةَ بطنِ كافرٍ)[1] .

وكانَ إذا رأى رجلاً يشتري اللحمَ كثيراً يضربُهُ بالدِّرَّةِ ، ويقولُ لهُ : (إنَّ لِلَّحْمِ ضراوةً كضراوةِ الخمرِ)[2] .

وكانَ الأوزاعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يدخلُ الخلاءَ كلَّ شهرٍ مرَّةً ، ثمَّ صارَ يدخلُ في الشهرِ مرتينِ، فكانَتْ أمُّهُ تقولُ لأصحابِهِ: (ادعوا لعبدِ الرحمٰنِ؛ فإنَّهُ قد صارَ مبطوناً) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (قدِ استحييتُ مِنْ تردُّدي إلى الخلاءِ كلَّ ثلاثةِ أيامٍ مرةً)[3] ، وكذلكَ قالَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ ، والإمامُ البخاريُّ .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « شِرَارُ أُمَّتِي ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ مُخَّ ٱلْحِنْطَةِ »[4]) .

وكانَ يقولُ : (واللهِ ؛ لقد خلطْتُ دقيقي بالرمادِ كذا وكذا مرةً ، وأكلْتُهُ

= ومدار التركيب يدل على الموافقة والملاءمة كما في « المغرب » [ص ٢٢] . انتهىٰ) .

(١) روىٰ نحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٣٦٣) ، وابن وضاح في « البدع » (٢٠٣) .

(٢) رواه بنحوه الإمام مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٣٥) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (٢٨٢) .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٩٧٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٤٠٧) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٣٢٩) ، وقال الحافظ العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (ص ٩٧٧) : (لم أجد له أصلاً) .

حتىٰ ضعُفَ جسدي ، ولو أنِّي قويتُ عليهِ ما تركْتُهُ)[١] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ إذا لم يجدْ طعاماً حلالاً استفَّ الرملَ الخمسةَ عشرَ يوماً وأكثرَ[٢] .

وكذلكَ كانَ يقعُ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ ، واستفَّ رضيَ اللهُ عنهُ الصَّبِرَ عشرينَ يوماً لا يذوقُ غيرَهُ[٣] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بِتُّ عندَ الحجَّاجِ بنِ فُرافِصة أحدَ عشرَ يوماً ، فما رأيتُهُ ذاقَ طعاماً ولا شراباً ، ولا قامَ لشيءٍ سوى الصلاةِ) انتهىٰ[٤] .

فإنْ قيلَ : ما ذكرتموهُ في هـٰذا الخُلُقِ مِنْ طيٍّ أكثرَ مِنْ ثلاثةِ أيامٍ لم يفعلْهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأنتم قيَّدْتُم هـٰذا الخُلُقَ أولَ الكلامِ بالجوعِ الشرعيِّ ! فما وجهُ الزيادةِ علىٰ ثلاثةِ أيامٍ ؟

فالجوابُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ رحمةً علىٰ أمتهِ ، وكانَ يقولُ : « ٱقْدُرُوا ٱلْقَوْمَ بِأَضْعَفِهِمْ »[٥] ، معَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يواصلُ الصومَ ، فيحتملُ أنَّ هـٰؤلاءِ القومَ الذينَ جاعوا خمسةَ عشرَ يوماً وأكثرَ كانوا مِنَ الورثةِ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في ذلكَ ، ويُحملُ نهيُهُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٦) .
(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٢) .
(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٢) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٢٠) ، والدينوري في « المجالسة » (٣٥٠٩) .
(٥) رواه بنحوه ابن ماجه (٩٨٧) من حديث سيدنا عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الوصالِ علىٰ مَنْ لم يُطقْ ذلكَ[1] ، فنهاهُ عن أنْ يعذِّبَ نفسَهُ حتىٰ تصيرَ نفسُهُ تكرهُ عبادةَ ربِّها[2] .

وقد كانَ أبو عقالٍ المغربيُّ يأكلُ في كلِّ ستةِ أشهرٍ مرةً[3] .

قلْتُ : وسمعْتُ سيدي علياً المرصفيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (وقعَ لسيدي عيسى بنِ نجمٍ المدفونِ بساحلِ بحرِ البُرُلُّسِ . . أنَّهُ مكثَ سبعَ عشرةَ سنةً لا يأكلُ ولا يشربُ ولا ينامُ ؛ وهو علىٰ وضوءٍ واحدٍ) .

وقالَ بعضُ المحققينَ : إنَّ هـٰؤلاءِ الذينَ كانوا يَطْوُونَ تلك المُدَدَ الطوالَ كانَ أحدُهم يتناولُ نحوَ الزبيبةِ ونحوَ القطرةِ مِنَ الماءِ ؛ ليخرجَ بذلكَ عنِ الوصالِ المنهيِّ عنهُ ، وذلكَ هو الظنُّ بهم .

وقد أجمعَ القومُ علىٰ أنَّ الجوعَ مِنْ أعظمِ أركانِ الطريقِ ، حتىٰ قالوا : إذا طلبَ المريدُ الأكلَ بعدَ خمسةِ أيامٍ فأْمرُوهُ بالكسبِ ؛ فإنَّهُ لا يجيءُ منهُ شيءٌ في الطريقِ[4] .

وكانَ أبو عثمانَ الحيريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كنتُ أمكثُ السنةَ كاملةً في

---

(١) حديث النهي عن الوصال : رواه البخاري (١٩٢٢) ، ومسلم (١١٠٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه نفع الله ببركاته في الدارين**) .

(٣) رواه بنحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٢٤٨) ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٢٨) عن محمد بن عمرٍو المغربي : (وكان يأكل في شهر رمضان أكلتين من غير تكلف ؛ فيأكل في كل خمسة عشر يوماً) .

(٤) رواه بنحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٣٠٨) من قول أبي علي الروذباري رحمه الله تعالىٰ .

بدايتي وسياحتي لا يخطرُ الأكلُ على بالي ، إلا إنْ حضرَ بينَ يديَّ)[١] .

فانظرْ يا أخي جوعَكَ تجدْهُ كَلَا شيءٍ بالنسبةِ لجوعِ هـٰؤلاءِ القومِ ، معَ أنَّ جوعَهم لم يخرجْ عن السنَّةِ كما مرَّ تقريرُهُ ؛ لقُوَّتِهم عليهِ ، وما نُهِيَ عنِ الجوعِ بالأصالةِ إلا لخوفِ الضررِ على النفسِ .

وقد كانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يَقْسِمُ عقلَهُ وقوَّتَهُ ومعرفتَهُ إلىٰ سبعةِ أجزاءٍ ، فلا يأكلُ حتىٰ يذهبَ مِنْ كلِّ واحدٍ ستَّةُ أجزاءٍ ، ويقولُ : (لولا خوفُ الهلاكِ لكنتُ لا آكلُ حتىٰ تفنى السبعةُ أجزاءٍ)[٢] . انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٣] .

---

(١) روىٰ نحوه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/٤٤٢) من قول رويم بن أحمد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روى ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص ١٨٥) شدَّةَ اهتمام سهل بجهاد نفسه بالجوع والصبر والجهد .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلفه فسح الله في مدته**) .

[تقديم السلامة على الغنيمة برفض الدنيا]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تقديمُهمُ السلامةَ على الغنيمةِ من حيثُ رفضُ الدنيا وفراغُ يدِهم منها ؛ فكانوا يقدِّمونَ فراغَ يدِهم مِنَ الدنيا علىٰ جمعِها وإنفاقِها في سبيلِ اللهِ ؛ خوفاً أن يمنعوا منها حقَّها ، حتىٰ كانَ أحدُهم يقولُ : يا طالبَ الدنيا لتبرَّ بها غيرَكَ ؛ تركُكَ لها أبرُّ وأبرُّ .

وكانَ الجنيدُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تجريدُ العبدِ مِنَ الدنيا أفضلُ مِنْ أخذِها وإنفاقِها في طاعةِ اللهِ) .

وكانَ أحدُهم إذا قيلَ لهُ : خذْ هٰذهِ الدراهمَ ففرِّقْها على الفقراءِ والمساكينِ . . يقولُ : مَنْ جمعَها فهو أحقُّ بتفرقتِها ، وقد يكونُ فيها حرامٌ أو شبهةٌ ، فيكونُ المَهْنَأةُ للفقراءِ ، والتَّبِعةُ علىٰ مَنْ فرَّقَ[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ تفرَّغَ لعبادةِ ربِّهِ فهو أفضلُ ممَّنْ تركَها وسعىٰ علىٰ عيالِهِ)[2] .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كم بينَكم وبينَ القومِ ! أقبلَتْ عليهمُ الدنيا ففرُّوا منها ، وأدبرَتْ عنكم فتبعتموها)[3] .

---

(١) انظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح (٢/ ١٧٢ـ١٧٣) .

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٥٤٣) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٥١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢١٢) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (تجرُّعُ مرارةِ تركِ الدنيا أشدُّ مِنْ تجرُّعِ مرارةِ الصَّبِرِ) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يبلغُ أحدٌ منازلَ الصدِّيقين حتىٰ يتركَ زوجتَهُ كأنَّها أرملةٌ ، وأولادَهُ كأنَّهم يتامىٰ)[1] .

وكانَ يقولُ رضيَ اللهُ عنهُ : (بلغَنا أنَّ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مرَّ علىٰ شخصٍ نائمٍ والناسُ قائمونَ يصلُّونَ في الليلِ ، فقالَ لهُ : قمْ فصلِّ ، فقالَ : قد عبدْتُ اللهَ بأفضلِ العبادةِ ، فقالَ لهُ : وما هي ؟ فقالَ : زهدْتُ في الدنيا ، فقالَ لهُ : نَمْ ؛ فقد فُقْتَ العابدينَ)[2] .

قلْتُ : ومِنْ أدلةِ القومِ في أنَّ تركَ الدنيا مقدَّمٌ علىٰ جمعِها وإنفاقِها : ما وردَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خرجَ يوماً علىٰ أهلِ الصفَّةِ ، فقالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ فَيَأْتِيَ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَتَيْنِ ؟ » قالوا : كلُّنا نحبُّ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « لَأَنْ يَتْرُكَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَذْهَبَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ ٱللهِ . خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱثْنَتَيْنِ ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ ؛ مِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ ٱلْإِبِلِ » انتهىٰ[3] .

ولكلِّ مقامٍ رجالٌ ، ومِنْ شأنِ الشارعِ أنْ يُرَغِّبَ كلَّ واحدٍ فيما أقامَهُ اللهُ فيهِ ؛ لئلا تتعطَّلَ المراتبُ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٩).
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٤٠٦) من قول موسىٰ بن طريف رحمه الله تعالى .
(٣) رواه مسلم (٨٠٣) من حديث سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .
وقوله : (كوماوتين) : كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وهو ما ورد في رواية « مستخرج أبي عوانة » (٣٧٧٨) ، وفي سائر كتب الرواية : (كَوْماوَين) ، **والناقة الكوماءُ** : الضخمةُ السنام . انظر « المصباح المنير » (ك و م).

[حسن الظن بمن خالط الناس بعد عزلة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : إذا رأَوا شخصاً انقطعَ عنِ الناسِ في الجبلِ مثلاً ثمَّ رأَوْهُ صارَ يَنزِلُ للناسِ ، ويحضُرُ ولائمَهم ، ويزورُ أمواتَهم . . ألا يحملوهُ علىٰ علَّةٍ فاسدةٍ ؛ كأنْ يقولوا عنهُ : إنَّهُ لا يقدرُ على الوَحْدةِ التي شهرَ نفسَهُ بها ، أو : إنَّهُ إنَّما يفعلُ ذلكَ معَ الناسِ ؛ ليصيروا يحضرونَ مولدَهُ مثلاً إذا دعاهم إليهِ ، ونحوَ ذلكَ ، بل يجبُ حملُهُ علىٰ أنَّهُ إنَّما يفعلُ ذلكَ خالصاً لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، مِنْ بابِ حُسنِ الظنِّ وحُسنِ الخُلُقِ معَ إخوانِهِ المسلمينَ .

فإيَّاكَ يا أخي أنْ تظنَّ بأحدٍ مِنْ عبادِ اللهِ المنقطعينَ في تربةٍ أو جبلٍ سوءاً إذا رأيتَ أحدَهم خالطَ الناسَ ، وتقولَ : إنَّ هـٰذا قدِ انقطعَ عنِ الناسِ ؛ فما لَهُ ولمخالطتِهم ؛ فإنَّ ذلكَ ينافي حالَهُ ؟! بل ظُنَّ بهِ خيراً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[عدم الاهتمام بأمر الرزق]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ اهتمامِهم بأمرِ الرزقِ ، وانشراحُ صدرِهم إذا لم يبتْ عندَ أحدِهم دينارٌ ولا درهمٌ ولا طعامٌ ، وكانوا يكرهونَ ادِّخارَ قوتِ غدٍ ، وربَّما ادَّخرَ أحدُهم قوتَ الغدِ والجمعةِ والشهرِ على اسمِ العائلةِ لا على اسمِ نفسِهِ ؛ تسكيناً للاضطرابِ الذي ربَّما يقعُ في قلبِ العائلةِ إذا لم يكنْ عندَهم شيءٌ يأكلونَهُ ، فربَّما وقعَ أحدُهم في سوءِ الظنِّ بالحقِّ تعالىٰ في أنْ يضيِّعَهُ ؛ فلأجلِ ذلكَ ادَّخرَ بعضُهم لعيالِهِ القوتَ ؛ إيثاراً لجنابِ الحقِّ جلَّ وعلا أنْ يقعَ أحدٌ في سوءِ الظنِّ بهِ ، وربَّما ادَّخرَ العارفُ القوتَ لأجلِ الجزءِ الذي يضطربُ فيهِ ، أوِ اتهاماً لنفسِهِ ، وربَّما ادَّخرَ لنفسِهِ الرزقَ الذي عَلِمَ مِنْ طريقِ كشفِهِ أنَّهُ رزقُهُ لا يصحُّ لأحدٍ غيرِهِ أنْ يتناولَ منهُ شيئاً ، فيدَّخرُهُ لأجلِ كونِهِ رزقَهُ ، لا حرصاً وشُحّاً علىٰ غيرِهِ .

وسمعْتُ سيِّدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ كمالِ العارفِ إذا اطَّلعَ علىٰ أنَّ الشيءَ الفلانيَّ مِنْ رزقِهِ ألا يخزُنَهُ ، بل يصبرُ حتىٰ يأتيَهُ في الوقتِ الذي جعلَهُ اللهُ فيهِ ؛ إيثاراً لفراغِ اليدِ مِنَ الدنيا علىٰ إمساكِها ؛ إذ لا فائدةَ للادِّخارِ) انتهىٰ .

وسمعْتُ الشيخَ علياً النَّبْتِيتيَّ الضريرَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ شرطِ مَنْ يجتمعُ بالخضرِ عليهِ السلامُ مِنَ الأولياءِ . . ألا يدَّخرَ قوتَ غدٍ ، فمَنْ خبَّأَ

قوتَ غدٍ لم يجتمعْ بهِ ؛ ولو كانَ علىٰ عبادةِ الثقلَينِ) .

قالَ : (ومِنْ شأنِ الخضرِ أنْ يأتيَ للعارفينَ في اليقظةِ ، وللمريدينَ في المنامِ ؛ لأنَّ المريدَ لا يقدرُ علىٰ صحبتِهِ يقظةً ؛ فلذلكَ يأتيهِ في المنامِ ؛ يعلِّمُهُ الآدابَ التي جهلَها)[١] .

وقد كانَ أبو عبدِ اللهِ البسريُّ أحدُ رجالِ « رسالةِ القشيريِّ » يجتمعُ بالخضرِ عليهِ السلامُ يقظةً ويحادثُهُ طويلاً ، فانقطعَ الخضرُ عنِ الاجتماعِ بهِ في اليقظةِ ، وصارَ يأتيهِ في المنامِ ، فقالَ أبو عبدِ اللهِ : لئنْ رأيتُهُ لأسألَنَّهُ عن سببِ ذلكَ ، فرآهُ وسألَهُ عن ذلكَ ، فقالَ لهُ : نحنُ لا نصحبُ مَنْ يخبِّئُ رزقَ غدٍ ، وقد قلْتَ لزوجتِكَ في الوقتِ الفلانيِّ : ضعي هـٰذا الدرهمَ على الرفِّ إلىٰ غدٍ ، فقالَ : صحيحٌ ذلكَ ، ولـٰكنْ تبْتُ إلى اللهِ تعالىٰ عنِ الادِّخارِ ، قالَ : وبعدَ ذلكَ فلم يأتِهِ في اليقظةِ إلىٰ أنْ ماتَ أبو عبدِ اللهِ ، هـٰكذا أخبرَ بهِ عن نفسِهِ في مرضِ موتِهِ[٢] .

وكانَ أويسٌ القَرَنيُّ يقولُ : (لا يقبلُ اللهُ مِنْ عبدٍ عملاً وهو يهتمُّ بأمرِ رزقِهِ ؛ إذِ المهتمُّ بأمرِ رزقِهِ كالمتَّهِمِ للهِ عزَّ وجلَّ ، والمتَّهِمُ لربِّهِ لا يُرفعُ له عملٌ) انتهىٰ[٣] .

قلْتُ : قد يهتمُّ العبدُ لرزقِهِ ويسعىٰ في تحصيلِهِ بكلِّ وجهٍ ؛ اهتماماً بأمرِ اللهِ تعالىٰ لهُ بالكسبِ ، لا شكّاً في أنَّ اللهَ يضيِّعُهُ ، وعلىٰ ضدِّ ذلكَ

---

(١) روىٰ نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ٢٨٤) من طريق أبي عبيد البسري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ٢٨٤) ، **ولعل الصواب** : (أبو عبيد البسري) بدل (أبو عبد الله البسري) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٧١) .

(٣) روىٰ نحوه الخلال في « الحث على التجارة والصناعة والعمل » (١٢٦) .

يُحملُ كلامُ أويسٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وقيلَ لأبي يزيدَ البسطاميِّ مرةً : مِنْ أينَ تأكلُ وتشربُ ؟ قالَ : مِنْ حيثُ يرزقُ اللهُ الذبابةَ والبعوضةَ ، أفتراهُ يطعمُهما وينسىٰ أبا يزيدَ ؟![١] .

وصلَّىٰ مرةً خلفَ إمامٍ ، فقالَ لهُ الإمامُ يوماً : إنِّي أراكَ لا كسبَ لكَ ، فمِنْ أينَ تأكلُ ؟ فقالَ : دعْني حتىٰ أعيدَ الصلاةَ التي صليتُها خلفَكَ ، ثمَّ أجيبَكَ ؛ فإنَّكَ لا تعرفُ اللهَ ، ولا تصحُّ صلاةُ مَنْ لا يعرفُ اللهَ[٢] .

قلْتُ : وهٰذا لا ينافي حديثَ : « صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ »[٣] ؛ لأنَّ الحديثَ وردَ في سدِّ بابِ الخروجِ على الأئمَّةِ ، وهٰذا في مقامِ الكمالِ للإمامِ .

ودليلُ القومِ في عدمِ الادِّخارِ : ما رُويَ أنَّ شخصاً أهدىٰ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثَ طوائرَ ، فأطعمَ خادمَهُ طائراً منها ، فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ أتتْهُ بهِ ، فقالَ : « أَلَمْ أَنْهَكِ أَنْ تَرْفَعِي شَيْئاً لِغَدٍ ؟! فَإِنَّ ٱللهَ يَأْتِي بِرِزْقِ كُلِّ غَدٍ » انتهىٰ[٤] .

فامتحنْ نفسَكَ يا أخي بعدمِ ادِّخارِ شيءٍ لغدٍ ؛ فإنْ رأيتَها مضطربةً فقلْ لها : ليسَ لكِ في مقامِ الصالحينَ نصيبٌ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ١٩٩) عن بعض السلف .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٢٨٣) .

(٣) رواه الدارقطني في « السنن » (١٧٦٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ١٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣/ ١٩٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٣٩٢) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

[اختيار الشدة والبلاء على النعمة والرخاء]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : اختيارُهم الشدَّةَ والبلاءَ على النعمةِ والرخاءِ ؛ لأنَّ بذلكَ يدومُ توجُّهُهم إلى اللهِ تعالىٰ ، ومَنْ أحبَّ اللهَ أحبَّ ما يقرِّبُهُ إليهِ ويذكِّرُهُ بهِ .

وقد كانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يَعُدَّ البلاءَ نعمةً والرخاءَ مصيبةً . . فليسَ هو بفقيهٍ)[1] .

ودخلوا يوماً علىٰ مالكِ بنِ دينارٍ وهو جالسٌ في بيتٍ مظلمٍ ، وفي يدِهِ رغيفٌ يكدِمُهُ ، فقالوا لهُ : ألا سراجَ ؟ ألا شيءَ تضعُ عليهِ الرغيفَ ؟! فقالَ : دعوني ؛ فإنِّي واللهِ نادمٌ علىٰ ما مضىٰ[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ وسَّعَ اللهُ عليهِ في الدنيا ولم يخفْ أنْ يكونَ ذلكَ مكراً بهِ . . فقد أَمِنَ مكرَ اللهِ)[3] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ وجدَ كلَّ ليلةٍ كِسْرةً

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٩٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٤٠٤) ، **والكَدْم** : العضُّ بأدنى الفم . انظر « مختار الصحاح » (ك د م) .

(٣) رواه بنحوه السرقسطي في « الدلائل في غريب الحديث » (٢٤٠) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٧/ ٢٩٣) .

يابسةً يأكلُها فليسَ هو بفقيرٍ ، إنَّما الفقيرُ مَنْ لا يجدُ لهُ عشاءً إذا تغدَّىٰ)[١] ؛ **يعني** : وعكسُهُ[٢] .

وكانَ الربيعُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ البعوضةَ تحيا ما جاعَتْ ، فإذا شبعَتْ سمنَتْ ، وإذا سمنَتْ ماتَتْ ، وكذلكَ ابنُ آدمَ إذا امتلأَ مِنَ الدنيا ماتَ قلبُهُ)[٣] .

وكانَ حفصُ بنُ حميدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أجمعَ العلماءُ والفقهاءُ والحكماءُ والشعراءُ علىٰ أنَّ كمالَ النعيمِ في الآخرةِ لا يُدركُ إلا بنقصِ النعيمِ) ؛ **يعني** : في الدنيا .

قلْتُ : ومِنْ أدلةِ القومِ في إيثارِهمُ الشدةَ على الرخاءِ ، والبلاءَ على النعمةِ .. قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ ٱلصُّورِ قَدِ ٱلْتَقَمَهُ ، وَأَصْغَىٰ بِسَمْعِهِ ، وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ فَيَنْفُخَ » انتهىٰ[٤] .

فالكاملونَ ينظرونَ إلىٰ أهوالِ يومِ القيامةِ مِنْ هٰذهِ الدارِ ، فذلكَ هو الذي منعَهم لذَّةَ الأكلِ والشربِ والنومِ والجماعِ وغيرِ ذلكَ ، فافهمْ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رویٰ نحوه عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٠٢٢) ، وابن زنجويه في « الأموال » (٢٠٨٣) .

(٢) في هامش (ج) : (**أي** : لم يجد غداء إذا تعشىٰ) .

(٣) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (١/ ٣٩٩) .

(٤) رواه الترمذي (٢٤٣١) ، وابن ماجه (٤٢٧٣) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[ردُّ صاحبِ الحاجةِ إلى شيخِ المحلّةِ تأدُّباً مع ذلكَ الشيخِ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : إذا سألَهم أحدٌ في حاجةٍ وهو في حارةِ شيخٍ مِنْ مشايخِ العصرِ أنْ يردُّوا صاحبَ تلكَ الحاجةِ إلى الشيخِ الذي هو في حارتِهِ ، ويحسِّنوا اعتقادَ صاحبِ تلكَ الحاجةِ فيهِ ، ومتىٰ قضَوا لذلكَ المحتاجِ حاجتَهُ فقد أساؤوا الأدبَ معَ ذلكَ الشيخِ .

وكانَ هـٰذا دأبَ سيدي عليٍّ الخواصِ دائماً ، فإذا سألَهُ أحدٌ في حاجةٍ يقولُ لهُ : أنتَ مِنْ أيِّ حارةٍ ؟ فإذا أخبرَهُ قالَ لهُ : ارجعْ إلىٰ شيخِ حارتِكَ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ ما جعلَهُ في حارتِكَ إلا ليتحمَّلَ همومَ أهلِها . انتهىٰ .

فاعملْ يا أخي علىٰ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[انشراح الصدر لانصراف الدنيا]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : انشراحُ صدرِهم إذا صرفَ اللهُ تعالىٰ عنهمُ الدنيا ؛ وذلكَ لأنَّهم يحبونَ اللهَ ورسولَهُ ، ومَنْ أحبَّ اللهَ ورسولَهُ كرهَ الدنيا ضرورةً ؛ لأنَّها تَشغَلُ عن كمالِ العبادةِ ، فكانَ مِنْ أكرمِ أخلاقِهِمُ انقباضُ قلوبِهم مِنَ الدنيا إذا أقبلَتْ عليهم .

وتأمَّلْ يا أخي لمَّا كانَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم أكثرَ الناسِ محبَّةً للهِ ولرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . كيفَ كانَ أكثرُهم يبيتُ ويصبحُ وليسَ عندَهُ دينارٌ ولا درهمٌ ولا طعامٌ[1] .

ودعا بذلكَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأهلِ بيتِهِ ؛ لشدَّةِ محبَّتِهِ لهم ، ومحبَّتِهم لهُ ، فقالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً »[2] ؛ وذلكَ لكونِ الإنسانِ يصيرُ مقبلاً علىٰ ربِّهِ لا يعوقُهُ عنهُ عائقٌ ، لاسيَّما إنْ كانَ ليسَ عندَهُ صبرٌ على الجوعِ مثلاً ؛ فإنَّهُ يكونُ مقبلاً على اللهِ تعالىٰ ليلاً ونهاراً يسألُهُ قوتَهُ ، لا يَفتُرُ عن ذلكَ لحظةً ؛ نظيرُ المريضِ .

---

(١) روى ابن المبارك في « الزهد » (٨٢٢) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٥٨) عن أبي البختري قال : (صحب سلمانَ رجلٌ من بني عبسٍ ـ وذكر الخبر ـ ثم قال سلمان : يا أخا بني عبسٍ ؛ إن الذي فتح لكم هـٰذا وخوَّلكموه إن كان ليملك خزائنه ومحمد صلى الله عليه وسلم حيٌّ ، وإن كان ليُمسون ويصبحون وما فيهم دينار ولا درهم) .

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الدنيا سجنُ المؤمنِ ، وأعظمُ أعمالِهِ في السجنِ الصبرُ وكظمُ الغيظِ)[١] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ للمؤمنِ في الدنيا دولةٌ ، وإنَّما دولتُهُ غداً في الآخرةِ) .

وقد كانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ المؤمنُ فيهِ أذلَّ مِنَ الأَمَةِ ، فيعيشُ كدودِ الخلِّ في الخلِّ)[٢] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مَنْ حبسَ اللهُ تعالىٰ عنهُ الدنيا ثلاثةَ أيامٍ وهو عنهُ راضٍ . . وجبَتْ لهُ الجنةُ)[٣] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ بكرٍ المزنيُّ التابعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ ليجرِّعُ عبدَهُ المؤمنَ ويذيقُهُ مرارةَ الدنيا محبةً فيهِ ؛ كما تُجَرِّعُ المرأةُ ولدَها الصَّبِرَ للعافيةِ)[٤] .

قلْتُ : ومِنْ أدلةِ القومِ في محبتِهم صرفَ الدنيا عنهم لأجلِ محبةِ اللهِ تعالىٰ ورسولِهِ . . قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَنْ قالَ لهُ : إنِّي أحبُّكَ يا رسولَ اللهِ : « إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً ؛ فَإِنَّ ٱلْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَىٰ مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَىٰ مُنْتَهَاهُ »[٥] .

---

(١) روى الجزء الأول منه مسلمٌ (٢٩٥٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) روى الجزء الأول منه أبو داود في « الزهد » (١٧٦) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٦٤١) .

(٤) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٧٥٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٢٨) من قول بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه الترمذي (٢٣٥٠) من حديث سيدنا عبد الله بن مغفل رضي الله عنه . =

وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (ما زالَتِ الدنيا علينا عَسِرةً كَدِرةً حتىٰ قُبضَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فصُبَّتْ علينا الدنيا صبّاً)[1] ؛ أي : لأنَّا كنَّا ببركتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حمايةٍ مِنَ الدنيا ، فلمَّا ماتَ ذهبَتْ تلكَ الحمايةُ ، ودخلَ علينا النقصُ .

وسمعْتُ سيدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا ترقَّى العبدُ في مقاماتِ العرفانِ صارَتِ الدنيا تزدادُ منهُ نفرةً ، ولو أنَّهُ طلبَها لَمَا أجابَتْهُ ؛ لعدمِ رؤيتِها محلاً في قلبِهِ تمكثُ محبتُها فيهِ) انتهىٰ .

فعُلِمَ : أنَّ مِنْ علامةِ الفقيرِ الكاذبِ أنْ يزدادَ مِنَ الدنيا وأمتعتِها كلَّما طعنَ في السنِّ .

فاعلمْ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= وفي هامش (ج) : (التِّجفاف تِفعال بالكسر : شيء يلبسه الفرسُ عند الحرب كأنه درع ، والجمع : تجافيف ، قيل : سمي بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة .
وقال ابن الجواليقي : معرَّب ، ومعناه : ثوب البدن ؛ وهو الذي يسمىٰ في عصرنا بركصطوان ، كذا في « المصباح المنير » [ج ف ف] . انتهىٰ) .

(1) رواه أبو يوسف في « الآثار » (٩٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٢/٤) .

[شدّة الفرح بالمنع من الوصول إلى الشّهوات]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ الفرحِ في الدنيا كلَّما حِيلَ بينَهم وبينَ الوصولِ إلىٰ شهواتِهم فيها ، ويقولونَ : لولا أنَّ اللهَ تعالىٰ يحبُّنا ما حالَ بينَنا وبينَ ما يحجبُنا عنهُ .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قالَ لي معلمي عبدُ اللهِ الرازيُّ : إنْ أردْتَ القربَ مِنَ اللهِ فاجعلْ بينَكَ وبينَ الشهواتِ حائطاً مِنْ حديدٍ)(١) .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ السلامُ : (يا داودُ ؛ حرامٌ علىٰ قلبٍ أحبَّ الشهواتِ أنْ أجعلَهُ إماماً للمتقينَ)(٢) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أَميتوا الشهواتِ في نفوسِكم ، ولا تُميتوا أنفسَكم في الشهواتِ ؛ فإنَّ مَنْ جعلَ شهوتَهُ تحتَ رجلَيهِ فرَّ الشيطانُ مِنْ ظلِّهِ ؛ كما أنَّ مَنْ جعلَها في قلبِهِ ركبَهُ الشيطانُ ؛ فصرَّفَهُ كيفَ شاءَ بتسليطِ اللهِ)(٣) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٦٥) ، والدينوري في « المجالسة » (١١٥١) .

(٢) روىٰ نحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤١٢) من قول أبي جعفر المحولي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٥) من قول مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (الجنةُ بجملتِها ترجعُ إلىٰ شيئينِ : الراحاتِ والشهواتِ ، ولا يدخلُ الجنةَ أحدٌ إلا بتركِهِ الراحاتِ والشهواتِ في الدنيا)[١] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ همَّةُ أحدِهم بطنَهُ وفرجَهُ ، ودينُهُ هواهُ ، وسيفُهُ لسانَهُ)[٢] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَتِ الدابةُ الجَموحُ بأحوجَ إلى اللجامِ مِنْ نفسِكَ)[٣] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما عالجْتُ شيئاً أشدَّ مِنْ نفسي ؛ مرَّةً معي ومرَّةً عليَّ)[٤] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كفُّوا أنفسَكم عنِ الشهواتِ قبلَ أنْ يخاصمَ بعضُكم بعضاً ، ويلعنَ بعضُكم بعضاً)[٥] .

قلْتُ : ومِنْ أدلةِ القومِ في تركِ الشهواتِ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِٱلْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ ٱلنَّارُ بِٱلشَّهَوَاتِ »[٦] .

---

(١) **يشهد لذلك** : الحديث الذي رواه البخاري (٦٤٨٧) ، ومسلم (٢٨٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظ البخاري : « حُجبت النار بالشهوات ، وحُجبت الجنة بالمكاره » .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦١٣) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٣٣) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٥) .

(٥) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٤) .

(٦) انظر تخريجه في الحاشية الأولى من هـٰذه الصفحة .

وقُدِّمَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مرةً سويقُ اللوزِ ، فردَّهُ وقالَ : « هَٰذَا طَعَامُ ٱلْمُتْرَفِينَ فِي ٱلدُّنْيَا »[1] .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما زادَ علىٰ لونٍ واحدٍ . . فهو طعامُ الفسَّاقِ) .

وتقدَّمَ هٰذا الخُلُقُ في هٰذا الكتابِ بأبسطَ ممَّا هنا[2] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٠٠) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٢٣) عن يزيد بن قسيط مرسلاً .

(٢) انظر (ص٣٤٦) .

[عدم التغالي في الثياب]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ التغالي في الثيابِ ، بل كانوا يلبسونَ ما وجدوا مِنَ الحلالِ ولو خَيْشَةً[1] ، وإذا لبسَ أحدُهم جبَّةً أو عمامةَ صوفٍ لا يتغالىٰ في ثمنِها ، عكسُ ما عليهِ بعضُ فقراءِ هـٰذا الزمانِ ؛ فربَّما تكونُ جبةُ أحدِهمُ الصوفُ أو عمامتُهُ الصوفُ . . أغلىٰ ثمناً مِنْ ثيابِ التجَّارِ ، اللهمَّ إلا أنْ يكونَ أحدُهم ممَّنْ لا تدبيرَ لهُ معَ اللهِ تعالىٰ ، فهـٰذا يلبسُ ما شاءَ مِنَ المباحِ .

وقد كانَ حاتمٌ الأصمُّ وأصحابُهُ لا يلبسونَ مِنَ الثيابِ إلا ما خلُقَ ، وصارَتْ فيهِ رُقَعٌ كثيرةٌ .

وكانَ أويسٌ القَرَنيُّ رحمَهُ اللهُ يلتقطُ الخِرقَ مِنَ المزابلِ ويخيطُها ثمَّ يلبسُها[2] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يلبسُ الجبَّةَ السوداءَ ، فيَكثُرُ عليها القَمْلُ حتىٰ تصيرَ بيضاءَ مِنْ كثرةِ القملِ ، فقالوا لهُ مرةً : كم لهـٰذهِ الجبةِ عليكَ ؟ فقالَ : لها عليَّ تسعُ سنينَ ما نزعْتُها قطُّ .

---

(١) قال في « مختار الصحاح » (خ ي ش) : (الخَيشُ : ثيابٌ مِن أردأِ الكَتَّان) .

(٢) رواه بنحوه الخلال في « الحث على التجارة » (١٢٠) ، وأورد نحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٢٦٧) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يلبسُ الثوبَ حتىٰ يتّسخَ بالمرةِ ، فإذا قالوا لهُ : ألا تغسلُ ثوبَكَ ؟ قالَ : الأمرُ أعجلُ مِنْ ذلكَ[١] .

وقالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهما : (إنْ أردْتَ أنْ تلحقَ بصاحبَيكَ فرقِّعْ قميصَكَ ، واخصِفْ نعلَكَ ، وقصِّرْ أملَكَ ، وكُلْ دونَ الشبعِ)[٢] .

وكانَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ بيتُهُ خالٍ مِنَ المتاعِ ؛ ليسَ فيهِ سوى المِطْهَرةِ التي يتوضَّأُ منها[٣] ، فقيلَ لهُ يوماً : ألا تجعلُ في بيتِكَ متاعاً ؟ فقالَ : إنَّ ربَّ البيتِ لا يدعُنا أنْ نقيمَ فيهِ ، وإنَّ لنا بيتاً آخرَ سنوجِّهُ إليهِ صالحَ أعمالِنا إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[٤] .

وكانَ أبو إدريسَ الخولانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ لأصحابِهِ : (لا تعتنُوا بغسلِ ثيابِكم ، فلَقلبٌ نقيٌّ في ثوبٍ دَنِسٍ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ قلبٍ دنسٍ في ثوبٍ نقيٍّ)[٥] .

وكانَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٥٨٥) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٣٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٧٠) .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢٢٣) ، وروىٰ نحوه عبد الله بن أحمد في زياداته علىٰ « فضائل الصحابة » (٣٤٤) من قول رجل لسيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) في هامش (ج) : (المطهرة بكسر الميم وفتحها : كلُّ إناء يُتَطَهَّر به ، وقول الأتراك : مطرة . . غلط منه ، وخصوه بالمصنوع من الجلد . انتهىٰ) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٢٧) ، والدينوري في « المجالسة » (٩٠٦) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٥٢٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٢٢) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أخشنَ منكم ثياباً وأرقَّ قلوباً ، وسيأتي زمانٌ يكونُ أهلُهُ أرقَّ ثياباً وأخشنَ قلوباً)[1] .

وكانَ أبو عبيدةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ربَّ مبيِّضٍ لثيابِهِ مدنِّسٍ لدينِهِ)[2] .

وقالوا مرةً لأبي سليمانَ الدارانيِّ : ألا تسرِّحُ لحيتَكَ ؟ فقالَ : إنِّي إذاً لفارغُ القلبِ[3] .

وقيلَ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : ألا تخضِبُ لحيتَكَ ؟ فقالَ : الخِضابُ زينةٌ ، وما نحنُ الآنَ مِنْ أهلِها .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ربَّما أغسلُ ثوبي فأنكرُ قلبي فأتركُهُ)[4] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يغسلُ قميصَهُ بالأُشْنانِ فقطْ دونَ الصابونِ[5] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ لا يزيدُ على العباءِ ليلاً ونهاراً ، صيفاً وشتاءً[6] .

---

(١) روىٰ نحوه وكيع في « الزهد » (٥٣٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٣٨٦) من قول إبراهيم رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٩٨٤٩) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٠٢٦) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٣٩) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٣٣٧) ، كلاهما من قول داود الطائي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٤٦) من قول طاوس رحمه الله تعالىٰ .

(٥) **الأُشنان** : شجر ينبت في الأرض الرملية يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي . انظر « القاموس الفقهي » (ص ٢٠) .

(٦) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٨) عن جعفر قال : (كان مالك بن دينار يلبس إزار صوف وعباءة خفيفة ، فإذا كان الشتاء ففروٌ كَبَلٌ وعباءةٌ . . .) ، **وفروٌ كَبَلٌ** ؛ أي : =

وكانَ أبو إسحاقَ السبيعيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كانَتْ طيالسُ الناسِ قعرَ بيوتِهِم ، وما كانَ يلبسُ الطيلسانَ علىٰ عمامتِهِ إلا شهرُ بنُ حَوْشَبٍ فقط)[1] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما شبَّهتُ الناسَ اليومَ في المساجدِ وعليهمُ الطيالسةُ إلا بيهودِ خيبرَ)[2] .

قلْتُ : المطلوبُ مِنَ الطيلسانِ على الرأسِ كفُّ البصرِ عن فضولِ النظرِ للحيطانِ وغيرِها ، وهـٰذا ليسَ هو بكبيرِ أمرٍ ، وإنَّما الشأنُ أنْ يلبسَ علىٰ قلبِهِ طيلساناً يمنعُهُ أنْ يمدَّ بصرَهُ إلىٰ شيءٍ مِنْ شهواتِ الدنيا ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ . . . ﴾ الآيةَ [طه : ١٣١] ، ولكلٍّ مقامٍ رجالٌ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ عروةُ بنُ الزبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأيتُ رداءَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الذي كانَ يخرجُ بِهِ إلى الوفدِ ؛ طولُهُ أربعةُ أذرعٍ ، وعرضُهُ ذراعانِ وشبرٌ ، فهو عندَ الخلفاءِ بعدَهُ حتىٰ خَلُقَ ، كانوا يلبسونَهُ يومَ الفطرِ والأضحىٰ)[3] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (يا قارئُ ؛ ما لكَ وللطيلسانِ ؟! إنَّما ينبغي لكَ دُرَّاعةُ صوفٍ وعصاً ؛ كراعٍ تفرُّ مِنَ اللهِ إلى اللهِ ،

= قصير . انظر « القاموس المحيط » (ك ب ل) .

(١) في هامش (ج) : (**الطيلسان** : معرَّبُ تالشان ، وهو من لباس العجم ، مدور أسود ، لحمتها وسداها من صوف ، كذا في « المغرب » [ص ٢٩٢]) .

(٢) رواه بنحوه البخاري (٤٢٠٨) ، وبلفظه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ١٩١) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٦٥)، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي » (٢٨١ ، ٣٠٠) .

وتشوِّقُ إخوانَكَ إلى اللهِ)[1] .

وكانَ يوسفُ بنُ أسباطٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (رأيتُ سفيانَ الثوريَّ في طريقِ مكةَ ، فقوَّمْتُ ثيابَهُ حتىٰ نعلَيهِ ، فوجدْتُها تساوي درهماً وأربعةَ دوانقَ)[2] .

قلْتُ : ودليلُ القومِ في هـٰذا الخُلُقِ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْبَذَاذَةُ مِنَ ٱلْإِيمَانِ »[3] ؛ **والبذاذةُ** : هي لبسُ الخَلَقِ مِنَ الثيابِ ، فلا يبالي بأيِّ ثوبٍ لبسَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[4] .

---

(١) رویٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٤) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٨١١) .

(٣) رواه أبو داود (٤١٦١) ، وابن ماجه (٤١١٨) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) في هامش (أ) : (**بلغ قراءةً**) .

[عدم الإسراف في الحلال]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ إسرافِهم في الحلالِ إذا وجدوهُ ؛ فإنَّ الحلالَ غريبٌ في كلِّ زمانٍ بحسَبِ تفاوتِ أهلِهِ في المقامِ ، فربَّما يكونُ الحلالُ عندَ قومٍ غيرَ حلالٍ عندَ قومٍ آخرينَ .

وكانَ السلفُ الصالحُ يقدِّمونَ كسبَ الدرهمِ الحلالِ على سائرِ مهمَّاتِهم ؛ لأنَّهم مِنْ أبناءِ الآخرةِ بيقينٍ ، والأعمالُ الأخرويَّةُ الخالصةُ لا تقعُ على يدَيْ مَنْ أكلَ حراماً أو شبهاتٍ ؛ فإنَّ مَنْ أكلَ حراماً نشأَ منهُ فعلُ الحرامِ ، ومَنْ أكلَ شبهةً نشأَ منهُ فعلُ الشبهاتِ ، حتى لو أرادَ مَنْ أكلَ الحرامَ أنْ يطيعَ اللهَ لَمَا قَدَرَ على ذلك كما مرَّ تقريرُهُ(١) .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما ثَمَّ اليومَ أقلُّ مِنْ درهمٍ طيبٍ ، ولو وجدناهُ لاستشفَيْنا بهِ مرضانا)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دِينُ الرجلِ حيثُ رغيفُهُ مِنْ حلٍّ ، وإنَّ أهلَ بيتٍ يوجدُ على مائدتِهمُ الآنَ رغيفٌ مِنْ حلالٍ . . لغرباءُ في هذا الزمانِ)(٣) .

---

(١) انظر (ص١١٤) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٢١٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٧) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٠٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٠٣) ، كلاهما بنحوه من قول أبي وائل شقيق بن سلمة رحمه الله تعالى .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (كسبُ الحلالِ أمرُّ على المؤمنِ مِنْ نقلِ جبلٍ إلىٰ جبلٍ)[١] .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنْ لم يرَ العبدُ الحلالَ في زمانِهِ كالميتةِ للمضطرِّ ، وإلا هلكَ)[٢] .

وسمعَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما شخصاً يقولُ : اللهمَّ ؛ ارزقْني حلالاً صافياً ، فقالَ : يا هـٰذا ؛ سَلْ ربَّكَ رزقاً لا يعذبُكَ عليهِ ؛ فإنَّ الرزقَ الصافيَ إنَّما هو رزقُ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ[٣] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ كثيراً ما يحصدُ إلىٰ آخرِ النهارِ ، فإذا أعطَوهُ أجرتَهُ نظرَ إليها وقالَ لأصحابِهِ : (إنِّي أخافُ أنْ أكونَ لم أبذُلْ قوَّتي كلَّها التي طلبَها منِّي صاحبُ الزرعِ) ، ثمَّ يتركُها ويذهبُ طاوياً تلكَ الليلةَ[٤] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يرى الحضورَ معَ اللهِ تعالىٰ في عملِ الحرفةِ شرطاً للحلِّ ، وكلُّ شيءٍ عملَهُ بلا حضورٍ لا يأخذُ لهُ أجرةً[٥] .

وكانَ مِسْعَرُ بنُ كِدامٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما أعرفُ اليومَ [شيئاً] بقيَ مِنَ

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٥٦) .

(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٣) .

(٣) أورد نحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٩٤) من غير نسبة .

(٤) في (هـ) : (ويَبَاتُ طاوياً) بدل (طاوياً) ، **ويباتُ** : لغة في (يبيت) . انظر « المصباح المنير » (ب ي ت) .

(٥) رواه بنحوه مطولاً أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٦٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٣٦٦) .

الحلالِ إلا ما يشربُهُ الرجلُ مِنَ الدجلةِ أوِ النيلِ بكفِّهِ)[١] .

قالَ : (وطلبَ رجلٌ الحلالَ ، فما صفا لهُ إلا الحشيشُ الذي على حافاتِ الأنهارِ[٢] ، فصارَ يأكلُ منهُ حتى اخضرَّ جلدُهُ ثلاثينَ سنةً ، فإذا بهاتفٍ يقولُ لهُ : الآنَ قد صفا لكَ أكلُ الحلالِ ، وخَلَصْتَ مِنَ الحرامِ) .

وامتنعَ بعضُهم مِنَ الأكلِ ممَّا يدخلُ يدَ بني آدمَ ، وذهبَ إلى البريَّةِ يأكلُ مِنْ حشيشِها ، فنوديَ في سرِّهِ : هبْ أنَّكَ تتورَّعُ مِنَ اليومِ ، فما تفعلُ في القوَّةِ التي اكتسبتَها حتى مشيتَ إلى هنا ، فانظرْ مِنْ أينَ اكتسبتَها . انتهى[٣] .

وسئلَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ عن نبيذِ الجِرارِ ، فقالَ للسائلِ : (ويحَكَ ! انظرِ التمرَ مِنْ أينَ هو قبلَ أنْ يُنبَذَ في الماءِ)[٤] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (رأيتُ عابداً يقومُ إلى الصلاةِ بثقلٍ ، فنظرْتُ فإذا ذلكَ الثقلُ مِنْ عدمِ صفاءِ مأكلِهِ ، ولو أنَّهُ أكلَ حلالاً لكانَتِ العبادةُ مِنْ أخفِّ ما يكونُ عليهِ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ إذا ذهبَ إلى وليمةٍ أخذَ معَهُ رغيفاً يأكلُ منهُ ، فإذا قالَ لهُ صاحبُ الطعامِ : إنَّما دعوتُكَ لتأكلَ مِنْ طعامي . . قالَ لهُ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢١٧) ، وما بين المعقوفين لسلامة العبارة .
(٢) في هامش (ج) : (**حافة كل شيء** : ناحيته ، **وحافتا الوادي** : جانباه ، كذا في « المصباح » [ح و ف] . انتهى) .
(٣) روى نحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٤٠٠) عن السري رحمه الله تعالى .
(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٥) .

سفيانُ : إنَّكَ تدري خبزَكَ مِنْ أينَ هو ، وأنا أدري خبزي مِنْ أينَ هو ، فكلٌّ واحدٍ يأكلُ ممَّا يدري[1] .

قلْتُ : وممَّنْ أدركتُهُ على هـٰذا القدمِ سيدي محمدُ بنُ عنانٍ ؛ فكانَ إذا دُعِيَ إلى وليمةٍ يأخذُ معَهُ رغيفاً يأكلُ منهُ إذا نُصِبَ السِّماطُ[2] .

وسُئلَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ عن فضلِ الصفِّ الأولِ ، فقالَ : انظرْ رغيفَكَ مِنْ أينَ هو فكُلْهُ ، وصلِّ في الصفِّ الآخرِ ، ولا حرجَ عليكَ[3] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لا يقبلُ اللهُ صلاةَ عبدٍ وفي جوفِهِ شيءٌ مِنَ الحرامِ)[4] .

وكانَ السَّريُّ السَّقطيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (النجاةُ في ثلاثٍ : سبيلِ الهدى ، وكمالِ التقى ، وطيبِ الغِذا)[5] .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو صُمْتَ وصلَّيتَ حتى صرْتَ مثلَ هـٰذهِ الساريةِ ما ينفعُكَ ذلكَ إلا بعدَ أن تنظرَ ما يدخلُ جوفَكَ)[6] .

---

(١) روى نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٧٨) .

(٢) في هامش (ج) عند قوله : (السِّماط) : (بالكسر : مائدة طويلة عليها من كل الألوان من الطعام يستعمله أهل مصر . انتهى) .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٩٤٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٩٣) .

(٤) أورده ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (١/٢٦٢) .

(٥) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٣٥) ، وفي « شعب الإيمان » (٥٣٨٩) .

(٦) روى نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨٩/٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٩٠) .

قلْتُ : ودليلُ القومِ في كلِّ ذلكَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، وهو خطابٌ للرسلِ ، وأمرَ اللهُ تعالى المؤمنينَ بما أمرَ بهِ المرسلينَ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ . . . ﴾ الآيةَ [البقرة : ١٧٢] ، وقد صرَّحَ في الحديثِ : بأنَّ اللهَ تعالىٰ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بهِ المرسلينَ[(١)] .

وكذلكَ مِنْ أدلتِهم قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَكْتَسِبُ عَبْدٌ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ ، وَلَا يَتَصَدَّقُ مِنْهُ فَيُؤْجَرَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى ٱلنَّارِ ، إِنَّ ٱللهَ لَا يَمْحُو ٱلسَّيِّئَ بِٱلسَّيِّئِ ، وَلَٰكِنْ يَمْحُو ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ » انتهىٰ[(٢)] .

فانظرْ يا أخي إلىٰ طعامِكَ في هٰذا الزمانِ ، وعليكَ بالجوعِ المفرطِ ، وإيَّاكَ أنْ تأكلَ مِنْ طعامِ أميرٍ أو مباشِرٍ أو قاضٍ ، فضلاً عن أطعمةِ الظلمةِ والمكَّاسينَ مِنْ غيرِ تفتيشٍ[(٣)] ؛ فإنَّكَ تهلِكُ في دينِكَ ؛ ولو كانَ علىٰ رأسِكَ عمامةُ صوفٍ ولكَ عَذَبَةٌ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[(٤)] .

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١/ ٣٨٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٣٦) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) في هامش (ج) : (**المكَّاس** : العشَّار ؛ وهو في اصطلاحنا : كمركجي ، يأخذون أموال الناس ظلماً . انتهىٰ) .

(٤) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه**) .

[كثرة الوصايا، وقبول المواعظ، والشكر عليها]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الوصايا لبعضِهم بعضاً ، وقبولُهم المواعظَ ، وشكرُهمُ الواعظَ ، وعدمُ رؤيةِ أحدِهم في نفسِهِ أنَّهُ قامَ بواجبِ حقِّ مَنْ نصحَهُ ولو أحسنَ إليهِ مدى الدهرِ ؛ لأنَّ الأمورَ الأخرويَّةَ لا تقابَلُ بالأعواضِ الدنيويةِ .

وقد قالَ رجلٌ للحسنِ البصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : أوصِني ، فقالَ لهُ : أَعِزَّ أمرَ اللهِ حيثُما كنْتَ يُعزَّكَ اللهُ حيثُما كنْتَ[١] .

وقالَ رجلٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : أوصِني ، فقالَ : احذرْ أنْ تكونَ ممَّنْ يخالطُ الصالحينَ ولا ينتفعُ بهم ، أو يلومُ المذنبينَ ولا يجتنبُ الذنوبَ ، أو ممَّنْ يلعنُ الشيطانَ في العلانيةِ ويطيعُهُ في السرِّ[٢] .

وقالَ رجلٌ للفضيلِ بنِ عياضٍ : أوصِني ، فقالَ لهُ : هل ماتَ والداكَ ؟ فقالَ : نعم ، فقالَ : قمْ عنِّي ؛ فإنَّ مَنْ يحتاجُ إلىٰ مَنْ يعظُهُ بعدَ موتِ والديهِ لا تنفعُهُ موعظةٌ .

وقالَ رجلٌ لمحمدِ بنِ واسعٍ : أوصِني ، فقالَ لهُ : كنْ مَلِكاً في الدنيا

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٨) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٤٧٩) .

(٢) أورده بنحوه ابن كثير في « البداية والنهاية » (٩/٣٤٨) من قول بلال بن سعد رحمه الله تعالىٰ .

والآخرةِ ، فقالَ : كيفَ ذلكَ ؟ فقالَ : ازهدْ في الدنيا ، فقالَ لهُ : زدْني ، فقالَ : اجعلْ نفسَكَ ذَنَباً واجلسْ إلى الناسِ ، ولا تجعلْ نفسَكَ رأساً وتطلبَ منهم أنْ يجلسوا إليكَ(١) .

ودخلَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يوماً علىٰ عابدٍ ، فقالَ لهُ عمرُ : عظْني ، فقالَ : لو علمْتُ أنَّكَ ممَّنْ يخافُ اللهَ تعالىٰ لوعظْتُكَ ، فغُشيَ علىٰ عمرَ مِنْ كلامِهِ(٢) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأيتُ الخضرَ عليهِ السلامُ في المدينةِ المشرَّفةِ ، فقلْتُ لهُ : أوصِني ، فقالَ : يا عمرُ ؛ إيَّاكَ أنْ تكونَ ولياً للهِ تعالىٰ في العلانيةِ ، وعدواً لهُ في السرِّ)(٣) .

وقالَ رجلٌ لعيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : عِظْني ، فقالَ : إلىٰ كم يوعَظُ أحدُكم ولا يتَّعظُ ؟! لقد كلَّفْتُمُ الواعظينَ شططاً وتعباً(٤) .

وقالَ رجلٌ للحسنِ البصريِّ : أوصِني ، فقالَ لهُ : لا تذنبْ ؛ فتُلقي نفسَكَ في النارِ ، معَ أنَّكَ لو رأيتَ أحداً يلقي برغوثاً في النارِ لأنكرْتَ عليهِ ، وتلقي نفسَكَ في النارِ كلَّ يومٍ عشرَ مراتٍ ولا تنكرُ علىٰ نفسِكَ ذلكَ !

وقالَ رجلٌ لعبدِ اللهِ بنِ المباركِ : أوصِني ، فقالَ : اترُكْ فضولَ النظرِ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٣٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٠) .

(٢) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣١٨) ما يدلُّ علىٰ رقَّة قلبه وشدة تأثره بالموعظة رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٢٧١) ، وابن أبي الدنيا في « الإخلاص والنية » (٢٦) من قول بلال بن سعد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤٦٥) .

توفَّقْ للخشوعِ ، واتركْ فضولَ الكلامِ توفَّقْ للحكمةِ ، واتركْ فضولَ الطعامِ توفَّقْ لحلاوةِ العبادةِ ، واتركِ التجسسَ علىٰ عيوبِ الناسِ توفَّقْ للاطلاعِ علىٰ عيوبِكَ ، واتركِ الخوضَ في ذاتِ اللهِ تُوقَ الشَّكَّ والنِّفاقَ[١] .

وقالَ رجلٌ لمحمدِ بنِ سيرينَ : أوصِني ، فقالَ : لا تحسُدْ أحداً ؛ فإنَّهُ إنْ كانَ مِنْ أهلِ النارِ فكيفَ تحسُدُهُ علىٰ دنيا فانيةٍ سيصيرُ بعدَها إلى النارِ ؟! وإنْ كانَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ فاتَّبِعْهُ في أعمالِها ، واغبطْهُ عليها ؛ فإنَّ ذلكَ أولىٰ مِنْ حسدِكَ لهُ على الدنيا ؛ إذ لا يليقُ الحسدُ إلا لمَنْ يكونُ مِنْ أهلِ النعيمِ الباقي .

وقالَ رجلٌ للحسنِ البصريِّ : عظْني ، فقالَ : وا عجباهْ مِنْ ألسنةٍ تصفُ ، وقلوبٍ تعرفُ ، وأفعالٍ تخالفُ ![٢] .

وقالَ رجلٌ لأبي الدرداءِ : أوصِني ، فقالَ لهُ : احذرْ يوماً تصيرُ فيهِ السريرةُ علانيةً[٣] .

وقالَ رجلٌ للحسنِ البصريِّ : أوصِني ؟ فقالَ لهُ : إيَّاكَ أنْ تتكبَّرَ أو تأكلَ شيئاً مِنْ أموالِ النَّاسِ بغيرِ حقٍّ ؛ فإنَّ مَنْ تكبرَ على النَّاسِ ذلَّ ، ومَنِ اغتنمَ أموالَ الناسِ افتقرَ[٤] .

وسمعَ مرةً رجلاً يقولُ : المرءُ معَ مَنْ أحبَّ ، فقالَ لهُ : لا يغرنَّكَ

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢٠٠) من قول محمد بن عبد الله العابد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٨٤١) من قول ابن السماك رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٢٤٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ١٧٠) .

(٤) أورد بعضه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٩٦٩) من غير نسبة .

يا أخي هٰذا القولُ ؛ فإنَّكَ لنْ تلحقَ بالأبرارِ إلا إنْ عملْتَ بمثلِ أعمالِهم ؛ وإنَّ اليهودَ والنصارىٰ وأهلَ البدعِ يحبُّونَ أنبياءَهم ، وليسوا معَهم في الجنةِ ؛ لتخلُّفِهم عنهم في الأعمالِ ، ومخالفتِهم لهم[١] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (وا عجباهْ مِنْ أقوامٍ أُمروا بالزادِ ونُودوا بالرحيلِ وهم جلوسٌ يضحكونَ ! فإنَّ مَنْ كانَ الليلُ والنهارُ مطيَّتَهُ . . فهو يُسارُ بهِ ولا يشعرُ)[٢] .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يأمرُ أصحابَهُ بالتهيؤِ كلَّ وقتٍ للموتِ ، ويقولُ : (ربَّما يتهيَّأُ الواحدُ منَّا خمسينَ سنةً للموتِ ولا يصحُّ له تهيُّؤٌ ، إنَّما التهيؤُ لمَنْ زهدَ في الدنيا ؛ كعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ فإنَّهُ كانَ يقولُ للموتِ كلَّ يومٍ صباحاً ومساءً: يا مَلَكَ الموتِ؛ خذْني أيَّ وقتٍ شئتَ) انتهىٰ[٣] .

قلْتُ : ومِنْ أدلةِ القومِ في وصيةِ بعضِهم بعضاً . . قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ » انتهىٰ[٤] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٣٩٢) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢١) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٦٥) من قول صالح المري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٦٩) .

(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٣٢) عن عمرو بن ميمون مرسلاً ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٠٦) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

[نصيحة من عُرف منه قبولها، والإعراض عن غيره]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : أنَّهم لا ينصحونَ ولا يوصونَ إلا مَنْ عرفوا منهُ بالقرائنِ قبولَ ذلكَ منهم ، وأمَّا مَنْ علموا منهُ أنَّهُ تتحرَّكُ نفسُهُ بذلكَ فالأَولى الإعراضُ عنهُ وتأخيرُ ذلكَ حتىٰ يجدَ أحدُهم طريقاً شرعياً يدخلُ إليهِ منها .

قلْتُ : وهٰذا مذهبٌ مرجوحٌ ، والجمهورُ علىٰ أنَّهُ يجبُ النصحُ وإنْ لم يؤثِّرْ ، واللهُ أعلمُ .

وقد كانَ حامدٌ اللفافُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تنصحْ أحداً إلا إنْ علمْتَ منهُ القبولَ ، وإلا فربَّما أعقبَكَ ذلكَ النصحُ ضرراً لا تطيقُهُ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكَ أنْ تطلبَ الرياسةَ علىٰ أحدٍ في هٰذا الزمانِ ؛ فإنَّ كلَّ أحدٍ قد عدَّ نفسَهُ أبا فلانٍ ، ولا تقتدِ بكلِّ أحدٍ ؛ فإنَّ الأهواءَ قدِ انتشرَتِ انتشاراً عظيماً ، ولا تُفْشِ سرَّكَ إلىٰ أحدٍ ؛ فإنَّ الأمانةَ قدِ ارتفعَتْ) انتهىٰ(١) .

وقد نصحْتُ مرةً شيخاً مِنْ أهلِ العصرِ بأنَّهُ لا يأكلُ مِنْ بيوتِ الظلمةِ ، وكانَ ذلكَ بيني وبينَهُ ، فمكثَ سبعَ عشرةَ سنةً لا يكلِّمُني ، فما صالحْتُهُ إلا

---

(١) رویٰ بعضه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤٠٥) من قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

بجهدٍ عظيمٍ ، فكيفَ حالي معَهُ لو كنْتُ نصحتُهُ في الملأِ ؟! لعلَّهُ كانَ يسعىٰ في قتلي .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واعرفْ زمانَكَ ، وانصحْ إخوانَكَ بسياسةٍ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(١) .

(١) في هامش (أ) : (بلغ قراءةً علىٰ مؤلفه) .

[التقليل من شأن العمل في عين صاحبه ، وعدم التعاظم به]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تقليلُ أعمالِهم في عيونِهم مِنْ حيثُ كسبُهم لها ولو كانوا على عبادةِ الثقلَينِ ، ثمَّ لا يرَوْنَ أنَّهم قاموا بذرَّةٍ واحدةٍ مِنْ حقوقِ الربوبيةِ .

وقد قامَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ تورَّمَتْ قدماهُ ، فقالوا لهُ : أتفعلُ ذلكَ يا رسولَ اللهِ وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ ؟! قالَ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً ؟! »[1] ، ولم يقلْ : شاكراً .

وكانَتِ امرأةُ مسروقٍ رضيَ اللهُ عنهُ تقولُ : (كانَ مسروقٌ يصلِّي حتىٰ تنتفخَ ساقاهُ مِنْ طولِ القيامِ ، وحتىٰ كنْتُ أجلسُ خلفَهُ أبكي رحمةً لهُ)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْتُ أقواماً كانَ أحدُهم أشحَّ علىٰ دينِهِ وعمرِهِ مِنْ أحدِكم علىٰ درهمِهِ ودينارِهِ)[3] .

وكانَ عمرُو بنُ عتبةَ رضيَ اللهُ عنهُ يخرجُ إلى المقابرِ كلَّ ليلةٍ ، فيصلِّي تُجاهَها مِنَ العشاءِ إلى الفجرِ ، ثمَّ يرجعُ فيصلِّي الصبحَ في المسجدِ ، وكانَ يقولُ

---

(١) رواه البخاري (١١٣٠) ، ومسلم (٢٨١٩) من حديث سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٥) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٦٨) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٥٥) .

لأهلِ المقابرِ إذا أقبلَ عليهم : (يا إخواني ؛ قد طُويَتْ صحفُكم)[1] .

وكانَ أويسٌ القَرَنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يُحيي الليلَ كلَّهُ في سجدةٍ واحدةٍ ، فلا يرفعُ رأسَهُ حتىٰ يحسَّ بعظمِهِ ذابَ مِنْ شدَّةِ البكاءِ بينَ يدَيْ ربِّهِ[2] .

ولمَّا تابَ عتبةُ الغلامُ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ لا يتهنَّأُ بأكلٍ ولا شربٍ ولا نومٍ إلىٰ أنْ ماتَ[3] .

ولما حجَّ مسروقٌ رحمَهُ اللهُ كانَ لا يضعُ جنبَهُ على الأرضِ أبداً ، وإنَّما ينامُ علىٰ جبهتِهِ ساجداً[4] .

وكانَ مجاهدٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ لمجتهدي أهلِ زمانِهِ في العبادةِ : (ما اجتهادُكم إلا كاللاعبينَ فيمَنْ كانَ قبلَكم ، وكانَ السلفُ رضيَ اللهُ عنهم إذا بلغَ أحدُهم أربعينَ سنةً طوىٰ فراشَ النومِ)[5] .

وكانَ كَهْمَسُ بنُ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ يصلِّي كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ ، فما يفرغُ منها حتىٰ يصيرَ يزحفُ مِنَ الضعفِ ، ثمَّ يقولُ لنفسِهِ بعدَ ذلكَ : (قومي لهٰذهِ العبادةِ الأخرىٰ يا مأوىٰ كلِّ شرٍّ) ، فلمَّا ضعُفَ آخرَ عمرِهِ كانَ يصلِّي خمسَ مئةِ ركعةٍ ، ثمَّ يبكي ، ويقولُ : (يا ويلي ! نقصْتُ نصفَ عملي)[6] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٠٦) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٨٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٤٤٤) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٨٢) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٠١٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٥) .

(٥) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٣١) من قول عبد الله بن داود رحمه الله تعالىٰ .

(٦) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢١١) ، وابن الجوزي في « حفظ العمر » (ص ٥٢) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٨٣) .

وكانَ أويسٌ القَرَنيُّ رحمَهُ اللهُ إذا غلبَهُ النومُ انتبَهَ مرعوباً ، ثمَّ يقولُ : (اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ عينٍ نوَّامةٍ ، ونفسٍ لوَّامةٍ ، وبطنٍ شبعانةٍ)[1] .

وكانَ أبو الجُوَيْرِيَةِ رحمَهُ اللهُ يقولُ[2] : (صحبْتُ أقواماً كابدوا الليلَ ، فما رأيتُ أحسنَ مكابدةً مِنَ الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، أقمْتُ عندَهُ ستةَ أشهرٍ فما رأيتُهُ وضعَ جنبَهُ في ليلةٍ مِنَ الليالي إلى الأرضِ)[3] .

وقالَ ابنُ مقاتلٍ : (صلَّىٰ أبو حنيفةَ الصبحَ بوضوءِ العشاءِ عشرينَ سنةً) ، وفي روايةٍ : (أربعينَ سنةً) ، وفي روايةٍ : (سبعاً وأربعينَ سنةً) ، وفي روايةٍ : (خمسينَ سنةً) ، ولعلَّ كلَّ واحدٍ أخبرَ عنهُ بما في زمنِهِ[4] .

وكانَ يوسفُ بنُ خالدٍ يقولُ : (كانَ الإمامُ أبو حنيفةَ يُحيي نصفَ الليلِ فقط ، فمرَّ علىٰ قومٍ فقالوا : هٰذا يُحيي الليلَ كلَّهُ ، وأشاروا إليهِ ، فقالَ : أَراني أوصَفُ بما لا أفعلُ ! فقامَ الليلَ كلَّهُ مِنْ ذلكَ اليومِ حتىٰ ماتَ)[5] .

وكانَ أبو مطيعٍ يقولُ : (لم يكنْ للإمامِ أبي حنيفةَ فراشٌ في اللَّيلِ أبداً ، إنَّما كانَ ينامُ جالساً)[6] .

---

(١) رواه بنحوه ابن حبيب في « عقلاء المجانين » (١٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٤٤٤) .

(٢) في جميع النسخ المعتمدة ما عدا (هـ) : (ابن) بدل (أبو) ، **والصواب** هو المثبت .

(٣) رواه الصيمري في « أخبار أبي حنيفة » (ص ٥٦) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٤) .

(٤) روىٰ نحوه الصيمري في « أخبار أبي حنيفة » (ص ٥٥) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٤) .

(٥) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٣) .

(٦) رواه بنحوه الصيمري في « أخبار أبي حنيفة » (ص٥٥) ، والخطيب البغدادي في =

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ يقولُ : (ما رأيتُ أورعَ مِنَ الإمامِ أبي حنيفةَ ، ولا أعبدَ منهُ)[١] .

وكانَ أبو مُسْهِرٍ لا يضعُ جنبَهُ على الأرضِ لا ليلاً ولا نهاراً ؛ لدوامِ شهودِهِ أنَّهُ في حضرةِ ربِّهِ ، وكانَتْ مخدتُهُ ركبتَهُ ، وكانَ ينامُ لحظةً واحدةً بينَ الظهرِ والعصرِ[٢] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (ما نمْتُ قطُّ إلا وخفْتُ أنْ يَنزلَ عليَّ عذابٌ وأنا نائمٌ ، ولو قَدَرْتُ ألا أنامَ ما نمْتُ أبداً)[٣] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (أدركْتُ سبعينَ رجلاً مِنْ أهلِ بدرٍ لو رَأَوكم لقالوا : هـٰؤلاءِ مجانينُ ، ولو رأيتموهم لقلْتُم : مجانينُ ، ولو رأَوا ما فعلَهُ الناسُ اليومَ لقالوا : هـٰؤلاءِ لا يؤمنونَ بيومِ الحسابِ ، أو ليسَ لهم في الآخرةِ مِنْ نصيبٍ)[٤] .

وكانَ يقولُ : (كانَ أحدُهم لا يخرجُ مِنْ بيتِهِ إلا للوضوءِ وصلاةِ الجماعةِ في المسجدِ مدَّةَ أربعينَ سنةً) .

وكانَ المغيرةُ يقولُ : (رمقْتُ مالكَ بنَ دينارٍ ليلةً ، فتوضَّأَ بعدَ العشاءِ ثمَّ قامَ إلى الصلاةِ ، فقبضَ علىٰ لحيتِهِ ، وصارَ يبكي ويتضرَّعُ إلى

= « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٤) .

(١) سبق تخريجه (ص٢٤١) .

(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٥٨) عن صفوان بن سليم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٩) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٣٤) .

الفجرِ ؛ لم يركعْ شيئاً)[١] .

وكانَ أحدُهم يحنُّ إلى الليلِ إذا أقبلَ ؛ ليخلوَ فيه بربِّهِ ، ويتكدَّرُ مِنَ النهارِ إذا أقبلَ ؛ خوفاً مِنَ الناسِ أنْ يشغلوهُ عن عبادةِ ربِّهِ ، عكسُ ما عليهِ الناسُ اليومَ .

وكانوا قد بلغوا مِنَ العبادةِ إلى الغايةِ القصوىٰ ؛ بحيثُ لو قيلَ لأحدِهم : إنَّ القيامةَ تقومُ غداً . . لا يجدُ زيادةً علىٰ ما هو فيهِ[٢] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ كثيراً ما يصلي العشاءَ ، ثمَّ يضطجعُ إلى الصباحِ ، ويقولُ : (إنَّ خوفَ النارِ لم يدعْني هـٰذهِ الليلةَ أنامُ ، ولا أصلي ، ولا أتكلَّمُ) ، ثمَّ يقومُ للصبحِ بوضوءِ العشاءِ[٣] .

وكانَ شدادُ بنُ أوسٍ إذا نامَ كأنَّهُ حبةُ قمحٍ في مِقلاةٍ إلى الصباحِ ، ويقولُ : (إنَّ خوفَ النارِ منعَني أنْ أنامَ هـٰذهِ الليلةَ)[٤] .

قلْتُ : إنَّما خافَ الأكابرُ مِنَ النارِ لِمَا فيها مِنَ الحجابِ عنِ اللهِ تعالىٰ ، لا لذاتِها ؛ لأنَّهم لا يخافونَ إلا اللهَ ، كما أنَّ مَنْ أحبَّ الجنةَ مِنَ الأكابرِ لم يحبَّها لنعيمِ الأكلِ والشربِ ونحوِ ذلكَ ، وإنَّما هو لكونِها دارَ المشاهدةِ للهِ عزَّ وجلَّ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (واللهِ ؛ لقد أدركْتُ أقواماً كانَ أحدُهم

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٩٩) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٧٠) .

(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٥٩) عن صفوان بن سليم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٨٥) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٧٤٧) .

يصلِّي حتىٰ يأتيَ إلىٰ فراشِهِ حبواً)[1] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (لو كانَتِ العبادةُ طائراً لكانَ جناحاها الصومَ والصلاةَ)[2] .

وكانوا لا ينامونَ في ليالي الشتاءِ إلا في السطحِ ، كما أنَّهم كانوا يلبسونَ الثيابَ الرقاقَ ؛ حتىٰ يبردَ أحدُهم فلا ينامَ[3] .

وكانَتْ فاطمةُ بنتُ عبدِ الملكِ تقولُ : (ما أعلمُ أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ اغتسلَ مِنْ جنابةٍ منذُ وَلِيَ الخلافةَ)[4] .

وكانَ الأسودُ بنُ يزيدَ يصومُ في شدَّةِ الحرِّ حتىٰ يصفرَّ بدنُهُ تارةً ، ويخضرَّ أخرىٰ ، فيُقالُ لهُ : كم تعذِّبُ هـٰذا الجسدَ ! فيقولُ : إنَّما أطلبُ راحتَهُ ونعيمَهُ[5] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ قد حفرَ في بيتِهِ قبراً ، فكانَ ينزلُهُ كلَّ ليلةٍ ، فيصلِّي فيهِ إلى الصباحِ[6] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٥٥) ، كلاهما من قول ثابت البناني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (٥٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣١٨) من قول ثابت البناني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٥٩) عن صفوان بن سليم رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٨٩٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٩) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٥٠٢) ، وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٦٦) .

(٦) روىٰ نحوه البلاذري في « أنساب الأشراف » (١١/ ٣١١ـ ٣١٢) عن الربيع بن خثيم رحمه الله تعالىٰ .

ولمَّا وليَ عمرُ بنُ الخطابِ الخلافةَ كانَ لا ينامُ ليلاً ولا نهاراً ، ويقولُ : (إنْ نمْتُ في الليلِ ضيَّعْتُ نفسي ، وإنْ نمْتُ في النهارِ ضيَّعْتُ رعيتي ، وأنا مسؤولٌ عنهم)[١] .

فانظرْ يا أخي إلىٰ حالِكَ هل وصلَتْ إلىٰ شيءٍ مِنْ هٰذهِ الأحوالِ ، وابكِ علىٰ نفسِكَ مِنْ شدَّةِ تفريطِكَ ، وإيَّاكَ أنْ تصغيَ إلىٰ قولِ بعضِ هٰؤلاءِ الجماعةِ الذينَ برزوا في هٰذا الزمانِ ، فأكلوا الحرامَ والشبهاتِ ، ولبسوا الثيابَ المبخَّراتِ[٢] ، وصارَ أحدُهم أكثرُ ما يجري علىٰ لسانِهِ : فضلُ اللهِ تعالىٰ واسعٌ ؛ **يعني** : أنَّ أَكْلَنا الحرامَ لا يَنْقُصُ لنا مقاماً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٦) .

(٢) في هامش (ج) : (**أي** : من غير نية صالحة ، أو اشتروا ذلك البخور بالمال الحرام ، وإنما حملنا علىٰ ذلك لأن استعمال البخور في ذاته محمود بل مسنون ؛ كان صلى الله عليه وسلم لا يفارقه . انتهىٰ) .

[كثرة الخوف من دخول الآفات في العلم والعمل]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ خوفِهم مِنْ دخولِ الآفاتِ في علمِهم وعملِهم ، وفي إرشادِهمُ الأمةَ إلىٰ ما فيهِ صلاحُ الدنيا والآخرةِ ، فلا تظنَّ يا أخي أنَّ أحداً منهم كانَ يحبُّ التقدُّمَ على الناسِ في شيءٍ مِنْ أمورِ الدنيا ، بل كانَ أحدُهم يكرهُ الفُتْيا ، ويقولُ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْمُفْتِي يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ »(١) .

وكانَ عبدُ الرحمٰنِ بنُ أبي ليلىٰ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْتُ مئةً وعشرينَ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فما كانَ منهم محدِّثٌ إلا ويودُّ أنَّ أخاهُ كانَ كفاهُ الحديثَ ، ولا مُفتٍ إلا وكانَ يودُّ أنَّ أخاهُ كفاهُ الفتيا)(٢) .

وكانَ يزيدُ بنُ أبي حبيبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ مِنْ فتنةِ العالِمِ في دينِهِ أنْ يكونَ الكلامُ أحبَّ إليهِ مِنَ السكوتِ والاستماعِ)(٣) .

وقيلَ للإمامِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ فلاناً كثيرُ العبادةِ ، فقالَ : نعم ،

(١) رواه الدارمي في « سننه » (١٣٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٥٣) ، كلاهما من قول محمد بن المنكدر رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٨) ، والدارمي في « سننه » (١٣٧) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٩١٠) .

ولـٰكنَّهُ يتكلَّمُ كلامَ شهرٍ في جمعةٍ ، وفي روايةٍ : في ساعةٍ(١) .

وكانَ الشعبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (جهدْنا كلَّ الجهدِ في إبراهيمَ التيميِّ أنْ يجلسَ للناسِ في المسجدِ ليحدِّثَهم فأبىٰ) ، وكانَ إذا دخلَ المسجدَ لا يستندُ إلىٰ ساريةٍ ولا إلىٰ جدارٍ(٢) .

وكانَ الزهريُّ رضيَ اللهُ عنهُ معَ وفورِ علمِهِ لا يفتي ، ويقولُ : (مَنْ أفتىٰ بغيرِ وفورِ علمٍ كانَ للإمامِ معاقبتُهُ) .

وكانَ [حامدٌ] اللفافُ رحمَهُ اللهُ يقولُ(٣) : (المفتي علىٰ شفيرِ جهنَّمَ) .

قلْتُ : ولذلك لم يتصدَّرْ غالبُ القومِ للفتيا أبداً ؛ احتياطاً لأنفسِهم .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (بذلُ الدنانيرِ للقومِ أحبُّ إليَّ مِنْ بذلِ الحديثِ لهم ، وأهونُ علىٰ نفسي)(٤) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ خفقَ النِّعالِ حولَ الرجالِ قلَّما يَثبُتُ معَهُ قلوبُ الحمقىٰ مِنْ أمثالِنا)(٥) .

---

(١) أورده بنحوه ابن الحاج في « المدخل » (٢/ ١٢٤) .
وفي هامش (ج) : (وهـٰذا من باب الإرشاد ؛ فلا يُحمل على الغِيبة المذمومة . انتهىٰ) .

(٢) روىٰ بعضه الحسين المروزي في زوائده على « الزهد » لابن المبارك (١٠٩٩) من قول الأعمش رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في جميع النسخ المعتمدة : (حماد) بدل (حامد) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٨٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٣٩٦) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٠) .

والتفتَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً ، فرأى الناسَ يمشونَ خلفَهُ ، فقالَ : (واللهِ ؛ لو رأيتُم ما أصنعُ إذا أغلقْتُ بابي مِنَ الغفلةِ عنِ اللهِ واشتغالي بالعيالِ . . ما تبعَني منكمُ اثنانِ)[1] .

ونظرَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ أبيِّ بنِ كعبٍ والناسُ حولَهُ ، فعلاهُ بالدِّرَّةِ ، وقالَ : (إنَّها فتنةٌ للمتبوعِ ، وذلةٌ للتابعِ)[2] .

وكانَ سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لِمَنْ يراهُم يمشونَ خلفَهُ : (هـٰذا خيرٌ لكم وشرٌّ لي ، فإنْ شئتُم فارجعوا عنِّي)[3] .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ إذا مشىٰ فتبعَهُ أحدٌ يقولُ لهُ : (ارجعْ ، أعوذُ باللهِ مِنْ شرِّكم)[4] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ يقولُ : واللهِ ؛ لولا اتِّقاءُ ألسنتِكم ما حدَّثْتُكم ، فقيلَ : يا أبا محمدٍ ؛ لعلَّ اللهَ أنْ ينفعَ الناسَ بعلمِكَ ؟ فقالَ : هـٰذا بعيدٌ ؛ فإنِّي إذا لم أنتفعْ أنا بعلمي ، فكيفَ ينتفعُ بهِ غيري ؟!

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أحبَّ أنَّكم تجلسونَ إليهِ فلا تجلسوا إليهِ ؛ كما أنَّ مَنْ أحبَّ أنَّكم تقومونَ لهُ فلا تقوموا لهُ)[5] .

---

(١) رواه بنحوه الدارمي في « سننه » (٥٤٩) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٨٤٠) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٥١) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٨٣٩) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٥) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٩٦٢) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٢٥) من قول إبراهيم النخعي رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ يحيى بنُ سعيدٍ يقولُ لأصحابِهِ : (إذا استحلى أحدُكمُ الحديثَ فلا يحدِّثْ)[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لقد أدركْنا أقواماً كانَتِ الكلمةُ مِنَ الحكمةِ تبدو لأحدِهم فيكتُمُها ؛ خوفَ الشهرةِ ، ولو أنَّهُ كانَ نطقَ بها لنفعَتْهُ ونفعَتْ أصحابَهُ)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يكرهونَ إذا اجتمعوا أنْ يُخرِجَ الرجلُ أحسنَ ما عندَهُ مِنَ الكلامِ)[3] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (إنَّ للهِ عباداً أسكتَتْهم خشيةُ اللهِ ، وإنَّهم لهمُ الفصحاءُ)[4] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يجلسُ في الجامعِ إلا جامعٌ) ؛ يعني : للدنيا ، أو للعلومِ التي يعجزُ عنِ العملِ بها .

وقالَ خلفُ بنُ إسماعيلَ لسفيانَ الثوريِّ يوماً : إنِّي أراكَ تنبسطُ إذا حدَّثْتَ الناسَ ، ويعلو صوتُكَ ، وإذا كنْتَ لم تحدِّثْ أراكَ كالميتِ ، فقالَ لهُ : يا أخي ؛ أما علمْتَ أنَّ للكلامِ فتنةً[5] .

---

(١) روىٰ نحوه الخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث » (ص ١٠٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ١٨٥) من قول بشر بن الحارث رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٨) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٩) ، وابن أبي الدنيا في « الإخلاص والنية » (٥٣) ، كلاهما من قول إبراهيم النخعي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٩٥) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٢٣١) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٣) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما جلسَ إليَّ أكثرُ مِنْ ثلاثةِ أنفسٍ إلا تنكَّرَتْ عليَّ نفسي)[1] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (همَّةُ السفهاءِ الروايةُ ، وهمَّةُ العلماءِ الدرايةُ والرعايةُ)[2] .

وكانَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ يكرهُ القصصَ ـ يعني : الوعظَ ـ ويقولُ : إنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ دخلَ مسجدَ الكوفةِ ، فرأىٰ قاصّاً يقصُّ على الناسِ ، فقالَ : مَنْ هـٰذا ؟ فقالوا : شخصٌ يحدِّثُ ، فقالَ : إنَّ هـٰذا رجلٌ يقولُ : اعرفوني ، اعرفوني ؛ أنا فلانٌ ، أنا فلانٌ[3] .

ومرَّ إبراهيمُ بنُ أدهمَ علىٰ حَلْقةِ الأوزاعيِّ ، فرأىٰ زحاماً كثيراً ، فقالَ : لو كانَ هـٰذا الزحامُ علىٰ أبي هريرةَ لعجزَ عنهُ ، فبلغَ ذلكَ الأوزاعيَّ ، فتركَ التحديثَ مِنْ ذلكَ اليومِ[4] .

وقَدِمَ عيسى بنُ يونسَ مكةَ ، فأحاطَ بهِ الناسُ في المسجدِ الحرامِ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٤) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (٣٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ١٨٣) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه أبو جعفر النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٧) ، وابن الجوزي في « نواسخ القرآن » (ص ١٥١ـ ١٥٢) .

وروي عن السلف الصالح كراهة الجلوس إلى القُصَّاص ؛ **من ذلك** : ما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٨٧) عن أبي قلابة رحمه الله تعالىٰ قال : (ما أمات العلم إلا القُصَّاص ؛ يجالس الرجلُ الرجلَ القاصَّ سنة ، فلا يتعلق منه بشيءٍ ، ويجلس إلى العالم فلا يقوم حتىٰ يتعلق منه بشيءٍ) .

(٤) رواه ابن منده في « مسند إبراهيم بن أدهم » (٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢٩١) .

وازدحموا عليهِ ، فمرَّ بهِ الفضيلُ بنُ عياضٍ ، فدنا منهُ وقالَ لهُ : يا أخي ؛ انظرْ إلىٰ قلبِكَ ، فلعلَّهُ تغيَّرَ مِنْ كثرةِ الازدحامِ عليكَ ، فنظرَ في نفسِهِ ساعةً ، ثمَّ قامَ وتركَ المجلسَ مِنْ ذلكَ اليومِ .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنِ استطعْتَ أنْ تكونَ عالماً لا يعرفُكَ الناسُ فافعلْ ؛ فإنَّ الناسَ لو عرفوا ما في نفسِكَ لأكلوا لحمَكَ)[١] .

وطلبَ الناسُ مِنْ سفيانَ بنِ عيينةَ أنْ يجلسَ للحديثِ ، فأبىٰ وقالَ : (ما أنا بأهلٍ أنْ أُحدِّثَ ، ولا أنتم بأهلٍ أنْ تسمعوا ، وما مَثَلي ومَثَلُكم إلا كما قالَ القائلُ : افتَضحُوا فاصطَلَحُوا)[٢] .

وقالوا لعلقمةَ رضيَ اللهُ عنهُ : ألا تجلسُ فتحدِّثَنا فتؤجَرَ ؟ فقالَ : أما يرضى المتكلمُ أنْ ينجوَ كفافاً[٣] ؛ **يعني** : لا لهُ ولا عليهِ .

ولمَّا تركَ بشرٌ الحافي الجلوسَ للتحديثِ قالوا لهُ : ماذا تقولُ لربِّكَ يومَ القيامةِ إذا قالَ لكَ : لِمَ تركْتَ تحديثَ الناسِ بأحاديثِ نبيِّي محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟ فقالَ : أقولُ : يا ربِّ ؛ قد أمرْتَني بالإخلاصِ في ذلكَ ، ولم أجدْ عندَ نفسي إخلاصاً[٤] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٣٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٧) .

(٢) سبق تخريجه (ص٩٩) .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٢١١٧) من قول الشعبي رحمه الله تعالىٰ ، والدينوري في « المجالسة » (٣٠٩٨) من قول الربيع بن أبي راشد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة**) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يحدِّثُ ، فإذا وجدَ لذةً في نفسِهِ مِنْ حسنِ كلامِهِ وكُبْرِ حلقتِهِ مثلاً . قامَ مرعوباً ، وتركَ التحديثَ ، وقالَ : أُخِذْنا والعياذُ باللهِ ونحنُ لا نشعرُ[1] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**لا يخلو القاصُّ مِنْ إحدىٰ ثلاثٍ** : إمَّا أنْ يسمِّنَ قولَهُ بما يُهزِلُ دِينَهُ ، وإمَّا أنْ يعجبَ بقولِهِ ، وإمَّا أنْ يقولَ ما لا يفعلُ)[2] .

قلْتُ : وما قالهُ محمولٌ على الغالبِ ، وإلا فالعارفُ مطلوبٌ منهُ أنْ يسمِّنَ قولَهُ ، ويُعجَبَ بهِ مِنْ حيثُ كونُهُ شرعاً لغيرِهِ ، ويتَّهِمَ نفسَهُ بأنَّهُ يقولُ ما لا يفعلُ ؛ إذ لا يخرجُ أحدٌ عنِ اللَّومِ ولو بالغَ في العملِ والإخلاصِ ، وذلكَ محمولٌ عنِ الخلقِ .

وكانَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كثيرٌ مِنَ الناسِ يعيشُ الناسُ بعلمِهِم ، ويهلِكونَ في نفوسِهِم)[3] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تكنْ ممَّنْ يجمعُ علمَ العلماءِ ويفعلُ أفعالَ السفهاءِ)[4] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كنْتُ آتي أنسَ بنَ مالكٍ أنا وثابتٌ البُنانيُّ ويزيدُ الرَّقاشيُّ ؛ نسمعُ منهُ الحديثَ ، فيقولُ : ما أشبهَكم

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٤) .

(٢) رواه ابن الجوزي في « القصاص والمذكرين » (٥٣) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٤٨) ، والدارمي في « سننه » (٣٧٣) .

(٤) أورده بنحوه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢٦٢) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢١٩) .

بأصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ثمَّ يقولُ : رؤوسَكُم ولِحاكُم)[1] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (مَثَلُ الذي يحملُ العلمَ ولا يعملُ هو بهِ كَمَثَلِ الأعمىٰ ؛ يحملُ سراجاً ليستضيءَ بهِ غيرُهُ)[2] .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّ العلماءَ إذا لم يعملوا بعلمِهم قالوا للناسِ : خذوا منَّا علمَنا ولا تقتدوا بنا في تركِ الأعمالِ الصالحةِ ؛ لِتَنْجوا[3] ، ولـٰكنَّهم لبَّسوا على الناسِ ، وادَّعَوُا العملَ ؛ فجرُّوا الناسَ إلىٰ أعمالِهمُ الخبيثةِ)[4] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (إنْ كنتُم علماءَ حكماءَ فلا تجعلوا أسماعَكم غرابيلَ تمسكُ النُّخالةَ ، وترسلُ الطحينَ) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا ناظرْتَ عالماً فغضبَ . . فلا تخفْ منهُ ؛ لأنَّهُ لم يبقَ لهُ رأسُ مالٍ مِنْ دِينٍ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ للعلماءِ : (لقد شِنْتُمُ العلمَ ،

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٣٩٨) .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٣٤) ، ورواه بنحوه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢١٩) ، والخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (١٠٦) .

(٣) في (أ ، ب ، ج ، د) : (لنجوا) بدل (لتنجوا) ، فتكون (لو) عندئذ للشرط و(لنجوا) جوابها ، أما على المثبت من (هـ) فتكون (لو) للتحضيض ، والمثبت أقرب والله أعلم ؛ لأن قول العلماء للناس : (خذوا منا علمنا . . .) مع عدم عملهم به . . لا يكفي لنجاتهم كما دلت عليه الأخبار إلا إن شاء الله العفو والمغفرة .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٠) .

وأذهبْتُم قَدْرَهُ) ، ثمَّ يقولُ : (واللهِ ؛ لو رأىٰ عمرُ بنُ الخطابِ أحداً مثلي وهو يحدِّثُكم . . لأوجعني وإيَّاكم ضرباً)[١] .

وكانَ الأعمشُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لي نحوُ عشرينَ سنةً ما رأيتُ عالماً مخلصاً في علمِهِ ، إنَّما صارَ العلمُ حرفةً للمفاليسِ) .

وكانَ شعبةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما رأيتُ أحداً طلبَ الحديثَ خالصاً إلا هشاماً الدَّسْتوائيَّ رضيَ اللهُ عنهُ)[٢] .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قد رضيَ علماءُ زمانِنا هـٰذا بالكلامِ ، وتركوا العملَ ، وقد كانَ السلفُ يفعلونَ ولا يقولونَ ، ثمَّ صاروا يفعلونَ ويقولونَ ، ثمَّ صاروا يقولونَ ولا يفعلونَ ، وسيأتي زمانٌ لا يقولونَ فيهِ ولا يفعلونَ)[٣] .

وكانَ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السلميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يتعلَّمونَ القرآنَ عشرَ آياتٍ عشرَ آياتٍ ، فلا ينتقلونَ مِنْ عشرٍ إلا إنْ عملوا بها)[٤] .

---

(١) رواه الدارمي في « سننه » (٦٠١) ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٩٥٨) ، كلاهما بنحوه من قول عبيد الله بن عمر العمري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٩/ ٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٧٨) .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١١٦٠) من قول عمر بن الحارث رحمه الله تعالىٰ ، وروىٰ نحوه (١٥٠٨) عن أبي حازم رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٥٤٩) ، والإمام أحمد في « المسند » (٥/ ٤١٠) .

وقيلَ للشعبيِّ مرَّةً : أَفْتِنا أيُّها العالمُ ، فقالَ : لا تقولوا لِمِثْلي : عالمٌ ؛ فإنَّ العالمَ هو الذي تقطَّعَتْ مفاصلُهُ مِنْ خشيةِ اللهِ[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (العالمُ طبيبُ الدينِ ما لم يجلبِ الدنيا بعلمِهِ ، فإذا جلبَ الدنيا بعلمِهِ فقد جرَّ الداءَ إلىٰ نفسِهِ ، وإذا جرَّ الداءَ إلىٰ نفسِهِ فكيفَ يَطُبُّ غيرَهُ ؟!)[2] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لن تهلِكَ أمةٌ إلا مِنْ جهةِ علمائِها السوءِ ؛ جلسوا علىٰ طريقِ الرحمـٰنِ ، فقطعوا الطريقَ علىٰ عبادِ اللهِ بأعمالِهِمُ الخبيثةِ)[3] .

وكانَ مالكُ بنُ مِغْوَلٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ الناسِ شرٌّ ؟ فقالَ : « ٱلْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا »[4] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ مَنْ يطلبُ العلمَ للهِ تعالىٰ** : أنْ يتخلَّقَ بالزهدِ والورعِ والخشيةِ مِنَ اللهِ ، ويحتملَ الأذىٰ مِنْ جميعِ الأمةِ)[5] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨١٨) ، والدارمي في « سننه » (٢٦٤) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٦١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٧٤٥) .

(٣) روىٰ نحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٧٤٧) من قول بشر بن الحارث رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١١٧٢) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٥) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٠) .

وكانَ محمدُ بنُ سيرينَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ذهبَ العلماءُ ولم يبقَ مِنْ علمِهم إلا غَبَراتٌ في أوعيةِ سَوْءٍ)[1] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ العالمَ إذا لم يكنْ زاهداً فهو عقوبةٌ لأهلِ زمانِهِ وفتنةٌ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يا أهلَ العلمِ ؛ قد صارَتْ بيوتُكم كِسْرَوِيَّةً ، وأخلاقُكم شيطانيةً ، فأينَ المحمَّديَّةُ ؟!)[2] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي أخافُ أنْ يقالَ لي : يا عويمرُ ؛ ماذا صنعْتَ بما علمْتَ ؟)[3] .

وسئلَ الإمامُ مالكٌ مرةً عنِ الراسخينَ في العلمِ ، فقالَ : همُ العاملونَ بهِ ، المتبعونَ لآثارِ مَنْ قبلَهم[4] .

وسئلَ الشعبيُّ عن مسألةٍ ، فقالَ : لا أدري ، فقالوا لهُ : ألا تستحيي مِنْ قولِكَ هٰذا وأنتَ عالمُ العراقِ ؟! فقالَ : إنَّ الملائكةَ أكثرُ أدباً وعلماً منَّا ، ولم تستحْيِ مِنْ قولِها : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة : ٣٢][5] .

---

(١) رواه ابن المقرئ في « معجمه » (٤٨٩) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٠٢٢) .

(٢) رواه الحافظ السلفي في « معجم السفر » (٨٠٤) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٢٥) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٢٦) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢٠٤) .

(٤) سبق تخريجه (ص ١٠٠) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الإشراف » (٢٥٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥٥٨) .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يكونُ في آخرِ الزمانِ علماءُ يتغايرونَ على القربِ مِنَ الأمراءِ تغايرَ الرجالِ على النساءِ ، أولـٰئكَ شرارُ خلقِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[1] .

وكانَ المعتمرُ بنُ سليمانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إياكم أنْ تقولوا : إنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعبوا الشطرنجَ ، أو لبسوا المعصفرَ ، أو شربوا النبيذَ المثلَّثَ ؛ فتكونوا فاسقينَ ، إنَّما فعلَ أحدُهم ذلكَ قبلَ بلوغِهِ النهيَ عنهُ ، فأينَ أنتم منهم وأنتم تقعونَ فيما يخالفُ كتابَ ربِّكم وسنةَ نبيِّكم وأنتم تعلمونَ ؟!) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ اكتفىٰ بالكلامِ مِنَ العلمِ دونَ الزهدِ والفقهِ . . تزندقَ ، ومَنِ اكتفىٰ بالزهدِ دونَ الفقهِ والكلامِ . . تبدَّعَ ، ومَنِ اكتفىٰ بالفقهِ دونَ الزهدِ والكلامِ . . تفسَّقَ ، ومَنْ جمعَ بينَ هـٰذهِ الأمورِ كلِّها . . تخلَّصَ)[2] .

وكانَ الأوزاعيُّ رحمَهُ اللهُ يتكلَّمُ بالكلامِ العاديِّ مِنْ غيرِ إعرابٍ ، ويقولُ : (إذا جاءَ الإعرابُ ذهبَ الخشوعُ ، ولقد أعربْنا في كلامِنا ولحنَّا في أعمالِنا)[3] .

وكانَ أبو حفصٍ الحدادُ رحمَهُ اللهُ يقولُ لعلماءِ زمانِهِ : (إلىٰ متىٰ تكتبونَ

---

(١) سبق تخريجه (ص١١٠) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٩٣) ، كلاهما من قول أبي بكر الورّاق رحمه الله تعالىٰ .

(٣) سبق تخريجه (ص١٠٥) .

الكراريسَ والدواوينَ ؟! إنَّما العلمُ آلةٌ ، فإذا حضرَ العدوُّ وأنتَ تجمعُ الآلةَ . . فمتىٰ تقاتلُ ؟!)[1] .

وكانَ مالكُ بنُ أنسٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا أحبَّ العالمُ أنْ يُعرفَ بالعلمِ فهو شرٌّ مِنْ إبليسَ)[2] .

قلتُ : ولعلَّ مرادَهُ : مَنْ أحبَّ أنْ يُعرفَ لغيرِ غرضٍ شرعيٍّ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّ العلماءَ أحبُّوا أنْ يُعرفوا ما عُرِفوا)[3] .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ رحمَهُ اللهُ يقولُ لعلماءِ زمانِهِ : (كم مِنْ مذكِّرٍ باللهِ منكم وهو لهُ ناسٍ ! وكم مِنْ مخوِّفٍ مِنَ اللهِ وهو جريءٌ علىٰ معاصيهِ ! وكم مِنْ مقرِّبٍ إلى اللهِ وهو بعيدٌ منهُ ! وكم مِنْ داعٍ إلى اللهِ وهو فارٌّ منهُ !)[4] .

ووقفَتِ امرأةٌ يوماً تنظرُ إلىٰ إبراهيمَ بنِ يوسفَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لها : ألكِ حاجةٌ ؟ فقالَتْ : لا ؛ غيرَ أنَّكم ترَوْنَ النظرَ إلىٰ وجهِ العالمِ عبادةً ؛ فأنا أنظرُ إليكَ لأجلِ ذلكَ ، فبكىٰ إبراهيمُ حتىٰ خنقَتْهُ العَبرةُ ، فلمَّا أفاقَ قالَ : يا هـٰذهِ ؛ غَلِطْتِ فيَّ ، إنَّ الذينَ كانَ النظرُ إلىٰ وجوهِهم عبادة

---

(1) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٤١) ، والخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (٦١) ، كلاهما بنحوه من قول داود الطائي رحمه الله تعالىٰ .

(2) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » من قول بشر بن الحارث رحمه الله تعالىٰ .

(3) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة » (١٦٩) من قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(4) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٠٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٧٧١) .

قد صاروا في المقابرِ بينَ أطباقِ الثرىٰ منذُ أربعينَ سنةً ؛ مثلُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وخلفِ بنِ أيوبَ ، وشقيقٍ البلخيِّ وأضرابِهم ، فسيري إلىٰ مقابرِهم ، فانظري ألواحَها ، وتأمَّلي فيها .

وكانَ بشرُ بنُ الحارثِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما رأيتُ أحداً في زمانِنا هـٰذا أُوتيَ العلمَ إلا أكلَ بدينِهِ ، ما عدا أربعةً : إبراهيمَ بنَ أدهمَ ، ووهيبَ بنَ الوردِ ، وسليمانَ الخواصَ ، ويوسفَ بنَ أسباطٍ)[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أبكاهُ علمُهُ فهو العالمُ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] ، وقالَ تعالىٰ فيهم : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨]) انتهىٰ[2] .

فانظرْ يا أخي في نفسِكَ ؛ هل وفَّيْتَ بحقِّ علمِكَ كما وفَّىٰ هـٰؤلاءِ ؟ واستغفرِ اللهَ تعالىٰ مِنْ كلِّ ذنبٍ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢٨٩) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٥) ، و أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٨٨) ، كلاهما بنحوه من قول عبد الأعلى التيميِّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة**) .

[صور من الورع]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الحطِّ على أصحابِهم إذا خالطوا الأمراءَ ، وكثرةُ شكرِهم لمَنْ نصحَهم ، وكثرةُ اعتقادِهمُ الفسقَ في نفوسِهم كلَّما كثرَ علمُهم ؛ لعلمِهم بعجزِ الإنسانِ غالباً عنِ العملِ بكلِّ ما علمَ ، وإذا لم يعملِ الإنسانُ بكلِّ ما علمَ انسحبَ عليهِ اسمُ الفسقِ فيما لم يعملْ بهِ ؛ فإنَّ مِنَ العملِ بالعلمِ البُعدَ عنِ الأمراءِ ، وعدمَ اتِّخاذِ العلمِ شبكةً يصطادُ أحدُهم بها الدنيا والمناصبَ ، وعدمَ الفرحِ بكُبْرِ حَلْقتِهِ في درسِهِ ، وعدمَ اللذةِ بقولِهم : فلانٌ عالمٌ عاملٌ ، أو : أعلمُ ممَّنْ كانَ في هـٰذهِ البلدةِ ؛ كما أنَّ مِنْ عدمِ العملِ بالعلمِ أنْ يغتمَّ الشخصُ بأضدادِ هـٰذهِ الصفاتِ .

وكانَ سيدي عليٌّ الخوَّاصُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ علامةِ عدمِ العملِ بالعلمِ : محبَّةُ الصيتِ بالصلاحِ ، والاشمئزازُ مِنْ قولِهم : فلانٌ مِنْ كلابِ الدنيا ، أو : مُراءٍ بعلمِهِ وعملِهِ) ، ونحوَ ذلكَ ممَّا ذكرناهُ في كتابِ « العهودِ » .

فعُلِمَ : أنَّ مَنْ فرِحَ بما ذكرناهُ أوِ انقبضَ خاطرُهُ مِنْ ضدِّهِ . . فهو لم يعملْ بعلمِهِ ، فلْيبكِ على نفسِهِ .

وقد رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا »(١) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ١٧٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » =

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ في بني إسرائيلَ قرَّاءٌ فسقةٌ ، وسيكونُ في هٰذهِ الأمةِ قراءٌ فسقةٌ)[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (استعيذوا باللهِ مِنْ أمورٍ تَحدُثُ في القرَّاءِ بعدَ مئتي سنةٍ)[2] .

وكانَ يقولُ : مَنْ يدخلُ النارَ تفسُّقاً أخفُّ ممَّنْ يدخلُها تبدُّعاً ، وأخفُّ ممَّنْ يدخلُها تقرُّباً وهو مُراءٍ بعملِهِ ولا يشعرُ ، فبلغَ ذلكَ ابنَ المباركِ فقالَ : وأنا أقولُ : مَنْ دخلَ النارَ بالمعاصي الظاهرةِ فهو أخفُّ ممَّنْ دخلَها بالرياءِ والسمعةِ .

وكانَ حبيبٌ العجميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما كنَّا نظنُّ أنَّنا نعيشُ إلىٰ زمانٍ صارَ الشيطانُ يلعبُ بالقرَّاءِ فيهِ كما يلعبُ الصبيانُ بالأُكْرةِ)[3] .

وكانَ ابنُ أبي رَوَّادٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كانَ زناةُ أهلِ الجاهليةِ أكثرَ حياءً مِنْ قرَّاءِ زمانِنا)[4] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ إنِّي لأخشىٰ إذا قيلَ يومَ القيامةِ : أينَ القرَّاءُ الفسقةُ ؟ أنْ يقالَ : وهٰذا منهم ، فخذوهُ) .

= (١٣/ ١٧) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٥٢٤) ، وأبو داود في « الزهد » (٨) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٧٢١) من قول يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٥٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/ ٥٧) ، وقال في « القاموس المحيط » (أ ك ر) : (**الأُكْرة** بالضم : لُغَيَّةٌ في الكرة) .

(٤) رواه ابن عدي في « الكامل » (٦/ ٥٠٨) ، وابن نصر في « فوائده » (١١٩) .

وقالَ رجلٌ لحمادِ بنِ زيدٍ : أوصِني ، فقالَ : إيَّاكَ أنْ تجعلَ لكَ اسماً معَ القراءِ في صحيفةٍ[1] .

وكانَ الإمامُ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ ـ وكذلكَ مالكُ بنُ دينارٍ ـ : (لا تُقبلُ شهادةُ القرَّاءِ علىٰ بعضِهم بعضاً ؛ لأنَّا وجدْناهم حُسَّداً)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (احذروا القرَّاءَ ، واحذروني معَهم ؛ فإنِّي لو خالَفْتُ أكثرَهم وُدّاً لي في رمَّانةٍ ، وقلْتُ : هي حامضةٌ ، فقالَ هو : بل هي حلوةٌ . . لا آمنُ أنْ يسعىٰ في قتلي عندَ سلطانٍ جائرٍ)[3] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أشتهي أنْ تكونَ داري بعيدةً عنِ القرَّاءِ ، ما لي ولقومٍ إنْ رأَوْني في نعمةٍ حسدوني ، وإنْ رأَوْني في زلَّةٍ هتكوني ؟!)[4] .

وكانَ ذو النُّونِ المصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إياكَ والقربَ مِنَ القرَّاءِ ؛ فإنَّهم ربَّما حسدوكَ فرمَوكَ بالبهتانِ والزُّورِ ، وقُبلَ ذلكَ منهم) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما أقبحَ قلَّةَ ورعِ العالمِ ! وما أقبحَ قولَ الناسِ : إنَّ العالمَ الفلانيَّ حجَّ بمالِ الأميرِ الفلانيِّ ، أو مِنْ مالِ المرأةِ الفلانيةِ !) .

---

(١) روىٰ نحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٠٧) من قول مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٩٤٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧٨) .

(٣) روىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٨٨١) .

(٤) روىٰ نحوه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٢٥) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٥٣) .

وفي الحديثِ : « سَيَأْتِي عَلَىٰ أُمَّتِي زَمَانٌ يَكُونُ سَمَاعُكُمْ بِٱسْمِ ٱلرَّجُلِ خَيْراً مِنْ أَنْ تَلْقَوْهُ ، وَلَوْ لَقِيتُمُوهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُجَرِّبُوهُ ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ جَرَّبْتُمُوهُ أَبْغَضْتُمُوهُ وَأَبْغَضْتُمْ عَمَلَهُ » انتهىٰ .

قلْتُ : ويؤيِّدُهُ حديثٌ رُوِيَ مرفوعاً : « ٱخْبُرْ تَقْلِهْ »(١) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كيفَ تحمدونَ القرَّاءَ معَ غِلَظِ رقابِهم ، ورقَّةِ ثيابِهم ، وأكلِهم مخَّ الحنطةِ ؟! واللهِ ؛ إنَّ سفَّ الرمادِ لَكثيرٌ علىٰ مَنْ يخشى اللهَ ويتقيهِ)(٢) .

وكانَ يوسفُ بنُ أسباطٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لمَّا ماتَ سفيانُ الثوريُّ قالَ بعضُ العلماءِ للقرَّاءِ : معاشرَ القراءِ ؛ كلوا الآنَ الدنيا بالدِّينِ ، فقد ماتَ الثوريُّ)(٣) ؛ لكونِهِ كانَ أشدَّ الناسِ حطّاً على القرَّاءِ ومناقشةً لهم .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لن تزالَ العلماءُ في

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٥٤) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٤٩٣) ، من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وقال في « مسند الشاميين » عقب الحديث : (قال بقية : يعني : أنك إذا اختبرت الناس بدا لك من أكبرهم ما لا ترضىٰ منهم حتىٰ تقلاهم) .

وفي هامش (ج) : (عن أبي الدرداء بلفظ : « وجدت الناس : اخبر تقله » ، قوله : « اخبر » بضم الهمزة وسكون الخاء المعجمة ؛ أي : جرِّب ، و« تقله » : من قلاه يقليه إذا أبغضه ، والهاء في آخره هاء السكت ، يقول : جرِّب الناس ؛ فإنك إذا جرَّبتهم أبغضتهم وتركتهم ؛ لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . انتهىٰ) .

(٢) رواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١٠٤٣) ، والدينوري في « المجالسة » (٩٦١) ، كلاهما بنحوه عن أبي سعيد الهمداني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٥٤) من قول العمري رحمه الله تعالىٰ .

كنفِ اللهِ ما لم يَمِلْ قرَّاؤُهم إلىٰ أمرائِهم بالمحبةِ ، فإذا مالوا إليهم رفعَ اللهُ يدَهُ عنهم ، وسلَّطَ عليهمُ الجبابرةَ ، فساموهم سوءَ العذابِ ، وقذفَ في قلوبِهمُ الرعبَ)[1] .

وكانَ فرقدُ السَّبَخيُّ رحمَهُ اللهُ لم يزلْ يلبسُ الكساءَ ، فقالَ لهُ الحسنُ البصريُّ : (أتحسبُ أنَّ لكَ فضلاً على الناسِ بكسائِكَ هـٰذا ؟! قد وردَ : أنَّ أكثرَ أهلِ النارِ أصحابُ الأكسيةِ)[2] .

وقيلَ لمالكِ بنِ دينارٍ : ما لنا نراكَ تُعرضُ عنِ الشابِّ القارئِ الناسكِ ؟! فقالَ : إنَّما أُعرضُ عنهُ لكثرةِ تجرِبتي للقرَّاءِ .

وكانَ حذيفةُ بنُ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي لأكرهُ للعالمِ أنْ يقْرُبَ مِنْ أبوابِ الأمراءِ ؛ فإنَّها مواقفُ الفتنِ في دارِ الدنيا)[3] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كنَّا نتعلَّمُ اجتنابَ أبوابِ السلطانِ كما نتعلَّمُ السورةَ أوِ الآيةَ مِنَ القرآنِ)[4] .

وكانَ سعيدُ بنُ المسيبِ يقولُ : (إذا رأيتُمُ العالمَ يغشىٰ بابَ السلطانِ فهو لصٌّ)[5] .

---

(١) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٨٢١) ، وابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٤) مرسلاً .

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ١٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٥٦) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٨٨٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٧٧) .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٩٧٠) ، والتبريزي في « النصيحة للراعي والرعية » (ص ١٣٥) .

(٥) انظر (ص١٠٤) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (صحبةُ السلطانِ مخاطرةٌ عظيمةٌ ؛ فإنَّكَ إنْ أطعْتَهُ خاطرْتَ بدينِكَ ، وإنْ عصيتَهُ خاطرْتَ بنفسِكَ ، فالسلامةُ ألا تعرفَهُ ولا يعرفَكَ)(١) .

ولمَّا خالطَ الزهريُّ السلطانَ قامَ عليهِ الزهَّادُ ، وقالوا لهُ : (قد آنسْتَ وحشتَهُ)(٢) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (مَنْ يأتي بالفرائضِ فقطْ ولا يدخلُ على السلطانِ . . خيرٌ ممَّنْ يصومُ النهارَ ، ويقومُ الليلَ ، ويجاهدُ ويحُجُّ ، ويدخلُ على السلطانِ)(٣) .

وكانَ الثوريُّ يقولُ : (إذا رأيتُمُ الرجلَ يأتي القاضيَ بغيرِ حاجةٍ . . فلا تشهدوا فيهِ بالخيرِ ، ولا تسلِّموا عليهِ ، واتَّهِمُوهُ في دينِهِ)(٤) .

وكانَ الضحَّاكُ بنُ مزاحمٍ يقولُ : (مكثتُ ليلةً كاملةً أتفكَّرُ في كلمةٍ تُرضي السلطانَ ، ولا تُسخِطُ اللهَ تعالىٰ ، فلم أجدْها)(٥) .

وكانَ الأصمعيُّ يقولُ : (شرارُ الأمراءِ أبعدُهم عنِ العلماءِ ، وشرارُ العلماءِ أقربُهم مِنَ الأمراءِ) انتهىٰ(٦) .

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٢٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/٤٢) ضمن خبر طويل من كتاب أبي حازم الأعرج إلى الزهري رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٢٥) .

(٤) أورده بنحوه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١١١٨) من قول سحنون رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٢٨) .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٤٣ـ٢٤٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » =

وقد ذكرْنا جملةً مِنَ الأحاديثِ المحذِّرةِ مِنَ القُرْبِ مِنَ الأمراءِ في كتابِ « العهودِ المحمديةِ » ، فراجعْها .

وتأمَّلْ يا أخي في نفسِكَ ؛ هل أنتَ متخلِّقٌ بالأخلاقِ الحسنةِ كما كانَ علماءُ السلفِ وصوفيتُهم ، أم أنتَ مخالفٌ لهم ؟ واستغفرِ اللهَ تعالىٰ مِنْ نيتِكَ في علمِكَ وعملِكَ ؛ فربَّما كانَ ذلكَ زادَكَ إلى النارِ ، وأنتَ تظنُّ أنَّهُ زادُكَ إلى الجنةِ ، **فاعلمْ ذلكَ** ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= (٢٢/ ٢٧) ، كلاهما بنحوه من قول سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

[تقديم نفقة أنفسهم لكيلا يتكلف غيرهم ذلك]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : إذا لم يكنْ لهم مالٌ وكانَ إخوانُهم يكسُونَهم وينفقونَ عليهم . . ألا يُكثِروا مِنْ إعطاءِ الناسِ الثيابَ والطعامَ ، بل يحملونَ كلفتَهم عن إخوانِهم ما أمكنَ ؛ وذلكَ لأنَّهم لا يَدَعونَ أحدَهم عُرياناً ولا جيعاناً(١) .

وقد كنتُ سلكْتُ هـٰذا المسلكَ ، فتوَّبَني عنهُ شيخي الشيخُ نورُ الدينِ الشَّوْنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقلْتُ لهُ : فإنْ أقسَمَ عليَّ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ أعطيَهُ ثوبي مثلاً ؟ فقالَ : لا تعطِهِ ، وقلِ : اللهمَّ ؛ صلِّ وسلِّمْ علىٰ سيدِنا محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ؛ بدلَ إعطائِكَ ذلكَ الثوبَ ، فقلْتُ لهُ : فإنْ أقسمَ عليَّ باللهِ ؟ فقالَ لي : قلْ : جلَّ اللهُ العظيمُ ، ولا تعطِهِ ؛ فإنَّ القسمَ إنَّما يستحبُّ للعبدِ إبرارُهُ إذا كانَ لهُ مالٌ ، وأمَّا مَنْ يُنفِقُ عليهِ الناسُ فلا يؤمرُ بإبرارِ القسمِ إلا بطريقٍ شرعيٍّ ، كألَّا يكونَ في طريقِ إعطائِهِ مانعٌ أشدُّ ضرراً مِنْ إبرارِ القسمِ .

ولمَّا علمَ إخواني مني أنَّني أعطي السائلَ جُوختي(٢) ، أو فروتي ، أو

---

(١) قوله : (جيعاناً) كذا في جميع النسخ المعتمدة مشياً على اللغة الدارجة في زمانه ، وصوابها : (جَوْعان) . انظر « تاج العروس » (ج و ع) .

(٢) **الجُوخة** : اسم لباس من الجوخ . انظر « تكملة المعاجم العربية » (ج و خ) .

عمامتي ، ولا أتوقفُ . . صارَ أحدُهم يقفُ ما يعطيهِ عليَّ مِنَ الثيابِ ، وبعضُهم يجعلُهُ عاريَّةً عندي فقطْ ، وبعضُهم يعلِّقُ طلاقَ زوجتِهِ بالثلاثِ علىٰ إعطاءِ ذلكَ لأحدٍ بغيرِ إذنِهم ، فلهـٰذا العذرِ أشُحُّ في بعضِ الأوقاتِ على السائلِ ولا أعطيهِ ، ولو أنَّهُ كانَ سألَني ما هو لي لم أشحَّ عليهِ بحمدِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولو كانَ جُوختي الجديدةَ ، أو صوفي الجديدَ في أولِ يومٍ لبستُهُ .

فإيَّاكَ يا أخي والمبادرةَ إلىٰ سوءِ الظنِّ بأحدٍ مِنْ أشياخِ الطريقِ إذا دخلَ عليهِ عُريانٌ وسألَهُ ثوباً مِنْ ثيابِهِ مثلاً فلم يعطِهِ ، وتقولَ : هـٰذا خروجٌ عن طريقِ الفقراءِ ، بلِ افحصْ قبلَ ذلكَ عنِ القضيَّةِ ، فربَّما كانَ ذلكَ الشيخُ لهُ عذرٌ ممَّا قدَّمْناهُ ، ولم يمنعْ ذلكَ عنِ العريانِ لشحٍّ في نفسِهِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كتمان ما ينكره الناس من الكرامات]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كتمانُهم عن أهلِ عصرِهم كلَّ ما ينكرونَهُ مِنَ الكراماتِ ؛ فإنَّ إظهارَ الكراماتِ حينئذٍ لا فائدةَ فيهِ ، اللهمَّ إلا أنْ يترتَّبَ علىٰ ذلكَ مصلحةٌ شرعيةٌ ، فلا حرجَ على الوليِّ في الإظهارِ .

وفي حالِ كتابتي لهـٰذا الموضعِ رأىٰ شخصٌ مِنَ الصالحينَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، وأرسلَ ليَ السلامَ معَهُ بأمارةٍ صحيحةٍ وقعَتْ لي تلكَ الليلةَ ، وسألَهُ الرائي عن مسألةٍ ، فأجابَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنها ، فلمَّا رآهُ قد توقَّفَ في فهمِها قالَ لهُ : (اذهبْ إلىٰ مصرَ واسألْ عنها عبدَ الوهابِ الشعرانيَّ ؛ فإنَّهُ يشرحُها لكَ) ، وكانَ الرائي في ناحيةِ جرجةَ بلدِ ابنِ عمرَ ، فسافرَ علىٰ إثرِ الرؤيا إليَّ ، ففسرْتُها لهُ ، قالَ : ولم يكنْ لي في مصرَ حاجةٌ إلا الاجتماعُ بكَ ؛ امتثالاً لقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، والأمارةُ هي صلاتي عليهِ كلَّ ليلةٍ عندَ النومِ ألفَ مرةٍ . انتهىٰ .

وقد كنْتُ ذكرْتُ في هـٰذا الكتابِ أنَّ مِنْ أخلاقِ القومِ أنَّهم يصلونَ خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلَّما صلَّىٰ صلاةً مِنَ الخمسِ في قبرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأنَّهم يسمعونَ رَدَّهُ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ السلامَ عليهِم حينَ يقولونَ في تشهُّدِهم : السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، فتوقَّفَ في ذلكَ بعضُ طلبةِ العلمِ ، وقالَ : ما مِنْ كرامةٍ إلا وهي

موروثةٌ مِنْ أحدٍ ممَّنْ سبقَ ، ولم يُنقلْ إلينا أنَّ أحداً مِنَ الصحابةِ سمعَ ردَّ السلامِ عليهِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ قبرِه بعدَ موتِهِ ، فلمَّا وقعَ توقُّفٌ في ذلكَ ، ولم أرَ أحداً يطلبُ الوصولَ إلىٰ ذلكَ المقامِ بالمجاهدةِ والرياضةِ . . رفعْتُ ذلكَ مِنَ الكتابِ ، علىٰ أنَّه ما مِنْ عامٍّ إلا ويصحُّ أنْ يُخصَّ منهُ أمرٌ ، كما هو مقرَّرٌ في علمِ الأصولِ إلا ما استُثنيَ شرعاً .

وقد نقلَ ابنُ زهرةَ في « تفسيرِه » : أنَّ مِنَ الكرامةِ التي لم يقعْ مثلُها لأحدٍ قبلَ صاحبِها إتيانَ آصَفَ بنِ برخيا بعرشِ بلقيسَ قبلَ أنْ يرتدَّ طرفُ سليمانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، وقالَ : (هٰذهِ كرامةٌ لم تكنْ موروثةً عن أحدٍ قبلَهُ مِنَ الأنبياءِ والأولياءِ) انتهىٰ .

وقد سمعْتُ سيِّدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يحقُّ لأحدٍ قَدَمُ الولايةِ المحمديةِ حتىٰ يصيرَ يجتمعُ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبالخَضِرِ وإلياسَ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ) ، قالَ : (وقد درجَ الصادقونَ كلُّهم علىٰ ذلكَ ، فلا يقدحُ فيهِ إنكارُ بعضِ المحجوبينَ عن ذلكَ) .

وقد كانَ سيِّدي العارفُ باللهِ تعالى الشيخُ أبو العباسِ المرسيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ لأصحابِهِ : أفيكم مَنْ إذا أرادَ اللهُ تعالىٰ أن يُظهرَ أمراً في الوجودِ أطلعَهُ عليهِ قبلَ أنْ يُظهرَهُ ؟ فيقولونَ : لا ، فيقولُ : أفيكم أحدٌ إذا سلَّمَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في صلاتِهِ يسمعُ ردَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليهِ السلامَ بأُذُنِهِ ؟ فيقولونَ : لا ، فيقولُ لهم : ابكُوا علىٰ قلوبٍ محجوبةٍ عنِ اللهِ وعن رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ يقولُ : واللهِ ؛ لوِ احتجبَ عني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لحظةً في ساعةٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ . لَمَا

عددْتُ نفسي مِنْ جملةِ الفقراءِ . انتهىٰ[1] .

ولـٰكنْ بينَ الفقيرِ وبينَ مقامِ الأخذِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسماعِ صوتِهِ بالردِّ عليهِ السلامَ مِنْ قبرِهِ . . مئتا ألفِ مقامٍ ، وسبعةٌ وأربعونَ ألفَ مقامٍ ، وتسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعونَ مقاماً ؛ ألفٌ إلا واحداً ، فمنِ ادَّعىٰ هـٰذا المقامَ طالبناهُ بهـٰذهِ المقاماتِ ، فإذا رأيناهُ لا يعرفُها كلَّها كذَّبْناهُ في دعواهُ .

وقدِ ادَّعىٰ هـٰذا المقامَ بعضُ جماعةٍ مِنْ أهلِ العصرِ في حياةِ سيدي الشيخِ عليٍّ المرصفيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لهم سيدي عليٌّ : مقصودي أسمعُ منكمُ الكلامَ علىٰ بعضِ مقاماتٍ ممَّا ذكرْتُم أنَّ اللهَ تعالىٰ خصَّكُم بها ، فلم يدرِ أحدُهم ما يقولُ ، فزجرَهم وقالَ : توبوا إلى اللهِ تعالىٰ قبلَ أنْ يمقتَكمُ اللهُ عزَّ وجلَّ ، وأخرجَهم مِنْ حضرتِهِ ، فماتوا علىٰ أسوأِ حالٍ .

فإيَّاكَ يا أخي أن تدَّعيَ شيئاً مِنَ المقاماتِ التي لم تصلْ إليها ؛ فتعاقبَ بحرمانِها .

وقد أخذَ جماعةٌ مِنْ أهلِ عصرِنا بجانبٍ من هـٰذا المقامِ ، وجعلوا علوَّ مقامِهم بالاجتماعِ بالباشاه ، والدفتردار ، وقاضي العسكرِ ، وصارَ أحدُهم إذا كانَ في مجلسٍ يقولُ : قلْتُ للباشاه كذا ، قالَ ليَ الباشاه كذا ، ونحوَ ذلكَ ، فهم أخفُّ حالاً ممَّنْ يقولُ : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) أورده بنحوه ابن عطاء الله السكندري في « لطائف المنن » (ص٩٢) ، والسيوطي في « حسن المحاضرة » (١/٥٢٣) .

كذا وكذا ، وهو غيرُ صادقٍ في ذلكَ ، فإنَّكَ لا تكادُ تسمعُ منهُ : قالَ لي رسولُ اللهِ ، أو قلْتُ لهُ أبداً كما كانَ عليهِ الأشياخُ الماضونَ الذينَ أدركْناهم ؛ كسيدي الشيخِ جلالِ الدينِ السيوطيِّ ، وسيدي عليٍّ الخوَّاصِ ، والشيخِ محمدٍ المنيرِ ، والشيخِ محمدِ بنِ داودَ ، وشيخِ الإسلامِ زكريا رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهم أجمعينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

(١) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة**) .

[المنع من تولي القضاء ، إلا إذا تعين شرعاً]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : ألا يمكّنوا أحداً ممَّنْ ينقادُ لهم أنْ يلِيَ القضاءَ ، أو شيئاً مِنَ الأماناتِ التي لا خلاصَ فيها غالباً ، إلا إنْ تعيَّنَ ذلك عليهِ بطريقِهِ الشرعيِّ[١] ؛ لِمَا وردَ مِنَ التحذيرِ مِنْ مِثْلِ ذلكَ[٢] .

وقد كانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تكنْ في هـٰذا الزمانِ إماماً ولا مؤذِّناً ولا عريفاً[٣] ، وإذا دفعَ أحدٌ إليك مالاً لتقسمَهُ . . فلا تقسمْهُ)[٤] .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أوَّلُ مَنْ يُدعىٰ إلى الحسابِ يومَ القيامةِ القضاةُ ، فلا ينجو منهم إلا القليلُ ، وكلُّ مَنْ ساعدَهم

---

(١) في (هـ) : (الإمارات) بدل (الأمانات) .

(٢) **من ذلك** : ما رواه مسلم (١٨٢٦) من حديث سيدنا أبي ذرٍ رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قال : « يا أبا ذرٍّ ؛ إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يتيم » .

(٣) في هامش (ج) : (**العريف** : هو القيِّم بأمر القوم الذي عُرف بذلك وشُهر ، وإنما نهي عنه لحديث : « إن العرافة حق ، ولا بد للناس من العرفاء ، ولـٰكن العرفاء في النار » كذا في « الجامع الصغير » . انتهىٰ) ، والحديث رواه أبو داود (٢٩٣٤) عن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده .

(٤) روىٰ نحوه مختصراً أبو داود (٢٩٣٣) من حديث سيدنا المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه مرفوعاً .

على الولايةِ فهو شريكُهم فيما يحصلُ لهم مِنْ شدَّةِ الحسابِ)[١] .

واستُقضيَ هَرِمُ بنُ حيَّانَ مرةً ، فأوقدَ حولَهُ ناراً ، فمنعَتِ الناسَ أنْ يأتوهُ ذلكَ اليومَ ، حتىٰ عزلَ نفسَهُ[٢] .

ولمَّا أكرهوا الإمامَ أبا حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ على القضاءِ وحبسوهُ . . كانوا يُخرِجونَهُ مِنَ السجنِ فيضربونَهُ أيَّاماً ؛ ليدخلَ في أمرِهم لهُ بالقضاءِ ، فلم يفعلْ ، حتىٰ إنَّهُ بكىٰ في بعضِ الأيَّامِ كبكاءِ الأطفالِ ، ثمَّ صارَ يقولُ : (كمْ مِنْ باطلٍ يُحِقُّهُ القاضي ، ومِنْ حقٍّ يُبطِلُهُ !) ، وكانَ الحابسُ لهُ ابنَ هبيرةَ الوزيرَ[٣] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (سمعْتُ منادياً ينادي علىٰ جبلِ أبي قُبَيسٍ : أمانُ اللهِ علىٰ كلِّ أسودَ وأبيضَ ما عدا اثنينِ ؛ سفيانُ الثوريُّ ، وفلانٌ الزنديقُ)[٤] .

---

(١) رواه وكيع في « أخبار القضاة » (١/ ٢٢) ، والدينوري في « المجالسة » (٣٢٧) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٢٠) .

(٣) رواه بنحوه مختصراً الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٢٨) ، والذهبي في « مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه » (ص٢٤) .

(٤) روى العجلي في « الثقات » (ص ٤١٢) عن أبيه قال : (دخل سفيان على المهدي ، فقال : السلام عليك ، كيف أنت أبا عبد الله ؟ ثم جلس فقال : حج عمر بن الخطاب فأنفق علىٰ حجته عشرين ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال ! فقال : أي شيء تريد ؟ أكون مثلك ؟ قال : فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه ، فقال وزيره أبو عبيد الله : يا أبا عبد الله ؛ قد كانت كتبك تأتينا فننفذها ، قال : من هـٰذا ؟ قال : أبو عبيد الله وزيري ، قال : احذره فإنه كذاب ، أنا كتبت إليك ؟! ثم قام فقال له المهدي : أين أبا عبد الله ؟! قال : أعود ، وقد كان ترك نعله حين قام ، فعاد فأخذها ، ثم مضىٰ فانتظره المهدي فلم يعد ، قال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، قيل له : إنه عاد لأخذ نعليه ، فغضب ، فقال : قد أمن الناس إلا سفيان الثوري ويونس بن أبي فروة الزنديق . . .) الخبر .

وكانَ مسروقٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة : ٤٢] قالَ : (السحتُ هو الهديةُ للقاضي)(١) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أرادَ ألا يستعبدَهُ الولاةُ فليقنَعْ بالخَلِّ والملحِ والفجلِ)(٢) .

وسمعْتُ سيِّدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (صارَتِ الولاياتُ في هـٰذا الزمانِ غالبُها جَورٌ وظلمٌ ، حتىٰ لو أرادَ الإنسانُ أن يعدلَ لا يقدرُ على العدلِ ؛ لعدمِ استحقاقِ الناسِ ذلكَ) .

وقالَ لهُ مرةً قاضٍ : إنَّما وليتُ القضاءَ لآمرَ بالمعروفِ وأنهىٰ عنِ المنكرِ ، فقالَ : هـٰذا مِنْ غرورِ إبليسَ لكَ ؛ فإنَّ مَنْ كانَ قبلَكم مِنَ القضاةِ لم يصحَّ لهم ذلكَ ، معَ أنَّ زمانَهم كانَ قابلاً للنُّصحِ ، وقد صارَتِ الولاةُ في هـٰذا الزمانِ يدَّعي أحدُهمُ الولايةَ والصلاحَ ، ويقولُ : نحنُ الأولياءُ ؛ لأنَّ هـٰؤلاءِ يحتاجونَ إلينا في الدنيا ، ونحنُ لا نحتاجُ إليهم . انتهىٰ .

وسمعْتُ أنا بعضَ الولاةِ يقولُ : إنَّما يشفعُ هـٰؤلاءِ المدَّعونَ للصلاحِ عندَنا طلباً للشهرةِ ، لا مصلحةً ومحبَّةً للمشفوعِ فيهِ ، فتسوِّلُ لأحدِهم نفسُهُ أنَّهُ إذا شفعَ وقُبلَتْ شفاعتُهُ يصيرُ الناسُ والولاةُ يقولونَ : ما في مصرَ الآنَ إلا فلانٌ(٣) ؛ فإنَّهُ هو الذي يحملُ همَّ المسلمينَ ، ويشفقُ عليهم ، فإذا اشتهرَ

---

(١) رواه النسائي (٨/ ٣١٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٢٣٨٤) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٣٧٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢١٩) ، كلاهما بنحوه من قول مسعر رحمه الله تعالى .

(٣) في (أ) زيادة : (مثلاً) فوق كلمة (مصر) .

بذلكَ تسامعَ بهِ الوزراءُ وجماعةُ السلطانِ ، فرتَّبوا لهُ الجواليَ والأرزاقَ .

قالَ : وهاذا هو سببُ ردِّي شفاعتَهُ ، فأنا أعاكسُهُ مصلحةً لهُ ؛ خوفاً عليهِ مِنَ الشهرةِ التي فيها هلاكُ دينِهِ . انتهىٰ .

وقد رأيتُ بعضَ القضاةِ يبيعُ أمتعةَ دارِهِ في كلِّ يومٍ لا يأتيهِ فيهِ كبيرُ محصولٍ ، ويقولُ : أخافُ أنْ يعزلَني مَنْ أنا تحتَ حكمِهِ ، حتىٰ صارَ فقيراً مِنْ أمتعةِ الدنيا .

وأخبرني بعضُ قضاةِ الريفِ أنَّهُ يدَّعي في كلِّ يومٍ لا يكمُلُ فيهِ المحصولُ علىٰ مَنْ يراهُ ذا مالٍ . . الدَّعاوى الباطلةَ ، ويُكَمِّلُ منهُ محصولَ القاضي ، فمثلُ هاذا كيفَ يصحُّ لهُ أنْ يُحقَّ الحقَّ ويُبطلَ الباطلَ بحكمِهِ ؟!

فالسَّلامةُ في هاذا الزمانِ : ألا يتولَّى الإنسانُ القضاءَ إلا مكرَهاً ، والسلامُ ، **فاعلمْ ذلكَ يا أخي** ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كثرة السؤال عن الأصحاب لقضاء حوائجهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ سؤالِهم عن حالِ أصحابِهم ؛ ليواسوهم بما يحتاجونَ إليهِ مِنَ الطعامِ والنقودِ والثيابِ ، ووفاءِ الديونِ ، وتحمُّلِ الهمومِ ، لا مجاناً[1] .

وهٰذا الخُلُقُ قد صارَ أهلُهُ غرباءَ في هٰذا الزمانِ ؛ فإنَّ الناسَ اليومَ على خلافِ ذلكَ ، وربَّما يقولُ أحدُهم لصاحبِهِ : أَيْشٍ حالُكم ؟ فيقولُ : طيِّبٌ ، ويكتمُ أمرَهُ عنهُ ؛ لعلمِهِ بفراغِ قلبِهِ منهُ ، وكثيراً ما يقولُ المارُّ علىٰ أخيهِ : أيشٍ حالُكم ؟ ولا ينتظرُ الجوابَ ، فلا السائلُ يتربَّصُ حتىٰ يسمعَ الجوابَ ، ولا المسؤولُ يكلِّفُ نفسَهُ النطقَ بالجوابِ ؛ لعلمِهِ بأنَّ قولَهُ : أيشٍ حالُكم . . كلامٌ بحكمِ العادةِ لا يقصدُ صاحبُهُ ثمرتَهُ .

ومِنْ هنا كانَ سيدي عليٌّ الخواصُ يقولُ : (إنْ لم يكنْ أحدُكم عازماً علىٰ مواساةِ أخيهِ ، أو علىٰ تحمُّلِ همومِهِ ، أوِ الدعاءِ لهُ . . وإلا فلا يقولَنَّ لهُ[2] : أيشٍ حالُكم ؛ لأنَّهُ نفاقٌ) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا قلْتَ لأخيكَ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : محتاجٌ إلىٰ طعامٍ أو وفاءِ دَينٍ ، فتلاهَيْتَ عنهُ ، ولم تعطِهِ

---

(١) في هامش (ج) : (أي : لا يسألون عن حالهم بلا مواساة . انتهىٰ) .

(٢) قوله : (وإلا) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، والأنسب حذفها ، والله أعلم .

حاجتَهُ . فقولُكَ ذلكَ سخريةٌ بهِ) ، قال : (وذلكَ هو الغالبُ على إخوانِ هـٰذا الزمانِ) انتهىٰ .

وسمعْتُ سيِّدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّما كانوا يسألونَ بعضَهم عن أحوالِهم ؛ لينبِّهوا الغافلَ علىٰ شكرِ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما هو فيهِ مِنْ نعمةِ الإسلامِ ونعمةِ العافيةِ ؛ فيشكرَ اللهَ ، فيحصلَ لهُ ولهمُ الخيرُ) .

وفي الحديثِ : أنَّ رجلاً قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : « أَصْبَحْتُ خَيْراً مِنْ أُنَاسٍ لَمْ يَعُودُوا مَرِيضاً ، وَلَمْ يُشَيِّعُوا جَنَازَةً »(١) .

وقيلَ لأبي بكرٍ الصديقِ رضيَ اللهُ عنهُ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبحْتُ عبداً ذليلاً لربٍّ جليلٍ ، أصبحتُ مأموراً بأمرِهِ .

وقيلَ لعمرَ بنِ الخطابِ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبحْتُ مأمورَ الآمرِ .

وقيلَ للحسنِ البصريِّ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبحْتُ حنيفاً مسلماً لا أشركُ باللهِ شيئاً .

وقيلَ لمالكِ بنِ دينارٍ رحمَهُ اللهُ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبحْتُ لا أدري : أنقلبُ إلىٰ جنَّةٍ أو إلىٰ نارٍ(٢) .

وقيلَ للإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبحْتُ آكلُ رزقَ ربِّي ، ولا أقومُ بشكرِهِ(٣) .

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١١٣٣) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » بنحوه (٩٩٤٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٦٦) .

(٣) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢٧٧) من غير نسبة .

وكانَ عيسىٰ عليهِ السلامُ إذا قيلَ لهُ : كيفَ أصبحْتَ يا روحَ اللهِ ؟ . . يقولُ : أصبحْتُ لا أملكُ نَفْعَ ما أرجو ، ولا أستطيعُ دَفْعَ ما أحاذرُ ، وأنا مرتهَنٌ بعملي ، والخيرُ كلُّهُ بيدِ غيري ، فلا فقيرَ أفقرُ منِّي (١) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ رحمَهُ اللهُ إذا قيلَ لهُ : كيفَ أصبحْتَ ؟ . . يقولُ : أصبحْنا ضعفاءَ مذنبينَ ، نأكلُ رزقَ ربِّنا ، ونعصي أمرَهُ (٢) .

وقيلَ لأبي الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبحتُ بخيرٍ إنْ نجوتُ مِنَ النارِ (٣) .

وقيلَ لمالكِ بنِ دينارٍ رحمَهُ اللهُ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبحْتُ في عمرٍ ينقصُ ، وذنوبٍ تزيدُ (٤) .

وقيلَ لحامدٍ اللفَّافِ : كيفَ أصبحْتَ ؟ فقالَ : أصبَحْتُ سالماً معافىً ، فقالَ لهُ حاتمٌ الأصمُّ : يا حامدُ ؛ السَّلامةُ والعافيةُ إنَّما يكونانِ بعدَ مجاوزةِ الصراطِ ودخولِ الجنةِ ، فقالَ حامدٌ : أستغفرُ اللهَ (٥) .

فاعلمْ ذلكَ واعملْ بهِ يا أخي ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٩٩٩٩) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٤٩١) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٣١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/١٠٦) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/٢٧٦) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/٢٧٧) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « العمر والشيب » (١٦) من غير نسبة .

(٥) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/٢٧٦) .

[عدم الغفلة عن محاربة إبليس]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ الغفلةِ عن محاربةِ إبليسَ ، والتجسُّسُ علىٰ معرفةِ مكائدِهِ ومصائدِهِ .

وهٰذا الخلُقُ قد أغفلَهُ غالبُ الناسِ اليومَ ؛ فإنَّ إبليسَ كما لم يَغفُلْ عنَّا كذلكَ ينبغي لنا ألا نغفُلَ عنهُ ؛ فإنَّهُ بالمرصادِ حريصٌ علىٰ وقوعِ العبدِ في سخطِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وفي الحديثِ : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ فِي ٱلْبَحْرِ وَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ وَجُنُودَهُ ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً لِلنَّاسِ »(١) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قالَ إبليسُ : يا ربِّ ؛ أَمَا ترىٰ حبَّ عبادِكَ لكَ ومعَ ذلكَ يعصونَكَ ، وكثرةَ بغضِهم لي معَ كثرةِ طاعتِهم لي ؟! فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى الملائكةِ : أنِّي قد غفرْتُ لهم كثرةَ عصيانِهم لي بمحبَّتِهم لي ، وتجاوزْتُ عن كثرةِ طاعتِهم لإبليسَ بكثرةِ بغضِهم لهُ)(٢) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ إبليسَ يقولُ : إذا

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٣) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) رواه بنحوه الختلي في « المحبة لله » (٢٦٢) من قول عبد الله بن عبد الرحمٰن رحمه الله تعالىٰ .

ظفِرْتُ مِنِ ابنِ آدمَ بإحدىٰ ثلاثٍ . . لا أطلبُ منهُ غيرَها : إعجابُهُ بنفسِهِ ، واستكثارُهُ عملَهُ ، ونسيانُهُ ذنوبَهُ)[1] ، وفي روايةٍ : (بإحدىٰ أربعٍ) بزيادةِ : (الشِّبعِ) ، وهو أعظمُها ؛ فإنَّ الثلاثةَ تنشأُ منهُ .

وكانَ وهبُ بنُ منبهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم أنْ تعادوا الشيطانَ في العلانيةِ ، وتطيعوهُ في السرِّ ؛ فإنَّ كلَّ مَنْ باتَ عاصياً باتَ الشيطانُ لأجلِهِ عروساً)[2] .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رحمَهُ اللهُ يُغلِّسُ إلى المسجدِ[3] ، فتمثَّلَ لهُ إبليسُ يوماً في صورةِ إنسانٍ يحملُ له السِّراجَ بينَ يديهِ ، وكانَتْ ليلةً باردةً مظلمةً ، فأشرفَتْ عليهِ امرأةٌ مِنْ شباكٍ لها ، فقالَتْ : ما أقسىٰ قلبَ هـٰذا الشابِّ ! يكلِّفُ الشيخَ أنْ يحملَ لهُ السراجَ في مثلِ هـٰذهِ الليلةِ ، فسمعَها محمدُ بنُ واسعٍ ، فقالَ لها : دعيهِ يشقىٰ أشقاهُ اللهُ تعالىٰ ، قالَ : فأطفأَ الشيطانُ السِّراجَ وهربَ ، فلم يرَهُ بعدَ ذلكَ مدةً طويلةً .

ثمَّ إنَّهُ جاءَهُ في صورةٍ أخرىٰ ، فكانَ يمشي عن يمينِهِ تارةً وعن يسارِهِ أخرىٰ بالضوءِ في الليلةِ المظلمةِ ، فكانَ محمدٌ يتفُلُ علىٰ وجهِهِ ، ثمَّ يقولُ : قد كانَ مَنْ هو خيرٌ مني بكثيرٍ ، ولم يبلغْنا مثلُ ذلكَ لهم ، فكانوا

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٦٧٤) من قول بكر بن خنيس رحمه الله تعالىٰ ، وأورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة » (ص ٢١٧) من غير نسبة .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٥٤) .

(٣) في هامش (ج) : (أي : يأتي إلى المسجد بالغَلَس بفتحتين ؛ وهو ظلام آخر الليل . انتهىٰ) .

رضيَ اللهُ عنهم لا يغترُّونَ بخدمةِ الشيطانِ لهم ، ولا يرَوْنَ أنَّهم أهلٌ لمثلِ ذلكَ .

وبلغَنا أنَّ إبليسَ دخلَ على الجنيدِ رضيَ اللهُ عنهُ وفي عنقِهِ سُبْحةٌ وعليهِ مُرقَّعةٌ ، وفي وسطِهِ مِنطقَةٌ علىٰ صورةِ خُدَّامِ المشايخِ ، وقالَ لهُ : قد أحببْتُ أنْ أخدمَكَ لعلِّي أنْ ينالَني بركتُكَ ، فمكثَ يخدمُهُ ويوضِّئُهُ عشرَ سنينَ ، فما وجدَ لهُ عليهِ سبيلاً في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ ، فلمَّا أرادَ الانصرافَ قالَ لهُ : أَمَا تعرفُني ؟ قالَ : نعم ، عرفْتُكَ مِنْ أوَّلِ ما دخلْتَ عليَّ أنَّكَ إبليسُ ، فقالَ لهُ : ما رأيتُ أحداً علىٰ قدمِكَ ، فقالَ لهُ الجنيدُ : اذهبْ عنِّي يا ملعونُ ، أردْتَ ألا تفارقَني إلا بشيءٍ تُتلفُ بهِ ديني ؛ وهو العجبُ بحالي . انتهىٰ .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ كلَّ يومٍ بعدَ الصبحِ : (اللهمَّ ؛ إنَّكَ سلَّطْتَ علينا عدواً لنا بصيراً بعيوبِنا ، مطَّلعاً علىٰ عوراتِنا ، يرانا هو وقبيلُهُ مِنْ حيثُ لا نراهُ ، اللهمَّ ؛ فآيسْهُ منَّا كما آيسْتَهُ مِنْ رحمتِكَ ، وقنِّطْهُ منَّا كما قنَّطْتَهُ مِنْ عفوِكَ ، وباعدْ بينَنا وبينَهُ كما باعدْتَ بينَهُ وبينَ مغفرتِكَ وجنَّتِكَ ، إنَّكَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ) ، فتمثَّلَ لهُ الشيطانُ يوماً وقالَ لهُ : لا تعلِّمْ هـٰذا الدعاءَ لأحدٍ وأنا لا أعودُ أتعرَّضُ لكَ بسوءٍ أبداً ، فقالَ : واللهِ ؛ لا أمنعُهُ عن أحدٍ ، واصنعْ أنتَ ما شئْتَ[١] .

وتراءىٰ يوماً لعيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، وقالَ لهُ : يا روحَ اللهِ ؛ قلْ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فقالَ عيسىٰ : كلمةُ حقٍّ أقولُها ، ولـٰكنْ لا لقولِكَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ[٢] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ١٣٣ـ ١٣٤) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ١٠٨) .

قالَ سيِّدي عليٌّ الخواصُ رضيَ اللهُ عنهُ : (وإنَّما قصدَ إبليسُ أنْ يكونَ عيسىٰ تلميذاً لهُ في ذلكَ ، فلم يفعلْ ، ومنعَتْهُ العصمةُ) .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ذكرُ اللهِ تعالىٰ في جنبِ الشيطانِ كالأَكِلةِ في جنبِ ابنِ آدمَ)[١] .

وكانَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي روَّادٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لقد حججْتُ ستِّينَ حجَّةً ، وعملْتُ أعمالاً كثيرةً مِنَ القرباتِ ، ومعَ ذلكَ فما حاسبْتُ نفسي قطُّ إلا ووجدْتُ نصيبَ الشيطانِ مِنْ ذلكَ أقوىٰ مِنْ نصيبِ ربِّي ، فليتَني خرجْتُ مِنَ الدنيا كفافاً لا عليَّ ولا لي !)[٢] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إيَّاكم وخوفَ الفقرِ ؛ فإنَّهُ ليسَ للشيطانِ سلاحٌ يقاتلُ بهِ ابنَ آدمَ أشدَّ مِنْ خوفِهِ الفقرَ ؛ فإنَّ ابنَ آدمَ إذا خافَ الفقرَ أخذَ مِنَ الباطلِ ، ومنعَ مِنَ الحقِّ ، وتكلَّمَ بالهوىٰ ، وظنَّ بربِّهِ الظنَّ السوءَ ، فلقِيَ كلَّ سوءٍ)[٣] .

وقد كانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما فزِعْتُ مِنَ الفقرِ قطُّ)[٤] ، وهو دليلٌ علىٰ كمالِهِ رضيَ اللهُ عنهُ .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا بلغَ العبدُ أربعينَ سنةً

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/٣٧) .

(٢) رواه ابن عدي في « الكامل » (٦/٥٠٨) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٩٠) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/١٢٣ـ١٢٤) .

(٤) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٦٩) .

ولم يتبْ مِنْ جميعِ المعاصي والذنوبِ . . مسحَ الشيطانُ بيدِهِ على جبهتِهِ ، وقالَ : فديْتُ وجهاً لا يفلحُ)[١] .

قلْتُ : ويؤيِّدُ ذلكَ ما رواهُ الطبرانيُّ مرفوعاً : « مَنْ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ شَرَّهُ . . فَلْيَتَجَهَّزْ إِلَى ٱلنَّارِ » انتهى[٢] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما قطعَ ظهرَ إبليسَ شيءٌ مثلُ مَنْ أحسنَ عملَهُ ، قالَ تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] ، ولم يقلْ : أكثرُكم عملاً)[٣] .

وكانَ مجاهدٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ عندي شيءٌ أقطعَ لظهرِ إبليسَ عندَ النكبةِ والعثرةِ مثلَ قولِ : لا إلـهَ إلا اللهُ ، فإذا لعنتَهُ قالَ : لقد لعنْتَ مُلَعَّناً)[٤] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ إبليسَ لهُ ثلاثُ مئةٍ وستونَ صكّاً فيها غرورُهُ ومكايدُهُ ببني آدمَ ، فلا بدَّ كلَّ يومٍ أنْ يعرضَها كلَّها على القلبِ واحداً بعدَ واحدٍ) .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ لإبليسَ كيدٌ أعظمَ مِنْ رؤيةِ العبدِ نفسَهُ على إخوانِهِ ؛ فإنَّهُ إذا ماتَ على ذلكَ أخذَهُ ملَكُ الموتِ وربُّهُ ساخطٌ عليهِ ، ولا ينفعُهُ شيءٌ مِنْ أعمالِهِ) .

---

(١) أورده ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٣/ ١٣٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ١٠٣) ، كلاهما من قول محمد بن وضاح في حديث ذكره .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس » (٥٥٤٤) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) في (د) : (أكثر) بدل (أكثركم) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٣٧٩) .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مَنْ باتَ سكراناً أو مجنباً باتَ الشيطانُ له عروساً)[1] .

وكانَ ابنُ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ أعظمِ الأعداءِ عدوٌّ لا تراهُ حتىٰ تكيدَهُ[2] ، فهو يكيدُكَ ولا تقدرُ أنتَ تكيدُهُ)[3] .

وكانَ حبيبٌ العجميُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو أقامَني اللهُ عزَّ وجلَّ بينَ يديهِ وقالَ لي : ايتني بسجدةٍ واحدةٍ لا حظَّ للنفسِ والشيطانِ فيها لأدخلَكَ بها الجنةَ . . لقلْتُ لهُ : يا ربِّ ؛ لا أجدُ ذلكَ) انتهىٰ .

فتنبَّهْ يا أخي لنفسِك ، وإيَّاكَ أنْ تظنَّ بنفسِكَ أنَّ إبليسَ انقطعَ عنكَ حينَ ترىٰ تواليَ عباداتِكَ ، بلِ انظرْ فيها ، وفتِّشْ واستغفرِ اللهَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[4] .

---

(١) قوله (سكراناً) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وذلك جائز علىٰ لغة بني أسد ، **والأشهر** : (سكران) ، وفي (أ ، د) : (مخنثاً) بدل (مجنباً) .

والخبر أورده ابن الجوزي في « بستان الواعظين » (ص ٢٤٢) .

(٢) في (هـ) : (إبليس يكيدك ولا تراه) بدل (عدو لا تراه) .

(٣) روىٰ نحوه ابن بطة في « الإبانة الكبرىٰ » (١٤٧٣) من قول مطرف رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في هامش (أ) : (**بلغ**) .

[اجتناب كلّ ما فيه رائحة تكبّر وإن قلّ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : مجانبتُهم للأمورِ التي فيها رائحةُ تكبُّرٍ على الإخوانِ ؛ كعدمِ حضورِ جنائزِ أطفالِهم وأرقَّائِهم ، أو عدمِ عيادتِهم إذا مرضوا ؛ فإنَّ الفقراءَ ما سادوا على النَّاسِ في الدنيا والآخرةِ إلا بالذُّلِّ وخفضِ الجناحِ ، ثمَّ إنَّ أحدَهم إذا حضرَ الجنازةَ يكونُ حزيناً نادماً على ما فرَّطَ في جنبِ اللهِ ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَفَىٰ بِٱلْمَوْتِ وَاعِظاً »[1] .

وكانَ أحدُهم لا يذكرُ شيئاً مِنْ حديثِ الدنيا في طريقِ الجنازةِ ، ولا يتكلَّمُ بالمباحِ فضلاً عنِ المذمومِ .

وهٰذا الخلُقُ قد صارَ غريباً في هٰذا الزمانِ في الفقراءِ ؛ فأكثرُهم لا يعتني بحضورِ الجنائزِ ، وإنْ قُدِّرَ أنَّهُ حضرَ صارَ حَكَوِيّاً[2] ، وربَّما حكى الحكاياتِ المضحكةَ عندَ القبرِ ؛ كما شاهدْتُ ذلكَ مِنْ شيخٍ بعمامةِ صوفٍ وعَذَبةٍ ، فاللهُ يغفرُ لنا ولهُ .

وقد كانَ السَّلَفُ الصَّالحُ يخرجونَ للجنائزِ في ثيابِ البِذْلةِ ؛ لأنَّها شفاعةٌ

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٧٢) من حديث سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

(٢) قال المرتضى الزبيدي في « تاج العروس » (ح ك ي) : (ورجل حَكَوِيٌّ بالتحريك : صاحب حكايات ونوادر ، عاميَّةٌ) .

في الميتِ ، وكلّما كانَ الشافعُ إلى الذلِّ أقربَ . . كانَ إلىٰ قبولِ الشفاعةِ أقربَ ، كما قالوا في الخروجِ للاستسقاءِ ودفعِ الوباءِ ، فينبغي اجتنابُ الثِّيابِ النفيسةِ ، لا سيَّما إنْ كانَتْ معطَّرةً ، وكلُّ فقيرٍ خرجَ إلى الجنائزِ وهو لابسٌ محاسنَ ثيابِهِ بغيرِ نيةٍ صالحةٍ . . فهو بعيدٌ عن أحوالِ القومِ ، غافلٌ عن تذكُّرِ الموتِ ؛ لحديثِ : « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ ٱلدُّنْيَا »(١) .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « عُودُوا ٱلْمَرِيضَ وَاتَّبِعُوا ٱلْجَنَائِزَ . . تُذَكِّرْكُمُ ٱلْآخِرَةَ »(٢) ؛ يعني : وإذا ذكرْتُمُ الآخرةَ زهدْتُم في ملابسِ الدنيا .

وكانَ السلفُ الصالحُ رضيَ اللهُ عنهم إذا حضروا جنازةً يستغرقونَ في التفكُّرِ في ذكرِ الموتِ وأحوالِ الناسِ في القبرِ ؛ حتىٰ يظلَّ أحدُهم محزوناً الأيامَ المتواليةَ ، يُعرفُ ذلكَ في وجهِهِ .

وكانَ يحيى بنُ أبي كثيرٍ رحمَهُ اللهُ إذا شيَّعَ جنازةً يرجعونَ بهِ في النَّعشِ لا يستطيعُ المشيَ ولا الركوبَ إذا رجعَ ، ويمكثُ الأيَّامَ لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يكلِّمَهُ ؛ مِنْ شدَّةِ خوفِهِ(٣) .

قالَ وهبُ بنُ منبِّهٍ : (وكانَ أهلُ الزمنِ الأوَّلِ يستحبُّونَ خفضَ الصَّوتِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨) ، والإمام أحمد في « المسند » (١/ ٣٨٧) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥١٨) ، والإمام أحمد في « المسند » (٣/ ٤٨) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٣٥) ، وابن حبان في « الثقات » (٧/ ٥٩٧) .

عندَ الجنائزِ ، ويقولونَ لمَنْ يرفعُ صوتَهُ : ما أنتَ إلا جبَّارٌ ، أمَا في رؤيتِكَ للميتِ موعظةٌ ؟!)[١] .

قلْتُ : وإنَّما سكتَ العلماءُ علىٰ رفعِ الصوتِ بالذِّكرِ معَ الجنازةِ حينَ علموا كثرةَ لَغَطِ الناسِ في الجنازةِ[٢] ، فرأَوا أنَّ ذكرَ اللهِ أولىٰ مِنْ حديثِ الدنيا مِنْ بابِ (ظلمٌ دونَ ظلمٍ) ، واللهُ أعلمُ .

ورأىٰ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ رجلاً يضحكُ في جنازةٍ ، فزجرَهُ ثمَّ هجرَهُ أيَّاماً[٣] .

ورأى الحسنُ البصريُّ رجلاً يأكلُ في المقابرِ ، فزجرَهُ وقالَ : إنَّكَ لمنافقٌ[٤] .

وكانَ الأعمشُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كنَّا نحضرُ الجنائزَ فلا ندري مَنْ نعزِّي ؛ مِنْ شدَّةِ عمومِ الحزنِ للقومِ كلِّهم وبكائِهم)[٥] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مداواةُ القلبِ بحضورِ الجنائزِ . . فريضةٌ) .

وكانَ إبراهيمُ الزيَّاتُ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ أحداً يبكي خلفَ الجنازةِ

---

(١) روىٰ نحوه ابن المبارك في « الزهد » (٢٤٧) من قول قيس بن عبادة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (ج) : (اللَّغَط بفتحتين : كلام فيه جَلَبة واختلاط ولا يتبيَّن ، يقال : لغط لغطاً من باب نفع . انتهىٰ) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٦٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٣٢) .

(٤) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٦٢) .

(٥) سبق تخريجه (ص١٧٩) .

يقولُ لهُ : (ابكِ على نفسِكَ يا أخي ، وترحَّمْ عليها ؛ فإنَّ هـٰذا الميتَ قد نجا مِنْ ثلاثٍ : رأىٰ ملَكَ الموتِ ، وذاقَ مرارةَ الموتِ ، وأمِنَ مِنْ خوفِ سوءِ الخاتمةِ ، بخلافِكَ أنتَ)[1] .

وسيأتي بسطُ ذلكَ أيضاً قبلَ الخاتمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[2] ، **فانظرْ يا أخي في ذلكَ** ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) سبق تخريجه (ص١٧٩) .

(٢) انظر (ص٧٧٢ـ٧٨٢) .

[تنزيل الناس منازلهم في الإيمان والنفاق]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تنزيلُ النَّاسِ منازلَهم في الإيمانِ والنِّفاقِ ؛ فللمنافقِ عندَهم مقامٌ دونَ مقامِ المؤمنِ السَّالمِ مِنَ النِّفاقِ .

فإنْ قيلَ : فبِمَ يعرفُ القومُ المنافقَ ؟

فالجوابُ : يعرفونَهُ بالعلاماتِ التي أخبرَ بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ في نحوِ قولِهِ : « عَلَامَةُ ٱلْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ خَانَ »[1] ، وفي روايةٍ : « أَرْبَعٌ » فزادَ : « وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ »[2] ، ونحوِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ فَأَدْعُوهُمْ بِهَا : لَا يَأْتُونَ ٱلْمَسَاجِدَ إِلَّا هَجْراً ، وَلَا يَشْهَدُونَ ٱلصَّلَاةَ إِلَّا دَبْراً ، وَلَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ ، مُسْتَكْبِرِينَ ، جِيفَةٌ بِٱللَّيْلِ ، بَطَّالُونَ بِٱلنَّهَارِ »[3] ، ونحوِ ذلكَ مِنَ الأحاديثِ الواردةِ .

وكانَ الأوزاعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ علامةِ المنافقِ : أنْ يكونَ كثيرَ الكلامِ ، قليلَ العملِ)[4] .

---

(١) رواه البخاري (٣٣) ، ومسلم (٥٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٣٤) ، ومسلم (٥٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٧٠٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٨) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ المنافقِ** : أنْ يحبَّ المدحَ بما ليسَ فيهِ ، ويكرهَ الذمَّ بما فيهِ ، ويبغضَ مَنْ يبصِّرُهُ بعيوبِهِ ، ويفرحَ إذا سمعَ بعيبِ أحدٍ مِنْ أقرانِهِ)[1] .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ إلىٰ منافقٍ فلينظرْ إليَّ ، فقيلَ لهُ : كيفَ ذلكَ ؟! فقالَ : لأنِّي كثيراً ما أَعُدُّ المئةَ خصلةٍ مِنْ خصالِ الخيرِ ، فلا أجدُ فيَّ واحدةً منها ، وأَعُدُّ خصالَ السوءِ فأجدُها كلَّها فيَّ ، فيا ويحي مِنْ فضيحةِ يومِ القيامةِ !

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا ذُكِرَ الصالحونَ فنحنُ عنهم بمعزلٍ ، وإذا ذُكِرَ الطالحونَ كنَّا في جوفِ المنزلِ)[2] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ المنافقِ** : أنْ يخبِّئَ رزقَ غدٍ ، ويزاحمَ غيرَهُ على الدنيا ، ويحبَّ أنْ ينفردَ بالصيتِ في بلدِهِ) .

وفي روايةٍ عنهُ : (**مِنْ علامةِ المنافقِ** : أنْ يحسُدَ الناسَ ، ويكونَ في قلبِهِ الضغائنُ والحقدُ لمَنْ آذاهُ أو زادَ عليهِ في الجاهِ) انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي إلىٰ حالكَ ، وفتِّشْ نفسَكَ مِنْ صفاتِ المنافقينَ ، واستغفرْ ربَّكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه مختصراً الإمام أحمد في « الزهد » (٢١٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٤١) من قول وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روى الشطر الأول منه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٢٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٠٠) من قول أيوب السختياني رحمه الله تعالىٰ .

[اجتناب الشّبع الموجب لقساوة القلب]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : اجتنابُ الشِّبعِ الموجبِ لقساوةِ القلبِ ؛ وذلكَ حتىٰ يخشعوا في صلاتِهم ؛ فإنَّ مَنْ شبعَ وطلبَ الخشوعَ في صلاتِهِ . . فقد أخطأَ الطريقَ .

وقد كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يطوي الأيَّامَ والليالِيَ ، ويشدُّ علىٰ بطنِهِ الشريفِ الحجرَ مِنَ الجوعِ(١) ، وكانَ إذا صلَّىٰ يُسمَعُ لجوفِهِ في الصلاةِ أزيزٌ كأزيزِ المِرْجلِ(٢) ؛ **يعني** : القِدْرَ الذي يغلي على النارِ .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (ركعتانِ معَ تفكُّرٍ وتدبُّرٍ خيرٌ مِنْ قيامِ ليلةٍ كاملةٍ والقلبُ ساهٍ عنِ اللهِ)(٣) .

قلْتُ : ومرادُهُ بالتفكُّرِ هنا : تفكُّرُهُ في الآدابِ المتعلِّقةِ بحضرةِ اللهِ ، لا التفكُّرُ في استنباطِ الأحكامِ كما يُتوهَّمُ ؛ فإنَّ الصلاةَ ليسَتْ بمحلٍّ لذلكَ ؛ ولذلكَ صرَّحَ بعضُ العلماءِ بكراهةِ التفكُّرِ المذكورِ .

---

(١) روىٰ نحوه البخاري (٤١٠١) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٢) رواه النسائي (٣/١٣) ، والإمام أحمد في « المسند » (٤/٢٥) من حديث سيدنا أبي مطرف عبد الله بن الشخير رضي الله عنه .

وفي هامش (ج): (**الأزيز** : الغليان ، وقيل : صوته، كذا في « المغرب » [ص ٢٥]، وقوله : « يعني القدر » . . تفسير للمرجل مع ملاحظة ما قبله . انتهىٰ) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٨٨) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٤) .

وكانَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا قامَ إلى الصلاةِ كأنَّهُ ثوبٌ مُلقىً[1] .

وكانَ إذا سمعَ أهلَهُ يقولونَ : لا تتكلَّموا ؛ فإنَّ عبدَ اللهِ يصلِّي . . يقولُ لهم : تحدَّثوا ما شئتُم ؛ فإنِّي لسْتُ أسمعُ حديثَكم وأنا في الصلاةِ[2] .

وكانَ الحكمُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ عرفَ مَنْ عن يمينِهِ ومَنْ عن شمالِهِ . . فلا صلاةَ لهُ)[3] .

وكانَ إبراهيمُ الخليلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إذا قامَ إلى الصلاةِ يُسمَعُ وَجِيبُ قلبِهِ مِنْ ميلَينِ[4] .

وكانَ سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يحضرْ في صلاتِهِ فهو مِنَ المطفِّفينَ ، وقد علمتُمْ ما قالَ اللهُ تعالىٰ فيهم ؛ فإنَّ الصلاةَ بمكيالٍ ؛ مَنْ وفَّىٰ وُفِّيَ لهُ)[5] .

وسرقَ لصٌّ رداءَ يعقوبَ القارئِ وهو يصلِّي ، فأخذوهُ وطردوهُ ، ثمَّ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧٣٢٦) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٨٦٥) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٩٠) من قول مسلم بن يسار رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/٩٧) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٥٩٤) من قول سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٤) سبق تخريجه (ص١٦٦) .

وفي هامش (ج) : (في « المصباح » [و ج ب] : وَجَبَ القلبُ وَجْباً ووَجِيباً : رجف ، وفي « القاموس » [و ج ب] : خفق ، وكلاهما بمعنىً ، فيهما معنى الحركة والاضطراب ؛ لأن هـٰذا الوزن من المصادر مختص بما فيه الحركة ، **فالمراد** : صوت حركة قلبه . انتهىٰ) .

(٥) رواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١٩٢٧) ، والسمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٣٨) .

وضعوا الرداءَ علىٰ عنقِهِ ، كلُّ ذلكَ وهو لا يشعرُ[1] .

قلْتُ : وكذلكَ وقعَ لسيِّدي محمدِ بنِ عنانٍ وهو يصلِّي في جامعِ بابِ البحرِ ؛ سرقوا رداءَهُ ، فطردوا اللصَّ وضربوهُ ووقعَتْ ضجَّةٌ عظيمةٌ ، كلُّ ذلكَ وهو لا يشعرُ ، وهو آخرُ مَنْ أدركناهم مِنْ أهلِ الخشوعِ رضيَ اللهُ عنهُ .

وكانَ سعيدٌ التنوخيُّ إذا وقفَ يصلِّي سالَتْ دموعُهُ علىٰ خدَّيهِ كالمطرِ[2] .

ودخلَ عودٌ في عينِ رابعةَ العدويَّةِ وهي تصلِّي ، فما شعرَتْ بهِ حتىٰ سلَّمَتْ مِنَ الصلاةِ ، فقالَتِ : انظروا هٰذهِ الخشونةَ التي في عيني ، فما نزعوا العودَ مِنْ عينِها إلا بمشقَّةٍ ؛ مِنْ شدَّةِ ما ارتشقَ[3] .

وكانَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا العلماءَ وهم إذا قامَ أحدُهم إلى الصلاةِ هابَ الرحمٰنَ ، حتىٰ لا يقدرُ يشدُّ بصرَهُ إلىٰ شيءٍ ، أو يحدِّثُ نفسَهُ بشيءٍ مِنْ أمورِ الدنيا)[4] .

وانهدمَ الجامعُ مرَّةً ومسلمُ بنُ يسارٍ يصلِّي فيهِ ، وخرجَ كلُّ مَنْ في المسجدِ إلى السوقِ ، ووقعَتْ ضجَّةٌ كبيرةٌ وهو لا يشعرُ رضيَ اللهُ عنهُ[5] .

---

(١) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٣٩) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٧٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ٢٠٣) .

(٣) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٥٣٩) .

(٤) رواه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (١٣٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٨٨٣) .

(٥) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٠٨٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٩٠) .

وكانَ الذُّبابُ لم يزلْ يأكلُ في عينِ خلفِ بنِ أيوبَ وهو يصلِّي ، فلا يطردُهُ عن نفسِهِ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (بلغَني أنَّ الفسَّاقَ يتصبَّرونَ تحتَ سياطِ السلطانِ ؛ ليقالَ : فلانٌ صبورٌ ، ويفتخرونَ بذلكَ ، وأنا قائمٌ بينَ يدي ربِّ العزةِ ، فكيفَ أتحرَّكُ لذبابٍ ؟!)[1] .

وكانَ شُميطُ بنُ عجلانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كيفَ يدَّعي أحدُكُمُ الحضورَ معَ اللهِ في صلاتِهِ وهو يحسُّ بقرصةِ البرغوثِ إذا قرصَهُ ؟! فواللهِ ؛ لقد طُعِنَ أحدُهم بالسِّنانِ وما درىٰ حتىٰ ساخَتْ نفسُهُ مِنْ خروجِ الدَّمِ ، ووقعَ على الأرضِ)[2] .

وكانَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا حضرَ وقتُ الصلاةِ يصيرُ يتغيَّرُ ويتلوَّنُ ويتزلزلُ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (أَمَا تعلمونَ أنَّهُ وقتُ أمانةٍ عرضَها اللهُ تعالىٰ علىٰ أهلِ السَّماواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أنْ يحمِلْنَها ، وحملْتُها ، فلا أدري هل أُحسنُ ما حملْتُ أم لا ؟!)[3] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تصلُّوا خلفَ محبِّ الدنيا)[4] .

وكانَ السلفُ الصالحُ إذا بلغَهم عن إنسانٍ أنَّهُ التفتَ في صلاتِهِ يمضونَ

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ مؤلفه إعادة نظر**) ، وأورد الخبر الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٥٥٩ـ٥٦٠) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٣٠) .

(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٥٣٩) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٥٦٠) .

(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٥٥١) .

إليهِ في دارِهِ ، ويسألونَهُ عن سببِ ذلكَ ؛ لِمَا كانَ عندَهم مِنْ معرفةِ عظمةِ اللهِ تعالىٰ .

وصلَّىٰ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ خلفَ إمامٍ مرةً ، فسمعَهُ يلحنُ ، فقالَ لهُ : (لولا فضلُ الجماعةِ ما صلَّيتُ خلفَكَ، لِمَ لا تقرأُ العربيةَ على العلماءِ؟!).

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عجبْتُ مِنْ هـٰؤلاءِ الناسِ إذا ماتَ لي ولدٌ يعزِّيني فيهِ أكثرُ مِنْ ألفِ إنسانٍ ، وتفوتُني صلاةُ الجماعةِ فلا يعزِّيني فيها أحدٌ ، واللهِ ؛ إنَّ فواتَ صلاةِ الجماعةِ أعظمُ عندي مِنْ موتِ ولدي البالغِ العاقلِ العالمِ الصالحِ)[1] .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ لأصحابِهِ : (إنِّي أشتهي مِنَ الدنيا شيئَينِ : أخاً صالحاً إذا تعوَّجْتُ قوَّمَني ، وصلاةَ الجماعةِ)[2] .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ يقولُ : (**شيئانِ يَغيظانِ الشيطانَ** : عدمُ الاكتراثِ بوسوستِهِ ، وعدمُ التفكُّرِ في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ) انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي في نفسِكَ ؛ هل خشعْتَ في صلاتِكَ كما خشعَ هـٰؤلاءِ القومُ في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ ، أم أنتَ بضدِّ ذلكَ ؟ واستغفرْ لذنبِكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/٥٥١) من قول حاتم الأصم رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٢٩١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/١٦١) .

الباب الثالث

فِي جُمْلَةٍ أُخْرَى مِنَ الْأَخْلَاقِ

[شدة الخوف من سوء الخاتمة]

فمن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ خوفِهم مِنْ سوءِ الخاتمةِ ولو كانَ أحدُهم علىٰ عبادةِ الثقلينِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يفعلُ ما يشاءُ ، وليسَ معَ أحدٍ مِنَ الخلقِ علمٌ بخاتمتِهِ علىٰ وجهِ الجزمِ ، إنَّما غايةُ أحدِهم حسنُ الظنِّ بربِّهِ في الحالةِ الراهنةِ فقطْ ، وليسَ معَهُ علمٌ بدوامِ الشَّهادتَينِ معَهُ حتىٰ تَطلُعَ روحُهُ عليهما .

وفي الحديثِ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ فَيَدْخُلُهَا . . . » الحديثَ[1] .

وكانَ حبيبٌ العجميُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ مَنْ خُتمَ لهُ بقولِ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ . . دخلَ الجنةَ)[2] ، ثم إنَّهُ يبكي ويقولُ : (مَنْ لي بأنْ يُختمَ لي بقولِ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ؟!) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دخلْنا علىٰ رجلٍ بالأهوازِ

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٢) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه الحارث في « مسنده » كما في « بغية الباحث » (٢٥٨) ، وأبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (٢٠٩٤) من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

وهو في النَّزْعِ ، فكنَّا نقولُ له : قلْ : لا إلـهَ إلا اللهُ ، فيقولُ : ده يازده[1] ، مشترىً طيبٌ ، قطعةٌ مليحةٌ ؛ لأنَّ ذلكَ كانَ هو الغالبَ عليهِ حالَ الصحةِ)[2] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ رجلاً يخرجُ مِنَ النَّارِ بعدَ ألفِ سنةٍ) ، ثمَّ يقولُ : (ليتَني كنْتُ ذلكَ الرجلَ ؛ لأنَّهُ مقطوعٌ لهُ بالخروجِ مِنَ النارِ) انتهىٰ[3] .

فإيَّاكَ يا أخي مِنْ أنْ تسامحَ نفسَكَ في الاشتغالِ بأمورِ الدنيا إلا بقدْرِ الضرورةِ الشرعيَّةِ ، فربَّما أتاكَ الموتُ علىٰ غفلةٍ ، فتخسرَ الدارينِ ، واللهُ غفورٌ رحيمٌ ، فاعلمْ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) **قوله** : (**ده يازده**) : عبارة فارسية ؛ معناها : ربحٌ مقدارُهُ درهمٌ علىٰ عشرة دراهم . انظر « العناية شرح الهداية » (٦/٤٩٩) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٨٤) ، ورواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٢١) من طريق الربيع بن وبرة رحمه الله تعالىٰ .

(٣) سبق تخريجه (ص٢٢٣) .

[عدم المبادرة إلى الدعاء بالشفاء لمريض حتى يُعلم سبب مرضه]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ مبادرتِهم إلى الدعاءِ بالشفاءِ إذا دخلوا على مريضٍ ، بل يتربَّصُ أحدُهم حتى يعلمَ سببَ مرضِهِ وانتهاءَهُ ، ثمَّ يدعو بعدَ ذلكَ ؛ فإنَّ المرضَ ربَّما كانَ رفْعَ درجاتٍ ، فلا ينبغي الدعاءُ برفعِهِ ، وكذلكَ إذا كانَ كفارةً لذنوبِهِ لا ينبغي الدعاءُ برفعِهِ ، وكذلكَ القولُ فيهِ إذا كانَ عقوبةً ، فيصبرُ العائدُ حتى تبلغَ العقوبةُ حدَّها ؛ أدباً معَ اللهِ تعالى ، وإنْ كانَ أحدُهم لهُ حالٌ معَ اللهِ فلهُ أنْ يسألَهُ الشفاءَ مِنْ بابِ الفضلِ والمنَّةِ .

فاعلمْ ذلكَ ؛ فإنَّهُ نفيسٌ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[محبة السكنى في البيوت الملاصقة للمساجد]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : محبَّتُهم في سكنى البيوتِ الملاصقةِ للمساجدِ ؛ ليسهلَ عليهمُ الجلوسُ في المسجدِ في أغلبِ أوقاتِهم إذا عملوا بأدبِ المساجدِ ؛ لِمَا وردَ مرفوعاً : « ٱلْمَسَاجِدُ بُيُوتُ ٱلْمُتَّقِينَ ، وَمَنْ كَانَتِ ٱلْمَسَاجِدُ بَيْتَهُ ضَمِنَ ٱللهُ لَهُ ٱلرَّوْحَ وَٱلرَّاحَةَ ، وَٱلْجَوَازَ عَلَى ٱلصِّرَاطِ »(١) .

وكانَ أبو صادقٍ الأزديُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (الزموا الجلوسَ في المساجدِ ؛ فإنَّهُ بلغني أنَّها كانَتْ مجالسَ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ)(٢) .

وكانَ الحكمُ بنُ عميرٍ الصحابيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اتَّخِذوا المساجدَ بيوتاً)(٣) .

وكانَ أبو إدريسَ الخولانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (المساجدُ بيوتُ الكرامِ على اللهِ تعالىٰ مِنَ الناسِ ، ومحلُّ جلوسِهم)(٤) .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢١٤) من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) أورده بنحوه القرطبي في « تفسيره » (١٢/ ٢٧٧) .

(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٢٠٢) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٥٨) مرفوعاً من حديث سيدنا الحكم بن عمير رضي الله عنه .

(٤) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٢٣٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٦٩٥) .

وقد وردَ في الحديثِ : « ٱلْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ »[١] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ينهىٰ مَنْ لم يعرفْ أدبَ المساجدِ أنْ يُكثِرَ الجلوسَ فيها .

ورأىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مرَّةً قوماً يَلغُونَ في المسجدِ ، فلفَّ رداءَهُ وضربَهم بهِ ، وأخرجَهم منهُ ، وقالَ : (اتَّخذْتُم بيوتَ اللهِ أسواقاً للدنيا ، وإنَّما هيَ أسواقٌ للآخرةِ)[٢] .

وكانَ المسجدُ بيتَ عطاءِ بنِ أبي رباحٍ مدَّةَ أربعينَ سنةً[٣] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لولا البولُ ما خرجْتُ مِنَ المسجدِ في ليلٍ ولا نهارٍ)[٤] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَني أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : إنِّي لأَهُمُّ بعذابِ عبادي ، فأنظرُ إلىٰ عُمَّارِ المساجدِ ، وقرَّاءِ القرآنِ ، وولدانِ الإسلامِ . . فيسكنُ غضبي)[٥] .

وكانَ خلفُ بنُ أيُّوبَ رحمَهُ اللهُ يوماً جالساً في المسجدِ ، فأتاهُ غلامُهُ فسألَهُ عن شيءٍ مِنْ حوائجِ الدنيا ، فقامَ وخرجَ مِنَ المسجدِ وأجابَهُ ، ثمَّ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦/ ٢٥٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٦٨٩) من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) روىٰ نحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٤٦) من قول عطاء بن يسار رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣١٠) ، ولـٰكن ذكر (عشرين سنة) بدل (أربعين سنة) .

(٤) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٩١) .

(٥) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٥٠٠) ، وابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (٣١٦) .

رجعَ ، وقالَ : (كرهْتُ أنْ أتكلَّمَ بكلامِ الدنيا في المسجدِ) انتهىٰ[1] .

قلْتُ : وبلغَني أنَّ هـٰذا الأدبَ الآنَ في أكابرِ أهلِ إستنبول ؛ لا يكلِّمون أحداً بكلامٍ لغوٍ ما دامَ أحدُهم في المسجدِ ، وينكرونَ علىٰ مَنْ يتكلَّمُ فيهِ كلامَ الدنيا ، فرضيَ اللهُ عن أهلِ الأدبِ .

وقد كانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ إذا سمعَ صوتاً عالياً في المسجدِ يضربُ صاحبَهُ بالدِّرَّةِ ، ويقولُ لهُ : (أما تدري أينَ أنتَ ؟! فإنَّ مَنْ جلسَ في المسجدِ فإنَّما يجالسُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ)[2] .

وسئلَ سعيدُ بنُ المسيبِ : أيُّما أحبُّ إليكَ ؛ حضورُ الصلاةِ على الجنازةِ ، أمِ الجلوسُ في المسجدِ ؟ فقالَ : الجلوسُ في المسجدِ أحبُّ إليَّ ؛ لأنَّ الملائكةَ تستغفرُ لي ما دمْتُ في المسجدِ ، وذلكَ أفضلُ مِنْ حصولِ القيراطِ والقيراطَينِ والثلاثةِ مِنَ الأجرِ الذي وردَ لمَنْ صلَّىٰ علىٰ جنازةٍ[3] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم لا يكلِّمُ بعضُهم بعضاً ما داموا جالسينَ في المسجدِ إلى الغروبِ في شيءٍ مِنْ أمورِ الدنيا) انتهىٰ .

فتأمَّلْ يا أخي ما ذكرْتُهُ لكَ ، ولا تتكلَّمْ إلا بنيَّةٍ صالحةٍ ، وإلا فاسكُنْ في الرُّبوعِ خارجَ المسجدِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٠٣) .

(٢) رواه بنحوه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٤٨) ، وروىٰ نحوه البخاري (٤٧٠) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣) من زيادات نعيم بن حماد رحمه الله تعالىٰ .

[معاتبة من انقطع عن زيارتهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : معاتبةُ مَنِ انقطعَ عن زيارتِهم مِنْ إخوانِهم ؛ مِنْ حيثُ حرمانُهُ مِنَ الثوابِ العائدِ نفعُهُ عليهِ ، لا مِنْ حيثُ الإخلالُ بحقوقِهم كما يُتوهَّم ذلكَ ، بقطعِ النظرِ عن عَوْدِ فائدةِ ذلكَ عليهِ ؛ وذلكَ حتىٰ يكونَ أحدُهم ممَّنْ سعىٰ في مصالحِ إخوانِهِ ، لا في مصالحِ نفسِهِ فقطْ .

وهٰذا خُلُقٌ ما رأيتُ لهُ فاعلاً مِنْ أقراني إلا القليلَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[اجتناب الجلوس في السّوق إلّا بالضّوابط الشّرعيّة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : اجتنابُ الجلوسِ في السوقِ ؛ لبيعٍ أو شراءٍ ، إلا بعدَ التضلُّعِ مِنْ أحكامِ الشَّرعِ في المعاملاتِ ، وغلبةِ ظنِّهم أنَّ أحدَهم لا يشتغلُ بذلكَ عن أعمالِ آخرتِهِ ؛ لأنَّ كلَّ ما يَشْغَلُ عنِ اللهِ فهو مشؤومٌ على صاحبِهِ في الدنيا والآخرةِ .

وقد وردَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا دخلَ السوقَ قالَ : « ٱللَّـٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَـٰذِهِ ٱلسُّوقِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْفُسُوقِ »(١) .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم ومجالسةَ السُّوقةِ ؛ فإنَّها تُلغي وتُلهي)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تنظروا إلى ظاهرِ ثيابِ التجَّارِ والسُّوقةِ ؛ فإنَّ تحتَها ذئاباً كاسرةً)(٣) .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٥٨٩) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٣٩) من حديث سيدنا بريدة رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤) من زيادات نعيم بن حماد ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٤٨) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٨٢) ضمن خبر طويل .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (السوقُ مَكْثَرةٌ للمالِ ، مَفْسَدةٌ للدِّينِ)[١] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم ومجاورةَ الأغنياءِ وقرَّاءِ الأمراءِ والأسواقِ)[٢] .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ إذا دخلَ السوقَ يقولُ : (يا أهلَ السوقِ ؛ سوقُكم كاسدٌ ، وخيارُكم حاسدٌ ، وبيعُكم فاسدٌ ، فاستيقظوا لأنفسِكم)[٣] .

وكانَ حمَّادُ بنُ زيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**ما افتقرَ تاجرٌ قطُّ إلا بوقوعِهِ في شيءٍ مِنْ هاذهِ الخصالِ** ؛ **وهيَ** : اللَّغوُ ، والكذبُ ، والحلفُ ، والغلُّ ، والخيانةُ ، والحسدُ ، وتفويتُ صلاةِ الجماعةِ ومجالسِ العلمِ ، واتباعُ الشهواتِ الدنيويةِ) .

وكانَ الإمامُ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ يأمرُ أمراءَ الأسواقِ ، فيجمعُ التجَّارَ والسُّوقةَ كلَّ جمعةٍ ويعرضُهم ، فإذا وجدَ منهم أحداً لا يفقهُ الشِّراءَ والبيعَ ، ولا يُحسِنُ الحلالَ والحرامَ[٤] . . أقامَهُ مِنَ السوقِ ، وقالَ لهُ : (تعلَّمْ أحكامَ البيعِ والشراءِ ، ثمَّ اجلسْ في السوقِ ؛ فإنَّ مَنْ لم يكنْ فقيهاً أكلَ الربا ؛ شاءَ أم أبىٰ)[٥] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٥) .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٥٦) .

وفي هامش (ج) : (**أي** : مجاورة القراء الذين يغشون أبواب الأمراء ويأخذون من عطاياهم) .

(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٥٦) .

(٤) **أي** : لا يحسن معرفة الحلال والحرام .

(٥) روىٰ نحوه الترمذي (٤٨٧) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكانَ قتادةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عجباً للتَّاجرِ كيفَ يَسلَمُ وهو بالنَّهارِ يحلفُ ، وباللَّيلِ يَحسُبُ !)[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نِعمَ التاجرُ الذي تكونُ الدنيا عليهِ ساخطةً ، والآخرةُ عنهُ راضيةً) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قالَ إبليسُ لعنَهُ اللهُ : يا ربِّ ؛ أينَ أجعلُ بيتي ؟ قالَ : الحمامَ ، قالَ : فأينَ أجعلُ مصائدي ؟ قالَ : النساءَ ، قالَ : فما مزاميري ؟ قالَ : الشِّعرُ ، قالَ : فأينَ أجعلُ مجلسي ؟ قالَ : الأسواقَ) انتهىٰ[2] .

فانظرْ يا أخي في نفسِكَ ، ولا تمدحْ تاجراً حتىٰ تراهُ يَسلَمُ مِنَ الآفاتِ ، ويجتنبُ الشبهاتِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٥٥) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مكائد الشيطان » (٤٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٢٤٥) ، كلاهما بنحوه من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً .

[كثرة الحلم على من جنى، وكظم الغيظ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الحلمِ علىٰ مَنْ جنىٰ عليهم ، وكظمِ الغيظِ ؛ عملاً بأخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ كانَ لا يغضبُ لنفسِهِ ، وإنَّما يغضبُ إذا انتُهكَتْ حرماتُ اللهِ عزَّ وجلَّ(١) ؛ كما سيأتي بسطُ ذلكَ في الخاتمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أوَّلُ مجازاةِ مَنْ حلُمَ علىٰ مَنْ جنىٰ عليهِ . . أنْ يصيرَ الناسُ كلُّهم أنصارَهُ)(٢) .

وقالَ إبليسُ ليحيى بنِ زكريا عليهما الصلاةُ والسلامُ : (أعظمُ مصايدي الغضبُ ؛ فبِهِ أسرْتُ خيارَ الناسِ ، وعوَّقْتُهم عن طريقِ الجنةِ)(٣) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا قيلَ لهُ : إنَّ فلاناً يقعُ في عِرضِكَ . . يقولُ : واللهِ ؛ لأغيظَنَّ مَنْ أمَرَهُ - يعني : إبليسَ - ثمَّ يقولُ : اللَّهمَّ ؛ إنْ كانَ صادقاً فاغفرْ لي ، وإنْ كانَ كاذباً فاغفرْ لهُ(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٦) ، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الحلم » (١٢) .

(٣) روىٰ نحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٥٢٢) ، وابن أبي الدنيا في « مكائد الشيطان » (٣٨) من قول وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ فيما يحكيه عن راهب بدا له إبليس .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٧٠) ، وابن أبي الدنيا في « الإشراف » (٣٦٧) من قول الفضيل بن بزوان رحمه الله تعالىٰ .

وقالَ رجلٌ مرَّةً لأبي هريرةَ : أنتَ أبو هريرةَ ؟ فقالَ : نعم ، فقالَ : أنتَ سارقُ الذَّريرةِ[١] ، فقالَ أبو هريرةَ : اللَّهمَّ ؛ اغفرْ لي ولأخي هـٰذا ، ثمَّ يقولُ : هـٰكذا أمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أنْ نستغفرَ لمَنْ ظلمَنا[٢] .

وقالَ رجلٌ لأبي ذرٍّ : أنتَ الذي نفاكَ معاويةُ إلى الشامِ ؟ لو كانَ فيكَ خيرٌ ما نفاكَ ، فقالَ لهُ أبو ذرٍّ : يا أخي ؛ إنَّ بينَ يديَّ عقبةً كؤوداً ؛ فإنْ نجوتُ منها لم يضرَّني ما قلتَ فيَّ ، وإنْ لم أنجُ فأنا أشرُّ ممَّا قلتَ[٣] .

وقالَتِ امرأةٌ لمالكِ بنِ دينارٍ : يا مُرائي ، فقالَ : يا هـٰذهِ ؛ قد عرفْتِ لَقَبي الذي أضلَّهُ أهلُ البصرةِ فلم يعرفوهُ[٤] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (منِ احتملَ كلمةَ سفَهٍ كُتِبَ لهُ عشرُ حسناتٍ) .

---

(١) **الذَّريرة** : نوع من الطيب . انظر « المصباح المنير » (ذ ر ر) .

(٢) أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (٢٤٧) ، وقد ورد عن بعض المبطلين أكاذيب وأباطيل طعنوا فيها بالصحابي الجليل سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ؛ ومن ذلك اتهامه بالسرقة ، ولـٰكن كما اختار المولىٰ عزَّ وجلَّ لنبيه صلى الله عليه وسلم أصحابَهُ لنشر هـٰذا الدين القويم اختار أيضاً لأولـٰئك الصحب الكرام من يرد عنهم كيد الكائدين وإرجاف المبطلين ، فبينوا كذب تلك الروايات وضلال أصحابها ، وانظر « المستدرك » للحاكم (٣/ ٥١٣) ، وفي « أسد الغابة » (٥/ ٣٢١) : (قال البخاري : روىٰ عن أبي هريرة أكثر من ثمان مئة رجل من صاحب وتابع ، فمن الصحابة : ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وأنس ، وواثلة بن الأسقع ، واستعمله عمر على البحرين ثم عزله ، ثم أراده على العمل فامتنع ، وسكن المدينة ، وبها كانت وفاته) رضي الله عنه وأرضاه .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ نظراً**) ، والخبر أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ٣٠٥) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٣٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٠٨) .

وكانَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا سمعْتَ كلمةَ سفهٍ فأعرضْ عنها ولا تُجبْ عنها ؛ فإنَّ لها عند قائلِها أخواتٍ يجيبُكَ بها) .

وكانَ محمدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ التابعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تغضبوا علىٰ كَسْرِ أوانيكم ؛ فإنَّ لها آجالاً كآجالِكم)[1] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ بحليمٍ مَنْ نَفَّذَ غضبَهُ في حمارٍ أو هرَّةٍ) .

وكانَ يقولُ : (أشدُّ ما على السَّفيهِ الإعراضُ عن جوابِهِ ، وإظهارُ عدمِ التأثُّرِ بهِ) .

وكانَ الحسينُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما إذا شتمَهُ أحدٌ يقولُ لهُ : يا أخي ؛ إنْ كانَ قولُكَ صدقاً فسوفَ يجازيكَ اللهُ بصدقِكَ ، وإنْ كانَ كذباً فاللهُ أشدُّ نقمةً منِّي لكَ[2] .

ولطمَهُ إنسانٌ مرَّةً علىٰ وجهِهِ فلم يتغيَّرْ ، فقالوا لهُ : لماذا لم تتغيَّرْ ؟ فقالَ لهم : مَنْ قدَّر هـٰذا ؟ فقالوا : اللهُ ، فقالَ : أفترَوْنَ أنِّي أردُّ قضاءَ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟!

وكانَ معاويةُ بنُ قُرَّةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كنيةُ الحِدَّةِ أمُّ جهلٍ) .

وكانَ ابنُ المقفَّعِ يقولُ : (كظمُ الغيظِ أولىٰ مِنْ ذلِّ الاعتذارِ)[3] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٦) ، وأورده الديلمي في « الفردوس » (٧٣٧٩) من حديث سيدنا كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/ ٢٤٤) .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢١٤٢) من قول بزرجمهر الحكيم .

وقيلَ لهُ مرةً : ما الفرقُ بينَ الحزنِ والغضبِ ؟ فقالَ : الحزنُ يكونُ مِنْ مخالفةِ مَنْ هو فوقَكَ لهواكَ ، والغضبُ يكونُ مِنْ مخالفةِ مَنْ هو دونَكَ لهواكَ .

وكانَ أبو معاويةَ الأسودُ رضيَ اللهُ عنهُ يدعو لمَنْ نالَ منهُ ، ويقولُ : (اللهمَّ ؛ اغفرْ لأبي معاويةَ الذنبَ الذي تسلَّطَ هـٰذا منهُ عليَّ ، واغفرْ لهُ)[1] .

وقيلَ للشعبيِّ مرةً : إنَّ فلاناً يقعُ في عرضِكَ ، فأنشدَ[2] : [من الطويل]

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا ٱسْتَحَلَّتِ

وشتمَ رجلٌ بكرَ بنَ عبدِ اللهِ المزنيَّ وبالغَ في شتمِهِ وهو ساكتٌ ، فقالوا لهُ : ألا تشتِمُهُ كما شتمَكَ ؟ فقالَ : إنِّي لا أعرفُ لهُ شيئاً مِنَ المساوي حتىٰ أشتِمَهُ بهِ ، ولا يحلُّ لي أنْ أرميَهُ بكذبٍ .

وكانَ الأعمشُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قالَتِ الأُذُنُ : لولا خوفي أنْ أقصُرَ وأنجمِعَ بالجوابِ لطُلْتُ كما طالَ الكساءُ)[3] .

وقالَ رجلٌ لثورِ بنِ يزيدَ رضيَ اللهُ عنهُ : يا قَدَريُّ ، يا رافضيُّ ، فقالَ : إنْ كنتُ كما قلْتَ لي فأنا رجلُ سَوءٍ ، وإنْ كنْتُ علىٰ خلافِ ذلكَ فأنتَ في حلٍّ مني[4] .

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (٩٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٢/٦٧) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٥٧٣) ، والدينوري في « المجالسة » (٨٠٠) .

(٣) رواه ابن المقرئ في « المعجم » (١٠٤٧) ، وفيه : (أقمع) بدل (أنجمع) .

(٤) رواه أبو زرعة في « تاريخه » (ص ٣٦٠) .

وكانَ مكحولٌ الدمشقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يبيِّنُ حِلمَ الرجلِ إلا تسليطُ الجاهلينَ عليهِ)[١] .

وقالَ رجلٌ لسالمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهم : يا شيخَ السَّوءِ ، فقالَ لهُ سالمٌ : ما أراكَ أبعدْتَ يا أخي .

وقالَ لقمانُ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ إنْ أردْتَ أنْ تؤاخيَ أحداً فأغضِبْهُ ؛ فإنْ أنصفَكَ وهو مُغضَبٌ فواخِهِ ، وإلا فاحذرْهُ)[٢] .

وسُئلَ السَّرِيُّ السقطيُّ رحمَهُ اللهُ عنِ الحلمِ ، فقالَ : (أيَّ حلمٍ تريدُ ؟ **فإنَّ الحلمَ على خمسةِ أقسامٍ** ؛ **الأولُ** : حلمٌ غريزيٌّ ، وذلكَ هبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ للعبدِ ؛ بهِ يعفو عمَّنْ ظلمَهُ ، ويعطي مَنْ حرمَهُ ، ويَصِلُ بهِ رحمَهُ وإنْ قَطعَتْ ، **الثاني** : حلمُ تحالُمٍ ؛ بكظمِ غيظِكَ ؛ رجاءَ الثوابِ وفي القلبِ كراهةٌ ، **الثالثُ** : حلمٌ مذمومٌ ؛ وهو أنْ يحلُمَ رياءً وسمعةً وصاحبُهُ حاقدٌ ساكتٌ يرائي بهِ جلساءَهُ ، **الرابعُ** : حلمُ كبرٍ ؛ وهو أنَّ الشخصَ لا يراهُ أهلاً بأنْ يجاوبَهُ ، **الخامسُ** : حلمُ مهانةٍ ومذلَّةٍ) انتهىٰ[٣] .

فاعلمْ ذلكَ ؛ **فإنَّه نفيسٌ** لا تجدُهُ في كتابٍ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٤] .

---

(١) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/ ٣٣٠) من قول الأحنف رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٩١) .

(٣) أورده النويري في « نهاية الأرب » (٦/ ٤٩) .

(٤) في هامش (أ) بلاغان بالعبارة ذاتها ؛ وهي : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلِّفه**) .

[الاتّعاظ بالرّؤىٰ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : الاتعاظُ بما يرَوْنَهُ لبعضِهم في المنامِ ، أو يُرىٰ لهم ، وعدمُ قولِهم : هٰذهِ أضغاثُ أحلامٍ ، كما عليهِ بعضُ المتصوِّفةِ مِنْ أهلِ هٰذا الزمانِ ، فلا يلتفتونَ لمثلِ ذلكَ ، وربَّما قالَ أحدُهمُ : المنامُ إنَّما هو للرائي لا للمرئيِّ لهُ ، وذلكَ مِنْ جملةِ الجهلِ ؛ فإنَّ الرؤيا وحيُ المؤمنِ يأتيهِ بها ملَكُ الإلهامِ في المنامِ ؛ ليُعرِّفَهُ بما جهلَهُ مِنْ حالِهِ في اليقظةِ .

وقد بيَّنْتُ في غيرِ هٰذا الكتابِ عملي بذلكَ ؛ مِنْ حيثُ التجرِبةُ ، فينبِّهني اللهُ تعالىٰ بذلكَ علىٰ صورةِ ما وقعْتُ فيهِ مِنَ النقائصِ مِنْ حيثُ لا أشعرُ ، أمَّا ما أشعرُ بهِ فلا أحتاجُ فيهِ إلىٰ منامٍ ، بل أكتفي فيهِ بنهيِ الشارعِ ، وبما توعَّدَني عليهِ الصلاةُ والسلامُ علىٰ ذلكَ النقصِ مِنَ العقوبةِ .

وقد كانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (رأيتُ مسلمَ بنَ يسارٍ في المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقلْتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ لي : رأيتُ واللهِ أهوالاً وزلازلَ شداداً) ، وشهَقَ مالكٌ شهقةً كادَتْ روحُهُ تخرجُ[1] .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (رأيتُ مهرانَ بنَ موسىٰ في

---

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٩٤) .

المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقلْتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أنا محاسَبٌ منذُ متُّ علىٰ أكلي مِنْ طعامِ الأمراءِ) .

ورُئِيَ الحسنُ بنُ ذكوانَ بعدَ موتِهِ بسنةٍ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أنا محبوسٌ عنِ الجنةِ مِنْ جهةِ إبرةٍ استعرْتُها فلم أردَّها ، فقيلَ لهُ : أيُّ القبورِ أكثرُ إضاءةً ؟ فقالَ : قبورُ أهلِ المصائبِ في الدنيا[١] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ربَّما يرىٰ بعضُهمُ الرؤيا السَّوءَ للصالحِ ؛ ليزدادَ بها نشاطاً ، وربَّما يرىٰ بعضُهمُ الرؤيا الصالحةَ للرجلِ السَّوْءِ ؛ ليزدادَ بها استدراجاً ، كما رأىٰ بعضُهم مثلَ ذلكَ للربيعِ بنِ خُثَيمٍ ، وقالَ لهُ : رأيتُ كأنَّكَ مِنْ أهلِ النارِ ، فكانَ بعدَ ذلكَ لا ينامُ الليلَ مطلقاً ، ويقولُ : خوفُ النارِ منعَني النومَ) .

وقالَ رجلٌ للعلاءِ بنِ زيادٍ رضيَ اللهُ عنهُ : رأيتُكَ البارحةَ وأنتَ تخطرُ في الجنَّةِ[٢] ، فقالَ لهُ : أَمَا وجدَ إبليسُ أحداً يسخرُ بهِ غيري ، ولا أحداً أحقرَ في عينِهِ منكَ حتىٰ يجعلَكَ رسولَهُ ؟![٣] .

وكانَ فرقدٌ السَّبَخِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خطرَ لي في نفسي مرَّةً أنَّني مِنَ الصابرينَ ، فرأيتُ تلكَ الليلةَ قائلاً يقولُ لي : لا تكونُ مِنَ الصابرينَ حتىٰ تستقلَّ أعمالَكَ في عينِكَ ، وتخافَ عليها مِنَ الردِّ والفسادِ)[٤] .

---

(١) أورده بنحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٣٢) من طريق حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالىٰ .

(٢) قوله : (**تخطر في الجنة**) ؛ أي : تتبختر ، وانظر « مختار الصحاح » (خ ط ر) .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٤٢٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٤٥) .

(٤) في (هـ) : (الرياء) بدل (الرد) .

وقالَ حَوْشبٌ لمالكِ بنِ دينارٍ : (رأيتُ قائلاً يقولُ مِنَ السماءِ : يا أهلَ الأرضِ ؛ الرحيلَ الرحيلَ ، فما رأيتُ أحداً رحلَ غيرَ محمدِ بنِ واسعٍ) ، فخرَّ مالكٌ مغشياً عليهِ(١) .

وقالَ فرقدٌ السَّبَخيُّ : (رأيتُ منادياً ينادي مِنَ السماءِ : يا أشباهَ اليهودِ ؛ إنْ أُعطيتُم لم تشكروا ، وإنِ ابتُليتُم لم تصبروا ، ومعَ ذلكَ تزعُمونَ أنَّكم مِنَ الصالحينَ ! فكونوا علىٰ حذرٍ مِنْ سَطَواتِ ربِّكم) انتهىٰ(٢) .

ورأىٰ بعضُ أصحابِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : أنَّ القيامةَ قد قامَتْ ونادى المنادي : أينَ فلانُ بنُ فلانٍ ؟ فصارَ الناسُ يأتونَ فيحاسَبونَ ، ثمَّ يُذهَبُ بهم إلى النارِ ، ثمَّ نادى المنادي : أينَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؟ فأُتيَ بهِ فحُوسِبَ ، ثمَّ نجا وأُمرَ بهِ إلى الجنةِ ، فلمَّا قصَّ الرائي هٰذهِ الرؤيا علىٰ عمرَ ، ووصلَ إلىٰ قولِهِ : أينَ عمرُ . خرَّ عمرُ مغشياً عليهِ ، فصارَ يناديهِ في أذنِهِ : رأيتُكَ نجوتَ ، رأيتُكَ نجوتَ ، وعمرُ لا يعي ما يقولُ . انتهىٰ(٣) .

ففتشْ يا أخي نفسَكَ ؛ فأنتَ أعرفُ بها مِنْ غيرِكَ ، ولا تركنْ إلىٰ قولِ بعضِهم لكَ : (رأيتُكَ البارحةَ في الجنةِ) مثلاً إلا بعدَ عرضِ أفعالِكَ وأقوالِكَ وعقائدِكَ على الكتابِ والسنةِ ، واطِّلاعِكَ علىٰ حُسنِ خاتمتِكَ ، وأنَّىٰ لكَ بذلكَ ؟! والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٠٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤٦) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (١٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٤٦) .
(٣) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٦١٩) .

[عدم المبادرة بالدّعاء إلّا بعد موافقة العمل للشّريعة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : ألا يبادروا بالدعاءِ لمَنْ سألَهم أنْ يدعوا لهُ إلا إنْ علمَ أحدُهم أنَّ اللهَ تعالىٰ راضٍ عنهُ ؛ وذلكَ بعرضِهِ أعمالَهُ على الكتابِ والسنَّةِ ، فإنْ رأىٰ فيها مخالفةً فمِنَ الأدبِ أنْ يسألَ اللهَ تعالى العفوَ عن نفسِهِ ، ثمَّ بعدَ ذلكَ يدعو لمَنْ سألَهُ الدعاءَ .

وهـٰذا الخلُقُ قد أغفلَهُ غالبُ الفقراءِ اليومَ .

وقد كانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الدعاءُ حقيقةً هو تركُ الذنوبِ ؛ فمَنْ تركَها فعلَ اللهُ لهُ ما يختارُ مِنْ غيرِ سؤالٍ)[1] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأيتُ في بعضِ الكتبِ الإلـٰهيَّةِ : يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : كيفَ تدعونَني وقلوبُكم معرضةٌ عنِّي ؟!)[2] .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (أنْ قُلْ لبني إسرائيلَ : لا يدخلوا بيتاً مِنْ بيوتي إلا بقلوبٍ طاهرةٍ ، ونفوسٍ وَجِلةٍ ، وأبصارٍ خاشعةٍ ، وجوارحَ مطهَّرةٍ مِنَ الفواحشِ ، فمَنْ دخلَ بيتي وهو

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٩٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/٢٢٧) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٥٧) من قول صالح بن مسمار رحمه الله تعالىٰ .

متلطِّخٌ بشيءٍ مِنَ الذنوبِ لعنتُهُ ، وأعلِمْهم أنِّي لا أجيبُ لأحدٍ منهم دعوةً ولأحدٍ مِنَ الخلقِ عليهِ مظلمةٌ ، أو في بطنِهِ لقمةٌ مِنْ حرامٍ)[١] .

وكانَ إبراهيمُ النخعيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (دعاءُ الرجلِ في خلوتِهِ أفضلُ مِنْ دعائِهِ في مجالسِ القُصَّاصِ) .

وقالَ رجلٌ لزيادِ بنِ ظَبيانَ : أكثرَ اللهُ في المسلمينَ مِنْ أمثالِكَ ، فقالَ : لقد سألْتَ اللهَ شططاً ، وسألْتَ للناسِ أنْ يكونوا مِنْ أهلِ الشرِّ[٢] .

وقالَ رجلٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : أطالَ اللهُ بقاءَكَ ، فقالَ : هذا أمرٌ قد فُرِغَ منهُ ، ادعُ لي بإصلاحِ الحالِ[٣] .

قلْتُ : ينبغي للداعي لأخيهِ بطولِ البقاءِ أنْ ينويَ في نفسِهِ إنْ كانَ ذلكَ خيراً لهُ ؛ نظيرُ ما وردَ فيمَنْ خافَ الفتنةَ ، وإلا فقد يكونُ طولُ البقاءِ شراً لهُ ؛ لِمَا يقعُ فيهِ مِنَ المعاصي والمخالفاتِ ، واللهُ أعلمُ .

وقالَ رجلٌ لعامرِ بنِ قيسٍ : ادعُ اللهَ لي ، فقالَ : واللهِ ؛ إنِّي لأستحيِي منهُ أنْ أسألَهُ شيئاً يسرُّني ، فكيفَ أسألُ لغيري ؟! إنَّما تكونُ الشفاعةُ مِنَ المقرَّبينَ . انتهى[٤] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧٩) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٧٣) .

(٢) أورده بنحوه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/ ٢٧٠) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الإشراف » (٤١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٩٢) .

(٤) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٢٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٢ـ ٩٣) ، كلاهما بنحوه من قول عامر بن عبد قيس ، **ولعله الصواب** .

وبالجملةِ : فكلُّ شيخٍ تصدَّرَ في هـٰذا الزمانِ فينبغي لهُ ألا يبادرَ إلى الشفاعةِ في غيرِهِ إلا إنْ علمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ عفا عنهُ ، وألا يكونَ في بطنِهِ لقمةٌ مِنْ شبهةٍ ، فإنْ دعا لأحدٍ وليسَ هو بسالمٍ مِنْ ذلكَ . . فليسألْ وهو في غايةِ الحياءِ والخجلِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[زيادة الخوف من الله تعالى كلما ازداد إحسانه]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : زيادةُ الخوفِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ كلَّما أحسنَ إليهم وقرَّبَهم إلىٰ حضرتِهِ كما عليهِ أهلُ مجالسةِ الملوكِ ، وللهِ المثلُ الأعلىٰ .

وقد كانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم كلَّما ازدادَ مِنَ اللهِ نعمةً وقرباً كلَّما اشتدَّ خوفاً)[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يكفي العامةَ مِنَ الخوفِ أنْ ينتهوا عمَّا نهاهمُ اللهُ عنهُ) ، ثمَّ يقولُ : (فيا ليتني كنْتُ منهم) .

وكانَ حمادُ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يجلسُ دائماً إلا مستوفِزاً علىٰ قدميهِ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنَّما يجلسُ مطمئناً مَنْ أمِنَ مِنْ عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وأنا واللهِ غيرُ آمنٍ في ليلٍ أو نهارٍ مِنْ أنْ تنزلَ عليَّ نارٌ مِنَ السماءِ تحرقُني) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لقد رحمَ اللهُ الخلقَ بالغفلةِ في بعضِ الأوقاتِ ، ولولا الغفلةُ لماتوا مِنْ خشيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[2] .

---

(١) قوله : (كلما اشتدَّ) : كذا في جميع النسخ بإثبات (كلما) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٥) من قول مطرِّف بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ عطاءٌ [السَّلِيميُّ] رضيَ اللهُ عنهُ إذا ثارَتْ ريحٌ يصيرُ يقومُ ويقعدُ ويخرجُ ويدخلُ ، ويأخذُ بجلدةِ بطنِهِ ؛ كأنَّهُ امرأةٌ أخذَ بها الطَّلْقُ[1] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا غلبَ الرجاءُ على الخوفِ فسدَ القلبُ ؛ كما عليهِ الحمقىٰ مِنْ أمثالِنا)[2] .

وكانَ الشعبيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (خَفْ مِنَ اللهِ حتىٰ يأتيَكَ الأمنُ ؛ فإنَّهُ أحبُّ إليكَ مِنْ رجائِكَ فيهِ حتىٰ يأتيَكَ الخوفُ) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ أيضاً : (واللهِ ؛ إنِّي لأخافُ أنْ أكونَ أوَّلَ مَنْ يُسحبُ علىٰ وجهِهِ يومَ القيامةِ إلى النَّارِ) .

وغلبَ الخوفُ علىٰ سفيانَ الثوريِّ حتىٰ صارَ يبولُ الدمَ ، فمضَوا ببولِهِ إلىٰ طبيبٍ يهوديٍّ ، فجاءَ معَ الرسولِ ، وجسَّ بطنَ سفيانَ ، وقالَ للحاضرينَ : ما أظنُّ أنَّ في الحنيفيَّةِ مثلَ هـٰذا ، وصارَ اليهوديُّ يبكي ويقولُ : هـٰذا الرجلُ قد قطعَ الخوفُ مِنَ اللهِ كبدَهُ ، فماتَ سفيانُ بعدَ أيَّامٍ[3] .

وكانَ عطاءٌ [السَّلِيميُّ] رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أُوقِدَتْ نارٌ وقيلَ : كلُّ مَنْ ألقىٰ نفسَهُ فيها صارَ لا شيءَ ، ولم يدخلِ النَّارَ الكبرىٰ . . لكنتُ أولَ مَنْ يلقي نفسَهُ فيها ، ولا أدخلُ النارَ الكبرىٰ)[4] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢١) .
(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٩٠٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢١) .
(٣) رواه مختصراً أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٢٢) .
(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢١٥ـ ٢١٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٩٠) .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أوقفوني بينَ الجنةِ والنارِ ، وخيَّروني بينَ أنْ أصيرَ رماداً وبينَ أنْ أصبرَ حتىٰ أعرفَ مصيري . . لاخترْتُ أنْ أكونَ رماداً)[1] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أشتهي أنْ يوقفَني ربي بينَ يديهِ ويقولَ : رضيتُ عنكَ يا مالكُ ، ثمَّ أصيرَ تراباً بعدَ ذلكَ)[2] .

وكانَ عليُّ بنُ بكَّارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مكثَ عطاءُ [السَّلِيميُّ] علىٰ فراشِهِ مُزمناً مِنْ شدَّةِ الخوفِ أربعينَ سنةً يُعادُ ، فبلغَ ذلكَ بعضَ العبَّادِ ، فقالَ : وأيُّ شيءٍ أربعينَ سنةً ؟! لو عبَدَ اللهَ تعالىٰ عددَ شعرِ رأسِهِ آلافاً مِنَ السنينَ لكانَ ذلكَ قليلاً في جنبِ سيِّئةٍ واحدةٍ يفعلُها العبدُ)[3] .

وكانَتْ فاطمةُ بنتُ عبدِ الملكِ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (ما رأيتُ أخوفَ للهِ مِنْ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ؛ كانَ إذا جلسَ مجلسَ الرجلِ مِنِ امرأتِهِ ارتعدَ مِنَ الهيبةِ ، وانتفضَ كالطيرِ المذبوحِ ، فلمَّا وليَ الخلافةَ تركَ القربَ مِنْ عيالِهِ حتىٰ ماتَ)[4] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أخافُ أنْ أُوخَذَ وأنا في شهوةِ نفسي) .

---

(١) أورده ابن الجوزي في « التبصرة » (٢/ ٢١١) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المتمنِّين » (٧٢) من قول سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٨٢) ، وابن أبي الدنيا في « المتمنين » (٣٣) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢١٧) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٥) .

قالَتْ : (ولمَّا وليَ الخلافةَ جمعَنا وجمعَ جواريَهُ وقالَ : قد جاءَني أمرٌ شغلَني عنكنَّ ، فما أفرُغُ لكُنَّ حتىٰ أفرُغَ مِنَ الحسابِ يومَ القيامةِ ، فمَنْ شاءَتْ أنْ تقيمَ عندي ولا تطالبَني بشيءٍ فلتفعلْ ، ومَنْ شاءَتِ الفراقَ فلتفارقْ ، فبكىٰ جواريهِ حتىٰ ظنَّ جيرانُهُ أنَّهُ ماتَ عندَنا ميتٌ)(١) .

وكانَ عطاءٌ [السَّليميُّ] رضيَ اللهُ عنهُ عامَّةَ ليلِهِ يمسُّ جلدَهُ بيدِهِ ؛ مخافةَ أنْ يكونَ قد مُسخَ(٢) ، وكذلكَ السريُّ السقطيُّ وبشرٌ الحافي .

وكانَ إسحاقُ بنُ خلفٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ الخائفُ الذي يبكي ويمسحُ عينَيهِ وهو مرتكبٌ للمعاصي ، وإنَّما الخائفُ الذي تركَ الذنوبَ التي يعذِّبُهُ اللهُ عليها)(٣) .

وكانَ السريُّ السقطيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ الخائفُ الذي تأخذُهُ رقَّةٌ عندَ تلاوةِ القرآنِ مثلاً ، إنَّما الخائفُ الذي تركَ طعامَهُ وشرابَهُ ، وطلَّقَ النَّومَ ، حتىٰ يعلمَ أينَ ينتهي حالُهُ) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لم يقدرْ عليُّ بنُ الفضيلِ علىٰ سماعِ قراءةِ سورةِ « القارعةِ » إلىٰ أنْ ماتَ ، وسمعَها مرَّةً على غفلةٍ ، فمكثَ ثلاثةَ أيامٍ بلياليها لا يعي شيئاً)(٤) .

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٠) .

(٢) سبق تخريجه (ص٢٣٣) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/ ٢٠٦) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٢٣٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٩٩) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ ينشدُ في الليلِ[1] : [من الوافر]

إِذَا مَـا ٱللَّيْـلُ أَظْلَـمَ كَـابَـدُوهُ فَيُسْفِـرُ عَنْهُـمُ وَهُـمُ رُكُـوعُ
أَطَـارَ ٱلْخَـوْفُ نَـوْمَهُـمُ فَقَـامُـوا وَأَهْلُ ٱلْأَمْنِ فِي ٱلدُّنْيَا هُجُوعُ

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واتَّبعْ سلفَكَ الطاهرَ في الخوفِ ؛ فإنَّ مَنْ خافَ سَلِمَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[2] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٨٦) .
(٢) في هامش (أ) : (بلغ قراءةً علىٰ مؤلفه رضيَ اللهُ عنهُ) .

[كثرة الحزن على التفريط في جنب الله تعالىٰ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الحزنِ علىٰ ما فرَّطوا في جنبِ اللهِ ، ولو عبدوا اللهَ تعالىٰ عبادةَ الثقلَينِ لا يرَوْنَ أنَّهم قاموا بواجبِ حقِّ الربوبيةِ الذي عليهم ، ولا فرقَ في ذلكَ بينَ العارفِ والمبتدئِ ، خلافُ ما عليهِ بعضُ المتصوِّفةِ في هٰذا الزمانِ مِنْ قولِهم : (إنَّما يكونُ الحزنُ للمبتدئِ ، وأمَّا العارفُ فلا حزنَ عندَهُ ولا خوفَ) ، وهٰذا مِنْ زيادةِ الجهلِ .

وقد درجَ الأكابرُ كلُّهم علىٰ توالي الحزنِ إلىٰ أنْ ماتوا ، فيُحملُ قولُ مَنْ قالَ : إنَّ العارفينَ لا حزنَ عندَهم ؛ أي : علىٰ فواتِ أمورِ الدنيا ، وأمَّا الآخرةُ فتركُ حزنِهم علىٰ فواتِها مذمومٌ ؛ فإنَّ في الحديثِ : « إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ »[1] ؛ **يعني** : علىٰ فواتِ حظِّهِ مِنَ اللهِ في الدارينِ .

وكانَ موسى بنُ سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ: (لقاحُ العملِ الصالحِ الحزنُ)[2] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ القلبَ إذا لم يكنْ فيهِ

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣١٥) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٤٨٠) من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٣٣) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٤٢٤) من قول مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

حزنٌ خَرِبَ ؛ كما أنَّ البيتَ إذا لم يكنْ فيهِ ساكنٌ خَرِبَ)[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ ما يسعُ المؤمنَ في الدنيا إلا الحزنُ)[2] .

وكانَ داودُ الطائيُّ يقولُ : (كيفَ يفرُغُ مِنَ الحزنِ مَنْ تتجدَّدُ عليهِ المصائبُ في كلِّ ساعةٍ ؟!)[3] ؛ يعني : الذنوبَ .

ولمَّا ماتَ الفضيلُ بنُ عياضٍ قالَ وكيعٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (قدِ ارتفعَ الحزنُ البالغُ اليومَ مِنَ الأرضِ)[4] .

وكانَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو رأيتُمُ الحسنَ البصريَّ لقلتُم : إنَّ اللهَ تعالىٰ قد بثَّ عليهِ حُزْنَ الخلائقِ أجمعينَ ؛ مِنْ طولِ تلكَ الدَّمعةِ ، وتواصلِ ذلكَ النشيجِ)[5] .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أحدٌ في الدنيا أشدَّ همّاً مِنَ المؤمنِ ؛ لأنَّهُ شاركَ أهلَ الدنيا في المعايشِ ، وزادَ عليهم باهتمامِهِ بأمرِ الآخرةِ)[6] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ لا يراهُ أحدٌ إلا ظنَّ أنَّهُ قريبُ عهدٍ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٧٠) ، والدينوري في « المجالسة » (٢٦٥٨) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٣٣) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٥٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٥٦) .
(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٣٩٠) .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٤١) .
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٠٨) .

بمصيبةٍ ؛ لِمَا بهِ مِنْ شدَّةِ الحزنِ ، وكذلكَ كانَ أصحابُهُ كلُّهم[(١)] .

وكانَ هَرِمُ بنُ حيانَ رحمَهُ اللهُ لم يزلْ مهموماً الشهرَ والدهرَ ، فإذا قيلَ لهُ في ذلكَ يقولُ : (ومَنْ أَولىٰ مني بذلكَ وأنا لا أعرفُ ماذا إليهِ مصيري ؟!) انتهىٰ[(٢)] .

فعليكَ يا أخي بالحزنِ ؛ حتىٰ لا يصيرَ لكَ وقتٌ تتفرَّغُ فيهِ لشيءٍ مِنْ شهواتِ نفسِكَ في الدنيا ، وإلا فأنتَ مغبونٌ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٩) .

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٢٩٠) ، وابن أبي الدنيا في « المتمنين » (٣٧) .

[عدم الاغترار بعفو الله تعالى من دون عمل]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ الاغترارِ باللهِ ؛ بحيثُ يعتمدُ أحدُهم علىٰ عفوِ اللهِ تعالىٰ ، ويتركُ الأعمالَ الصالحةَ ، إنَّما كانوا يبالغونَ في الاجتهادِ في العبادةِ ، ثمَّ يعتمدونَ علىٰ عفوِ اللهِ لا علىٰ أعمالِهم .

وفي الحديثِ : « ٱلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَى ٱللهِ »(١) .

وسئلَ سعيدُ بنُ جبيرٍ عنِ الاغترارِ باللهِ : ما هو ؟ فقالَ : هو تمادي العبدِ في العصيانِ ، ثمَّ يتمنَّىٰ على اللهِ المغفرةَ(٢) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ أقواماً خرجوا مِنَ الدنيا وليسَ لهم حسناتٌ مِنْ كثرةِ ما ألهتْهُم أمانيُّ المغفرةِ ، يقولُ أحدُهم : إنِّي لَحَسَنُ الظنِّ بربي ؛ فلا أبالي أكَثُرَ العملُ أم قلَّ ، وهو كاذبٌ في ذلكَ ؛ إذ لو أحسنَ الظنَّ بربِّهِ حقيقةً لأحسنَ العملَ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣])(٣) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٢٦٠) من حديث سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٨٤) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الوجل » (٢) ، والطبري في « تفسيره » (٤٥٦/٢١) .

وكانَتْ أضلاعُ ميسرةَ العابدِ قد بدَتْ مِنْ كثرةِ المجاهدةِ ، وإذا قيلَ لهُ : إنَّ رحمةَ اللهِ واسعةٌ . . يزجرُ القائلَ ويقولُ : صحيحٌ ذلكَ ، ولولا سعةُ رحمتِهِ لأهلكَنا بذنوبِنا في طاعاتِنا فضلاً عن معاصينا[1] .

وكانَ حذيفةُ المرعشيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنْ لم تخفْ أنْ يعذِّبَكَ اللهُ تعالىٰ علىٰ أحسنِ طاعاتِكَ لِمَا فيها مِنَ النقصِ ، وإلا فأنتَ هالكٌ)[2] .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ اليدَ تُقطعُ في سرقةِ خمسةِ دراهمَ ، ولا شكَّ أنَّ أصغرَ ذنوبِكَ أقبحُ مِنْ سرقةِ خمسةِ دراهمَ ؛ فلكَ بكلِّ ذنبٍ قطعُ عضوٍ في الآخرةِ)[3] .

وكانَ حذيفةُ بنُ قتادةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو قالَ لي شخصٌ : واللهِ ؛ إنَّ أعمالَكَ أعمالُ مَنْ لا يؤمنُ بيومِ الحسابِ . . لقلْتُ لهُ : صدقْتَ ؛ لا تكفِّرْ عن يمينِكَ)[4] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (واللهِ ؛ ما أحدُنا آمنٌ أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يغفرُ لهُ ذنبَهُ[5] ، فيصيرَ أحدُنا يعملُ في غيرِ معملٍ)[6] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أرجى الناسِ للنجاةِ أخوفُهم

---

(١) أورده بنحوه الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٤٢٣) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٦٩) .

(٣) أورد نحوه ابن الجوزي في « المقلق » (ص٢٩) من قول بعض الحكماء .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٦٨) .

(٥) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، ولعلَّ الأنسب للسياق : (يغفر) بدل (لا يغفر) ، وقوله : (آمنٌ) علىٰ لغة من لم يُعمِل (ما) .

(٦) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التوبة » (١٥٤) .

علىٰ نفسِهِ ، ألا ترىٰ يونسَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لمَّا ظنَّ أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يعاقبُهُ علىٰ دعائِهِ علىٰ قومِهِ . . كيفَ عجَّلَ اللهُ لهُ المؤاخذةَ بحبسِهِ في بطنِ الحوتِ ؟!) انتهىٰ[١] .

فعليكَ يا أخي بالخوفِ مِنَ اللهِ تعالىٰ بطريقِهِ الشرعيِّ ؛ فإنَّهُ أَولىٰ بكَ ، وهيهاتَ أنْ تنجوَ معَ كثرةِ أعمالِكَ الصالحةِ ليلاً ونهاراً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورد نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٤/ ٢٨٩) .

[كثرة الصّبر على البلايا، وعدم التسخط على قدر الله تعالى]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الصبرِ على البلايا والنوازلِ ، وعدمُ سخطِهم على مقدورِ ربِّهم ، وكانوا يقولونَ : مَنْ لم يصبرْ فليتصبَّرْ ؛ لحديثِ : « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ ٱللهُ »(١) .

فعُلِمَ : أنَّ مَنْ لم يصبرْ عن فضولِ الدنيا مِنْ طعامٍ ومنامٍ وكلامٍ وجماعٍ وغيرِ ذلكَ .. لا تقولُ لهُ الملائكةُ يومَ القيامةِ : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ ﴾ [الرعد : ٢٤] ، بل هو يومَ القيامةِ في همٍّ وغمٍّ وعدمِ أمنٍ ، بخلافِ مَنْ سلَّمَتْ عليهِ الملائكةُ ؛ فإنَّهُ يأمنُ ويزولُ عنهُ الغمُّ والهمُّ ويصيرُ في فرحٍ وسرورٍ وأمنٍ .

وقد كانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] : (**البأساءُ** : الفقرُ ، **والضرَّاءُ** : المرضُ)(٢) .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يوصفُ بالصبرِ إلا مَنْ صبرَ علىٰ أذى الناسِ لهُ ، ولم يقابلْهم بنظيرِ ذلكَ) ؛ **يعني** : لا سراً ولا جهراً ،

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩) ، ومسلم (١٠٥٣) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٧٣) .

حتىٰ بالدعاءِ عليهم ، أوِ التوجُّهِ إلى اللهِ فيهم .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أعظمُ الصبرِ صبرُ العبدِ عمَّا نهى اللهُ عنهُ ، وصبرُهُ علىٰ ما أمرَهُ اللهُ بفعلِهِ)(١) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ ليواصِلُ البلاءَ بعبدِهِ المؤمنِ ؛ فيُنزِلُ عليهِ بلاءً بعدَ بلاءٍ ؛ حتىٰ يُحشرَ وليسَ عليهِ خطيئةٌ)(٢) .

وعثرَتِ امرأةُ فتحٍ الموصليِّ في مشيِها ، فطارَ ظفرُها ، فضحكَتْ ، فقيلَ لها : ألم تجدي ألَمَ الظفرِ ؟! فقالَتْ : بلىٰ ، ولـٰكنَّ ثوابَ ذلكَ ألهاني عن وجودِ الاشتغالِ بالألمِ(٣) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا المرضُ والموتُ والفقرُ ما طأطأَ ابنُ آدمَ رأسَهُ مِنْ شدَّةِ الكِبْرِ ، ثمَّ معَ ذلكَ فهو وثَّابٌ علىٰ معاصي اللهِ)(٤) .

وشكا الأحنفُ بنُ قيسٍ وجعَ ضرسِهِ لعمِّهِ ، فقالَ لهُ : يا أحنفُ ؛ أراكَ تشكو مِنْ ضَرَبانِ ضرسِكَ ليلةً واحدةً ، واللهِ ؛ إنَّ لي بذلكَ نحوَ ثلاثينَ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصبر » (١٨٨) من قول سعيد بن جبير رحمه الله تعالىٰ .

(٢) **يشهد له** : ما رواه الترمذي (٢٣٩٨) ، وابن ماجه (٤٠٢٣) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « فما يبرح البلاء بالعبد حتىٰ يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة » .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٠٦١) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٤٨٧) ، والدينوري في « المجالسة » (٢١٥٢) .

سنةً ، ما أظنُّ أنَّ أحداً شعرَ بذلكَ غيرَكَ في هٰذا الوقتِ[١] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقول : (مرَّ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يوماً برجلٍ قد خرقَتِ السباعُ لحمَهُ ونهشَتْ بطنَهُ ، فوقفَ عليهِ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ متعجِّباً ، وقالَ : يا ربِّ ؛ إنَّهُ لمطيعٌ لكَ ، فما ذا الذي أرىٰ ؟! فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ : أنَّهُ سألَني درجةً لم يبلغْها بعملِهِ ، فابتليتُهُ لأبلِّغَهُ تلكَ الدرجةَ ، فقالَ أبو سليمانَ : سبحانَ اللهِ ! لو شاءَ لبلَّغَهُ تلكَ الدرجةَ بلا بلوىٰ ، ولٰكنْ سبحانَ الحكيمِ العليمِ !)[٢] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ شكا مصيبةً نزلَتْ بهِ إلىٰ غيرِ اللهِ تعالىٰ لم يجدْ للعبادةِ بعدَ ذلكَ حلاوةً حتىٰ يتوبَ اللهُ عليهِ)[٣] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أوحى اللهُ تعالىٰ إلى العُزَيرِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : إذا نزلَتْ بكَ بليةٌ فاحذرْ أن تشكوَني إلىٰ خلقي ، وعاملْني كما أعاملُكَ ، فكما لا أشكوكَ إلىٰ ملائكتي إذا صعدَ إليَّ عملُكَ القبيحُ . . كذلكَ لا ينبغي أنْ تشكوَني إلىٰ خلقي إذا نزلَ بكَ بلائي)[٤] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/٤٣٩ ـ ٤٤٠) ، وفي « الزهد » للإمام أحمد من زوائد ابنه (١٣٠٦) عن مغيرةَ قال : شكا ابن أخٍ للأحنف بن قيس إلى الأحنف بن قيس وجع ضرسه ، فقال له الأحنف بن قيس : (لقد ذهبت عني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد) .

(٢) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٣٩٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/١١٥) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٦٠١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣/١٤٤) من قول شقيق رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده بنحوه الديلمي في « الفردوس » (٥١٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا أهلكَ اللهُ تعالىٰ جميعَ مالِ أيوبَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ.. دخلَ بيتَهُ ، ونزعَ ثيابَهُ ، وقالَ : هٰكذا خرجْتُ إلى الدنيا وهٰكذا أخرجُ عنها) .

وقد أوحى اللهُ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (يا داودُ ؛ اصبرْ على المؤونةِ حتىٰ تأتيَكَ مِنَ اللهِ المعونةُ)[١] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو كانَتِ الدنيا نعيماً بلا كدرٍ.. لكانَتْ هيَ الجنةَ ، ولم نحتجْ إلى الانتقالِ منها) .

وكانَ محمدُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (احذرْ مِنَ الشكوىٰ ؛ فإنَّها تُفرِحُ عدوَّكَ ، وتُحزِنُ صديقَكَ) .

فاعلمْ ذلكَ واصبرْ ، وإنْ لم تصبرْ فتصبَّرْ ، وجاهدْ نفسَكَ ؛ فإنَّكَ إنْ لم تفعلْ كنْتَ عدواً لربِّكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦/ ٣٣٥) .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ**) .

[كثرة التسليم لأمر الله تعالى عند فقد قريب]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ التسليمِ لأمرِ اللهِ ، والرضا بقضائِهِ عندَ فقدِ ولدٍ أو أخٍ أو أحدٍ مِنَ الأهلينَ والأقاربِ ؛ إيثاراً لمرادِ اللهِ تعالىٰ علىٰ مرادِهم .

وقد ماتَ ابنٌ لداودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، فحزنَ عليهِ داودُ حزناً شديداً ، فقيلَ لهُ : ما كانَ يعدلُ عندَكَ ؟ قالَ : ملءَ الأرضِ ذهباً أنفقُهُ في سبيلِ اللهِ ، فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليهِ : لكَ مِنَ الأجرِ مثلُ ذلكَ[1] .

وكانَ بكرٌ المزنيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (موتُ الوالدِ مِلْكٌ حادثٌ ، وموتُ الأخِ كسرُ جناحٍ ، وموتُ الولدِ صَدْعٌ في القلبِ لا ينجبرُ)[2] .

وكان مورِّقٌ العجليُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما أعلمُ أحداً أنِّي أُوْجَرُ علىٰ موتِهِ إلا أحببْتُ أنْ يموتَ)[3] .

وكانَ ابنُ أبي كثيرٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا فائدةَ في الجَزَعِ بعدَ الموتِ ؛ لأنَّهُ لا يردُّ فائتاً)[4] .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠١٤١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٣٠٨) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٣٨٠) من قول عبيد الله بن أبي بكرة رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤١) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٧٧٠) من قول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا رأيتُم صاحبَ المصيبةِ قد مزَّقَ ثيابَهُ ، وأظهرَ الجزَعَ . . فلا تُعزُّوهُ ؛ فإنَّهُ صاحبُ إثمٍ ، فمَنْ عزَّاهُ فقد شاركَهُ في الإثمِ ، وإنَّما الواجبُ على الناسِ نهيُهُ عمَّا فعلَ) .

وكانَ أبو سعيدٍ البلخيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ أصيبَ بمصيبةٍ فمزَّقَ ثوباً ، أو ضربَ خدّاً . . فكأنَّما أخذَ رمحاً يقاتلُ بهِ ربَّهُ عزَّ وجلَّ)(١) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ يقولُ : (مَنْ أُصيبَ بمصيبةٍ فليفعلْ في اليومِ الأولِ ما يفعلُهُ في اليومِ الخامسِ مِنْ مصيبتِهِ)(٢) ؛ **يعني** : مِنْ ضحكٍ وأكلٍ وشربٍ وجماعٍ .

وفي الحديثِ : « مِنْ سَعَادَةِ ٱلْعَبْدِ رِضَاهُ بِقَضَاءِ ٱللهِ تَعَالَىٰ »(٣) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهما يقولُ : (أولُ شيءٍ كتبَهُ اللهُ في اللوحِ المحفوظِ : إنِّي أنا اللهُ لا إلـٰهَ إلا أنا ، محمدٌ رسولي ، مَنْ لم يستسلمْ لقضائي ، ولم يصبرْ علىٰ بلائي ، ولم يشكرْ نعمائي . . فليتَّخذْ لهُ ربّاً سوايَ ، ومَنِ استسلمَ لقضائي ، وصبرَ علىٰ بلائي ، وشكرَ نعمائي . . كتبْتُهُ صدِّيقاً ، وبعثْتُهُ معَ الصدِّيقينَ)(٤) .

---

(١) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٥٤٠) عن أبي سعيد كما ورد في المتن ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٤٣٩) عن أبي مسعود البلخي .

(٢) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٤٣٨) من قول مجوسيٍّ لابن المبارك عندما عزَّاه بموت ابنه .

(٣) رواه الترمذي (٢١٥١) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢٦٣) .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ ذُروةِ الإيمانِ الاستسلامُ للربِّ)(١) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ حزنَ على ما في يدِ غيرِهِ ـ **يعني** : حسدَ أخاهُ على رزقِهِ ـ فقد سَخِطَ على قضاءِ ربِّهِ)(٢) .

وأوحى اللهُ تعالى إلى داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (يا داودُ ؛ إنْ سلَّمْتَ لي ما أريدُ كفيتُكَ ما تريدُ ، وإنْ لم تسلِّمْ لي ما أريدُ أتعبْتُكَ فيما تريدُ ، ثمَّ لا يكونُ إلا ما أريدُ)(٣) .

وقيلَ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ : ما تريدُ ؟ فقالَ : أريدُ ما يريدُ الحقُّ تعالى بي ، وإنْ كانَتْ نفسي تكرهُ المعاصيَ(٤) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يرضَ بالقضاءِ فليسَ لحُمقِهِ دواءٌ)(٥) .

وكانَ ابنُ أبي روَّادٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ الشأنُ في لبسِ العباءةِ ، وأكلِ الخلِّ والشعيرِ ، ولكنَّ الشأنَ في رضا العبدِ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ)(٦) .

---

(١) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٣) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥٧٠) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٣٣) .

(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٣٤) .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٣٤) .

(٦) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣/ ١٣٦) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٣٤) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (شكا نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ ما نالَهُ مِنَ المكروهِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : كم تشكوني ولسْتُ بأهلِ ذمٍّ ، هٰكذا كانَ بدءُ شأنِكَ في علمِ الغيبِ ، فلِمَ تسخطُ علىٰ حُسنِ قضائي عليكَ ؟! أفتريدُ أنْ أغيِّرَ الدنيا مِنْ أجلِكَ ، وأُبدلَ اللوحَ بسببِكَ ، وأقضيَ لكَ بما تريدُ دونَ ما أريدُ ، ويكونَ ما تحبُّ دونَ ما أحبُّ أنا ؟! فبعزَّتي حلفْتُ ؛ لئن تلجلجَ هٰذا في صدرِكَ مرةً أخرىٰ لأسلبنَّكَ ثوبَ النبوَّةِ ، ولأُورِدَنَّكَ النارَ ولا أبالي)[١] .

قلْتُ : قد أجمعَ العلماءُ علىٰ أنَّ المعصومَ لا يصحُّ سلبُهُ ، فالظاهرُ أنَّ ما هنا وردَ علىٰ سبيلِ الفرْضِ والتقديرِ ، وما كلُّ ما توعَّدَ اللهُ بهِ عبادَهُ واقعٌ ، فليُتأمَّل ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ محمَّدُ بنُ شقيقٍ البلخيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (اشتريتُ بطِّيخةً لأمِّي ، فلم تعجبْها فسخطَتْ ، فقلْتُ لها : يا أمَّاه ؛ علىٰ مَنْ تسخطينَ ؛ علىٰ بائعِها ، أم علىٰ مشتريها ، أم علىٰ خالقِها ؟! فواللهِ ؛ إنَّ خالقَها لأحسنُ الخالقينَ ، وإنَّ البائعَ والمشتريَ ما أعطياكِ إلا قسمةَ اللهِ لكِ في الأزلِ ، فاستغفرَتْ أمِّي مِنْ ذلكَ ، وتابَتْ إلى اللهِ تعالىٰ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لأنْ ألحسَ جمرةً بلساني أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقولَ لشيءٍ وقعَ : لِمَ وقعَ ؟)[٢] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٤١) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٣٢) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٢) من زيادات نعيم بن حماد رحمه الله =

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما ثَمَّ فعلٌ للهِ تعالىٰ إلا ويجبُ على العبدِ شكرُ ربِّهِ عليهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ حكيمٌ عليمٌ ، وأمَّا مِنْ حيثُ كسبُ العبدِ فيجبُ عليهِ عدمُ الرضا بِهِ إنْ كانَ مذموماً ؛ تعظيماً لجنابِ اللهِ عزَّ وجلَّ) .

وطلعَتْ مرَّةً في رِجْلِ محمدِ بنِ واسعٍ قَرْحةٌ شديدةٌ ، فقالَ لهُ رجلٌ مِنْ أصحابِهِ : إنِّي لأرحمُكَ مِنْ أجلِ طلوعِ هـٰذهِ القرحةِ ، فقالَ : إنْ كنْتَ تحبُّني فاشكرِ اللهَ تعالىٰ معيَ الذي لم يُطلِعْها في لساني ، أو في عيني ، أو في أذني ، أو تحتَ إبطي ، أو في ثديي ، أو في فرجي[(١)] .

ولمَّا سقطَتْ مَقادِمُ أسنانِ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (الحمدُ للهِ الذي لم يُذهبْ سمعي وبصري) .

ويروىٰ عن يونسَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنَّهُ قالَ لجبريلَ : يا أخي يا جبريلُ ؛ دلَّني علىٰ أعبدِ أهلِ الأرضِ ، فدلَّهُ علىٰ رجلٍ قد قطعَ الجذامُ يدَيهِ ورجلَيهِ ، وذهبَ بشعرِهِ وبصرِهِ ، فذهبَ يونسُ إليهِ ، فسمعَهُ يقولُ : إلـٰهي ؛ مَتَّعتَني بقوتي كما تشاءُ ، ثمَّ سلبتَني قوتي كما تشاءُ ، وأبقَيتَ لي فيكَ الأملَ بالخيرِ ، فلكَ الفضلُ عليَّ[(٢)] .

وكانَ بشرُ بنُ الحارثِ يقولُ : (اجتمعْتُ في سياحتي برجلٍ مجذومٍ ،

= تعالىٰ ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢١٠) .

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٥٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ١٦٤) ، وفيهما : (يجعلها) بدل (يطلعها) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (٢٥) ، والدينوري في « المجالسة » (١٨٠) .

أبرصَ أعمىٰ مجنونٍ ، وقد صُرِعَ في الشمسِ ، والنملُ يأكلُ لحمَهُ ، فرفعْتُ رأسَهُ ، ووضعْتُهُ في حِجْري ، فلمَّا أفاقَ قالَ : مَنْ هـٰذا الفضوليُّ الذي يدخلُ بيني وبينَ ربِّي ؟! فوعزَّتِهِ وجلالِهِ ؛ لو قطَّعَني إرْباً إرْباً ما ازددْتُ فيه إلا حباً)[1] .

ورُوِيَ أنَّ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مرَّ يوماً برجلٍ أعمىٰ أبرصَ أجذمَ مُقعَدٍ مضروبِ الجنبَينِ بالفالجِ ، وقد تناثرَ لحمُهُ مِنَ الجُذامِ ، فدنا منهُ عيسىٰ ، فسمعَهُ يقولُ : الحمدُ للهِ الذي عافاني ممَّا ابتلىٰ بهِ كثيراً مِنْ خلقِهِ ، فقالَ لهُ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : وأيُّ شيءٍ صرفَهُ تعالىٰ عنكَ ؟ فقالَ : صرفَ عني الجهلَ بهِ ، وخلعَ عليَّ معرفتَهُ ، فقالَ لهُ عيسىٰ : صدقْتَ ، هاتِ يدَكَ ، فناولَهُ يدَهُ فإذا هو مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً ، وذهبَ ما كانَ بهِ ، ثمَّ صحبَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، وصارَ يعبدُ اللهَ تعالىٰ معَهُ إلىٰ أنْ رُفعَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ[2] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الرضا عنِ اللهِ تعالىٰ والرحمةُ للخلقِ . . مِنْ أخلاقِ المرسلينَ)[3] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الرضا عنِ اللهِ أفضلُ مِنَ الزهدِ في الدنيا ؛ لأنَّ الراضيَ عنِ اللهِ لا يتمنَّىٰ فوقَ منزلتِهِ)[4] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٤٣) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٤٢) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٤٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٢) .

(٤) رواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (١٦) ، وأورده القشيري في=

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ كثيراً : (لو أنَّ اللهَ تعالىٰ أدخلَني النارَ لكنْتُ عنهُ راضياً)[1] .

وكانَ سليمانُ الخوَّاصُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ قالَ : يا ربِّ ؛ ارضَ عنِّي . . فليسَ هو براضٍ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ) .

وكانَ أبو عبدِ اللهِ النباجيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (عبيدُ الدنيا يريدونَ مِنْ مواليهم أنْ يرضَوا عنهم ، وعبيدُ اللهِ يريدُ اللهُ منهم أنْ يرضَوا عنهُ)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رضا الناسِ غايةٌ لا تُدركُ ، ورضا اللهِ غايةٌ تُدركُ) انتهىٰ[3] .

فانظرْ يا أخي في هـٰذا الخُلُقِ الذي ذكرناهُ ، واشكرْ ربَّكَ إنْ رأيتَ نفسَكَ مِنْ أهلِ الصبرِ ، وإلا فاستغفرْهُ وتبْ إليهِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= « الرسالة القشيرية » (ص٤٥٦) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٣) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (٣٥) ، ورواه بنحوه أيضاً أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣١٢) ولـٰكن من قول أبي عبد الله الساجيِّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٦٨) .

[شهود عجز النفس عن شكر الله تعالىٰ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شهودُهم في نفوسِهم أنَّهم لم يقوموا بذَرَّةٍ واحدةٍ مِنْ شكرِ ربِّهم ؛ لأنَّ جميعَ ما يشكرونَهُ بهِ مِنْ جملةِ نِعَمِهِ عليهم ، فلا تَنْفَدُ نِعَمُ اللهِ تعالىٰ أبداً ، ولا يصحُّ مِنْ أحدٍ مقابلتُها .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما قالَ عبدٌ : الحمدُ للهِ . . إلا وجبَ عليهِ بذلكَ شكرٌ آخرُ)(١) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا كانَ الذي تشكرُ اللهَ تعالىٰ بهِ نعمةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عليكَ . . فما ثَمَّ شكرٌ حقيقةً ، وإنَّما الشكرُ اعترافُكَ بكثرةِ نعمِهِ عليكَ ، وأنَّكَ لا تحصي ثناءً عليهِ جلَّ وعلا)(٢) .

وكانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : أدنى الشكرِ للهِ تعالىٰ ألَّا تعصيَهُ تعالىٰ بنعمِهِ ، فقيلَ لهُ : وكيفَ ذلكَ ؟ فقالَ : جوارحُكَ كلُّها مِنْ نِعَمِ اللهِ عليكَ ؛ فلا تعصِهِ بشيءٍ منها(٣) .

---

(١) رویٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (٧ ، ٩٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠٩٥) .

(٢) رویٰ نحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٣٢٠) ، وأبو الشيخ الأصبهاني في « طبقات المحدثين بأصبهان » (٣/ ١٧٥) .

(٣) ذكره أبو بكر البلدي في « تفسير التستري » (ص١١٠) مختصراً ، وأورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٣٨٠) من غير نسبة .

وكانَ مجاهدٌ ومكحولٌ رضيَ اللهُ عنهما يقولانِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] : (هو الشرابُ الباردُ ، وظلُّ المساكنِ ، وشِبَعُ البطونِ ، واعتدالُ الخَلْقِ ، ولذةُ النومِ)[١] .

وسُئِلَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ عن أكلِ الفالوذجِ ؛ أهو مِنْ أكبرِ النعمِ ؟ فقالَ : (نعمةُ اللهِ علينا في الماءِ الباردِ . . أعظمُ منهُ)[٢] .

ومرَّ وهبُ بنُ منبِّهٍ علىٰ رجلٍ أصمَّ أبكمَ مُقعَدٍ مصابٍ ، فقالَ لهُ شخصٌ : هل بقيَ علىٰ هـٰذا مِنْ نعمةٍ ؟ فقالَ وهبٌ : نعم ؛ إساغةُ ما يأكلُ وما يشربُ ، وتسهيلُهُ عليهِ إذا خرجَ ، فذلكَ أعظمُ مِنَ النعمِ الظاهرةِ التي فاتَتْهُ[٣] .

وكانَ الشعبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو قاسَ النَّاسُ البلاءَ بما فوقَهُ لوجدوا بعضَ البلايا عافيةً) .

وكانَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما إذا قُدِّمَ إليهِ طعامٌ يقولُ : (الحمدُ للهِ الذي جعلَني أشتهيهِ ، فكم مَنْ يقدرُ عليهِ ولا يشتهيهِ !) ؛ **يعني** : مِنْ شدَّةِ المرضِ والوجعِ .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا مرَّ عليهِ أحدٌ مِنْ أهلِ الشرطةِ

---

(١) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٥٨٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (٧٢) ، والدينوري في « المجالسة » (٦٤١) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٦٨) .

يخرُّ للهِ ساجداً ، ويقولُ : (الحمدُ للهِ الذي لم يجعلْني شُرْطيّاً ولا مكّاساً)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يمرُّ علىٰ أحدِكُمُ المؤمنُ المُبتلى الذي يؤجرُ علىٰ بلائِهِ ، فتسألونَ ربَّكُمُ العافيةَ ، ويمرُّ عليكم هؤلاءِ الظلمةُ الذينَ يأثمونَ ببلائِهم ، فلا تسألونَ اللهَ العافيةَ !)[2] .

وكانَ زيدُ بنُ أسلمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مكتوبٌ في التَّوراةِ : العافيةُ هي الملكُ العظيمُ الخفيُّ)[3] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مَنْ كانَ لهُ زوجةٌ ومسكنٌ وخادمٌ وحمارٌ . . فهو مِنَ الملوكِ)[4] .

وكانَ جعفرُ بنُ سليمانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ لنعمةُ إصبعٍ واحدٍ لي . . أفضلُ مِنْ أنْ أملكَ مئةَ ألفِ دينارٍ) .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] : (**الظاهرةُ** : الإسلامُ ، وما حَسُنَ مِنْ خَلْقِكَ ورزقِكَ ، **والباطنةُ** : ما سترَ اللهُ عنِ الناسِ مِنْ عيوبِكَ وذنوبِكَ)[5] .

---

(١) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٤٠ ـ ٤١) أخباراً عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ تشير إلىٰ زهده في عمل الشرطة .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٧) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٢٢) ، وفيه : (مكتوب في حكمة آل داود) بدل (مكتوب في التوراة) .

(٤) رواه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣١٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢٩٨) .

(٥) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤١٨٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس=

وكانَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ أنعمَ على العبادِ علىٰ حسنِ كرمِهِ ، وطلبَ منهمُ الشكرَ علىٰ قدرِ حالِهم)[١] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] قالَ : (يعُدُّ المصائبَ وينسى النعمَ)[٢] .

وكانَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل : ٨٣] : (أي : يَرونَ النعمَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ثمَّ يضيفونَها إلى الخلقِ ، غافلينَ عنِ اللهِ تعالىٰ ، ويقولونَ : لولا فلانٌ ما وصلَتْ هٰذهِ النعمةُ إلينا)[٣] .

وكانَ بشرٌ الحافي رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : مَنْ شكرَ اللهَ بلسانِهِ دونَ بقيةِ أعضائِهِ . . فقد قلَّ شكرُهُ ، قيلَ لهُ : وما شكرُ الأعضاءِ ؟ فقالَ : شكرُ العينَينِ أنْ يرى الخيرَ فيَعيَهُ ، والشرَّ فيسترَهُ ، فقيلَ : فما شكرُ الأذنَينِ ؟ فقالَ : إنْ سمعَ خيراً حفظَهُ ، وإنْ سمعَ شراً نسيَهُ ، فقيلَ : فما شكرُ اليدَينِ ؟ فقالَ : ألا يأخذَ بهما ولا يعطيَ إلا حقاً ، قيلَ : فما شكرُ البطنِ ؟ فقالَ : أنْ يكونَ ملآناً مِنَ العلمِ والحِكَمِ[٤] ، قيلَ : فما شكرُ الفرجِ ؟

= رضي الله عنهما مرفوعاً ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٩٤) من قول مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢٥٨) ، كلاهما من قول سليمان التيمي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (٦٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣٠٩) .

(٣) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٢٧٣) .

(٤) قوله : (ملآناً) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وهو جائز علىٰ لغة معروفة .

فقال : ألا يفعلَ بهِ إلا ما أبيحَ لهُ فقطْ ، فمَنْ فعلَ ما قلناهُ فهو مِنَ الشاكرينَ . انتهى[١] .

ففتِّشْ نفسَكَ يا أخي ؛ هل شكرتَ ربَّكَ كما شكرَ هٰؤلاءِ القومُ ، أم قصَّرْتَ عن ذلكَ ؟ واستغفرْ ربَّكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٢٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٤٣) ، كلاهما بنحوه من قول أبي حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ قراءةً علىٰ مؤلفه نفع الله به) .

[شدّة التّدقيق في التّقوىٰ]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ تدقيقِهم في التقوىٰ ، وعدمُ دعوىٰ أحدٍ منهم أنَّهُ متَّقٍ ؛ فإنَّ الحقَّ تعالىٰ ربَّما أحصىٰ على العبدِ مثاقيلَ الذَّرِّ .

وهٰذا خُلُقٌ غريبٌ في هٰذا الزمانِ ، وبعضُ الناسِ يدَّعي التقوىٰ مِنْ غيرِ مناقشةِ نفسِهِ فيها[1] ، ويقنعُ بذكرِهِ للهِ تعالىٰ صباحاً ومساءً مثلاً ، ولا يناقشُ نفسَهُ في قولٍ ، ولا فعلٍ ، ولا مطعمٍ ، ولا مشربٍ ، ولا ملبسٍ ، بل هو كالتمساحِ الهائجِ على الحرامِ ، فصورةُ عمامتِهِ وعذبتِهِ صورةُ شيخٍ ، وأفعالُهُ وأقوالُهُ علىٰ صورةِ الفسقةِ والمنافقينَ .

وقد كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يبلغُ أحدٌ مقامَ التقوىٰ حتىٰ لا يكونَ لهُ فعلٌ ولا قولٌ يَفتَضِحُ بهِ في الدنيا والآخرةِ) .

وقالَ لهُ رجلٌ يوماً : متىٰ يبلغُ العبدُ سنامَ التقوىٰ ؟ فقالَ : إذا وضعَ جميعَ ما في قلبِهِ مِنَ الخواطرِ في طبقٍ ، وطافَ بهِ في السوقِ فلم يستحيِ مِنْ شيءٍ فيهِ .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الإيمانُ عُريانٌ ، ولباسُهُ التقوىٰ)[2] .

---

(١) في (ب ، هـ) : (وغالب) بدل (وبعض) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٣٨٣) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٩٧) .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يقلُّ عملٌ معَ تقوىٰ ؛ لأنَّهُ مقبولٌ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧])[١] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ التقوىٰ في صيامِ النهارِ وقيامِ الليلِ معَ التخليطِ فيما بينَ ذلكَ ، وإنَّما التقوىٰ تركُ ما حرَّمَ اللهُ ، وأداءُ ما افترضَ اللهُ ، فمَنْ زادَ بعدَ ذلكَ فهو خيرٌ علىٰ خيرٍ)[٢] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ كثيراً ما يقولُ : (**علامةُ المتَّقي** : أنْ يُلجِمَ عنِ الكلامِ كما يُلجِمُ المحرمُ حالَ إحرامِهِ)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يحتاجُ المتَّقي أنْ يكونَ عالماً بالشريعةِ كلِّها ، وإلا خرجَ عنِ التقوىٰ ولا يشعرُ)[٤] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ كمالِ التقوىٰ** : أنْ يخافَ العبدُ مِنْ ربِّهِ في مثقالِ ذرةٍ مِنْ خردلٍ)[٥] .

وسُئلَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ التقوىٰ فقالَ : (هي كطريقِ الشوكِ ؛

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخلاص والنية » (٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧٥) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٠) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٣٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٤٠٤) .

(٤) روىٰ نحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦١٠٦) من قول عون بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢١٢) .

يحتاجُ الماشي فيها إلىٰ صبرٍ شديدٍ)[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يحبُّونَ مَنْ قالَ لأحدِهم : اتقِ اللهَ ، وصاروا اليومَ يتكدَّرونَ مِنْ ذلكَ) .

وقالَ رجلٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : يا عمرُ ؛ اتَّقِ اللهَ ، فخرَّ عمرُ مغشياً عليهِ ؛ مِنْ هيبةِ اللهِ تعالىٰ[2] .

وقالَ رجلٌ للفضيلِ بنِ عياضٍ : أيُّ البلادِ تحبُّ لي أنْ أقيمَ فيها ؟ فقالَ لهُ : ليسَ بينَكَ وبينَ بلدٍ نسبٌ ، وخيرُ البلادِ ما حملَكَ على التقوىٰ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لوِ اتَّقىٰ أحدٌ منَّا ربَّهُ ما هَنَأَهُ عيشٌ ولا أخذَهُ نومٌ) انتهىٰ .

ففتِّشْ يا أخي نفسَكَ ؛ هلِ اتَّقيتَ اللهَ تعالىٰ كتقوىٰ هـٰؤلاءِ السلفِ ، أم قصَّرْتَ عنهم ؟ وأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ ليلاً ونهاراً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) رواه بنحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٦٣) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/٣١٨) .

[كثرة ستر المسلمين]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ سَترِهم لإخوانِهمُ المسلمينَ ؛ فلا يحبونَ أنْ يظهرَ لأحدٍ مِنَ المسلمينَ عورةٌ ، حتىٰ إنَّ أحدَهم إذا رأىٰ جارَهُ على السِّماطِ أَكُولاً ؛ بحيثُ يصيرُ بينَ يديهِ برْكةٌ كبيرةٌ[1] . . يزيحونَ مِنَ الطعامِ الذي بينَ يديهم حتىٰ يملؤوا تلكَ البِرْكةَ التي بينَ يدَيْ جارِهم[2] ؛ خوفاً أنْ يلحظَهُ الناسُ بهِ ؛ فيقعوا في حقِّهِ .

فإنْ قيلَ : إنَّ العلةَ التي خفْنا أنْ تقعَ لجارِنا تصيرُ لنا ؛ فيظنُّ الناسُ بنا أنَّنا مِنَ الأَكُولينَ .

قلْنا : نحنُ نفعلُ معَ أخينا ذلكَ ، ثمَّ نسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يسترَنا في ذلكَ ؛ بحيثُ لا يُلحَظُ أحدٌ منَّا ، ولا يُنظرُ إلى البِرْكةِ التي كبرَتْ بينَ يدَينا إنْ شاءَ اللهُ تعالى . انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، واسترْ علىٰ إخوانِكَ المسلمينَ كما كانَ عليهِ سلفُكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) في هامش (ج) : (أي : مثل البركة) .

(٢) في هامش (ج) : (لكن بشرط : ألا يقع عين أحد من الحاضرين ، حتىٰ صاحب البركة أيضاً لا يشعر به ، وألا يلحقه العار وينقلب الموضوع ، وها هنا دقيقة ؛ وهي : أنه لو سأل الله في باطنه أن يستر لأخيه من غير أن يملأ بركته . . كفاه ذلك ، ويثاب عليه بنيته خيراً ، ولستره عيب أخيه . انتهىٰ) .

[شدّة مناقشة النفس في مقام التورّع]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ مناقشتِهم لنفوسِهم في مقامِ التورُّعِ في أقوالِهم وأفعالِهم وطعامِهم وشرابِهم ، وتفقُّدُ جميعِ جوارِحِهم في وقوعِها فيما حرَّمَ اللهُ عليها ؛ لا سيَّما اللسانِ والبطنِ والفرجِ والعينِ .

وقد بسطْنا هـٰذا الخُلُقَ مراراً في كتابِ « المنهجِ المبينِ في بيانِ أخلاقِ العارفينَ » ، فراجعْهُ .

وفي الحديثِ : « ٱنْتَهِ عَمَّا نَهَاكَ ٱللهُ عَنْهُ تَكُنْ أَوْرَعَ ٱلنَّاسِ »(١) .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لو صُمْتُم حتىٰ تكونوا كالأوتادِ ، وصلَّيْتُم حتىٰ تكونوا كالحَنايا . . ما نفعَكُم ذلكَ إلا إنْ كانَ معَكم ورعٌ صادقٌ)(٢) .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (جلساءُ اللهِ يومَ القيامةِ هم أهلُ الورعِ والزهدِ)(٣) .

---

(١) رواه بنحوه الدولابي في « الذرية الطاهرة » (١٣٣) من حديث سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٢٢) عن أرطاة عن سيدنا عيسىٰ عليه السلام ، **والحَنايا** : جمع حَنِيَّة ؛ وهي القوس . انظر « القاموس المحيط » (ح ن ي) .
وفي هامش (ج) : (إنما شبه الصائمين بالأوتاد لأنَّ الصوم سبب لليبوسة والصلابة ، وشبه المصلين بالحنايا لأنَّ الصلاة بالقيام وكثرته يؤدي إلى الانحناء) .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ إعادة نظرٍ ، وكتبه مؤلِّفه**) ، والخبر رواه ابن نصر في « فوائده »=

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا خيرَ في فقهٍ لا ورعَ فيهِ ، كما لا خيرَ في صلاةٍ لا خشوعَ فيها ، ولا مالٍ لا جودَ فيهِ)[1] .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الورعُ هو الخروجُ مِنْ كلِّ شبهةٍ ، ومحاسبةُ النفسِ معَ كلِّ خَطْرةٍ ، فمَنْ لم يكنْ كذلكَ فليسَ هو بورِعٍ)[2] .

وكانَ الأنطاكيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تستهنْ بالتورُّعِ في اليسيرِ ؛ فإنَّ الاستهانةَ فيهِ سُلَّمٌ لتركِ التورُّعِ في الكثيرِ) .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ العلمَ بلا عملٍ كانَ قدوتَهُ إبليسُ ، ومَنْ طلبَ الرياسةَ كانَ قدوتَهُ فرعونُ ، ومَنْ طلبَ الورعَ كانَ قدوتَهُ الأنبياءُ والأصفياءُ) .

وكانَ الضحَّاكُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يتعلمونَ الورعَ ، ويسافرونَ الثلاثةَ أشهرٍ وأكثرَ لِمَنْ يتعلَّمونَ منهُ ذلكَ ، وصاروا اليومَ لا يطلبونَ ذلكَ ، ولا يعملونَ بهِ لو نُبِّهوا عليهِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ)[3] .

وكانَ محمدُ بنُ سيرينَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ بعضَ شبهةٍ في شيءٍ تركَهُ كلَّهُ ، ولو جميعَ بيتِ المالِ[4] .

= (٥٥) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٥) من حديث سيدنا سلمان رضي الله عنه مرفوعاً .

(١) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٧٤) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٢٧) من قول طاوس رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٠ ، ٨٤٩) .

(٣) رواه بنحوه مختصراً ابن المبارك في « الزهد » (٤١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٣٢) .

(٤) في هامش (أ) : (بلغ) ، وروىٰ نحو الخبر المذكور ابن أبي الدنيا في « الورع » =

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كنَّا ندعُ تسعةَ أعشارِ الحلالِ ؛ مخافةَ أنْ نقعَ في الحرامِ)[1] .

وسئلَ ابنُ سيرينَ عمَّنْ يسدُّ أنفَهُ عندَ قَسْمِ المسكِ في الغنيمةِ : هل بهِ بأسٌ ؟ فقالَ : لا أقولُ : بهِ بأسٌ ، ولا أقولُ : لا بأسَ بهِ .

وكذلكَ سئلَ عنهُ القاسمُ بنُ محمدٍ ، فقالَ : (هو كالتورُّعِ ، ولا أقولُ : هو ورعٌ ؛ أدباً في اللفظِ) .

وكانَ السَّلفُ الصَّالحُ إذا وقعَ منهم دينارٌ في مكانٍ ، ثمَّ تذكروهُ ورجعوا ورأَوهُ في مكانِهم . . لا يأخذونَهُ[2] ، ويقولونَ : يحتملُ أنَّ هـٰذا وقعَ مِنْ غيرِنا ، ودينارَنا أخذَهُ أحدٌ بعدَنا[3] ، وقد وقعَ مثلُ ذلكَ للشيخِ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ رحمَهُ اللهُ[4] .

وقيلَ لرباحٍ القيسيِّ : حدِّثْنا بما رأيتَ مِنْ ورعِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقالَ : دعانا ليلةً إلىٰ طعامِهِ ، فبينا نحنُ نأكلُ إذْ قالَ لنا : أمسكوا ؛ فإنَّ زيتَ هـٰذا السراجِ مِنْ زيتِ العامةِ الذي أنظرُ فيهِ ديوانَهم[5] .

= (١٨٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٦٦) .

(١) رواه بنحوه عبد الرزاق في « المصنف » (١٤٦٨٣) .

(٢) في هامش (ج) : (أي : رجعوا إلىٰ ذلك المكان لمصلحة من المصالح لا بقصد الدينار ، وإلا تكون خطواتهم ضائعة . انتهىٰ) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢١١) عن كهمس رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٣٠٦) ، وابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢١٧) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٢٣) ، وابن زنجويه في « الأموال » (١٠٠٧) .

وكانَ طلحةُ بنُ مصرِّفٍ رحمَهُ اللهُ إذا بنىٰ جداراً أو خُصّاً يجعلُ الجدارَ مائلاً إلىٰ ناحيتِهِ[١] ؛ ليكونَ الطينُ الذي يطيِّنُ بهِ ظهرَ البناءِ . . مِنْ جانبِهِ هو ولا يخرجُ عنِ الحدِّ .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ يتورَّعُ أنْ يقولَ : (سبحانَ اللهِ تعالىٰ) عندَ التعجُّبِ مِنْ شيءٍ ؛ إجلالاً لربِّهِ عزَّ وجلَّ[٢] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إذا تناولَ ولدُهُ تفاحةً مِنَ الفيءِ . . ينتزعُها مِنْ فيهِ بشدَّةٍ ، ويقولُ : أنتزعُها خوفاً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وكأنَّما أنتزعُها مِنْ قلبي[٣] .

وذهبَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً إلىٰ غريمِهِ ليطالبَهُ بدَينٍ ، وكانَ لغريمِهِ شجرةٌ علىٰ بابِهِ يستظلُّ بها الناسُ ، فوقفَ الإمامُ في الشمسِ وطالبَهُ ، فقالوا لهُ : ألا تجلسُ في الظلِّ ؟ فقالَ : إنَّ لي عليهِ مالاً ، وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعاً فَهُوَ رِباً » انتهىٰ[٤] .

---

(١) **الخُصُّ** : البيتُ الذي يُسقَّفُ عليه بخشبةٍ . انظر « لسان العرب » (خ ص ص) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/١٨) ، وروىٰ أيضاً (٥/٢١١) من قول خالد بن مَعْدان رحمه الله تعالىٰ : (من قال : سبحان الله وبحمده ؛ من غير تعجُّبٍ ، ولا سمعها من أحد . . جعل الله لها عينين وجناحين ، ثم طارت تسبح مع المسبحين) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٢٢٣) .

(٤) أورده ابن حجر الهيتمي في « الخيرات الحسان » (ص٤٥ ـ ٤٦) ، والخبرُ ضِمْنه رواه الحارث في « مسنده » كما في « بغية الباحث » (٤٣٧) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/٣٥٠) من قول سيدنا فضالة بن عبيد رضي الله عنه .

وكانَ المغيرةُ بنُ شعبةَ إذا اشترىٰ شيئاً مِنْ طوَّافي الأسواقِ يعدلُ بهِ عنِ الشارعِ ويشتري منهُ ؛ خوفاً أنْ يحجُرَ علىٰ أحدِ المشيَ ؛ لحياءِ ذلكَ المارِّ مِنَ المغيرةِ .

واستعارَ القاضي بكارٌ رحمَهُ اللهُ مِنْ والدتِهِ رداءً ليخبزَ فيهِ الخبزَ ، فكلَّمَهُ إنسانٌ في الطريقِ ، فلم يقفْ لهُ ، وقالَ : (إنَّما استعرْتُهُ لأخبزَ لها فيهِ ، لا لأقفَ معَكَ في الطريقِ ، ولو علمْتُ أنَّكَ تكلِّمُني في الطريقِ لكنْتُ استأذنْتُها في الوقوفِ معَكَ وعليَّ رداؤُها) .

وكانَ العائذُ باللهِ المزنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا حقنَ بغائطٍ في الطريقِ يتغوَّطُ في ثيابِهِ ، ثم يغسلُها ، ولا يتغوَّطُ في فناءِ جدارِ أحدٍ .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ يجعلُ ميزابَ سطحِهِ إلىٰ صحنِ دارِهِ دونَ الشارعِ ؛ خوفاً أنْ يشوِّشَ علىٰ أحدٍ[١] .

وماتَتْ عندَهُ هرَّةٌ ، فحفرَ لها ودفنَها في دارِهِ ، ولم يرمِها في المزابلِ ؛ خوفاً أنْ يؤذيَ ريحُها أحداً مِنَ المسلمينَ[٢] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إيَّاكم أنْ تسافروا إلىٰ مكةَ بشيءٍ مِنَ الشبهاتِ ؛ فإنَّ رَدَّ دانقٍ مِنْ حرامٍ أو شبهةٍ أفضلُ عندَ اللهِ مِنْ خمسِ مئةِ حجةٍ فيها شبهةٌ)[٣] .

---

(١) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٦٩) .

(٢) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٦٩) ، وروىٰ نحوه وكيع في « أخبار القضاة » (٢/ ٢٢٠) عن شريح رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٨٠) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إياكَ أنْ تأخذَ مِنَ الولاةِ مالاً لتفرِّقَهُ على الفقراءِ ، فتصيرَ عليكَ تبعتُهُ يومَ القيامةِ ، بل قلْ لهُ : فرِّقْهُ أنتَ ؛ فإنَّ مَنْ جمعَ مالاً فهو أَولىٰ بتفرقتِهِ) .

وتركَ يزيدُ بنُ زُرَيعٍ مالَ والدِهِ لمَّا ماتَ ، وكانَ مالاً جزيلاً ، وقالَ : (كنتُ أشكُّ في حلِّ كسبِهِ ؛ لكونِهِ كانَ يبيعُ على الولاةِ)[١] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ لا يأكلُ مِنْ كسبِ غلامِهِ إذا باعَ شيئاً وقالَ عليهِ : اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ ، ويقولُ : (إنَّكَ أطريتَ عليهِ بالصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومدحْتَهُ بها حتى اشتراهُ الناسُ)[٢] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لغلامِهِ : (إيَّاكَ أنْ تقولَ للمشتري : إنَّ هـٰذا رخيصٌ ، بل بعْهُ لهُ وأنتَ ساكتٌ) .

ودخلَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ السوقَ ؛ ليشتريَ لأولادِهِ خبزاً ، فرأى الخبَّازَ يسبحُ اللهَ ويهلِّلُهُ علىٰ خبزِهِ ، ويصلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأبىٰ أنْ يشتريَ منهُ ، وطوىٰ هو وأولادُهُ حتىٰ لقيَ مِنَ الغدِ شخصاً يبيعُ الخبزَ وهو ساكتٌ ، فاشترىٰ منهُ ، فقالوا لهُ : إنَّ هـٰذا أمرٌ سهلٌ يا أبا عليٍّ ، فقالَ : إنَّ سَهْلَكم هـٰذا أخافُ أنْ يوردَني النارَ .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رحمَهُ اللهُ لا يبيعُ البرودَ والأكسيةَ في يومِ غيمٍ ،

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الورع » (١١ ، ١٢) من رواية المروزي ، وأورد نحوه ابن حبان في « الثقات » (٧/ ٦٣٢) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٦) من قول يونس بن عبيد رحمه الله تعالىٰ .

ويقولُ : (إنَّ المشتريَ ربَّما رآهُ حسناً في الغيمِ وهو معيبٌ)[1] .

وكانَ الأصمعيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ مِنَ الفقهاءِ الرخصةَ عندَ الشبهاتِ . . فعلمُهُ زادُهُ إلى النارِ) .

ولبسَ أبو عليٍّ المَنجورانيُّ قميصاً ، فقالَ له شخصٌ : إنِّي اشتريتُ هاذا الثَّوبَ وفيهِ درهمٌ مِنْ شبهةٍ ، فدخلَ الماءَ وتعرَّىٰ مِنَ القميصِ ، وقالَ : مَنْ يتصدَّقُ عليَّ بقميصٍ حتىٰ أخرجَ مِنَ الماءِ ؟ فألقَوا عليهِ قميصاً . انتهىٰ[2] .

ففتِّشْ يا أخي نفسَكَ ، واتَّبعْ سلفَكَ في الورعِ ، واستغفرْ واتركْ دعوى الصلاحِ ؛ فإنَّ مَنْ لا تورُّعَ عندَهُ فهو مِنْ جملةِ الفَسَقةِ عندَ الورعينَ ، وليسَ لهُ في مقامِ الصالحينَ نصيبٌ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(١) أورده بنحوه القرطبي في « التذكرة » (ص١٩١) .

(٢) روىٰ نحوه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ١٧٤) عن علي بن محمد المنجوراني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في هامش (أ) بلاغان ؛ أحدهما : (**بلغ**) ، والآخر : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلفه**) .

[التُّؤدة والسَّكينة والوقار وقلّة الكلام]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : التُّؤَدَةُ، والسكينةُ ، والوقارُ، وقلةُ الكلامِ؛ وذلكَ لكمالِ عقلِهم رضيَ اللهُ عنهم ، وكثرةِ تجارِبِهم لأهلِ عصورِهم .

ومِنْ كلامِ السيدِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ينتهي طولُ العبدِ في [اثنتينِ] وعشرينَ سنةً[1] ، وينتهي عقلُهُ في ثمانٍ وعشرينَ سنةً ، وما بعدَ ذلكَ إلىٰ آخرِ عمرِهِ إنَّما هو تجارِبُ) انتهىٰ[2] .

فعُلِمَ : أنَّ مَنْ كانَ قليلَ العقلِ لا يصلحُ أنْ يكونَ داعياً إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وما يفسدُهُ أكثرُ ممَّا يصلحُهُ .

وفي الحديثِ : « كَرَمُ ٱلرَّجُلِ دِينُهُ ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ »[3] .

وكانَ قتادةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الرجالُ ثلاثةٌ : رجلٌ ، ونصفُ رجلٍ ، ولا شيءَ ؛ فالرجلُ : هو مَنْ كانَ له عقلٌ ورأيٌ يَنتفِعُ بهِ ، ونصفُ الرجلِ : هو الذي يشاورُ العقلاءَ ثمَّ يفعلُ ، والذي لا شيءَ : هو الذي لا عقلَ

---

(١) ما بين المعقوفين في جميع النسخ المعتمدة (اثنين) بدل (اثنتين) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (٤٣٨) من قول ابن أبي ليلىٰ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٣٦٥) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ١٢٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

لهُ ، ولا رأيَ ، ولا يشاورُ العقلاءَ)[1] .

وكانَ بزرجمهرُ يقولُ : (أفْرَهُ الدوابِّ لا غنىٰ لهُ عنِ السوطِ ، وأعقلُ النساءِ لا غنىٰ لها عنِ الزوجِ ، وأعقلُ الرجالِ لا غنىٰ لهُ عن مشاورةِ ذوي الألبابِ)[2] .

وكانَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ صارَ يتدبَّرُ ما يقولُ قبلَ النطقِ بهِ . . فهو مِنْ أعقلِ الناسِ) .

وكانَ مطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عقولُ الناسِ علىٰ قدرِ زمانِهم)[3] .

وسئلَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أينَ مسكنُ العقلِ ؟ فقالَ : في القلبِ ، قيلَ : فأينَ مسكنُ الرحمةِ ؟ فقالَ : في الكبدِ ، فقيلَ : فأينَ مسكنُ الرأفةِ ؟ فقالَ : في الطحالِ ، قيلَ : فأينَ مسكنُ النفسِ ؟ قالَ : في الرئةِ[4] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ ادَّعى العقلَ ولم تكنْ همتُهُ الآخرةَ . . فهو كاذبٌ) .

وكانَ محمدُ بنُ زيادٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يكمُلُ عقلُ الرجلِ حتىٰ يَحذرَ

---

(١) رواه ابن سمعون في « أماليه » (٣٠٦) .

(٢) أورده الثعالبي في « الشكوىٰ والعتاب » (ص٢٠٥) ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (٣/ ٤٤٩) ، ولم ينسباه .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٢٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٠٣) .

(٤) رواه بنحوه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٤٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣٤٠) .

مِنْ صديقِهِ أكثرَ مِنْ عدوِّهِ)[1] .

وكانَ هشامٌ الدَّسْتوائيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ إلىٰ قومٍ بلا عقولٍ فلينظرْ إلينا)[2] .

وكانَ زيادٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ بعاقلٍ الذي يحتالُ للأمرِ بعدَ الوقوعِ فيهِ ، وإنَّما العاقلُ مَنْ يحتالُ للأمرِ قبلَ الوقوعِ فيهِ)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خميرُ الرأيِ خيرٌ مِنْ فطيرِهِ)[4] .

فاعلمْ ذلكَ ، وامشِ علىٰ طريقةِ سلفِكَ الصالحِ في العقلِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٢٢) من قول السري السقطي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٥٢) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٦٧٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/١٩١) .

(٤) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/٣١) ، والطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٢٨٥) ، ولم ينسباه .

[كثرة الصّمت ، والنّطق بالحكمة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الصمتِ ، والنطقُ بالحكمةِ ؛ تسهيلاً على الطالبِ ؛ نظيرُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُعْطِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ ، وَٱخْتُصِرَ لِيَ ٱلْكَلَامُ ٱخْتِصَاراً »(١) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خُذِ الحكمةَ ولو مِنْ حائطٍ)(٢) .

وكانَ أبو الحسنِ الهرويُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تهيجُ الحكمةُ مِنْ أربعِ خصالٍ : الندمِ على الذنبِ ، والاستعدادِ للموتِ ، وخلوِّ البطنِ ، وصحبةِ الزهَّادِ في الدنيا) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اشتغلَ محمدُ بنُ يوسفَ بالعبادةِ فورِثَ الحكمةَ ، واشتغلْنا بكتابةِ العلمِ فورِثْنا الخصوماتِ) ؛ يعني : الجدالَ .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (تهوي الحكمةُ مِنَ السماءِ ، فلا

---

(١) رواه الدارقطني في « السنن » (٤٢٧٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) روىٰ نحوه الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (٤٥٥) من قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

تنزلُ علىٰ قلبِ أحدٍ ممَّنْ فيهِ هٰذهِ الأربعُ خصالٍ ؛ وهي : الركونُ إلى الدنيا ، وحملُ همِّ غدٍ ، وحسدٌ لأخٍ ، وحبُّ شرفٍ على الناسِ ، فمَنْ كانَ صاحبَ خصلةٍ مِنْ هٰذهِ الخصالِ . . فالحكمةُ لا تدخلُ لهُ قلباً)[1] .

إذا علمْتَ ذلكَ . . فمِنْ جملةِ حِكَمِهم رضيَ اللهُ عنهم :

قولُ حاتمٍ الأصمِّ : (لا تنظرْ إلىٰ مَنْ قالَ ، وانظرْ إلىٰ ما قالَ ، وخذِ الحكمةَ حيثُ وجدْتَها ؛ فإنَّها ضالَّةُ المؤمنِ ، فإذا وجدَها قيَّدَها ، ثمَّ ابتغِ ضالَّةً أخرىٰ)[2] .

ومنها : قولُ ابنِ خُبَيقٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ رضيَ بدونِ قدْرِهِ رفعَهُ اللهُ فوقَ غايتِهِ)[3] ، وقولُهُ : (عليكَ بالحكمةِ ؛ فإنَّها تُجلِسُ المسكينَ مجالسَ الملوكِ)[4] .

ومنها : قولُ أكثمَ بنِ صيفيٍّ رحمَهُ اللهُ : (الانقباضُ عنِ الناسِ مَكْسَبَةٌ للعداوةِ ، والانبساطُ إليهم مَجْلَبَةٌ لقرينِ السوءِ ، فكنْ بينَ المنقبضِ والمنبسطِ) ، ونُقلَ ذلكَ عنِ الإمامِ الشافعيِّ أيضاً[5] .

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢٤٠) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٢٦) من قول إبراهيم الخواص رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه مختصراً ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٣١) ، والبيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرىٰ » (٨٤٤) من قول سعيد بن أبي بردة رحمه الله تعالىٰ : (كان يقال . . .) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٦٩) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٧٣) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٢٢) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٩٠) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أقلُّ الناسِ راحةً في الدنيا الحقودُ والحسودُ)[1] .

وقالَ رجلٌ للأحنفِ بنِ قيسٍ : إنِّي أراكَ أحنفَ أعورَ[2] ، فما بلغَ بكَ إلىٰ هٰذهِ السيادةِ التي أنتَ عليها ؟ فقالَ : لكوني اشتغلْتُ بما يعنيني ، كما اشتغلْتَ أنتَ الآخرُ بما لا يعنيكَ مثلِ هٰذا السؤالِ[3] .

فإنْ قالَ قائلٌ : فما ضابطُ الكلامِ الذي لا يعني الشخصَ ؟

فالجوابُ : أنَّ ضابطَهُ : كلُّ ما لا تدعو إليهِ حاجةٌ دينيةٌ أو دنيويةٌ ، واللهُ أعلمُ .

وقيلَ ليحيى بنِ معاذٍ : متىٰ يذهبُ مِنَ العبدِ الحكمةُ والعلمُ والحلمُ ؟ فقالَ : إذا طلبَ الدنيا بشيءٍ مِنْ هٰذهِ الثلاثِ[4] .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٣٧٣) ضمن خبر طويل .

(٢) قوله : (**أراك أحنَفَ**) ؛ أي : في قدميك حَنَف ، قال في « لسان العرب » (ح ن ف) : (**الحَنَفُ في القدمين** : إقبال كل واحدة منهما على الأخرىٰ بإبهامها ، وكذلك هو في الحافر في اليد والرِّجل ، وقيل : هو ميل كل واحدةٍ من الإبهامين علىٰ صاحبتها حتىٰ يُرىٰ شخصُ أصلِها خارجاً ، وقيل : هو انقلاب القدم حتىٰ يصير بطنها ظهرها ، وقيل : ميل في صدر القدم . . . وبه سمي الأحنف بن قيس ـ واسمه صخر ـ ؛ لحنف كان في رجله) .

ويمكن ضبط (أحنف) بالضم ؛ فيكون منادىً مفرداً علماً مبنياً في محل نصب على النداء .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٨٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/ ٣٣٢) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٤٧٦) ، وأورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٢٤) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا ذمَّكَ أبناءُ الدنيا أو مدحوكَ فاصرفْ ذلكَ إلى الخُرافاتِ[1] ؛ لكونِهم مطموسي البصائرِ)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تكسُّبُ الرجلِ وهو يَحِنُّ إلى الزهدِ . . خيرٌ لهُ مِنَ الزهدِ وهو يَحِنُّ إلى التكسُّبِ)[3] .

ومنها : قولُهُ : (خلوةُ المريدينَ غمُّ الشياطينِ ، ورؤيةُ الناسِ نشاطٌ للمرائينَ) .

وقولُهُ : (مَنْ سترَ عليكَ ذنوبَكَ ولم يفضحْكَ . . فهو أَولىٰ بالصحبةِ ، فصاحِبِ الحقَّ تباركَ وتعالىٰ ؛ فهو أَولىٰ لكَ مِنْ سائرِ الخلقِ ؛ فإنَّكَ تذنبُ الألفَ ذنبٍ فيما بينَكَ وبينَهُ فيسترُها عليكَ ، ولو أنَّ الخلقَ اطَّلعوا علىٰ عيبٍ واحدٍ فيكَ لفضحوكَ بينَ العبادِ)[4] .

ومنها : قولُ أبي محمدٍ الردامازيِّ رحمَهُ اللهُ[5] : (إذا جمعتَ المالَ فأنتَ وكيلٌ ، وإذا أعطيتَهُ فأنتَ رسولٌ ، فالوكيلُ لا يخونُ ، والرسولُ لا يَمُنُّ) .

---

(١) في هامش (ج) : (**الخُرافة** بالضم : تطلق علىٰ ما يستملح من الأحاديث ، وعلى الأكاذيب منها ، والمراد ها هنا الثاني ؛ **أي** : لا تركن إلىٰ مدحهم وذمهم فإنهم يكذبون فيهما ؛ لأنهم محجوبون بالمعاصي ، وإنما يظهر صدق الرجل من كذبه إذا كان صافي السريرة نقي القلب كالمرآة . انتهىٰ) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٧) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٧) .

(٤) أورد نحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٢٥) عن بعض السلف ؛ كابن المبارك ، وبشر بن الحارث ، وابن سيرين رحمهم الله تعالىٰ .

(٥) قوله : (**الردامازي**) : لم أقف علىٰ هـٰذه النسبة في كتب الأنساب والتراجم .

فانظرْ يا أخي في نفسِكَ ؛ هل أدَّتِ الأمانةَ أم خانَتْ ؟

قلْتُ : عدمُ خيانةِ الوكيلِ : ألا يمنعَ أحداً عن بخلٍ[1] ، فينفقَ كما أمرَ اللهُ ، ويمنعَ لحكمةٍ كما منعَ اللهُ ، وعدمُ مَنِّ الرسولِ : أنْ يرى الفضلَ لِمَنْ أخذَ منهُ ، ولا يرىٰ لهُ فضلاً بما أعطىٰ إلا علىٰ وجهِ الشكرِ للهِ ، واللهُ أعلمُ .

ومنها : قولُ أبي معاويةَ الأسودِ : (مَنْ طلبَ مِنَ اللهِ الخيرَ الجزيلَ فلا ينمْ في الليلِ ولا يَقِلْ)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ الفضلَ مِنَ اللئامِ فلا يلومَنَّ إلا نفسَهُ إذا أُهينَ)[3] .

ومنها : قولُ إمامِنا الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أظلمُ الظالمينَ لنفسِهِ مَنْ تواضعَ لِمَنْ لا يكرمُهُ ، ورغبَ في مودَّةِ مَنْ لا ينفعُهُ ، وقبِلَ مدحَ مَنْ لا يعرفُهُ)[4] .

---

(١) في هامش (ج) : (يعني : لا يكون منشأ المنع بخلاً منه ، بل إذا منع يكون منعه لمراقبته رضا الله لا لحظ نفسه كما هو حال أبناء الدنيا . انتهىٰ) .

(٢) في هامش (ج) : (أي : لا ينام كل الليل ، وإلا فالسهر كله منهي عنه ، وإن لنفسك عليك حقاً فارفق بها ، وكذا القيلولة المراد من منعها : أن تكون بطالة لم ينو بها عبادة ، وأما بنية العبادة فمطلوبة شرعاً ، قال عليه السلام : « قيلوا ؛ فإن الشيطان لا يقيل » ، والقيلولة : نوم نصف النهار . انتهىٰ) ، والحديث رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٨) ، وابن المقرئ في « معجمه » (٦٤٧) ، كلاهما من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أورده بنحوه السمرقندي في « بستان العارفين » (ص٣٧٥) ، وروىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (١٨٥٤) من قول أبي يزيد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٦/٣٣) من قول المأمون بن هارون الرشيد رحمهما الله تعالىٰ .

وقولُهُ : (مَنْ نَمَّ لكَ نَمَّ عليكَ ، ومَنْ نقلَ إليكَ نقلَ عنكَ ، ومَنْ إذا أرضيتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ . . كذلكَ إذا أغضبتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ)(١) .

وقولُهُ : (لا تشاورْ مَنْ ليسَ في بيتِهِ دقيقٌ)(٢) .

وقولُهُ : (**ثلاثةٌ إنْ أهنْتَهم أكرموكَ ، وإنْ أكرمْتَهم أهانوكَ** : العبدُ ، والزوجةُ ، والفلاحُ) ، وزادَ بعضُهم رابعاً ؛ وهو الولدُ(٣) .

وقولُهُ : (إذا تزوجَ الرجلُ فقد ركبَ البحرَ ، فإنْ وُلِدَ لهُ ولدٌ فقد كُسرَ بهِ المركبُ)(٤) .

وقولُهُ : (طلبُ الراحةِ في الدنيا لا يصحُّ لأهلِ المروءاتِ ؛ فإنَّ أحدَهم لم يزلْ تعبانَ في كلِّ زمانٍ)(٥) .

وقولُهُ : (إذا وليَ أخوكَ ولايةً فارضَ منهُ بعُشرِ الودِّ الذي كانَ لكَ قبلَها)(٦) .

---

(١) رواه أبو طاهر السِّلَفي من طريق أبي الحسين الطيوري في « الطيوريات » (١٣٣٩) .

(٢) رواه ابن عبد البر في « الانتقاء » (ص٨٧) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٥٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ١٨٢) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٦٦) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٥) قوله : (تعبان) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، **والفصيح** : تَعِبٌ أو مُتْعَبٌ ، وانظر « المصباح المنير » (ت ع ب) .

(٦) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٢٧) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ١٢٧) من قول بعض الحكماء .

وقولُهُ : (لا تنفقْ على ولدِكَ وزوجتِكَ وخادمِكَ بما فوقَ الكفايةِ ؛ فإنَّ طاعتَهم لكَ بقدرِ حاجتِهم إليكَ) .

وقولُهُ : (لا تُعلِمْ زوجتَكَ وولدَكَ بقدرِ مالِكَ . . يطلبوا منكَ الشهواتِ ويُتعبوكَ) .

ومنها : قولُ أبي أُمامةَ : (مَنْ آذى الناسَ بلا سلطانٍ فليصبرْ على الهوانِ ، ومَنْ صبرَ على الإساءةِ عليهِ فقد مهَّدَ للإحسانِ موضعاً)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يُنِلْكَ الخيرَ في حياتِهِ . . فلا تبكِ عيناكَ على وفاتِهِ)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رُبَّ بعيدٍ أنفعُ مِنْ قريبٍ ، ورُبَّ عبدٍ أنفعُ مِنْ ولدٍ أو شريفٍ)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رضيَ الراعي بفعلِ الذئبِ لم ينبحِ الكلبُ على الغريبِ)[4] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رُبَّ سكوتٍ أنفعُ مِنْ كلامٍ ، ورُبَّ قولٍ أدمغُ مِنْ عمودٍ)[5] .

---

(١) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٦٦٧) من غير نسبة .

(٢) أورده التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٢٦١) من غير نسبة .

(٣) أورده بنحوه الآبي في « نثر الدر » (٦/ ٣٠) ، وابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٢/ ١٦٥) من غير نسبة .

(٤) أورده الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/ ٢٠٦) من غير نسبة .

(٥) أورده التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٢٦١) من غير نسبة .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الاعترافُ يهدمُ الاقترافَ ، ولم تزلِ الأشرافُ تُبتلىٰ بالأطرافِ)[١] .

ومنها : قولُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (اللهمَّ ؛ وسِّعْ عليَّ الدنيا وزهِّدْني فيها ، ولا تُقتِّرْها عليَّ وترغِّبَني فيها)[٢] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اللهمَّ ؛ اجعلْني اليومَ مشغولاً بما أكونُ عنهُ غداً مسؤولاً) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (التواضعُ يرفعُ الخسيسَ ، والكِبْرُ يضعُ النفيسَ ، ومَنْ طلبَ الرياسةَ أعيتْهُ ، ومَنْ فرَّ منها تبعَتْهُ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لكلِّ جوادٍ عثرةٌ ، ولكلِّ عاقلٍ هفوةٌ)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تفرحْ بكثرةِ العيالِ ؛ فإنَّ ذلكَ سوسُ المالِ ، وفضيحةُ الرجالِ)[٤] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الناسُ بأزمنتِهم أشبهُ منهم بآبائِهم)[٥] .

---

(١) روى الشطر الأول منه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٨٧) من قول إسحاق الموصلي رحمه الله تعالىٰ : (كان يقال الاعتراف . . .) إلىٰ آخره .
وفي هامش (ج) : (**يعني** : يكون مغلوباً بالواحد من حواشيه وخدامه ، ويكون ملوماً من جهتهم) .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٢٦٤) ، ورواه الطبراني في « الدعاء » (١٤٤٩) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٦٧٤) من قول الأصمعي فيما يحكيه عن بعض حكماء العرب .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (١٠٤) من قول أبي الزناد رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٧٧) من قول عروة بن الزبير رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تتخذوا السوقَ مجلساً ، ولا الحوانيت متحدَّثاً)[1] .

ومنها : قولُ الفضيلِ بنِ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ كَثُرَ عتابُهُ قلَّ أصحابُهُ ، ومَنْ أعطى الفاجرَ فقد أعانَهُ على الفجورِ ، ومَنْ سألَ اللئيمَ فقد أهانَ نفسَهُ ، ومَنْ طلبَ العلمَ ممَّنْ لا يَعمَلُ بهِ زادَهُ جهلاً ، ومَنْ علَّمَ الأبلهَ فقد ضيَّعَ عمرَهُ بلا فائدةٍ ، ومَنِ اصطنعَ المعروفَ إلىٰ كَفورٍ فقد ضيَّعَ النعمةَ)[2] .

ومنها : قولُ يحيى بنِ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (عندَ الكفِّ عنِ المحارمِ يكونُ رضا الربِّ ، وعندَ نزولِ البلاءِ تظهرُ حقائقُ الصبرِ ، وعندَ طولِ الغَيبةِ تظهرُ مواساةُ الإخوانِ ، وبالأدبِ يُفهمُ العلمُ ، وبتركِ الطمعِ تَثبتُ المؤاخاةُ ، وبصلاحِ النيَّة تدومُ صحبةُ الأخيارِ)[3] .

وقولُهُ : (مَنْ كانَ القرآنُ قيدَهُ كانَ إطلاقُهُ منهُ الموتَ[4] ، ومَنْ ذبحَتْهُ العبادةُ أحياهُ الفوزُ ، ومَنْ تركَ شهوةَ الدنيا عوَّضَهُ اللهُ شهوةَ ذكرِهِ) .

---

(١) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص١٩٨) ضمن خبر طويل من وصية الخطاب بن المعلى المخزومي لابنه رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) أورده بنحوه ابن مفلح في « الآداب الشرعية » (١/ ٣١٠) من غير نسبة .

(٣) روىٰ بعضه الدينوري في « المجالسة » (١٩١٧) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٩) من قول يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في هامش (ج) : (أي : من عمل بما فيه لا ينجو من أسر التكليف إلىٰ أن يموت ؛ قال تعالىٰ : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] . انتهىٰ) .

وقولُهُ : (**ثلاثةٌ ليسَ لهم دوامٌ** : ظلُّ السحابِ ، وعشقُ النساءِ ، وخُلَّةُ الفاسقينَ)[1] .

وقولُهُ : (مَنْ حَلُمَ سادَ علىٰ جميعِ أقرانِهِ ، ومَنْ نفَّذَ غضبَهُ غُمسَ في بحرِ هوانِهِ)[2] .

وقولُهُ : (مَنْ فاتَهُ العقلُ والمروءةُ فمِنْ لازمِهِ العصبيةُ بالباطلِ) .

وقولُهُ : (كَدَرُ الاجتماعِ خيرٌ مِنْ صفاءِ الافتراقِ) .

وقولُهُ : (إذا كانَ القريبُ عدواً فهو السحيقُ ، وإذا كانَ البعيدُ ودوداً فهو القريبُ) .

ومنها : قولُ بشرٍ الحافي رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا أضرَّتِ النوافلُ بالفرائضِ فاتركوا النوافلَ)[3] .

وقولُهُ : (مَنْ لم يستحسنِ الحسَنَ لم يستقبحِ القبيحَ)[4] .

وقولُهُ : (ليسَ معَ الاختلافِ ائتلافٌ)[5] .

وقولُهُ : (إنَّا لم نؤتَ مِنْ قِبَلِ النِّعمِ ، وإنَّما أُتينا مِنْ قلةِ الشكرِ عليها ،

---

(١) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ١٦٩) من غير نسبة .

(٢) أورد بعضه الجاحظ في « البيان والتبيُّن » (٣/ ٣٠٦) من وصية عبد الملك بن صالح لابنه رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٦٦٢) من غير نسبة .

(٤) أورده الجاحظ في « الرسائل » (٣/ ١١٦) من قول بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أورده ابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٣/ ٣٤٥) من قول أسلم الخزاعي رحمه الله تعالىٰ .

كما أنَّا لم نؤتَ مِنْ قلَّةِ العملِ ، وإنَّما أُتينا مِنْ قلَّةِ الصدقِ فيهِ) .

وكذلكَ قولُهُ : (إنَّا لم نؤتَ مِنْ كثرةِ الذنوبِ ، وإنَّما أُتينا مِنْ قلَّةِ الحياءِ ، كما أنَّا لم نؤتَ مِنْ قلَّةِ الاستغفارِ ، وإنَّما أُتينا مِنْ قلَّةِ الوفاءِ وسرعةِ الرجوعِ للذنبِ مِنْ غيرِ عقوبةٍ عليهِ ، ولو أنَّ العقوبةَ عُجِّلَتْ لنا لتناهينا عنِ المعاصي جملةً) انتهىٰ .

فاعلمْ ذلكَ ، ونظِّفْ باطنَكَ مِنْ محبةِ الدنيا وشهواتِها ، وأكثرْ مِنْ ذكرِ اللهِ تعالىٰ ، فإذا تمَّ جَلاءُ باطنِكَ فهناكَ يُنطِقُكَ اللهُ تعالىٰ بالحكمةِ ، وتصيرُ حكيمَ زمانِكَ ، وأمَّا معَ تعاطيكَ شهواتِ الدنيا فهـٰذا أمرٌ بعيدٌ عنكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) في هامش (أ) بلاغان ؛ أحدهما : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلِّفه رضيَ اللهُ عنهُ**) ، والآخر : (**بلغ مقابلةً**) .

[عدم الحسد لأحد ، وبذل النصيحة للمسلمين]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ الحسدِ لأحدٍ مِنَ المسلمينَ ، وبذلُ النصيحةِ لكلِّ مسلمٍ بطريقِهِ الشرعيِّ ؛ ولذلكَ سادوا الناسَ ، ولو كانَ عندَهم حسدٌ لأحدٍ أو غشٌّ لهُ لَمَا سادوا ، ولا قبَّلَتِ الملوكُ أقدامَهم .

فإنْ طلبْتَ يا أخي أنْ تكونَ كذلكَ فاسلكْ طريقَهم خالصاً مخلصاً ، وإلا فالمتفعِّلُ قد يُطلِعُ اللهُ تعالىٰ بعضَ الناسِ علىٰ تفعُّلِهِ ، فلا يروجُ لهُ أمرٌ .

وقد سمعْتُ سيدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ أخلصَ عملَهُ للهِ جعلَ اللهُ تعالىٰ قلوبَ المؤمنينَ تُخلِصُ في محبَّتِهِ ، ومَنْ لبَّسَ في دينِهِ أطلعَ اللهُ تعالىٰ بعضَ أصفيائِهِ علىٰ باطنِهِ ، فلا يُخلِصُ له قلبُ أحدٍ منهم في محبَّتِهِ) انتهىٰ .

وفي الحديثِ : « إِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ » انتهىٰ[1] .

وإذا فنيَتْ حسناتُ العبدِ ذهبَتْ سيادتُهُ ؛ لأنَّهُ إمَّا صاحبُ سيِّئاتٍ ، أو أمرُهُ موقوفٌ ؛ لا حسناتٌ ولا سيئاتٌ ، **ومعلومٌ** : أنَّ السيادةَ أوِ التعظيمَ إنَّما يكونانِ لمَنْ فاقَ الناسَ في الأعمالِ والأخلاقِ الصالحةِ .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن ماجه (٤٢١٠) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

وكانَ الأحنفُ بنُ قيسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا راحةَ لحسودٍ ، ولا سيادةَ لسيِّئِ الخُلُقِ)[1] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما ثَمَّ صاحبُ نعمةٍ إلا ولهُ عليها حسَّادٌ)[2] .

وكانَ فرقدٌ السَّبَخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دواءُ تركِ الحسدِ هو الزهدُ في الدنيا ، فمَنْ رغبَ في الدنيا فالحسدُ مِنْ لازمِهِ ، شاءَ أم أبىٰ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ شأنِ الحسودِ عدمُ الفهمِ ، فمَنْ أرادَ جودةَ الفهمِ فلا يحسُدْ أحداً)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي لأتركُ في بعضِ الأوقاتِ لُبسَ الثَّوبِ الجديدِ ؛ مخافةَ أن يهيجَ الحسدُ عندَ جيراني)[4] .

---

(١) في هامش (هـ) : (**حاشية** : رُوِيَ عن الأحنف بن قيس رضيَ اللهُ عنهُ قال : لا راحةَ لحسود ، ولا وفاءَ لبخيل ، ولا صديقَ لمَلُولٍ ، ولا مروءةَ لكذوبٍ ، ولا سؤددَ لسيئ الخلق ، قال ابن سيرين : ما حسدت أحداً علىٰ شيء من الدنيا ، فإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة ؟! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده وهو صائر إلى النار ؟!) ، روى الخبر الأول الإمام أحمد في « الزهد » (١٣١٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢١٠) ، وروى الخبر الثاني الدينوري في « المجالسة » (٢٩٣١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٥) .

(٢) رواه بنحوه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٦٨٠) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٩٤) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٨٥) ضمن خبر طويل .

(٤) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢٢٧) ، من طريق سفيان الثوري عن محارب بن دثار رحمهما الله تعالىٰ ، وأورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » =

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (المحسودُ علىٰ ما عندَهُ مِنَ النعمةِ خيرٌ ممَّنْ ليسَ عندَهُ نعمةٌ يُحسدُ عليها ، فيشكرُ اللهَ علىٰ نعمتِهِ ، ويعفو عنِ الحسودِ ويعذرُهُ) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اتَّقوا الحسدَ ؛ فإنَّهُ أولُ ذنبٍ عُصيَ اللهُ تعالىٰ بهِ في السماءِ والأرضِ)[1] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنْ أردْتَ أنْ تَسْلَمَ مِنْ شرِّ مَنْ يحسدُكَ فعَمِّ عليهِ أمورَكَ)[2] .

وكانَ مِسعرُ بنُ كِدامٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما آثرَ القومُ النصيحةَ لإخوانِهم إلا لوفورِ شفقتِهِم عليهِم ، وقد صارَتِ النصيحةُ اليومَ كالعداوةِ ، وما نصحْتُ أحداً إلا وصارَ يفتِّشُ في عيوبي ، وينسى العملَ بنصحي)[3] .

وكانَ محمدُ بنُ سيرينَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما حسدْتُ قطُّ أحداً علىٰ دِينٍ ولا دنيا ، وذلكَ مِنْ أكبرِ نِعَمِ اللهِ عليَّ)[4] .

= (٢/ ٢٠١) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٨١) من قول أيوب السختياني رحمه الله تعالىٰ .

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٦٥٩) من قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٦٥٦) من قول الأصمعي رحمه الله تعالىٰ .
وفي (ب ، ج ، هـ) : (فغمِّ) بدل (فعمِّ) ، وجاء في هامش (ج) : (فغمِّ بالغين المعجمة وتشديد الميم المكسورة ؛ أي : استر وغطِّ أمورك ؛ من « غمَّه » أو من « غمَّاه » ، وكلاهما بمعنىً ، وفي نسخة بالعين المهملة ؛ وهو من « عمَّاه » ؛ أي : أخفاه . انتهىٰ) .

(٣) أورده مختصراً ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٤/ ١٣) .

(٤) انظر ما ورد تعليقاً (ص٥١٧) .

وكانَ أيوبُ السختيانيُّ رحمَهُ اللهُ مِنْ أنصحِ الناسِ لإخوانِهِ[١] ؛ شفقةً علىٰ دينِهم أنْ ينقصَ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي لَأرحمُ هـٰؤلاءِ العصاةَ الغافلينَ عن ربِّهم)[٢] .

وكانَ إذا نزلَ بالمسلمينَ همٌّ يمرضُ لذلكَ ، ويصيرُ يعادُ كما تعادُ المرضىٰ ، فإذا ارتفعَ ذلكَ الهمُّ يبرأُ مِنْ وقتِهِ وساعتِهِ .

قلْتُ : ومَنْ صحَّ لهُ هـٰذا المقامُ فلا يتطبَّبْ بأحدٍ مِنَ الأطباءِ ؛ لأنَّهم ليسَ لهم يدٌ في ذلكَ ، وإنَّما اليدُ لهم فيما تولَّدَ مِنَ المآكلِ والمشاربِ ، واللهُ أعلمُ .

وحُكيَ أنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ قالَ يوماً للحجَّاجِ بنِ يوسفَ : ما مِنْ أحدٍ إلا وهو يعرفُ عيبَ نفسِهِ ، لا يكادُ يخفىٰ عليهِ شيءٌ منهُ ، فقلْ لي يا حجاجُ علىٰ عيبِكَ ، فقالَ : أَعفِنِي مِنْ ذلكَ ، فقالَ : لا بدَّ ، فقالَ : مِنْ عيبي أنَّني لجوجٌ حسودٌ حقودٌ ، فقالَ عبدُ الملكِ : ليسَ في الشيطانِ شيءٌ أشرَّ ممَّا قلْتَ[٣] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ ومالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولانِ : (إنَّا نجيزُ شهادةَ القرَّاءِ على الناسِ ، ولا نجيزُ شهادتَهم علىٰ بعضِهم بعضاً ؛ فإنَّهم قومٌ حُسَّدٌ)[٤] .

---

(١) رواه بنحوه ابن الجعد في « مسنده » (١٢٤٥) من قول يونس رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (٩١٠) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٦٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/ ١٦٧) .

(٤) سبق تخريجه (ص٤٠٥) ، وفي هامش (هـ) : (**حاشية** : قال الحسن البصري رضيَ اللهُ عنهُ : يا بن آدم ؛ لِمَ تحسد أخاك ؟! فإن كان الذي أعطاه الله عز وجل لكرامته عليه فلِمَ=

وكانَ الإمامُ مالكٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سئلَ أوسُ بنُ خارجةَ ؛ فقيلَ لهُ : مَنْ سيِّدُكم ؟ فقالَ : حاتِمُ طيِّءٍ ، فقالَ : أينَ أنتَ منهُ ؟ فقالَ : لا أصلحُ أنْ أكونَ خادماً لهُ ، ثمَّ سألَ حاتِمَ طيِّءٍ : مَنْ يسودُكم ؟ فقالَ : أوسُ بنُ خارجةَ ، قالَ : فأينَ أنتَ منهُ ؟ قالَ : لا أصلحُ أنْ أكونَ مملوكاً لهُ ، فقالَ السَّائلُ : هـٰذا هو السؤددُ ، قالَ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ : فأينَ فقهاؤُنا وقرَّاؤُنا مِنْ هـٰذا الأمرِ ؟ ![1] .

وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ لرجلٍ مِنْ قبيلةٍ وردَتْ عليهِ : مَنْ سيِّدُكم ؟ فقالَ : أنا ، فقالَ لهُ : لو كنْتَ سيِّدَها ما قلْتَ ذلكَ .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ علامةِ الحاسدِ : أنْ يُدنيَهُ منكَ الطمعُ ، ويُبعِدَهُ عنكَ سوءُ الطبعِ) ، قالَ : (وأعظمُ النَّاسِ حسداً الأقربونَ والجيرانُ ؛ لمشاهدتِهمُ النعمةَ التي يَحسُدونَ عليها بخلافِ البعيدِ)[2] .

وكتبَ عمرُ بنُ الخطابِ إلىٰ أبي موسى الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهما : (مُرْ ذوي القراباتِ أنْ يتزاوروا ولا يتجاوروا)[3] .

= تحسدُ من أكرمه الله ؟! وإن كان غير ذلك فلا ينبغي لك أن تحسد مَنْ مصيرُهُ إلى النار) ، أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٦٧٦) .

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٤٠٨) ، وفيه : (عن عبد الله بن المبارك : سأل النعمانُ حاتمَ طيئ : من سيدكم ؟ قال : حارثة بن أوس. . .) ، وقال عقبه : (**وصوابه** : أوس بن حارثة) .

(٢) روىٰ نحوه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد « الزهد » (١٥٦٥) من قول محارب بن دثار رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ٨٨) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢٢٤) .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ لسفيانَ الثوريِّ رضيَ اللهُ عنهما : (**اعلمْ** : أنَّكَ لو بذلْتَ النصيحةَ للناسِ حتىٰ صاروا مثلَكَ في الدِّينِ ما وَفَيْتَ بالنَّصيحةِ لهم ، فكيفَ تُوَفِّيهمُ النَّصيحةَ وهم لم يبلغوا حالَكَ ؟!)[١] .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا كانَ فيكَ مِنَ الخصالِ ما يخافُ منكَ عدوُّكَ . . فليسَ عندَكَ خيرٌ ، فكيفَ إذا كانَ عندَكَ ما يخافُ منكَ بهِ صديقُكَ ؟!)[٢] .

وكانَ يقولُ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ تعرَّضَ لمساوي الناسِ عرَّضَ نفسَهُ للهلاكِ ، ومَنْ سَلِمَ الناسُ منهُ سلِمَ هو مِنَ الناسِ ، ومَنْ نمَّ على الناسِ افتقرَ في دينِهِ ودنياهُ ؛ فإنَّهُ مِنْ خُدَّامِ إبليسَ) انتهىٰ[٣] .

ففتِّشْ يا أخي نفسَكَ ؛ هل سلِمْتَ مِنَ الحسدِ للناسِ علىٰ ما آتاهمُ اللهُ تعالىٰ مِنْ فضلِهِ ؟ وهل بذلْتَ لهمُ النصيحةَ كما أمرَكَ اللهُ ورسولُهُ ، أم أنتَ بالضدِّ مِنْ ذلكَ ؟ وأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٤] .

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٠٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤١٨) .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٥٤) ، كلاهما بنحوه من قول بشر رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٩٣) من قول سهل بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في هامش (أ) بلاغان ذهب بهما التصوير ، ولعلَّ أحدهما : (**بلغ نظراً**) ، والآخر : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلِّفه**) ، والله أعلم .

[الجوع وعدم الشّبع]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : الجوعُ ، وعدمُ الشِّبعِ ؛ وذلكَ ليكثرَ صمتُهم ، ويقلَّ فضولُ كلامِهم ولغوُهُم ؛ كما هو شأنُ العلماءِ العاملينَ ؛ فإنَّ مَنْ شبعَ كَثُرَ كلامُهُ فيما لا يعنيهِ ضرورةً .

وقد كانَ محمَّدٌ الراهبيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ أدخلَ في بطنِهِ فضولَ الطعامِ أخرجَ مِنْ لسانِهِ فضولَ الكلامِ)[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (رميُ الناسِ بالسهامِ أخفُّ مِنْ رميِهم باللسانِ ؛ لأنَّ السهامَ ربَّما تخطئُ ، واللِّسانَ لا يخطئُ)[2] .

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الكلمةُ كالسهمِ ؛ إذا خرجَتْ منكَ ملكَتْكَ ولم تملكْها)[3] .

وكانَ سفيانُ بنُ عبدِ اللهِ يقولُ : قلْتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما أكثرُ ما تخافُ عليَّ ؟ فقالَ : « هـٰذا » ، وأشارَ إلىٰ لسانِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[4] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٤٥) .

(٢) رواه أبو الشيخ في « التوبيخ والتنبيه » (٢١٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٦٢) .

(٣) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٧٢) .

(٤) رواه الترمذي (٢٤١٠) ، وابن ماجه (٣٩٧٢) .

وكانَ النَّخَعيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ تأمَّلَ في الناسِ عندَ مجالسِهم وجدَ أشرفَ أهلِ كلِّ مجلسٍ وأكثرَهم هَيبةً مَنْ كانَ أكثرَهم سكوتاً)[١] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (السكوتُ زَينٌ للعالِمِ ، وسَتْرٌ للجاهلِ)[٢] .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (العافيةُ عشرةُ أجزاءٍ ؛ تسعةٌ منها في الصمتِ ، وواحدٌ في الهربِ مِنَ الناسِ)[٣] .

ومكثَ منصورُ بنُ المعتمرِ أربعينَ سنةً لا يتكلَّمُ بعدَ العشاءِ بلغوٍ[٤] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (وا عجبا لابنِ آدمَ ؛ مَلَكاهُ علىٰ نابيَهِ ، ولسانُهُ قلمُهما ، وريقُهُ مدادُهما ، وهو يتكلَّمُ فيما بينَ ذلكَ فيما لا يعنيهِ !)[٥] .

ومكثَ الربيعُ بن خُثَيمٍ قبلَ موتِهِ بعشرينَ سنةً لا يتكلَّمُ بكلامِ الدنيا[٦] .

ووقعَ لحسَّانَ بنِ سنانٍ أنَّهُ تكلَّمَ بكلمةِ لغوٍ ، فعاقبَ نفسَهُ بصومِ سنةٍ متتابعةٍ[٧] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٦٢٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٢٤) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٨٢) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ : (كان يقال : . . .) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٢) .

(٤) رواه أبو القاسم الجرجاني في « تاريخ جرجان » (ص٥٠١) ، وفيه : (ثلاثين) بدل (أربعين) .

(٥) رواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٥٧٩) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٠٠٧) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤١٣) .

(٧) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١١٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٧٣١) .

وكانَ حمَّادُ بنُ سلمةَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا تكلَّمَ بكلمةٍ لغوٍ يقولُ : (سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبرُ) ، ثمَّ يقولُ : (كانوا يكرهونَ كلامَ الدنيا في مجلسٍ مِنْ غيرِ أنْ يخالطَهُ كلامُ خيرٍ) .

ومكثَ مُوَرِّقٌ العِجْليُّ عشرينَ سنةً يتعلَّمُ الصمتَ حتىٰ تمَّ لهُ[1] .

وكانَ معروفٌ الكرخيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلامُ الرجلِ فيما لا يعنيهِ مِنْ خِذْلانِ اللهِ إيَّاهُ)[2] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلامُ الرجلِ فيما لا يعنيهِ يقسِّي القلبَ ، ويوهِنُ البدنَ ، ويُعسِّرُ أسبابَ الرزقِ) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (باللسانِ يُحفظُ الرأسُ) .

وكانَ بشرٌ الحافي رحمَهُ اللهُ قليلَ الكلامِ جداً ، ويقولُ لأصحابِهِ : (انظروا ما تُملونَهُ في صحائفِكم ؛ فإنَّهُ يُقرأُ علىٰ ربِّكم ، فيا ويحَ مَنْ تكلَّمَ بقبيحٍ ! ولو أنَّ أحدَكم أملىٰ إلىٰ أخيهِ كلاماً فيهِ قبحٌ لكانَ ذلكَ قلَّةَ حياءٍ معَهُ ، فكيفَ بالربِّ جلَّ وعلا ؟!) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ إذا أصبحَ وضعَ قرطاساً وقلماً ، فكانَ لا يتكلَّمُ يومَهُ بلغوٍ إلا حاسبَ نفسَهُ عليهِ عندَ غروبِ الشمسِ[3] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٢٩٢) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٧٦٢) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٥٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٧٠٥) .

(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢١٤) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/٤٠١) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلَغَنا أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يضعُ الحجرَ في فمِهِ عدَّةَ سنينَ ، حتىٰ تعوَّدَ قلَّةَ الكلامِ ، وكانَ لا يُخرِجُ الحجرَ مِنْ فمِهِ إلا عندَ الأكلِ والصلاةِ ؛ كلُّ ذلكَ خشيةُ أنْ يقولَ ما لا يعنيهِ ، ثمَّ لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ صارَ يُخرِجُ لسانَهُ ويقولُ : هـٰذا هو الذي أوردَني الموارِدَ)[1] .

وكانَ الإمامُ مالكٌ رحمَهُ اللهُ إذا رأىٰ رجلاً يتكلَّمُ كثيراً يقولُ لهُ : (أمسكْ عليكَ بعضَ كلامِكَ) .

وسئلَ مرَّةً عن رجلٍ ، فقالَ : (لا بأسَ بهِ ، إلا أنَّهُ يتكلَّمُ كلامَ شهرٍ في يومٍ)[2] .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ يقولُ : (تركُ كلمةِ لغوٍ أشدُّ على النفسِ مِنْ صيامِ يومٍ ؛ لأنَّ الرجلَ ربَّما يحتملُ الصومَ في الحرِّ الشديدِ ، ولا يحتملُ تركَ كلمةٍ لا تعنيهِ ، معَ أنَّ تركَ تلكَ الكلمةِ أفضلُ مِنَ الصومِ)[3] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، **وفتِّشْ نفسَكَ** ؛ هل وَفَيتَ بهـٰذا الخُلُقِ أم قصَّرْتَ فيهِ ؟ واستغفرْ ربَّكَ بالعشيِّ والإبكارِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) روى الخبر بنحوه عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٠٣١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٩٦) .

(٢) سبق تخريجه (ص٣٨٩ـ ٣٩٠) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/١٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦٢٧) .

[سدُّ بابِ الغيبة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : سدُّ بابِ الغِيبةِ في الناسِ في مجالسِهم ، حتىٰ لا يكادُ أحدٌ مِنْ أصحابِهم يقعُ في غِيبةِ أحدٍ ، فيصيرَ مجلسُهم مجلسَ إثمٍ ، ولعلَّ ما قرؤُوهُ مِنْ كلامِ القومِ مثلاً أوِ الوردِ لا يقاومُ يومَ القيامةِ غِيبةً واحدةً وقعوا فيها .

وكانَ أخي الشيخُ أفضلُ الدينِ يقولُ : (إنَّما أُكثِرُ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ في بعضِ الأوقاتِ ؛ ليصيرَ معيَ شيءٌ مِنَ الأعمالِ يومَ القيامةِ أعطي منهُ خُصَمائيَ الذينَ لهم عليَّ تَبِعةٌ مِنْ مالٍ أو عِرْضٍ) .

وقلْتُ مرَّةً لسيدي عليٍّ الخوَّاصِ رحمَهُ اللهُ : ألا تأخذُ علىٰ أصحابِكَ العهدَ بأنَّ أحداً منهم لا يستغيبُ أحداً في مجلسِكَ ؟ فقالَ : أخذُ العهدِ بذلكَ سوءُ أدبٍ معَ اللهِ تعالىٰ ومعَ خلقِهِ ؛ وذلكَ لأنَّ خلقَ الأعمالِ والأقوالِ التي تحدثُ علىٰ يدِ المريدِ إنَّما هي للهِ عزَّ وجلَّ ، فكيفَ آخذُ عليهِ العهدَ بشيءٍ ليسَ في يدِهِ ويخلقُهُ اللهُ فيهِ علىٰ رَغْمِ أنفِهِ ؟! فقلْتُ لهُ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بايعَ أصحابَهُ على السَّمعِ والطاعةِ ، وعلىٰ تركِ أفعالٍ كانوا يفعلونَها[١] ، فقالَ : إنَّما كانَ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

(١) رواه بنحوه البخاري (١٨) ، ومسلم (١٧٠٩) من حديث سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

بوحيٍ مِنْ ربِّهِ عزَّ وجلَّ بخلافِنا نحنُ ؛ فإنَّهُ لا يلزمُنا إلا مدافعةُ الأقدارِ حسبَ طاقتِنا ، ثمَّ إنْ غلبَتْنا الأقدارُ وجبَ علينا التوبةُ فوراً ، هـٰذا ما علينا . انتهىٰ .

فعليكَ أيُّها الشيخُ بزجرِ أصحابِكَ عنِ الغِيبةِ والنميمةِ ، ولا تسامحْهم بالسكوتِ علىٰ ذلكَ ؛ فإنَّكَ تصيرُ شريكَهم في ذلكَ ، وتفسُقونَ كلُّكم .

وفي الحديثِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « نَظَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فِي ٱلنَّارِ ، فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ ٱلْجِيَفَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَـٰؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : هَـٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ ٱلنَّاسِ »(١) .

وكانَ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : هاجَتْ ريحٌ منتنةٌ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقلْنا : يا رسولَ اللهِ ؛ ما أشدَّ نَتْنَ هـٰذهِ الريحِ ! فقالَ : « إِنَّ نَاساً مِنَ ٱلْمُنَافِقِينَ ٱغْتَابُوا نَاساً مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ فَلِذَلِكَ هَاجَتْ هَـٰذِهِ ٱلرِّيحُ ٱلْخَبِيثَةُ »(٢) .

وكانَ أبو قِلابةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ الغِيبةَ تخرِّبُ القلبَ مِنَ الهدىٰ والخيرِ) .

وقالَ عوفٌ رضيَ اللهُ عنهُ : دخلْتُ يوماً علىٰ محمدِ بنِ سيرينَ ، فنِلْتُ مِنْ عرضِ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ عندَهُ، فقالَ لي : يا عوفُ ؛ إنَّ اللهَ تعالىٰ حَكَمٌ عدلٌ ، فكما ينتقمُ مِنَ الحجاجِ بنِ يوسفَ كذلكَ ينتقمُ للحجاجِ ، وربَّما لقيتَ اللهَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١/٢٥٧) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٣٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/١٢١) .

تعالىٰ فكانَ أصغرُ ذنبِ عملتَهُ أشدَّ عليكَ مِنْ أعظمِ ذنبِ عملَهُ الحجاجُ[(١)] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا بلغَهُ أنَّ أحداً اغتابَهُ يرسلُ إليهِ بهديةٍ ، ويقولُ لهُ على لسانِ الرسولِ : (بلغَني يا أخي أنَّكَ أهديتَ إليَّ حسناتِكَ ، وهي بيقينٍ أعظمُ مِنْ هديتي هـٰذِهِ)[(٢)] .

وكانَ سيِّدي عبدُ العزيزِ الدِّيرينيُّ رحمَهُ اللهُ إذا بلغَهُ أنَّ أحداً اغتابَهُ يذهبُ إلىٰ دارِهِ ، ويقولُ لهُ : (يا أخي ؛ ما لكَ ولذنوبِ عبدِ العزيزِ تتحمَّلُها ؟! يكفيكَ ما علىٰ ظهرِكَ مِنْ أوزارِكَ) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إيَّاكَ أنْ تقابلَ مَنْ ظلمَكَ بما يكونُ أظلمَ مِنْ ظُلمِكَ بمقابلتِكَ لهُ ؛ وذلكَ أنَّهُ يظلمُكَ مرةً ، فتصيرُ تلعنُهُ وتشتُمُهُ كلَّما تذكَّرْتَ فعلَهُ ، حتىٰ تستوفيَ بذلكَ حقَّكَ ، وتصيرَ عليكَ بعدَ ذلكَ التبعةُ)[(٣)] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (فاكهةُ القرَّاءِ في هـٰذا الزمانِ الغِيبةُ ، وتنقيصُ بعضِهم بعضاً ؛ خوفاً أنْ يعلوَ شأنُ أقرانِهم عليهم ، ويشتهروا بالعلمِ والزهدِ والورعِ دونَهم ، وبعضُهم يجعلُها كالإدامِ في الطعامِ ، وهو أخفُّهم إثماً)[(٤)] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ أشدِّ الناسِ زجراً للمغتابينَ

---

(١) كذا أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٥٤٢) ، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٢٢٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٧٠) .

(٢) أورده بنحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٤٠١) .

(٣) رواه بنحوه معمر في « الجامع » (٢٠٢٦٨) .

(٤) رواه مختصراً البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٦٠) .

للناسِ ، واستضافَ مرَّةً رجلاً فذكرَ شخصاً بسوءٍ ، فخرجَ إبراهيمُ ولم يأكلْ لهُ طعاماً(١) .

وباتَ مرةً عندَ شخصٍ ، فتناولَ الشخصُ رجلاً مِنْ أقرانِهِ ، فقالَ إبراهيمُ : (عهدُنا بالناسِ يأكلونَ الخبزَ قبلَ اللحمِ ، وأنتم تأكلونَ اللحمَ قبلَ الخبزِ !) ، فتنبَّهَ الرجلُ واستغفرَ(٢) .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ لتركُ الغيبةِ عندي أحبُّ إليَّ مِنَ التصدُّقِ بجبلٍ مِنْ ذهبٍ)(٣) .

وكانَ وكيعُ بنُ الجراحِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ عزَّةِ السَّلامةِ مِنَ الغِيبةِ أنَّهُ لم يسلمْ منها إلا قليلٌ مِنَ الناسِ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اذكرْ أخاكَ إذا تواريْتَ عنهُ بمثلِ ما تحبُّ أنْ يذكرَكَ بهِ إذا توارىٰ عنكَ)(٤) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كفىٰ بالمرءِ إثماً ألا يكونَ صالحاً ، ثُمَّ بعدَ ذلكَ يقعُ في عرضِ الصالحينَ)(٥) .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٠) .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٦٤) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٤٥) .

(٣) رواه بنحوه أبو الشيخ الأصبهاني في « التوبيخ والتنبيه » (١٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٥٣) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ١١٦) من قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٤٣٠) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في معنىٰ حديثٍ : « إِنَّ ٱللَّهَ يَكْرَهُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ٱللَّحْمِيِّينَ »[1] : (المرادُ بهِ : الذينَ يأكلونَ لحومَ الناسِ بالغِيبةِ فيهم)[2] .

وسئلَ الزهريُّ عن حدِّ الغيبةِ ، فقالَ : (كلُّ ما كرهْتَ أن تواجِهَ بهِ أخاكَ فهو غِيبةٌ)[3] .

ونامَ شقيقٌ البلخيُّ مرةً عن وِرْدِهِ ، فعاتبَتْهُ امرأتُهُ ، فقالَ لها : لا تعتبيني ؛ أنْ نمتُ عن وِردي ؛ فإنَّ غالبَ علماءِ بلخَ وزهَّادِها يصلُّونَ لي ويصومونَ ويفعلونَ الخيرَ ، فقالَتْ لهُ : وكيفَ ذلكَ ؟! فقالَ : يبيتُ أحدُهم يصلِّي طولَ الليلِ ، ويصبحُ صائماً ، وينالُ مِنْ عِرْضِ شقيقٍ ويأكلُ مِنْ لحمِهِ ، فيكونُ صيامُهم وصلاتُهم في ميزاني .

وكانَ أبو أمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ العبدَ ليُعطىٰ يومَ القيامةِ كتابَهُ ، فيرىٰ فيهِ حسناتٍ لم يعملْها ، فيقولُ : يا ربِّ ؛ أنَّىٰ لي هـٰذا ؟! فيقولُ : هـٰذا بما اغتابَكَ الناسُ وأنتَ لا تشعرُ)[4] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو كنتُ مغتاباً أحداً

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٦٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٢٨٠) من قول كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (١١٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٧٥) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن وهب في « الجامع » (٣٣٥) مرسلاً .

(٤) في هامش (أ) : (بلغ) ، وأورد الخبر السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٦٤) ، ورواه عنه مرفوعاً الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (١٩١) .

لاغتبْتُ والديَّ ؛ لأنَّهما أحقُّ بحسناتي مِنْ غيرِهما)[١] .

وكانَ محمدُ بنُ عليٍّ الترمذيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ وقعَ في عِرْضِ أحدٍ فكأنَّهُ قدَّمَهُ بحسناتِهِ علىٰ نفسِهِ ، وأحبَّهُ أكثرَ مِنْ نفسِهِ) .

قلْتُ : فلا ينبغي لهُ التَّكديرُ منهُ ، بل يحبُّهُ ؛ لِمَا حصلَ لهُ مِنَ الثوابِ ، وإنْ لم يقصدْهُ هو .

فعُلِمَ : أنَّ مَنْ تكدَّرَ ممَّنْ أهدىٰ إليهِ حسناتِهِ فهو أحمقُ ، إلا إنْ كانَ تكدُّرُهُ لغرضٍ شرعيٍّ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ سعيدُ بنُ جبيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ العبدَ ليعملُ الحسناتِ الكثيرةَ فلا يراها في صحائفِهِ يومَ القيامةِ ، فيقولُ : يا ربِّ ؛ أينَ حسناتي ؟ فيُقالُ لهُ : ذهبَتْ باغتيابِكَ للناسِ وهم لا يعلمونَ)[٢] .

وكانَ منصورُ بنُ المعتمرِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : لا تتناولوا السلطانَ إذا ظلمَ ، بل أكثروا لهُ مِنَ الاستغفارِ ؛ فإنَّهُ ما ظلمَكم إلا بذنوبِكم ، فقيلَ لهُ : أنَقَعُ في عِرْضِ مَنْ يسبُّ أبا بكرٍ وعمرَ ؟ فقالَ : نعم[٣] .

وكانَ محمدُ بنُ سيرينَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنَ الغِيبةِ المحرَّمةِ التي لا يشعرُ بها أكثرُ الناسِ . قولُهم : إنَّ فلاناً أعلمُ مِنْ فلانٍ ؛ فإنَّ المفضولَ

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٤٠٠) ، والنووي في « الأذكار » (ص٥٤٨) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٤٠٠) من غير نسبة ، ورواه بنحوه مرفوعاً الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (١٩١) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٣٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤١/٥) .

يتكدَّرُ مِنْ ذلكَ ، **ومعلومٌ** : أنَّ حدَّ الغِيبةِ أنْ يَذكُرَ الرجلُ أخاهُ بما يكرهُ) .

وسيأتي أنَّ طبيبينِ يهوديَّينِ دخلا على سفيانَ الثوريِّ فقالَ : (لولا أخشى أنْ تكونَ غِيبةٌ لقلْتُ : أحدُهما أطبُّ مِنَ الآخرِ)[١] .

وكانَ أخي أفضلُ الدينِ رحمَهُ اللهُ تعالى يقولُ إذا سئلَ عن مقامِ أحدٍ مِنَ العلماءِ : (سلوا غيري ؛ فإنِّي ألحظُ الناسَ بعينِ الكمالِ والصلاحِ ، وليسَ عندي كشفٌ أعلمُ بهِ مقامَهم عندَ اللهِ ، والظنُّ أكذبُ الحديثِ) انتهى .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا مرَّ على قومٍ يتحدثونَ بغيبةٍ . . يقولُ لهم : (قوموا فتوضَّؤوا ؛ فإنَّ بعضَ ما تتكلَّمونَ بهِ ربَّما كانَ أشدَّ مِنَ الحَدَثِ)[٢] .

وكانَ أبو ترابٍ النَّخْشَبيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الغِيبةُ فاكهةُ القرَّاءِ ، ومزابلُ الأتقياءِ)[٣] .

وكانَ ميمونُ بنُ [سِياهٍ] رحمَهُ اللهُ يقولُ[٤] : (اغتيبَ رجلٌ في مجلسي وأنا ساكتٌ ، فقُدِّمَ إليَّ تلكَ الليلةَ جيفةٌ منتنةٌ ، وقيلَ لي : كُلْ هـٰذا ، فقلْتُ : كيفَ ذلكَ ؟! فقيلَ : هـٰذا بما اغتيبَ عندَكَ وأنتَ ساكتٌ)[٥] .

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٥٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢١٤) من قول محمد بن سيرين رحمه الله تعالى .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٤٣٧) ، والدينوري في « المجالسة » (٨٨٦) عن شيخ من الأنصار رضي الله عنهم .

(٣) رواه مختصراً البيهقي في « شعب الإيمان » (٩/ ١٢١) من قول الفضيل رحمه الله تعالى .

(٤) في جميع النسخ المعتمدة : (يسار) بدل (سياه) ، والمثبت **هو الصواب** ، وانظر « صفة الصفوة » (٣/ ٢٣٢) .

(٥) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٣/ ٢٣٢) .

وكانَ خالدٌ الرَّبَعيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (تناولَ الناسُ رجلاً يوماً في المسجدِ ، فأعنْتُهم عليهِ ، فقُدِّمَ لي تلكَ الليلةَ قطعةٌ مِنْ لحمِ خنزيرٍ ، وقيلَ لي : كُلْ ، فقلْتُ : لا آكلُ ، فأدخلوها في فمي كَرْهاً عليَّ ، فاستيقظْتُ وأنا أجدُ طعمَ ذلكَ اللحمِ في فمي ، فمكثَتْ رائحتُهُ في فمي أربعينَ صباحاً وأنا والناسُ نَشَمُّها)[1] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مثالُ مَنْ يغتابُ الناسَ مثالُ مَنْ نصبَ مَنْجنيقاً لحسناتِهِ ، وصارَ يرميها شرقاً وغرباً في كلِّ موضعٍ اغتابَ أحداً فيهِ مِنْ سائرِ أقاليمِ الأرضِ)[2] .

وكانَ عطاءٌ الخراسانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تتكدَّروا ممَّنِ اغتابَكم ؛ فإنَّهُ أحسنَ إليكم مِنْ حيثُ لا يشعرُ ، وقد بلغَنا أنَّ مَنِ اغتيبَ غِيبةً واحدةً غُفرَ لهُ نصفُ ذنوبِهِ)[3] .

وكانَ وهبُ بنُ منبهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يَكمُلُ صلاحُ الرجلِ عندَ اللهِ تعالىٰ حتىٰ يكونَ عِلْكاً في أفواهِ الناسِ) ؛ **أي** : وهو صابرٌ علىٰ ذلكَ[4] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ قالَ : إنَّ في القومِ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الغيبة والنميمة » (٤٣) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٤٠٠) من غير نسبة .

(٣) رواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٧٤٠) .

(٤) في هامش (أ) : (**بلغ**) ، وأورد الخبر بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/٣١٦) ، بلفظ : (وأوحى الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ عُزير : إن لم تطبْ نفساً بأن أجعلك عِلْكاً في أفواه الماضغين . . لم أكتبك عندي من المتواضعين) .

جُفاةً . . فليسَ هو بغيبةٍ ، إنَّما الغيبةُ أنْ يقولَ : هم جفاةٌ) ؛ أي : لأنَّهُ عيَّنَ مَنِ اغتابَهُ ، وغيبةُ المبهَمِ جائزةٌ .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (عرضْتُ مرَّةً علىٰ نفسي الصومَ في يومِ حرٍّ شديدٍ وتركَ ذكرِ الناسِ ، فكانَ الصومُ أهونَ عليها مِنْ تركِ ذكرِهم)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تذكروا أهلَ الأهواءِ والبدعِ بسوءٍ إلا لمَنْ يُبلِّغُ ذلكَ لهم حتىٰ ينزجروا ، وإلا فلا فائدةَ لذكرِهم بسوءٍ عندَ مَنْ لا يُبلِّغُهم) .

قلْتُ : قد يقصدُ القائلُ بذلكَ تقبيحَ تلكَ الصفاتِ في عيونِ الحاضرينَ ، وتلكَ فائدةٌ بلا شكٍّ .

وكانَ يقولُ في معنىٰ حديثِ : « لَا غِيبَةَ فِي فَاسِقٍ »[2] : (**أي** : لا تغتابوا الفسقةَ ، وكفُّوا عن غيبتِهم ، واجعلوا بدلَ غيبتِكم لهم نُصحَهم سراً ، فربَّما يحصلُ بذلكَ ما هو أبلغُ في هدايتِهم مِنْ غيبتِهم) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**خصالٌ ثلاثٌ إذا كُنَّ في مجلسٍ فإنَّ الرحمةَ عن أصحابِهِ مصروفةٌ** : ذكرُ الدنيا ، وكثرةُ الضَّحِكِ ، والوقيعةُ في أعراضِ الناسِ)[3] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/١٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦٢٧) .

(٢) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/٤١٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٢١٨) من حديث سيدنا معاوية بن حيدة رضي الله عنهما .

(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٦٥) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الكاذبُ يتطوَّرُ كلباً في النارِ ، والحاسدُ يتطوَّرُ في النارِ خنزيراً ، والمغتابُ أوِ النمَّامُ يتطوَّرُ فيها قرداً)[1] .

وكانَ الأنطاكيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنَ الغِيبةِ المحرَّمةِ أنْ تُثبِتَ عيبَ أخيكَ في قلبِكَ ، وتكرهَ أنْ تتكلَّمَ بهِ ؛ خوفاً مِنْ عداوتِهِ لكَ)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ تجرَّأَ على التصريحِ بغيبةِ أحدٍ . جرَّهُ ذلكَ إلىٰ أنْ يقولَ في الناسِ الزورَ والبهتانَ) انتهىٰ[3] .

فاعرضْ يا أخي علىٰ نفسِكَ هـٰذهِ الأمورَ ؛ فهل سلِمْتَ مِنَ الوقوعِ فيها فتشكرَ اللهَ ، أم وقعْتَ فيها فتستغفرَ اللهَ ؟ وأكثِرْ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ ؛ لتعطيَ منها أصحابَ الحقوقِ يومَ القيامةِ ، واعتقِدْ في نفسِكَ الفسقَ فضلاً عنِ اعتقادِكَ فيها الصلاحَ ؛ مِنْ كثرةِ ما تسمعُ مِنَ الناسِ المحجوبينَ عنِ اللهِ في حقِّكَ بأنَّكَ مِنَ الصالحينَ ، وقد قالوا : أجهلُ الجاهلينَ مَنْ تركَ يقينَ ما عندَهُ لظنِّ ما عندَ الناسِ .

وقبيحٌ علىٰ شيخِ الزاويةِ مثلاً أنْ يجلسَ في مجالسِ الغيبةِ والنميمةِ ، أو يُقِرَّ أحداً عليها ؛ فإنَّه يصيرُ فاسقاً بذلكَ ، وهـٰذا أمرٌ قدِ استهانَ بهِ غالبُ الناسِ معَ أنَّهُ أقبحُ مِنْ بيعِ الحشيشِ ، ومعَ ذلكَ فلا يكادُ أحدٌ يستقبحُهُ كلَّ ذلكَ القبحِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ . انتهىٰ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورده الصفوري في « نزهة المجالس » (١/١٥١) .
(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٢٩١) ضمن خبر طويل .
(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٢٩١) ضمن خبر طويل .

[عدم الوسوسة في العبادة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ وسوستِهم في الوضوءِ ، وفي نيَّةِ الصلاةِ ، وفي القراءةِ فيها ، وغيرِ ذلكَ مِنَ العباداتِ ، معَ شدَّةِ مبالغةِ أحدِهم في الورعِ إلى الغايةِ ؛ وذلكَ لأنَّ أصلَ حصولِ الوسوسةِ إنَّما هو مِنْ ظُلمةِ القلبِ ، وظلمةُ القلبِ مِنْ ظلمةِ الأعمالِ ، وظلمةُ الأعمالِ مِنْ أكلِ الحرامِ والشبهاتِ ، فمَنْ أحكمَ أكلَ الحلالِ فليسَ لإبليسَ عليهِ سبيلٌ .

وقد أكلَ قومٌ مِنْ طعامِ الظَّلَمةِ والمكَّاسينَ والمباشِرينَ والقضاةِ الذينَ يأكلونَ الرِّشا ومَنْ يبيعُ عليهم مِنَ التجارِ وغيرِهم ، وطلبوا الحضورَ معَ اللهِ تعالىٰ والخشوعَ في عباداتِهم ، ومعرفةَ ما فعلوهُ منها ممَّا تركوهُ . فلم يصحَّ لهم ذلكَ ، وكانَ غايةُ أحدِهمُ العناءَ والتعبَ والقفزَ في الهواءِ حالَ النيَّةِ في الصلاةِ ؛ كأنَّهُ يصطادُ شيئاً تفلَّتَ مِنْ يدِهِ ، وإذا كبَّرَ يقولُ : أك أك أك بار بار بار ، وإذا قرأَ : بسْمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ . . يقولُ : بس بس ال ال هي هي ، ونحوَ ذلكَ ، وإذا تحَّىٰ يقولُ : ات ات ات حياتُ ، وإذا سلَّم يقولُ : اس اس اس ، ونحوَ ذلكَ كما هو مشاهدٌ مِنْ أحوالِهم ، وقد أفتىٰ بعضُهم ببطلانِ الصلاةِ بذلكَ ، وقالَ : إنَّهُ ليسَ بقرآنٍ ولا ذكرٍ ، وإنَّما هو كلامٌ أجنبيٌّ مِنْ كلامِ الآدميينَ قالَهُ صاحبُهُ علىٰ وجهِ العمدِ لا السهوِ .

وسمعْتُ سيدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ أحقَّ ما يسمَّىٰ بِهِ

هـٰؤلاءِ المُوَسْوِسُونَ أنْ يقالَ : إنَّهم مبتدعةٌ لا فقهاءُ ؛ لأنَّ أحدَهم ربَّما يَتوهَّمُ بطلانَ وضوءِ الصحابةِ والتابعينَ والأئمةِ المجتهدينَ ، ولو قلْتَ لأحدِهم : توضَّأْ كما بلغَكَ مِنْ وضوءِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أو مِنْ وضوءِ أصحابِهِ . . لا يرضىٰ بهِ ولا يعتقدُ صحتَهُ ، وهـٰذا ضلالٌ مبينٌ) انتهىٰ .

وقد بسطْنا الكلامَ علىٰ ذلكَ في البابِ الخامسَ عشرَ مِنْ كتابِ « المننِ الكبرىٰ » ، فراجعْهُ إنْ أردتَ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كتمان الأسرار وعدم النّميمة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كتمانُهمُ الأسرارَ ، وعدمُ تبليغِهم أحداً ما يسمعونَهُ في حقِّهِ ، وقد قالوا : قلوبُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ[1] ، وإنْ لم يكنْ أهلُ اللهِ يكتمونَ الأسرارَ فمَنْ بقيَ يكتمُها ؟!

وهـٰذا الخلُقُ قد صارَ غريباً في هـٰذا الزمانِ ، فربَّما يسمعُ الشَّيخُ مِنْ أهلِ هـٰذا الزمانِ الكلمةَ فيحكيها لغالبِ مَنْ يدخلُ عليهِ ، وربَّما كانَ فيها خرابُ الديارِ ، ويقولُ الناسُ : قد أخبرَنا بذلكَ شخصٌ مِنْ أولياءِ اللهِ تعالىٰ لا يصحُّ في حقِّهِ تهمةٌ ، فيسمُّونَهُ ولياً مِنْ أولياءِ اللهِ ، والحالُ أنَّهُ معدودٌ مِنَ الفاسقينَ بنقلِهِ النميمةَ ، وإفسادِهِ بينَ الناسِ ، وإنْ لم يقصدْ هو ذلكَ .

وقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ قَتَّاتٌ »[2] ؛ **يعني** : نماماً .

وكانَ مجاهدٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد : ٤] : (كانَتْ تمشي بالنميمةِ بينَ الناسِ)[3] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٧٧) .

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦) ، ومسلم (١٠٥) من حديث سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الغيبة والنميمة » (١٢٨) .

وقالَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ : (مِنْ علامةِ النمَّامِ الذلُّ بينَ الناسِ ؛ فلا تكادُ تراهُ عزيزاً أبداً ، بل هو أذلُّ مِنَ اليتيمِ)(١) .

وكانَ يحيى بنُ أبي كثيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (النمَّامُ شرٌّ مِنَ الساحرِ ، ولا يشعرُ بهِ أحدٌ ؛ فإنَّهُ قد يعملُ في ساعةٍ ما لا يعملُهُ الساحرُ في شهرٍ ؛ فإنَّ النميمةَ سفكَتِ الدماءَ ، ونهبَتِ الأموالَ ، وهاجَتِ الفتنَ العظامَ ، وأخرجَتِ الناسَ مِنْ بيوتِهم)(٢) .

وكانَ أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يسعىٰ بينَ الناسِ بالفسادِ إلا ولدُ بغيٍّ ؛ لأنَّهُ يُهلِكُ نفسَهُ ، ويهلِكُ أخاهُ ، ويهلِكُ ذلكَ الشخصَ الذي أنهىٰ إليهِ ذلكَ الكلامَ)(٣) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ نقلَ إليكَ نقلَ عنكَ ، ومَنْ مدحَكَ بما ليسَ فيكَ فلا تأمنْ أنْ يذمَّكَ بما ليسَ فيكَ)(٤) .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (احذرْ ممَّنْ يكتمُ أكثرَ ممَّنْ يحدِّثُ بما يسمعُ ؛ فإنَّ مَنْ يكتمُ يصدِّقُ الناسُ قولَهُ أكثرَ ؛ لاستبعادِهمُ الكذبَ

---

(١) أورد نحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٧٢) .

(٢) رواه مختصراً ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص١٧٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦٠١) .

(٣) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢٤٨) من حديث سيدنا أبي موسىٰ رضي الله عنه مرفوعاً .

(٤) رواه بنحوه أبو طاهر السلفي من طريق أبي الحسين الطيوري في « الطيوريات » (١٣٣٩) من قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ ، وتقدم (ص٥١٠) .

عليهِ ، وربَّما تكلَّمَ الإنسانُ بكلمةٍ لِمَنْ يأتمنُهُ ، فتكلَّمَ بها ، فأخربَ الديارَ)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يقدرُ علىٰ كتمانِ ما يسمعُ إلا مَنْ صحَّ نسبُهُ ، وأمَّا ولدُ الزنىٰ فإنَّهُ لا يستطيعُ الكتمانَ)[2] .

وتركَ بعضُ إخوانِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ زيارتَهُ زماناً ، ثمَّ جاءَ زائراً ، فوقعَ في عِرْضِ بعضِ الناسِ عندَ إبراهيمَ ، فقالَ لهُ إبراهيمُ : (واللهِ ؛ إنَّ تركَ زيارتِكَ لنا غنيمةٌ ؛ بغَّضْتَ إليَّ أخي ، وشغلْتَ قلبي ، فيا ليتكَ لم تزرْنا في هـٰذا اليومِ !)[3] .

وكانَ منصورُ بنُ زاذانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنِّي لفي جهادٍ معَ كلِّ مَنْ جالسَني حتىٰ يفارقَني ؛ فإنَّهُ لا يكادُ يسلمُ مِنْ تبغيضِ صديقي إليَّ ، أو مِنْ تبليغِهِ لي غِيبةَ مَنِ اغتابَني ؛ فيدخلُ عليَّ الكربُ منهُ)[4] .

وكانَ شدَّادُ بنُ حكيمٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا رأيتُم حسناتِ أخيكم أكثرَ مِنْ سيئاتِهِ . . فاذكروهُ بالمحاسنِ ، وتجافَوا عن مساويهِ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أبغضَ بحسَبِ قولِ الناسِ ، وأحبَّ

---

(١) رواه بنحوه مختصراً ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٩٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٥٤) .

(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٧٣) ، ورواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تلخيص المتشابه » (١٠٤) من قول أبي جعفر رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٧٣) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة والنميمة » (١٦٣) .

بقولِ الناسِ . . أصبحَ نادماً علىٰ ما فعلَ ؛ فإنَّهُ قلَّ أنْ يقعَ التعديلُ أو التجريحُ بحقٍّ ، وإنَّما يقعُ ذلكَ بالعصبيةِ ، وهوى النفسِ) .

وكانَ خالدُ بنُ صفوانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (امقُتوا النمَّامَ وإنْ كانَ صادقاً ؛ فإنَّ قَبولَ النميمةِ شرٌّ مِنَ النميمةِ ؛ وذلكَ لأنَّ النميمةَ روايةٌ ، وقبولَها إجازةٌ)[1] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واحذرْ مِنْ إفشاءِ سرِّ أحدٍ مِنْ إخوانِكَ أو غيرِهم في هٰذا الزمانِ ، ولا تقلْ : أنا لم أقصدْ ذلكَ ؛ فإنَّكَ في النصفِ الثاني مِنَ القرنِ العاشرِ صاحبِ الفتنِ والغرائبِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١٢٢) من قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

[الاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الناس]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الاشتغالِ بعيوبِ أنفسِهم عن عيوبِ الناسِ ؛ عملاً بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] ، وعملاً بحديثِ : « طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ »[١] .

وأيضاً : فإنَّ المطَّلعَ علىٰ عيوبِ الناسِ معدودٌ مِنْ جملةِ الشياطينِ ؛ أي : البُعَداءِ مِنْ رحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وأهلُ اللهِ لا يرضَونَ لنفوسِهم أنْ يكونوا بُعَداءَ مِنَ الرحمةِ .

وقد كانَ زيدٌ العَمِّيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قرأْتُ في بعضِ الكتبِ الإلـٰهيةِ : يا بنَ آدمَ ؛ جعلْتُ لكَ مِخلاتَينِ ؛ مِخْلاةً أمامَكَ ، ومِخْلاةً خلفَكَ ؛ فالمِخْلاةُ التي خلفَكَ فيها عيوبُكَ ، والمِخْلاةُ التي أمامَكَ فيها عيوبُ الناسِ ، فلو نظرْتَ إلى التي خلفَكَ لشغلَتْكَ عنِ التي أمامَكَ)[٢] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يتيقَّنُ أحدُكم عيوبَ نفسِهِ ، ومعَ ذلكَ

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٧٩) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٩٨) من قول عون بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ ، **والمِخلاة** : ما يُجعل فيه الخَلَىٰ ؛ وهو ما كان رطباً من حشيشٍ ونحوه . انظر « مختار الصحاح » (خ ل و) .

يحبُّها ، ويبغضُ أخاهُ المسلمَ على الظنِّ ، فأينَ العقلُ ؟!)[1] .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا رأيتُمُ الرجلَ موكَّلاً بعيوبِ الناسِ . . فاعلموا أنَّهُ عدوٌّ للهِ ، وأنَّ اللهَ مكرَ بهِ)[2] .

وكانَ بشرٌ الحافي رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ زعمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ يحبُّهُ وهو يَقرِضُ في أعراضِ الناسِ[3] . . فهو كاذبٌ ؛ فإنَّهُ شيطانٌ ، والشيطانُ عدوُّ اللهِ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عجباً للناسِ ؛ يقعُ أحدُهم في عِرضِ أخيهِ وهو غائبٌ ، فإذا حضرَ أظهرَ محبَّتَهُ ، وسارعَ إلىٰ مدحِهِ !) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلَّما ازدادَ العبدُ مِنْ معرفةِ عيوبِهِ . . قَرُبَ مِنْ حضرةِ ربِّهِ ، وكلَّما نقصَ مِنْ معرفةِ عيوبِهِ . . بَعُدَ عنها) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ عقلِ العاقلِ ألا يعيِّرَ أحداً بذنبٍ ؛ فإنِّي ربَّما عيَّرْتُ أحداً بذنبِهِ ؛ فابتُليتُ بذلكَ الذنبِ بعدَ عشرينَ سنةً ؛ عقوبةً لي)[4] .

قالَ : (وبلغَنا عن عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنَّهُ كانَ يقولُ : لا تنظروا في عيوبِ الناسِ كأنَّكم أربابٌ ، وانظروا في عيوبِكم كأنَّكم عبيدٌ ؛ فإنَّما

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣٥٠) من قول أبي عبد الله النباجي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الغيبة والنميمة » (٦٢) .

(٣) في هامش (ج) : (أي : يغتابهم ويسبهم ويؤذيهم) .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٧١) عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالىٰ .

النَّاسُ رجلانِ ؛ مبتلىً ومعافىً ؛ فارحموا أهلَ البلاءِ ، واشكروا اللهَ على العافيةِ)[1] .

وكانَتْ رابعةُ العدويةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (إنَّ العبدَ إذا ذاقَ محبَّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ . أطلعَهُ علىٰ مساوي عملِهِ ، فشغلَهُ بها عن مساوي النَّاسِ) .

وكانَ مجاهدٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو بغىٰ جبلٌ علىٰ جبلٍ لهُدَّ الباغي منهما)[2] .

قلْتُ : وممَّا ينبغي التفطُّنُ لهُ : احتسابُ العبدِ باللهِ علىٰ مَنْ ظلمَهُ ؛ فإنَّهُ يُهلِكُهُ بذلكَ ، وهو أعظمُ في هلاكِهِ مِنْ مقابلتِهِ بالبغيِ عليهِ في الظاهرِ ، فما تركَهُ هٰذا ظاهراً قابلَهُ بأشدَّ منهُ في الباطنِ ، فينبغي لِمَنْ بُغِيَ عليهِ ألا يحتسبَ باللهِ علىٰ عدوِّهِ ، بل يسألُ اللهَ لهُ ألا يؤاخذَهُ بسببِهِ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رحمَ اللهُ مَنْ أهدىٰ إليَّ عيوبي)[3] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ التَّيميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يعيبُ الرجلُ النَّاسَ إلا بفضلِ ما عندَهُ مِنَ العيبِ)[4] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٢٨) من قول مالك بن أنس رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم البغي » (٧) وابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٦٣) ، كلاهما من قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وفي هامش (ج) عند قوله : (لهُدَّ) : (بالبناء للمفعول ؛ أي : انكسر وانهدم ، والهدُّ : الكسر والهدم ، وفي نسخة : « لدُكَّ الباغي » بمعناه . انتهىٰ) .

(٣) رواه الدارمي في « السنن » (٦٧٥) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٦٦٤) من قول بعض الحكماء .

وكانَ الشعبيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنِ استقصىٰ عيبَ إخوانِهِ بقيَ بلا صديقٍ)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ الناسَ أتَوا عليَّ بنَ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ برجلٍ عليهِ حدٌّ ، والناسُ حولَهُ كالجرادِ ، فقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : أَنشُدُ باللهِ أنَّ كلَّ شخصٍ أتىٰ منكم هـٰذا الحدَّ فلينصرفْ ، فانصرفوا كلُّهم) ، فسبحانَ اللهِ الستَّارِ .

قلْتُ : لعلَّ المرادَ بهـٰذا الحدِّ : ما يوجبُ التعزيرَ ؛ لكثرةِ وقوعِ الناسِ فيهِ ؛ مِنْ شتمٍ وغيبةٍ وإيذاءٍ ونحوِ ذلكَ ؛ فإنَّ وقوعَ مثلِ هـٰذا الجمِّ الغفيرِ في الزنىٰ مثلاً . . أبعدُ مِنَ البعيدِ ، وكانَ أهلُ العصرِ الأولِ يطلقونَ على التعزيرِ حدّاً ، واللهُ أعلمُ .

فاحفَظْ لسانَكَ يا أخي ؛ فإنَّ مَنْ شقَّ جيوبَ الناسِ شقُّوا جيوبَهُ ، وإيَّاكَ أنْ تنسىٰ نفسَكَ إذا اطَّلعْتَ علىٰ عيبِ أخيكَ المسلمِ ، بلِ الواجبُ أنْ تجعلَ عيبَ أخيكَ مذكِّراً لعيبِكَ ؛ فإنَّ الطينةَ واحدةٌ ، وما جازَ وقوعُهُ مِنْ غيرِكَ جازَ وقوعُهُ منكَ .

وفي الحديثِ : « مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَعْمَلَ ذَٰلِكَ ٱلذَّنْبَ »[2] .

وإذا أطلعَكَ اللهُ يا أخي علىٰ عيبِ أحدٍ مِنْ طريقِ الكشفِ . . فاستغفرْ ربَّكَ ؛ فإنَّهُ كشفٌ شيطانيٌّ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٠٢٧) من قول الفضيل رحمه الله تعالىٰ ، وأورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٢٤٢) من قول بعض السلف .

(٢) رواه الترمذي (٢٥٠٥) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

[حسن الخلق مع جفاة الطباع]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : حسنُ خُلُقِهم مع جفاةِ الطباعِ ؛ تخلُّقاً بأخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعملاً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[1] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ الرجلَ ليكونُ فيهِ تسعةُ أخلاقٍ حسنةٍ ، وواحدٌ سيِّئٌ ، فيغلبُ ذلكَ الخُلُقُ الواحدُ التسعةَ ، فاتَّقوا عثراتِ اللسانِ)[2] .

وكانَ بشرُ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ لسيِّئِ الخُلُقِ إلا الهِجرانُ) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَثَلُ سيِّئِ الخُلُقِ مَثَلُ الفخَّارةِ المكسورةِ ؛ لا تُرقَّعُ ، ولا تُعادُ طيناً)[3] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أولُ ما يَجني على سيِّئِ

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧) من حديث سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن عبد البر في « الاستذكار » (٤/ ٣٧٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٩/ ٢٤٥) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ١٨٥) ، ورواه بنحوه المحاملي في « أماليه » من رواية ابن يحيى البيع (٣٧٣) من قول الشعبي رحمه الله تعالى .

الخُلُقِ . . سوءُ خُلقِهِ ؛ فإنَّهُ يعذِّبُ نفسَ صاحبِهِ كما هو مشاهدٌ)[١] .

وسئلَ رضيَ اللهُ عنهُ مرةً عن حسنِ الخُلُقِ المشارِ إليهِ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[٢] ، فقالَ : (هو السخاءُ والعفوُ والاحتمالُ) .

وسُئِلَ عن ذلكَ الإمامُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : (هو موافقةُ النَّاسِ في كلِّ شيءٍ ما عدا المعاصيَ)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ كثُرَ همُّهُ سقُمَ بدنُهُ ، ومَنْ قلَّ ورعُهُ ماتَ قلبُهُ)[٤] .

وكانَ أبو حازمٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ سوءِ الخُلُقِ في الرجلِ أنْ يدخلَ علىٰ أهلِهِ وهم في سرورٍ يضحكونَ ، فيتفرَّقونَ خوفاً منهُ ، وكذلكَ مِنْ سوءِ خُلُقِهِ هربُ القطةِ منهُ ، وصعودُ كلبِهِ الحائطَ خوفاً منهُ)[٥] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ خطبَ امرأةً وهو سيِّئُ الخُلُقِ . . فليُعلِمْها بذلكَ ، وإلا غشَّها) انتهىٰ[٦] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٩٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٦٨٣) .

(٢) سبق تخريجه قريباً .

(٣) في هامش (أ) : (**الحمد لله ، بلغ نظراً ، وكتبه مؤلِّفه**) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٣٣) ، والدينوري في « المجالسة » (٢٩٩٤) ، كلاهما بنحوه من قول عبد العزيز بن حصين رحمه الله تعالىٰ فيما بلغه عن سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

(٥) رواه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٦٩) .

(٦) في هامش (أ) : (**بلغ**) .

وسيأتي بسطُ هـٰذا الخُلُقِ مفرَّقاً في الكتابِ ؛ فإنَّهُ كلَّهُ محاسنُ أخلاقٍ ، فلا يصحُّ لأحدٍ التَّلقيبُ بحُسنِ الخُلُقِ إلا إنْ تخلَّقَ بها جميعِها ، وذلكَ عزيزٌ جداً ، ولا يخرجُ عنِ الغشِّ إلا إنِ اتَّهمَ نفسَهُ بسوءِ الخُلُقِ ، ثمَّ إنَّهُ يَقبُحُ علىٰ مَنْ زعمَ أنَّهُ مِنَ الدعاةِ إلى اللهِ . . أنْ يكونَ خلقُهُ سيئاً ؛ يخافُ الناسُ مِنْ شرِّهِ ، كما أنَّهُ يقبحُ علىٰ جماعتِهِ أنْ يكونَ أحدُهم يخافُ الناسُ مِنْ شرِّهِ ، فقد قالوا : مِنْ علامةِ المنافقِ أنْ يتركَهُ الناسُ اتِّقاءَ فحشِهِ ، وفي الحديثِ مرفوعاً : « شَرُّ ٱلنَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ ٱلنَّاسُ ٱتِّقَاءَ فُحْشِهِ »[1] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وإيَّاكَ وسوءَ الخُلُقِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) رواه البخاري (٦٠٥٤) ، ومسلم (٢٥٩١) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

[كثرة الفتوّة والمروءة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الفتوَّةِ والمروءةِ[1] ؛ تخلُّقاً بأخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأخلاقِ الصحابةِ والتابعينَ والعلماءِ العاملينَ ؛ فإنَّهُ لا خيرَ فيمَنْ لا فتوَّةَ عندَهُ ولا مروءةَ ولو كانَ علىٰ عبادةِ الثقلَينِ .

وقد سُئِلَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ عنِ المروءةِ ، فقالَ : (هي تركُ ما يُعابُ عندَ اللهِ وعندَ خلقِهِ)[2] .

وقد أجمعوا علىٰ وجوبِ المروءةِ والفتوَّةِ في طريقِ السالكينَ ، وأنَّ تركَهما مِنْ أخلاقِ المنافقينَ .

وفي الحديثِ : « سَيَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ تَقْصُرُ فِيهِ ٱلْمُرُوءَةُ ، وَتَدِقُّ فِيهِ ٱلْأَخْلَاقُ ، وَيَسْتَغْنِي فِيهِ ٱلرِّجَالُ بِٱلرِّجَالِ ، وَٱلنِّسَاءُ بِٱلنِّسَاءِ ، وَإِذَا وُجِدَ ذَلِكَ فَلْيَنْتَظِرُوا ٱلْعَذَابَ صَبَاحاً وَمَسَاءً »[3] .

---

(١) **الفتوَّة** : الكرم . انظر « القاموس المحيط » (ف ت ي) ، وفي « الرسالة القشيرية » (ص٥٠٦) : (**أصل الفتوة** : أن يكون العبد أبداً في أمر غيره) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٧٩) من قول أبي الحسن البوشنجيِّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٢٨٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٥٨) ، كلاهما بنحوه من قول أبي الجلد حيلان بن فروة رحمه الله تعالىٰ .

وسئلَ عمرُو بنُ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ المروءةِ : ما هي ؟ فقالَ : (هي عرفانُ الحقِّ تعالىٰ ، وتعاهدُ الإخوانِ بالبرِّ)[1] .

وكانَ السَّريُّ السقطيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**المروءةُ** : هي صيانةُ النَّفسِ عنِ الأدناسِ ، وعن كلِّ شيءٍ يشينُ العبدَ بينَ النَّاسِ ، وإنصافُ النَّاسِ في جميعِ المعاملاتِ ، فمَنْ زادَ علىٰ ذلكَ فهو متفضِّلٌ)[2] .

وكانَ ربيعةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**المروءةُ في السفرِ** : بذلُ الرجلِ الزادَ ، وقلَّةُ خلافِهِ على الإخوانِ ، وقلَّةُ المزحِ معَهم)[3] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ مِنَ المروءةِ أنْ يربحَ التاجرُ علىٰ صديقِهِ)[4] .

قلْتُ : كانَ بعضُهم يقولُ : المروءةُ في التاجرِ هي رضاهُ بالربحِ اليسيرِ ، لا تركُ الربحِ بالكليَّةِ ؛ لأنَّ موضوعَ التجارةِ إنَّما هو للرِّبحِ ؛ دنيا وأخرىٰ ، فيأخذُ الربحَ اليسيرَ الذي لا يقنعُ بهِ غيرُهُ مِنَ التجَّارِ ؛ فإنَّ مَنْ باعَ بغيرِ ربحٍ افتقرَ ، وركِبَتْهُ الدُّيونُ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا سئلَ عنِ المروءةِ يقولُ : (هي الغداءُ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (١٢٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/ ٢٦٩) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٧٠٥) من قول بعض الحكماء .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٢٤٩) ، وفيه : (وكثرة المزاح معهم في غير مساخط الله) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٢٥) ، ورواه بنحوه ابن المرزبان في « المروءة » (٣٩) .

والعشاءُ في أفنيةِ الدورِ ، لا في داخلِها)[1] .

وكتبَ الحسنُ بنُ كيسانَ علىٰ بابِ دارِهِ : (رحمَ اللهُ مَنْ دخلَ فأكلَ) .

وكانَ السلفُ رضيَ اللهُ عنهم إذا استعارَ أحدُهم قِدْراً فارغةً ردَّها ملآنةً طعاماً ، وربَّما ملأها صاحبُها طعاماً ، ثمَّ أعارَها لمنْ طلبَها ، ويقولُ : كرهْتُ أنْ أعيرَها لأخي فارغةً[2] .

وسئلَ محمدُ بنُ عمرانَ عنِ المروءةِ ، فقالَ : (هي ألا تفعلَ فعلاً تستحيي مِنْ ظهورِهِ في الدنيا أوِ الآخرةِ)[3] .

وسئلَ الأصمعيُّ عنِ المروءةِ ، فقالَ : (هي طعامٌ موضوعٌ ، ولسانٌ حلوٌ ، ومالٌ مبذولٌ ، وعفافٌ معروفٌ ، وأذىً مكفوفٌ) انتهىٰ[4] .

فاعلمْ ذلكَ ، واعملْ عليهِ ، وكنْ متشبِّهاً بأهلِ المروءاتِ إنْ لم تكنْ منهم ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[5] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (١٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/٢٤٢) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الإشراف » (٢٦٠) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٨٩) ، وفيه : (أرسل الأشعث بن قيس إلىٰ عدي بن حاتم يستعير قدور حاتم . . .) وذكر نحوه .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٨٢٦) .

(٤) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/٢٥٨) من قول سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٥) في هامش (أ) : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلِّفه**) .

[كثرة السخاء، ومواساة الإخوان في كل الأحوال]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ السَّخاءِ والجودِ وبذلِ المالِ ومواساةِ الإخوانِ في حالِ سفرِهم ، وفي حالِ إقامتِهم ؛ فإنَّهُ بذلكَ يقعُ التعاضدُ في نصرةِ الدِّينِ الذي هو مقصودُهم .

وفي الحديثِ : « إِذَا كَانَ أَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ ، وَأُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ شُورَىٰ بَيْنَكُمْ . . فَظَهْرُ ٱلْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا ، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ . . فَبَطْنُ ٱلْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا »(١) .

وجاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فسألَهُ شيئاً ، فأمرَ لهُ بأربعينَ شاةً ، فرجعَ إلىٰ قومِهِ وقالَ : (يا قومِ أسلموا ؛ فإنَّ محمَّداً يعطي عطاءَ مَنْ لا يخشى الفقرَ)(٢) .

وزوَّجَ الحسينُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما امرأةً ، فبعثَ معَها بمئةِ جاريةٍ ، معَ كلِّ جاريةٍ ألفُ درهمٍ(٣) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه مسلم (٢٣١٢) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٢٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨) ، وفيهما : (تزوَّجَ الحسنُ بن علي امرأة) بدل (زوَّج الحسينُ بن علي امرأة) .

ودخلَ عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرةَ مجلساً ، ففسحَ لهُ رجلٌ في المجلسِ ، فلمَّا أرادَ القيامَ قالَ للرجلِ : (الحقْني إلىٰ منزلي) ، فأمرَ لهُ بعشرةِ آلافِ درهمٍ[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ يشرطُ علىٰ مَنْ يصاحبُهُ في السفرِ أنْ يكونَ هو الذي ينفقُ عليهِ ، وأنَ يكونَ خادماً ومؤذِّناً[2] .

وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (الجنةُ دارُ الأسخياءِ ، والنارُ دارُ البخلاءِ)[3] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (**علامةُ الكريمِ** : أنْ يكونَ شيبُهُ في مقدَّمِ رأسِهِ ولحيتِهِ ، **ومِنْ علامةِ لؤمِهِ** : أنْ يكونَ شيبُهُ في قَفاهُ[4] ، وألَّا ينفعَ غيرَهُ بشيءٍ إلا لرغبةٍ أو رهبةٍ) .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عجباً للَّئيمِ ؛ يبخلُ بالدنيا علىٰ أصدقائِهِ ، ويسخىٰ بالجنَّةِ علىٰ أعدائِهِ !)[5] .

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ اللئيمِ** : أنَّهُ إذا

---

(١) أورده الوطواط في « غرر الخصائص » (ص ٣١٥) ، وفيه : (عبيد الله) بدل (عبد الله) ، **ولعله الصواب** .

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣١٨) .

(٣) أورده القرطبي في « التذكرة » (ص٨٠٥) ، وروى الشطر الأول منه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٥٩٧) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

(٤) في هامش (ج) : (الضمير في « لؤمه » يرجع إلىٰ غير معين ، أو إلى الكريم تسامحاً ؛ ثقةً بفهم السامع ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ . . . ﴾ الآية [فاطر : ١١] . انتهىٰ) .

(٥) أورده بنحوه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٦٧٥) من غير نسبة .

ارتفعَ جفا أقاربَهُ ، وأنكرَ معارفَهُ ، وتكبَّرَ على أهلِ الفضلِ والشرفِ)[1] .

وكانَ ابنُ سيرينَ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يتهادَوْنَ بالفضةِ في الأطباقِ ؛ كالفاكهةِ) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عجبْتُ ممَّن يبقىٰ معَهُ مالٌ وهو يسمعُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ ﴾ [التغابن : ١٧] !)[2] .

قلْتُ : فسببُ توقُّفِ العبدِ في الإنفاقِ في وجوهِ الخيرِ التي أمرَ اللهُ تعالىٰ بها . . ضعفُ إيمانِهِ ، وضعفُ تصديقِهِ بما وعدَهُ اللهُ تعالىٰ بهِ مِنَ الأجرِ وتضعيفِ الثوابِ ، وصاحبُ هٰذا الحالِ لا ينفعُهُ عملٌ ولو صارَ أمثالَ الجبالِ ؛ لأنَّهُ بناءٌ علىٰ غيرِ أساسٍ ؛ إذ مِنْ كمالِ المؤمنِ الكاملِ ألَّا يتخلَّفَ عن مأمورٍ ، ولا يقعَ في محظورٍ .

وتأمَّلْ يا أخي لو جلسَ إنسانٌ وبينَ يديهِ شِكارةٌ مِنْ ذهبٍ[3] ، وقالَ : كلُّ مَنْ أعطىٰ فقيراً درهماً أعطيتُهُ ديناراً . . كيفَ يسارعُ الناسُ إلىٰ إعطاءِ الفقراءِ الدراهمَ ، بخلافِ ما لو وعدَهم بالدينارِ بعدَ سنةٍ مثلاً ؛ فإنَّهُ لا يجيبُهُ

---

(١) رواه ابن عبد البر في « الانتقاء » (ص٩٩) ، وأورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٢٠٧) .

(٢) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢١٨) .

(٣) وقع في هامش (ج) عند قوله : (شكارة) : (بكسر الشين المعجمة ؛ غِرارة طويلة ليست بكبيرة ، يوضع فيها الجبسُ والجصُّ ، لغة مصرية ، لا تراها في كتب اللغة ، وقد فتشت عنها فأخبروني بما ذكرته) ، وفي « تكملة المعاجم » (ش ك ر) : (شكارة : كيس نقود ، صرة) ، والغِرارة : وعاء شبه العِدْل . انظر « المصباح المنير » (غ ر ر) .

إلَّا القليلُ مِنَ الناسِ ؛ لضعفِ تصديقِهم لهُ ، ولو أنَّ إيمانَهم كانَ كاملاً لأعطَوا ؛ إذ مِنْ شرطِ كاملِ الإيمانِ أنْ يكونَ ما وعدَهُ الشَّارعُ بهِ غَيْباً . . كالحاضرِ عندَهُ على حدٍّ سواءٍ ، ومِنْ هنا تقدَّمَ مَنْ تقدَّمَ ، وتأخَّرَ مَنْ تأخَّرَ ، واللهُ أعلمُ .

وسئلَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ العاقلِ : مَنْ هو ؟ . . فقالَ : (مَنْ يَكنِزُ مالَهُ في مكانٍ لا يأكلُهُ السوسُ ، ولا يصلُ إليهِ اللصوصُ)[1] ؛ **يعني** : في السماءِ .

وكانَ كسرىٰ يقولُ : (أنتَ للمالِ ما أمسكْتَهُ ، فإذا أنفقْتَهُ كانَ لكَ)[2] .

وقَدِمَ شخصٌ البصرةَ ، فقالَ : مَنْ سيِّدُ هـٰذا المِصْرِ ؟ فقالوا لهُ : الحسنُ البصريُّ ، قالَ : وبمَ سادَهم ؟ قالوا : لأنَّهُ استغنىٰ عمَّا بأيديهم مِنَ الدنيا ، واحتاجوا إلىٰ ما عندَهُ مِنَ العلمِ والدِّينِ ، فقالَ : بخٍ بخٍ ! هـٰذا سيِّدُهم بلا شكٍّ[3] .

وأوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (إنِّي أشكو إليكَ عبادي مِنْ أربعةِ أشياءَ ؛ استقرضْتُهم ممَّا أعطيتُهم فبخلوا ، وحذَّرْتُهم مِنْ إبليسَ فلم يحذروا ، ودعوتُهم إلى الجنَّةِ فلم يُجيبوا ، وخوَّفْتُهم مِنَ النَّارِ فلم يخافوا واجتهدوا في أعمالِها) .

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٥٥) .

(٢) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ١٨٣) من قول بعض المحدثين : [من الرمل]

أنـتَ للمـالِ إذا أمسكتَـهُ ... فـإذا أنفقتَـهُ فـالمـالُ لـكْ

(٣) رواه بنحوه الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (ص٢٤٤) .

وجاءَ أعرابيٌّ إلىٰ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : لي إليكَ حاجةٌ وأنا أستحيي مِنْ ذكرِها ، فقالَ لهُ : خُطَّها في الأرضِ ، وكانَتْ طاهرةً ، فخطَّها ، فأمرَ غلامَهُ قَنْبَراً أنْ يكسوَهُ حُلَّتَهُ ، فكساها لهُ ، فأنشدَهُ أبياتاً ، فأمرَ لهُ بمئةِ دينارٍ ، وقالَ : سمعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ »(١) .

وجاءتِ امرأةٌ يوماً إلى الإمامِ اللَّيثِ بنِ سعدٍ بإناءٍ صغيرٍ تأخذُ لها عسلاً ، وقالَتْ : إنَّ زوجي مريضٌ ، فأمرَ لها براويةِ عسلٍ ، فقيلَ لهُ : إنَّها طلبَتْ قدحاً فقطْ ، فقالَ : إنَّها طلبَتْ علىٰ قدْرِها ، فأعطيناها علىٰ قدْرِنا(٢) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : (عجباً لكَ يا بنَ آدمَ ؛ تنفقُ في شهواتِكَ إسرافاً وبِداراً ، وتبخلُ في مرضاةِ ربِّكَ بدرهمٍ ! ستعلمُ يا لكعُ مقامَكَ عندَهُ غداً)(٣) .

---

(١) أورد القصة بنحوها الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٣٣٤ـ٣٣٥) ، والحديث رواه ابن ماجه (٣٧١٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والأبيات التي أشار إليها في القصة ذكرها الطرطوشي من قول الأعرابي : [من البسيط]

كسوتَني حلَّةً تبلىٰ محاسنُها ... فسوفَ أكسوكَ من حُسنِ الثنا حُللا

إنَّ الثناءَ ليُحيي ذكرَ صاحبِهِ ... كالغيثِ يُحيي نَداه السهلَ والجبلا

إن نلتَ حُسنَ ثنائي نلتَ مكرمةً ... ولستَ تبغي بما قد نلتَهُ بدلا

لا تزهدِ الدهرَ في عرفٍ بدأتَ به ... كلُّ امرئٍ سوف يُجزىٰ بالذي فعلا

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٤٤٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ٣٧٠) ، **والراوية** : أصلها البعير الذي يُستقىٰ عليه ، وتطلق على المزادة ؛ وهو الوعاء الذي يُستقىٰ به . انظر « مختار الصحاح » (ر و ي) .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١١٩١) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أعطوا الشعراءَ وذوي اللِّسانِ ؛ فإنَّ مَنْ لم يبالِ بالشَّكاةِ فيهِ فقد نادىٰ علىٰ نفسِهِ بالدناءةِ وقلَّةِ المروءةِ)[١] .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إيَّاكَ أنْ تطلبَ مِنْ بخيلٍ حاجةً ؛ فإنَّ مَنْ طلبَ حاجةً مِنْ بخيلٍ فهو كمَنْ يطلبُ صيدَ السمكِ مِنَ البراري والقِفارِ)[٢] .

وكانَ أبو القاسمِ الجنيدُ لا يُسألُ قطُّ شيئاً ويقولُ : لا ؛ تخلُّقاً بأخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قُلْتُ : مِنْ أسماءِ اللهِ تعالى المانعُ ؛ فيمنعُ سبحانَهُ وتعالىٰ مَنْ سألَهُ حاجةً ؛ لحكمةٍ لا لبخلٍ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ ، فما نُقلَ عن بعضِ الأكابرِ مِنْ أنَّهُ منعَ السَّائلَ . . فهو لحكمةٍ لا لبخلٍ ؛ تخلُّقاً بأخلاقِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فليُفهمْ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (بعثَ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها بمئةِ ألفِ درهمٍ ، ففرَّقَتْها ولم تُبقِ لها عَشاءَ ليلةٍ)[٣] .

وفرَّقَ طلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ مئةَ ألفِ درهمٍ وهو جالسٌ

---

(١) في (هـ) : (ببغض الناس له وقلة المودة) بدل (بالدناءة وقلة المروءة) .
وفي هامش (ج) : (**الشكاة** : الذم والعيب) .
ويشهد لما ذكره : الحديث الذي رواه الدارقطني في « السنن » (٢٨٩٥) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « وما وقىٰ به المرءُ عِرْضَهُ كُتب له به صدقة » .

(٢) أورده بنحوه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٦٤٨) من غير نسبة .

(٣) أورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (٨/١٣٦ـ١٣٧) ، ورواه بنحوه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٥٠٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٤٩) .

يخيطُ في طرفِ ردائِهِ ويرقِّعُهُ[1] .

وكانَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (ما رأيتُ أحداً بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أجودَ مِنْ معاويةَ ؛ لقيَ الحسنَ بنَ عليٍّ ، فقالَ لهُ : مرحباً بابنِ بنتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ أمرَ لهُ بثلاثِ مئةِ ألفِ درهمٍ ، ثمَّ لقيَ ابنَ الزبيرِ فأمرَ لهُ بمئةِ ألفٍ)[2] .

وكانَ حمادُ بنُ أبي سلمةَ يدعو علىٰ سِماطِهِ في رمضانَ كلَّ ليلةٍ خمسينَ رجلاً ، فيُفطِرونَ معَهُ ، فإذا كانَ يومُ العيدِ كسا كلَّ واحدٍ منهم ثوباً ، وأعطاهُ مئةَ درهمٍ[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يعطي معلِّمَ ولدِهِ القرآنَ كلَّ شهرٍ ثلاثينَ درهماً ، وانقطعَ زرُّ قميصِهِ مرَّةً ، فأصلحَهُ لهُ الخيَّاطُ ، فأعطاهُ ثلاثةَ أنصافٍ[4] ، وجعلَ يعتذرُ إليهِ[5] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا سؤالُ المحتاجينَ لي ما اتَّجرْتُ في شيءٍ أبداً)[6] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٩٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٨) .
(٢) رواه بنحوه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٤٩٩) ، والآجري في « الشريعة » (١٩٥٩) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٧٠) عن حماد بن أبي سليمان رحمه الله تعالىٰ .
(٤) في هامش (ج) : (جمع نصف ؛ نوع من الدراهم ، كان في الأصل نصف درهم ، وفي عصرنا يسمىٰ به ما يقال له : مصرية ، وبالتركي باره . انتهىٰ) .
(٥) رواه بنحوه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ٢٣٢) عن حماد بن أبي سليمان رحمه الله تعالىٰ .
(٦) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١١٥) من قول حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأى امرأةً جميلةً وهي تسألُ الناسَ . . يكرمُها ويعطيها الدراهمَ والثيابَ ، ويقولُ : (إنَّما أفعلُ ذلكَ ليرغبَ الناسُ في تزويجِها ، وخوفاً عليها مِنَ الفتنةِ)[١] .

وكانَ ابنُ أبي بكرةَ ينفقُ علىٰ جيرانِهِ أربعينَ داراً مِنْ كلِّ جانبٍ ، ويفطرُ على الكِسرةِ اليابسةِ ، وكانَ يبعثُ إليهم بالأضاحي والكسوةِ في الأعيادِ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يُعتِقُ في عيدِ الفطرِ كلَّ سنةٍ مئةَ مملوكٍ[٢] .

وكانَ ابنُ أبي ربيعةَ إذا حجمَهُ عبدٌ مِنْ عبيدِهِ أعتقَهُ ، فإنْ كانَ الحاجمُ عبدَ غيرِهِ اشتراهُ ، ثمَّ أعتقَهُ .

وزارَ الإمامُ اللَّيثُ عبدَ اللهِ بنَ لهيعةَ ، فرآهُ يبكي ، فقالَ لهُ : ما يبكيكَ يا عبدَ اللهِ ؟ فقالَ : عليَّ ألفُ دينارٍ دَيناً ، فأرسلَ الإمامُ خادمَهُ ، فأتاهُ بألفِ دينارٍ ، وأوفىٰ عنهُ الدَّينَ[٣] .

ودُعِيَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ إلىٰ وليمةٍ ، فلم يحضرْ ؛ لعائقٍ حصلَ لهُ ، فأرسلَ إلىٰ صاحبِ الوليمةِ بخمسِ مئةِ دينارٍ ، واعتذرَ إليهِ ، وسألَهُ أنْ يسامحَهُ في تركِهِ الحضورَ .

وسألَ رجلٌ مرَّةً سعيدَ بنَ أبي العاصِ شيئاً ، فأمرَ لهُ بخمسِ مئةٍ وأطلقَ ،

---

(١) روىٰ نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/ ١٤١) عن عبيد الله بن أبي بكرة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/ ١٣٨) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٤٤٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ٣٧٤) .

فقالَ الغلامُ مستفهِماً مِنْ سيدِهِ : خمسُ مئةِ دينارٍ أو درهمٍ ؟ فقالَ : ما أردْتُ إلا الدراهمَ ، ولٰكنْ حيثُما ترددْتَ أنتَ في ذلكَ فصيِّرْها لهُ دنانيرَ ، فجلسَ الرجلُ يبكي ، فقالَ لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : أبكي علىٰ مثلِكَ ينزلُ تحتَ الأرضِ ، ويأكلُهُ الترابُ[١] .

وكانَ سعدُ بنُ عبادةَ يقولُ : اللهمَّ ؛ ارزقْني مالاً أجُودُ بهِ ؛ فإنَّهُ لا يُصلِحُ الفِعالَ إلا المالُ ، ثمَّ ينشدُ[٢] : [من الوافر]

أَرَىٰ نَفْسِي تَتُوقُ إِلَىٰ أُمُورٍ ... يُقَصِّرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي بِبُخْلٍ ... وَلَا مَالِي يُبَلِّغُنِي فِعَالِي

انتهىٰ[٣] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وإيَّاكَ أنْ تتظاهرَ بالمشيخةِ وأنتَ علىٰ خلافِ أخلاقِ القومِ في الكرمِ والسخاءِ والجودِ والمواساةِ ، فقد كانوا يعطونَ المالَ الجزيلَ ، ولا يرَونَ لهم فضلاً علىٰ أحدٍ ، وكانَ أحدُهم يشقُّ إزارَهُ

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ١٣٢) ، وفيه : (سعيد بن العاص) بدل (سعيد بن أبي العاص) .

وفي هامش (ج) : (لم يتفطن الرجل أن الجنة دار الأسخياء بلا ارتياب ، وأن الأرض لا تأكل أجساد الصالحين ، طوبىٰ لهم وحسن مآب . انتهىٰ) ، وقوله : (وأن الأرض لا تأكل أجساد الصالحين) ليس علىٰ إطلاقه ، والله أعلم .

(٢) روىٰ قول سيدنا سعد رضي الله عنه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧١٥٠) ، وابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٢١) ، وروى البيتين الدينوري في « المجالسة » (٥٢٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٢١٩) ، كلاهما من قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في هامش (أ) : (بلغ) .

نصفَينِ ، ويعطي أخاهُ نصفَهُ(١) .

وقد سئلَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما : ما حقُّ المسلمِ على المسلمِ ؟ فقالَ : ألَّا يشبعَ ويتركَ أخاهُ جَيْعاناً(٢) ، ولا يلبسَ ويتركَ أخاهُ عُرياناً ، ولا يبخلَ عليهِ بالبيضاءِ والصَّفراءِ(٣) .

وكانَ أبو الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كيفَ يبخلُ أحدُكم بدينارِهِ ودرهمِهِ علىٰ أخيهِ ، وإذا ماتَ بكىٰ عليهِ أشدَّ البكاءِ ؟!)(٤) .

وقد كانَ الصحابةُ يُهدي بعضُهم إلىٰ بعضٍ الهديَّةَ ، فيُهديها الآخرُ إلىٰ أخيهِ ، فلا يزالونَ كذلكَ حتىٰ ترجعَ إلى المُهدي الأوَّلِ ، معَ أنَّ كلَّ واحدٍ كانَ محتاجاً إليها ، ولـٰكنَّهم كانوا يؤثِرونَ علىٰ أنفسِهم(٥) .

وكانَ أحدُهم إذا تزوَّجَ وهو فقيرٌ يزنُونَ عنهُ المهرَ ، ويعطونَهُ قوتَ سنةٍ ؛ إدخالاً للسُّرورِ عليهِ ، ودفعاً لِمَا لعلَّهُ يقعُ فيهِ مِنَ الاهتمامِ بأمرِ المعيشةِ ، كما هو الغالبُ علىٰ مَنْ يتزوَّجُ .

وكانَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما لا يردُّ سائلاً ، وسألَهُ مرَّةً شخصٌ

---

(١) أورد نحوه أبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص٢٤٤) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (ج) : (كان القياس أن يقول : جوعاناً ؛ لأنه من الجوع ، إلا أنه قصد المشاكلة لما بعده ، فساغ له ذلك ، وقد يغتفر مثل ذلك في المشاكلة ، وله أمثلة كثيرة مذكورة في بابها . انتهىٰ) ، وسبق نظير ذلك (ص٤١٠) .

(٣) روىٰ نحوه أبو الشيخ الأصبهاني في « التوبيخ والتنبيه » (ص٢٦) .

(٤) رواه بنحوه ابن وهب في « الجامع » (٢٠٧) ، وأبو داود في « الزهد » (٢٥١) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٥٩٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٩٦) .

شيئاً ، فأمرَ لهُ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ، فقالَ : أعطِني أجرةَ مَنْ يحملُها ، فأعطاهُ طيلسانَهُ[1] .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أحبُّ أموالي إليَّ ما وصلْتُ بهِ إخواني ، وأبغضُهُ إليَّ ما خلَّفْتُهُ ورائي) .

وكانوا إذا أقبلَ عليهمُ السَّائلُ يفرحونَ بهِ ، ويقولونَ لهُ : مرحباً بمَنْ جاءَ يحملُ زادَنا إلى الآخرةِ بغيرِ أجرةٍ ، ويقلِّلُ عنَّا ما يَشغَلُنا عن عبادةِ ربِّنا[2] .

وكانَ أحدُهم يرسلُ إلىٰ أخيهِ الألفَ دينارٍ ، ويقولُ لهُ : فرِّقْها ليلاً ، ولا تنسبْها إليَّ[3] .

وكانَ الضحَّاكُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٣٦] : (كانَ إحسانُهُ أنَّ كلَّ مَنْ مرضَ في السجنِ . . قامَ عليهِ ، وكلَّ مَنِ احتاجَ وسَّعَ عليهِ ، وكانَ إذا لم يجدْ عندَهُ شيئاً للفقيرِ يدورُ على الأبوابِ ؛ يسألُ لهُ الناسَ)[4] .

وكانوا رضيَ اللهُ عنهم إذا ماتَ لأحدِهم خادمٌ يرسلونَ لهُ الخادمَ ، فيقبلُ

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٥٤٢) ، والطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٣٣٦) .

(٢) روىٰ نحوه ابن الجوزي في « البر والصلة » (٣٦٢) عن سيدنا علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم .

(٣) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٦٦) من قول طعمة الجعفري رحمه الله تعالىٰ فيما يحكيه عن عمران بن موسى بن طلحة رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١١٧٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٣٣) .

ذلكَ وهو ساكتٌ ، ولا يرىٰ أحدُهم فضلَهُ علىٰ أخيهِ[١] .

وكانوا إذا بلغَهم أنَّ علىٰ أحدٍ مِنْ إخوانِهم دَيناً . . يوفونَهُ عنهُ مِنْ غيرِ أنْ يشاوروهُ عليهِ ، ويعلمُ بهِ المديونُ فيسكتُ ؛ وكأنَّهُ أوفاهُ مِنْ مالِ نفسِهِ ؛ لما يعلمُ مِنْ طيبةِ نفسِ أخيهِ بذلكَ .

وكانَتْ معيشةُ الربيعِ بنِ خُثَيمٍ وإبراهيمَ النَّخَعيِّ وعطاءٍ [السَّلِيميِّ] . . مِنْ صِلَةِ الإخوانِ ، ولم يكنْ لهم زَرْعٌ ولا ضَرْعٌ .

قلْتُ : وما جاءَ عنِ السَّلفِ مِنْ ذمِّهم تركَ الحِرفةِ والأكلَ مِنْ طعامِ الناسِ[٢] . . محمولٌ علىٰ مَنْ يمنُّ بذلكَ عليهم ، أو يطعمُهم لأجلِ دينِهم ونحوِ ذلكَ .

وكانوا إذا سألَهم أحدٌ مِنْ إخوانِهم في وفاءِ ديونِهم يوفونَها ، ويقولونَ : يا ويلَنا ؛ قصَّرْنا عنِ البحثِ عن حالِ أخينا حتىٰ أحوجْناهُ إلىٰ سؤالِنا ![٣] .

وبلغَ ابنَ المقفَّعِ أنَّ جارَهُ عزمَ علىٰ بيعِ دارِهِ لديونٍ عليهِ ، فأرسلَ لجارِهِ ثمنَ الدارِ ، وقالَ : (لا تبعْها ؛ فإنَّ نَفْعَنا بها أكثرُ مِنْ نفعِكَ أنتَ بها ؛ يا طالَما جلسْنا في ظلِّها !)[٤] .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١١٤) .

(٢) كما روى الدينوري في « المجالسة » (٢٥١٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (إني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول : له حرفة ؟ فإن قالوا : لا . . سقط من عيني) .

(٣) روىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (٤٦٧) عن عمران بن مسلم القصير رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده بنحوه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/ ٣٣٩) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢١٥) .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ يجمعُ كلَّ قليلٍ جماعةً مِنَ الفقراءِ ، ويُجلِسُهم في المسجدِ ، ويقولُ لهم : (تعبَّدوا وأنا أقومُ بخدمتِكم) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ يقولُ : (مَنْ طلبَ مرضاةَ الإخوانِ بلا إحسانٍ . . فقد أخطأَ الطريقَ) ، وفي روايةٍ : (فليصِلْ أهلَ القبورِ)[1] .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خيرُ المسلمينَ مَنْ أعانَهم ونفعَهم) .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : استكثِروا مِنْ شيءٍ لا تأكلُهُ النارُ ولا الترابُ ، فيقولونَ لهُ : وما هو ؟ فيقولُ : المعروفُ[2] .

وكانَ يقولُ : (مَنْ لم ينفعْكَ أيامَ صداقتِهِ فلا عليكَ منهُ إنْ قَرُبَ أو بَعُدَ) انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، واتَّبعْ أخلاقَ سلفِكَ الذينَ تزعمُ أنَّكَ خَلَفُهم ، واللهُ يتولَّىٰ هداكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ٢٤٥) ، وابن المقرئ في « المعجم » (٣٣) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ١٦٠) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٧١) من قول الزهري رحمه الله تعالىٰ .

[كثرة محبة اصطناع المعروف إلى الإخوان]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ محبَّتِهم لاصطناعِ المعروفِ إلى الإخوانِ ، ومحبَّةِ الانبساطِ إليهم ، وإدخالِ السرورِ علىٰ بعضِهم بعضاً ، وتقديمِهم إخوانَهم في ذلكَ علىٰ أنفسِهم ، وكانوا لا يتوقَّفونَ على استحقاقِ إخوانِهم لذلكَ ، ويقولونَ : إنْ لم يكنْ إخوانُنا أهلاً للمعروفِ . . فنحنُ مِنْ أهلِهِ .

وكانَ محمدُ بنُ عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (صانعُ المعروفِ لا يقعُ ، ولو وقعَ لم ينكسِرْ)[1] .

وكانَ الإمامُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اصنعِ المعروفَ ولو إلىٰ مَنْ يكفرُهُ ؛ فإنَّ ذلكَ أثقلُ في الميزانِ ممَّنْ يشكرُهُ) .

وكانَ جعفرُ بنُ محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّما حرَّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ الربا ؛ لئلا يتمانعَ الناسُ المعروفَ)[2] .

وكانَ معمرٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قد صارَ المعروفُ والإحسانُ اليومَ

---

(١) أورده بنحوه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ١٧٥) من قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، **ويشهد له** : ما رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٢٦١) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء . . . » الحديث .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٩٤) .

سُلَّماً للسوءِ ، حتىٰ قالَ الناسُ : اتقِ شرَّ مَنْ تحسنُ إليهِ ؛ كلُّ ذلكَ لخروجِ الأمورِ عن موضوعاتِها ؛ لقُرْبِ الساعةِ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : مِنْ أقبحِ المعروفِ أنْ تُحوجَ السَّائلَ إلىٰ أنْ يسألَكَ وهو خَجِلٌ منكَ ، فلا يجيءُ معروفُكَ قدرَ ما قاسىٰ مِنَ الحياءِ ، فقيلَ لهُ : فماذا نصنعُ ؟ قالَ : تتفقَّدُ حالَ أخيكَ ، وترسلُ لهُ ما يحتاجُ إليهِ مِنْ غيرِ أنْ تُحوجَهُ إلى السؤالِ[١] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نحنُ لا نعدُّ القرضَ مِنَ المعروفِ ؛ لأنَّ صاحبَهُ يطلبُ المقابلةَ ، وإنَّما المعروفُ المسامحةُ للنَّاسِ في كلِّ ما يطلبونَهُ منكَ في الدنيا والآخرةِ)[٢] .

وكانَ السَّرِيُّ السقطيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ذهبَ المعروفُ ، وبقيَتِ التجارةُ ؛ يعطي أحدُهم أخاهُ الشيءَ ؛ ليعطيَهُ نظيرَهُ) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يكافئْ صاحبَ الهديَّةِ فهو مِنَ المطفِّفينَ في المكيالِ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لا يتِمُّ المعروفُ إلا بثلاثِ خصالٍ : تعجيلُهُ ، وتصغيرُهُ ، وإخفاؤُهُ عنِ الناسِ ؛ فلا يعلمُ بهِ سوىٰ آخذِهِ)[٣] .

---

(١) ذكر نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٧٠) من قوله .

(٢) أورده مختصراً الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٣٣٠) .

(٣) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ١٧٧) ، ورواه الدينوري في « المجالسة » (٦٨٥) .

وكانَ المهلَّبُ بنُ أبي صُفرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأولادِهِ : (كلُّ فقيرٍ رأيتموهُ يغدو ويروحُ علىٰ بابِكم . . فاعلموا أنَّهُ محتاجٌ ، فأعطوهُ ولا تُحوجِوهُ إلى السؤالِ ، وكفىٰ بالغُدُوِّ والرَّواحِ مسألةً وتذكيراً بنفسِهِ) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم يدخلُ دارَ أخيهِ وهو غائبٌ ، فيرى السلَّةَ مِنَ الفاكهةِ ، فيأخذُها ويفرِّقُها ويأكلُ منها بغيرِ إذنِ أخيهِ ، فإذا جاءَ أخوهُ ورأىٰ صنيعَهُ . . فرحَ بذلكَ)[١] .

وكانَ لمحمدِ بنِ سيرينَ بغلٌ مربوطٌ في دهليزِهِ ، فكانَ كلُّ مَنِ احتاجَ إلىٰ ركوبِهِ أخذَهُ وركبَهُ مِنْ غيرِ استئذانٍ ؛ لِمَا يعلمونَ مِنْ طيبِ نفسِهِ بذلكَ[٢] .

وكانَ ابنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ معَ شدَّةِ ورعِهِ . . يكتبُ مِنْ مَحْبَرةِ إخوانِهِ مِنْ غيرِ استئذانٍ .

ودُعيَ مسلمُ بنُ زيادٍ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ وليمةٍ ، فخرجَ لهُ صاحبُ المنزلِ ، فقالَ : قد أكلَ الناسُ الطعامَ وانصرفوا ، وما بقيَ شيءٌ ، فقالَ : لعلَّ القِصاعَ قد بقيَ فيها شيءٌ نلحسُهُ ، فقالَ : قد غسلناها ، قالَ : فلعلَّ القُدورَ قد بقيَ فيها شيءٌ ، قالَ : قد غسلناها ، قالَ : فكِسرةٌ مِنْ خبزٍ ، فقالَ : ما عندَنا ولا كِسرةٌ واحدةٌ ، فتبسَّمَ مسلمٌ ورجعَ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : دعانا بنيةٍ صالحةٍ ، وردَّنا بنيَّةٍ صالحةٍ ، فكيفَ نتكدَّرُ منهُ ؟![٣] .

---

(١) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٧٣) .

(٢) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٧٣) عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٨٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٧٦ـ٧٧) عن بعض السلف .

ودخلَ جماعةٌ دارَ سفيانَ الثوريِّ في غَيبتِهِ ، وأخذوا ما يأكلونَ ، وجلسوا يأكلونَ ويتحدَّثونَ ، فجاءَ سفيانُ ، فوجدَهم علىٰ تلكَ الحالةِ ، فبكىٰ ، فقالوا لهُ : ما يبكيكَ ؟ قالَ : ذكَّرْتُموني بأحوالِ السلفِ الصالحِ ، وعاملْتُموني بأخلاقِ الصالحينَ ، ولسْتُ منهم[1] .

وكانَ بقيةُ بنُ الوليدِ رضيَ اللهُ عنهُ يدخلُ دارَ صديقِهِ في غَيبتِهِ ، ويأخذُ القِدرَ مِنْ على النارِ ، ويضعُهُ علىٰ بابِ دارِهِ ، ويفرِّقُ منهُ على الفقراءِ والمساكينِ ، فإذا جاءَ صديقُهُ فرحَ بذلكَ ، وقالَ : (جزاكَ اللهُ خيراً مِنْ أخٍ صالحٍ ، قدَّمْتَ مالَنا ليومِ معادِنا)[2] .

وكانَ جعفرُ بنُ محمدٍ يقولُ : (بئسَ الأخُ مَنْ لا يتجرَّأُ أخوهُ أنْ يفتحَ كيسَهُ في غَيبتِهِ ، ويأخذَ منهُ حاجتَهُ بغيرِ إذنِهِ)[3] .

قلْتُ : قد يتركُ أحدُهم فتحَ كيسِ أخيهِ لا لِمَا يعلمُهُ منهُ مِنَ البخلِ ، بل قياساً علىٰ نفسِهِ هو ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ حامدٌ اللفَّافُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (واللهِ ؛ ما كنَّا نظنُّ أنَّنا نعيشُ إلىٰ زمانٍ صارَ الأخُ إذا أعطىٰ أخاهُ شيئاً يرىٰ لهُ قدراً في قلبِهِ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا أظهرَ محبتَكَ أخوكَ فلا تبادرْ إلىٰ تصديقِهِ ؛ فإنَّ الإخوانَ الآنَ قد صاروا سريعي الانقلابِ ، وإذا قرَّبَكَ أعزُّ

---

(١) أورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٨٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٤٢) .

(٢) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٧٨) .

(٣) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٧٩) .

الإخوانِ فكنْ معَهُ على حدِّ السِّنانِ)[١] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم لا يرىٰ أنَّهُ أحقُّ بمتاعِهِ مِنْ أخيهِ ، إلا إنْ كانَ أحوجَ إليهِ مِنْ أخيهِ)[٢] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مَنْ أدخلَ علىٰ إخوانِهِ السرورَ فهو مِنَ الآمنينَ مِنْ عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ)[٣] .

وكانَ معنُ بنُ زائدةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما رددْتُ سائلاً قطُّ إلَّا وتبيَّنَ لي أنِّي مخطئٌ في ذلكَ)[٤] .

---

(١) ذكر نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ١٤٢) من قوله .
وفي هامش (ج) : (**السِّنان** بالكسر : نصل الرمح ؛ وهو ما في طرفه من الحديد ، **وحدُّه** : ما يقع به الجراحة ، **والمعنىٰ** : كن علىٰ حذر منه ؛ تتوقع ضرره كما تتوقع ضرر نصل الرمح .
فإن قلتَ : أليس في هـٰذا سوء الظنِّ بأخيه ، وذا لا يجوز ؛ لخبر : « إياكم وسوء الظن » . . **قلتُ** : يفعل ذلك قياساً علىٰ نفسه لا بالقياس علىٰ أخيه ، أو يفعل ذلك قياساً على المآل لا على الحال ؛ **بمعنىٰ** : أنه وإن كان صديقاً في الحال فقد يجوز عليه التبدُّل والتغيُّر ، فإذا وثقه وهو صديق وعرف عجره وبجره . . لا يأمن من نكايته إذا تبدل عليه ، وعليه يحمل قوله عليه السلام : « احترسوا من الناس بسوء الظن » ، ويدل عليه قوله : « قد صاروا سريعي الانقلاب » ، والله أعلم . انتهىٰ) ، والحديث الأول : « إياكم وسوء الظن » رواه بنحوه البخاري (٥١٤٣) ، ومسلم (٢٨/٢٥٦٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والحديث الثاني : « احترسوا . . . » رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٨) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٨) .

(٣) روى الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٥١٩) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدخل علىٰ أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرضَ الله له ثواباً دون الجنة » .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٥٥٠) .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (إنِّي لأستحيِي مِنْ صاحبي أنْ يزورَني ثلاثَ مراتٍ ولم أعطِهِ شيئاً)[١] .

وكانَ الزهريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا كانَ لكَ إلىٰ أخيكَ حاجةٌ فأتِهِ في بيتِهِ ؛ فإنَّ ذلكَ أقضىٰ للحاجةِ) .

وقالَ رجلٌ مرةً لابنِ خارجةَ : إنِّي جئتُكَ في حاجةٍ صغيرةٍ ، فقالَ لهُ : اطلبْ لها رجلاً صغيراً[٢] .

وكانَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ إذا سُئِلَ في حاجةٍ يبادرُ إليها ، ويقولُ : (أخافُ أنْ أبطئَ ، بها فيستغنيَ أخي عنها ، فيفوتَني الأجرُ) .

وكانَ مطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ كانَ لهُ عندي حاجةٌ فليكتبْها لي في ورقةٍ ، ويرسلْها إليَّ ؛ فإنِّي أكرهُ أنْ أرىٰ ذلَّ المسألةِ في وجهِ أحدٍ مِنَ المسلمينَ)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (السؤالُ أرجحُ مِنَ النوالِ وإنْ جلَّ)[٤] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنَ المعروفِ أنْ ترى المنَّةَ لأخيكَ عليكَ إذا أخذَ منكَ شيئاً ؛ لأنَّهُ لولا أخذُهُ ما حصلَ لكَ ثوابٌ ، وأيضاً فإنَّهُ خصَّكَ بالسؤالِ ، ورجا فيكَ الخيرَ دونَ غيرِكَ)[٥] .

---

(١) رواه بنحوه الطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٩٠) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/ ١٢٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٣٩٩) ، كلاهما عن العباس بن محمد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢١٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٥٨) .

(٤) أورده ابن عبد ربه الأندلسي في « العقد الفريد » (٣/ ١٥) من غير نسبة .

(٥) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٦٧) .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ إذا سألَ أحداً حاجةً يقولُ : (قد رفعْنا أمرَها إلى اللهِ ، فإنْ أذنَ لكَ في قضائِها حمدْنا اللهَ تعالى وشَكرْناكَ ، وإنْ لم يأذنْ لكَ في قضائِها حمدْنا اللهَ تعالىٰ وعذرْناكَ)[1] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا كانَ لكَ إلىٰ أحدٍ مِنَ الأمراءِ حاجةٌ . . فاجعلْ رسولَكَ الهديَّةَ ، فقد كانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : مفتاحُ قضاءِ الحاجةِ الهديَّةُ بينَ يدَيْها)[2] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لا تطلبوا مِنْ أحدٍ حاجةً بالليلِ ؛ فإنَّ الحياءَ في العينَينِ)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ باتَ يتقلَّبُ علىٰ فراشِهِ إذا نزلَ بي بلاءٌ أو همٌّ أو غمٌّ . . فلا أقدرُ علىٰ مكافأتِهِ ؛ لأنَّهُ جعلَني حاجتَهُ عندَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ)[4] .

وكانَ عطاءٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي لأسمعُ الحديثَ مِنَ الرجلِ وأنا أعرفُهُ قبلَ أنْ يولدَ ، فأصغي إليهِ إصغاءَ مَنْ لم يسمعْهُ قطُّ إلا منهُ ؛ خوفاً أنْ يخجلَ إذا سابقْتُهُ إليهِ)[5] .

---

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٣٠٧) .

(٢) روى الخبر عن السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ١٦٢) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » (١٠٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣٥٨) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٦٨١) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٩٠) .

(٥) رواه بنحوه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣١١) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لكلِّ داخلٍ دهشةٌ ؛ فتلقَّوهُ بالترحيبِ ، وابدؤوهُ بالتحيةِ)[1] .

وفي الحديثِ : « لَا تُنْزِلُوا حَوَائِجَكُمْ بِمَنْ لَا يَشْتَهِي قَضَاءَهَا »[2] .

وكانَ الربيعُ بن خُثَيمٍ رحمَهُ اللهُ لا يعطي السائلَ قطُّ كِسرةً ، ولا شيئاً مكسوراً ، ولا ثوباً خَلَقاً ، ويقولُ : (أستحيِي أنْ تُقرأَ صحيفتي على اللهِ وفيها الأشياءُ التافهةُ التي أعطيتُها لوجهِهِ) انتهىٰ[3] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وفتِّشْ نفسَكَ ؛ هل أنتَ علىٰ قدمِ سلفِكَ فيما ذكرْناهُ ، أم خالفْتَ ؟ وإيَّاكَ أنْ تدَّعيَ أنَّكَ مِنَ القومِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[4] .

---

(١) رواه الخطابي مختصراً في « غريب الحديث » (٢/٤٦٦ـ٤٦٧) .

(٢) روىٰ نحوه أبو داود في « الزهد » (٨٣) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٢٤) .

(٤) في هامش (أ) بلاغان ؛ أحدهما : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلِّفه**) ، والآخر : (**بلغ قراءةً**) .

[عدم المبادرة إلى المؤاخاة في الله تعالى إلا بعد المعرفة بحقوقها]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ مبادرتِهم إلى المؤاخاةِ في اللهِ عزَّ وجلَّ ، بل يتربَّصُ أحدُهم في ذلكَ السَّنةَ وأكثرَ ؛ أدباً معَ اللهِ تعالىٰ أنْ يؤاخيَ أو يصادقَ أحداً فيهِ مِنْ غيرِ معرفتِهِ بالوفاءِ بحقوقِهِ ، وتنزيلِهِ منزلةَ نفسِهِ في أمورِ الدنيا والآخرةِ .

وهٰذا الخلُقُ يُخِلُّ بهِ كثيرٌ مِنَ الناسِ ، فيبادرونَ إلىٰ مؤاخاةِ مَنْ طلبَ منهم ذلكَ ومصادقتِهِ ، ثمَّ بعدَ مدَّةٍ يتصارمانِ .

وقد قالوا : فسادُ الانتهاءِ مِنْ فسادِ الابتداءِ .

وفي الحديثِ : « لَا يَتَوَادُّ ٱثْنَانِ فَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا » رواهُ الإمامُ أحمدُ(١) .

وفي الحديثِ أيضاً : « سَيَكُونُ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ قَوْمٌ إِخْوَانُ ٱلْعَلَانِيَةِ أَعْدَاءُ ٱلسَّرِيرَةِ » ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : « يَتَوَاخَوْنَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً »(٢) .

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٦٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٧١٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥/ ٢٣٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٣٤) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يؤاخي بينَ أصحابِهِ ، فتطولُ علىٰ أحدِهمُ الليلةُ حتىٰ يلقىٰ صاحبَهُ ، وكانَتِ العامةُ إذا غابَ أحدُهم عن أخيهِ ثلاثةَ أيَّامٍ . . يوبِّخُ كلَّ واحدٍ منهم نفسَهُ)(١) .

وكانَ حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تؤاخِ أحداً إلا إنْ كنْتَ لا تكتمُ عنهُ سراً ، وإلا فهو أجنبيٌّ منكَ) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الصحابةَ وهم يواسونَ بعضُهم بعضاً(٢) ، ولا يسألونَ عن كونِ أخيهم محتاجاً إلىٰ ما واسَوهُ بهِ أم لا ، ونراهمُ اليومَ يسألونَ عن أحوالِ بعضِهم ، ثمَّ لا يسمحُ أحدُهم أنْ يُهدِيَ إلىٰ أخيهِ هديةً) .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا كانَ لكَ أخٌ في اللهِ تعالىٰ فلا تعاملْهُ في الدنيا ، وأكثرْ مِنْ مواساتِهِ مِنْ غيرِ طلبِ عِوَضٍ منهُ علىٰ ذلكَ ؛ لتدومَ لكَ صحبتُهُ)(٣) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا ينبغي لأحدٍ أنْ يقولَ لأخيهِ : إنِّي أحبُّكَ للهِ إلا بعدَ أنْ يَعرِضَ علىٰ نفسِهِ أنَّهُ لا يمنعُهُ شيئاً طلبَهُ

---

(١) رواه بنحوه أبو يعلىٰ في « المسند » (٣٣٣٨) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٩٦) .

(٢) في هامش (ج) : (آساه بماله مواساة : أناله منه وجعله فيه أسوة ، ولا يكون ذلك إلا من كفاف ، فإن كان من فضلة فليس بمواساة . « قاموس ») ، قوله : (بعضهم) بدل من الضمير في (يواسون) .

(٣) أورد أوله الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٧١) .

منهُ ، ولو طلاقَ واحدةٍ مِنْ زوجاتِهِ ؛ ليتزوَّجَها)[١] .

وسئلَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الأُخوَّةِ في اللهِ ، فقالَ : (تلكَ طريقٌ قد نبتَ فيها الشوكُ ؛ فلا أحدَ يسلكُها) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مَنْ لم يشقَّ عليهِ الذبابُ إذا نزلَ علىٰ بدنِ أخيهِ . . فليسَ بأخٍ)[٢] .

وكانَ عمرُو بنُ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلَّما كثُرَ الأخِلَّاءُ كَثُرَ الغرماءُ يومَ القيامةِ ، ومَنْ لم يواسِ إخوانَهُ بكلِّ ما يقدرُ عليهِ . . نقصوا مِنْ محبَّتِهِ بقدْرِ ما نقصَ مِنْ عطائِهِ)[٣] ، **والمرادُ بالغرماءِ** : الحقوقُ[٤] .

وكانَ عليُّ بنُ بكَّارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما رأيتُ في زماني أحداً قامَ بحقِّ الأخوَّةِ مِثْلَ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ؛ كانَ يقسمُ الدرهمَ والتمرةَ بينَهُ وبينَ أخيهِ ، وإنْ كانَ غائباً حفظَها لهُ حتىٰ يأتيَ) .

وقالوا لميمونِ بنِ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ : ما لنا نراكَ لا يفارقُكَ الأصدقاءُ؟! فقالَ : لأنَّ كلَّ شيءٍ رأيتُ أخي يحبُّهُ أعطيتُهُ له ، ولا أميزُ نفسي عليهِ[٥] .

---

(١) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٥٨) من قول مساوِر الورَّاق رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧١٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٢٢) .

(٣) رواه بنحوه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٥٥) ، وابن أبي الدنيا في « العزلة » (١٥٠) .

(٤) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، **والمراد** : أهل الحقوق .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٣٦٢) .

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ بأخيكَ مَنِ احتجْتَ إلىٰ مداراتِهِ ، أو إلىٰ أنْ تعتذرَ لهُ)[١] .

وماتَ ولدٌ ليونسَ بنِ عبيدٍ فلم يُعَزِّهِ ابنُ عونٍ ، فقالوا لهُ : إنَّ فلاناً لم يعزِّكَ في ولدِكَ ، فقالَ : إنَّا إذا وثقْنا بمودَّةِ رجلٍ لا يضرُّنا ألا يأتيَنا[٢] .

وكانَ حامدٌ اللَّفافُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يحسنونَ إلىٰ أعدائِهم ، ونراهمُ اليومَ لا يحسنونَ إلىٰ أصدقائِهم فضلاً عن أعدائِهم) .

وكانَ الأعمشُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم لا يلقىٰ أخاهُ الشهرَ وأكثرَ ، ثمَّ إذا تلاقيا لم يزدْ أحدُهما الآخرَ علىٰ قولِهِ : كيفَ أنتَ ؟ كيفَ حالُكَ ؟ ولو أنَّهُ سألَهُ شطرَ مالِهِ لأعطاهُ إيَّاهُ ، ثمَّ صارَ الناسُ اليومَ لو لقيَ أحدُهم أخاهُ كلَّ يومٍ أو ساعةٍ . . يقولُ لهُ : كيفَ حالُكَ ؟ كيفَ أنتَ ؟ ويسألُهُ عن كلِّ شيءٍ حتىٰ عنِ الدجاجةِ التي في البيتِ ، ولو أنَّهُ سألَهُ درهماً لم يعطِهِ إيَّاهُ !)[٣] .

وقالَ رجلٌ لبشرِ بنِ صالحٍ : إنِّي لأحبُّكَ في اللهِ ، فقالَ لهُ : انظرْ ما تقولُ ، فربَّما كانَ حمارُكَ أهمَّ عندكَ منِّي في تذكُّرِهِ عندَ العشاءِ والغداءِ ، فكيفَ تدَّعي أنَّكَ تحبُّني في اللهِ تعالىٰ ؟!

وقالَ رجلٌ لبشرٍ الحافي : إنِّي لأحبُّكَ في اللهِ ، فقالَ لهُ : ما حملَكَ

---

(١) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٩٤) .

(٢) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٨٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٠٤١) .

(٣) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢٧٨) من غير نسبة .

على الكذبِ ؟ فقالَ : كيفَ ؟! فقالَ : تزعمُ أنَّكَ تحبُّني في اللهِ ، وبَرْدَعةُ حمارِكَ أكثرُ قيمةً مِنْ عمامتي وثيابي ![1] .

وسُئِلَ سفيانُ بنُ عيينةَ عنِ الأخوَّةِ في اللهِ ، فقالَ : (هي أنْ تخرجَ عن جميعِ مالِكَ كما خرجَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ عن مالِهِ كلِّهِ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[2] .

وسئلَ بشرٌ الحافي رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الرجلِ يحبُّ الرجلَ ، ولـٰكنَّهُ ربَّما يمنعُهُ بعضَ منافعِ الدنيا : أهو صادقٌ في محبتِهِ ؟ قالَ : نعم ، ولـٰكنَّهُ مقصِّرٌ عن درجةِ الكمالِ .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ صدقِ المتحابِّينَ في اللهِ عزَّ وجلَّ** : أنْ يبادرَ كلُّ واحدٍ منهما إلىٰ مصالحةِ صاحبِهِ إذا أغضبَهُ) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لم نجدْ قطُّ أحداً محبوباً لإخوانِهِ وهو لا يواسيهم ؛ كما أنَّا لم نجدْ قطُّ غَضُوباً مسروراً ، ولا حريصاً غنياً)[3] .

---

(١) في هامش (ج) : (**البَرْدَعة** : حِلسٌ يُجعل تحت الرحل ، بالدال والذال ، والجمع : البرادع ، هـٰذا هو الأصل ، وفي عرف زماننا : ما يُركَبُ عليه ؛ بمنزلة السرج للفرس ، كذا في « المصباح » [ب ر ذ ع] ، **أي** : لو كنت صادقاً لواسيتني وآثرتني علىٰ نفسك ، فكيف علىٰ حمارك ؟! قال الله تعالىٰ في ثناء الأنصار : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] . انتهىٰ) .

(٢) خروجُ سيدنا أبي بكر رضي الله عنه عن كل ماله : رواه أبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٥) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٣) روىٰ بعضه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٤) .

وقيلَ لعبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما : ما بالُ أحدِنا ينظرُ إلىٰ ما خرجَ منهُ في الخلاءِ ؛ لا يكادُ يغضُّ طرفَهُ عنهُ ؟! فقالَ : لأنَّ المَلَكَ يقولُ لهُ : انظرْ ما بخلْتَ بهِ علىٰ إخوانِكَ إلىٰ ماذا صارَ[1] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (قد صارَتْ أُخوَّةُ الناسِ في هـٰذا الزمانِ كمرقةِ الطبَّاخِ ؛ طيبةَ الريحِ ، ولا طعمَ لها) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**مِنْ شرطِ الصدقِ في الأُخوَّةِ** : أنْ يُكرمَ الشخصُ أخاهُ إذا افتقرَ أكثرَ ممَّا كانَ يكرمُهُ حالَ الغنىٰ ؛ لأنَّ الفقرَ أشرفُ مِنَ الغنىٰ ، وصاحبَهُ أحقُّ بالإكرامِ مِنْ حيثُ المقامُ ، لا مِنْ حيثُ حاجةُ الفقيرِ)[2] .

وكانَ أبو مطيعٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يتهادَونَ بالمماليكِ والبراذينِ والدورِ والأطباقِ مِنَ المالِ[3] ، وصاروا اليومَ يتهادَونَ بالخبزِ والطعامِ ، وعن قريبٍ يتركُ الناسُ ذلكَ كلَّهُ ، ويُميتونَ سنةَ السَّلفِ بالكليةِ ، ولقد كانَ أحدُهم يتعاهدُ أولادَ أخيهِ مِنْ حينِ يرجعُ مِنْ جنازتِهِ إلىٰ أنْ يبلغوا أشُدَّهم ، فصارَ الناسُ اليومَ ينسىٰ أحدُهم أخاهُ وأولادَهُ مِنْ حينِ يرجعُ مِنْ جنازتِهِ)[4] .

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٦٦ـ٦٧) .

(٢) أورد بعضه ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/ ٣٣٠) .

(٣) في هامش (ج) : (**البراذين** : جمع بِرْذَون ؛ وهو التركي من الخيل ، وخلافها العِراب ، كذا في « المغرب » [ص٤٢] . انتهىٰ) .

(٤) روىٰ نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٣٢) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الرجلُ بلا إخوانٍ كالشمالِ بلا يمينٍ)[١] .

وكانَ أبو معاويةَ الأسودُ رحمَهُ اللهُ ينحتُ الحجارةَ ، ويتقوَّتُ منها ، فقالوا لهُ : إنَّكَ صرْتَ عاجزاً عن مِثْلِ ذلكَ ، فقالَ : واللهِ ؛ إنَّ نحْتَ هـٰذهِ الحجارةِ أهونُ عندي مِنْ سؤالِ الناسِ[٢] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يكوِّمُ الذهبَ والفضةَ بينَ يديهِ ، ويقولُ : (لولا هـٰذا لتَمَنْدَلَ الناسُ بنا)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لأنْ أخلِّفَ بعدي ثلاثينَ ألفَ دينارٍ مثلاً ، ثمَّ أُسألَ عنها يومَ القيامةِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقفَ علىٰ بابِ أحدٍ أسألُهُ حاجةً)[٤] .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلُّ مَنْ أعطىٰ أخاهُ ألفَ دينارٍ مثلاً ، ثمَّ تكلَّمَ بها لأحدٍ . . فليسَ هو بأخٍ) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ كانَ الناسُ كلُّهم عندَهُ سواءً . . فليسَ لهُ صديقٌ)[٥] .

---

(١) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/٢) من غير نسبة .

(٢) أورد نحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/٢٧٤) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/٢٤٤) من قول أيوب السختياني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٧٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٨١) ، وانظر ما ورد تعليقاً (ص١٠٣) .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٤٠) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٣٢١) .

(٥) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٦٤٨) من غير نسبة .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلُّ مَنْ لم يسألْ عنكَ بالغَدَواتِ ، ويصلْكَ بالعَشِيَّاتِ . . فاعددْهُ مِنَ الأمواتِ) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلُّ مَنْ لم يَعُدْكَ إذا مرضتَ ، ولم يُتحِفْكَ إذا احتجْتَ ، ولم يزُرْكَ إذا قصَّرْتَ عن زيارتِهِ . . فهو مِنْ إخوانِ الطريقِ)[١] ، ثمَّ ينشدُ[٢] : [من الوافر]

أَلَا ذَهَبَ ٱلتَّذَمُّمُ وَٱلْوَفَاءُ ... وَبَادَ رِجَالُهُ وَبَقَى ٱلْغُثَاءُ[٣]
وَأَسْلَمَنِي ٱلزَّمَانُ إِلَىٰ أُنَاسٍ ... كَأَنَّهُمُ ٱلذِّئَابُ لَهُمْ عُوَاءُ
إِذَا مَا جِئْتُهُمْ يَتَدَافَعُونِي ... كَأَنِّي أَجْرَبُ ٱلْأَعْضَاءِ دَاءُ
أَخِلَّاءٌ إِذَا ٱسْتَغْنَيْتُ عَنْهُمْ ... وَأَعْدَاءٌ إِذَا نَزَلَ ٱلْبَلَاءُ
أَقُولُ وَلَا أَلَامُ عَلَىٰ مَقَالِي ... عَلَى ٱلْإِخْوَانِ كُلِّهِمُ ٱلْعَفَاءُ

---

(١) أورده أبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص ٢٩٦) من قول يحيى بن معاذ رحمه الله تعالىٰ .

وقوله : (فهو من إخوان الطريق) كذا العبارة في جميع النسخ المعتمدة ؛ فليُتأمَّل .

(٢) روى الأبيات ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٠٧) من قول أعرابيٍّ من بني أسد اسمه حسان ، وفيه : (أعداهُ داء) بدل (الأعضاء داء) ، **والعَفَاء** : التراب والدُّرُوس والهلاك . انظر « الصحاح » (ع ف و) .

وفي هامش (ج) عند قوله : (**التذمم**) : (أي : حفظ الذمام ؛ وهو بالكسر والفتح : الحقُّ والحرمة التي يُذم مضيِّعها ؛ **والمعنىٰ** : ذهب من يحفظ الذمام ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه . انتهىٰ) .

وفيه أيضاً عند قوله : (**الغُثاء**) : (بالضم والمد : أراذل الناس وسَقَطُهم ، مستعار من غثاء السيل ؛ وهو ما يحمله من الزبد والوسخ وغيره . انتهىٰ) .

(٣) قوله : (وبَقَىٰ) : علىٰ لغة طيِّئ ؛ لسلامة الوزن .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وفتِّشْ نفسَكَ ؛ هلْ عاملْتَ قطُّ إخوانَكَ بهـٰذِهِ المعاملاتِ ، أم فرَّطْتَ في ذلكَ جهلاً وبخلاً ؟ ولا تدَّعِ قطُّ أنَّكَ مِنَ الصالحينَ ولو عملْتَ بأخلاقِهم كلِّها ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(١) .

(١) في هامش (أ) بلاغان ؛ أحدهما : (بلغ) ، والآخر : (بلغ قراءةً على مؤلفه) .

[إكرام الضيف وخدمته]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : إكرامُ الضيفِ وخدمتُهُ بأنفسِهم إلا لعذرٍ شرعيٍّ ، ثمَّ لا يرَوْنَ أنَّهم كافؤوهُ بإطعامِهِ وخدمتِهِ علىٰ تخصيصِهِ إيَّاهم بالإقامةِ عندَهم ، وإحسانِهِ الظنَّ بهم ، وأنَّهم كرامٌ ، ولو أنَّهُ أساءَ بهمُ الظنَّ ، واعتقدَ فيهمُ البخلَ . . لَمَا أقامَ عندَهم .

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يخدمُ الضيفَ بنفسِهِ ، وكذلكَ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

ولمَّا قَدِمَ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وفدُ النجاشيِّ لم يمكِّنْ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحداً يخدمُهم غيرَهُ ، وقالَ : « إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُكَافِئَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ »[1] .

وكانَ السَّلفُ الصالحُ رضيَ اللهُ عنهم يعدُّونَ ليلةَ الضيفِ كأنَّها ليلةُ عيدٍ ؛ لِمَا يحصلُ لهم مِنَ السرورِ .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لَأَنْ أجمعَ نفراً مِنْ أصحابي علىٰ طعامي أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُعتِقَ رقبةً)[2] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣٦٧) ، والطبراني في « الأحاديث الطوال » (١٥) من حديث سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٦٦) ، وابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٩٩) .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (زكاةُ الدَّارِ أنْ يُتَّخذَ فيها بيتٌ للضيافةِ)[1] .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ يطعمُ الضيفَ ، ثمَّ يكسوهُ إذا أرادَ الفراقَ ، ويقولُ : (إنَّ فضلَ إجابتِهِ إلىٰ طعامي أعظمُ ممَّا صنعْتُ أنا معَهُ)[2] .

ومِنْ كنيةِ أبينا إبراهيمَ الخليلِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (أبو الضِّيفانِ)[3] ؛ لكونِهِ كانَ يذهبُ الميلَينِ والثلاثةَ إلى الضيفِ ؛ ليأتيَ بهِ إلىٰ منزلِهِ[4] .

وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (ليسَ مِنَ السَّرفِ التبسُّطُ للضيفِ في الطعامِ)[5] .

وكانَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات : ٢٤] : (إنَّما كانوا مكرَمينَ ؛ لأنَّ الخليلَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ خدمَهم بنفسِهِ)[6] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٦٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٨٠) .

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٦١) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٣٥) عن عكرمة رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٧٣) عن عطاء رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧١٣٧) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٨٨) .

وكانَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ أبي ليلىٰ رحمَهُ اللهُ.. لا يدخلُ عليهِ أحدٌ إلا أطعمَهُ وسقاهُ ، ثمَّ اعتذرَ إليهِ[1] .

قلْتُ : إنَّما اعتذرَ إليهِ اعترافاً بأنَّهُ مقصِّرٌ في حقِّهِ ، لا سوءَ ظنٍّ بهِ .

وممَّنْ أدركناهُ علىٰ هـٰذا القدمِ : سيِّدي محمدُ بنُ عِنانٍ ، والشيخُ أبو الحسنِ الغَمْريُّ ، والشيخُ عبدُ الحليمِ بنُ مُصلحٍ ، والشيخُ محمدٌ الشِّنَّاويُّ ، والشيخُ أبو بكرٍ الحديديُّ ، وجماعةٌ رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

وسيأتي في أخلاقِ هـٰذا الكتابِ أنَّ السَّلفَ الصالحَ كانوا لا يتكلَّفونَ قطُّ للضيفِ ؛ خوفاً أنْ يضجروا منهُ إذا جاءَهم مرَّةً أخرىٰ ، لا سيَّما معَ قربِ الزَّمنِ ، ويقولونَ : (مَنْ كانَ يطعمُ ضيفَهُ ما يجدُ فلا يبالي ولو طالَ مُكثُهُ ، كما لا يبالي بهِ أيَّ وقتٍ جاءَ) .

وكانَ الإمامُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يُرى الحزنُ في وجهِهِ كلَّ ليلةٍ لا يأتيهِ فيها ضيفٌ .

وسئلَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رحمَهُ اللهُ عن مناولةِ الضيوفِ الطعامَ لغيرِهم ، فقالَ : (إنْ كانَ لبعضِهم فلا بأسَ ، وأمَّا للأجنبيِّ فلا)[2] .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ دُعِيَ إلىٰ طعامٍ فذهبَ معَهُ بآخرَ . استحقَّ لَطْمةً[3] ، فإنْ قيلَ لهُ : اجلسْ ها هنا فقالَ : بل

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٠٧) .

(٢) قال البخاري في « صحيحه » (٧/ ٧٩) : (قال ابن المبارك : « لا بأس أن يناول بعضهم بعضاً ، ولا يناول من هـٰذه المائدة إلىٰ مائدة أخرىٰ ») .

(٣) في هامش (ج) : (**أي** : بأمره ؛ بأن يدعوه للذهاب معه ، **واللطم** : ضرب الخدِّ وصفحة الجسد بباطن الكفِّ ، واللطمة مرة منه . انتهىٰ) .

ها هنا . . استحقَّ لطمتَينِ ، فإنْ قالَ لصاحبِ الطعامِ : لا تأكلْ معَنا . . استحقَّ ثلاثَ لَطَماتٍ)[١] ؛ أي : لأنَّ ما فعلَهُ في الثلاثِ خصالٍ فضولٌ منهُ .

وكانَ محمدُ بنُ سيرينَ رضيَ اللهُ عنهُ يجهدُ أنْ يطعِمَ الضيفَ مِنْ شيءٍ لم يكنْ عندَ الضيفِ ، ولا في بلدِهِ .

قالَ خالدُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ : (ودخلْتُ عليهِ مرةً ومعي رفقةٌ فأخرجَ إلينا شُهْدةً[٢] ، وقالَ : إنِّي أظنُّ أنَّ مثلَ هٰذا ليسَ هو عندَكُمُ الآنَ)[٣] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ أطعمَ ولم يُتْمِرْ ـ أي : لم يطعمِ الضيفَ تمراً أو حلوى ـ كانَ كمَنْ صلَّى العشاءَ ولم يوترْ) .

وسيأتي عن حاتمٍ الأصمِّ في أخلاقِ هٰذا الكتابِ : أنَّ الواجبَ على المُضِيفِ أنْ يطعمَ الضيفَ مِنَ الحلالِ ، ويُعلِمَهُ بميقاتِ الصلاةِ ، ولا يقصِّرَ عمَّا قَدَرَ عليهِ مِنَ الدسمِ وحسنِ المطعمِ ، وأنَّ الواجبَ على الضيفِ أنْ يجلسَ حيثُ أجلسوهُ ، ويرضىٰ بما قدَّموهُ إليهِ ، ولا يخرجَ حتىٰ يستأذنَ .

وكانَ ابنُ خارجةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما دعوْتُ قطُّ نفراً إلىٰ طعامي وأكلوهُ إلا ورأيتُ المنةَ لهم عليَّ أكثرَ مِنْ مِنَّتي عليهم)[٤] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥/ ٢١٥) .
(٢) الشُّهدة : واحدةُ الشَّهْدِ ؛ وهو العسل بشمعه . انظر « تاج العروس » (ش هـ د) .
(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٦٥) .
(٤) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٩٥)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٥٣) .

وكانَ حامدٌ اللَّفافُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ علامةِ المتفعِّلِ في الزهدِ : أنَّهُ إذا استضافَهُ أحدٌ يذكرُ لهُ سخاءَ إبراهيمَ الخليلِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، وإذا أضافَ هو أحداً ذكرَ لهُ زهدَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا استضافَكَ بخيلٌ فبادِرْ إليهِ وعلِّمْهُ الكرمَ ، ولا تأكلْ لهُ طعاماً ، وإيَّاكَ أنْ تنسىٰ دابَّتَكَ مِنَ العَشاءِ ؛ فإنَّهُ ربَّما فرَّطَ في عَشائِها) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما استضفْتُ عندَ بخيلٍ إلا وصامَتْ دابتي ، واستغنَيتُ عن دخولِ الخلاءِ ، وأَمِنْتُ مِنَ التُّخَمةِ)[1] .

وأنشدَني شيخُنا شيخُ الإسلامِ كمالُ الدينِ الطويلُ رحمَهُ اللهُ أبياتاً في البخيلِ : [من مجزوء الكامل]

وَإِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُ ... فَٱرْفَعْ يَمِينَكَ مِنْ طَعَامِهْ
فَٱلْمَوْتُ أَهْوَنُ عِنْدَهُ ... مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَٱلْتِقَامِهْ
سِيَّانِ كَسْرُ رَغِيفِهِ ... أَوْ كَسْرُ شَيْءٍ مِنْ عِظَامِهْ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِبَابِهِ ... فَٱحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غُلَامِهْ

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وفتِّشْ نفسَكَ ؛ فهل تخلَّقْتَ بهٰذهِ الأخلاقِ ، أم فرَّطْتَ فيها وقلْتَ : إنَّ إطعامَ الطعامِ ليسَ هو مِنْ طريقتِنا ، ولا طريقةِ شيخِنا ؟! كما يقعُ في ذلكَ مَنِ ادَّعى الدخولَ في الطريقِ بغيرِ صدقٍ ، ويقولُ : إنَّ كلَّ فقيرٍ جعلَ لهُ سِماطاً فكأنَّهُ جعلَ مكانَهُ مُناخاً للبطَّالينَ .

---

(١) أورد بعضه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٦٤٨) من غير نسبة .

وفي الحديثِ : « مَا جُبِلَ وَلِيٌّ للهِ تَعَالَىٰ إِلَّا عَلَى ٱلسَّخَاءِ وَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ »[1] .

ولا أعلمُ أحداً مِنْ إخوانِنا اليومَ في مصرَ أكثرَ إطعاماً للواردينَ مِنَ الشيخِ سليمانَ الخضيريِّ ، والشيخِ جمالِ الدينِ خليفةِ الشيخِ شاهينَ ، كثَّرَ اللهُ في الفقراءِ مِنْ أمثالِهما ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(1) أورده الديلمي في « الفردوس » (٦٢١٤) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٤٧٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

[عدم إجابة دعوة من في ماله شبهة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ الإجابةِ إلىٰ طعامِ مَنْ في مالِهِ شبهةٌ ؛ مِنْ أميرٍ ، ومباشِرٍ ، وقاضٍ ، وكاشفٍ ، وشيخِ عربٍ ، وشيخِ بلدٍ ، وتاجرٍ يبيعُ على الظلمةِ ، وأضرابِهم ، وكثرةُ تعفُّفِهم عمَّا في أيدي الناسِ مِنَ الحلالِ .

وسيأتي في هٰذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ أنَّ مِنْ علامةِ الشبهةِ في طعامِ الإنسانِ أنْ ينوِّعَ الأطعمةَ[1] ؛ لأنَّهُ لو تبعَ الحِلَّ لَمَا وجدَ شيئاً مِنَ الحلالِ ينوِّعُ بهِ الطعامَ ؛ ولذلكَ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن أكلِ طعامِ المتبارِيَيْنِ[2] ؛ يعني : المتفاخِرَينِ .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لا تأكلْ إلا مِنْ طعامِ التقيِّ النقيِّ ، ولا تُطعِمْ طعامَكَ إلا للتقيِّ النقيِّ)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ لا يجيبُ إلىٰ وليمةٍ إلا إنْ وثِقَ بدِينِ صاحبِها وثوقاً شديداً .

---

(١) انظر (ص٥٩٠) .

(٢) رواه أبو داود (٣٧٥٤) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) يشهد له : ما رواه أبو داود (٤٨٣٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصاحبْ إلا مؤمناً ، ولا يأكلْ طعامك إلا تقيٌّ » .

وكانَ أبو مسعودٍ البدريُّ رحمَهُ اللهُ لا يجيبُ إلىٰ وليمةٍ إلا إنْ لم يكنْ هناكَ شيءٌ نهى اللهُ عنهُ(١) .

وكانَ أبو أيوبَ الأنصاريُّ إذا دُعيَ إلىٰ وليمةٍ فرأىٰ في البيتِ ستراً . . يرجعُ ، ويقولُ : (لا يسترُ البيوتَ إلا الأكاسرةُ والجبابرةُ ، ونحنُ لا نأكلُ للجبابرةِ طعاماً)(٢) .

ودُعِيَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ وليمةٍ ، فرأىٰ هناكَ شيئاً مِنْ زِيِّ العجمِ ، فرجعَ مسرعاً وقالَ : (مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم ، ومَنْ رضيَ بفعلِ قومٍ فهو شريكُهم)(٣) .

وكانَ محمدُ بنُ سلَامٍ البِيكَنْدِيُّ يقولُ : (مضتِ السنَّةُ في الولائمِ أنَّ الجِفانَ كانَتْ تُملأُ طعاماً(٤) ، ويُغدىٰ بها إلى المسجدِ ، فيأكلُ منها مَنْ كانَ حاضراً في المسجدِ ؛ مِنْ غنيٍّ وفقيرٍ ، وشريفٍ ووضيعٍ) .

وكانَ إذا خصَّ أحدٌ الأغنياءَ بالدعوةِ لا يأكلُ الناسُ لهُ طعاماً ، ويقولونَ : إنَّهُ شرُّ الطَّعامِ(٥) .

---

(١) روىٰ نحوه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٢٦٨) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٧٦٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٢٧٢) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الورع » برواية المروذي (٥٨٦) ، وأورده بنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٩١) .

(٤) في هامش (ج) عند قوله : (**الجفان**) : (جمع جفنة ؛ وعاء الطعام . انتهىٰ) .

(٥) روى البخاري (٥١٧٧) ، ومسلم (١٤٣٢) من قول سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : (شرُّ الطعام طعام الوليمة ؛ يُدعىٰ لها الأغنياء ، ويُترك الفقراء . . .) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ يقولُ : (إنَّ الرجلَ ليكونُ لهُ موقعٌ مِنْ قلبي ، فإذا رأيتُهُ أوسعَ في الطعامِ سقطَ مِنْ عيني ؛ لقلَّةِ ورعِهِ) .

وقالَ لقمانُ لابنِهِ : (إيَّاكَ يا ولدي وحضورَ الولائمِ ؛ فإنَّها تذكِّرُكَ بالدنيا وشهواتِها) .

وكانَ أيوبُ السختيانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يَكمُلُ الرجلُ حتىٰ يكونَ فيهِ خصلتانِ : التعفُّفُ عمَّا في أيدي الناسِ ، وتحمُّلُ الأذىٰ منهم)[1] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا دُعيَ إلىٰ وليمةٍ ، ورأىٰ هناكَ أحداً مِنْ ولاةِ الجَوْرِ . . رجعَ مسرعاً ، وقالَ : (لا أجالسُ الجبابرةَ) .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ يقولُ : (مؤاكلةُ المحبِّ تهضمُ الطعامَ ، ومؤاكلةُ العدوِّ تُخَمَةٌ) .

وكانَ شقيقُ بنُ إبراهيمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما بقيَ في هـٰذا الزمانِ وليمةٌ علىٰ موافقةِ السنةِ ، ولقد ندمْتُ علىٰ إجابتي للولائمِ في الزمنِ الماضي) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأصحابِهِ : (عليكم بعدمِ حضورِ الولائمِ ما أمكنَ ، إلا إنْ كانَتْ سالمةً مِنَ البدعةِ ؛ فإنَّهُ ما أكلَ رجلٌ قطُّ مِنْ قصعةِ رجلٍ إلا ذلَّ لهُ)[2] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٣٤) ، وأبو الشيخ الأصبهاني في « التوبيخ والتنبيه » (٥٨) .

(٢) أورد نحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٨٦) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٥٧) من غير نسبة .

وكانَ الإمامُ عمرُ بنُ الخطابِ وعثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهما لا يُجيبانِ إلىٰ حضورِ الولائمِ ، ويقولانِ : (نخافُ أنْ يكونَ في الطعامِ مباهاةٌ وتفاخرٌ)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نُهينا أنْ نجيبَ إلىٰ طعامِ مَنْ ظهرَ لنا منهُ أماراتُ الرياءِ والسمعةِ في طعامِهِ ، أو كانَ في بيتِهِ ستورٌ ؛ كستورِ الكعبةِ)[2] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مذمَّةُ الناسِ للإنسانِ في هٰذا الزمانِ مِدْحةٌ لهُ ؛ لأنَّهم لا يذمُّونَهُ إلا لمخالفتِهِ لِمَا تهواهُ نفوسُهم) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ لا يسألُ ، ولا يقبلُ ، ولا يجيبُ أحداً إلىٰ طعامِهِ إلا أنْ يكونَ صديقاً لهُ .

وكانَ موسى بنُ طلحةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أرسلَ لي عبدُ الملكِ بنُ مروانَ ببِدَرٍ ثلاثٍ ملآنةٍ فضةً[3] ، وقالَ لي : فرِّقْها على الفقراءِ ، فأرسلْتُ منها شيئاً إلىٰ أبي رَزِينٍ العقيليِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ مجهوداً[4] ، فكأنِّي ألقيتُ عليهِ العقاربَ ، ثمَّ ردَّها وباتَ طاوياً)[5] .

---

(١) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٢٠١) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٦٦٩) .

(٢) أورد نحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٨٢) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٧٤) .

(٣) **البِدَرُ** : أكياس تُملَأُ دراهم أو دنانير . انظر « القاموس المحيط » (ب د ر) .

(٤) في هامش (ج) : (**أي** : نكد العيش ، يقال : جَهِدَ عيشُهُ ؛ كـ« فَرِح » : نكدَ ، كذا في « القاموس » [ج هـ د] . انتهىٰ) .

(٥) رواه بنحوه البلاذري في « أنساب الأشراف » (٦/ ٣١٦) ، وفيه : (بشر بن مروان)=

وأرسلَ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ بمالٍ إلىٰ أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ معَ عبدٍ لهُ ، وقالَ لهُ : إنْ قبلَهُ منكَ فأنتَ حرٌّ ، فردَّهُ أبو ذرٍّ ، وقالَ : إنْ كانَ فيهِ عتقُكَ فإنَّ فيهِ رِقِّي . انتهىٰ[1] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وفتِّشْ نفسَكَ ؛ هل تعفَّفْتَ قطُّ كما تعفَّفَ سلفُكَ ، أم أكلْتَ كلَّ ما دُعيتَ إليهِ ، وقلْتَ : الأصلُ الحِلُّ ، وأتلفْتَ نفسَكَ ومَنْ تبِعَكَ ، وكانَ عليكَ وزرُ كلِّ مَنْ تبعَكَ ممَّنْ يقولُ : لولا أنَّ ذلكَ حلالٌ ما أكلَ منهُ سيدي الشيخُ ؟ وإيَّاكَ ودعوى الصلاحِ وأنتَ لم تتعفَّفْ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[2] .

= بدل (عبد الملك بن مروان) .

(١) أورده ابن منقذ في « لباب الآداب » (ص٣٠٥) ، وعزاه إلىٰ أبي الحسن يحيى بن نجاح في كتاب « سبل الخيرات » .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ قراءةً علىٰ مؤلفه**) .

[كثرة الصّدقة بكلّ ما فضل عن الحاجة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الصدقةِ بكلٍّ ما فضلَ عن حاجتِهم ؛ ليلاً ونهاراً ، جهراً وإسراراً ، ومَنْ لم يجدْ منهم شيئاً مِنَ المالِ والطعامِ مثلاً يتصدَّقُ بهِ . . تصدَّقَ بكفِّ أذاهُ عنِ الناسِ أو بتحمُّلِ أذاهم .

وكانَتْ صدقاتُ الفقراءِ في الزمنِ الماضي أكثرَ مِنْ صدقاتِ الأغنياءِ ؛ لعدمِ ادِّخارِهم للمالِ أوِ الطعامِ ، بخلافِ الأغنياءِ .

ولا شكَّ أنَّ الفقراءَ أَطْيَبُ نفساً بالصدقةِ مِنَ الأغنياءِ ؛ لكمالِ إيمانِهم ويقينِهم ، ولعدمِ بخلِهم بالمالِ على المحتاجينَ .

وقد كانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اللهمَّ ؛ اجعلِ الفضلَ عندَ خيارِنا ؛ ليعودوا بهِ علىٰ أولي الحاجةِ منّا)[1] .

وكانَ بعضُهم يرسلُ إلىٰ أخيهِ الرغيفَ أوِ التمرةَ أوِ النعلَ مثلاً ، ويقولُ لهُ : إنَّنا نعلمُ غِناكَ عن مثلِ ذلكَ ، وإنَّما أردْنا أنْ نُعْلِمَكَ أنَّكَ علىٰ بالٍ منّا .

وكانَ عبدُ العزيزِ بنُ عميرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الصلاةُ توصلُكَ إلىٰ نصفِ الطريقِ ، والصومُ يوصلُكَ إلىٰ بابِ المَلِكِ ، والصدقةُ تُدخلُكَ إلى الملكِ)[2] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٧) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٤٤٠) من قول عبد العزيز بن محمد رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الأموالُ عندَنا ودائعُ للمكارمِ)[1] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ يوسفَ رضيَ اللهُ عنهُ يجمعُ الأموالَ ، ويقولُ : (إنَّما أجمعُ ذلكَ لبطونٍ جائعةٍ ، وظهورٍ عاريةٍ ، ولم أجمعْهُ للماءِ والطِّينِ)[2] .

وطلبوا منهُ مرَّةً شيئاً لعمارةِ مسجدٍ ، فلم يعطِهم شيئاً ، وقالَ : (الجائعُ أحقُّ) .

وقالَ لقمانُ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ إذا أخطأْتَ فتصدَّقْ ولو برغيفٍ)[3] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يتكرَّمْ بمالِهِ .. فتركُ جمعِهِ للمالِ أَولىٰ)[4] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يتصدَّقْ أحدُكم إلا مِنْ كسبِهِ الطيِّبِ ، ومَنْ تصدَّقَ علىٰ مسكينٍ مِنْ كسبِهِ الذي ليسَ بطيبٍ ؛ ليرحَمَ المسكينَ بذلكَ . . فهو مغرورٌ ، ورحمةُ مَنْ ظلمَهُ هو أَولىٰ بإعطائِهِ مالَهُ) .

وكانَ مجاهدٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يقبلُ اللهُ تعالىٰ صدقةَ مَنْ تعدَّىٰ بصدقتِهِ رَحِمَهُ المحتاجَ) .

وكانَ محمدُ بنُ سيرينَ رحمَهُ اللهُ لا يُخرِجُ صدقةَ فطرِهِ إلا مغربَلةً مطيَّبةً .

وكانَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا كانَ مشهدُ العبدِ أنَّ

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦/١٤٦) من قول خالد بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (ج) : (**أي** : للبناء . انتهىٰ) .

(٣) رواه بنحوه أبو عبيد في « الخطب والمواعظ » (١٠٦) ، والحسين بن حرب في « البر والصلة » (٢٨١) .

(٤) أورد نحوه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص٦٦١) من غير نسبة .

جميعَ ما يتصدَّقُ بهِ إنَّما هو مِلكٌ للهِ تعالىٰ . . فلا لومَ عليهِ فيهِ ، ولا يضرُّهُ أنْ يكونَ فيهِ عيبٌ)(١) .

وكانَ عروةُ بنُ الزبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تخيَّروا للصدقةِ ؛ فإنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يقبلُ إلا طيِّباً)(٢) .

قلْتُ : فلكلِّ رجالٍ مشهدٌ .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يتزوَّجُ أحدُكم فلانةَ بنتَ فلانٍ بالمالِ الكثيرِ ، ولا يتزوَّجُ الحورَ العِينَ بلقمةٍ ولا تمرةٍ ولا خَلَقةٍ ، هـٰذا مِنَ العَجَبِ !)(٣) .

وكانَ ابنُ عمرَ يتصدَّقُ كثيراً بالسكَّرِ ، ويقولُ : (إنِّي أحبُّهُ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢])(٤) .

وكانَ الإمامُ الليثُ بنُ سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أخذَ منِّي صدقةً أو هديةً . . فحقُّهُ عليَّ أعظمُ مِنْ حقِّي عليهِ ؛ لأنَّهُ قَبِلَ مني قُرباني إلى اللهِ تعالىٰ)(٥) .

وكانَ معاذٌ النسفيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يرَ نفسَهُ أحوجَ إلىٰ

---

(١) أورد الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٩) من قول النخعي رحمه الله تعالىٰ : (إذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرني أن يكون فيه عيب) .

(٢) روى الشطر الثاني منه مسلم (١٠١٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٨٠) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

والخَلَقةُ : الثوب البالي . انظر « المصباح المنير » (خ ل ق) .

(٤) رواه ابن المنذر في « تفسيره » (٦٩٤) .

(٥) روىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (٤٩٩) من قول أسماء بن خارجة رحمه الله تعالىٰ .

ثوابِ صدقتِهِ مِنَ الفقيرِ إلىٰ صدقتِهِ هو . . فهو ممَّنْ أبطلَ صدقتَهُ بالمَنِّ ؛ لأنَّهُ رأىٰ نفسَهُ على الفقيرِ ، وعندَ ذلكَ يُضربُ بها وجهُهُ)[١] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ أعطىٰ درهماً مِنْ مئةِ درهمٍ ، ولم يكنْ عندَهُ ذلكَ الدرهمُ أعظمَ وأحبَّ إليهِ مِنَ التسعةِ والتسعينَ المدَّخرةِ . . رُدَّتْ صدقتُهُ عليهِ ، وضُرِبَ بها وجهُهُ) .

وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (لا تحتقروا مِنَ الصدقةِ شيئاً ؛ فإنَّ الحبَّةَ منها توزَنُ يومَ القيامةِ بجبالٍ مِنَ الأجرِ)[٢] .

وأعطَتْ مرةً حبةَ عِنَبٍ لفقيرٍ ، فكأنَّهُ استقلَّها ، فقالَتْ لهُ : (أَمَا تقرأُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧] ؟! فكم في هٰذهِ الحبةِ مِنَ العنبِ مِنْ مثقالِ ذرَّةٍ !)[٣] .

فاعلمْ ذلكَ أيُّها الأخُ ، وفتِّشْ نفسَكَ في تركِ تصدُّقِها بما فَضَلَ عن حاجتِها ، ولا تَعُدَّ نفسَكَ مِنَ القومِ إلا إنْ تبعتَهم في أخلاقِهم .

وكانَ آخرَ مَنْ أدركتُهُ مِنْ أصحابِ هٰذا المقامِ سيِّدي محمدٌ الشِّنَّاويُّ ، والشيخُ عبدُ الحليمِ بنُ مصلحٍ ، والشيخُ محمدُ بنُ داودَ ، والشيخُ محمدٌ العدلُ ، والشيخُ محمدٌ المنيرُ ؛ فكلُّ هٰؤلاءِ كانَ الألفُ دينارٍ عندَهم كفَلْسٍ إذا أعطَوهُ لفقيرٍ رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٩) من قول الشعبي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورد نحوه الثعلبي في « تفسيره » (٢/ ٢٨٤) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٨) من قول يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى .

(٣) رواه بنحوه الإمام مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٩٧)، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٩١).

[البشاشة للسائل وحسن الظن به]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : بشاشتُهم للسائلِ ، وعدمُ نهرِهم لهُ ، وحملُهم لهُ علىٰ أنَّهُ ما سألَ إلا لحاجةٍ ، ولولا الحاجةُ لَمَا سألَ .

وقد كانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (مَنْ ردَّ سائلاً خائباً لم تَغْشَ الملائكةُ بيتَهُ سبعةَ أيَّامٍ)(١) .

وفي الحديثِ : « لَوْلَا أَنَّ بَعْضَ ٱلْمَسَاكِينِ يَكْذِبُ . . مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ »(٢) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ ليخوِّلُ العبدَ في نعمتِهِ(٣) ، وينظرُ ماذا يصنعُ فيها معَ عبادِهِ ؛ فإنْ وفَّاهم ما طلبوا ، وإلا حوَّلَها عنهُ)(٤) .

فلذلكَ كانَ السَّلَفُ يعزمونَ علىٰ أصحابِهم ، ويشدِّدونَ عليهم في أنَّهم لا يردُّونَ ما أعطَوهُ لهم .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٦) ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (٢/ ٢٨٩) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٢٤٦) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) في هامش (ج) : (**خوّله اللهُ مالاً** : أعطاه ، كذا في « المصباح » [خ و ل] ، ففي الكلام تضمين ؛ **أي** : يخول اللهُ العبدَ مالاً مستغرقاً في نعمته ، وحذف المفعول لدلالة النعمة عليه . انتهىٰ) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٥٤) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أوَّلُ مَنِ انتبهَ مِنْ رَقْدةِ الغفلةِ حبيبٌ العجميُّ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ وذلكَ أنَّهُ اشتهىٰ يوماً سمكاً ، ثمَّ وضعَهُ في القِدْرِ ، فجاءَهُ سائلٌ فردَّهُ ، فحوَّلَ اللهُ تعالى السمكَ دماً ، فخرجَ عن جميعِ مالِهِ بعدَ ذلكَ ، واتَّعظَ بهِ)[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ ينشرحُ إذا رأىٰ سائلاً علىٰ بابِهِ ، ويقولُ : (مرحباً بمَنْ جاءَ يغسلُ ذنوبي) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نِعمَ السَّائلونَ ؛ يحملونَ أزوادَنا إلى الآخرةِ بغيرِ أجرةٍ ، حتىٰ يضعوها في الميزانِ بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[2] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ قبلَ زهدِهِ في الدنيا إذا جاءَهُ سائلٌ . . يدخلُ إلىٰ عيالِهِ ، ويقولُ لهم : (جاءَكم رسولُ المقابرِ ، فهل توجِّهونَ إلىٰ موتاكم شيئاً مِنَ الصدقةِ ؟) ، وذلكَ قبلَ أنْ يخرجَ مِنَ المِلْكِ[3] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قامَ سائلٌ في مسجدٍ يسألُ ، فلم يكترثِ القومُ بهِ ، فماتَ ، فغسَّلوهُ ، وكفَّنوهُ ، وصلَّوا عليهِ، ودفنوهُ، فلمَّا رجعُوا مِنْ جنازتِهِ وجدوا الكفنَ موضوعاً في المحرابِ ؛ مكتوبٌ عليهِ[4] :

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٥٢) من طريق جعفر بن سليمان رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٢) من قول إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٢) .

(٤) قوله : (**مكتوب**) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، خبر لمبتدأ محذوف ؛ **أي** : وهو مكتوب عليه . . . إلىٰ آخره .

هـٰذا الكفنُ مردودٌ عليكم ، والربُّ ساخطٌ عليكم) .

وكانَ معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بُغَضاءُ اللهِ في أرضِهِ سُؤَّالُ المساجدِ)[1] ؛ أي : لكونِهم يسألونَ الناسَ في بيتِهِ ، ويتسبَّبونَ في مقتِهم بعدمِ إعطائِهم ما سألوا .

وقيلَ للحسنِ البصريِّ رحمَهُ اللهُ : إنَّ السُّؤَّالَ قد كثُروا ، فمَنْ نُعطي ؟ قالَ : أعطُوا مَنْ وجدْتُم في قلبِكم رقةً لهُ .

وكانَ أبو الأسودِ الدِّيليُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو أطعْنا الفقراءَ والمساكينَ في أموالِنا . . لَكُنَّا أسوأَ حالاً منهم)[2] .

قلْتُ : فينبغي للمتصدِّقِ أنْ يُبقيَ لنفسِهِ ولعيالِهِ شيئاً ، ولا يتصدَّقَ إلا بما فضلَ عن حاجاتِهم .

ودخلَ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ الحرمَ ، فرأىٰ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ ، فقالَ لسالمٍ : سلْني حاجتَكَ ؟ فقالَ : أستحيي أنْ أسألَ في بيتِ اللهِ غيرَ اللهِ[3] .

وسمعَ أبو الأسودِ الدِّيليُّ سائلاً يقولُ في زُقاقٍ : رحمَ اللهُ مَنْ أشبعَ الجائعَ ، فأدخلَهُ دارَهُ وأشبعَهُ ، فخرجَ مِنْ عندِهِ ، فنادىٰ ثانياً : مَنْ يشبعُ الجيعانَ[4] ؟ فأمرَ أبو الأسودِ بردِّهِ وتقييدِهِ بالحديدِ في رجلَيهِ إلى الصباحِ ، وقالَ : أمنعُكَ عنِ الصياحِ بالمسلمينَ بالباطلِ .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٢٤٦) .

(٢) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ٣١) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ٦٤) .

(٤) انظر ما ورد تعليقاً (ص ٤١٠) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ سائلاً . . يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّ هـٰذا يسألُنا القوتَ ، ونحنُ نسألُكَ المغفرةَ ، وأنتَ بالمغفرةِ أجودُ منَّا بالعطيةِ ، ثمَّ يعطيهِ[1] .

ودخلَ علىٰ معروفٍ الكرخيِّ سائلٌ ، فلم يرَ عندَهُ شيئاً يعطيهِ لهُ ؛ فأعطاهُ نعلَهُ ، فبلغَ معروفاً أنَّهُ باعَ النعلَ ، واشترىٰ بهِ فاكهةً ، فقالَ معروفٌ : (الحمدُ للهِ ، لعلَّهُ كانَ يشتهي الفاكهةَ منذُ زمانٍ وهو فقيرٌ ؛ فواسيناهُ بثمنِها) .

ورأىٰ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ رجلاً يسألُ في يومِ عرفةَ ، فزجرَهُ ، وقالَ : (أما تستحيِي مِنَ اللهِ ؟! تسألُ غيرَ اللهِ في مثلِ هـٰذا الموطنِ وفي مثلِ هـٰذا اليومِ ؟!) انتهىٰ[2] .

فاعلمْ يا أخي ذلكَ ، وفتِّشْ نفسَكَ فيما أعطيتَهُ للفقراءِ في الزمنِ المتقدِّمِ ؛ فربَّما مننْتَ بهِ ولو في نفسِكَ ، فحبطَ أجرُكَ ، وربَّما نهَرْتَ المسكينَ فكانَ ما نهَرْتَهُ بهِ أرجحَ ممَّا أعطيتَهُ لهُ مِنْ حيثُ الأذىٰ ، فاحذرْ ذلكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (٥٥٢) من قول الأصمعي رحمه الله تعالىٰ فيما يرويه عن رجلٍ من قوم .

(٢) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ١٨٦) ، ورواه الدينوري في « المجالسة » (١٣١٧) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

[عدم اتخاذ الإخوان إلا بعد التأكد من الوفاء بحقهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : أنَّهم لا يتَّخذونَ مِنَ الإخوانِ إلا مَنْ يعلمونَ مِنْ نفوسِهِمُ الوفاءَ بحقِّهِ ؛ فإنَّ أخاكَ إذا لم توفِ بحقِّهِ.. كانَ فارغَ القلبِ منكَ .

وقد كانَ المغيرةُ بنُ شعبةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أعطِ ولدَكَ ما سألَ بالمعروفِ ، ولا تكنْ قفلاً عليهِ ؛ فيتمنَّىٰ موتَكَ ، ويَمَلَّ مِنْ حياتِكَ) .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ يقولُ : (عليكم بالإخوانِ ؛ فإنَّهم عُدَّةٌ للدنيا والآخرةِ ، ألا تسمعونَ إلىٰ قولِ أهلِ النارِ : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٠٠ـ١٠١] ؟!)(١) .

وفي الحديثِ : « مَا أَحْدَثَ عَبْدٌ إِخَاءً فِي ٱللهِ إِلَّا أَحْدَثَ ٱللهُ لَهُ دَرَجَةً فِي ٱلْجَنَّةِ »(٢) .

وكانَ المهلَّبُ بنُ أبي صُفرةَ يقولُ : (الصديقُ أعزُّ مِنَ السيفِ الصَّارمِ في كفِّ الرجلِ)(٣) .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١١٦ـ١١٧) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٦) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٧) ، كلاهما من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٦٠١) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (المودَّةُ لا تحتاجُ إلىٰ قرابةٍ ، والقرابةُ تحتاجُ إلى المودةِ)[1] .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ حقِّ الأخِ الصادقِ ألَّا تُفرطَ في كثرةِ سؤالِهِ عن حاجاتِكَ وتقولَ : ما بيني وبينَهُ شيءٌ ؛ فإنَّ مالَهُ مالي ، ومالي مالُهُ ؛ كما يقعُ فيهِ بعضُ الجهلةِ ؛ إذ مِنْ شأنِ البشرِ الشحُّ وخوفُ الفقرِ إلَّا مَنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وتأمَّلْ ـ يا أخي ـ العِجْلَ إذا أكثرَ مِنْ مصِّ بزِّ أمِّهِ حتىٰ أجهدَها . . كيفَ تنطحُهُ وترفِسُهُ) انتهىٰ .

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا محادثةُ الإخوانِ في هٰذهِ الدارِ ، والتهجُّدُ في الأسحارِ . . ما أحببْتُ البقاءَ فيها)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تصاحبْ في السفرِ مَنْ هو أوسعُ منكَ في الدنيا ؛ فإنَّكَ إنْ ساويتَهُ أضرَّ بحالِكَ ، وإنْ نقصْتَ عنهُ استذلَّكَ بينَ الناسِ)[3] .

وكانَ سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا صادقْتَ غنياً فاحذرْ مِنْ سؤالِهِ إنْ طلبْتَ حفظَ مقامِكَ عندَهُ ؛ فإنَّ المسألةَ كُدُوحٌ في وجهِ السائلِ[4] ، ومَنْ ردَّ ما أُعطيَهُ . . كَبُرَ في قلبِ المعطي قهراً عليهِ)[5] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٦٣) من قول سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه مختصراً الدينوري في « المجالسة » (١٥٥) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ إعادة نظر ، وكتبه مؤلفه**) ، والخبر رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٨١) .

(٤) **الكُدُوحُ** : جمعُ كَدْحٍ ؛ وهو أثر الخَدْشِ أو العضِّ . انظر « لسان العرب » (ك د ح) .

(٥) روىٰ أبو داود (١٦٢٦) ، والترمذي (٦٥٠) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود =

وكانَ المهلبُ بنُ أبي صُفرةَ يقولُ : (**ينبغي للمؤمنِ أنْ يجتنبَ مؤاخاةَ ثلاثةٍ** : الأحمقِ ، والكذَّابِ ، والفاجرِ ؛ **فأمَّا الأحمقُ** : فإنَّه لا يشيرُ عليكَ بخيرٍ ، ولا يُرجىٰ لصرفِ سوءٍ ، وسكوتُهُ خيرٌ مِنْ نطقِهِ ، وبُعدُهُ خيرٌ مِنْ قربِهِ ، **وأمَّا الكذَّابُ** : فلا يُهنِّيكَ معَهُ عيشٌ ، وينقلُ خبرَكَ إلىٰ غيرِكَ ، ويُغري بينَكَ وبينَ الناسِ العدواةَ والبغضاءَ ، **وأمَّا الفاجرُ** : فيزيِّنُ لكَ فعالَهُ ، ولا يعينُكَ علىٰ شيءٍ مِنْ أمورِ دينِكَ)[1] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ زيدٍ العدويُّ يقولُ : (**أربعةٌ تُفرِحُ القلبَ** : التهجُّدُ في السَّحَرِ ، والزوجةُ الجميلةُ الصالحةُ ، والكفافُ مِنَ الرزقِ ، والأخُ المؤمنُ) .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وفتِّشْ إخوانَكَ ؛ هل وفَيتَ بحقوقِهم ؟ أو هل تعفَّفْتَ عن سؤالِهم بالحالِ أو بالمقالِ أو بالتعريضِ ؟ وهل صحبْتَهم للهِ أو لغرضٍ نفسانيٍّ ؟ فإنَّ كلَّ ما لم يكنْ للهِ فهو وبالٌ على العبدِ في الدنيا والآخرةِ ، وطالبْ نفسَكَ بحقوقِ الإخوانِ ، ولا تطالبْهم بحقِّكَ ؛ لا ظاهراً ولا باطناً .

وقد أنشدَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ[2] : [من الوافر]

صَـدِيـقٌ لَيْـسَ يَنْفَـعُ يَـوْمَ بَـاسٍ ... قَـرِيـبٌ مِـنْ عَـدُوٍّ فِـي ٱلْقِيَـاسِ

= رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة خُمُوشٌ ، أو خُدُوشٌ ، أو كُدُوحٌ في وجهه . . . » الحديثَ .

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٣٧٩) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) رواه السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١/ ٣٠١) .

وَمَا يُبْغَى ٱلصَّدِيقُ بِكُلِّ عَصْرٍ وَلَا ٱلْإِخْـوَانُ إِلَّا لِلتَّـآسِـي
عَمَرْتُ ٱلدَّهْرَ مُلْتَمِساً بِجُهْدِي أَخَـا ثِقَـةٍ فَـأَكْـدَاهُ ٱلْتِمَـاسِـي
تَنَكَّـرَتِ ٱلْبِـلَادُ عَلَـيَّ حَتَّـى كَـأَنَّ أُنَـاسَهَـا لَيْسُـوا بِنَـاسِ

وكانَ ينشدُ رضيَ اللهُ عنهُ أيضاً بيتاً[1] : [من الطويل]

وَمَا أَكْثَرَ ٱلْإِخْوَانَ حِينَ أَعُدُّهُمْ وَلَـٰكِنَّهُـمْ فِـي ٱلنَّـائِبَـاتِ قَلِيـلُ

وكانَ ينشدُ أيضاً[2] : [من الطويل]

وَلَيْسَ كَثِيراً أَلْفُ خِلٍّ لِوَاحِدٍ وَإِنَّ عَـدُوّاً وَاحِـداً لَكَثِيـرُ

وأنشدَني شيخُنا شيخُ الإسلامِ زكريا رحمَهُ اللهُ : [من البسيط]

صَادُ ٱلصَّدِيقِ وَكَافُ ٱلْكِيمِيَاءِ مَعَا لَا يُوجَدَانِ فَدَعْ عَنْ نَفْسِكَ ٱلطَّمَعَا

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(1) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٠٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/١١) .
(2) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٨٣) .
(3) في هامش (أ) : (**بلغ**) .

[تركُ معاداة النّاس وكثرة مداراتهم]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تركُ مُعاداتِهم للناسِ ، وكثرةُ مداراتِهم لهم، وعدمُ مقابلتِهم أحداً بسوءٍ ؛ فالناسُ يعادونَهم ، وهم لا يعادونَ أحداً .

وقد بلغَنا أنَّ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ لابنِهِ سليمانَ : (لا تستقلَّ بالعدوِّ الواحدِ ، ولا تستكثِرْ أنْ يكونَ لكَ ألفُ صديقٍ)(١) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إياكَ أنْ تَشْمَتَ بمصيبةِ أخيكَ ؛ فإنَّها عنوانٌ للعداوةِ ، وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تُظْهِرِ ٱلشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ ؛ فَيُعَافِيَهُ ٱللهُ وَيَبْتَلِيَكَ »(٢)) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يُدارِ الناسَ لم يجدْ حلاوةَ الإيمانِ)(٣) .

وكانَ محمدُ بنُ الفضلِ رضيَ اللهُ عنهُ يجالسُ أعداءَهُ ، ويلاطفُهم بالكلامِ الحلوِ ، ويعزِمُ عليهم أنْ يأكلوا عندَهُ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (أُخمِدُ نارَ عداوتِهم) .

وكتبَ صفوانُ رحمَهُ اللهُ علىٰ بابِ دارِهِ : (رحمَ اللهُ مَنْ لا يعرفُنا

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٣١) .
(٢) رواه الترمذي (٢٥٠٦) من حديث سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .
(٣) هـٰذا الخبر والذي قبله رواهما بنحوهما ضمن خبر واحد أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٤٧) .

ولا نعرفُهُ ؛ فإنَّهُ لم يأتِ لنا أذىً إلا ممَّنْ يعرفُنا)[1] .

وقيلَ لأيوبَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : أيُّ شيءٍ كانَ أضرَّ عليكَ أيامَ بلائِكَ ؟ فقالَ : شماتةُ أعدائي[2] .

وأنشدَ بعضُهم في هـٰذا المعنىٰ : [من الوافر]

جَمِيعُ فَـوَائِـدِ ٱلـدُّنْيَـا غُـرُورُ ... فَـلَا يَبْقَـىٰ لِمَسْـرُورٍ سُـرُورُ
فَقُـلْ لِلشَّـامِتِيـنَ بِنَـا ٱسْتَعِـدُّوا ... فَـإِنَّ نَـوَائِـبَ ٱلـدُّنْيَـا تَـدُورُ

ولمَّا بلغَ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ أنَّ هشاماً سُرَّ بمرضِهِ وتمنَّىٰ موتَهُ . . أنشأَ يقولُ[3] : [من الطويل]

تَمَنَّىٰ رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ ٱلَّذِي مَضَىٰ ... تَهَيَّأْ لِأُخْرَىٰ مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

وكذلكَ بلغَنا أنَّ الإمامَ الشافعيَّ أنشدَ ذلكَ لما تمنَّى الأقرانُ موتَهُ[4] .

وكانَ محمدُ بنُ كِدام يقولُ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ عِشْ معَ أهلِ زمانِكَ ، ولا تقتدِ بهم) ، ثمَّ يقولُ : (وما أشرَّ هـٰذا الأمرَ ؛ العيشَ معَ الأحياءِ ، والاقتداءَ بالأمواتِ !) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تُعادوا أحداً حتىٰ تنظروا إلىٰ عملِهِ ، فإنْ كانَ عملُهُ حسناً فإنَّ اللهَ لا يُسْلِمُهُ إليكم ، وإنْ كانَ عملُهُ سيئاً فخطاياهُ تكفيهِ)[5] .

---

(١) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ٧٤) من غير نسبة .
(٢) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ١١٤) .
(٣) روى الخبر الدينوري في « المجالسة » (٣٣٠١) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٣٠٦) .
(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٤٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٤٢٨ـ ٤٢٩) .
(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (١١٠٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٦٦) ، كلاهما بنحوه من قول أبي حازم رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تشترِ مودَّةَ ألفِ رجلٍ بعدواةِ رجلٍ واحدٍ)(١) .

وأتَوا عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ مرةً بشخصٍ عليهِ حدٌّ ، فجعلَ الناسُ يشتدُّونَ خلفَهُ ، فزجرَهمُ الإمامُ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وقالَ : (لا مرحباً بوجوهٍ لا تُرىٰ إلا عندَ السوءِ)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكَ ومعاداةَ الناسِ ؛ فإنِّي ما خالفْتُ صديقاً في هواهُ إلا وخفْتُ علىٰ نفسي منهُ أنْ يسعىٰ في قتلي ، فكيفَ بالعدوِّ ؟! ثمَّ إنْ لم يسعَ في قتلي يتمنَّىٰ ظهورَ عيوبي للناسِ ؛ ليشمتَ بي)(٣) .

وكانَ محمدُ بنُ مقاتلٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (احذرْ شرَّ مَنْ تحسنُ إليهِ)(٤) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : اعذِرْ أخاكَ بما تَعذِرُ بهِ نفسَكَ ، ثمَّ ينشدُ(٥) : [من المتقارب]

وَتَعْـذِرُ نَفْسَـكَ لَمَّـا أَسَـاءَتْ وَغَيْـرَكَ بِـالْعُذْرِ لَا تَعْـذِرُ

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٢٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ٢٨٩) .

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/ ٣٧٦) ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (٥/ ٣١٣) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٩) .

(٤) أورده السخاوي في « المقاصد الحسنة » (٢٥) ، وقال عقبه : (لا أعرفه ، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف ، وليس علىٰ إطلاقه) .

(٥) أورد البيتين ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ١٠٠) من غير نسبة .

وفي هامش (ج) : (**القذىٰ** : ما يقع في العين) .

وَتُبْصِرُ فِي ٱلْعَيْنِ مِنْهُ ٱلْقَذَىٰ وَفِي عَيْنِكَ ٱلْجِذْعَ لَا تُبْصِرُ

انتهىٰ .

فاعلمْ يا أخي ذلكَ ، وإيَّاكَ ومعاداةَ الناسِ ، لا سيَّما الزوالقِ ومَنْ يحبُّ الانفرادَ بالصيتِ في بلدِكَ ؛ فإنَّهم يكدِّرونَ عليكَ العيشَ ولو كنتَ مِنْ أكابرِ الأولياءِ ؛ فإنَّ الجزءَ البشريَّ فيكَ يَدِقُّ ولا ينقطعُ ، وقالوا : مَنْ تهاونَ بمعاداةِ الناسِ فهو دليلٌ علىٰ نقصِ عقلِهِ ، وقالوا : لوِ ابتُلِيَ أكملُ الناسِ بالعوامِّ ، ورمَوهُ بالزُّورِ والبهتانِ . . لكدَّروا عليهِ قلبَهُ ، وصارَ لا يفرِّقُ بينَ الخواطرِ الشيطانيةِ والربانيةِ .

وقد تهاونَ بعضُ إخوانِنا بمعاداةِ شيخٍ مِنْ مشايخِ العصرِ ، وكانَ بعضُ الأمراءِ يعتقدُهُ ، فكاتبَ فيهِ إلىٰ بابِ السلطانِ ، فجاءَ الأمرُ بنفيهِ مِنْ مصرَ فنفَوهُ . انتهىٰ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[1] .

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه**) .

[كثرة المكاتبة بالنصح وقبوله]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ مكاتباتِهم إلىٰ بعضِهم بعضاً بالنصحِ إذا بعُدَتِ الديارُ ، وقبولُ المنصوحِ النصحَ ، وشكرُهُ فضلَ مَنْ نصحَهُ ، خلافُ ما عليهِ الناسُ اليومَ ؛ فلا تكادُ تنصحُ أحداً إلا ويصيرُ ينظرُ في شيءٍ مِنْ عيوبِكَ ؛ ليهجوَكَ بهِ .

وكانَ آخرَ مَنْ أدركْتُ مِنْ أهلِ هـٰذا المقامِ سيدي عليٌّ الكازوانيُّ نزيلُ مكةَ المشرَّفةِ ؛ كانَ سيدي محمدُ بنُ عراقٍ يرسلُ لهُ المكاتباتِ التي لا تحتملُها الجبالُ ، فيفرحُ لها ، ويقولُ : (صدقَ سيدي محمدٌ فينا ، فجزاهُ اللهُ عنَّا مِنْ أخٍ خيراً) .

وكتبَ الأنطاكيُّ إلىٰ بعضِ إخوانِهِ : (إلىٰ متىٰ أنتَ يا أخي تفرحُ بما يفتنُكَ ويضرُّكَ ، وتحزنُ علىٰ ما يفوتُكَ مِنْ نقصِ الدنيا وحظوظِها ؟!)[1] .

وكتبَ حذيفةُ المرعشيُّ إلىٰ يوسفَ بنِ أسباطٍ : (بعدَ السلامِ : اعلمْ يا أخي : مَنْ كانَتِ الفضائلُ أهمَّ عندَهُ مِنْ تركِ الذنوبِ . . فهو مخدوعٌ ، ومَنْ حملَ القرآنَ وخالفَ شيئاً ممَّا فيهِ . . فقدِ استهزأَ بالقرآنِ)[2] .

---

(١) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٥٠٤) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٦٨) .

وكتبَ طاوسٌ إلىٰ مكحولٍ يقولُ لَهُ : (بعدَ السلامِ : احذرْ يا أخي أنْ تظنَّ بنفسِكَ أنَّ لكَ مَقاماً عظيماً عندَ اللهِ بما ظهرَ لكَ مِنْ أعمالِكَ ؛ فإنَّ مَنْ ظنَّ بنفسِهِ ذلكَ انقلبَ إلى الآخرةِ صِفْرَ اليدَينِ مِنَ الخيرِ ، وربَّما عظَّمَكَ الناسُ بسببِ أعمالِكَ الصالحةِ ، فاستعجلْتَ ثوابَها بذلكَ)[1] .

وكتبَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ إلىٰ بعضِ إخوانِهِ : (كنْ يا أخي وصيَّ نفسِكَ ، ولا تنتظرْ أحداً مِنْ إخوانِكَ ينبِّهُكَ علىٰ نقصِكَ ؛ فإنَّ ذلكَ أمرٌ قد تُوُدِّعَ منهُ[2] ، والسلامُ)[3] .

وكتبَ عبدُ اللهِ بنُ زيادٍ إلىٰ بكرِ بنِ عبدِ اللهِ المزنيِّ يطلبُ منهُ أنْ يدعوَ لهُ ، فكتبَ إليهِ بكرٌ : (أمَّا بعدُ : فإنَّ الدعاءَ - يا أخي - لا يكونُ إلا ممَّنْ لم يقارفِ الذنوبَ ، وأنا قدِ اقترفْتُ مِنَ الذنوبِ ما لا يُحصي عددَهُ إلا اللهُ ، وواللهِ ؛ إنِّي لأستحيي مِنَ اللهِ أنْ أدعوَ لنفسي ، فكيفَ لا أستحيي أنْ أدعوَ لغيري ؟!)[4] .

وكتبَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ أبي موسى الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : (إياكَ يا أخي أنْ تكونَ مِثْلَ البهيمةِ ؛ كلَّما نظرَتْ إلىٰ أرضٍ خَضِرةٍ رتعَتْ فيها تبتغي السِّمَنَ بذلكَ ، وفي السِّمَنِ هلاكُها وذبحُها) انتهىٰ[5] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٥٤) من كتاب وهب بن منبه إلىٰ مكحول رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (ج) : (أي : ترك بحيث لا يحتفل به أحد) .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٤٦)، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٩٧).

(٤) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٧٥٧) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٨٩)، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥٠) .

فانصحْ يا أخي نفسَكَ ، ثمَّ انصحْ إخوانَكَ مشافهةً ومكاتبةً ، وإيَّاكَ أنْ تتكدَّرَ ممَّنْ نصحَكَ ؛ فإنَّ ذلكَ ـ أي : تكدُّرَكَ منهُ ـ مِنْ علامةِ أهلِ النارِ والعياذُ باللهِ تعالىٰ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

البَابُ الرَّابعُ

فِي جُملَةٍ أُخْرَى مِنَ الأَخلَاقِ

[كثرة العزلة عن الناس إلا لحاجة]

فمن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ عُزلتِهم عنِ الناسِ ، وعدمُ كثرةِ مخالطتِهم إلا لحاجةٍ ، وعلىٰ ذلكَ درجَ السلفُ الصالحُ ، فكلُّ يومٍ لا يجتمعُ بهم أحدٌ فيهِ يعدُّونَهُ يومَ عيدٍ ، ومَنْ أكثرَ مِنْ مخالطةِ الناسِ خرجَ عن طريقِ سلفِهِ ، وفاتَهُ النَّفعُ مِنَ الناسِ ، وبالعكسِ ؛ وذلكَ لأنَّ كلَّ مَنْ كثرَتْ رؤيةُ الناسِ لهُ هانَ في عيونِهم ، وكَثُرَ سَقَطُهُ عندَهم ، ورأَوهُ كأحدِهم في دناءةِ الأخلاقِ والغفلةِ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

قلْتُ : وما أتذكَّرُ أنَّني زرْتُ أحداً مِنْ مشايخِ هـٰذا الزمانِ وسلِمَ مجلسي معَهُ مِنَ الغِيبةِ إلَّا قليلاً ؛ فلذلكَ أقللْتُ مِنْ زيارتِهم ؛ خوفاً علىٰ ديني ودينِهم ، لا تساهلاً في حقِّهم ، فإذا كانَ هـٰذا حكمَ مجالسِ الأشياخِ فكيفَ بغيرِهم ؟!

فاحفظْ نفسَكَ يا أخي كلَّ الحفظِ إذا زرْتَ أحداً في هـٰذا الزمانِ ، ولا تتهاونْ بذلكَ .

وسيأتي بسطُ ذلكَ في أماكنَ مِنْ هـٰذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وقد كانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خذوا حظَّكم مِنَ العزلةِ)[1] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٣) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٢٠) .

وكانَ طلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ يُقِلَّ مِنْ معرفةِ الناسِ لعيوبِهِ . . فليجلسْ في بيتِهِ)[١] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ خالطَ الناسَ سُلبَ دينُهُ ولا يشعرُ)[٢] .

وكانَ حذيفةُ بنُ اليمانِ يقولُ : (وددْتُ أنْ أغلقَ بابَ داري ، فلا أخرجَ لأحدٍ حتىٰ أموتَ)[٣] .

وكانَ الشعبيُّ يقولُ : (لم يجلسِ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ في مجلسِ قومِهِ طولَ عمرِهِ إلا مرةً واحدةً ، فجلسَ علىٰ بابِ دارِهِ ، فسقطَ عليهِ حجرٌ ، فشجَّ رأسَهُ ، ولا يدري مَنْ رماهُ ، فقامَ وقالَ : لقد وُعِظْتَ يا ربيعُ ، فما خرجَ مِنْ بيتِهِ إلا لضرورةٍ حتىٰ ماتَ)[٤] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ جلسَ على الطريقِ فليؤدِّهِ حقَّهُ ؛ وذلكَ بردِّ السلامِ ، ونصرةِ المظلومِ ، والشهادةِ على الظالمِ ، ومعاونةِ كلِّ مَنْ كانَ في ضرورةٍ)[٥] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٢٥) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٢٧) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٩٤٨) ، وابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١١) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢٥٠) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٣/ ٦٧) ، كلاهما بنحوه من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٥) **يشهد له** : ما رواه البخاري (٢٤٦٥) ، ومسلم (٢١٢١) ، من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والجلوسَ على الطرقات » ، فقالوا : ما لنا بدٌّ ، إنَّما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : « فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقَّها » ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « غض البصر ، وكف الأذىٰ ، ورد السلام ، وأمر بالمعروف ، ونهيٌ عن المنكر » .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قَلَّ مَنْ يطيلُ مجالسةَ أخيهِ إلا ويقعُ مِنْ أحدِهما ما يكرهُ الآخرُ ؛ فينبغي لكلٍّ مِنَ الأخوَينِ ألا يَلقىٰ أخاهُ إلا ساعةً بعدَ ساعةٍ) .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ لا يستقيمُ لهمُ المُلكُ إلا بالقتلِ والتجبُّرِ ، ولا يستقيمُ لهمُ الغنىٰ إلا بالبطرِ والبخلِ ، ولا يستقيمُ لهم صحبةُ الناسِ إلا باتِّباعِ الهوىٰ ، فمَنْ أدركَ ذلكَ الزمانَ ، وصبرَ وحفظَ نفسَهُ . . أعطاهُ اللهُ تعالىٰ ثوابَ خمسينَ صدِّيقاً)(١) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّهُ لا تكونُ الراحةُ لمؤمنٍ في آخرِ الزمانِ إلا إنْ كانَ خاملَ الذِّكرِ بينَ الناسِ)(٢) .

وبلغَ الفضيلَ بنَ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ ولدَهُ علياً يقولُ : وددْتُ أنِّي بمكانٍ أرى الناسَ منهُ ولا يرَوْني ، فقالَ الفضيلُ رضيَ اللهُ عنهُ : هلَّا أتمَّها فقالَ : لا أراهم ولا يرَوْني !(٣) .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خالطْتُ الناسَ خمسينَ سنةً إلىٰ يومي هـٰذا ، فما وجدْتُ أحداً منهم غفرَ لي زلَّةً ، ولا أقالَ لي عَثرةً ، ولا سترَ عليَّ عورةً ، ولا أمِنْتُهُ علىٰ نفسي إذا غضبَ منِّي)(٤) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٠٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٣١٢) ، كلاهما بنحوه من حديث الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٢) في هامش (ج) : (**خمل ذكره وصوته خمولاً** : خفي ، **وأخمله الله فهو خامل** : ساقط لا نباهة له . « قاموس » [خ م ل]) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/٢٥٢) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٩٧) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٤٦) .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اجعلِ الناسَ كالنارِ ؛ لا تَدْنُ منهم إلا عندَ الحاجةِ ، وإذا دنَوْتَ منهم فكنْ على حذرٍ ؛ كما تحذرُ مِنَ النارِ إذا قرُبْتَ منها)[1] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ خالطَ الناسَ فلا بدَّ أنْ يخرِّبوا عليهِ قلبَهُ)[2] .

وكانَ جعفرُ بنُ حميدٍ يقولُ : (مَنْ لم يَنقصْ كلَّ يومٍ مِنْ أصدقائِهِ واحداً . . فلا يفلحُ في الطريقِ)[3] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الحقُّ أنَّهُ لا بدَّ لكَ مِنَ الناسِ ، ولا بدَّ للناسِ منكَ ، فليكنْ كلٌّ منكما على حذرٍ مِنَ الآخرِ)[4] .

ولمَّا قدمَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ قالوا لسليمانَ الخواصِ : ألا تَلقى إبراهيمَ ؟ فقالَ : أخافُ إذا لقيتُهُ أنْ أتزيَّنَ لهُ بكلامٍ ؛ فأَهلِكَ .

وكانَ الحسنُ بنُ صالحٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يتحابُّونَ مِنْ بعيدٍ ، ويكرهونَ اللقاءَ) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا ينبغي لأحدٍ أنْ يعتزلَ

---

(١) روى بعضه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٨/ ١١١) من قول أبي الحسن الزيدي رحمه الله تعالى .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ نظراً) ، وسبق تخريج الخبر بنحوه (ص٦١٦) .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٢٢) من قول حفص بن حميد رحمه الله تعالى .

وفي هامش (ج) : (هـٰذا إذا خاف الغدرَ من أحد الجانبين وعدمَ مراعاة الحقوق ، فلا ينافي ما سبق [ص٦٠١] عن علي « عليكم بالإخوان » . انتهى) .

(٤) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٩٥٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٤) .

للعبادةِ إلا بعدَ كمالِ التفقُّهِ في دينِه) .

وكانَ مالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تفقَّهْ ثمَّ اعتزلْ)[1] ؛ يعني : عنِ الناسِ .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (خيرُ جلوسِ الرجلِ .. في قعرِ بيتِهِ ؛ لا يَرىٰ ، ولا يُرىٰ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ لقد حَلَّتِ العزلةُ عنِ الناسِ)[2] .

قلْتُ : يعني : وجبَتْ ؛ كما في حديثِ : « فَقَدْ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي »[3] ؛ أي : وجبَتْ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اعتزلوا عنِ الناسِ جهدَكم ؛ فإنَّهم سُرَّاقُ العقولِ) .

وكانَ أبو بكرٍ الورَّاقُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تَطْمَعْ في الأنسِ باللهِ أبداً وأنتَ تخالطُ الخَلْقَ[4] ، ولا تطمعْ في رضا اللهِ تعالىٰ وأنتَ تخالطُ الظَّلَمةَ ، ولا تطمعْ في حبِّ اللهِ لكَ وأنتَ تحبُّ الدنيا ، ولا تطمعْ في لينِ قلبِكَ وأنتَ تجفو على اليتيمِ) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٣٨) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٢٢) ، كلاهما من قول الربيع بن خثيم رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٨٨) .

(٣) رواه البخاري (٦١٤) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٤) في هامش (ج) : (أي : بقلبك وقالبك ، وإلا إذا كان بقلبه مع الله وقالبه مع الناس .. لا يقدح في أنسه بالله ، وهو حال الأكابر ، وهو معنىٰ قول السادة النقشبندية : الوحدة في الكثرة ، والله أعلم . انتهىٰ) .

وكانَ داودُ الطائيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تَصلُحُ العزلةُ إلا للزاهدينَ في الدنيا ، أمَّا الراغبونَ في الدنيا فلا فائدةَ في عزلتِهم)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ اعتزلَ عنِ الناسِ ، ولم يجعلِ الحقَّ سبحانَهُ وتعالىٰ مؤنِساً ، والقرآنَ محدِّثاً .. فقد أخطأَ الطريقَ ، ولم تصحَّ عزلتُهُ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اجعلْ جلوسَكَ في مكانٍ يكونُ أخفىٰ لشخصِكَ ، وأخفضَ لصوتِكَ) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : مَنْ لم يجالسِ الحقَّ تعالىٰ والنبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبا بكرٍ وعمرَ .. فقد خابَتْ عزلتُهُ ، فقيلَ لهُ : كيفَ يجالسُهم ؟ فقالَ : يدرسُ القرآنَ بتدبُّرٍ ، وينظرُ في أفعالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأفعالِ أصحابِهِ وأقوالِهم[2] ، فمَنْ فعلَ ذلكَ فقد حادَثَ اللهَ تعالىٰ ، وحادَثَ رسولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وأصحابَهُ رضيَ اللهُ عنهم .

ولمَّا اعتزلَ داودُ الطائيُّ رضيَ اللهُ عنهُ لامَهُ أصحابُهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنَّما اعتزلْتُ حينَ رأيْتُ الصغيرَ لا يوقِّرُ الكبيرَ ، ورأيتُ الكبيرَ يُحصي عليَّ عيوبي ؛ ليهجوَني بها حالَ سُخْطِهِ عليَّ ، فكانَ بُعدي عنهُ أَولىٰ)[3] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أقلُّ ما في العزلةِ عنِ الناسِ أنَّ الشخصَ لا يجدُ منكراً فينكرَهُ) .

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٦) من قول أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : (وأقوالهم) : الظاهر عود الضمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٦٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٤٤) .

وكانَ بشرُ بنُ منصورٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أقلِلْ مِنْ معرفةِ الناسِ جهدَكَ ؛ فإنَّكَ لا تدري ماذا يقعُ لكَ مِنَ الفضيحةِ يومَ القيامةِ ، فإذا وقعَتِ الفضيحةُ - والعياذُ باللهِ تعالى - كانَ مَنْ يعرفُكَ قليلاً)(١) .

وكانَ أيوبُ السَّخْتِيانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنَ العزلةِ عنِ الناسِ إذا خرجْتَ لحاجةٍ . . أنْ تقصِدَ المشيَ في المواضعِ القليلةِ الناسِ حتىٰ ترجعَ)(٢) .

وكانَ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ولدٌ اسمُهُ عبدُ اللهِ ، لا يخرجُ مِنَ السردابِ الذي يجلسُ فيهِ إلا أوقاتَ الصلاةِ(٣) .

قالوا : ولعلَّهُ القبرُ الذي كانَ والدُهُ حفرَهُ لهُ أيامَ ولايتِهِ ، كانَ ينزلُهُ مِنْ بعدِ العشاءِ ، فلا يزالُ يصلي ويبكي إلى الصباحِ .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (هٰذا زمانُ السكوتِ ، وملازمةِ البيوتِ ، والرضا بالقوتِ إلى أنْ تموتَ)(٤) .

وكانَ مكحولٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنْ كانَ في مجالسةِ الناسِ خيرٌ . . فالعزلةُ عنهم أسلمُ للدِّينِ)(٥) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اجتمعْتُ بأبي حبيبٍ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٨٩) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٤٢) .

(٣) في هامش (ج) : (السرداب بالكسر : بناء تحت الأرض للصيف ، معرَّب ، كذا في « القاموس » [س ر د ب] ، وهو في بغداد كثير ، قلَّما يخلو بيت منه . انتهىٰ) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٩٦) .

(٥) في هامش (أ) : (بلغ) ، وروى الخبر البيهقي في « الزهد الكبير » (١٢٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/ ٢٢١) .

البدويِّ ، فقالَ لي : يا سفيانُ ؛ ما رأينا خيراً قطُّ إلا مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فما لنا لا نُقبِلُ علىٰ مَنْ لم نرَ الخيرَ إلا منهُ ؟!)[1] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (رأيتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ بالشامِ ، فقلْتُ لهُ : يا أبا إسحاقَ ؛ إنَّكَ قد تركْتَ خراسانَ وجلسْتَ ها هنا ؟! فقالَ : نعم ، ما هنَأني العيشُ إلا هنا ؛ أفرُّ بديني مِنْ جبلٍ إلىٰ جبلٍ ، ومِنْ وادٍ إلىٰ وادٍ ، فمَنْ رآني قالَ : إنَّني ملَّاحٌ أو جمَّالٌ أو موسوِسٌ)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم دواءٌ يُستشفىٰ بهم ، وصاروا اليومَ داءً لا دواءَ لهُ)[3] .

وكانَ حمَّادٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (زرْتُ مالكَ بنَ دينارٍ ، فرأيتُ عندَهُ كلباً واضعاً حنكَهُ علىٰ ركبةِ مالكٍ ، فذهبْتُ أطرُدُهُ ، فقالَ لي : دعْهُ ؛ فإنَّهُ خيرٌ مِنْ جليسِ السوءِ الذي يستغيبُ الناسَ عندي ويُحمِّلني الآثامَ)[4] .

ولمَّا قدمَ ابنُ المباركِ سألَ عن محمدِ بنِ واسعٍ[5] ، فلم يُعرفْ ، فقالَ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٨٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٦٩) من قول شقيق البلخي رحمه الله تعالىٰ .
وفي هامش (ج) : (الملّاح : السفَّان ؛ وهو الذي يُجري السفينة ، « مصباح » [م ل ح]) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٦) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٨) .

(٥) في (هـ) : (عبد الله بن المبارك) بدل (ابن المبارك) ، ولعلَّ مراد المصنف أن عبد الله بن المبارك سأل عن محمد بن واسع بعد وفاته ؛ إذ ولد عبد الله بن المبارك عام (١١٨)هـ ، وتوفي محمد بن واسع عام(١٢٣)هـ ، أو أن المراد بابن المبارك غير عبد الله بن المبارك ، والله أعلم .

(مِنْ فضلِهِ أنَّهُ لم يُعرفْ) ، وازدادَ فيهِ محبَّة وتعظيماً .

وقالَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (رأيتُ رجلاً معتزلاً عنِ الناسِ ، فقلتُ لهُ : ألا تخالطُ الناسَ ؟ فقالَ : أنا مشغولٌ عنهم بما هو أهمُّ ، فقلْتُ لهُ : وما ذاكَ ؟! فقالَ : إنِّي أصبحُ كلَّ يومٍ بينَ نعمةٍ وبينَ ذنبٍ ، فأنا مشغولٌ بالشكرِ لأجلِ النعمةِ ، وبالاستغفارِ لأجلِ الذنبِ ، فقلْتُ لهُ : أنتَ أفقهُ مِنَ الحسنِ ، اجلسْ وحدَكَ)(١) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ سخافةِ عقلِ الرجلِ كثرةُ معارفِهِ)(٢) .

وقالوا لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : ألا تخالطُ الناسَ ، فتأمرَهم بالمعروفِ ؟ فقالَ : عدمُ لقائِهم يُسقِطُ ذلكَ عنِّي .

وقالوا لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً : ألا تجالسُ الناسَ ؟ فقالَ : إنِّي لم أتفرَّغْ لهم(٣) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّما طلبوا العزلةَ والوحدةَ ؛ لأنَّها تورِثُ الانتباهَ مِنْ رَقْدةِ الغفلةِ ، وتورثُ كثرةَ مراقبةِ اللهِ بالغيبِ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِ استطعْتَ أنْ تمشيَ للناسِ ولا يمشوا

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٩٦) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/٢٥٢) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٣٨) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٨٨) من قول الربيع بن أبي راشد رحمه الله تعالىٰ .

لكَ ، وتسألَهم ولا يسألوكَ . . فافعلْ)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أحبَّ عبدٌ ربَّهُ إلا أحبَّ ألا يشعرَ أحدٌ بهِ)[2] .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنِّي لألقى الرجلَ فلا يسلِّمُ عليَّ ، فأرىٰ لهُ الفضلَ عليَّ بذلكَ ، وكذلكَ أرىٰ لهُ الفضلَ إذا مرضْتُ ولم يَعُدْني)[3] .

ودخلَ رجلٌ مهاجمةً على الفضيلِ رضيَ اللهُ عنهُ[4] ، فقامَ الفضيلُ على الفورِ وتركَهُ ، فقالَ لهُ الرَّجلُ : ما لكَ ؟! فقالَ : هل تريدُ إلا أنْ تتزيَّنَ لي ، وأتزيَّنَ لكَ ، وتكذبَ لي ، وأكذبَ لكَ ؟![5] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (فِرَّ مِنَ الناسِ غيرَ تاركٍ للجمعةِ والجماعةِ)[6] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا أجدُ لذَّةً ولا راحةً إلا إذا جلسْتُ وحدي) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٢٩٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٤٠) ، كلاهما بنحوه من طريق ابن محيريز رحمه الله تعالىٰ عن رجل لم يسمِّه .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٦٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٥٠٨) ، كلاهما بنحوه من قول ذي النون رحمه الله تعالىٰ فيما ينقله عن بعض الحكماء .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٩٣٩) من قول بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في هامش (ج) : (أي : دخل عليه بغتة علىٰ غفلة منه . انتهىٰ) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٠) .

(٦) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٢٤) من قول داود الطائي رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم ورقٌ لا شوكَ فيهِ ، وها همُ اليومَ شوكٌ لا ورقَ فيهِ)[١] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قالَ لي سفيانُ الثوريُّ في حالِ حياتِهِ وحينَ رأيتُهُ بعدَ وفاتِهِ في منامي : أقلِلْ مِنْ معرفةِ الناسِ جهدَكَ ؛ فإنَّ التخلُّصَ منهم شديدٌ ، ولم يرَ الإنسانُ ما يكرهُ إلا ممَّنْ يعرفُهُ)[٢] .

وقيلَ مرةً لإبراهيمَ بنِ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ : ألا تجالسُ الناسَ ؟ فقالَ : أينَ الناسُ ؟ ذهبَ الناسُ ، وبقيَ النسناسُ ، وما أراهم بالناسِ ، بل غُمسوا بماءِ الناسِ . انتهىٰ[٣] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واعتزلْ عنِ الناسِ جهدَكَ ، وقد سمعْتَ مقالاتِهم في المئةِ الثانيةِ ، فكيفَ بكَ وأنتَ في المئةِ العاشرةِ ؟! وإياكَ أنْ يلعبَ بكَ إبليسُ ويقولَ لكَ : أنتَ بحمدِ اللهِ وصلْتَ في المقامِ إلىٰ حدٍّ لا يَشغَلُكَ شيءٌ عن ربِّكَ ؛ فإنَّ ذلكَ مِنْ دسائسِ إبليسَ ؛ فإنَّكَ بيقينٍ أَدْونُ مِنْ هٰؤلاءِ السلفِ في المقامِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه الإمام مالك في « الموطأ » برواية محمد بن الحسن (٩٧٩) ، وابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٣) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٣) ، كلاهما بنحوه مختصراً .

(٣) في (هـ) : (اليأس) بدل (الناس) ، والخبر رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٣١٤) .

[الزِّيادة في التَّواضع عند التَّرقي في المقامات]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : زيادتُهم في التواضعِ كلَّما ترقَّىٰ أحدُهم في المقاماتِ ، عكسُ حالِ مَنْ قَرُبَ مِنَ السِّراجِ ؛ فإنَّ الشخصَ كلَّما قرُبَ منهُ رأىٰ نفسَهُ كبيراً ، وهـٰؤلاءِ القومُ كلَّما قرُبوا مِنْ حضرةِ الحقِّ رأَوا نفوسَهم أصغرَ مِنَ البعوضةِ ؛ مِنْ شهودِهم عظمةَ اللهِ تعالىٰ ؛ ولذلكَ طُردَ إبليسُ مِنَ الحضرةِ لمَّا تكبَّرَ ، وقالَ : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف : ١٢] ، فافهمْ .

فكلُّ فقيرٍ رأيتَهُ يا أخي متكبِّراً فابعُدْ عنهُ ؛ فإنَّهُ عدوٌّ للهِ ؛ كما قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما : (أوحى اللهُ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ : يا موسىٰ ؛ أَبْغَضُ خلقي إليَّ مَنْ تكبَّرَ قلبُهُ ، وغَلُظَ لسانُهُ ، وبخلَتْ يدُهُ ، وساءَ خُلقُهُ)(١) .

وكانَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما تكبَّرَ إلا وضيعٌ ، ولا افتخرَ إلا سقيطٌ ، ولا تعصَّبَ بالباطلِ إلا دنيءُ الأصلِ)(٢) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لوِ اجتمعَ جميعُ الخلقِ علىٰ أنْ يُنزِلوني عن شهودِ حقارةِ نفسي . . لَمَا استطاعوا ذلكَ)(٣) .

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٨٥) .

(٢) أورده الثعالبي في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٨٢) من قول أبي مسلم الخراساني لا الخولاني .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٤) .

وكانَ أيوبُ السَّخْتِيانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قد طلبَ قومٌ الارتفاعَ ، فوضعَهمُ اللهُ تعالىٰ ، وأرادَ قومٌ الاتِّضاعَ ، فرفعَهمُ اللهُ تعالىٰ)(١) .

ولمَّا قدمَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى الرَّملةِ(٢) . . أرسلَ إليهِ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ؛ أنْ تعالَ فحدِّثْنا ، فقالوا لهُ : ترسلُ إلىٰ مثلِ سفيانَ أنْ يأتيَكَ ؟! فقالَ : نعم ، أردْتُ أنْ أريَكم شدَّةَ تواضعِهِ ، ثمَّ جاءَ سفيانُ ، وحدَّثَ الناسَ(٣) .

قالَ سليمانُ الخواصُ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يشبهُ إبراهيمَ الخليلَ في الكرمِ وحُسنِ الخُلُقِ)(٤) .

وكانَ عروةُ بنُ الزبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عليكم بالتواضعِ ؛ فإنَّهُ نعمةٌ عظيمةٌ ، ولا يحسدُكم أحدٌ عليها)(٥) .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ تكبَّرَ بغيرِ حقٍّ حُرِمَ الفهمَ في القرآنِ ، ومَنِ اكتسبَ عزاً بغيرِ حقٍّ أورثَهُ ذلكَ ذلّاً بحقٍّ)(٦) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الزاهدُ بغيرِ تواضعٍ كالشجرةِ

---

(١) رواه بنحوه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٧/ ٢٤٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٠) .

(٢) في هامش (ج) : (الرملة : اسم بلدة قرب القدس . انتهىٰ) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٩٧١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٦٧) .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢٨٩) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٨٥) ، وروى الشطر الأول منه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ١٨٦) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٦) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٠٨) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٥٨) .

التي لا تثمرُ ، ومَنْ لم يتَّضعْ عندَ نفسِهِ لم يرتفعْ عندَ غيرِهِ)[١] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما لا يحبسُ عن مائدتِهِ أجذمَ ، ولا أبرصَ ، ولا مبتلىً ، بل يُقعِدُهم على مائدتِهِ ، ويأكلُ معَهم[٢] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأسُ التواضعِ أنْ ترضىٰ بأدونِ المجالسِ لا لحظِّ نفسٍ ؛ فقد يجلسُ أحدُهم عندَ النِّعالِ ومعَهُ مِنَ الكبرِ ما اللهُ بهِ عليمٌ ، وما حمَلَهُ على الجلوسِ عندَ النِّعالِ إلا ليقالَ : هو متواضعٌ)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ كثيراً : (مِنْ علامةِ تواضعِكَ : أنْ تكرهَ ذِكرَكَ بالبرِّ والتقوىٰ بينَ الناسِ) .

وكانَ ابنُ السمَّاكِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أفضلُ التواضعِ ألَّا ترىٰ لك فضلاً علىٰ أحدٍ ، وترىٰ فضلَ الناسِ عليكَ ؛ فتُفضِّلَ كلَّ مَنْ رأيتَهُ مِنْ أقرانِكَ علىٰ نفسِكَ بقلبِكَ ، وترجوَ رحمتَهُ ، وتطلبَ دعوتَهُ ، وتظنَّ أنَّ بتوسُّلِكَ بهِ يدفعُ اللهُ عنكَ البلايا ، فهٰذا هو التواضعُ الأكبرُ)[٤] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (أحقُّ الناسِ بخدمتِهِ للناسِ . . العالمُ) .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٤٨٤) من قول زياد النمري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦١١) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (٥٦) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٩١) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١١٦٤) .

(٤) رواه مختصراً أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٣٨) من قول يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ .

وقد كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ مِنْ بني عجلٍ ؛ قبيلةٍ شريفةٍ مِنَ العربِ[١] ، وما كانَ يذكرُ قبيلتَهُ قطُّ .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّ منادياً نادىٰ ببابِ المسجدِ : ليخرجْ شرُّكم رجلاً . . ما سبقَني أحدٌ إلى البابِ ، إلا مَنْ لهُ فضلُ قوةٍ عليَّ) ، قالَ ابنُ المباركِ : (وبهـٰذا صارَ مالكٌ مالكاً)[٢] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يُخرِجُ اللهُ تعالى المتكبرَ مِنَ الدنيا حتىٰ يريَهُ الهوانَ مِنْ أرذلِ أهلِهِ وخدَّامِهِ ، ويتمرَّغَ في بولِهِ وقذرِهِ قبلَ أنْ يموتَ) .

وكانَ أبو ترابٍ النخشبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تحقيرُ الفقيرِ هو عينُ الكِبْرِ ، والوقوعُ في حقِّ الفقراءِ مِنْ أخلاقِ الكلابِ) .

ودخلَ أبو ساسانَ رحمَهُ اللهُ علىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بعدَ أنْ وقفَ على البابِ مِنْ بعيدٍ ، فبلغَ ذلكَ عبدَ الملكِ ، فقالَ : لِمَ وقفْتَ بعيداً ؟ فقالَ : لَأنْ أُدعىٰ مِنْ بعيدٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُدفعَ مِنْ قريبٍ[٣] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يلبسُ الحلَّةَ بألفِ دينارٍ قبلَ أنْ يَلِيَ الخلافةَ[٤] ، ويقولُ : ما أجودَها لولا خشونةٌ فيها ! فلمَّا استُخلفَ كانَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢٨٠) .
(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٤٨٤) .
(٣) أورده بنحوه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/٣٠٦) من قول الأحنف بن قيس رحمه الله تعالىٰ .
(٤) في هامش (ج) : (**الحُلَّة** : لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد ، والجمع : حُلل ؛ كغُرفة وغُرف . انتهىٰ) .

يلبسُ الحلَّةَ بخمسةِ دراهمَ ، فيقولُ : ما أليَنها ! فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّ نفسي كانَتْ تطلبُ الرفعةَ ، فلمَّا وليتُ الخلافةَ التي هي أرفعُ مقامٍ عندَ أهلِ الدنيا . . طلبَتْ ما عندَ اللهِ تعالىٰ ، وزهدَتْ في الدنيا . انتهىٰ[1] .

قالوا : وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ لا يسجدُ علىٰ بساطٍ ولا حصيرٍ ، بل على الترابِ[2] .

وكانَ عبدُ اللهِ الرسميُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لم يفرضِ اللهُ عزَّ وجلَّ الركوعَ والسجودَ بالأصالةِ إلا على المتكبرينَ مِثْلي ومِثْلِ فرعونَ ونمرودَ وأنوشروانَ) .

وكانَ يحيى بنُ خالدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الشريفُ إذا تعبَّدَ تواضعَ ، والسفيهُ إذا تعبَّدَ تعاظمَ)[3] .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ وهو أميرُ المدينةِ في أيامِ مروانَ . . يحملُ حُزمةَ الحطبِ مِنَ السوقِ علىٰ رأسِهِ ، ويقولُ : (أوسِعُوا لأميرِكم)[4] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يسرعُ في المشيِ ، ويقولُ : (هو أبعدُ مِنَ الزَّهْوِ والعُجبِ ، وأسرعُ إلى الوصولِ للحاجةِ)[5] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٢٣) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٥٢٩ـ٥٣٠) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٨١) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٥٥٤) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٤٨٦) ورواه الدينوري في « المجالسة » (١٦٠٥) بلفظ : (تقرَّى) بدل (تعبَّد) ، **وتقرَّى** : أُضيف .

(٤) رواه بنحوه أبو داود في « الزهد » (٢٨٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٤) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٨٣٦) من قول ابن عمر رضي الله عنهما .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يخدمُ الضيفَ بنفسِهِ ، ويُصلِحُ لهُ السِّراجَ في الليلِ ، ولا ينبِّهُ أحداً مِنَ الخدَّامِ يفعلُ ذلكَ(١) .

وفي الحديثِ : « إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لَمْ يَرْفَعْ طَرْفَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ تَخَشُّعاً مَعَ مَا أَعْطَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنَ ٱلْمُلْكِ حَتَّىٰ قُبِضَ »(٢) .

وفي الحديثِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يأكلُ معَ الخادمِ(٣) ، ويطحنُ معَها إذا عَيِيَتْ ، وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يحملهُ الحياءُ أنْ يحملَ بضاعتَهُ مِنَ السوقِ إلىٰ أهلِهِ ، وكانَ يصافحُ الغنيَّ والفقيرَ ، ولمَّا حجَّ ورمىٰ جمرةَ العقبةِ لم يكنْ بينَ يديهِ ضربٌ ، ولا طردٌ ، ولا (إليكَ إليكَ)(٤) .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٣٢) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٧٦) من زوائد نعيم بن حماد ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤١١) .

(٣) يطلق الخادم علىٰ من يقوم بالخدمة سواء أكان غلاماً أم جارية . انظر « المصباح المنير » (خ د م) .

(٤) **يشهد لذلك أحاديث كثيرة ؛ منها** : ما رواه البخاري (٢٥٥٧) ، ومسلم (١٦٦٣) ـ واللفظ له ـ من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صنع لأحدكم خادمُه طعامَه ، ثم جاءه به ، وقد وَلِيَ حرَّه ودخانه . . فليُقعِدْه معه ؛ فليأكل . . . » الحديث .

ومن ذلك أيضاً : ما رواه البخاري (٦٧٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أنَّها سُئِلت : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : (كان يكون في مَهْنَة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة) .

ومن ذلك أيضاً : ما رواه الترمذي (٩٠٣) ، والنسائي (٥/ ٢٧٠) ، وابن ماجه (٣٠٣٥) من حديث سيدنا قدامة بن عبد الله رضي الله عنه قال : (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي الجمار على ناقة ليس ضرب ، ولا طرد ، ولا إليك إليك) .

[عدم التهاون بشيءٍ رغّب الشّارع في فعله]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : عدمُ التهاونِ بشيءٍ مِنَ الفضائلِ التي رغَّبَنا الشارعُ في فعلِها ، وإكثارُهم منها ، وشهودُهم أنَّها وإنْ كانَتْ كثيرةَ العددِ . . فلا يحصلُ لهم منها أجرُ فضيلةٍ كاملةٍ .

وكانَ يحيى بنُ أبي كثيرٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ بلغَهُ عنِ اللهِ شيءٌ فعملَ بهِ إيماناً بهِ . . أعطاهُ اللهُ أجرَ ذلكَ وإنْ لم يكنْ كذلكَ)(١) .

ورأىٰ رجلٌ كثرةَ عبادةِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ، فتمنَّىٰ أنْ يكونَ مثلَهُ ، فبلغَ ذلكَ إبراهيمَ رحمَهُ اللهُ ، فقالَ : (واللهِ ؛ لروعةٌ ترُوعُكَ علىٰ عيالِكَ أفضلُ مِنْ جميعِ ما أنا فيهِ)(٢) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يُكثِرُ مِنْ فعلِ الطاعاتِ ، ويقولُ : (ليسَ لأمثالِنا نوافلُ ، إنَّما النوافلُ لمَنْ كَمَلَتْ فرائضُهُ)(٣) .

وكانَ سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَثَلُ الذي يُكثِرُ الفضائلَ ، ولا يُكمِلُ الفرائضَ . . كمَثَلِ تاجرٍ خسرَ رأسَ مالِهِ وهو طالبٌ للربحِ)(٤) .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (إنَّ صاحبَ الدَّينِ لا يقبلُ

---

(١) رواه بنحوه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٩٣) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (٢٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢١) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٧٢) من قول ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٠) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

الهديةَ مِنَ المِدْيانِ إلا بعدَ وفاءِ دينِهِ كلِّهِ) .

وكانَ عبيدُ بنُ عميرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما مِنْ عبدٍ يضعُ جنبَهُ على الفراشِ ، ويذكرُ اللهَ تعالىٰ حتىٰ يأخذَهُ النومُ . . إلا كُتبَ ذاكراً للهِ تعالىٰ حتىٰ يستيقظَ)(١) .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم أنْ تطلبوا ثواباً علىٰ عبادتِكم ؛ فإنَّها إلى الردِّ أقربُ منها إلى القبولِ ، أَمَا ترونَ إلىٰ قولِ الخليلِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لمَّا بنى البيتَ : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ [البقرة : ١٢٧] ، فخافَ ألا يُقبلَ بناؤُهُ ؟!)(٢) .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ استخفَّ بالنوافلِ استخفَّ بالفرائضِ) .

وكانَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يكرهُ عدَّ الآيِ والأذكارِ إلا إنْ كانَ لها عددٌ مشروعٌ . انتهىٰ(٣) .

فأكثِرْ يا أخي مِنَ النوافلِ والفضائلِ ، ولا تَمَلَّ مِنْ ذلكَ ، ولا تَرَ بعدَ ذلكَ أنَّكَ قمْتَ بواجبِ شكرِ نعمةٍ واحدةٍ مِنْ نعمِ اللهِ عليكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(٤) .

---

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٩٦) ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٢٧) من قول خالد بن معدان رحمه الله تعالى .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٩) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧٧٤٩ ، ٧٧٥٢) .

(٤) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه**) .

[كثرة التوبة والاستغفار ليلاً ونهاراً]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ التوبةِ والاستغفارِ ليلاً ونهاراً ؛ لشهودِهم أنَّهم لا يَسْلَمونَ مِنَ الذنبِ في فعلٍ مِنَ الأفعالِ حتىٰ في طاعتِهم ، فيستغفرونَ مِنْ نقصِهم مِنْ خشوعِها ، ومِنْ مراقبةِ اللهِ فيها .

وقد درجَ علىٰ ذلكَ السلفُ كلُّهم ، خلافُ ما عليهِ غالبُ متصوِّفةِ هـٰذا الزمانِ ، حتىٰ إنِّي سمعْتُ بعضَهم يقولُ : نحنُ قومٌ لا ذنوبَ علينا بحمدِ اللهِ ، فقلْتُ لهُ : كيفَ ذلكَ ؟! فقالَ : لأنَّنا نشهدُ أنَّ اللهَ تعالىٰ هو الفاعلُ لا نحنُ ، فقلْتُ لهُ : فإذاً وجبَ عليكَ الاستغفارُ ؛ لأنَّكَ هدمْتَ جميعَ أركانِ الشريعةِ ، وأبطلْتَ حدودَها ، ولو كنتُ ذا سلطانٍ لضربْتُ عنقَ مثلِ هـٰذا ؛ فإنَّ الأنبياءَ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ وجميعَ الأكابرِ . . كانوا يشهدونَ أنَّ اللهَ تعالىٰ هو الخالقُ لأفعالِهم ، ومعَ ذلكَ استغفروا وبكَوا حتىٰ نبتَ العشبُ مِنْ دموعِهم ، وكانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يقولُ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِدَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ ؛ فَإِنَّ دَاءَكُمُ ٱلذُّنُوبُ ، وَدَوَاءَكُمُ ٱلِٱسْتِغْفَارُ »[١] .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : العَجَبُ ممَّنْ يقنطُ ومعَهُ النجاةُ ! قيلَ : وما هيَ ؟ فقالَ : كثرةُ الاستغفارِ[٢] .

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٤٦) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٢٠٧) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (استغفارُ اللهِ تعالىٰ بلا إقلاعٍ . . توبةُ الكذَّابينَ)[1] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إلٰهي ؛ إنَّ إبليسَ لكَ عدوٌّ ، وهو لنا عدوٌّ ، وإنَّكَ لا تَغِيظُهُ بشيءٍ هو أنكىٰ لهُ مِنْ عفوِكَ عنَّا ؛ فاعفُ عنَّا برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ)[2] .

وكانَ الأنطاكيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (تركُ معصيةٍ واحدةٍ وإنْ صَغُرَتْ . . أرجىٰ للرحمةِ مِنْ ألفِ حِجةٍ ، وألفِ غزوةٍ ، وألفِ رقبةٍ يُعْتِقُها العبدُ للهِ تعالى) ، وفي روايةٍ : (إنَّ تركَ كَذْبةٍ واحدةٍ ، أو خُلفِ وعدٍ ، أو نظرةٍ إلىٰ ما لا يَحِلُّ . . أرجىٰ للرحمةِ والمغفرةِ مِنْ كثرةِ النوافلِ معَ الكذبةِ أوِ النظرةِ أو خُلفِ الوعدِ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**أربعٌ لا يَعبأُ بهم عاقلٌ** : زهدُ الخِصْيانِ ـ أي : في الجماعِ ـ ، ونسكُ النساءِ ، وتوبةُ الجنديِّ ، وقراءةُ الصبيانِ) ، وفي روايةٍ : (وعبادةُ الصبيانِ)[3] .

وكانتْ رابعةُ العدويةُ تقولُ : (استغفارُنا يحتاجُ إلى استغفارٍ)[4] ؛ **يعني** : مِنْ عدمِ الصدقِ فيهِ .

---

(١) أورده عنه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٤٠٦) ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٧٧) من قول ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ٩٧) .

(٣) أورده الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٢/ ١٧٢) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٨٩) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٤٠٦) .

وكانَ خالدُ بنُ معدانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يمرُّ التوابونَ علىٰ جهنَّمَ ، فلا يرونَها ؛ فيقولونَ : يا ربَّنا ؛ ألم تَعِدْنا أنَّنا نَرِدُ النارَ ؟! فيُقالُ لهم : إنَّكم مررْتُم عليها وهي خامدةٌ ؛ لكونِكم كنتُم تائبينَ ؛ فإنَّها لا تهيجُ إلا مِنَ الذنوبِ والإصرارِ عليها)(١) .

وأجمعَ أهلُ السنةِ علىٰ صحَّةِ توبةِ العبدِ مِنَ القتلِ ، ومِنْ أخذِ المالِ بغيرِ حقٍّ ، ومِنْ شربِ الخمرِ ، وسائرِ المعاصي .

وسُئلَ مسروقٌ رضيَ اللهُ عنهُ : هل لقاتلِ المؤمنِ توبةٌ ؟ فقالَ : لا أغلقُ باباً فتحَهُ اللهُ تعالىٰ(٢) .

وكانَ أبو الجوزاءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ العبدَ ليذنبُ الذنبَ فلا يزالُ نادماً حتىٰ يدخلَ الجنةَ ، فيقولُ إبليسُ : يا ليتني لم أوقعْهُ فيهِ)(٣) .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خيارُكم كلُّ مذنبٍ توَّابٍ ، ثمَّ يتلو : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢])(٤) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : لا يقلْ أحدُكم : أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ ؛ فيكونَ ذلكَ ذنباً وكذباً إنْ لم يفعلْ ، ولـٰكنْ لِيقلِ : اللهمَّ ؛ اغفرْ لي ، وتبْ عليَّ ، فقيلَ لهُ : إنَّ قولَ العبدِ : أستغفرُ اللهَ . . وردَ في

---

(١) رواه مختصراً ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٥٧٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢١٢) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٨٣١٧) من قول مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥٢) من غير نسبة .

(٤) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه نفع الله المسلمين ببركاته ومدده**) ، والخبر رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التوبة » (١٧٧) .

السنةِ ! فقالَ : ذلكَ في حقِّ الصادقينَ[1] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (ما بلغَني في كتابٍ ولا سنةٍ ، ولا بلغَ علمي أنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ : الذنبُ لا أغفرُهُ) .

قلْتُ : لعلَّ مرادَهُ رضيَ اللهُ عنهُ . . عدمُ ورودِ هـٰذا اللفظِ بخصوصِهِ ، وإلا ففي القرآنِ العظيمِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ٤٨] ؛ فيُحمَلُ كلامُهُ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ ذنوبِ أهلِ الإسلامِ ؛ كما حَملَ العلماءُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] علىٰ ذلكَ .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ يقولُ : (ما شربَ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ شراباً بعدَ الذنبِ إلا ونصفُهُ ممزوجٌ بدموعِ عينيهِ)[2] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (دخلْتُ علىٰ جاري وهو مريضٌ ، وكانَ مسرفاً علىٰ نفسِهِ ، فقلْتُ لهُ : عاهِدِ اللهَ أنْ تتوبَ ؛ عسىٰ أنَّهُ يشفيكَ ، فقالَ : هيهاتَ يا أخي ؛ أنا ميتٌ ، فسمعْتُ قائلاً يقولُ مِنْ ناحيةِ البيتِ : إنْ كانَ عهدُهُ كعهدِكَ معَنا فلا فائدةَ فيهِ ؛ فإنَّكَ قد عاهدْتَنا مراراً ، فوجدْناكَ كاذباً) ، فغُشِيَ علىٰ مالكٍ[3] .

وكانَ طَلْقُ بنُ حبيبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ حقوقَ اللهِ تعالىٰ أعظمُ مِنْ أنْ يقومَ بها العبادُ ، وإنَّ نعمةَ اللهِ أكثرُ مِنْ أنْ يحصوها ،

---

(١) رواه الطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٦٩٤٨) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/٤٠٦) .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٣) ، وأورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٦٤) ، ولا بد من الإشارة إلى أن الأنبياء عليهم صلاة الله وسلامه معصومون .

(٣) سبق تخريجه (ص١٦٨) .

ولـٰكنْ أصبِحُوا تائبينَ وأمسُوا تائبينَ)[1] .

وكانَ ذو النونِ المصريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ رزقَنا فوقَ قُوتِنا ، وكلَّفَنا دونَ قُوَّتِنا ، فلم نكتفِ بما رزقَنا مِنَ القُوتِ ، ولم نبذلْ قوَّتَنا فيما كلَّفَنا) .

وكانَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ لم يتبْ كلَّ صباحٍ ومساءٍ . . فهو مِنَ الظالمينَ)[2] .

وقيلَ للحسنِ البصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما تقولُ فيمَنْ يتوبُ ثمَّ ينقضُ ، ثمَّ يتوبُ ثمَّ ينقضُ ، وهـٰكذا ؟ فقالَ : ما أراهُ إلا مؤمناً فعلَ أخلاقَ المؤمنينَ[3] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (زلَّةٌ واحدةٌ بعدَ التوبةِ . . أقبحُ مِنْ سبعينَ زلَّةً قبلَها)[4] .

وسئلَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما علامةُ التوبةِ النصوحِ ؟ فقالَ : **علامتُها أربعةُ أشياءَ** : قلَّةُ الدنيا ، وذلَّةُ النفسِ ، وكثرةُ التقرُّبِ إلى اللهِ تعالىٰ بالطاعاتِ ، ورؤيةُ العلَّةِ والنقصِ في ذلكَ .

وكانَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّ مذنباً طافَ علىٰ سائرِ المجالسِ والأبوابِ وهو يقولُ : استغفروا اللهَ تعالىٰ لي . . لكانَ ذلكَ أَولىٰ لهُ مِنْ سؤالِهِ منهمُ اللقمةَ والخَلَقةَ ونحوَهما)[5] .

---

(1) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٦٥) .
(2) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١١٦) .
(3) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٠١) .
(4) رواه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٠٤) .
(5) **أراد بالخلَقة** : الثوب البالي ، وانظر « المصباح المنير » (خ ل ق) .

وسُئِلَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ التائبِ ؛ مَنْ هو ؟ فقالَ : (مَنْ تابَ أيَّامَ شبابِهِ ، ولزمَ الفِطامَ حتىٰ أتاهُ الحِمامُ[1] ، وليسَتِ التوبةُ توبةَ الشيوخِ ؛ لخمودِ نارِ شهوتِهم عنِ المعاصي ، وإنْ كانَ اللهُ تعالىٰ وعدَ بقبولِها حتىٰ تطلعَ الشمسُ مِنْ مغربِها) .

وكانَ سعيدُ بنُ المسيبِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نزلَتْ هٰذهِ الآيةُ : ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٥] في الرجلِ يذنبُ ثمَّ يتوبُ ، ثمَّ يذنبُ ثمَّ يتوبُ)[2] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : يا داودُ ؛ بشِّرِ المذنبينَ أنَّهم إنْ تابوا قَبِلْتُ توبتَهم ، وحذِّرِ الصدِّيقينَ أنِّي إنْ وضعْتُ عليهم عدلي عذَّبْتُهم)[3] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ حبيبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّكم لن تُطيقوا غضبَ اللهِ عليكم كلَّما عصيتموهُ ؛ فأمسُوا تائبينَ ، وأصبِحُوا تائبينَ)[4] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مَنْ وقعَ في خطيئةٍ ، ثمَّ تذكَّرَها ، فوجِلَ منها قلبُهُ . . مُحيَتْ عنهُ مِنْ أمِّ الكتابِ)[5] .

---

(١) **الحِمام** : قَدَرُ الموتِ . انظر « القاموس المحيط » (ح م م) .
وفي هامش (ج) عند قوله : (**الفِطام**) : (بالكسر : في الأصل فصل الأم الصبيَّ من اللبن ، **والمراد به هنا** : منع الرجل نفسه عن الشهوات والمحرمات . انتهى) .

(٢) رواه أبو داود في « الزهد » (٤١٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٦٥) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٩٥) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٩٩٣) من قول طلق بن حبيب رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أورده عنه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥١) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا =

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لمَنْ خرجَ في جهادٍ : (عليكم بالتوبةِ ؛ فإنَّها تردُّ عنكم ما لا تردُّهُ السيوفُ) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لمَّا عاينَ قومُ يونسَ العذابَ.. قامَ رجلٌ فقالَ : اللهمَّ ؛ إنَّ ذنوبي عَظُمَتْ وجَلَّتْ ، وأنتَ أعظمُ منها وأجلُّ ؛ فافعلْ بنا ما أنتَ أهلُهُ ، ولا تفعلْ بنا ما نحنُ أهلُهُ ، فكشفَ اللهُ تعالىٰ عنهمُ العذابَ)[(١)] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في مناجاتِهِ بالليلِ : (إلـٰهي ؛ إنَّ خطيئتي تعذِّبُني ، وتوبتي تُذَوِّبُني ، فعيشي طولَ دهري بينَ تعذيبٍ وتذويبٍ) .

وكانَ حبيبُ بنُ أبي تمامٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ[(٢)] : (مَنْ وقعَ في ذنبٍ ، ثمَّ خافَ مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يعذِّبَهُ عليهِ.. غفرَهُ اللهُ لهُ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ للجنَّةِ ثمانيةَ أبوابٍ ؛ كلُّها تُفتحُ وتُغلقُ إلا بابَ التوبةِ ؛ فإنَّ عليهِ ملكاً موكَّلاً بهِ لا يدعُهُ يُغلَقُ ، فاعملوا ولا تيئسوا)[(٣)] .

وكانَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ القاسمِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (تذاكرْنا في إسلامِ

= في « التوبة » (١١٧) من قول سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٥٨) .

(٢) في (هـ ، د) : (حبيب بن تمام) بدل (حبيب بن أبي تمام) ، ولم أقف على ترجمته .

(٣) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٠٤٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٥٦) .

الكافرِ ، وأنَّهُ يُغفرُ لهُ ما مضىٰ ، فقلْتُ : إنِّي لأرجو أنْ يكونَ المسلمُ أولىٰ بذلكَ عندَ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ توبةَ المسلمِ كإسلامٍ بعدَ إسلامٍ)[١] ؛ أي : كتكرارِهِ الشهادتَينِ .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا أحدِّثُكم إلا عن كتابٍ مُنزلٍ ، أو نبيٍّ مرسَلٍ : إنَّ العبدَ إذا عملَ ذنباً ، ثمَّ ندمَ عليهِ طرفةَ عينٍ ، واستغفرَ اللهَ تعالىٰ . . سقطَ عنهُ أسرعَ مِنْ طرفةِ عينٍ)[٢] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (جالسوا التوَّابينَ ؛ فإنَّهم أرقُّ أفئدةً)[٣] .

وفي الحديثِ : « مَا أَصَرَّ مَنِ ٱسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي ٱلْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً »[٤] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما ألهمَ اللهُ تعالىٰ عبداً الاستغفارَ وهو يريدُ أنْ يعذِّبَهُ)[٥] .

وسُئلَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ عن معنىٰ قولِ العبدِ : أستغفرُ اللهَ العظيمَ ، فقالَ : **معناهُ** : اللهمَّ ؛ أَقِلْني مِنْ ذنبي[٦] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥٢) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣/ ١٦٥) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥٢ـ٥٣) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٠٦) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٦٣١) .

(٤) رواه أبو داود (١٥١٤) ، والترمذي (٣٥٥٩) من حديث سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٤٠٦) من غير نسبة .

(٦) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٦٤) .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ قدَّمَ الاستغفارَ على النّدمِ . . كانَ كالمستهزئِ باللهِ ولا يشعرُ ؛ فإنَّها توبةُ الكذابينَ)[١] .

قلْتُ : ويؤيِّدُ هٰذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ﴾ [المائدة : ٧٤] ، فأخَّرَ الاستغفارَ عنِ التوبةِ المشتملةِ على الندمِ ، فتأمَّلْ ؛ فإنَّ الواوَ هنا للترتيبِ ، واللهُ أعلمُ .

وسُئلَ يحيى بنُ معاذٍ : ما بالُ المسلمِ إذا وقعَ في ذنبٍ يكرهُ أنْ يطَّلعَ الناسُ عليهِ أكثرَ مِنْ كراهتِهِ لاطِّلاعِ اللهِ عليهِ ؟! هل ذلكَ مِنْ هوانٍ منهُ بربِّهِ ؟ فقالَ : لا ، وإنَّما ذلكَ مِنْ شدَّةِ معرفتِهِ بربِّهِ وكرمِهِ وجودِهِ ، وأنَّهُ تعالىٰ لا يفضحُهُ ، بخلافِ الناسِ .

قالَ : (وقد بلغَنا أنَّ أعرابياً قالَ في دعائِهِ : اللهمَّ ؛ إنَّ استغفاري معَ إصراري . . لَلُؤمٌ ، وتركي الاستغفارَ معَ علمي بسعةِ عفوِكَ ورحمتِكَ . . لَعجزٌ ؛ فاغفرْ لي لؤمي برجائي رحمتَكَ يا أرحمَ الراحمينَ)[٢] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ إذا قرأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] : (إلٰهي ؛ إذا كانَ هٰذا قولَكَ في حقِّ مَنْ قالَ : أنا ربُّكُمُ الأعلىٰ ، فكيفَ يكونُ رفقُكَ بمَنْ لا يشركُ بكَ شيئاً ، بل يعلمُ أنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلٰهَ إلا أنتَ وحدَكَ لا شريكَ لكَ ؟!)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ يحاسبُ المسلمينَ يومَ القيامةِ

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٧٨) .
(٢) رواه بنحوه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢٠٢٩) .
(٣) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤١٩٣) .

بالمنَّةِ والفضلِ ، ويحاسبُ الكافرينَ بالحُجَّةِ والعدلِ) انتهىٰ[١] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ ما دُمْتَ في هـٰذهِ الدارِ ؛ فإنَّهُ يطفئُ غضبَ الجبارِ ، ولا تظنَّ محوَ ذنوبِكَ إذا فعلْتَ الأمورَ التي وردَ في الشرعِ أنَّها مكفِّرةٌ لذلكَ ، فقد يكونُ لها شروطٌ لم تأتِ بها ، واعلمْ أنَّ المؤمنَ لا يطمئنُّ حتىٰ يدخلَ الجنةَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٦١) من قول مظفَّر القرميسيني .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ**) .

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : أمرُهم بالمعروفِ ، ونهيُهم عنِ المنكرِ وإنْ لم يفعلُوا المعروفَ ولم ينتهُوا عنِ المنكرِ ، وهٰذا الخلُقُ بخلَ بهِ كثيرٌ ممَّنْ لم يسلكْ علىٰ يدِ شيخٍ صادقٍ ؛ فيقولُ : إنَّ الأمرَ بالمعروفِ لا يكونُ إلا لمَنْ كانَ تائباً مِنْ جميعِ الذنوبِ ، ونحنُ قومٌ غمرَتْنا الذنوبُ ، وربَّما ينشدُ قولَ الشاعرِ (من : كان وكان)[1] :

لا تعــــذليـــنَ الحـــرائـــرْ حتــىٰ تكــونــي مثلهـــنْ
يقبـــح علـــىٰ معلـــولـــهْ تصـــف دوا للنـــــاسْ

وهٰذا مخالفٌ لِمَا عليهِ العلماءُ العاملونَ .

وفي الحديثِ : أنَّ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قلْنا : يا رسولَ اللهِ ؛ أنأمرُ بالمعروفِ ، وننهىٰ عنِ المنكرِ ، وإنْ لم نأتمرْ ولم ننتهِ ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مُرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ ، وَٱنْهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَإِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَنْهُ كُلِّهِ »[2] .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ نهىٰ عنِ المنكرِ ،

---

(١) نمط مولَّد من الشعر .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (١٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٦٣) .

وشنِئَ الفاسقينَ[١] ، وغضبَ إذا انتُهِكَتْ حرماتُ اللهِ . . غضبَ اللهُ لهُ)[٢] .

وقيلَ لحفصِ بنِ حميدٍ : ما الذي بلغَ بسفيانَ الثوريِّ ما بلغَ ؟ فإنَّهُ كانَ في زمانِهِ مَنْ هو مثلُهُ في كثرةِ العبادةِ والعلمِ ، فقالَ : بلغَ بهِ استخفافُهُ بالعصاةِ في مواضعِ الحقِّ ، وعدمُ مراعاتِهِ لهم ، وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ ربَّما يرى المنكرَ فلم يقدرْ على إزالتِهِ ، فيبولُ الدمَ مِنَ القهرِ[٣] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ صالحُهم فيهِ هو مَنْ لا يأمرُ بمعروفٍ ، ولا ينهىٰ عن منكرٍ ، فيقولُ الناسُ : ما رأينا منهُ إلا خيراً ؛ لكونِهِ لم يغضبْ للهِ)[٤] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مصائبُ المؤمنِ في الدنيا ثلاثةٌ** : صلاةٌ تفوتُهُ ، وأخٌ صالحٌ يموتُ ، وحدثٌ يُحدَثُ في الإسلامِ) .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ منكِرُ المنكرِ فيهِ أقلَّ مِنْ عُشرِ الناسِ ، ثمَّ يذهبُ العُشرُ بعدَ ذلكَ ؛ فلا يبقىٰ أحدٌ ينكرُ منكراً)[٥] .

---

(١) **شنئ** : أبغض . انظر « المصباح المنير » (ش ن أ) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (١٨) موقوفاً ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ٧٤) مرفوعاً .

(٣) سبق تخريجه (ص٤٦٥) .

(٤) رواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٩٣) من قول سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٥) **يشهد له** : ما رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٠١٢) من حديث سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يأمرون فيه بمعروف ، ولا ينهون عن منكر » .

وكانَ أويسٌ القَرَنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ قيامَ المؤمنِ بالحقِّ بينَ الناسِ . . لم يدعْ لهُ في الدنيا صديقاً ، وما أمرَ أحدٌ الناسَ بتقوى اللهِ ، ونهاهم عنِ المنكرِ . . إلا رمَوهُ بالعظائمِ ، وشتموا عِرْضَهُ)[1] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (جنةُ الفردوسِ خاصةٌ بمَنْ يأمرُ بالمعروفِ[2] ، وينهىٰ عنِ المنكرِ)[3] .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [مريم : ٣١] : (أي : كانَ يأمرُ بالمعروفِ ، وينهىٰ عنِ المنكرِ ، أينما كانَ)[4] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ سمعَ أحداً يفعلُ منكراً ، ولم ينهَهُ . . جاءَ يومَ القيامةِ أصمَّ مقطوعَ الأذنينِ) .

وكانَ جريرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما مِنْ قومٍ أعزاءَ على

---

(١) رواه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (٣/٤٠٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٥٦١) .

(٢) في هامش (ج) عند قوله : (**الفردوس**) : (أصلها رومية بمعنى : البستان ، وهي التي خلقها الله بيده .

فإن قلت : كيف تختصُّ بهم وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف : ١٠٧] ، وفي الحديث : « سلوا الله الفردوس ؛ فإنها سُرَّة الجنة ، وإن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش » ؟!

قلت : الظاهر أن الباء داخل على المقصور ؛ **والمعنىٰ** : أنهم لا يسكنون إلا فيها لا أنَّ غيرهم لا يسكنها ، والله أعلم وأحكم . انتهىٰ) ، والحديث رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/٢٤٦) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (١٨/١٣١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/٣٨٠) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (١٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/١٥٢) .

الناسِ ، ثمَّ لم يغيِّروا منكراً قَدَروا عليهِ . . إلا أذلَّهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ)[١] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لتأمرُنَّ بالمعروفِ ، [ولتنهوُنَّ] عنِ المنكرِ[٢] ، أو ليسلطَنَّ اللهُ عليكمْ سلطاناً ظالماً ؛ لا يُجِلُّ كبيرَكم ، ولا يرحمُ صغيرَكم ، ويدعو عليهِ خيارُكم ، فلا يُستجابُ لهم ، وتستنصرونَ فلا تُنصرونَ ، وتستغفرونَ فلا يُغفرُ لكم) ، وقيلَ : إنَّه مرفوعٌ[٣] .

وكانَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دخلْتُ على عمرَ بنِ الخطابِ ، فرأيتُهُ مهموماً حزيناً ، فقلْتُ لهُ : ما يهمُّكَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ فقالَ : أخافُ أنْ أقعَ في منكرٍ ، فلا ينهاني أحدٌ منكم ؛ تعظيماً لي ، فقالَ حذيفةُ : واللهِ ؛ لو رأيناكَ خرجْتَ عنِ الحقِّ لنهيناكَ ، فإنْ لم تنتهِ ضربْناكَ بالسيفِ ، ففرحَ فرحاً شديداً ، وقالَ : الحمدُ للهِ الذي جعلَ لي أصحاباً يقوِّمونني إذا اعوجَجْتُ)[٤] .

---

(١) رواه بنحوه أبو داود (٤٣٣٩) ، وابن ماجه (٤٠٠٩) مرفوعاً .

(٢) في جميع النسخ المعتمدة : (ولتنهنَّ) بدل (ولتنهوُنَّ) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٥٥١ـ٥٥٢) ، ورواه بنحوه مرفوعاً ابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٣٤) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٢٩) ، ورواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٥١٢) عن سيدنا محمد بن مسلمة رضي الله عنه .

وفي هامش (ج) : (هٰذا مخالف لما عليه أئمة الإسلام من وجوب طاعة الإمام ، والصبر علىٰ ما يُكره منه ، عادلاً كان أو فاجراً ؛ لقوله عليه السلام علىٰ ما في « الصحيحين » [صحيح البخاري (٧٠٥٤) ، وصحيح مسلم (١٨٤٩) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما] : « من رأىٰ من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ؛ فإنه من فارق الجماعة فمات . . فميتة جاهلية » ، وقوله عليه السلام كما في « مسلم » [(١٨٥٥/٦٦) من حديث سيدنا عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه] : « من وَلِيَ عليه والٍ ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله . . فليكره ما يأتيه من معصية الله ، ولا ينزعنَّ يداً من طاعته » ، **اللهمَّ إلا أن يكون الكلام** علىٰ طريق الفرض والتقدير ؛ =

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ يوشعَ بنِ نونٍ : أنِّي مهلكٌ مِنْ قومِكَ أربعينَ ألفاً مِنْ خيارِهم ، وستينَ ألفاً مِنْ شرارِهم ، فقالَ : يا ربِّ ؛ هـٰؤلاءِ الأشرارُ ، فما بالُ الأخيارِ ؟! فقالَ : لأنَّهم لم يغضبُوا لغضبي ، وواكَلُوهم وشارَبُوهم(١) .

وكانَ أبو أمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يُحشرُ ناسٌ مِنْ هـٰذهِ الأمةِ علىٰ صورةِ القردةِ والخنازيرِ ؛ بملاصقتِهم لأهلِ المعاصي ، وتركِهم نهيَهم وهم يقدرونَ عليهِ)(٢) .

قلْتُ : إذا كانَ هـٰذا حالَ مَنْ يخالطُ أهلَ المعاصي ولا يفعلُها ، فكيفَ حالُ مَنْ لا يكادُ تسلمُ لهُ جارحةٌ مِنَ المعاصي ؟! نسألُ اللهَ اللطفَ .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يخرجُ إلى السوقِ ، فيأمرُ بالمعروفِ ، وينهىٰ عنِ المنكرِ ، ثمَّ تركَ ذلكَ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (كانَ انفتحَ في الدينِ قناةٌ ؛ فطلبْنا أنْ نسدَّها ، وأمَّا الآنَ فقدِ انفتحَ البحرُ ، فمَنْ يقدرُ علىٰ أنْ يسدَّهُ ؟!)(٣) .

وقيلَ للفضيلِ بنِ عياضٍ : ألا تأمرُ بالمعروفِ ، وتنهىٰ عنِ المنكرِ ؟ فقالَ : أخافُ أنْ آمرَ بالمعروفِ ؛ فيصيبَني أذىً ؛ فلا أقدرَ علىٰ تحمُّلِهِ ،

= تطييباً لقلب عمر ؛ لأنه كان يتوقع منهم النصح له ، **فالمعنىٰ** : أنا نبذل النصح لـٰكن بما أمكن ولو بالمقاتلة ، ويدلُّ علىٰ هـٰذا عدمُ إنكار عمر كلامَهُ ، وإلا كان عليه أن ينبه علىٰ خطئه ، والله أعلم . انتهىٰ) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٧٥) .

(٢) رواه ابن بشران في « أماليه » (٩٠١) ، والشجري في « ترتيب الأمالي الخميسية » (٢٥٩٣) ، كلاهما بنحوه مرفوعاً من حديث سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه أبو بكر الخلال في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٢٠) .

فيقعَ مني السخطُ والندمُ علىٰ أمري بالمعروفِ[1] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأصحابِهِ : (لا تقتدوا بي تهلِكوا[2] ؛ فإنِّي رجلٌ مداهِنٌ مخلِّطٌ مقصِّرٌ)[3] ، وكانَ يكاشفُ الأمرَ مكاشفةً رضيَ اللهُ عنهُ .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ مِنْ أكبرِ الذنوبِ عندَ اللهِ تعالىٰ أنْ يقالَ للعبدِ : اتقِ اللهَ ، فيقولَ : عليكَ بنفسِكَ)[4] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يلزمُ أحداً الأمرُ بالمعروفِ إلا فيما اجتمعَتْ عليهِ الأمةُ ، أمَّا ما اختلفوا فيهِ فلا يلزمُ أحداً)[5] .

وكانَ حذيفةُ بنُ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ مجالسةُ الناسِ لجيفةِ حمارٍ . . أحبَّ إليهم مِنْ مجالسةِ المؤمنِ الذي يأمرُهم وينهاهم)[6] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : ما بقيَ أحدٌ في سائرِ هٰذا

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٥٥٤) .

(٢) قوله : (**تهلكوا**) : حقه ثبوت النون ؛ لكونه في حال الجزم جواباً للنهي علىٰ مذهب جمهور النحاة فاسدَ المعنىٰ ، ويصح جزمه علىٰ مذهب الكسائي ؛ فإنه يجيز جزم جواب النهي مطلقاً ، ولا يشترط تقدير (إنْ) قبل (لا) ، **وعليه فالمعنىٰ** : (إن تقتدوا بي تهلكوا) ، وانظر « توضيح المقاصد » (٣/ ١٢٥٧) .

(٣) رواه بنحوه المروذي في « أخبار الشيوخ » (٩٩) .

(٤) رواه عنه الدينوري في « المجالسة » (٢٦١٩) ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢١) مرفوعاً .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٦٨) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى .

(٦) أورده القرطبي في « التذكرة » (ص ١٢٣٠) من قول مكحول رحمه الله تعالىٰ .

الزمانِ يُستحيا منهُ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّما يُستحيا ممَّنْ يأمرُ بالمعروفِ وينهىٰ عنِ المنكرِ ، ومَنْ لا يأمرُ ولا ينهىٰ . . لا هيبةَ لهُ ؛ لعدمِ خوفِهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأصحابِهِ : (مَنْ أهدىٰ إليَّ عيوبي سألْتُ لهُ رحمةَ اللهِ) ، فلمَّا تبادرَ الناسُ إلىٰ ذكرِ شيءٍ منها . . فرحَ بذلكَ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ حَبْرٌ مِنْ أحبارِ بني إسرائيلَ يعظُ الناسَ مِنْ نساءٍ ورجالٍ في بيتِهِ ، فغمزَ ابنُهُ امرأةً ، فقالَ : مهلاً يا بنيَّ ؛ فسقطَ مِنْ سريرِهِ مُكِبّاً علىٰ وجهِهِ حتى انقطعَ بعضُ أعضائِهِ ، فأوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ نبيِّ ذلكَ الزمانِ ؛ أنْ أخبرْ فلاناً أنِّي لا أُخرجُ مِنْ صلبِهِ صدِّيقاً أبداً ، أَمَا كانَ مِنْ غضبِهِ لي إلا أنْ يقولَ لابنِهِ : مهلاً يا بنيَّ ؟!)[2] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأيتُمُ الرجلَ محبوباً عندَ جيرانِهِ محموداً عندَهم . . فاعلموا أنَّهُ مداهنٌ)[3] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا ماتَ الرجلُ ولم يذمَّهُ أحدٌ مِنْ جيرانِهِ . . فاعلموا أنَّهُ مداهنٌ) .

قلْتُ : حقيقةُ المداهِنِ : هو مَنْ يُرضي الناسَ بما ينقصُ دينَهُ ، كما أنَّ

---

(١) رواه بنحوه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣/ ٢٩٣) ، وأورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٢٨) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٥٢٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧٢) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٥٠) .

المداراةَ إرضاءُ الناسِ بما يَنقصُ دنياهُ ، فالأُولىٰ حرامٌ ، والثانيةُ مستحبةٌ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلى الملائكةِ ؛ أنْ صُبُّوا العذابَ علىٰ قريةِ كذا وكذا صبّاً ، فصاحَتِ الملائكةُ ، وقالوا : يا ربِّ ؛ إنَّ فيهم عبدَكَ فلاناً العابدَ ، فقالَ تعالىٰ : أسمِعوني ضجيجَهُ مِنَ العذابِ ؛ فإنَّ وجهَهُ لم يتمعَّرْ قطُّ إذا رأىٰ محارمي)[1] .

وكانَ لقمانُ يقولُ : (كذبَ مَنْ قالَ : إنَّ الشرَّ يُطفَأُ بالشرِّ ، فإنْ كانَ صادقاً فليوقِدْ ناراً عندَ نارٍ وينظرْ هل تطفئُ إحداهما الأخرىٰ ، بل لا يطفئُ الشرَّ إلا الخيرُ ؛ كما يطفئُ الماءُ النارَ)[2] .

ودخلَ أبو إسحاقَ الفَزاريُّ علىٰ هارونَ الرشيدِ ، فقالَ لهُ يوسفُ بنُ أسباطٍ رضيَ اللهُ عنهُ : كيفَ تدخلُ علىٰ هـٰذا الرجلِ وعندَهُ فرشُ الحريرِ ؟! فقالَ : ما بلغَكَ إلا فرشُ الحريرِ ؟ فأينَ الدماءُ والفروجُ والأموالُ ؟! ولـٰكنَّا إنَّما دخلْنا عليهِ لضرورةٍ ، وقد كانَ السلفُ الصالحُ رضيَ اللهُ عنهم يقولونَ : إنَّ العالمَ إذا دخلَ علىٰ ظالمٍ ولم يُسألْ عن شيءٍ . . فهو في سَعةٍ ، وإنِّي لم أُسألْ عن شيءٍ وأنا جالسٌ عندَهُ ، فلو قيلَ لي : هل هـٰذا الفرشُ حرامٌ ؟ لقلْتُ لهم : نعم هو حرامٌ .

قلْتُ : وفي هـٰذا الجوابِ نظرٌ[3] ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٨٨) .
وفي هامش (ج) : (**معَّر وجهه** : غيَّره غيظاً فتمعَّر ، « قاموس » [م ع ر]) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٤١) .

(٣) في هامش (ج) : (**لعلَّ وجه النظر** : أن الأمر بالمعروف لا يتوقف على السؤال ، وأنه=

وقيلَ لسفيانَ الثوريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : أيأمرُ الرجلُ بمعروفٍ مَنْ يعلمُ أنَّهُ لا يقبلُ منهُ ؟ فقالَ : نعم ، قيلَ : لِمَ ؟ قالَ : ليكونَ ذلكَ معذرةً لهُ عندَ اللهِ تعالىٰ(1) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : ذهبَ المعروفُ يبكي ، وجاءَ المنكرُ يضحكُ ، ثمَّ أنشدَ(2) : [من الكامل]

ذَهَبَ ٱلرِّجَالُ ٱلْمُقْتَدَىٰ بِفِعَالِهِمْ وَٱلْمُنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ
وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً لِيَدْفَعَ مُعْوِرٌ عَنْ مُعْوِرِ

انتهىٰ .

فاعرضْ يا أخي هٰذهِ الصفاتِ علىٰ نفسِكَ ؛ لتعرفَ هل أنتَ ممَّنْ ينكرُ المنكرَ أو لا ينكرُ ، وهل أنتَ ممَّنْ يحبُّكَ اللهُ أو ممَّن يبغضُكَ ، وهل نصرْتَ شريعةَ نبيِّكَ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أم خذلْتَها ؛ فإنَّكَ تزعمُ أنَّكَ مِنَ الدعاةِ إلى اللهِ تعالىٰ بحكمِ النيابةِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لكونِهِ قد أمَّنَ علماءَ أمتِهِ علىٰ شريعتِهِ مِنْ بعدِهِ ، ولعلَّ غالبَ الناسِ اليومَ قد خذلَ الشريعةَ بأفعالِهِ وأقوالِهِ وسكوتِهِ عنِ المنكرِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

= شاهد المنكر ؛ فلا يسعه السكوت . انتهىٰ) .

(1) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف » (٩٠) من قول عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .

(2) روى البيتين أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٤٤) عن بشر بن الحارث رحمه الله تعالىٰ .
والمُعْوِرُ : قبيح السريرة . انظر « تاج العروس » (ع ور) .

[عدم العجب والإدلال بشيءٍ من الأعمال]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : عدمُ العُجبِ والإدلالِ بشيءٍ مِن أعمالِهم[1] ، بل يرَونَ أنَّهمُ استحقُّوا النارَ بصالحِ أعمالِهم عندَهم فضلاً عن سيِّئها ؛ لِمَا يشهدونَهُ فيها مِنْ سوءِ الأدبِ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وقد كانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (كَمْ مِنْ سراجٍ قد أطفأَتْهُ الريحُ ! وكَمْ مِنْ عبادةٍ قد أفسدَها العُجْبُ !)[2] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ساعةٌ يُزري العبدُ فيها بنفسِهِ خيرٌ لهُ مِنْ عبادةِ سبعينَ سنةً)[3] .

وكانَ الأنطاكيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أضرُّ الطاعاتِ على العبدِ ما أَنْسَتْهُ مساوِيَهُ ، وذكَّرَتْهُ بمحاسنِهِ ؛ فإنَّ مِنْ سعادةِ العبدِ جعلَهُ مساوِيَهُ نصبَ عينَيهِ ، فلا يزالُ خَجِلاً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وإنَّ مِنْ شقاوتِهِ نسيانَهُ مساوِيَهُ وذكرَ حسناتِهِ ؛ فيزدادُ بها إدلالاً واغتراراً بينَ الناسِ ، فيذهبُ إلى الآخرةِ صِفرَ

---

(١) في هامش (ج) عند قوله : (**والإدلال**) : (أي : الانبساط وعدم الخوف ، والباء في « بشيء » للسببية ؛ أي : الإدلال بسبب العمل . انتهىٰ) .

(٢) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/٢٦٨) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٣٢٢) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٥٠١) .

وفي هامش (ج) عند قوله : (**يزري**) : (أي : يحتقر . انتهىٰ) .

اليدَينِ مِنَ الخيرِ والثوابِ ، وهو يحسبُ أنَّهُ مِنَ الصالحينَ)[1] .

وكانَ الشعبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ رجلٌ إذا مشىٰ يُظِلُّهُ السحابُ لفضلِهِ ، فقالَ رجلٌ : لأمشينَّ في ظلِّهِ ، فأُعجِبَ بنفسِهِ حينَ رأى الناسَ يمشونَ في ظلِّهِ ، فلمَّا افترقا ذهبَ الظلُّ معَ ذلكَ الرجلِ التابعِ)[2] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**إنَّ مِنْ علامةِ صدقِ توبتِكَ** : أنْ تعترفَ للهِ بذنبِكَ ، **وإنَّ مِنْ إخلاصِ عملِكَ** : أنْ ترفضَ عُجْبَكَ ، **وإنَّ مِنْ صدقِ شكرِكَ** : أنْ تعرفَ تقصيرَكَ)[3] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ إذا خطبَ على المنبرِ فخافَ العُجبَ . . قطعَ الكلامَ ، وعدلَ إلىٰ غيرِهِ ممَّا لا عُجبَ فيهِ ، وإذا كتبَ كتاباً فخافَ العُجبَ فيهِ . . مزَّقَهُ ، ويقولُ : (اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ شرِّ نفسي)[4] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا كبُرَتْ حلقتُهُ . . قامَ عَجِلاً منها ، وقالَ : أُخذْنا ولم نشعرْ ، فتبعَهُ الناسُ مرةً ، وقالوا لهُ : مثلُكَ لا يَخافُ مِنْ مثلِ ذلكَ ! فقالَ : بلىٰ ، أنا أخوفُ الناسِ مِنْ مثلِ ذلكَ ؛ لدناءةِ أخلاقي ، وواللهِ ؛ لو رآني عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ جالساً في مثلِ هٰذهِ المجالسِ . . لضربَني بالدِّرَّةِ وأقامَني ، وقالَ : أنتَ لا تصلحُ لمثلِ ذلكَ .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٨٣) .
(٢) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٨٥) .
(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٨٥) .
(٤) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٨٥) .

وكانَ مطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لَأنْ أبيتَ نائماً ، وأصبحَ نادماً . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أبيتَ قائماً ، وأصبحَ معجباً ؛ أرىٰ نفسي علىٰ النائمينَ)[1] .

وكانوا يعيبونَ على العُبَّادِ كثرةَ صيامِهم وقيامِهم ؛ خوفاً عليهم مِنَ الإعجابِ ، ويقولونَ لهم : تعلَّموا العلمَ ، ثمَّ اعملوا ؛ فإنَّ لكلِّ عملٍ أدباً شرعياً .

وكانَ الحسنُ البَصْريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّ عملَ ابنِ آدمَ كلَّهُ يكونُ حسناً . . لكانَ يَهلِكُ مِنَ العُجْبِ ، ولٰكنَّ اللهَ تعالى ابتلاهُ بشهودِ النقصِ فيهِ ؛ رحمةً بهِ) .

وقالَ رجلٌ مرةً لإبراهيمَ التيميِّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما تقولُ في هٰذهِ المسألةِ يا فقيهُ ؟ فقالَ إبراهيمُ : إنَّ زماناً صرْتُ أنا فيهِ فقيهاً . . لزمانُ سوءٍ[2] .

وكانَ حُذيفةُ المَرْعَشيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنْ لم تخفْ أنْ يعذِّبَكَ اللهُ علىٰ أفضلِ أعمالِكَ عندَكَ . . فأنتَ هالكٌ)[3] .

وكانتَ رابعةُ العدويَّةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (أكثرُ ما أكونُ راجيةً للخيرِ حينَ تَقِلُّ أعمالي الصالحةُ) ؛ أي : لكونِها كانَتْ معتمِدةً علىٰ فضلِ اللهِ تعالىٰ لا على الأعمالِ ، ولو أنَّها كانَتْ معتمِدةً علىٰ أعمالِها لخافَتْ مِنْ وقوعِ العذابِ بها .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٤٨) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٣٤٢) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الإشراف » (٣٥١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٢٣) من قول إبراهيم النخعي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٦٨) .

وكانَ حسانُ بنُ [أبي] سِنانٍ رضيَ اللهُ عنهُ يطلبُ مِنْ أعوانِ الولاةِ أنْ يدعوا لهُ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (لعلَّ في أحدِهم خصلةً يحبُّها اللهُ تعالىٰ ، وفيَّ خصلةً يبغضُها اللهُ تعالىٰ ، ولعلِّي أرىٰ نفسي خيراً منهُ ، فيكونَ خيراً منِّي حينئذٍ)(١) .

ولمَّا مرضَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ أشاروا عليهِ بالدفنِ في المكانِ الرابعِ عندَ قبرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : فارتعدَ مِنْ كلامِهم ، وقالَ : (لأَنْ يعذِّبَني اللهُ تعالىٰ بالنارِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ يعلمَ اللهُ مِنْ قلبي أنَّني أرىٰ نفسي أهلاً لذلكَ)(٢) .

وسئلَ ابنُ السمَّاكِ رضيَ اللهُ عنهُ عن حقيقةِ العُجْبِ فقالَ : (هو أنْ تتطاولَ على الناسِ بعملِكَ ، فتحتقرَ كلَّ مَنْ رأيتَهُ مقصِّراً في العملِ)(٣) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يُكثِرُ العبادةَ ، فيقولُ لهُ الناسُ في ذلكَ ، فيقولُ : (لا يستكثرُ عبادتَهُ في عينِهِ إلا جاهلٌ باللهِ ؛ فإنَّ الملائكةَ لا تفترُ عن عبادةِ اللهِ طرفةَ عينٍ ، ولو أنَّها استكثَرَتْ أعمالَها لم يجعلْها في حضرتِهِ السماويةِ) .

قالَ رحمَهُ اللهُ : (وقد بلغَني أنَّهم يقولونَ يومَ القيامةِ معَ تلكَ العبادةِ العظيمةِ : سبحانَكَ ما عبدْناكَ حقَّ عبادتِكَ)(٤) .

وسمعتُ سيدي علياً الخوَّاصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنْ لم تخفْ أنْ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١١٧) .

(٢) رواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٤٠٤)، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٣٥).

(٣) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩١٠) من قول ابن المبارك رحمه الله تعالى .

(٤) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/ ١٨٤) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه مرفوعاً .

يهلكَكَ اللهُ تعالىٰ بالنقصِ الذي في أعمالِكَ الصالحةِ عندَكَ فضلاً عن معاصيكَ . . فأنتَ هالكٌ) .

وكانَ يزيدُ بنُ هارونَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نظرْتُ في قيامِ الليلِ فإذا الحارسُ يحرسُ الليلةَ كلَّها بدانقَينِ ، أفيطلبُ أحدُكمُ الجنةَ إذا سهرَ ليلةً واحدةً بعبادةٍ لعلَّها لا تساوي دانقَينِ ، وربَّما منَّ بها علىٰ ربِّهِ ؟!) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (السلامةُ مِنَ الرياءِ والنفاقِ في العلماءِ والقرَّاءِ . . أعزُّ مِنَ الكبريتِ الأحمرِ ؛ لأنَّ أحدَهم لا يقدرُ علىٰ سماعِ قولِ الناسِ : ما أعلمَ فلاناً ! أو : ما أحسنَ صوتَهُ بالقرآنِ ! . . إلا ويحصلُ عندَهُ عُجْبٌ ما بذلكَ ، وإنْ قالوا : ليسَ هو بعالمٍ ، ولا حَسَنِ الصوتِ . . شقَّ ذلكَ عليهِ ، وماتَ غمّاً ، وذلكَ مِنْ أكبرِ علاماتِ الرياءِ ، ثمَّ بعدَ ذلكَ يشرعُ في تحسينِ حالِهِ رياءً وسمعةً)(١) .

وكانَ السريُّ السقطيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلُّ مَنْ ظنَّ بنفسِهِ أنَّهُ محسنٌ . . فهو ممَّنْ زُيِّنَ لهُ سوءُ عملِهِ ، ومَنْ لم يظنَّ بنفسِهِ أنَّهُ هالكٌ . . فهو هالكٌ) .

وقالَ رجلٌ لعبدِ اللهِ بنِ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ : إنِّي لأرىٰ نفسي أحسنَ حالاً ممَّنْ قتلَ بينَ يدَيَّ نفساً ظلماً ، فقالَ لهُ عبدُ اللهِ : إنَّ أمْنَكَ علىٰ نفسِكَ لشرٌّ ممَّنْ قتلَ القتيلَ ظلماً(٢) .

وكانَ بشرٌ الحافي رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأيتَ العبدَ لَجوجاً ممارِياً

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩١) .

(٢) رواه بنحوه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص ١٧٧) .

بالعلمِ مُعْجَباً بنفسِهِ . . فقدِ استكملَ الخسارةَ)[١] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أُعجِبَ بعملِهِ فهو قَدَرِيٌّ)[٢] ؛ أي : لأنَّهُ لو رأى العملَ خَلْقاً للهِ تعالىٰ . . لم يُعجَبْ بهِ .

قلْتُ : وهـٰذا في العملِ الحسنِ كما هو معلومٌ ، وأمَّا العملُ السيئُ فلا يجوزُ لهُ تعريةُ نفسِهِ عنهُ ، بلِ الواجبُ عليهِ أنْ يتوبَ منهُ ويندمَ ويستغفرَ .

وكانَ لعطاءٍ [السَّليميِّ] مختَّثونَ يخدمونَهُ في البيتِ[٣] ، ويوضِّئونَهُ ، فقالوا لهُ : ألا تستقذرُ هـٰؤلاءِ أنْ يكونوا في بيتِكَ ؟! فقالَ : واللهِ ؛ إنَّهم عندي أطهرُ مِنْ نفسي ، وأقلُّ ذنوباً ، وأقلُّ رياءً ونفاقاً ، فكيفَ يصحُّ لي أنْ أستقذرَهم ؟![٤] .

---

(١) رواه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (٥٦٧) من قول خالد بن يزيد بن معاوية رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه الفريابي في « القدر » (٤٣٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٣) .

(٣) في هامش (ج) : (**المخنَّث** بكسر النون وفتحها ، والكسر أفصح ، والفتح أشهر : وهو الذي خُلُقه خُلُق النساء في حركاته وهيئاته وكلامه ونحو ذلك ، وهو ضربان ؛ **أحدهما** : مَنْ يكون ذلك خلقة له لا يتكلفه ، ولا صنع له فيه ؛ فهـٰذا لا إثم عليه ولا ذمَّ ولا عتب ؛ إذ لا فعل له ولا كسب ، **والثاني** : من يتكلف ذلك ، وليس هو بخلقة فيه ، فهـٰذا هو الآثم المذموم الذي جاءت الأحاديث الصحيحة بلعنه ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المخنثين ، ولعن المتشبهين بالنساء من الرجال » ، سُمِّي مخنثاً لانكسار كلامه ولينه ، يقال : خنثت الشيء إذا عطفته ، إلىٰ هنا كلام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » [٣/ ١٠٠] .

قلت : دخول المخنَّث في البيت كان جائزاً في ابتداء الإسلام ثم نسخ ، فلا يترك فيما بين النساء ، كذا ذكره صاحب « نصاب الاحتساب » في الباب الثالث [ص٩٩] ، فيحمل ما فعله عطاء أنه كان يستخدمهم في البيت بحيث لا يرون حرمه ، وأنهم كانوا من القسم الأول . انتهىٰ) ، والحديث رواه أبو داود (٤٩٣٠) ، والترمذي (٢٧٨٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢١١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢٢) .

وكانَ أبانُ بنُ عيَّاشٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يكرهُ العملَ بالرُّخَصِ إلا معجَبٌ بنفسِهِ ، أو صاحبُ هوىً)[1] ؛ أي : لأنَّ الرخصَ لا يَحمدُ أحدٌ فاعلَها ؛ فلا يحصلُ عندَ فاعلِها عُجبٌ .

وكانَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ يخافُ مِنَ العُجبِ كلَّ الخوفِ ، وكانوا إذا أثنَوا عليهِ بخيرٍ يقولُ : (اللهمَّ ؛ اجعلْني خيراً ممَّا يقولونَ ، واغفرْ لي ما لا يعلمونَ)[2] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ إذا أثنَوا عليهِ بخيرٍ . . يقولُ : (اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما يقولونَ ، وأسأَلُكَ أنْ تغفرَ لي ما لا يعلمونَ)[3] .

وقالَ رجلٌ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها : يا أمَّ المؤمنينَ ؛ متىٰ يعلمُ الرجلُ أنَّهُ مِنَ المحسنينَ ؟ فقالَتْ : إذا علمَ أنَّهُ مِنَ المسيئينَ ، فقالَ الرجلُ : ومتىٰ يعلمُ أنَّهُ مِنَ المسيئينَ ؟ فقالَتْ : إذا رأىٰ نفسَهُ أنَّهُ مِنَ المحسنينَ[4] .

وحضرَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ ومطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ الموقفَ بعرفةَ ، فكانَ مِنْ دعاءِ مطرِّفٍ : (اللهمَّ ؛ لا تردَّهم في هٰذا اليومِ مِنْ أجلي خائبينَ) ، وكانَ مِنْ قولِ بكرِ بنِ عبدِ اللهِ : (ما أشرفَ هٰذهِ البقعةَ !

---

(١) روى نحوه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٨٧) من قول أبان بن أبي عياش رحمه الله تعالى .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٣٢) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٥٣) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١١٤٢) ، كلاهما عن رجلٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) أورده بنحوه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٤٨٥ـ٤٨٦) .

وما أرجاها للدعاءِ لو لم أكنْ في الناسِ !)[١] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رُبَّ هالكٍ بالثناءِ عليهِ ، ورُبَّ مستدرَجٍ بالإحسانِ إليهِ)[٢] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ربَّما بلغَ العُجْبُ بالفقيرِ إلىٰ أنْ صارَ يقولُ : لو عُرِضَتْ عليَّ حورُ الجنانِ ما التفتُّ إليهنَّ دونَ اللهِ ، وربَّما رأىٰ جاريةً مِنْ جواري أهلِ الدنيا فصاحَ قلبُهُ بالميلِ إليها حتىٰ بلغَ العرشَ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ لَذنبٌ تفتقرُ بهِ إلىٰ عفوِ اللهِ . . خيرٌ لكَ مِنْ طاعةٍ تفتخرُ بها على العبادِ) .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لعُبَّادِ زمانِهِ : (أفٍّ عليكم ؛ دخلَ العُجْبُ في أعمالِكم معَ قلَّتِها ، وقد كانَ مَنْ قبلَكم لا يُعجبونَ بأعمالِهم معَ كثرتِها ، واللهِ ؛ ما أنتم إلا كاللَّاعبينَ بالنظرِ لعبادةِ مَنْ كانَ قبلَكم) انتهىٰ .

فاعلمْ يا أخي ذلكَ ، وفتِّشْ نفسَكَ كلَّ التفتيشِ ؛ فربَّما تُعجَبُ بتركِ العُجبِ ، فتكونُ أسوأَ حالاً ممَّنْ أُعجِبَ .

وإيَّاكَ يا أخي أنْ ترىٰ نفسَكَ علىٰ أحدٍ مِنَ المسلمينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٣] .

---

(١) رواه بنحوه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على « الزهد » (١٣٦٣) .
(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على « الزهد » (١٥١٤) .
(٣) في هامش (أ) : (بلغ) .

[تقديم الإنفاق في حاجات النّاس على عمارة الزّوايا والدّور]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : تقديمُهم إنفاقَ الدراهمِ والدنانيرِ في إطعامِ الجائعِ ، وكسوةِ العُريانِ ، ووفاءِ الديونِ التي على الناسِ وهم لا يقدرونَ على وفائِها . . على عِمارةِ الزوايا والدورِ ونحوِها ، لا سيَّما في هٰذا الزمانِ الذي لا يوجدُ فيهِ القوتُ إلا بمعاينةِ أسبابِ الموتِ إنْ كانَ الفقيرُ مُحترِفاً ، أو بذهابِ دينِهِ إنْ كانَ متعبِّداً لا حِرْفةَ لهُ .

وقد رأيتُ مرَّةً شخصاً مِنْ مشايخِ العصرِ يُبنىٰ لهُ في ضريحٍ بقبةٍ وتابوتٍ ، فجاءَهُ رجلٌ أعمىٰ مُعِيلٌ ، فسألَهُ نِصْفاً يأخذُ بهِ لعيالِهِ خبزاً[(١)] ، فقالَ لهُ : يفتحُ اللهُ ، فقلْتُ لهُ : أعطِهِ نصفاً أفضلُ مِنْ عمارةِ القبةِ كلِّها ، فأبىٰ ، فسقطَ مِنْ عيني مِنْ ذلكَ اليومِ .

وقد كانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يعولُ أربعينَ داراً مِنْ كلِّ جانبٍ ، وكانَ الدجاجُ المشويُّ يُحمَلُ على الجملِ لسِماطِهِ[(٢)] .

وسألوهُ مرَّةً أنْ يساعدَهم في عمارةِ مسجدٍ فأبىٰ ، وقالَ : (لقمةٌ في بطنِ جائعٍ أرجحُ في ميزاني مِنْ عمارةِ المسجدِ لو عمرْتُهُ وحدي) .

---

(١) النصف : عملة مصرية صغيرة مسكوكة من خليط من الفضة والنحاس . انظر « تكملة المعاجم العربية » (ن ص ف) .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٨/٣٨) عن عبيد الله بن أبي بكرة رحمه الله تعالىٰ .

وقد كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِذَا أَرَادَ ٱللهُ بِعَبْدٍ شَرّاً أَهْلَكَ مَالَهُ فِي ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ »[١] ، وفي الحديثِ : « كُلُّ دِرْهَمٍ يُنْفِقُهُ ٱلْعَبْدُ . . فَإِنَّ ٱللهَ يُخْلِفُهُ إِلَّا مَا كَانَ فِي بُنْيَانٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ »[٢] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : رأيتُ درجةً في سُلَّمِ غرفةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تتحرَّكُ ، فأردْتُ أنْ أبنيَها بقطعةِ طينٍ ، فنهاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟! »[٣] ، وفي روايةٍ : « إِنِّي بُعِثْتُ بِخَرَابِ ٱلدُّنْيَا ، وَلَمْ أُبْعَثْ بِعِمَارَتِهَا »[٤] .

وهـٰذهِ الدرجةُ المذكورةُ هي التي انفركَ منها رِجلُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فانفكَّتْ ، فمكثَ منها منقطعاً نحوَ شهرٍ[٥] .

وبنىٰ أبو الدَّرداءِ كَنِيفاً ، فبلغَ ذلكَ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فكتبَ إليهِ : (مِنْ عمرَ إلىٰ عويمرٍ ، سلامٌ عليكَ ؛ أمَّا بعدُ : ثكلَتْكَ أمُّكَ ، أَمَا كانَ لكَ حاجةٌ إلا أنْ تجدِّدَ عمارةَ الدنيا بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟! عزمْتُ عليكَ ألَّا تضعَ كتابي مِنْ يدِكَ حتىٰ تهدِمَهُ) ، فهدمَهُ أبو الدرداءِ مِنْ وقتِهِ[٦] .

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٢٣٥) من حديث سيدنا محمد بن بشير الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٤٢) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) حديث : « ما لي وللدنيا » : رواه البخاري (٢٦١٣) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢/ ٣٠١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٣٠) من حديث سيدنا أبي الدحداح رضي الله عنه .

(٥) رواه بنحوه البخاري (١٩١١) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٦) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٦٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٣٨).

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ استغنىٰ بأموالِ الفقراءِ . . أفقرَتْهُ ، ومَنْ سخَّرَ الفقراءَ في بناءِ دارِهِ . . أعقبَهُ ذلكَ الخرابَ)[1] ؛ **ومعنى (استغنىٰ بأموالِ الفقراءِ)** : أنَّهُ أخذَها على اسمِهم ، وخصَّ نفسَهُ وأولادَهُ بها .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما وقعَ لي أنَّني أنفقْتُ درهماً في بناءِ حائطٍ قطُّ)[2] .

ومالَتْ حائطٌ في دارِ مطرِّفِ بنِ عبدِ اللهِ ، فقالوا لهُ : ألا تصلِحُها ؟ فقالَ : إنَّ ربَّ المنزلِ لا يدعُنا نقيمُ فيهِ حتىٰ نعمُرَهُ .

قالَ : (وكانَ خُصُّ نوحٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مِنْ حُصُرٍ[3] ، فقالوا لهُ : لو بنيتَ لكَ بيتاً ، فقالَ : هـٰذا كثيرٌ علىٰ مَنْ يموتُ)[4] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما زخرفَ قومٌ البناءَ إلا أُوشكَ أنْ يُرجَموا مِنَ السماءِ) .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ نبيٍّ مِنْ أنبياءِ بني إسرائيلَ أنَّ عُمُرَ أمتِكَ ثلاثُ مئةِ عامٍ ، فأخبرَهم بذلكَ ، فقالوا : إنَّ عُمُرَنا لقصيرٌ ؛ فخرجوا مِنْ دورِهم وقصورِهم ، وضربوا

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٥١٣) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٣٤٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٩٢) .

(٣) **الخُصُّ** : البيت من القصب ونحوه . انظر « المصباح المنير » (خ ص ص) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٤٥٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/ ٢٨٠) .

الأخبيةَ في البريةِ[(١)] ، وأقبلوا على عبادةِ ربِّهم في محاريبِهم ، فما تناسلوا ، وما توالدوا حتى ماتوا كلُّهم)[(٢)] .

ودخلَ حامدٌ اللَّفافُ على امرأتِهِ وهي تطيِّنُ كانوناً لها وتزلِّفُهُ[(٣)] ، فقالَ : ما هٰذهِ المراءاةُ حتى في الكانونِ ؟! فاعتذرَتْ إليهِ ، وقالَتْ : إنَّ ذلكَ أبقى للكانونِ حتى لا يقعَ القِدْرُ مِنْ فوقِهِ ، فيذهبَ الطعامُ على الأرضِ ، فقالَ لها : اللهُ مطَّلعٌ على باطنِكِ .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ لأبي دارٌ واسعةٌ ورثَها مِنْ أبيهِ ، وكانَ يسكنُ البيتَ منها ، فإذا خربَ تحوَّلَ إلى غيرِهِ حتى ماتَ في آخرِ بيتٍ بقيَ منها ، ولم يَعْمُرْ منها بيتاً واحداً)[(٤)] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سيأتي على النَّاسِ زمانٌ يرفعونَ الطينَ ، ويضيِّعونَ الدِّينَ ، ويسمِّنونَ البراذينَ ، ويصلُّونَ إلى قِبلتِكم ، ويموتونَ على غيرِ مِلَّتِكم)[(٥)] .

وكانَ أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرحمٰنِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلُّ شيءٍ دخلَهُ

---

(١) في هامش (ج) عند قوله : (**الأخبية**) : (جمع خِباء بالكسر ؛ وهو ما يُعمل من وبر وصوف ، وقد يكون من شعر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت ، كذا في « المصباح »[خ ب ي]) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٥٧) من قول بكر بن خُنَيس رحمه الله تعالى .

(٣) **الكانون** : الموقِد ، **وتزلفه** : تجمعه وتصلحه ، وانظر « المصباح المنير » (ك ن ن ، ز ل ف) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٤٧) من قول أبي سليمان الداراني فيما يحكيه عن داود الطائي رحمه الله تعالى .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ١٦٨) .

زَهْـوٌ ومباهـاةٌ ؛ مِـنْ مـركَـبٍ وملبَـسٍ ومسكَـنٍ ومطعَـمٍ . . فهـو سَـرَفٌ ومعصيةٌ)[1] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا منعَ الرجلُ الحقَّ مِنْ مالِهِ . . أهلكَهُ اللهُ تعالىٰ في الماءِ والطينِ)[2] .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يصلِّي في مسجدٍ مزوَّقٍ[3] .

ومرَّ يوماً علىٰ مسجدِ بني تميمٍ ، وكانوا قد زخرفوهُ ، وقد حضرَتْهُ الصلاةُ ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ صلِّ في مسجدِ بني تميمٍ ، فقالَ : لا تقولوا : مسجدِ بني تميمٍ ، وقولوا : بِيعةِ بني تميمٍ ، ثمَّ جاوزَهُ ، وصلَّىٰ في مسجدِ بني ليثٍ ، وقالَ : نُهينا أنْ نصلِّيَ في مسجدٍ أُسِّسَ علىٰ غيرِ تقوىٰ[4] .

ومرَّ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ مسجدٍ منقوشٍ ، فقالَ : (مَنْ بنىٰ هـٰذا لعنَهُ اللهُ ؛ فإنَّهُ أنفقَ مالَهُ في معصيةِ اللهِ ، وإنَّ لهُ في كلِّ درهمٍ أنفقَهُ فيهِ . . كَيَّةً مِنْ نارٍ)[5] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٥٣٣) من قول سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فيما ينقله عنه أبو سلمة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) سبق تخريجه بنحوه (ص٦٦٣) مرفوعاً .

(٣) روى عبد الرزاق في « المصنف » (٥١٣٤) من قول سيدنا علي رضي الله عنه : (إن القوم إذا زينوا مساجدهم فسدت أعمالهم) .

(٤) رواه بنحوه مختصراً ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٦٧) ، وروى الطبراني في « مسند الشاميين » (٢١٥٣) من حديث سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قالت الأنصار : إلىٰ متىٰ نصلي يا رسول الله إلىٰ هـٰذا الجريد ؟ فجمعوا له دنانير ، فأتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : تصلح هـٰذا المسجد وتزيِّنه ؟ فقال : « ليس بي رغبة عن أخي موسىٰ ، عريشٌ كعريش موسىٰ » .

(٥) أورده بنحوه الطرطوشي في « الحوادث والبدع » (ص١٠٦) .

وبلغَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أنَّ أساطينَ مسجدِ دمشقَ قد حمَّروها ، وخُلِّقَتْ بالزَّعفرانِ(١) ، فكتبَ إلىٰ عاملِهِ : (إنَّ المساكينَ أحوجُ إلىٰ تلكَ الدراهمِ مِنَ الأساطينِ)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ بنىٰ بناءً ، ونقشَهُ بالأحمرِ أوِ الأصفرِ . فهو آثمٌ هو ومَنْ أعانَهُ)(٣) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كنتُ أدخلُ حُجَرَ أزواجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأتناولُ سُقُفَها بيدي)(٤) .

وجاءَ رجلٌ إلى الحسنِ البصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقالَ لهُ : إنِّي عَمَرْتُ داراً ؛ فادخُلْها ، وادعُ لي فيها بالبركةِ ، فقالَ لهُ الحسنُ : لقد غرَّكَ أهلُ الأرضِ ، ومقتَكَ أهلُ السماءِ ؛ بنيْتَ شديداً ، وأمَّلْتَ بعيداً ، وستموتُ قريباً(٥) .

وسئلَ محمدُ بنُ سلامٍ البِيكَنْديُّ عنِ السنَّةِ في طولِ البناءِ في المساجدِ والمنازلِ ، فقالَ : (قدرُ قامةِ الرَّجلِ) .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ نظرَ إلىٰ بستانٍ أو بنيانٍ

---

(١) **خُلِّقت** : طُيِّبت بالخَلُوق ؛ وهو الطِّيب . انظر « المصباح المنير » (خ ل ق) .
(٢) رواه ابن زنجويه في « الأموال » (٩٥٥) .
(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٩) .
(٤) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٤٥٠) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٤٥) .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٣٠٨) .

بشهوةٍ مِنْ غيرِ عِبْرةٍ . . سلبَهُ اللهُ تعالىٰ حلاوةَ العبادةِ أربعينَ يوماً)[1] .

وكانَ المعتمرُ بنُ سليمانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سقطَ بيتٌ لنا ، فلم يبنِهِ أبي ، وقالَ : الأمرُ أعجلُ مِنْ ذلكَ ، ثمَّ ضربَ لنا خيمةً ، وأدخلَنا فيها ، فنحنُ فيها ثلاثينَ سنةً إلى الآنَ) انتهىٰ[2] .

فتأمَّلْ يا أخي في هـٰذهِ الأخلاقِ ، واستغفرْ ربَّكَ إنْ وجدْتَ نفسَكَ مخالفاً لها ؛ فإنَّهُ لا شرفَ للعبدِ إلا باتِّباعِ سلفِهِ الطاهرِ في الأقوالِ والأفعالِ والأخلاقِ .

وقد رأيتُ مَنْ عَمَرَ لهُ مسجداً ، فعادىٰ غالبَ الناسِ ؛ لكونِهم لم يساعدوهُ ، وصارَ مِقْراضاً في أعراضِهم ، فمثلُ هـٰذا عاصٍ للهِ تعالىٰ ، ولعلَّ ثوابَهُ الحاصلَ ببناءِ زاويتِهِ لا يرضىٰ بهِ واحدٌ في غِيبةٍ واحدةٍ اغتابَها فيهِ[3] ، وإذا كانَ مَنْ لهُ مالٌ لا ينبغي لهُ أنْ ينفقَهُ في الماءِ والطينِ إلا لضرورةٍ شرعيَّةٍ ، فكيفَ بمَنْ يسألُ الناسَ الدراهمَ ويبني بها ؟! فاعلمْ ذلكَ ، واعملْ بهِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) روى نحوه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٠) ، كلاهما من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٠) .

(٣) **ويشهد لذلك** : ما رواه البخاري (٦٤٧٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ؛ لا يلقي لها بالاً . . يهوي بها في جهنم » .

[كثرة مجاهدة النفس في العبادات وترك الشهوات]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : كثرةُ مجاهدةِ نفوسِهم في العباداتِ ، وتركِ الشهواتِ ، وعدمُ رضاهم بعد ذلكَ عنها إلىٰ أنْ يموتوا ، وهٰذا مُجمَعٌ عليهِ عندَ القومِ ، فمَنْ لم يجاهدْ نفسَهُ فقد خرقَ إجماعَهم ، وذلكَ حرامٌ ، وهٰذا مِنْ قاعدةِ : (ما لا يتمُّ الواجبُ إلا بهِ فهو واجبٌ)[(١)] .

وقد قالوا : مَنْ ظنَّ أنَّهُ بغيرِ بذلِ الجهدِ في الطاعاتِ يبلغُ شيئاً مِنَ الدرجاتِ . . فقد رامَ المُحالَ .

وقد قالوا : لا تُخرَقُ لعبدٍ العاداتُ إلا إنْ زادَ على الناسِ في العباداتِ ؛ وذلكَ لأنَّ الكراماتِ فرعُ المعجزاتِ ، فكما تميَّزَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكثرةِ الطاعاتِ والمعجزاتِ ، فكذلكَ الوليُّ لا تقعُ لهُ كرامةٌ إلا إنْ جاوزَ أقرانَهُ في الجِدِّ والطاعاتِ ، وأمَّا إذا فعلَ مثلَ أحدِهم مِنْ غيرِ زيادةٍ . . فلا تمييزَ لهُ عنهم .

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ٱلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[(٢)] .

---

(١) انظر القاعدة في « المحصول » للرازي (١/٢٠٣) .

(٢) رواه الترمذي (١٦٢١) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٧٩٤) من حديث سيدنا فَضالة بن عبيد رضي الله عنه .

وكانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أولُ ما تنكرونَ مِنَ الجهادِ جهادُ نفوسِكم)[١] .

وكانَ أبو مالكٍ الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ عدوُّكَ الذي إنْ قتلتَهُ آجَرَكَ اللهُ عليهِ ، ولٰكنَّ عدوَّكَ الذي بينَ جنْبَيكَ ـ يعني : النفسَ ـ وامرأتُكَ التي تضاجعُكَ ، وولدُكَ الذي مِنْ صلبِكَ ؛ فهٰؤلاءِ أعدىٰ عدوٍّ لكَ)[٢] .

وكانَ خضرٌ القارئُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نَحْتُ الجبالِ بالأظافيرِ حتىٰ تتقطعَ الأوصالُ . . أهونُ مِنْ مخالفةِ الهوىٰ إذا تمكَّنَ في النفسِ)[٣] .

وكانَ بشرٌ الحافي رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ستُّونَ مِنْ مَرَدةِ الشياطينِ لا يفسدونَ ما يفسدُهُ قرينُ السوءِ في لحظةٍ ، وستونَ مِنْ قُرَناءِ السوءِ لا يفسدونَ ما تفسدُهُ النفسُ في لحظةٍ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا جُعلَتِ الأمورُ كلُّها علىٰ وَفْقِ المرادِ للعبدِ . . أتاهُ الخللُ فيها مِنْ قِبَلِ نفسِهِ ، وأجمعَ سائرُ المللِ علىٰ أنَّ رضا الربِّ جلَّ وعلا في مكروهِ النفسِ) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الدنيا كلُّها محشوَّةٌ بالعجائبِ ، وأعجبُ العجائبِ نجاةُ نفوسِ مثلِنا مِنَ النارِ ، وكيفَ ينجو مِنَ النارِ مَنْ كلُّ أعمالِهِ تجرُّهُ إلى النارِ ؟!) .

---

(١) أورده ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » (ص٤٨٩) من رواية بقية بن الوليد رحمه الله تعالى .

(٢) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٢٩٤) من حديث سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) أورده الثعلبي في « تفسيره » (٨/ ٣٦٢) من قول مضر القاضي .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أصابَ شخصاً مِنَ الزهَّادِ سهمٌ فذبحَهُ ، فقالَ : الحمدُ للهِ الذي أخذَ ثأري مِنْ نفسي ، فكم جرحَتْني مِنْ جراحةٍ !) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : أنا أعلمُ شقاوتي مِنَ الآنَ ، فقالوا لهُ : وكيفَ ذلكَ ؟ فقالَ : لأنَّهم قالوا : **مِنْ علامةِ سعادةِ المرءِ** : أنْ يكونَ عدوُّهُ عاقلاً ، وأرىٰ خصمي لا عقلَ لهُ ، فقيلَ لهُ : ومَنْ خصمُكَ ؟ فقالَ : نفسي ، فقيلَ لهُ : أنتَ بحمدِ اللهِ ذو عقلٍ ، فقالَ : كيفَ عقلي وأنا أبيعُ الجنَّةَ بشهوةِ نومةٍ أو لقمةٍ أو كلمةٍ ؟![1] .

وكانَ بشرٌ الحافي رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الهوىٰ كَمِينٌ في النفسِ لا يؤمَنُ اتِّباعُهُ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ . . .﴾ الآيةَ [الجاثية : ٢٣])[2] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا نرىٰ أحداً اليومَ يعملُ على وَفْقِ السنَّةِ ، وإنَّما كلٌّ يعملُ علىٰ موافقةِ الهوىٰ ، ما بينَ عالمٍ وجاهلٍ ، وعابدٍ وزاهدٍ ، وشيخٍ وشابٍّ ، كلٌّ يعملُ ليُحمدَ علىٰ ذلكَ ؛ إمَّا عندَ اللهِ ، أو عندَ الخلقِ ، ويتركُ المعاصيَ خوفاً مِنِ ازدرائِهِ عندَ الناسِ ، لا خوفاً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ومَنْ ذا الذي لا يغضبُ منَّا ممَّنْ ذكرَهُ بسوءٍ بينَ الناسِ ؟! اصطلَحْنا ـ واللهِ ـ على المداهنةِ ، وتحابَبْنا بالألسنِ ، وتباغضْنا بالقلوبِ ، وطلبْنا العلمَ لغيرِ العملِ ، وطلبْنا بهِ التزيُّنَ والمباهاةَ ، فنحنُ مِنْ أولِ مَنْ تُسعَّرُ بهمُ النارُ) .

---

(١) في (د) : (عقل) بدل (عقلي) ، والخبر رواه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٥٩) .
(٢) أورده السفاريني في « غذاء الألباب » (٢/ ٤٥٦) من غير نسبة .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : يا داودُ ؛ إنْ أردْتَ محبَّتي لكَ فعادِ نفسَكَ ، ووُدَّني بعداوتِها)[1] .

وكانَ ابنُ أبي روَّادٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا ذُكرَتْ أحوالُ السلفِ بينَنا . . افتضحْنا كلُّنا) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ لو أنَّكم تجدونَ للمعاصي ريحاً . . لَمَا استطاعَ أحدُكم أنْ يجلسَ إليَّ مِنْ نَتْنِ ريحي)[2] .

وكانَ عطاءٌ [السَّلِيميُّ] رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ إذا أصابَ أهلَ بلدِهِ ريحٌ أو غلاءٌ أو فناءٌ أو بلاءٌ : (كلُّ هـٰذا مِنْ أجلي ، لو ماتَ عطاءٌ لاستراحَ الناسُ منهُ)[3] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ينبغي للرجلِ أنْ يكونَ عندَ اللهِ مِنْ أجلِّ الناسِ ، وعندَ نفسِهِ مِنْ أشرِّ الناسِ) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلُّ مَنِ ادَّعىٰ درجةً سقطَ منها ، وإذا كانَ الرجلُ أُعطيَ درجةً فمِنْ حقِّهِ أنْ يحقِّرَ نفسَهُ) .

وكانَ أبو معاويةَ الأسودُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلُّ مَنْ فضَّلَني علىٰ نفسِهِ مِنْ أصحابي . . فهو خيرٌ منِّي)[4] .

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٤٦٧) .

(٢) سبق تخريجه (ص١٥١) من قول محمد بن واسع رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢١) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٧٢) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ١٨) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا جلسَ إليهِ أحدٌ وثقلَ على قلبِهِ.. يوبِّخُ نفسَهُ ، ويقولُ لها : (إنَّكِ لا تحبِّينَ الصالحينَ ، ولمَّا رأيتِ هٰذا خيراً منكِ كرهتِهِ ، وثَقُلَ عليكِ مجالستُهُ)(١) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ كثيراً : (مَنْ أحبَّ أنْ ينظرَ إلىٰ مُراءٍ فلينظرْ إليَّ)(٢) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يمسكُ لحيتَهُ ، ويبكي ، ويقولُ : (كنتَ يا فضيلُ في شبيبتِكَ فاسقاً ، وصرْتَ في كهولتِكَ مُرائياً ، واللهِ؛ لَلفسقُ أهونُ مِنَ الرياءِ)(٣) .

وقالَ شخصٌ مرةً لمالكِ بنِ دينارٍ : يا مُرائي ، فقالَ : لقد عرفْتَ لقبي الذي أضلَّهُ أهلُ البصرةِ(٤) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ زعمَ أنَّهُ يحبُّ اللهَ تعالىٰ وهو يحبُّ نفسَهُ . . فقد كذبَ) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يكملُ العابدُ حتىٰ يصيرَ يرىٰ إخلاصَهُ رياءً)(٥) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو قيلَ لي : إنَّ أميرَ المؤمنينَ داخلٌ عليكَ الساعةَ ؛ فسوَّيْتُ لحيتي بيدي لقدومِهِ . . لخفْتُ أنْ أُكتَبَ في جريدةِ المنافقينَ)(٦) .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٢ـ ٢٦٣) .

(٢) سبق تخريجه (ص١٠٨) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٢٣) .

(٤) سبق تخريجه (ص٤٥٤) .

(٥) أورد نحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٤٧٨) من قول بعض السلف .

(٦) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه**) ، والخبر رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية »=

وأمَّا تركُ القومِ للشهواتِ فدليلُهم في ذلكَ الآياتُ والأخبارُ .

وقد كانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تصدَّى الشيطانُ لعنَهُ اللهُ لسليمانَ بنِ داودَ عليهما الصلاةُ والسلامُ ، فقالَ لهُ سليمانُ : ما أنتَ صانعٌ بأمةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أنتَ أدركْتَهم ؟ فقالَ : أزيِّنُ لهمُ الدنيا ؛ حتىٰ يكونَ الدينارُ والدرهمُ أشهىٰ إلىٰ أحدِهم مِنْ شهادةِ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ)[1] .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ غلبَ شهوتَهُ فهو خيرٌ مِنَ الملائكةِ ؛ لأنَّ الملائكةَ عقولٌ بلا شهوةٍ ، ومَنْ غلبَتْهُ شهوتُهُ ، وغلبَتْ علىٰ عقلِهِ . . فهو شرٌّ مِنَ البهائمِ ؛ إذِ البهائمُ شهوةٌ بلا عقلٍ)[2] .

وكانَ الأحنفُ بنُ قيسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أكلَ الشهواتِ ، وطلبَ حفظَ فرجِهِ وجوارحِهِ . . فقد طلبَ المُحالَ) .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يمرُّ على الجزَّارِ ، فيقولُ لهُ : خذْ لكَ لحماً وأنا أصبرُ عليكَ ، فيقولُ لهُ : أنا أَصْبَرُ علىٰ نفسي[3] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (محاربةُ الزاهدينَ تكونُ معَ الشهواتِ ، ومحاربةُ التوَّابينَ تكونُ معَ السيئاتِ ، ومَنْ أرادَ حمايةَ نفسِهِ مِنْ

= (١٠/ ١٦١) من قول سريٍّ رحمه الله تعالىٰ .

(١) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٢٣٥) .

(٢) أورده بنحوه المطهر بن طاهر المقدسي في « البدء والتاريخ » (١/ ١٨٠ـ١٨١) من قول كعب رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٤٦) .

دخولِ النارِ فليتركْ أكلَ الشهواتِ وسائرَ ما تشتهيهِ نفسُهُ في الدنيا)[١] .

وقالَ عتبةُ الغلامُ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً لعبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ : إنَّ فلاناً يصفُ نفسَهُ بأخلاقٍ لا نذوقُها ، وهو صادقٌ عندَنا ، فما سببُ عدمِ فهمِنا بحالِهِ ؟ فقالَ : لأنَّهُ يأكلُ خبزَهُ بلا إدامٍ ، وأنتم تأكلونَهُ بالإدامِ ، وكلُّ ما زادَ على الخبزِ فهو شهوةٌ[٢] .

وكانَ أبو العباسِ الموصليُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ زعمَ أنَّ أكلَ

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٦٧) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٨) ، كلاهما بنحوه مختصراً من قول وهيب بن الورد رحمه الله تعالىٰ .

وفي هامش (ج) : (**قلت** : موضوع الكتاب على اتباع الخُلُق المحمدي قولاً وفعلاً ، وقد ثبت أنه عليه السلام قدَّم له أهله خبزاً ، فقال : « ما من أُدم ؟ » فقالوا : ما عندنا إلا خلٌّ ، فقال : « نِعمَ الإدام الخلُّ » ، فأكل الخبز معه ، وأثنىٰ عليه ، وفي حديث آخر قال عليه السلام : « ايتدموا ولو بالماء » ، ولو كان الإدام شهوة ومانعاً من صفاء القلب . . لم يؤثره ولم يحث أمته عليه ، كيف وقد قال بعض المحققين : في طلبه صلى الله عليه وسلم الإدامَ . . إشارةٌ إلىٰ أن أكل الخبز مع الإدام من أسباب حفظ الصحة ، بخلاف الاقتصار علىٰ أحدهما ؟! انتهىٰ .

ومعلوم : أن الصحة مما يتوقف عليه العبادة ؛ فيُعتنىٰ بها ؛ لأن للوسائل حكم المقاصد كما هو معلوم من قواعد الدين ، وقوله : « كل ما زاد على الخبز فهو شهوة » . . لا يصح كلياً إلا أن يُحمل علىٰ ما هو المتعارف في زمانه ، وأيضاً يمكن أن يحمل الإدام علىٰ ما يعتاده أصحاب الترفُّه ، إلا أن مواجهته عتبة الغلام تأباه له رياضته وقمع شهواته مما لا يخفىٰ علىٰ أحد . انتهىٰ) .

والحديث الأول رواه بنحوه ابن ماجه (٣٣١٨) من حديث السيدة أم سعد رضي الله عنها ، والحديث الثاني رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٥٧٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

الشهواتِ لا يضرُّهُ . . فقد أعظمَ الفِريةَ على اللهِ تعالىٰ)[1] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (مِنَ المحالِ أنْ يجدَ أحدٌ لذَّةَ الطاعاتِ وهو يتناولُ الشهواتِ)[2] .

وكانَ طاوسٌ رضيَ اللهُ عنهُ يصفُ للمريضِ قلَّةَ الأكلِ ، ويقولُ : (لم يجعلِ اللهُ تعالىٰ لصحيحٍ ولا مريضٍ دواءً أعظمَ مِنْ تركِ الأكلِ ، وما أتى المرضُ لمريضٍ إلا مِنْ جهةِ الأكلِ ؛ ولذلكَ كانَتِ الملائكةُ لا تمرضُ ؛ لعدمِ أكلِها) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ نظرَ إلىٰ قصرٍ أو بستانٍ أو غيرِ ذلكِ فاستحسنَهُ . . نقصَ مِنْ عقلِهِ بقدرِ ما استحسنَ) .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ تناولَ الشهواتِ فليتهيأْ للذلِّ في الدنيا والآخرةِ)[3] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (شهواتُ النفسِ نيرانُها ، وحطبُها لذَّتُها ، والجوعُ ماؤُها الذي تُطفأُ بهِ) .

وكانَ يحيى بنُ زكريا عليهما الصلاةُ والسلامُ مِنْ أطيبِ الناسِ طعاماً ؛ كانَ يأكلُ الجرادَ ، وقلوبَ الشجرِ والنباتِ[4] .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٥) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٥) .

(٣) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٣٩٧) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧٩) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٤٢٢) .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يجوِّعُ نفسَهُ ويمنِّيها ، ويقولُ لها : (الأكلُ أمامَكِ)[١] .

وكانَ بشرُ بنُ السريِّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لَأنْ أتركَ ذرَّةً مِنْ غدائي أو عشائي . . أحبُّ إليَّ مِنْ عبادةِ العابدينَ ، وصلاةِ المصلِّينَ ، وحجِّ الحاجِّينَ ، وصومِ الصائمينَ ، وجهادِ المجاهدينَ)[٢] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مذهبُ جميعِ الصالحينَ الجوعُ ؛ فمَنْ فرَّ مِنَ الجوعِ فهو مِنَ الفاسقينَ)[٣] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا العلماءَ وهم ربيعٌ ، فصاروا الآنَ مزابلَ للدنيا) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا رأيتُمُ الزاهدَ قد ترخَّصَ بأكلِ الشهواتِ . . فاعلموا أنَّهُ قد رجعَ عنِ الزهدِ ؛ فإنَّ التبسُّطَ في الدنيا معدودٌ مِنْ فسقِ العارفينَ ، فكيفَ بآحادِ الناسِ ؟!) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ ما بقيَ أحدٌ مِنْ زُهَّادِ هـٰذا الزمانِ تَقِرُّ العينُ برؤيتِهِ ، وقد أدركْنا أقواماً كانوا يَحرِصونَ علىٰ تركِ الدنيا أكثرَ ممَّا يَحرِصُ هـٰؤلاءِ علىٰ تحصيلِها) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ كانَ شبعُهُ بالطعامِ . . لم يزلْ جائعاً ، ومَنْ كانَ استنادُهُ إلى الخلقِ دونَ اللهِ . . لم يزلْ مخذولاً)[٤] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٤٩) .
(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٠٠) .
(٣) روى نحوه السلمي في « عيوب النفس » (ص٩) .
(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥١) من قول أبي يعقوب النهرجوري رحمه الله تعالى .

وكانَ يزيدُ الرَّقاشيُّ رحمَهُ اللهُ لا يشربُ الماءَ الباردَ أبداً ، ويقولُ : (أخافُ إنْ شربتُهُ في الدنيا أنْ أُحرمَ شربَهُ في الآخرةِ)(١) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ الناسَ يقولونَ : إنَّ مَنْ تركَ اللحمَ أربعينَ يوماً . . قلَّ عقلُهُ ، وقد تركتُهُ سنينَ وما نقصَ مِنْ عقلي شيءٌ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ لا يأكلُ مِنْ رُطَبِ البصرةِ شيئاً ، وإذا مضىٰ زمنُهُ قالَ : (يا أهلَ البصرةِ ؛ هٰذا بطني ؛ ما نقصَ تركُ أكلِ الرُّطَبِ منهُ شيئاً ، ولا زادَ في بطونِكم شيئاً)(٢) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (صاحبُ الشهواتِ معذَّبٌ في الدنيا والآخرةِ ؛ في الدنيا في تحصيلِها ، وفي الآخرةِ في الحسابِ عليها) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ كثُرَ أكلُهُ كثُرَ لحمُ بطنِهِ ، ومَنْ كثُرَ لحمُ بطنِهِ كثُرَتْ شهواتُهُ ، ومَنْ كثُرَتْ شهواتُهُ كثُرَتْ ذنوبُهُ ، ومَنْ كثُرَتْ ذنوبُهُ قسا قلبُهُ ، ومَنْ قسا قلبُهُ غَرِقَ في الذنوبِ والآفاتِ ، ومَنْ غَرِقَ في الذنوبِ والآفاتِ دخلَ النارَ)(٣) .

واشتهىٰ مالكُ بنُ دينارٍ في مرضِ موتِهِ خبزاً أبيضَ ولبناً ، فأتَوهُ بهِ ،

---

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٥٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٤٧) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٤٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٦) .

(٣) روىٰ نحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٤١) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

فنظرَ إليهِ ، ثمَّ قالَ : (دافعْتُ نفسي عنِ الشهواتِ طولَ عمري ، أفأوافقُها في آخرِهِ ؟!) ، ثمَّ قالَ : (اذهبوا بهِ إلىٰ يتيمِ بني فلانٍ) ، ولم يأكلْهُ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

ومكثَ معروفٌ الكرخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ثلاثينَ سنةً يشتهي أنْ يغمسَ جزرةً في دِبسٍ ، ثمَّ ماتَ ولم يفعلْ ذلكَ[2] .

وقدَّموا لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ إناءً فيهِ لبنٌ وعسلٌ ، فردَّهُ ولم يأكلْ منهُ ، وقالَ : (تذهبُ لذَّتُهُ ، وتبقىٰ تَبِعَتُهُ)[3] .

ورأى ابنَهُ عبدَ اللهِ يوماً يأكلُ خبزاً وسمناً ، فَعَلاهُ بالدِّرَّةِ وقالَ : (كلْ خبزاً وملحاً ، واتركِ السَّمنَ لغيرِكَ) انتهىٰ[4] .

فتأمَّلْ يا أخي نفسَكَ ، وابكِ علىٰ حالِكَ ؛ فإنَّ سَداكَ ولُحمتَكَ شهواتٌ ؛ فأنتَ محجوبٌ عن ربِّكَ في عمومِ الأوقاتِ ؛ لا تستلذُّ بشيءٍ مِنَ العباداتِ ، ولا تراقبُ ربَّكَ في الخلواتِ ، فكيفَ تدَّعي أنَّكَ مِنَ الصالحينَ ، وأنتَ قد خالفْتَهم في جميعِ أحوالِهم ؟! فإنْ لم توافقْهم في الأمورِ الباطنةِ ، وإلا فانزعْ زِيَّهمُ الظاهرَ مِنْ عمامةِ صوفٍ وعَذَبةٍ وجُبَّةٍ .

وقد رأيتُ مرةً شخصاً بهٰذهِ الصفةِ في وليمةٍ ؛ يمدُّ يدَهُ يميناً وشمالاً ،

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٦٦) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١١٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤١٩) ، كلاهما عن السري السقطي رحمه الله تعالىٰ .
(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٢٧٠) .
(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/٣٥٣) .

فيلتقطُ اللحمَ وأطايبَ الطعامِ مِنْ بينِ يدَيْ إخوانِهِ ، وربَّما يُدعىٰ إلىٰ أكلةٍ واحدةٍ إلىٰ بلبيسَ أوِ المطريةِ خارجَ مصرَ ، فيسافرُ إليها ، وربَّما يدَّعي أنَّ ذلكَ إنَّما هو جبرٌ لخاطرِ مَنْ يدعوهُ لا لأجلِ شهوةِ بطنِهِ ، والناقدُ بصيرٌ .

فاعلمْ يا أخي ذلكَ ، واحذرْ منهُ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[شدّة الاجتهاد في العبادة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدَّةُ اجتهادِهم في العبادةِ ؛ ليلاً ونهاراً ، نساءً ورجالاً ، ومواظبتُهم علىٰ قيامِ الليلِ ؛ لا سيما في ليالي الشتاءِ ، وعدمُ رؤيتِهم نفوسَهم بذلكَ علىٰ أحدٍ مِنَ النائمينَ ، أو أنَّهم قاموا بذرَّةٍ مِنْ واجبِ حقوقِ اللهِ عليهم ، بل يرَونَ جميعَ عباداتِهم مِنَ النِّعمِ التي لا يطيقونَ لها شكراً ، كما سيأتي بسطُهُ في أماكنَ مِنْ هـٰذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « رَحِمَ ٱللَّهُ أَقْوَاماً يَحْسَبُهُمُ ٱلنَّاسُ مَرْضَىٰ وَمَا هُمْ بِمَرْضَىٰ »[1] ، قالَ الحسنُ البصريُّ : (أي : أجهدَتْهمُ العبادةُ)[2] ، قالَ : (وكانوا يعملونَ أعمالَ البرِّ ، ويخافونَ ألا تُقبلَ منهم)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْتُ أقواماً ، وصحبْتُ طوائفَ ما كانوا يفرحونَ بشيءٍ مِنَ الدنيا أقبلَ ، ولا يحزنونَ علىٰ شيءٍ منها أدبرَ ، ولَهِيَ كانَتْ في أعينِهم أهونَ مِنَ الترابِ الذي تطؤونَ عليهِ ، ولقد كانَ أحدُهم

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٢) من حديث الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٢) بعد تخريجه للحديث المذكور .

(٣) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٤٨) .

يعيشُ عمرَهُ كلَّهُ ما يُطوىٰ له ثوبٌ ، ولا يأمرُ أهلَهُ بصنعةِ طعامٍ ، ولا يجعلونَ بينَهم وبينَ الأرضِ شيئاً إذا ناموا ، وكانوا عاملينَ بكتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكانوا إذا جنَّهمُ الليلُ قاموا علىٰ أقدامِهم ، وافترشوا وجوهَهم ، وجرَتْ دموعُهم علىٰ خدودِهم ، حتَّىٰ يظنَّ الداخلُ أنَّ تلكَ الدموعَ هي ماءُ الوضوءِ قد رُشَّ على الأرضِ)[1] .

ودخلَ قومٌ علىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في مرضِهِ يعودونَهُ ، فرأَوهُ ناحلَ الجسمِ ، فقالوا لهُ : ما الذي بلغَ بكَ إلىٰ ما نرىٰ ؟ فقالَ : همومٌ وأحزانٌ تولَّدَتْ مِنْ خوفِ الحسابِ ، وسوءِ المنقلَبِ[2] .

ولمَّا ماتَ منصورُ بنُ المعتمرِ قالَ رجلٌ لأمِّهِ : ما فعلَ منصورٌ ؟ فقالَتْ : صامَ فلم يفطرْ إلا عندَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ[3] .

وكانَتِ ابنةُ جارِهِ تراهُ يصلِّي في الليلِ علىٰ سطوحٍ لهُ ، فكانَتْ تظنُّ أنَّهُ ساريةٌ ؛ لطولِ قيامِهِ ، فلمَّا ماتَ قالَتِ الجاريةُ لأهلِهِ : ما صنعَ ذلكَ العمودُ الذي كانَ فوقَ سطحِكم ؟ فقالوا لها : قَدِمَ علىٰ ربِّهِ عزَّ وجلَّ ، فقالَتْ : كيفَ ؟! فقالوا لها : لم يكنْ في سطحِنا عمودٌ ، وإنَّما ذلكَ منصورٌ ؛ كانَ يقومُ طولَ الليلِ[4] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٦٤٣) .

(٢) أحوالُهُ في الخوف والخشية مشهورةٌ ؛ روىٰ طرفاً منها أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٧) وما بعدها .

(٣) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٤١) أخباراً عن عبادته ؛ منها : (أنه صام ستين سنة ؛ يقوم ليلها ، ويصوم نهارها) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٤٠) .

وكانَ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ يذكرُ ذلكَ ، ويبكي حتىٰ تبتلَّ لحيتُهُ .

وكانَ داودُ الطائيُّ يواصلُ العبادةَ ليلاً ونهاراً حتىٰ لم يبقَ لهُ وقتٌ يأكلُ فيهِ ولا يشربُ ، فكانَ يأكلُ السويقَ والفتيتَ دونَ الخبزِ[1] ، ويقولُ : (بينَ مضغِ اللقمةِ وبلعِها قراءةُ كذا كذا آيةً)[2] .

ودخلَ عليهِ رجلٌ يوماً يزورُهُ ، فنظرَ إلىٰ جذعٍ مكسورٍ في سقفِ بيتِهِ ، فأخبرَهُ بذلكَ ، فقالَ : (يا بنَ أخي ؛ إنَّ لي في هـٰذا البيتِ عشرينَ سنةً ما نظرْتُ إلىٰ سقفِهِ ؛ حياءً مِنْ ربي عزَّ وجلَّ)[3] .

وكانوا يجلسونَ إلىٰ أحمدَ بنِ رَزِينٍ اليومَ كاملاً ، فما يَرونَهُ يلتفتُ يميناً ولا شمالاً ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ إنَّما خلقَ العينَينِ للاعتبارِ ؛ فكلُّ مَنْ نظرَ بغيرِ اعتبارٍ كُتبَتْ عليهِ خطيئةٌ)[4] .

وكانَتِ امرأةُ مسروقٍ تقولُ : (واللهِ ؛ ما كانَ مسروقٌ يصبحُ مِنْ ليلةٍ مِنَ الليالي إلا وساقاهُ منتفختانِ مِنْ طولِ القيامِ) ، قالَتْ : (وكنتُ أجلسُ خلفَهُ ، فأبكي عليهِ ؛ رحمةً لهُ)[5] .

---

(١) في هامش (ج) عند قوله : (السويق) : (وهو دقيق القمح المقلو أو الشعير أو الذرة أو غيرها كما في « التنقيح ») .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٥٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٥٠) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٥٤) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٠٠) .

(٥) سبق تخريجه (ص ٣٨٢) .

وكانَ إذا طالَ عليهِ الليلُ وتعبَ مِنَ القيامِ . . يصلِّي جالساً ، ولا يتركُ الصلاةَ ، وإذا فرغَ يزحفُ كما يزحفُ البعيرُ مِنَ الضَّعفِ .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لولا ظمأُ الهواجرِ وقيامُ الليلِ . . ما أحببْتُ البقاءَ في هٰذهِ الدارِ)[1] .

وصامَ الأسودُ بنُ يزيدَ في الحرِّ حتى اخضرَّ جسدُهُ واصفرَّ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يصلِّي حتىٰ يسقطَ مِنْ قيامِهِ .

وقالوا مرةً لعلقمةَ بنِ قيسٍ : كم تعذِّبُ هٰذا الجسدَ ! فقالَ : إنَّما أريدُ كرامتَهُ يومَ القيامةِ[2] .

وصامَ العلاءُ بنُ زيادٍ حتى اخضرَّ جسدُهُ ، وصلَّىٰ حتىٰ سقطَ مِنَ القيامِ ، فدخلَ عليهِ الحسنُ البصريُّ ومالكُ بن دينارٍ ، فقالا لهُ : إنَّ اللهَ تعالىٰ لم يأمرْكَ بكلِّ هٰذا ، فقالَ : إنَّما أنا عبدٌ مملوكٌ ، واللهِ ؛ لو أنِّي سجدْتُ على الجمرِ عمري كلَّهُ بل منذُ خلقَ اللهُ تعالى الدنيا إلىٰ قيامِ الساعةِ . . ما أدَّيتُ شكرَ عافيةِ ساعةٍ واحدةٍ ، ولا شربةِ ماءٍ[3] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يصلي كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ حتىٰ أُقعدَ مِنْ

---

(١) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٢٧٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢١٢/١) .

(٢) هٰذا الخبر والذي قبله خبر واحد رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٥٠٢) ، وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٦٦) ، وفيهما : (فكان علقمة بن قيس يقول له ـ أي : للأسود ـ : لم تعذب هٰذا الجسد ؟ . . .) إلىٰ آخره .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٦٥) ، وفيه : أن الداخل هو سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه والحسن رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

رجلِهِ ، فصارَ يصلي خمسَ مئةِ ركعةٍ واقفاً ، ومثلَها جالساً ، فإذا صلَّى العصرَ احتبىٰ[1] .

وكانَ عليُّ بنُ الفضيلِ رضيَ اللهُ عنهُ لا يستطيعُ أنْ يقرأَ سورةَ (القارعةِ) ، ولا يسمعَها مِنْ غيرِهِ ، فهجمَ عليهِ إنسانٌ ، فقرأَ بها في صلاةِ المغربِ ، فغُشِيَ عليهِ ثلاثةَ أيَّامٍ لا يُفِيقُ[2] .

وكانَ الحارثُ بنُ سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مررْنا براهبٍ ، فرأينا شدَّةَ اجتهادِهِ ، وما يصنعُ بنفسِهِ ، فكلمْناهُ في ذلكَ ، فقالَ : وما هـٰذا الأمرُ بالنسبةِ لِمَا نلاقيهِ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ ممَّا نحنُ عنهُ غافلونَ ؟! فقالَ لهُ بعضُ القومِ : نريدُ نسألُكَ عن أمرٍ ، فهل أنتَ مجيبٌ عنهُ ؟ فقالَ : سلُوا ولا تكثِروا ؛ فإنَّ الوقتَ لن يعودَ ، والعمرَ لن يرجعَ ، والطالبَ حثيثٌ ذو اجتهادٍ ، فعجبْنا مِنْ كلامِهِ ، فقلْنا لهُ : ما حكمُ الخَلْقِ غداً عندَ ربِّهم ؟ فقالَ : يكونونَ علىٰ قدْرِ نيَّاتِهم ، فقلْنا لهُ : أوصِنا ، فقالَ : تزوَّدوا علىٰ قدْرِ سفرِكم ، ثمَّ أدخلَ رأسَهُ في صومعتِهِ وتركَنا)[3] .

وكانَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : مررْتُ علىٰ راهبٍ مِنْ رهبانِ الصينِ ، فقلْتُ لهُ : يا راهبُ ؛ فسكتَ ، فقلْتُ : لِمَ لم تجبْني ؟ فقالَ : خفْتُ أنْ أقولَ : نعم فأكذبَ ؛ لأنَّ الراهبَ هو مَنْ رَهِبَ مِنَ اللهِ في

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٩٩) عن عامر بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ .

(٢) سبق تخريجه (ص٤٦٧) .

(٣) أورده بنحوه مختصراً الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٧٩) .

سمائِهِ[١] ، وعظَّمَهُ في كبريائِهِ ، وصبرَ على بلائِهِ ، ورضيَ بقضائِهِ ، وحمدَهُ على نعمائِهِ ، وتواضعَ لعظمتِهِ ، وذلَّ لعزَّتِهِ ، واستسلمَ لقدرتِهِ ، وخضعَ لمهابتِهِ ، وتفكَّرَ في حسابِهِ وعقابِهِ ، وظلَّ نهارَهُ صائماً ، وليلَهُ قائماً ، قد أسهرَهُ ذكرُ النارِ ، ومساءلةُ الجبارِ ، فهـٰذا هو الراهبُ ، وأمَّا أنا فكلبٌ عقورٌ حبسْتُ نفسي في هـٰذِهِ الصومعةِ ؛ لئلَّا أعقِرَ الناسَ ، فقلْنا لهُ : فما الذي قطعَ الناسَ عن ربِّهِم بعدَ أنْ عرفوهُ ؟ فقالَ : قطعَهم عنهُ حبُّ الدنيا ؛ فإنَّها محلُّ المعاصي ، فالعاقلُ مَنْ رمى بها عن قلبِهِ ، وتابَ إلى اللهِ مِنْ ذنبِهِ ، وأقبلَ على ما يقرِّبُهُ مِنْ حضرةِ ربِّهِ[٢] .

وتلبَّدَتْ لحيةُ داودَ الطائيِّ فقالوا لهُ : ألا تُسرِّحُها ؟ فقالَ : إنِّي إذاً لفارغٌ ![٣] .

وكانَ أويسٌ القَرَنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يُحيي الليلَ كلَّهُ بسجدةٍ واحدةٍ[٤] .

ولمَّا تابَ عتبةُ الغلامُ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ لا يتفرَّغُ لأكلٍ ولا شربٍ ، فقالَتْ لهُ أمُّهُ : لو رفَقْتَ بنفسِكَ يا ولدي ، فقالَ : دعيني أتعَبُ في عمرٍ قصيرٍ ليومٍ طويلٍ[٥] .

---

(١) في هامش (ج) : (هو على اعتقاد الراهب ، وإلا فهو سبحانه منزَّه عن المكان) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٨١ـ١٨٢) .

(٣) سبق تخريجه (ص٣٦٨) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٨٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٤٤٣ـ ٤٤٤) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٢٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٣٦) ، وفيهما : أنَّ الناصح له عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى .

ولما حجَّ مسروقٌ رضيَ اللهُ عنهُ لم ينمْ قطُّ في الطريقِ إلا ساجداً على وجهِهِ[١] .

وكانَ ابنُ هلالٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أرجو مِنَ اللهِ تعالى ألا يشهدَ عليَّ ليلٌ بنومٍ ، ولا نهارٌ بفطرٍ)[٢] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ داودَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم إذا بلغَ الأربعينَ سنةً يطوي فراشَ النومِ إلى أنْ يموتَ)[٣] .

وكانَ كَهْمَسُ بنُ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ يصلِّي كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ ، ثمَّ يقولُ لنفسِهِ إذا تعبَ : (قومي يا مأوى كلِّ شرٍّ) ، فلمَّا ضعفَ في آخرِ عمرِهِ كانَ يصلِّي خمسَ مئةِ ركعةٍ ، ثمَّ يبكي ويقولُ : (يا ويلي ؛ نقصَ نصفُ عبادتي)[٤] .

وكانَتِ ابنةُ الربيعِ بنِ خُثيمٍ تقولُ لهُ : يا أبتِ ؛ ما لي أرى الناسَ ينامونَ وأنتَ لا تنامُ ؟! فيقولُ : لأنَّ أباكِ يخافُ أنْ يموتَ في نومِهِ ، فيدخلَ النارَ[٥] .

وسافرَ مالكُ بنُ دينارٍ لزيارةِ أويسٍ القَرَنيِّ ، فوجدَهُ جالساً بعدَ صلاةِ الصبحِ ، فقالَ لهُ : السلامُ عليكَ ، فردَّ عليهِ السلامَ ، ثمَّ لم يتكلَّمْ إلى

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٥) .
(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٧٢) .
(٣) سبق تخريجه (ص٣٨٣) .
(٤) سبق تخريجه (ص٣٨٣) .
(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٦٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١١٤) .

الظهرِ ، فلمَّا صلَّى الظهرَ لم يتكلَّمْ إلى العصرِ ، فلمَّا صلَّى العصرَ لم يتكلَّمْ إلى المغربِ ، فلمَّا صلَّى المغربَ لم يتكلَّمْ إلى العشاءِ ، فلمَّا صلَّى العشاءَ لم يتكلَّمْ إلى الصبحِ ، فلمَّا صلَّى الصبحَ غلبتْهُ عيناهُ وهو جالسٌ ، ثمَّ انتبهَ فَزِعاً وهو يقولُ : اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ عينٍ نوَّامةٍ ، ومِنْ بطنٍ لا تشبعُ ، فقلْتُ في نفسي : حسبي هـٰذا مِنْ شهودِ أحوالِهِ ، ثمَّ رجعْتُ إلىٰ بلادي ولم أكلمْهُ[1] .

ونظرَ رجلٌ إلىٰ أويسٍ فقالَ : ما لي أراكَ مريضَ الدهرِ ؟! فقالَ : وما لأويسٍ لا يكونُ مريضاً ؛ يَطْعَمُ المريضُ وأويسٌ غيرُ طاعمٍ ، وينامُ المريضُ وأويسٌ غيرُ نائمٍ ثمَّ قالَ : وا عجباهْ ممَّنْ يعلمُ أنَّ الجنةَ تُزيَّنُ فوقَهُ ، والنارَ تُسعَّرُ تحتَهُ ! فكيفَ ينامُ مَنْ هو بينَهما ينظرُ إليهما ؟![2] .

ودخلَ رجلٌ علىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ زائراً ، فوجدَهُ قد صلَّى العشاءَ ، فجلسَ يَرْقُبُهُ إلى الفجرِ وإبراهيمُ مضطجعٌ ، فلمَّا طلعَ الفجرُ قامَ إبراهيمُ للصلاةِ ولم يجدِّدْ وضوءاً ، فقالَ لهُ : كيفَ تصلِّي وقد كنتَ نائماً ؟! فقالَ : لم يأخذْني نومٌ ، بل كنتُ جائلاً في أوديةِ النارِ أنظرُ عذابَ أهلِها ؛ فكيفَ أنامُ ؟![3] .

وكانَ ثابتٌ البُنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم يصلِّي ؛ فلا يأتي فراشَهُ إلا زحفاً أو حبواً)[4] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/٤٤٣ـ٤٤٤) من طريق الربيع بن خثيم رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٨٥) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٨٥) .

(٤) سبق تخريجه (ص٣٨٦ـ٣٨٧) .

وكان عامرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يصومُ الدهرَ ، ويقومُ الليلَ كلَّهُ ، فقالوا له في ذلكَ ، فقالَ : (هل هو إلا أنِّي جعلْتُ طعامَ النهارِ إلى الليلِ ، ونومَ الليلِ إلى النهارِ ؟! فليسَ في ذلكَ كبيرُ أمرٍ)[١] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يصبحونَ شُعْثاً غُبْراً[٢] ، قد باتوا سُجَّداً وقياماً ، يراوِحونَ بينَ أقدامِهم وجباهِهم[٣] ، وكانوا إذا ذكروا اللهَ عزَّ وجلَّ يَميدونَ كما تميدُ الشجرةُ في يومِ الريحِ ، وتَهمِلُ أعينُهم حتىٰ تبتلَّ ثيابُهم ، ويصيرُ رَشاشُ دموعِهم حولَهم كآثارِ ماءِ الوضوءِ ، ثمَّ يدهنونَ وجوهَهم عندَ السَّحَرِ ، ويكتحلونَ كأنَّهم باتوا غافلينَ نائمينَ)[٤] .

وكانَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ قد وضعَ في مكانِ تهجُّدِهِ سَوطاً ، فكانَ كلَّما أخذَتْهُ فَتْرةٌ ضربَ نفسَهُ بالسَّوطِ ، ويقولُ لنفسِهِ :

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٨٧) .

(٢) في هامش (ج) عند قوله : (**شُعْثاً**) : (بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها ثاء مثلَّثة : جمع أشعث ؛ وهو المغبَّر الرأس كما في « القاموس » [ش ع ث] ، وقوله : « **غُبْراً** » علىٰ وزنه جمع الأغبر ؛ أي : المتلطخ بالغبار . انتهىٰ) .

(٣) في هامش (ج) عند قوله : (**يراوحون**) : (من المراوحة بالراء والحاء المهملتين ، **والمراوحة بين العملين** : أن يعمل هـٰذا مرة وهـٰذا مرة ، **فالمراد** : أنهم ما بين قيام وسجود ؛ تارة يقومون ، وتارة يسجدون ، كذا في « القاموس » [ر و ح] ، و« النهاية » [٢/ ٢٧٤] ، فالزاي والجيم علىٰ ما في بعض النسخ تصحيف ينبغي إصلاحه . انتهىٰ) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٠٥) ، والدينوري في « المجالسة » (١٤٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧٦) ، كلهم من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(قومي لعبادةِ ربِّكِ ، واللهِ ؛ لأزحفَنَّ بكِ إلى العبادةِ زحفاً حتىٰ يكونَ الكَلالُ منكِ لا منِّي)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لنفسِهِ : (أنتِ أَولىٰ بالضربِ من الدابةِ ؛ لموضعِ عقلِكِ ، وكثرةِ دعاويكِ)[2] .

وتعبَّدَ ضَيْغمٌ العابدُ قائماً حتىٰ أُقعِدَ ، وتعبَّدَ قاعداً حتى استلقىٰ ، وتعبَّدَ مستلقياً حتىٰ ماتَ[3] .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا أقواماً كانوا في العبادةِ علىٰ حدٍّ لا يقبلُ الزيادةَ) .

وتعقَّدَتْ ساقا صفوانَ بنِ سُلَيمٍ مِنْ طولِ القيامِ ، حتىٰ لو أنَّهُ قيلَ لهُ : إنَّ الساعةَ تقومُ غداً . . ما وجدَ زيادةً علىٰ عملِهِ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا جاءَ الشتاءُ . . يتهجَّدُ فوقَ السطحِ ، وفي الصيفِ بالعكسِ ، حتىٰ ماتَ وهو ساجدٌ[4] .

وكانَ القاسمُ بنُ محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأيتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها تصلِّي الضحىٰ ، وتردِّدُ هـٰذه الآيةَ : ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور : ٢٧] إلىٰ قريبِ الزوالِ وهي تبكي)[5] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٢٧) .
(٢) رواه بنحوه أبو داود في « الزهد » (٤٨٤) .
(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢١) .
(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٥٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/ ١٢٧) .
(٥) رواه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٣١) ، ورواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٩٠٩) ، والقاسم هو ابن أخ السيدة عائشة رضي الله عنها .

وكانَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ الأسودِ إذا اعتلَّتْ رجلُهُ قامَ على رجلٍ واحدةٍ إلى الصباحِ ، ولا يتركُ قيامَ الليلِ(١) .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**علامةُ الصالحينَ** : صُفْرةُ الألوانِ مِنْ طولِ السهرِ ، وعَمَشُ العيونِ مِنْ طولِ البكاءِ(٢) ، وذبولُ الشِّفاهِ مِنْ كثرةِ الصومِ)(٣) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لمجتهدي زمانِهِ : (واللهِ ؛ إنَّ اجتهادَكم كاللعبِ فيمَنْ كانَ قبلَكم)(٤) .

وقيلَ لهُ مرةً : ما بالُ المتهجدينَ ؛ أحسنُ الناسِ وجوهاً ؟! فقالَ : لأنَّهم خلَوا بالرحمـٰنِ ؛ فألبسَهم نوراً مِنْ نورِهِ(٥) .

وكانَ عتبةُ الغلامُ رضيَ اللهُ عنهُ يقطعُ الليلَ بثلاثِ صيحاتٍ ، فكانَ يضعُ رأسَهُ في طوقِهِ يتفكَّرُ ، فإذا مضىٰ كلُّ ثلثٍ مِنَ الليلِ يصيحُ صيحةً ، فحدَّثوا بذلكَ جعفرَ بنَ محمدٍ الصادقَ ، فقالَ : (لا تنظروا إلىٰ صياحِهِ ، ولـٰكنِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٠٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/ ٢٣١) .

(٢) في هامش (ج) : (**العَمَش** محركة : مصدر عمشت العين من باب « تعب » ؛ سال دمعها في أغلب الأوقات مع ضعف البصر ، فالرجل أعمش ، والأنثىٰ عمشاء ، كذا في « المصباح » [ع م ش] . انتهىٰ) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٩٠) ، ورواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٢٤٩) .

(٤) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (١/ ٢٠٧) من قول عبيد بن عمير رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٣٣) ، والآجري في « قيام الليل » (٨) .

انظروا إلىٰ ما صاحَ منهُ بينَ الصيحتَينِ)[١] .

وكانَتْ حبيبةُ العدويةُ إذا صلَّتِ العَتَمةَ قامَتْ علىٰ سطحٍ لها ، وشدَّتْ عليها دِرْعَها وخمارَها ، ثمَّ تُقبِلُ علىٰ صلاتِها إلى الفجرِ ، ثمَّ تقولُ : (اللهمَّ ؛ اغفرْ لي سوءَ أدبي في صلاتي)[٢] .

وكانَتْ [عَجْرَدَةُ] رضيَ اللهُ عنها تُحيي الليلَ كلَّهُ وهي مكفوفةٌ ، فإذا كانَ السَّحَرُ نادَتْ بصوتٍ محزونٍ : (إلـٰهي ؛ سارَ العابدونَ إلىٰ حضرتِكَ وأنا خامدةُ العزيمةِ) ، ثمَّ تبكي إلى الفجرِ[٣] .

وكانَتْ عُفَيرةُ العابدةُ لا تضعُ جنبَها إلى الأرضِ في ليلٍ ولا نهارٍ ، وتقولُ : (أخافُ أنْ أوخذَ علىٰ غِرَّةٍ)[٤] .

وكانَتْ شَعْوانةُ تنوحُ كلَّ ليلةٍ وتبكي إلى الصباحِ ، فدخلَ عليها جماعةٌ في النهارِ ، فقالوا لها : ارفُقي بنفسِكِ ، فقالَتْ : واللهِ ؛ لقد ودِدْتُ أنِّي أبكي الدمَ فضلاً عنِ الدموعِ حتىٰ لا يبقىٰ في جسدي قطرةُ دمٍ ، ثمَّ بكَتْ حتىٰ غُشيَ عليها[٥] .

وكانَتْ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : (اللهمَّ ؛ اغفرْ لكلِّ مَنْ تعرَّضَ لمعصيتِكَ بعدَ معرفتِكَ) .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٣٤) .

(٢) رواه بنحوه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات » (ص٩٣) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٥) ، وفي جميع النسخ المعتمدة : (عجرة) بدل (عجردة) ، **والصواب** ما أثبتُّهُ .

(٤) روىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (٧٣٢) .

(٥) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ١٩٧) .

وكانَتْ تقولُ لأصحابِها : (أَلزِموا قلوبَكمُ الحزنَ ومحبةَ اللهِ ، ثمَّ لا يبالي أحدُكم متىٰ ماتَ)[1] .

وقالَتْ مرةً : اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ بحبِّكَ لي إلا غفرْتَ لي ، فقالوا لها : مِنْ أينَ عرفتِ أنَّهُ يحبُّكِ ؟! فقالَتْ : لولا محبتُهُ لي ما أقامَني بينَ يديهِ في الظلامِ والناسُ نيامٌ[2] .

وكانَتْ معاذةُ رضيَ اللهُ عنها تُحيي الليلَ كلَّهُ بالصلاةِ ، فإذا غلبَ عليها النومُ قامَتْ ، فجالَتْ في الدارِ وهي تقولُ : (يا نفسُ ؛ النومُ أمامَكِ في القبرِ ؛ إمَّا في سرورٍ ، وإمَّا في عذابٍ وحسرةٍ)[3] .

وأرادَتْ أمُّ إبراهيمَ العابدةُ رضيَ اللهُ عنها أنْ تجاورَ بمكةَ ، ثمَّ تركَتْ ذلكَ ، فقالوا لها في ذلكَ ، فقالَتْ : (علمَ أنِّي لا أصلحُ لخدمتِهِ ؛ فطردَني مِنْ حضرتِهِ) .

وكانَ ذو النونِ المصريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : خرجْتُ ليلةً مِنْ وادي كَنْعانَ ، فلمَّا علوْتُ الواديَ إذا سوادٌ مقبلٌ ، فحققْتُ النظرَ فإذا هي امرأةٌ ، فقلْتُ : وما هـٰذا السوادُ ؟ فقالَتْ : وما هـٰذا الرجلُ ؟ فقلْتُ لها : غريبٌ ، فقالَتْ : سبحانَ اللهِ ! وهل معَ اللهِ غُرْبةٌ ؟! قالَ ذو النونِ : فبكيتُ مِنْ قولِها ، فقالَتْ لي : إنْ كنتَ صادقاً فمِمَّ تبكي ؟ فقلْتُ لها : وهل عدمُ البكاءِ مِنَ الصدقِ ؟ فقالَتْ : نعم ؛ لأنَّ البكاءَ راحةٌ للقلبِ ، والصادقُ

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/١٩٨) .

(٢) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٣٠٩) من طريق عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة فيما يحكيه عن جارية عجمية له .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٨٢) .

لا يطلبُ في هٰذهِ الدارِ راحةً ، قالَ ذو النونِ : فقلْتُ لها : عِظيني بموعظةٍ ، فقالَتْ لي : عليكَ بالحياءِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فإنَّ عطاءً [السَّليميَّ] مكثَ أربعينَ سنةً لا يرفعُ طرفَهُ إلى السماءِ ؛ حياءً مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ[1] .

وسمعَتْ رابعةُ العدويةُ رضيَ اللهُ عنها سفيانَ الثوريَّ رضيَ اللهُ عنهُ وهو يقولُ : وا حزناهْ ، فقالَتْ لهُ : لا تقلْ ذلكَ ؛ لو كنْتَ حزيناً ما تفرَّغْتَ لهٰذا القولِ ، قلْ : وا قلَّةَ حزناهْ ؛ فإنَّهُ إلى الصدقِ أقربُ[2] .

وقالوا لعُفيرةَ العابدةِ : أَمَا تسأمينَ مِنْ كثرةِ البكاءِ ؟ فقالَتْ : وكيفَ يسأمُ إنسانٌ مِنْ دوائِهِ وشفائِهِ ؟![3] .

وكانَتْ رضيَ اللهُ عنها لا تسكنُ في حارةٍ لا ترىٰ فيها للهِ ذاكراً ، وتقولُ : (أخافُ أنْ يُخسفَ بي)[4] .

وكانَتْ أمُّ العلاءِ السعديةُ رضيَ اللهُ عنها تصلِّي ، وتبكي طولَ ليلِها ، وتقولُ : (ذنوبي كثيرةٌ) ، فلم تزلْ تبكي حتىٰ ذهبَتْ عيناها مِنَ البكاءِ .

وقالوا لها مرةً : كيفَ أصبحْتِ ؟ فقالَتْ : أصبحْنا أضيافاً مُنيخينَ بأرضِ غُرْبةٍ ، ننتظرُ متىٰ نُدعىٰ فنجيبَ[5] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٤١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٤٠٧) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٥٦) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٧٣٢) .

(٤) أورد نحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٢٠٠) من قول جارية حبشية لبعض الصالحين .

(٥) أوردهما بنحوهما الغزالي ضمن خبر واحد في « إحياء علوم الدين » (٩/٢٠١) من طريق ابن العلاء السعدي فيما يحكيه عن ابنة عم له يقال لها : بريرة .

وبكَتْ بردةُ العابدةُ حتىٰ ذهبَ بصرُها ، فقالوا لها في ذلكَ ، فقالَتْ : (لو رأيتُم بكائي وبكاءَ جميعِ العصاةِ يومَ القيامةِ . . لقلْتُم : إنَّ هـٰذا البكاءَ كاللعبِ)[1] .

ومكثَتِ ابنةُ محمدِ بنِ سيرينَ عشرينَ سنةً في مصلَّاها ؛ لا تقومُ إلا للوضوءِ والصلاةِ فقط[2] .

وكانَتْ معاذةُ العدويةُ رضيَ اللهُ عنها تصلِّي في الليلِ الطويلِ ، فتكِلُّ الرجالُ وهي لا تكِلُّ[3] .

وكانَتْ رابعةُ العدويةُ رضيَ اللهُ عنها لا تهدأُ ولا تنامُ ولا تُفطِرُ حتىٰ ماتَتْ[4] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (صلَّيْتُ ليلةً معَ رابعةَ العدويةِ ، فلمَّا كانَ الصباحُ قلْتُ لها : ما جزاءُ مَنْ قوَّانا علىٰ قيامِ هـٰذهِ الليلةِ ؟ فقالَتْ : أنْ نصومَ لهُ النهارَ ، ونقومَ الليلَ لهُ حتىٰ نموتَ)[5] .

وكانَتْ رملةُ العابدةُ تصومُ حتى اسودَّ جلدُها ، وبكَتْ حتىٰ عميَتْ ، وصلَّتْ حتىٰ أُقعِدَتْ[6] ، قالَ إبراهيمُ الخواصُ : (وصلَّيْتُ معَها ليلةً ،

---

(١) رواه بنحوه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ٣٦) .

(٢) رواه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ٢٤) عن حفصة بنت سيرين رحمها الله تعالى .

(٣) رواه بنحوه الإمام أحمد في «الزهد» (١١٥٦)، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ٢٢).

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٥١) .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٢٠٢) ، والشريشي في « شرح مقامات الحريري » (٣/ ١٦٥) ، ولـٰكن رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٩٦٩) من قول جعفر بن سليمان رحمه الله تعالىٰ .

(٦) في هامش (ج) : (بلغ) .

فلمَّا كانَ السَّحَرُ قالَتْ : يا ليتني لم أُخلقْ ، آهٍ آهٍ آهٍ)[1] .

وكانَ صالحٌ المُرِّيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (قرأْتُ مرةً قولَهُ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الأحزاب : ٦٦] ، فسمِعَها عابدٌ ، فصَعِقَ ، ثمَّ أفاقَ فقالَ : أعدْها عليَّ ، فأعدْتُها عليهِ ، فخرَّ ميتاً)[2] .

ووعظَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ مرةً الناسَ ، فصاحَ رجلٌ مِنْ ناحيةِ المسجدِ : (كُفَّ عن كلامِكَ يا واعظُ ؛ فقد كشفْتَ قناعَ قلبي) ، فلم يكفَّ عبدُ الواحدِ ، فحشرجَ الرجلُ ، ثمَّ خرجَتْ روحُهُ ، قالَ ابنُ القاسمِ : (وأنا واللهِ ممَّنْ شهدَ جنازتَهُ)[3] .

وقرأَ زُرارةُ بنُ أبي أوفىٰ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۞ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [المدثر : ٨ـ٩] ، وكانَ في الصلاةِ ، فخرَّ ميتاً[4] .

وكانَ عمرُ بنُ درهمٍ يَعصِبُ عينَيهِ إذا خرجَ إلى السوقِ حتىٰ لا يرىٰ كافراً ولا غافلاً عنِ اللهِ تعالىٰ ، وكانَ لهُ غلامٌ يقودُهُ ، فقالَ لغلامِهِ يوماً : أينَ نحنُ ؟ فقالَ : في المقابرِ ، فحَلَّ العصابةَ عن وجهِهِ وعينَيهِ ، فوقعَ بصرُهُ على القبورِ ، فخرَّ ميتاً[5] .

---

(١) عبارة : (يا ليتني لم أخلق) : رواها ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٨٨٢) من قول السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٦١٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٥٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٢) .

(٤) رواه الترمذي عقب تخريجه للحديث (٤٤٥) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٣٨٢) ، والدينوري في « المجالسة » (١٣٦) .

(٥) أورده بنحوه ابن رجب الحنبلي في « أهوال القبور » (ص١٤٢) .

وكانَ إبراهيمُ الخليلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إذا ذكرَ النارَ بكىٰ ، حتىٰ يُسمَعُ وجيبُ قلبِهِ مِنْ مسيرةِ مِيلٍ ، فقالَ لهُ جبريلُ يوماً : هل رأيتَ خليلاً يعذِّبُ خليلَهُ ؟! فقالَ : يا أخي يا جبريلُ ؛ إذا ذكرْتُ خطيئتي نسيتُ خُلَّتي [١] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٤٣] . . صاحَ سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، ووضعَ يدَهُ علىٰ رأسِهِ ، وخرجَ هارباً ، فمكثَ ثلاثةَ أيامٍ لا يعي شيئاً)[٢] .

وكانَ محمدُ بنُ المنكدرِ رحمَهُ اللهُ إذا بكىٰ مسحَ وجهَهُ ولحيتَهُ بدموعِهِ ، ويقولُ : (بلغَني أنَّ النارَ لا تأكلُ موضعاً مسَّتْهُ الدموعُ)[٣] .

وكانَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ استطاعَ أنْ يبكيَ فليبكِ ، ومَنْ لم يستطعْ فليتباكَ)[٤] .

وكانَ عمرُو بنُ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ابكُوا ، فإنْ لم تبكُوا فتباكَوا)[٥] .

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٦) .

(٢) رواه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٧٠) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٦١٤ـ٦١٥) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٤١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٥٠) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٥) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٦٨٣) من قول سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، ورواه مرفوعاً ابن ماجه (٤١٩٦) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ كانَ يريدُ القربَ مِنَ المحبوبِ فليكثِرْ مِنَ البكاءِ على الذنوبِ)[1] .

وكانَ لأبي بكرِ بنِ عياشٍ خطَّانِ أسودانِ في خَدَّيهِ مِنَ الدموعِ .

وكانَ محمدُ بنُ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما شبَّهتُ عينَيِ الفضيلِ بنِ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ إلا كأنَّهما ميزابانِ مِنَ البكاءِ) .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً لثابتٍ البُنانيِّ رحمَهُ اللهُ : (ما أشبهَ عينيكَ بعينَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم !) ، فبكىٰ ثابتٌ رضيَ اللهُ عنهُ حتىٰ عمِشَتْ عيناهُ ؛ غَيرةً علىٰ عينَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُشبَّهَ بهما غيرُهما في البكاءِ أو غيرِهِ[2] .

وبكىٰ فتىً مِنَ الأنصارِ حتىٰ أظلمَ بصرُهُ ، فعُوتبَ في ذلكَ ، فقالَ : (واللهِ ؛ لأبكينَّ ما عشْتُ ، فإذا متُّ فعندَ اللهِ أحتسبُ تقصيري في مرضاتِهِ)[3] .

ولمَّا بكى الحسنُ البصريُّ على ابنِهِ سعيدٍ قالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (رحمَ اللهُ سعيداً ، والحمدُ للهِ الذي لم يجعلْ بكاءَ يعقوبَ علىٰ يوسفَ عاراً معَ أنَّهُ بكىٰ حتى ابيضَّتْ عيناهُ مِنَ الحزنِ ، ومعَ ذلكَ لم يعاتبْهُ الحقُّ تباركَ وتعالىٰ عليهِ)[4] ؛ أي : فلو أنَّ الحقَّ تباركَ وتعالىٰ جعلَ بكاءَ يعقوبَ

---

(١) روىٰ نحوه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٥٣) من قول السري السقطي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢٠٧) ، والدينوري في « المجالسة » (٤١٤) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٩٥) ، والدينوري في « المجالسة » (٣٩٠) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٦٩١) ، وفيه : أن الذي بكىٰ عليه الحسن البصري . . أخوه لا ابنه .

عاراً . . لكانَ الأمرُ قد ضُيِّقَ علينا في البكاءِ ، وكانَ علينا اللَّومُ .

وكانَ العتبيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (اجتمعَ أصحابُ الحديثِ علىٰ بابِ الفضيلِ بنِ عياضٍ ، فاطَّلعَ عليهم مِنْ كُوَّةٍ وهو يبكي ، والدموعُ تتقاطرُ علىٰ وجهِهِ ولحيتِهِ وهو يضطربُ ، فقالَ لهم : ما لكم ؟ فقالوا : عِظْنا ، فقالَ : عليكم بالقرآنِ ، عليكم بالسنةِ ، عليكم بالصلاةِ ، وَيْحَكم ! هٰذا الزمانُ ليسَ هو بزمانِ حديثٍ ، وإنَّما هو زمانُ : احفظْ لسانَكَ ، وأخفِ مكانَكَ ، وعالجِ الليلَ ، وخذْ ما تعرفُ ، ودعْ ما تنكرُ)[1] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (بلغَنا أنَّهُ ما سالَتْ قطرةٌ مِنْ عينٍ قبلَ الرَّواحِ إلى الجمعةِ إلا أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ كاتبِ الشمالِ : أنِ اطوِ صحيفةَ عبدي فلانٍ ، ولا تكتبْ عليهِ خطيئةً إلىٰ مثلِها مِنَ الجمعةِ الأخرىٰ)[2] .

وكانَ منصورُ بنُ زاذانَ رحمَهُ اللهُ يصلِّي ويبكي ويَحُلُّ عمامتَهُ كَورةً بعدَ كَورةٍ يمسحُ بها دموعَهُ حتىٰ تبتلَّ كلُّها ، ثمَّ ينشِّفُها في الهواءِ أوِ الشمسِ[3] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (والذي نفسي بيدِهِ ؛ لَأنْ أبكيَ مِنْ خشيةِ اللهِ حتىٰ تسيلَ دموعي علىٰ وجهي . . أحبُّ إليَّ مِنْ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٦) .

(٣) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه**) ، والخبر رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (١٢٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٥٧) .

أنْ أتصدَّقَ بجبلٍ مِنْ ذهبٍ)[١] .

وكانَ ذرُّ بنُ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأبيهِ : يا أبتِ ؛ ما لي أرى المتكلِّمينَ يتكلمونَ فلا يبكي أحدٌ ، فإذا تكلَّمْتَ أنتَ سمعْنا البكاءَ مِنْ ها هنا ومِنْ ها هنا ؟! فقالَ : يا بنيَّ ؛ ليسَتِ النائحةُ بالأجرةِ كالنائحةِ الثكلىٰ[٢] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مرَّ زكريا عليهِ الصلاةُ والسلامُ بولدِهِ يحيىٰ وهو مُكِبٌّ علىٰ قبرٍ يبكي ، فقالَ لهُ : ما يبكيكَ يا ولدي ؟! فقالَ : أخبرَني جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنَّ بينَ الجنةِ والنارِ مفاوِزَ لا يطفئُ حرَّها إلا الدموعُ ، فقالَ لهُ : عليكَ بالبكاءِ يا بنيَّ ، ثمَّ أكبَّ على القبرِ يبكي معَهُ حتىٰ بلَّا الثرىٰ)[٣] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (اللهمَّ ؛ ارزقْني عينَينِ هطَّالتَينِ تبكيانِ مِنْ خشيتِكَ قبلَ أنْ تكونَ الدموعُ دماً ، والأضراسُ جمراً)[٤] .

ولمَّا سرقوا مصحفَ مالكِ بنِ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ . . فكانَ إذا وعظَ الناسَ بكَوا ، فيقولُ : (كلُّنا نبكي ، فمَنْ سرقَ المصحفَ ؟!)[٥] .

وكانَ ذو النونِ المصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (وقفْتُ علىٰ عابدٍ في

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٠١) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٧٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١١٠) ، وفيهما : (عمر بن ذرٍّ) بدل (ذر بن عمرو) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٠٢) ، والدينوري في « المجالسة » (١٥١٨) .

(٤) رواه الطبراني في « الدعاء » (١٤٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٩٦) ، كلاهما من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٥) سبق تخريجه (ص٣٠٤) .

جبلٍ وهو يبكي ، فقلْتُ لهُ : علامَ تبكي ؟! فقالَ : لسْتُ أبكي علىٰ فواتِ شيءٍ ، وإنَّما هي رَوعةٌ يجدُها الخائفونَ في قلوبِهم مِنْ هيبةِ اللهِ تعالىٰ لا يمكنُهمُ التلفُّظُ بها)[١] .

وكانَ إبراهيمُ الخواصُ رحمَهُ اللهُ يكثِرُ مِنَ البكاءِ أواخرَ عمرِهِ ، ويقولُ : (يا ربِّ ؛ قد كبِرْتُ ، وضعفَ جسمي ، وقلَّتْ عبادتي ، فأعتقْني بفضلِكَ مِنَ النارِ ؛ فإنِّي لا أقدرُ أمكثُ فيها لحظةً)[٢] .

وقالَ نافعٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ في وجهِ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ خطَّانِ أسودانِ مِنَ الدموعِ)[٣] .

ولمَّا رَمِدَتْ عينا ثابتٍ البُنانيِّ رضيَ اللهُ عنهُ وضعفَ بصرُهُ.. قالَ لهُ الحكيمُ : إنْ تركْتَ البكاءَ والسجودَ أمكنَني مداواتُك ، فقالَ : وما حياتي في الدنيا بغيرِ هـٰذينِ ؟! اذهبْ ؛ فلا حاجةَ لي بمداواتِكَ[٤] .

وقالوا مرةً لمالكِ بنِ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ : ها هنا شخصٌ حسنُ الصوتِ بالقرآنِ ؛ ألا تأتي إليهِ فتسمعَهُ ؟ فقالَ : إنَّ الثكلىٰ لا تحتاجُ إلىٰ نائحةٍ[٥] .

وكانَ الضحَّاكُ بنُ مُزاحمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يبكي كلَّ ليلةٍ عندَ الغروبِ حتىٰ

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٦١٦-٦١٧) من غير نسبة .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢٨٢) من قول أبي عبيدة الخواص رحمه الله تعالىٰ .

(٣) سبق تخريجه (ص٣٠٠) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢١١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٣) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٤٢٤) .

يَبُلَّ لحيتَهُ ، ويقولُ : (إنِّي أخافُ أنْ يكونَ صعدَ مِنْ عملي في هـٰذا اليومِ ما يُسخِطُ ربي عليَّ)[1] .

وكانَ مكحولٌ الدمشقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأيتُم أحداً يبكي فظُنُّوا بهِ خيراً ؛ فإنِّي نظرْتُ مرَّةً إلىٰ رجلٍ يبكي ، فقلْتُ في نفسي : إنَّهُ مُراءٍ ، فعُوقبْتُ بحرماني البكاءَ سنةً)[2] .

وكانَ يزيدُ بنُ ميسرةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**البكاءُ يكونُ مِنْ خمسةِ أشياءَ** : مِنَ الفرحِ ، والحزنِ ، والوجعِ ، والفَزَعِ ، والرياءِ ، وسادسُها البكاءُ مِنْ خشيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ يأتي صاحبَهُ بغتةً ؛ ولا يكونُ بالتفعُّلِ ، وهـٰذا السادسُ هو الذي تُطفئُ الدمعةُ منهُ أمثالَ الجبالِ مِنَ النارِ)[3] .

وكانَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ العبدَ لا يبكي حتىٰ يرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ مَلَكاً ، فيمسحَ عينَيهِ بجناحَيهِ ، وحينئذٍ يبكي العبدُ مِنْ خشيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[4] .

وكانَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بكىٰ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أربعينَ يوماً لا يرفعُ رأسَهُ مِنَ السجودِ حتىٰ نبتَ المرعىٰ مِنْ دموعِهِ ، وحتىٰ غطَّىٰ رأسَهُ ؛ حياءً مِنَ اللهِ عزَّ جلَّ ، فنوديَ : يا داودُ ؛ أجيعانٌ أنتَ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٧٦) ، والدينوري في « المجالسة » (٢٩٨٦) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٨٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٣٥) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٦٥) .

فتطعمَ(١) ، أم ظمآنُ فتُسقىٰ ، أم عارٍ فتُكسىٰ ؟ فأجيبَ داودُ مِنْ غيرِ ما طلبِ : حتىٰ تبلغَ المؤاخذةُ حدَّها ، ثمَّ نحَبَ داودُ نحبةً هاجَ منها العودُ فاحترقَ مِنْ حرِّ جوفِهِ ، ثمَّ أنزلَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ عليهِ التوبةَ والمغفرةَ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ اجعلْ خطيئتي في كفِّي ، فصارَتْ خطيئتُهُ منقوشةً في كفِّهِ ؛ فكانَ لا يبسطُ كفَّهُ لطعامٍ ولا شرابٍ ولا غيرِهما إلا رآها وبكىٰ)(٢) .

قالَ : (وبلغَنا أنَّهُ يُبعثُ يومَ القيامةِ وخطيئتُهُ مكتوبةٌ في كفِّهِ)(٣) .

قالَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنْ كانَ داودُ ليؤتىٰ بالقدَحِ مِنَ الماءِ ليشربَهُ ، فما يضعُهُ علىٰ شفتيهِ حتىٰ يفيضَ مِنْ دموعِهِ)(٤) .

قالَ : (ولم يرفعْ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بصرَهُ إلى السماءِ منذُ وقعَ فيما وقعَ إلىٰ أنْ ماتَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(٥) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (بلغَني أنَّ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ذكرَ ذنبَهُ ذاتَ يومٍ ، فذهبَ صارخاً واضعاً يدَهُ علىٰ رأسِهِ حتىٰ لحقَ بالجبالِ ، فاجتمعَتْ إليهِ السباعُ ، فقالَ : ارجعوا لا أريدُكم ، إنَّما أريدُ كلَّ بكَّاءٍ علىٰ خطيئتِهِ مِثْلي ، ومَنْ لم يكنْ ذا خطيئةٍ فما يصنعُ بداودَ الخطَّاءِ ؟!)(٦) .

---

(١) انظر ما سبق تعليقاً (ص٤١٠) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧٤) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٣٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٩٧) ، والحق الذي يجب المصير إليه أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الخطايا حقيقة .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧٤) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٣٩) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧٥) .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٦٦) .

وقالَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ : (وكانوا إذا لاموا داودَ عليهِ السلامُ علىٰ طولِ البكاءِ . . يقولُ : ذروني أبكي قبلَ يومِ البكاءِ الطويلِ ؛ قبلَ تحريقِ العظامِ ، واشتعالِ اللِّحىٰ بالنارِ ، قبلَ أنْ يؤمرَ بالعبدِ إلى النارِ ، فتسحبَهُ ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ)[1] .

وكانَ عبدُ العزيزِ بنُ عميرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا أصابَ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ الخطيئةَ نقصَتْ قوَّتُهُ ، وبَحَّ صوتُهُ ، فقالَ : إلـٰهي قد بَحَّ صوتي في صفاءِ أصواتِ الصدِّيقينَ ، فأوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إليهِ : إنَّ الصدِّيقينَ لا يخطئونَ ، فبكىٰ وسكتَ)[2] .

قالَ وهبُ بنُ منبِّهٍ : (كانَ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قبلَ وقوعِهِ في الخطيئةِ يقولُ : اللهمَّ ؛ لا تغفرْ لمَنْ عصاكَ ؛ أي : غيرةً لجنابِ الحقِّ جلَّ وعلا ، فلمَّا وقعَ في الخطيئةِ كانَ يقولُ : اللهمَّ ؛ اغفرْ لكلِّ خطَّاءٍ حتىٰ تغفرَ لداودَ معَهم)[3] .

وكانَ مجاهدٌ يقولُ : (لمَّا اشتدَّ البكاءُ علىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ولم يرَ البكاءَ يَنْجَعُ . . قالَ : يا ربِّ ؛ أَمَا ترحمُ بكائي ؟ فأوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إليهِ : يا داودُ ؛ نسيتَ ذنبَكَ وذكرْتَ بكاءَكَ ؟! فقالَ : إلـٰهي ؛ كيفَ أنسىٰ ذنبي وكنتُ إذا تلوتُ الزبورَ كفَّ الماءُ الجاري عن جريِهِ[4] ، وسكنَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٦٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٨٥) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٩٤) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٨٨) .

(٤) في (ج): (وَكَفَ) بدل (كفَّ)، وفي هامشها : (أي : سال قليلاً قليلاً من « وكف=

هبوبُ الريحِ ، وأظلَّني الطيرُ ، وأَنِسَتِ الوحوشُ إلىٰ محرابي ؟! فما هـٰذهِ الوحشةُ التي بيني وبينَكَ يا ربِّ ؟! فأوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إليهِ : يا داودُ ؛ ذلكَ أُنسُ الطاعةِ ، وهـٰذهِ وحشةُ المعصيةِ ، يا داودُ ؛ إنَّ آدمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ خلقْتُهُ بيدَيَّ ، ونفخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي ، وأسجدْتُ لهُ ملائكتي ، وألبسْتُهُ ثوبَ كرامتي ، وتوَّجْتُهُ بتاجِ وَقاري ، وشكا إليَّ الوَحْدةَ فزوَّجْتُهُ بحواءَ أَمَتي ، وأسكنْتُهُ جنَّتي ، فلمَّا عصاني مرةً واحدةً بأكلِهِ مِنَ الشجرةِ طردْتُهُ عن جِواري عُرياناً ذليلاً ، يا داودُ ؛ اسمعْ منِّي ـ والحقَّ أقولُ ـ : أطعتَنا فأطعْناكَ ، وسألتَنا فأعطيناكَ ، وعصيتَنا فأمهلْناكَ ، وإنْ عدْتَ إلينا قبلْناكَ)[١] .

قلْتُ : الذي يجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أنْ يعتقدَ أنَّ خطايا الأنبياءِ لا تُعقلُ لأمثالِنا ، بل ربَّما تقرَّبَ أحدُنا بها إلى اللهِ تعالىٰ ، ولا يجوزُ حملُها علىٰ ما نتعقَّلُهُ نحنُ مِنَ المعاصي التي نهانا اللهُ تباركَ وتعالىٰ عنها .

فاحفظْ يا أخي لسانَكَ في حقِّ أكابرِ حضرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وخواصِّ خلقِهِ مِنْ أنبيائِهِ وأصفيائِهِ ، وقد ذكرْنا في كتابِ « الأجوبةِ عنِ الأكابرِ » : أنَّ معاصيَ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ صوريةٌ لا حقيقيةٌ ، أجراها اللهُ تباركَ وتعالىٰ علىٰ أيديهم ؛ تعليماً لهم بالفعلِ ؛ ليعلِّموا قومَهم كيفيَّةَ الخروجِ مِنَ

= العين بالدمع ، والبيت بالمطر » ، وظاهر السياق يقتضي وقوف الماء جملة ، فعلىٰ هـٰذا ينبغي أن تكون العبارة : « وقف أو كف » بتشديد الفاء ، ولا آمن أن يكون تصحيفاً منهما ، ثم رأيت نسخة فيها « كفَّ » بلا واو . انتهىٰ) .

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/ ٥٩٩ـ٦٠٠) .

المعاصي الحقيقيةِ إذا وقعوا فيها ، وكانَ بكاؤُهم عليها أيضاً صورياً لا حقيقياً ، واللهُ أعلمُ .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وابكِ على قلَّةِ بكائِكَ ، وادخلْ مِنَ البابِ الذي دخلَ منهُ البكَّاؤونَ مِنْ خشيةِ اللهِ ؛ وهو الجوعُ ، وعدمُ الأكلِ مِنَ الحرامِ والشبهاتِ ، فإنَّ مَنْ شبعَ مِنْ ذلكَ قسا قلبُهُ ضرورةً ، كما تقدَّمَ بسطُهُ في مواضعَ مِنْ هـٰذا الكتابِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[كثرة الاستغفار ، وخوف المقت عند قراءة القرآن خشية عدم العمل به]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : كثرةُ الاستغفارِ ، وخوفُ المقتِ كلَّما قرؤوا القرآنَ ؛ لشهودِهم عدمَ عملِهم بهِ .

وقد قدَّمْنا عن عبدِ اللهِ بنِ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ كانَ يقولُ : (كمْ مِنْ حاملٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُهُ مِنْ جوفِهِ !) ، وأنَّهُ كانَ يقولُ : (إذا عصىٰ حاملُ القرآنِ ربَّهُ ناداهُ القرآنُ مِنْ جوفِهِ : واللهِ ؛ ما لهٰذا حُملْتُ ، ألا تستحيي مِنْ ربِّكَ ؟!)[1] .

فيجبُ علىٰ تالي القرآنِ حتماً أنْ يروِّضَ نفسَهُ علىٰ يدِ شيخٍ صادقٍ حتىٰ يلطِّفَ كثائفَهُ وحُجُبَهُ المانعةَ عنِ العملِ بالقرآنِ ، وعن شهودِ عظمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فإنَّهُ لو شهدَ عظمتَهُ ما عصاهُ ؛ كما عليهِ الأنبياءُ وكُمَّلُ ورثتِهم ؛ إذ لا يقعُ أحدٌ في معصيةٍ قطُّ إلا معَ الحجابِ .

وقد كانَ يوسفُ بنُ أسباطٍ رضيَ اللهُ عنهُ كلَّما ختمَ القرآنَ يستغفرُ اللهَ تعالىٰ سبعَ مئةِ مرةٍ ، ثمَّ يقولُ : (اللهمَّ ؛ لا تمقُتْني بما قرأْتُهُ مِنْ غيرِ عملٍ) سبعينَ مرةً[2] .

---

(١) انظر (ص١١٦) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٠٠٩) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (حاملُ القرآنِ مقامُهُ يَجِلُّ أنْ يعصيَ ربَّهُ فيهِ ، وكيفَ يصحُّ لهُ أنْ يعصيَ ربَّهُ وهوَ يسمعُ كلَّ حرفٍ منهُ يناديهِ : باللهِ عليكَ لا تخالفْ ما أنتَ حاملُهُ منِّي ؟!)[١] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا ينبغي لحاملِ القرآنِ أنْ يلهوَ معَ اللاهينَ ، ولا يسهوَ معَ الساهينَ ، ولا يغفُلَ معَ الغافلينَ)[٢] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (يا أهلَ القرآنِ ؛ ماذا زرعَ القرآنُ في قلوبِكم ؟! إنَّ القرآنَ ربيعُ القلبِ ؛ كما أنَّ الغيثَ ربيعُ الأرضِ)[٣] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ينبغي لحاملِ القرآنِ أنْ يُعرفَ بليلِهِ إذا الناسُ ناموا ، وبنهارِهِ إذا الناسُ أفطروا ، وبحزنِهِ إذا الناسُ ضحكوا ، وبصمتِهِ إذا الناسُ يلغُونَ ، وبخشوعِهِ إذا الناسُ يختالونَ)[٤] ؛ **يعني** : في ثيابِهم ومشيِهم .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا ينبغي لحاملِ العلمِ والقرآنِ أنْ يكونَ جافياً ولا مماريًا ، ولا رافعاً صوتَهُ بالحديثِ والعلمِ ، ولا راغباً في الدنيا ؛ لأنَّ كلَّ كلمةٍ منهُ تقولُ لهُ : ازهدْ في الدنيا)[٥] .

وسمعْتُ سيدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ تأمَّلَ وجدَ كلَّ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٢) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٢) .
(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٦١) ، وابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٩٤) .
(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٧٣٤) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٨٩٢) .
(٥) رواه بنحوه البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (١٦٦٤) .

كتابٍ أُنزلَ يقولُ لهُ : اتقِ اللهَ تعالىٰ) .

وكانَ صالحٌ المُرِّيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (قرأْتُ القرآنَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فلمَّا ختمْتُهُ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ لي : هـٰذا القرآنُ ، فأينَ البكاءُ ؟!)(١) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما ثَمَّ مصيبةٌ أعظمُ مِنْ مصيبتِنا ؛ يتلو أحدُنا القرآنَ ليلاً ونهاراً ولا يعملُ بهِ ، وكلُّهُ رسائلُ إلينا مِنْ ربِّنا) .

وكانَ ولدُهُ عليٌّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ لم يبكِ عندَ تلاوةِ القرآنِ علىٰ نفسِهِ . . فهو مغرورٌ ؛ فإنَّ المرادَ منهُ العملُ لا التلاوةُ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا تلا القرآنَ يبكي ، حتىٰ لا يكادُ يقدرُ علىٰ إتمامِ السورةِ ، ويقولُ : (إنِّي لأتعجَّبُ ممَّنْ يفرحُ كلَّما يختمُ القرآنَ تلاوةً ولا يطالبُ نفسَهُ بشيءٍ مِنْ مواعظِهِ وزواجرِهِ وقوارعِهِ !)(٢) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ربَّما أقومُ الخمسَ ليالٍ متواليةً بآيةٍ واحدةٍ ؛ أردِّدُها وأطالبُ نفسي بالعملِ بها ، ولولا أنَّ اللهَ تعالىٰ يَمُنُّ عليَّ بالغفلةِ لَمَا تعدَّيْتُ تلكَ الآيةَ طولَ عمري ؛ لأنَّ لي في كلِّ تدبُّرٍ علماً جديداً ، والقرآنُ لا تنقضي عجائبُهُ)(٣) .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/٢٧٩) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٥/٨٣ ـ ٨٤) من قول يزيد الرقاشي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روى نحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ١٩٠٢) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٢٦٢) .

وسمعْتُ سيدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لولا أنَّ اللهَ تعالىٰ يعطي الكُمَّلَ مِنَ الأولياءِ معانيَ القرآنِ هبةً منهُ تعالىٰ حالَ تلاوتِهم لهُ . . لَمَا قَدَرَ أحدُهم علىٰ تلاوتِهِ كلِّهِ في ليلةٍ واحدةٍ ؛ إذِ الكمَّلُ ليسَتْ علومُهمُ المتعلِّقةُ بالقرآنِ مستنبطةً بفكرٍ ولا إمعانِ نظرٍ ، إنَّما هي مواهبُ يهبُها لهم حالَ تلاوتِهم ، فتكونُ عينُ التلاوةِ عينَ المعاني ، ومتىٰ تخلَّفَتِ المعاني عنِ النطقِ فذلكَ مِنْ نتيجةِ الفكرِ) .

قالَ : (وعليهِ يُحملُ قولُ الحقِّ جلَّ وعلا للإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ لمَّا رآهُ في المنامِ مِنْ قولِهِ : بفهمٍ وبغيرِ فهمٍ ؛ جواباً لقولِهِ : يا ربِّ ؛ بمَ يتقرَّبُ إليكَ المتقرِّبونَ ؟ قالَ : بكلامي يا أحمدُ ، فقالَ أحمدُ : يا ربِّ ؛ بفهمٍ أم بغيرِ فهمٍ ؟ قالَ تعالىٰ : بفهمٍ وبغيرِ فهمٍ ؛ أي : لأنَّ المرادَ مِنْ قولِهِ : وبغيرِ فهمٍ : أنَّ معانيَهُ تأتي إليهم مِنْ طريقِ الكشفِ لا بواسطةِ الفهمِ والفكرِ)(١) .

قالَ : (وهـٰذا هو اللائقُ بشرحِ هـٰذا الكلامِ وإنْ كانَ تالي القرآنِ بلا فهمٍ لهُ الثوابُ الجزيلُ) انتهىٰ .

وهو كلامٌ غريبٌ ؛ فليتأمَّلْ .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يقدرُ علىٰ سماعِ تلاوةِ سورةِ (القارعةِ) أبداً ، وكانَ إذا سمعَها تخبَّطَ عقلُهُ وسقَطَ إلى الأرضِ ، فلا يصيرُ يعي شيئاً مدةَ أيامٍ(٢) .

---

(١) روى الخبر عن الإمامِ أحمدَ ابنُ الجوزي في « مناقب الإمام أحمد » (ص٥٨٣ ـ ٥٨٤) .

(٢) سبق تخريج نحوه (ص٤٦٧) عن علي بن الفضيل رحمهما الله تعالىٰ .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رُبَّ تالٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُهُ)[1] .

وكانَ أبو ميسرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الغريبُ هو القرآنُ في جوفِ الفاجرِ)[2] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الزبانيةُ إلىٰ حملةِ القرآنِ أسرعُ منهم إلىٰ عبدةِ الأوثانِ ؛ لكونِهم خالفوا ما حملوا)[3] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا قرأَ العبدُ كلامَ اللهِ ، ثمَّ تكلَّمَ بلغوٍ ، ثمَّ عادَ للقرآنِ . . قالَ اللهُ تعالىٰ لهُ : ما لكَ ولكلامي ؟!)[4] .

قلْتُ : ومِنْ هنا كانَ سيدي عليٌّ الخواصُ رحمَهُ اللهُ إذا كانَ يقرأُ القرآنَ وكلَّمَهُ أحدٌ في حاجةٍ . . يقولُ بقلبِهِ : (دستورٌ يا ربِّ ؛ أكلِّمُ فلاناً) ثمَّ يكلِّمُهُ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ حملةَ القرآنِ يُسألونَ يومَ القيامةِ عمَّا يُسألُ عنهُ الأنبياءُ)[5] ؛ **يعني** : يُسألونَ عنِ العملِ بالقرآنِ أو غيرِهِ كاملاً ؛ لأنَّهم مأمورونَ بألَّا يُخِلُّوا منهُ بحكمٍ واحدٍ .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٢٦٦) ، وفي هامش (أ) : (فيقرأ : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] وقد ظلم نفسه) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٢٦٦) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٣٨٢) .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٣٨٢) من قول يحيى بن الجلَّا رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣١٩) من قول مالك بن أنس رحمه الله تعالىٰ ، ورواه في موضع آخر (٧/ ٢٨١) من قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

وفي الحديثِ : « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ قُرَّاؤُهَا »[١] .

وأخبرَني الشيخُ أبو السعودِ الجارحيُّ رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ مكثَ عشرينَ سنةً يتلو في النهارِ ختماً ، وفي الليلِ ختماً ، وذلكَ قبلَ اجتماعِهِ بشيخِهِ في الطريقِ ، فلمَّا اجتمعَ بسيدي أحمدَ المرحوميِّ شيخِهِ وأخبرَهُ بذلكَ . . قالَ لهُ : ما حصَّلْتَ شيئاً ؛ لأنَّكَ كنْتَ تفرحُ بعددِ الختومِ ، ولا تطالبُ نفسَكَ بالعملِ بشيءٍ منهُ ، فقالَ : نعم ، قالَ : ثمَّ إنَّ الشيخَ أمرَني بالتدبُّرِ ، ومطالبةِ نفسي بالعملِ بكلِّ آيةٍ ، فما قدرْتُ بعدَ ذلكَ على عُشرِ ما كنْتُ أقرأُ . انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي في ذلكَ ، واتَّبعْ سلفَكَ في أفعالِهم وأقوالِهم ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢] .

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٠٣) .

(٢) في هامش (أ ، ج) : (بلغ) .

[التهيؤ للوقوف بين يدي الله تعالى في كل صلاة]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : التهيؤُ للوقوفِ بينَ يدَيِ اللهِ تعالىٰ في كلِّ صلاةٍ مِنْ أولِ الوقتِ ؛ فيستشعرُ أحدُهم عظمةَ اللهِ تعالىٰ شيئاً فشيئاً مِنْ حينِ وضوئِهِ ، أو مِنْ حينِ يُناديٰ بـ (حيَّ على الصلاةِ) ، وذلكَ حتىٰ يصلَ إلى الحضورِ معَ اللهِ تعالىٰ بحسبِ مقامِهِ ، لا سيما إنْ كانَ أحدُهم يطالعُ علماً قبلَ الصلاةِ ، أو في خصومةٍ ؛ فإنَّ استجلابَ الحضورِ عليهِ بعيدٌ إلا أنْ يستعدَّ لهُ مِنْ قبلِ دخولِ الوقتِ .

وقد كانَ أخي أفضلُ الدينِ رحمَهُ اللهُ يستعدُّ للوقوفِ في الصلاةِ قبلَ دخولِ الوقتِ بعشرِ دَرَجٍ[(١)] ، فقلْتُ لهُ : أنتَ بحمدِ اللهِ ليسَ لكَ علاقةٌ دنيويةٌ تمنعُكَ مِنَ الحضورِ ، فقالَ : إنَّ لكلِّ إنسانٍ عوائقَ بحسَبِ مقامِهِ ، ولولا الحجابُ الذي لهم قبلَ الصلاةِ لَمَا اصفرَّتْ ألوانُهم عندَ القيامِ إلى الصلاةِ ، فلا بدَّ لكلِّ وليٍّ مِنْ حجابٍ ينكشفُ لهُ عندَ القيامِ إلى الصلاةِ ؛ فيزدادُ بذلكَ تعظيماً لربِّهِ عزَّ وجلَّ ، ولولا وجودُ الحجابِ النسبيِّ لَمَا كانَ الخليلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إذا دخلَ في الصلاةِ يُسمعُ لجوفِهِ ضجيجٌ مِنْ مسيرةِ ميلٍ[(٢)] ، وإنَّما نُقلَ عنِ الأكابرِ زيادةُ التعظيمِ للهِ في الصلاةِ ؛ لأنَّهم

---

(١) الدَّرَج : جمع درجة ؛ وهي وحدة زمنية مدتها أربع دقائق ، وانظر « حاشية الشربيني على الغرر البهية » (٢/ ٢٦) .

(٢) سبق تخريجه (ص١٦٦) .

يقفونَ فيها بينَ يدَيِ الحقِّ جلَّ وعلا كما يقفُ غلامُ الملكِ بينَ يدَيهِ ، ولله المثلُ الأعلى . انتهى .

وفي الحديثِ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً ٱسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ . . كَانَ لَهُ عِنْدَ ٱللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ ٱلْجَنَّةَ »(١) .

وفي الحديثِ أيضاً : « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ ٱلْعَبْدُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . ٱلصَّلَاةُ ؛ فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً قُبِلَتْ مِنْهُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ ، وَإِنْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً رُدَّ عَلَيْهِ سَائِرُ عَمَلِهِ »(٢) .

وفي الحديثِ أيضاً : « مَنْ لَمْ يُتِمَّ رُكُوعَ ٱلصَّلَاةِ وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا . . خَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا : ضَيَّعَكَ ٱللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ ٱلثَّوْبُ ٱلْخَلَقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ »(٣) .

وكانَ سعيدٌ التنوخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ كلَّما صلَّىٰ تصيرُ دموعُهُ تتناثرُ علىٰ خدِّهِ ولحيتِهِ(٤) .

---

(١) رواه أبو داود (١٤٢٠) ، والنسائي (١/ ٢٣٠) من حديث سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٨٥٩) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٠٩٥) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ٢٠٣) .

ورأى الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ رجلاً يصلِّي وهو يعبثُ بلحيتِهِ ويقولُ : اللهمَّ ؛ زوِّجْني في الجنةِ مِنَ الحُورِ العينِ ما تقرُّ بهِ عيني ، فقالَ لهُ : ما رأيتُ خاطباً للحُورِ أقلَّ حياءً منكَ ؛ تخطُبُ الحُورَ مِنَ اللهِ تعالىٰ وأنتَ تلعبُ ![1] .

وكانَ مسلمُ بنُ يسارٍ إذا دخلَ في الصلاةِ لا يدري أيَّ شيءٍ يكونُ ممَّنْ حولَهُ ، وربَّما ذهلَ عمَّا يقرأُ وعن عددِ ما صلَّىٰ[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا ترفعوا أصواتَكم عندي إلا إذا رأيتُموني دخلتُ في الصلاةِ ؛ فإنِّي إذا دخلْتُ فيها لا أصيرُ أسمعُ شيئاً مِنْ كلامِكم)[3] .

وسقطَ جانبُ المسجدِ بالبصرةِ وهو يصلي فيهِ ، فوقعَتْ ضجةٌ عظيمةٌ ، وخرجَ الناسُ مِنَ المسجدِ ولم يعلمْ هو بذلكَ حتىٰ سلَّمَ مِنَ الصلاةِ[4] .

وقد كانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا حضرَتِ الصلاةُ يصفرُّ لونُهُ ويتغيَّرُ ، ويقولُ : (إنَّ الصلاةَ أمانةٌ ، وإنَّها عُرِضَتْ على السماواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أنْ يحملْنَها ، وحملتُها أنا ، فلا أدري هل أوفِّي بأدائِها وخشوعِها أم لا !)[5] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قالَ داودُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : يا ربِّ ؛ مَنْ تقبلُ صلاتَهُ ، وينبغي لهُ أنْ يدخلَ بيتَكَ ؟ ـ **يعني** :

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٨٧) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .
(٢) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٩٠) .
(٣) سبق تخريجه (ص٤٣٦) .
(٤) سبق تخريجه (ص٤٣٧) .
(٥) في (أ ، د) : (بأدبها) بدل (بأدائها) ، وأورد الخبر الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٥٦٠) .

المسجدَ ـ ، فقالَ : مَنْ تواضعَ لعظمتي ، وقطعَ نهارَهُ بذِكري ، وكفَّ نفسَهُ عنِ الشهواتِ مِنْ أجلي ، وأطعمَ الجائعَ ، وآوى الغريبَ ، ورحمَ المصابَ ، فذلكَ الذي ينبغي لهُ أنْ يدخلَ بيتي ، وأجيبَ دعاءَهُ)[١] .

وكانَ حاتمٌ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما صلَّيتُ صلاةً قطُّ إلا ورأيتُ أنَّ ما أتيتُ بهِ فيها مِنْ سوءِ الأدبِ أكثرُ ممَّا فعلتُهُ فيها مِنَ الطاعةِ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (ركعتانِ معَ حضورِ قلبٍ خيرٌ مِنْ ألفِ ركعةٍ والقلبُ ساهٍ)[٢] .

وكانَ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهم يُسمَّى السَّجَّادَ ؛ لكثرةِ سجودِهِ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ الخضوعَ فيهِ أفضلُ مِنَ الخضوعِ في الركوعِ ، فلذلكَ كنتُ أُكثِرُ مِنَ السجودِ)[٣] .

قالوا : وكانَ وِردُهُ كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ[٤] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٨) مرفوعاً من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٢٨٨) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٤) .

(٣) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٣٣٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/ ٣٩) .

(٤) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٥/ ٣١٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/ ٤٩) .

وفي هامش (ج) : (قال ابن خلكان : وكان له خمس مئة أصل زيتون ، يصلي في كل يوم إلىٰ كلِّ أصلٍ ركعتين ، وكان يُدعىٰ ذا الثفنات ، هٰكذا قاله المبرد في « الكامل » [٢/ ١٦١] ، وقال ابن الجوزي : ذو الثفنات علي بن الحسين ؛ يعني : زين العابدين ، وإنما قيل له ذلك ؛ لأنه كان يصلي في كل يوم ألف ركعة ، فصارت في ركبتيه مثل ثفن البعير . انتهىٰ) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يسجدُ في صلاتِهِ على الترابِ دونَ الحصيرِ[1] ، ويقولُ : (إنَّ ذلكَ أقربُ إلى الخشوعِ بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وأحدُهم إذا دخلَ المسجدَ ارتعدَ مِنْ هيبةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، حتىٰ لا يعي شيئاً مِنْ أمورِ الدنيا) .

وكانَ سيدي عليٌّ الخواصُ رحمَهُ اللهُ مِنْ آخرِ مَنْ أدركْتُهُ مِنْ رجالِ هٰذا المقامِ ؛ كان رحمَهُ اللهُ لا يتجرَّأُ أنْ يدخلَ المسجدَ إلا تبعاً للناسِ .

وكانَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ جلسَ في المسجدِ فإنَّما يجالسُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ ، وسيأتي على الناسِ زمانٌ يجلسونَ في المسجدِ حِلَقاً حِلَقاً ؛ حديثُهم فيهِ الدنيا ؛ فلا تجالسوهم) انتهىٰ[2] .

قلتُ : هٰذا في حديثٍ مباحٍ ، فما بالُكَ بمَنْ يستغيبُ فيهِ العلماءَ والصالحينَ ؟!

فاعلمْ ذلكَ ، وتخاشعْ إنْ لم يصحَّ لكَ خشوعٌ ؛ حتىٰ تصيرَ مِنَ الخاشعينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(١) سبق تخريجه (ص ٦٣٠) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٤١٦) .

(٣) في هامش (أ) : (بلغ) .

[العمل على كشف الحجاب]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : العملُ على كشفِ حجابِهم حتى يصيرَ أحدُهم يصلِّي خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قبرِه كلَّما شاءَ، وكذلكَ يصلِّي خلفَ كلِّ نبيٍّ ؛ لِمَا وردَ أنَّهم يصلونَ في قبورِهم بأذانٍ وإقامةٍ[١] .

وقد كانَ الشيخُ أبو العباسِ المُرْسيُّ يصلِّي الصلواتِ الخمسَ خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كما أخبرَ بذلكَ عن نفسِهِ ، وكذلكَ كانَ أخي الشيخُ أفضلُ الدينِ رحمَهُ اللهُ .

وقالَ سيدي أبو العباسِ المُرْسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يوماً لأصحابِهِ : أيُّكم يجالسُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا يحتجبُ عنهُ في ليلٍ ولا نهارٍ ؟ فقالوا كلُّهم : ليسَ منَّا أحدٌ يقعُ لهُ ذلكَ ، فقالَ لهم : ابكُوا على قلوبٍ محجوبةٍ عن أسرارِ الكونِ والملكوتِ ، واللهِ ؛ لوِ احتجبَ عني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لحظةً . . ما عددْتُ نفسي مِنْ جملةِ المسلمينَ . انتهى[٢] .

قلْتُ : وهو مقامٌ شريفٌ لا يصلُ إليهِ السالكُ إلا بعدَ مجاوزةِ مئتي ألفِ

---

(١) رواه بنحوه أبو يعلى في « مسنده » (٣٤٢٥) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه (ص ٤١٣ - ٤١٤) .

حجابٍ ، وسبعةٍ وأربعينَ ألفَ حجابٍ ، وتسعِ مئةٍ وتسعةٍ وتسعينَ حجاباً ، فليسَ هو لكلِّ وليٍّ كما أوضحْنا ذلكَ في كتابِ « العهودِ المحمديةِ » ، وتقدَّمَ أيضاً أوائلَ هـٰذا الكتابِ[1] .

فانظرْ يا أخي في أخلاقِ سلفِكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

(١) انظر (ص٣٢٤) .

[مراعاة الأدب في الصوم والحج كما في كل القربات الشرعية]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : مراعاتُهمُ الأدبَ في الصومِ والحجِّ زيادةً علىٰ أدبِهم في القُرُباتِ الشرعيةِ ؛ وذلكَ ليُحفظَ أحدُهم مِنْ وصولِ إبليسَ إليهِ بالوسوسةِ مِنَ العامِ إلى العامِ ، أو مِنْ بعدِ حجِّهِ إلىٰ أنْ يموتَ ، كما أنَّهُ إذا حضرَ قلبُهُ في صلاةِ الجمعةِ يُحفظُ مِنْ إبليسَ إلى الجمعةِ الآتيةِ ، كما أنَّهُ إذا حضرَ قلبُهُ في صلاةٍ مِنَ الخمسِ يُحفظُ مِنْ إبليسَ إلى الصلاةِ التي بعدَها ، كما يَعرفُ ذلكَ مَنْ أطلعَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ أسرارِ الشريعةِ ممَّنْ يصلُّونَ الصلاةَ المأمورَ بها شرعاً ، بخلافِ مَنْ كانَتْ صلاتُهُ عاديةً لا حقيقيةً .

وقد سمعْتُ مرةً شخصاً يقولُ لسيدي عليٍّ الخواصِ رضيَ اللهُ عنهُ : أصلَّيتُمُ العصرَ ؟ فسكتَ ولم يجبْهُ لحظةً ، ثمَّ قالَ لهُ : لا تَعُدْ تقولُ لي مثلَ ذلكَ ، فتوقعَني في الكذبِ ؛ إذ لا تسمَّىٰ صلاةً إلا ما حضرَ العبدُ فيها معَ ربِّهِ مِنْ أولِها إلىٰ آخرِها ؛ بحيثُ لا يمرُّ بخاطرِهِ فيها إلا حبُّ اللهِ تعالىٰ وكونُهُ بينَ يديهِ ، وما يتلفَّظُ بهِ ويفعلُهُ مِنْ قراءةٍ وذكرٍ وركوعٍ وسجودٍ ونحوِ ذلكَ فقطْ ، فقالَ لهُ : فماذا أقولُ لكم إذا أردتُ أنْ أسألَكم عن مثلِ ذلكَ ؟ فقالَ لهُ : قلْ لي : هل قمْتَ وقعدْتَ معَ الإمامِ في العصرِ أم لا ؟ انتهىٰ .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم ينزِّهونَ صومَهم عنِ الضحكِ فيهِ ، ويقولونَ : إنَّهُ شهرُ المسابقةِ إلى الخيراتِ ،

لا شهرُ الضحكِ واللعبِ والغفلةِ) .

وكانَ الأحنفُ بنُ قيسٍ يقولُ : (إنَّ شهرَ الصومِ شهرُ الجوعِ ؛ فمَنْ لم يَجُعْ فيهِ حتىٰ يتغيَّرَ جلدُهُ . . لا يحصلْ علىٰ طائلٍ مِنْ صومِهِ) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ لم يحبسْ جميعَ جوارحِهِ عنِ المعاصي . . فهو مفطرٌ وإنْ جاعَ ، ومَنْ حبسَ جوارحَهُ عنِ المعاصي فهو الصائمُ حقيقةً) .

قلْتُ : **والمرادُ** : أنَّهُ كالمفطرِ في نقصِ الأجرِ في أحكامِ الآخرةِ حينَ يوفَّى العاملُ أجرَهُ ، فافهمْ .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (حجَّ عليُّ بنُ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهما ، فلمَّا أحرمَ واستوَتْ بهِ راحلتُهُ . . اصفرَّ لونُهُ ، وتغيَّرَ وانتفضَ ، ووقعَتْ عليهِ الرِّعْدةُ ، ولم يستطعْ أنْ يلبِّيَ مِنَ الهَيبةِ التي حصلَتْ لهُ ، فقيلَ لهُ : ما لكَ لا تلبِّي ؟! فقالَ : أخشىٰ أنْ أقولَ : لبيكَ فيقالَ لي : لا لبَّيْكَ ولا سعدَيْكَ ، فقيلَ لهُ : لا بدَّ مِنْ هٰذا ، فلمَّا لبَّىٰ غُشيَ عليهِ ، وسقطَ مِنْ راحلتِهِ ، فلم يزلْ يعتريهِ ذلكَ حتىٰ قضىٰ حجَّهُ ، ولمَّا قبَّلَ الحجرَ الأسودَ قالَ : لولا أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلياً رضيَ اللهُ عنهم قبَّلوكَ . . ما قبَّلْتُكَ) انتهىٰ[1] .

قلْتُ : وهٰذا يُفهمُ أنَّ عدمَ تقبيلِ أضرحةِ المشايخِ أَولىٰ مِنْ تقبيلِها ؛ لكونِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يثبتْ عنهُ أنَّهُ قبَّلَ شيئاً مِنْ قبورِ إخوانِهِ مِنَ

---

(١) روى الخبر إلىٰ قوله : (قضىٰ حجه) الدينوريُّ في « المجالسة » (٧٨٨) ، وروى الشطر الأخير منه بنحوه البخاري (١٥٩٧) ، ومسلم (١٢٧٠) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه .

الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، ولا بلغَنا أنَّهُ أقرَّ أحداً علىٰ تقبيلِهِ قبرَ أحدٍ مِنْ صالحي أمتِهِ ؛ فكانَ مِنَ الأدبِ التوقُّفُ عن تقبيلِ أضرحةِ المشايخِ وأعتابِهم ، ويَجعلَ بدلَ ذلكَ الاقتداءَ بأفعالِهم ، ومحبتَهم ، والخضوعَ لهم بالقلبِ ؛ فإنَّ ذلكَ هو التعظيمُ الحقيقيُّ للأولياءِ ؛ فيحصلُ لهُ ولهمُ الخيرُ بالاقتداءِ بأخلاقِهم . انتهىٰ .

ولمَّا أحرمَ أبو سليمانَ الدارانيُّ بالحجِّ لم يقدرْ أنْ يلبِّيَ حتىٰ سارَ الركبُ مِيلاً ، وأخذَتْهُ الغشيةُ في المَحمِلِ ثمَّ أفاقَ ، فقالَ لأحمدَ بنِ أبي الحواريِّ ـ وكانَ معَهُ ـ : (يا أحمدُ ؛ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : أنْ مُرْ ظلمةَ بني إسرائيلَ أنْ يُقِلُّوا مِنْ ذكري ؛ فإنِّي أذكرُ مَنْ ذكرَني منهم باللعنةِ حتىٰ يسكتَ عن ذكري ، ويحَكَ يا أحمدُ ؛ فما يؤمِنُنا أنَّ اللهَ تعالىٰ يلعنُنا وقد ظلمْنا أنفسَنا ، وظلمْنا غيرَنا ، وأسأْنا بهِ الظنَّ ؟!)(1) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (رأيتُ شاباً محرِماً وهو ساكتٌ ، فقلْتُ لهُ : لِمَ لا تلبِّي ؟! فقالَ : يا شيخُ ؛ وما تغني عنِّي التلبيةُ وقد سبقَ منِّي ذنوبٌ وجرائمُ وفضائحُ لا تحصىٰ ؟ فأخافُ إذا لبَّيْتُ أنْ يقالَ لي : لا لبيكَ ولا سعديكَ ، لا أسمعُ كلامَكَ ، ولا أنظرُ إليكَ ، فقلْتُ لهُ : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كريمٌ غفورٌ ، فقالَ : أتشيرُ عليَّ بالتلبيةِ ؟ فقلْتُ لهُ : نعم ، فوضعَ جنبَهُ على الأرضِ ، وقالَ : لبيكَ ، وشهَقَ شهقةً ، فماتَ)(2) .

---

(1) رواه الدينوري في « المجالسة » (٩٦٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/ ١٣٥) .

(2) رواه بنحوه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ٤٠٨) من قول عبد الله بن الجلَّا رحمه الله تعالىٰ .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (حجَّ سفيانُ الثوريُّ ماشياً مِنَ البصرةِ ، فقلْتُ لهُ : أَمَا كانَ لكَ ظهرٌ تركبُهُ ؟ فقالَ : أَمَا يرضى العبدُ الآبقُ أنْ يجيءَ إلىٰ مُصالحةِ سيدِهِ إلا راكباً ؟! واللهِ ؛ إنِّي لفي غايةِ الخجلِ مِنْ مجيئي إلىٰ هـٰذهِ الأرضِ)[1] .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (رأيتُ شاباً مصفَرَّ اللونِ متعلِّقاً بأستارِ الكعبةِ في بعضِ السنينَ ، وهو يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّ لك عليَّ حقوقاً ، فتصدَّقْ عليَّ بها ، وإنَّ لعبادِكَ عليَّ حقوقاً ؛ فتحمَّلْها عنِّي مِنْ فضلِكَ ، وقد تمَّ فضلُكَ عليَّ) انتهىٰ[2] .

وسمعْتُ سيدي علياً الخواصَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يحجُّونَ على الراحلةِ مِنْ غيرِ مَحمِلٍ ولا مظلَّةٍ فضلاً عنِ المِحَفَّةِ[3] ، ويقولونَ : المحرمُ أشعثُ أغبرُ ، وهـٰذا ينافي ذلكَ) .

قالَ : (وكانَ أحدُهم إذا أرادَ الحجَّ يمكثُ سنينَ يحصِّلُ في الدراهمِ الحلالِ التي ينفقُها في حجِّهِ ، وكانوا لا يستعينونَ في حجِّهم بشيءٍ مِنْ أموالِ الولاةِ وأعوانِهم) ، رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) سبق تخريج نحوه (ص١٥٦) عن عمر الصوفي وقد عزاه المصنف إلى مالك بن دينار .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٥٦) من قول الأصمعي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في هامش (ج) : (المَحْمِل كمجلس : شقان على البعير يحمل فيهما العدلان ، والمِحفَّة بالكسر : مركب للنساء كالهودج إلا أنها لا تقبَّب ، كذا في « القاموس » [ح م ل، ح ف ف])

[شدّة الحياء]

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم : شدةُ الحياءِ مِنْ رؤيةِ الخلقِ فضلاً عن شدَّةِ حيائِهم مِنْ ربِّهم عزَّ وجلَّ .

وفي الحديثِ : « ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلْإِيمَانِ »[١] ، و« لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ ، وَخُلُقُ ٱلْإِسْلَامِ ٱلْحَيَاءُ »[٢] .

وكانَ بشرٌ الحافي رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لكلِّ شيءٍ زينةٌ ، وزينةُ الحياءِ تركُ الذنوبِ ، ولكلِّ شيءٍ ثمرةٌ ، وثمرةُ الحياءِ اكتسابُ الخيرِ) .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما عاقبَ اللهُ قلباً بأشدَّ مِنْ أنْ يسلُبَ منهُ الحياءَ) .

وكانَ يوسفُ بنُ أسباطٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كانوا يستحيونَ مِنَ اللهِ أنْ يسألوهُ رضاهُ أوِ الجنةَ ، وإنَّما يسألونَهُ العفوَ والصفحَ عن زلَّاتِهم)[٣] .

وكانَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (أولُ مَنْ ضربَ الأخبيةَ في سفرِهِ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ قالَ : إنِّي رجلٌ شديدُ

---

(١) رواه البخاري (٢٤) ، ومسلم (٣٦) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٨١) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه بنحوه مختصراً أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٤٠) .

الحياءِ مِنَ الناسِ ، فاستروني مِنْ رؤيةِ الناسِ لي ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ لا يذهبُ إلى الخلاءِ إلا وهو مغطٍّ رأسَهُ ؛ حياءً مِنَ الملائكةِ) .

قلْتُ : ولذلكَ جُوزِيَ باستحياءِ الملائكةِ منهُ دونَ غيرِهِ ، كما أشارَ إليهِ حديثُ : « أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاءِ ؟! »[1] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ عثمانَ بنَ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يفرِشُ للملائكةِ رداءَهُ على بابِ الخلاءِ ، ويقولُ : اجلسَا ها هنا حتى أخرجَ إليكما) .

وسيأتي في هذا الكتابِ الكلامُ على الحياءِ والطيلسانِ مبسوطاً في أماكنَ منهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠١) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

[شدّة تقوى الله تعالى، ومحبّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : شدَّةُ التقوىٰ للهِ تعالىٰ ، ورؤيتُهم نفوسَهم بعدَ ذلكَ أنَّهم غيرُ متَّقينَ ، وحبُّهم للهِ ولرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقد كانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنِ اتَّقى اللهَ تعالىٰ لم يصنعْ كلَّ ما تريدُ نفسُهُ مِنَ الشهواتِ)[١] ، وفي الحديثِ : « مَنْ قِيلَ لَهُ : ٱتَّقِ ٱللهَ فَغَضِبَ أُوقِفَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ مَلَكٌ إِلَّا مَرَّ بِهِ وَعَاتَبَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ ٱلَّذِي قِيلَ لَكَ : ٱتَّقِ ٱللهَ فَغَضِبْتَ ؟! »[٢] ؛ يعني : يوبِّخونَهُ بذلكَ .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ لنفْسِهِ : (واللهِ ؛ لتتَّقِيَنَّ اللهَ يا بنَ الخطابِ أو ليُعذبنَّكَ ، ثمَّ لا يبالي بكَ)[٣] .

وقيلَ لهُ مرةً : لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما دمْتَ فيهم ، فقالَ : لا يزالُ

(١) رواه أبو داود في « الزهد » (٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٩/٤٤) .

(٢) روى الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٩/٩) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (كفىٰ بالمرء إثماً إذا قيل له : اتق الله . . غضب) .

(٣) رواه الإمام مالك في « الموطأ » (٩٩٢/٢) ، وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٣) .

الناسُ بخيرٍ ما أرضَوا ربَّهم[1] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ إذا قرأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] . . يقـولُ : (واللهِ ؛ إنَّما يعاتبُهم لمحبتِهِ إيَّاهم)[2] .

وكانَ عروةُ الرَّقيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (محبةُ العبدِ لربِّهِ هي حبُّ القرآنِ والعملُ بهِ ، وحبُّهُ لرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هو عملُهُ بسنتِهِ)[3] ، وكذلكَ قالَ سفيانُ الثوريُّ ومالكُ بنُ أنسٍ .

وكانَ مطرِّفٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ محبةِ العبدِ لربِّهِ** : ألا يَمَلَّ مِنْ تلاوةِ كتابِهِ)[4] .

وكانَ سعيدُ بنُ جبيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**مِنْ علامةِ محبةِ العبدِ لربِّهِ** : كثرةُ النَّصَبِ والتعبِ في عبادتِهِ ؛ فإنَّ حُبَّ اللهِ لا يُنالُ بالراحةِ) .

وكانَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : مررْتُ برجلٍ نائمٍ في الثلجِ ، فقلْتُ لهُ : أما تُحِسُّ بألمِ البردِ ؟ فقالَ : مَنْ ذاقَ طعمَ محبةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لم يجدْ للبرْدِ ولا للنارِ ألماً[5] .

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « المدخل إلى السنن » (٥٤٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « العقل وفضله » (٦٤) .

(٣) رواه الختلي في « المحبة لله » (١٩٧) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٤) ، كلاهما بنحوه من قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٣٦٩) .

قُلْتُ : ومرادُهُ : المحبَّةُ الكاملةُ بالنسبةِ لمقامِ كلِّ محبٍّ .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كم ممَّنْ يزعمُ أنَّهُ محبٌّ للهِ ، واللهُ لهُ مبغضٌ !) انتهىٰ[1] ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[2] .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٤٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/١٥١) .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ قراءةً علىٰ مؤلِّفه) .

[الزهد في الدنيا ، وذم كل من طلبها]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : الزهدُ في الدنيا ، وذمُّهم لكلٍّ مَنْ طلبَها ، ومبالغةُ أحدِهم في الزهدِ حتىٰ يصيرَ ينطقُ بالحكمةِ ؛ كأنبياءِ بني إسرائيلَ ، ورأسُهم في المبالغةِ في الزهدِ هو رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ كانَ يأتي عليهِ أربعونَ ليلةً ما يوقَدُ في بيتِهِ مصباحٌ ولا نارٌ ، فقيلَ لعائشةَ : فكيفَ كنتُم تعيشونَ ؟ فقالَتْ : بالأسودَينِ ؛ التمرِ والماءِ[(١)] .

وكانَتْ تقولُ : (قُبضَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في كساءٍ ملبَّدٍ ـ أي : مرقَّعٍ ـ وإزارٍ عَدَنيٍّ غليظٍ)[(٢)] .

وقد كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رَجُلٍ ٱسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا »[(٣)] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**الزُّهدُ ثلاثةُ أحرفٍ** ؛ **فمعنى الزايِ** : أنْ تتركَ زينةَ الدنيا ، **ومعنى الهاءِ** : أنْ تتركَ هوىٰ نفسِكَ ، **ومعنى الدالِ** : أنْ تتركَ الدنيا بأسرِها ، فإذا فعلْتَ ذلكَ فأنتَ زاهدٌ)[(٤)] .

---

(١) رواه البخاري (٢٥٦٧) ، ومسلم (٢٨/٢٩٧٢) .

(٢) رواه بنحوه البخاري (٣١٠٨) ، ومسلم (٢٠٨٠) .

(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٧) ، وابن ماجه (٤١٠٩) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٦٠) من قول أبي بكر الورَّاق رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**الزهدُ على ثلاثةِ أصنافٍ** : فرضٌ ؛ ويكونُ في الحرامِ ، وسنةٌ ؛ ويكونُ في الحلالِ ، وواجبٌ ؛ وهو الزهدُ في الشبهاتِ)[١] .

وكانَ يقولُ : (الزهدُ في الرياسةِ أشدُّ مِنَ الزهدِ في الذهبِ والفضةِ ؛ لأنَّكَ تبذلُهما في تحصيلِها)[٢] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ للرجلِ أنْ يحملَ أهلَهُ وعيالَهُ على الزهدِ في الدنيا ، وإنَّما عليهِ أنْ يدعوَهم إليهِ ، فإنْ أجابوهُ وإلا زهدَ في نفسِهِ ، واشترىٰ لهم ما يُصلِحُهم) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كلُّ ما أشغلَكَ عن ربِّكَ مِنْ أهلٍ أو مالٍ فهو عليكَ مشؤومٌ)[٣] .

قلْتُ : وذلكَ لأنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ الموجوداتِ كلَّها مذكِّرةً للعبدِ بربِّهِ ، وهناكَ تكونُ مباركةً عليهِ ، بخلافِها إذا حجبَتْهُ عن ربِّهِ ، ومِنْ هنا كانَ الولدُ والمالُ أعظمَ فتنةٍ للعبدِ ؛ لأنَّهُ لا يصحُّ لهُ الإقبالُ على اللهِ تعالىٰ معَ المَيلِ إليهما ، فافهمْ .

وأكلَ سفيانُ رحمَهُ اللهُ مرةً الطياهيجَ[٤] ، فبلغَ ذلكَ وكيعاً رحمَهُ اللهُ ،

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٢٥) ، والدينوري في « المجالسة » (٩٠٥) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٦١) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٢٦) ، كلاهما من قول إسحاق بن خلف رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٣٦٢) .

(٤) **الطياهيج** : مفردها طيهوج ؛ وهو من أنواع الطيور . انظر « تاج العروس » (ط هـ ج) .

فعابَ ذلكَ عليهِ ، وقالَ لهُ : (إنَّ الناسَ يقتدونَ بكَ في ذلكَ) .

وكانَ بلالُ بنُ سعدٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو لم يكنْ لنا مِنَ الذنوبِ إلا رغبتُنا في الدنيا بعدَ أنْ زهَّدَنا اللهُ تباركَ وتعالىٰ فيها . . لكانَ في ذلكَ كفايةٌ مِنَ الذنبِ)[١] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (قد سمعْنا في الزهدِ كلاماً كثيراً ، وأحسنُ ما رأيناهُ فيهِ أنَّهُ : الزهدُ في كلِّ شيءٍ يشغلُ عنِ اللهِ تعالىٰ ؛ حتى العلمِ والعملِ)[٢] ؛ أي : بأنْ دخلَ فيهما الرياءُ أوِ الإعجابُ ، أو حبُّ ثناءِ الناسِ ، أو كانَ سبباً لبرِّهم لهُ ، ونحوُ ذلكَ ، وإلا فمَنْ أخلصَ في علمِهِ وعملِهِ لا يصلحُ في حقِّهِ الزهدُ في ذلكَ ، لأنَّ الإخلاصَ ممَّا يجمعُ قلبَ العبدِ علىٰ ربِّهِ عزَّ وجلَّ .

وقالَ رجلٌ مرةً لسفيانَ بنِ عيينةَ : دلَّني علىٰ زاهدٍ أجلسْ إليهِ مِنَ العلماءِ ، فقالَ لهُ : يا هـٰذا تلكَ ضالةٌ لا توجدُ[٣] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الزهدُ كلُّهُ تعبُ النفسِ ، فمتىٰ مالَ صاحبُهُ إلى الراحةِ في الدنيا فقد رجعَ عنِ الزهدِ) .

وكانَ محمدُ بنُ سيرينَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (طلبوا الإمامَ أبا حنيفةَ للدنيا فهربَ منها ، وطلبْنا نحنُ الدنيا فهربَتْ منَّا ، فانظروا كمْ بينَ الرجلَينِ !)[٤] .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٢٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٢٤) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٥٨) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤٠) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٤٣٨) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٥٢) ولكن من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى .

(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ١٠٥) من قول ابن شبرمة رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ يوسفُ بنُ أسباطٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (طلبْتُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ثلاثَ خصالٍ : أنْ أموتَ وليسَ في ملكي درهمٌ ، ولا عليَّ درهمٌ ، ولا علىٰ عظمي لحمٌ) ، قالوا : فما ماتَ حتىٰ أعطاهُ اللهُ ذلكَ[1] .

وأرسلَ الخليفةُ مرةً إلى الفقهاءِ بجوائزَ فقبلوها ، وأرسلَ إلى الفضيلِ بعشرةِ آلافِ درهمٍ فردَّها ، فقالَ لهُ أولادُهُ : قد قَبِلَ الفقهاءُ ذلكَ وهم قدوةُ الناسِ ، فهلَّا قبلْتَ أنتَ الآخرُ ، فبكى الفضيلُ وقالَ : ما مَثَلي ومَثَلُكم إلا كمَثَلِ قومٍ كانَتْ لهم بقرةٌ يحرثونَ عليها ، فلمَّا هرمَتْ قالوا لبعضِهم : اذبحوها قبلَ ألا تنتفعوا بجلدِها ولحمِها ، وكذلكَ أنتم ؛ تريدونَ ذبحي علىٰ كِبَرِ سنِّي ، فاصبروا على الجوعِ خيرٌ لكم مِنْ أنْ تذبحوني ، فقالوا : ما عندَنا شيءٌ نتغذَّىٰ بهِ ، فأخذَ سكيناً ، وقطعَ لهم قطعةً مِنْ بساطٍ بالٍ كانَ تحتَهُ ، وقالَ : اشتروا بهِ شيئاً تأكلوهُ[2] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مِنْ رؤوسِ الزهَّادِ ، وكانَ يلبسُ الشَّعَرَ ، ويأكلُ مِنْ ورقِ الشجرِ ، وليسَ لهُ ولدٌ يموتُ ، ولا بيتٌ يَخْرَبُ ، ولا يدَّخرُ قوتَ غدٍ ، وكلُّ مكانٍ أدركَهُ المساءُ نامَ فيهِ[3] .

وقيلَ لهُ مرةً : يا روحَ اللهِ ؛ ألا تتخذُ لكَ حماراً تركبُهُ ؟ فقالَ : أنا أكرمُ على اللهِ من أنْ يشغلَني بخدمةِ حمارٍ[4] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ١٢٣) .

(٢) رواه بنحوه ضمن خبر طويل أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٥) ، وقوله : (تأكلوه) كذا في جميع النسخ المعتمدة علىٰ لغة فاشية ، ومر نظيره غير مرة .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٦٧) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (٨٨) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٧٦) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٣٠٩) .

وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ للحواريينَ : (بحقٍّ أقولُ لكم : إنَّ أكلَ نُخالةِ الشعيرِ مخلوطةً بالرمادِ ، والنومَ على المزابلِ معَ الكلابِ ، ولبسَ المسوحِ الخشنةِ . . لكثيرٌ على مَنْ يموتُ) .

ولم يتخذْ لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قطُّ فراشاً ولا مِخَدةً ولا قصعةً .

قالوا : ووضعَ مرةً لَبِنةً تحتَ رأسِهِ ، فجاءَهُ جبريلُ عليهِ السلامُ ، وقالَ : يا عيسىٰ ؛ ركنْتَ إلى الدنيا بعدَ زهدِكَ فيها ، وجعلْتَ تحتَ رأسِكَ مخدةً مِنْ لَبِنٍ ؟! فمِنْ ذلكَ الوقتِ صارَ ينامُ جالساً إلىٰ أنْ رُفعَ .

وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ لبني إسرائيلَ وللحواريِّينَ : (عليكم بالماءِ القَراحِ ، والبقلِ البريِّ ، ونُخالةِ الشعيرِ ، وإيَّاكم وخبزَ البُرِّ ؛ فإنَّكم لن تقوموا بشكرِ نُخالةِ الشعيرِ)[1] .

واشترىٰ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ مرَّةً قميصاً بثلاثةِ دراهمَ وهو إذ ذاكَ خليفةٌ ، وقطعَ كمَّيهِ مِنْ موضعِ الرُّسغينِ ، ولبسَهُ وقالَ : (الحمدُ للهِ الذي هـٰذا مِنْ رِيَاشِهِ)[2] .

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة على مؤلفه**) ، والخبر رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٣٢٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢٦٤) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٦٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/٤٨٣) .

وفي هامش (ج) : (**الرياش** : ما ظهر من اللباس ، ويقع على الخِصب والمعاش والمال المستفاد ، ويقال : راشه يريشه : إذا أحسن إليه ، وكلُّ من أوليته خيراً فقد رشته ، كذا في « النهاية الأثيرية » [٢/٢٨٨] . انتهىٰ) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا لبسَ القميصَ لا ينزعُهُ حتىٰ يخلقَ[1] .

وقالوا لهُ مرةً : ألا تغسلُ قميصَكَ ؛ فإنَّهُ اتسخَ ؟ فقالَ : إنَّ الأمرَ أعجلُ مِنْ ذلكَ[2] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لو أنَّ الدنيا كانَتْ بأسرِها تحتَ يدَيَّ ما فرحْتُ بها ، ولو أنْ إنساناً أخذَها كلَّها مِنْ يدَيَّ ما تبعْتُهُ ، ولا حزنْتُ عليها)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يتقوَّتُ مِنْ سقايةِ الماءِ بمكةَ ؛ فكانَ لهُ جملٌ ينقلُ عليهِ الماءَ ، ويبيعُهُ ويتقوَّتُ هو وعيالُهُ منهُ .

وكانَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ ضبطَ بطنَهُ ضبطَ دينَهُ ، وقد كانَتْ بليَّةُ أبيكم آدمَ عليهِ السلامُ أكلةً واحدةً ، وهي بليتُكم إلىٰ يومِ القيامةِ)[4] .

قلْتُ : **المرادُ بالبليّة هنا** : الاختبارُ ؛ اختبرَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ بها بني آدمَ ؛ هل يصبرونَ علىٰ تركِ شهواتِهم أو يقعونَ فيها ، وأمَّا اختبارُ أبينا آدمَ عليهِ السلامُ فإنَّما كانَ صورياً أعلمَهُ بهِ الحقُّ ؛ ليعرفَ ما يقعُ مِنْ بنيهِ إذا وُجدوا ؛ مِنْ بابِ إطلاعِ رسلِهِ على الغيبِ ، ويعرِّفَهم بما وقعَ علىٰ يديهِ كيفَ

---

(١) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٣٩) .

(٢) سبق تخريجه (ص٣٦٧) .

(٣) في هامش (أ) : (بلغ نظراً) ، والخبر رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٠٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٨٩) .

(٤) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/ ١٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ١٧١) .

يتوبونَ إذا وقعوا في المخالفاتِ ، فالخطابُ لهُ والحكمُ لغيرِه ، كما أوضحْناهُ في كتابِ « الأجوبةِ عنِ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ » ، واللهُ أعلمُ .

ومِنْ نطقِهم ـ يعني : القومَ ـ **بالحكمةِ لمَّا أحكموا الزهدَ في الدنيا** : قولُ إبراهيمَ بنِ أدهمَ : (ليسَ بعاقلٍ مَنِ ارتكبَ الذنوبَ) .

ومنهُ : قولُ وهبِ بنِ منبِّهٍ : (مَنْ قالَ فيكَ مِنَ الخيرِ ما ليسَ فيكَ . . فلا بدَّ أنْ يقولَ فيكَ مِنَ الشرِّ ما ليسَ فيكَ ، ومَنْ عرَّضَ نفسَهُ للتهمِ فلا يلومَنَّ مَنْ أساءَ بهِ الظنَّ)(١) .

وقولُهُ : (إيَّاكم وما يُعتذَرُ منهُ)(٢) .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما رأيتُ يقيناً أشبهَ بالكذبِ مِنْ يقينِ الناسِ بالموتِ معَ غفلتِهم عنهُ)(٣) .

وكانَ الأحنفُ بنُ قيسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يرجعُ الشبابُ بالخضابِ ، ولا الصحةُ بالدواءِ)(٤) .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٧٤٧) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٧٥٣) مرفوعاً من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « اليقين » (٤١) .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/٢٧٦) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

وفي هامش (ج) : (**قلت** : الأول مسلَّم ، والثاني لا ؛ لأن الله أنزل الدواء ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتداوي ، فلو لم يكن له إزالة الداء لم يكن لإنزاله ولا الأمر بالتداوي فائدة . انتهى) .

وكانَ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أنتَ الزمانُ ؛ فإنْ صلحْتَ صلحَ ، وإنْ فسدْتَ فسدَ)[1] .

وقالَ معاويةُ مرةً لرجلٍ مِنْ سبأٍ : ما كانَ أجهلَ قومَكَ حينَ ملَّكوا عليهِمُ امرأةً ! فقالَ لهُ الرجلُ : قومُكَ أجهلُ ؛ فإنَّ اللهَ لمَّا بعثَ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالوا : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٣٢] ؛ هلَّا قالوا : اللهمَّ ؛ إنْ كانَ هٰذا هو الحقَّ مِنْ عندِكَ فاهدِنا لهُ ، فسكتَ معاويةُ[2] .

وفي الحديثِ : « لَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ ٱللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ . . مَا سَقَىٰ كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ »[3] .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ٱلدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ ، وَلَهَا يَسْعَىٰ مَنْ لَا يَقِينَ لَهُ »[4] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧/ ١٠١) من قول ابن الكوا لسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٢) رواه الواحدي في « التفسير الوسيط » (٢/ ٤٥٦) .

(٣) في هامش (هـ) : [من الوافر]

تنبَّه في الوجود بغير فكر ... ترى الدنيا الدنيَّة كالخيالِ
ومَنْ فيها جميعاً سوف يفنىٰ ... ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلالِ

والخبر رواه الترمذي (٢٣٢٠) ، وابن ماجه (٤١١٠) من حديث سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٤) رواه مختصراً الإمام أحمد في « المسند » (٦/ ٧١) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ الشرَّ كلَّهُ في بيتٍ ، وجعلَ مفتاحَهُ حبَّ الدنيا ، وجعلَ الخيرَ كلَّهُ في بيتٍ ، وجعلَ مفتاحَهُ الزهدَ في الدنيا)[1] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (حبُّ الدنيا يُخرِجُ حلاوةَ الإيمانِ مِنَ القلبِ)[2] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ ملكَ الدنيا تعبَ ، ومَنْ أحبَّها صارَ عبداً لها ، قليلُها يكفي ، وكثيرُها لا يغني) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ لطالبِ الدنيا غايةٌ يقفُ عندَها ، كما أنَّهُ ليسَ لطالبِ الآخرةِ غايةٌ)[3] .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (لا يستقيمُ حبُّ الدنيا والآخرةِ في قلبٍ ؛ كما لا يستقيمُ جعلُ الماءِ والنارِ في إناءٍ واحدٍ)[4] .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أخذَ الدنيا مِنْ حلِّها وأنفقَها في مرضاةِ اللهِ . . فهو أرضىٰ للهِ)[5] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الدنيا حانوتُ الشيطانِ ، فلا تسرِقْ مِنْ حانوتِهِ شيئاً ؛ فيجيءَ في طلبِكَ فيأخذَكَ)[6] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٧٩) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٢٤٥) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٠) .

(٣) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٤٣٠) من قول الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٧٦) ، والدينوري في « المجالسة » (١١٥٠) .

(٥) رواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٢١) .

(٦) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٣١) .

ولمَّا ماتَ نوحٌ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ لهُ جبريلُ : يا أطولَ النبيينَ عمراً ؛ كيفَ وجدْتَ الدنيا ؟ فقالَ : كدارٍ لها بابانِ ؛ دخلْتُ مِنْ أحدِهما ، وخرجْتُ مِنَ الآخرِ[١] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الدنيا عروسٌ ، ومحبُّها ماشِطتُها ، والزاهدُ فيها يمزِّقُ شعرَها ، ويسوِّدُ وجهَها ، ويقطعُ ثيابَها ، ويكسرُ حُليَّها)[٢] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مِنْ علامةِ محبَّةِ العبدِ لربِّهِ : أنْ يبغضَ مَنْ أبغضَهُ اللهُ ، فمَنِ ادَّعىٰ أنَّهُ يحبُّ اللهَ وهو يحبُّ الدنيا فهو كاذبٌ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يبغضُها)[٣] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يقولُ في دعائِهِ : (اللهمَّ يا حابسَ السماءِ أنْ تقعَ على الأرضِ إلا بإذنِهِ ؛ احبسْ عن إبراهيمَ الدنيا)[٤] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كنَّا ـ معاشرَ بني آدمَ ـ نسلاً مِنْ نسلِ الجنةِ ، فسبانا إبليسُ ، وأخرجَنا منها إلىٰ دارِ الفناءِ والبَوارِ ؛ فلا ينبغي لعاقلٍ أنْ يفرحَ إلا بعدَ عودِهِ إلى الجنَّةِ التي خرجَ منها)[٥] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٢٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/ ٢٨١) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٣) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٣٦) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٣١٧) من قول بعض العلماء .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « العقوبات » (١١١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٤٠٦) .

وَدَخَلَ جماعةٌ علىٰ رابعةَ العدويةِ رضيَ اللهُ عنها ، فأكثَروا مِنْ ذمِّ الدنيا عندَها ، فقالَتْ لهم : (كفُّوا عن ذكرِها ، فلولا موقعُها مِنْ قلوبِكم ما أكثرْتُم مِنْ ذكرِها)[١] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ الجسمَ إذا تكاملَ سقمُهُ لا ينجَعُ فيهِ طعامٌ ولا شرابٌ ، وكذلكَ القلبُ إذا علِقَ فيهِ حبُّ الدنيا لا ينجَعُ فيهِ المواعظُ)[٢] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ نافسَكَ في دينِكَ فنافسْهُ ، ومَنْ نافسَكَ في دنياك فألقِها في نحرِهِ)[٣] ، **والمنافسةُ** : المفاخرةُ .

وقالَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ : (مرَّ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يوماً علىٰ رجلٍ نائمٍ ، فقالَ لهُ : ألا تقومُ فتعبدَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فقالَ : قد عبدْتُهُ بأفضلِ العبادةِ ، فقالَ لهُ : وما هو ؟ فقالَ : تركْتُ الدنيا لأهلِها ، فقالَ لهُ : صدقْتَ ، نمْ ؛ فقد فُقْتَ العابدينَ)[٤] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الدنيا جيفةٌ ؛ فمَنْ أرادَ منها شيئاً فليصبرْ علىٰ مخالطةِ الكلابِ) انتهىٰ[٥] .

وقد تقدَّمَ عن مسلمٍ النَّحَّاتِ أنَّه كانَ يقولُ : (لمَّا ضُربَ الدينارُ والدرهمُ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٤٦٤) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٤٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٣) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٣٥١) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (٥٣٥) .

(٤) سبق تخريجه (ص٣٥٢) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٣٨) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

وضعَهما إبليسُ علىٰ جبهتِهِ وقبَّلَهما ، وقالَ : مَنْ أحبَّكما فهو عبدي حقاً) ، وأنَّهُ كانَ يقولُ : (لَجِرابُ بعرٍ أوقدُ بِهِ تحتَ التنورِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ جرابِ ذهبٍ) ، وتقدَّمَ بسطُ ذلكَ في مواضعَ مِنْ هـٰذا الكتابِ[1] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واعملْ عليهِ إنْ طلبْتَ النَّجاةَ ؛ فإنَّ في الحديثِ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيْكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا ٱلْمُخِفُّونَ »[2] ، قالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ؛ أمِنَ المُثقِلينَ أنا أمْ مِنَ المُخِفِّينَ ؟ فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَعِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ ؟ » ، قالَ : نعمْ ، وقوتُ غدٍ ، قالَ : « لَوْ كَانَ عِنْدَكَ قُوتُ بَعْدِ غدٍ لَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُثْقِلِينَ » انتهىٰ[3] .

فهـٰذا ميزانُ الشريعةِ ، وأنتَ أعلمُ بنفسِكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[4] .

---

(١) انظر (ص٢٧٦) .

(٢) في هامش (ج) : (يقال : أخفَّ الرجل فهو مخفٌّ وخِفٌّ وخفيف : إذا خفَّت حالُهُ ودابته ، وإذا كان قليل الثقل ؛ يريد به : المخفَّ من الذنوبِ وأسبابِ الدنيا وعُلَقها ، كذا في « النهاية الأثيرية » [٢/ ٥٤] . انتهىٰ) .

(٣) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٨٠٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) في هامش (أ) : (بلغ) .

[تقديم الحرفة اللازمة للكفاف على النوافل والواجبات الموسعة]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : تقديمُهم عملَ الحرفةِ والصنعةِ التي تكفُّهم عن سؤالِ الناسِ على سائرِ نوافلِهم وواجباتِهمُ الموسَّعةِ .

وقد سُئلَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن رجلٍ يحتاجُ إلى الكسبِ ، ولو ذهبَ لصلاةِ الجماعةِ احتاجَ ذلكَ النَّهارَ إلى سؤالِ الناسِ ، فقالَ : (يكتسبُ ويصلِّي منفرداً) انتهى[(١)] .

قلْتُ : ولعلَّ ذلكَ في غيرِ صلاةِ الجمعةِ .

وفي الحديثِ : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّمَ آدمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَلْفَ حِرْفَةٍ ، وَقَالَ لَهُ : قُلْ لِوَلَدِكَ يَتَعَلَّمُوا هَـٰذِهِ ٱلْحِرَفَ ، وَيَأْكُلُوا بِهَا ، وَلَا يَأْكُلُوا بِدِينِهِمْ »[(٢)] .

وفي الحديثِ أيضاً : « إِنَّ رُوحَ ٱلْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا[(٣)] ، فَٱتَّقُوا ٱللهَ وَأَجْمِلُوا فِي ٱلطَّلَبِ ،

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٩٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/١٦ـ ١٧) ، كلاهما بنحوه من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس » (٤١٠٥) من حديث سيدنا عطية بن بسر رضي الله عنه .

(٣) في هامش (ج) : (في « المصباح » [روع] : الرُّوع بالضم : الخاطر والقلب ، يقال : وقع في روعي كذا . انتهى) .

وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ ٱسْتِبْطَاءُ ٱلرِّزْقِ عَلَىٰ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ ٱللهِ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَةٍ »[١] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يقعدْ أحدُكم في المسجدِ ، ويتركَ طلبَ الرزقِ بالاكتسابِ ، ويقولَ : اللهمَّ ؛ ارزقْني ؛ فإنَّ ذلكَ خلافُ السنةِ ، وقد علمْتُم أنَّ السماءَ لا تمطرُ ذهباً ولا فضَّةً)[٢] .

وسُئلَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ عن رجلٍ جلسَ في بيتِهِ أو في المسجدِ ، وقالَ : لا أعملُ شيئاً حتىٰ يعطيَني اللهُ تعالىٰ رزقي ، فقالَ : (هٰذا رجلٌ جهلَ العلمَ ، أَمَا سمعَ قولَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « جَعَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ سَيْفِي » ؟!)[٣] ؛ **يعني** : الغنائمَ .

قُلْتُ : ويشهدُ بذلكَ أيضاً حديثُ الطبرانيِّ الذي في الطَّيرِ : « تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً »[٤] ؛ فإنَّهُ ذكرَ فيهِ أنَّها تغدو في طلبِ الرزقِ .

وقد كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتَّجرونَ براً وبحراً ، والقدوةُ بهم أَولىٰ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٧٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٨٩١) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٢٤٣) .

(٣) روى الخبر عن الإمام أحمدَ ابنُ الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص٢٥٢) ، والحديث فيه رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه الترمذي (٢٣٤٤) ، وابن ماجه (٤١٦٤) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور : ٣٧] ، فسمَّاهم رجالاً لمَّا قاموا في الأسبابِ ، ولم يشتغلوا بها عن ذكرِ اللهِ تعالىٰ ، وهٰذا هو الكمالُ .

ومرَّ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ علىٰ رجلٍ جالسٍ ، فقالَ لهُ : ما تفعلُ ها هنا ؟ قالَ : أتعبَّدُ يا روحَ اللهِ ، قالَ : مَنْ يعولُكَ ؟ قالَ : أخي ، فقالَ : أخوكَ أَعْبَدُ منكَ[(١)] .

وفي الحديثِ : أنَّهم ذكروا للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلاً ، وصاروا يُثنونَ عليهِ خيراً ، ويذكرونَ مِنْ عبادتِهِ سفراً وحضراً ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ ، وَيَعْلِفُ دَابَّتَهُ وَيَكْفِيهِ صَنْعَتَهُ ؟ » قالوا : نحنُ يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ »[(٢)] .

وكانَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خيرُكم مَنْ عملَ لآخرتِهِ ودنياهُ) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي لأكرهُ أنْ أرى الرجلَ فارغاً مِنْ عملِ الدنيا والآخرةِ)[(٣)] .

وكانَ أبو قِلابةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا كانَ الرجلُ في معاشِهِ ساعياً فهو أفضلُ مِنَ الجالسِ في المسجدِ) .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ الشأنُ أنْ تصُفَّ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (٧٥٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦٨/٤٧) .

(٢) رواه معمر بن راشد في « الجامع » (٢٠٤٤٢) مرسلاً من حديث أبي قلابة رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٣٠) .

قدمَيك للعبادةِ وغيرُكَ يتعبُ لكَ ، إنَّما الشأنُ أنْ تحوزَ رغيفَكَ في بيتِكَ ، ثمَّ تغلقَهُ وتصلِّيَ ، فلا تبالي بعدَ ذلكَ بأيِّ داقٍّ دقَّ البابَ ، بخلافِ مَنْ قامَ في بيتِهِ يصلِّي وليسَ عندَهُ شيءٌ يأكلُهُ ، فيصيرُ كلُّ داقٍّ دقَّ البابَ يقولُ : إنَّ معَهُ رغيفاً)(١) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ يقولُ لأصحابِهِ : (عليكم بالحرفةِ ؛ فإنَّ عامةَ مَنْ أتىٰ أبوابَ الأمراءِ إنَّما أتاهم مِنَ الحاجةِ)(٢) .

فاعلمْ ذلكَ واعملْ بهِ ، واتبعْ سلفَكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٠) .

[حبّ المساكين ، والتّواضع لهم]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : حبُّ المساكينِ ، والتواضعُ لهم ، والنفرةُ مِنْ مجالسةِ الأغنياءِ مِنْ غيرِ احتقارٍ لهم ؛ عملاً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَحْيِنِي مِسْكِيناً ، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً ، وَٱحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ ٱلْمَسَاكِينِ »(١) ؛ أي : لأنَّ رحمةَ اللهِ تعالىٰ لا تفارقُ المساكينَ .

وكانَ سليمانُ بنُ داودَ عليهما الصلاةُ والسلامُ معَ ما أوتيهِ مِنَ الملكِ إذا دخلَ المسجدَ يجالسُ المساكينَ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (مسكينٌ جالسَ مسكيناً)(٢) .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يحبُّ أنْ يُناديٰ : (يا مسكينُ) ، ولم يكنِ اسمٌ أحبَّ إليهِ مِنْ ذلكَ(٣) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (يُختبرُ عقلُ الرجلِ بما إذا جلسَ بجنبِهِ علىٰ بساطِهِ مسكينٌ رَثُّ الهيئةِ بغيرِ إذنِهِ ، فإنْ تكدَّرَ منهُ فهو ناقصُ العقلِ) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٢) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وابن ماجه (٤١٢٦) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ١٩٥) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٦٣) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ١٩٥) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (بلغَنا أنَّ نبياً مِنَ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ قالَ : يا ربِّ ؛ كيفَ لي أنْ أعلمَ رضاكَ عني ؟ قالَ : انظرْ كيفَ رضا المساكينِ عنكَ)[١] .

وزجرَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ جماعةً مِنْ أهلِ الصُّفَّةِ في أمرٍ بلغَهُ عنهم ، فبلغَ ذلكَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « لَعَلَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَغْضَبْتَهُمْ ؛ إِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ فَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ » ، فذهبَ إليهم أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ وتعطَّفَ بهم ، وقالَ : لعلِّي أغضبتُكم ، فقالوا : لا ، ويغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ[٢] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهما يقولُ : (أتباعُ الأنبياءِ في كلِّ زمانٍ . . الفقراءُ والمساكينُ دونَ الأغنياءِ والمتكبِّرينَ) .

وقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أشدَّ الناسِ تواضعاً للفقراءِ ، وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إذا جلسَ عندَهم يضعُ الركبةَ على الركبةِ ، ويقولُ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ؛ أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ ٱلْعَبْدُ »[٣] .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ ٱلنَّاسُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[٤] .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ١٩٥) .

(٢) رواه بنحوه مسلم (٢٥٠٤) .

(٣) رواه بنحوه أبو يعلى في « المسند » (٤٩٢٠) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٥٧٢) مرسلاً من حديث يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه أبو داود (٥٢٢٩) ، والترمذي (٢٧٥٥) من حديث سيدنا معاوية رضي الله عنه .

قلْتُ : **معنى الحديثِ** ـ كما قالَهُ بعضُ العلماءِ ـ : أنْ يحبَّ وقوفَ الناسِ بينَ يدَيهِ وهو جالسٌ ؛ كما يفعلُ الأمراءُ وبعضُ مشايخِ العجمِ ، والحديثُ متواترٌ ، واللهُ أعلمُ .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لم يكنْ أحدٌ أحبَّ إلينا مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكنَّا إذا وَرَدَ علينا لا نقومُ لهُ ؛ لِمَا نعلمُ مِنْ كراهيتِهِ لذلكَ إلا حسانَ بنَ ثابتٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ ؛ كانَ يقومُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ويقولُ : لا يليقُ بمَنْ لهُ دينٌ وعقلٌ أنْ يراكَ يا رسولَ اللهِ ، ولا يقومَ لكَ ، وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقرُّهُ علىٰ ذلكَ)(١) .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (لا يزدادُ عبدٌ يمشي الناسُ معَهُ إلا بُعداً مِنَ اللهِ) ، وفي روايةٍ : (لا يزدادُ العبدُ بالمشيِ خلفَهُ مِنَ اللهِ تعالىٰ إلا بُعداً)(٢) .

وقالوا ليونسَ بنِ عبيدٍ لمَّا انصرفَ مِنَ الموقفِ بعرفةَ : كيفَ كانَ الناسُ ؟ فقالَ : كانوا بخيرٍ ، إلا أنِّي كنتُ فيهم ، ولولا أنَّ اللهَ تعالىٰ لطفَ بهم لَمَا أنزلَ عليهم رحمةً بسببي .

وتقدَّمَ قولُ زيادٍ النميريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : (الزاهدُ بغيرِ تواضعٍ كالشجرةِ التي لا تثمرُ)(٣) .

---

(١) رواه بنحوه مختصراً الترمذي (٢٧٥٤) .

(٢) في هامش (أ) : (**بلغ إعادة نظر** ، **وكتبه مؤلفه**) ، والخبر رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٢١) .

(٣) انظر (ص٦٢٨) .

وكانَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي روَّادٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (واللهِ ؛ لا أعرفُ علىٰ وجهِ الأرضِ الآنَ رجلاً شراً منِّي)[1] .

وتقدَّمَ في هـٰذا الكتابِ أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يخدُمُ الضيوفَ بنفسِهِ ، ويقومُ فيصلحُ السراجَ بنفسِهِ ، ويقولُ : (قمْتُ وأنا عمرُ ، وجلسْتُ وأنا عمرُ)[2] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا دُعيَ إلىٰ وليمةٍ يجلسُ بينَ الصبيانِ والمساكينِ ، ويلحسُ الأوانيَ معَهم .

وثارَتْ ريحٌ حمراءُ يوماً ، فسألوا عبدَ اللهِ بنَ مقاتلٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يدعوَ اللهَ لهم ، فقالَ : يا ليتَني لا أكونُ سبباً لهلاكِهم ، فرأىٰ بعضُهم رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، وقالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ دفعَ عنكم شرَّ ذلكَ الريحِ بدعاءِ عبدِ اللهِ بنِ مقاتلٍ حينَ هضمَ نفسَهُ[3] .

وقد قدَّمْنا في هـٰذا الكتابِ أنَّ سليمانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ معَ ما أعطاهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ الملكِ . . لم يرفعْ طرفَهُ إلى السماءِ تخشُّعاً حتىٰ ماتَ[4] .

وصلَّىٰ بشرُ بنُ منصورٍ مرَّةً ، وأطالَ فيها ، وكانَ ذا خشوعٍ ، فرآهُ رجلٌ

---

(١) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٥٢٦) .
(٢) انظر (ص٦٣١) .
(٣) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٤٨٤) ، وفيه : (محمد بن مقاتل) بدل (عبد الله بن مقاتل) .
(٤) انظر (ص٦٣١) .

لم يعلمْ بهِ ، فلمَّا سلَّمَ مِنْ صلاتِهِ قالَ لهُ : (يا أخي ؛ لا يعجبنَّكَ ما رأيتَهُ منِّي ؛ فإنَّ إبليسَ عَبَدَ اللهَ تعالىٰ معَ الملائكةِ آلافاً مِنَ السنينَ ، ثمَّ صارَ إلىٰ ما تعلمُ)[١] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم ينفرونَ مِنْ مجالسةِ الأغنياءِ ، ومِنْ مجالسةِ كلِّ غافلٍ عنِ اللهِ لا سيَّما السلاطينِ والملوكِ) .

وقد كانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا تدخلوا علىٰ هٰؤلاءِ الذينَ يجمعونَ الدنيا ولا ينفقونَها في سبيلِ اللهِ ؛ فإنَّ ذلكَ مَسْخَطةٌ للربِّ ، وربَّما ازدرىٰ أحدُكم ما هو فيهِ مِنَ النعمِ برؤيةِ أمتعتِهم ومآكلِهم وملابسِهم ومراكبِهم وخدَّامِهم وبيوتِهم)[٢] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كمْ مِنْ عالمٍ يدخلُ على السلطانِ ومعَهُ دِينُهُ ، فيخرجُ وليسَ معَهُ مِنْ دينِهِ شيءٌ !)[٣] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (التعزُّزُ على الأغنياءِ تواضعٌ)[٤] ؛ أي : علامةٌ علىٰ تواضعِ العبدِ للهِ ؛ فإنَّهُ لولا تواضعُهُ للهِ وعزُّهُ بهِ . . ما قَدَرَ على التعزُّزِ على الأغنياءِ ، بل كانَ يذِلُّ لهم ، فافهمْ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٤١) .

(٢) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٧٦٠) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (٨٠) .

(٣) رواه المروذي في « أخبار الشيوخ » (٨) .

(٤) أورده ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (ص٩٦) ، وابن مفلح في « الآداب الشرعية » (٢/ ٢٠٩) .

وكانَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اتقوا الوقوفَ علىٰ أبوابِ السَّلاطينِ ؛ فإنَّها مواضعُ الفتنِ)[1] .

وكانَ أبوالدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أنصفَنا إخوانُنا الأغنياءُ ؛ يقولُ أحدُهم لي : أنا أحبُّكَ في اللهِ يا أبا الدرداءِ ، فإذا طلبْتُ مِنْ أحدِهم شيئاً مِنَ الدنيا فارقَني وهربَ !)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يكفينا مِنَ الأغنياءِ في الشرفِ فرارُهم إلينا عندَ الشدائدِ ، وعدمُ فرارِنا نحنُ إليهم في الشدائدِ)[3] .

وكانَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ رضيَ اللهُ عنهُ يتَّجرُ في الزيتِ ، ويقولُ : (إنَّ في هٰذا لغنىً عنِ الوقوفِ علىٰ أبوابِ الأمراءِ)[4] .

وكانَ ميمونُ بنُ مهرانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (صحبةُ السلطانِ خطرٌ عظيمٌ ؛ فإنْ أطعتَهُ خاطرْتَ بدينِكَ ، وإنْ خالفْتَهُ خاطرْتَ بنفسِكَ ، فالسلامةُ ألا تعرفَهُ ولا يعرفَكَ)[5] .

ولمَّا خالطَ الزُّهريُّ السلطانَ كتبَ إليهِ مالكُ بنُ دينارٍ : (عافانا اللهُ تعالىٰ يا أخي ممَّا وقعْتَ أنتَ فيهِ مِنَ الفتنِ بعدَ أنْ كنْتَ شيخاً عالماً ؛ ختمْتَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٨٨٨) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « المتمنين » (١٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ١٧٤) .

(٣) رواه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (٦٦١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ١٧٤) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٥٤٥) .

(٥) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٥٢٥) .

عمرَكَ بصحبةِ الظالمينَ ، وصرْتَ تحاجِجُ عنهم إذا أنكرَ أحدٌ عليهم ! ولو لم يكنْ في قربِكَ منهم إلا أنَّكَ آنستَهم وطردْتَ وحشتَهم . لكفاكَ ذلكَ مِنَ الإثمِ) ، ثمَّ إنَّ مالكاً هجرَ الزُّهريَّ إلىٰ أنْ ماتَ[1] .

فاعلمْ يا أخي ذلكَ ، وإيَّاكَ ومجالسةَ الأغنياءِ وأبناءِ الدنيا إلا لضرورةٍ شرعيةٍ يسوغُ لكَ معَها ذلكَ ، كما تقدَّمَ بسطُهُ في أماكنَ مِنْ هـٰذا الكتابِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[2] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٤٦) ، وفيه أن الكاتب هو أبو حازم الأعرج سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (أ) بلاغان ؛ أحدهما : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه رضي الله عنه**) ، والثاني : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلفه فسح الله في مدته**) .

[عدم حب الرياسة في شيء من أمور الدنيا]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : عدمُ حبِّهم للرياسةِ في شيءٍ مِنْ أمورِ الدنيا ؛ لِمَا فيها مِنْ كثرةِ الآفاتِ .

وقد كانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (ما أحبَّ أحدٌ الرياسةَ على الناسِ إلا أحبَّ ذكرَ عيوبِ الناسِ ونقائصِهم ، وكرِهَ ذكرَهم بخيرٍ ؛ ليَتِمَّ لهُ الرياسةُ عليهم)[1] .

قلْتُ : محلُّ ذلكَ فيمَنْ طلبَ الرياسةَ بغيرِ حقٍّ ، أمَّا العارفونَ باللهِ فلا .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ أحبَّ الرياسةَ على الناسِ . . لم يرتفعْ أبداً)[2] .

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ طلبَ الرياسةَ قبلَ حينِها فرَّتْ منهُ ، ومَنْ تركَها تبعَتْهُ)[3] .

وكانَ يحيى بنُ الحسينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (سمعْتُ سفيانَ الثوريَّ يقولُ : مَنْ طلبَ الرياسةَ قبلَ وقتِها فاتَهُ علمٌ كثيرٌ)[4] .

---

(١) أورده بنحوه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٩٧١) .

(٢) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٤٨٤) .

(٣) أورده بنحوه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٢٥٢) .

(٤) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٨٣٠) من طريق بكر العابد رحمه الله تعالىٰ .

وتقدَّمَ بسطُ الكلامِ على الرياسةِ في هـٰذا الكتابِ فراجعْهُ[1] ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) انظر (ص٢١٠ـ٢١٢) .

[محبة المال للإنفاق وعدم وقوع الحاجة إلى الناس]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : محبةُ المالِ للإنفاقِ لا للإمساكِ ، وتقديمُهم الخوفَ مِنَ الحاجةِ إلى الناسِ علىٰ خوفِ الحسابِ مِنْ جهةِ ذلكَ المالِ الذي ربَّما دخلَتْهُ الشبهةُ .

وقد كانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لأنْ أخلِّفَ بعدي أربعينَ ألفَ دينارٍ أُسألُ عنها يومَ القيامةِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقفَ علىٰ بابِ أحدٍ مِنَ الأنذالِ أسألُهُ حاجتي)(١) .

وفي حكمةِ لقمانَ عليهِ السلامُ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ استغنِ بالكسبِ الحلالِ عنِ الفقرِ ؛ **فإنَّ أحداً ما افتقرَ إلا وأصابَتْهُ ثلاثُ خصالٍ** : رقَّةُ الدِّينِ ، وضعفُ العقلِ ، وذهابُ المروءةِ ، وأعظمُ مِنْ هٰذهِ الثلاثِ استخفافُ الناسِ بهِ)(٢) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (حفظُكَ لِمَا في يديكَ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨١) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٣٢١) .

وفي هامش (ج) عند قوله : (**الأنذال**) : (جمع نذل ونذيل ؛ وهو الخسيس من الناس المحتقَر في جميع أحواله ، كذا في « القاموس » [ن ذ ل] ، وفي « المصباح » : نَذْل ونذيل ؛ **أي** : خسيس . انتهىٰ) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٢٤٣) .

لتقضيَ بهِ حاجاتِكَ . . أولىٰ مِنْ تصدُّقِكَ بهِ ، وطلبِكَ لِمَا في يدِ غيرِكَ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (خصلتانِ لا يزالُ العبدُ بخيرٍ ما حفظهما ؛ درهمُهُ لمعاشِهِ ، ودينُهُ لمعادِهِ)(١) .

وكانَ قيسُ بنُ عاصمٍ رضيَ اللهُ عنهُ معَ شدَّةِ زهدِهِ وورعِهِ . . يقولُ لبنيهِ : (عليكم بجمعِ المالِ الحلالِ ؛ فإنَّهُ يَسُرُّ الصديقَ ، ويُكمِدُ العدوَّ ، وتستغنونَ بهِ عنْ سؤالِ الناسِ لا سيما اللئيمِ ، وإيَّاكم وسؤالَ الناسِ ؛ فإنَّ ذلكَ كسبُ العاجزينَ)(٢) .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (أدركْنا الناسَ وهم يبيعونَ في السوقِ وعلىٰ أحدِهمُ الزحمةُ مِنَ الناسِ ، فإذا سمعَ الأذانَ للصلاةِ نهضَ مسرعاً ، وتركَ البيعَ ، وأمَّا أهلُ زمانِنا فإنْ نفقَ السوقُ أخَّروا الصلاةَ ، وإنْ كَسَدَ ندموا) .

وكانَ أبو قِلابةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (عليكم بملازمةِ السوقِ والصنعةِ ؛ فإنَّكم لن تزالوا كرماءَ علىٰ إخوانِكم ما لم تحتاجوا إليهم)(٣) .

ووقفَ سائلٌ مرةً علىٰ بابِ مالكِ بنِ دينارٍ ، فخرجَ لهُ برغيفٍ ، فأعطاهُ لهُ ، فلم يزلْ يسألُهُ ومالكٌ يُخرِجُ لهُ ما عندَهُ مِنْ فرشٍ وغيرِهِ حتىٰ لم يبقَ في

---

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٦٧٢) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٥٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١١٦٥) .

(٣) رواه بنحوه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ٢٢٦) .

الدارِ شيءٌ ، فقالَ : زدْني ، فقالَ : لم يبقَ عندي شيءٌ إلا أنْ تبيعَني وتأخذَ ثمني كما وقعَ للخضرِ عليهِ السلامُ ، فتركَهُ السائلُ وانصرفَ ، ولم يأخذْ شيئاً ممَّا أعطاهُ لهُ ، قالَ بعضُهم : ويقالُ : إنَّهُ كانَ مَلَكاً جاءَ ليختبرَهُ .

وكانَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : (مَنْ ردَّ سائلاً خائباً لم تَغْشَ الملائكةُ بيتَهُ سبعةَ أيامٍ ؛ عقوبةً لهُ)[١] .

قلْتُ : ومحلُّ ذلكَ ما إذا ردَّهُ معَ القدرةِ ، أمَّا العاجزُ فلا .

وسُئِلَ سحنونُ رحمَهُ اللهُ عنِ الرجلِ يسألُهُ السائلُ ، فيخرجُ لهُ بصدقتِهِ فيجدُهُ قد ذهبَ ، فقالَ : (أحبُّ لهُ أنْ يتصدَّقَ بها علىٰ غيرِهِ ، وإنْ أعادَها إلىٰ مالِهِ فلا بأسَ بهِ) .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، وأنفِقْ كلَّ ما دخلَ يديكَ ، ولا تدَّخرْ شيئاً إلا على اسمِ غيرِكَ مِنَ العائلةِ والإخوانِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٦) .

[كثرة الصدقة في كل الأوقات من المال الحلال]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : كثرةُ الصدقةِ ليلاً ونهاراً بكلِّ ما فَضَلَ عن حاجتِهم ، لـٰكنْ بشرطِ الحِلِّ في ذلكَ ، كما تقدَّمَ بسطُهُ في مواضعَ مِنْ هـٰذا الكتابِ[1] ؛ فإنَّ في الحديثِ : « وَلَا يَكْتَسِبُ عَبْدٌ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى ٱلنَّارِ »[2] .

وكانَ سيدي عليٌّ الخواصُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (تركُ قبولِ الشبهاتِ وعدمُ التصدُّقِ بها .. أَولىٰ للفقيرِ) .

وهـٰذا الخُلُقُ قد كثرَ إخلالُ الفقراءِ بهِ في هـٰذا الزمانِ ؛ فيأخذُ أحدُهُمُ الشبهاتِ ويتصدَّقُ بها ، ويعملُ منها موالدَ وولائمَ ، ويطعمُ الناسَ ؛ تأليفاً لقلوبِهم عليهِ ، أو لتعظمَ لهُ عليهمُ الرياسةُ ، وبعضُهم يقبلُ الشبهاتِ على اسمِ الفقراءِ ، ويأكلُها وحدَهُ ؛ فهـٰذا أقبحُ حالاً مِنَ الذي يطعمُها للناسِ .

وقد حثَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على الصدقةِ ، وقالَ : « ٱتَّقُوا ٱلنَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ »[3] ، **ومعلومٌ** : أنَّ الصدقة

---

(١) انظر (ص٥٩٣ ، ٦٦٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١/ ٣٨٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٣٦) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٦٠٢٣) ، ومسلم (١٠١٦) من حديث سيدنا عدي بن حاتم رضي الله عنه .

مِنَ الشبهاتِ لا تقي صاحبَها مِنَ النارِ .

وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِذَا طَبَخْتُمْ قِدْراً فَأَكْثِرُوا مِنْ مَرَقَتِهَا ، وَتَعَاهَدُوا ٱلْجِيرَانَ »(١) .

وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي الدرداءِ : « يَا أَبَا ٱلدَّرْدَاءِ ؛ إِذَا صَنَعْتَ طَعَاماً . . فَأَكْثِرِ ٱلْمَرَقَةَ ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ »(٢) .

وتصدَّقَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها بسبعينَ ألفَ درهمٍ ، وإنَّ درعَها لمرقَّعٌ(٣) .

وكانَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يتصدَّقْ أحدُكم إلا بما يشتهيهِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [الإنسان : ٨] ؛ أي : وهم يشتهونَهُ)(٤) .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اللهمَّ ؛ اجعلِ الفضلَ عندَ خيارِنا ، فلعلَّهم يعودونَ به علىٰ أولي الحاجةِ منَّا)(٥) .

وكانَ عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (تصدَّقوا ؛ فإنَّهُ بلغَنا أنَّ الصلاةَ تُبلِّغُ العبدَ نصفَ الطريقِ ، والصومَ يبلِّغُهُ بابَ الملكِ ، والصدقةَ تُدخِلُهُ على الملكِ)(٦) .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧٧) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) رواه بنحوه مسلم (٢٦٢٥/ ١٤٢) من حديث سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٥٤) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٩٦) .

(٥) سبق تخريجه (ص٥٩٣) .

(٦) رواه الدينوري في « المجالسة » (٤٤٠) من قول عبد العزيز بن محمد رحمه الله تعالىٰ .

وفي الحديثِ : « أَنَّ عَابداً عَبَدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ سَبْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ أَصَابَ فَاحِشَةً ، فَأَحْبَطَ عَمَلَهُ بِهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ نزَلَ يَغْتَسِلُ ، فَمَرَّ بِهِ مِسْكِينٌ ، فَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِرَغِيفٍ ، فَغَفَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ ذَنْبَهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ عَمَلَهُ ٱلسَّبْعِينَ سَنَةً »[١] .

وفي الحديثِ : « بَادِرُوا بِٱلصَّدَقَةِ ؛ فَإِنَّ ٱلْبَلَاءَ لَا يَتَجَاوَزُهَا » انتهىٰ[٢] .

وقد كانَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم لا يخرجونَ لصلاةِ الصبحِ إلا بشيءٍ يتصدَّقونَ بهِ علىٰ أوَّلِ مسكينٍ يلقونَهُ ، ولو لقمةً أو زبيبةً أو بصلةً .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أعرفُ حبةً توزنُ بجبالِ الدنيا إلا حبةَ الصدقةِ)[٣] .

وكانَ إبراهيمُ النخعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (تصدَّقوا بالسَّليمِ ؛ فإنَّهُ لا ينبغي أنْ يكونَ فيما يُخرِجُهُ المرءُ للهِ تعالىٰ عيبٌ)[٤] .

وسُئِلَ الإمامُ مالكٌ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ عن شربِ الأغنياءِ مِنَ الماءِ الذي يُسبَّلُ في المسجدِ ، فقالَ : (لا بأسَ بهِ ؛ لأنَّهُ إنَّما جُعلَ للعطشانِ كائناً مَنْ كانَ ، ولم يُرِدْ صاحبُهُ تخصيصَ أهلِ الحاجةِ بهِ)[٥] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (اكتسِبوا مِنَ الحلالِ ، وتصدَّقوا منهُ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ لَمْ يُبَالِ مِن

---

(١) رواه بنحوه ابن حبان في « صحيحه » (٣٧٨) من حديث سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٦٤٣) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٠٨٢) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٨) .

(٤) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٧٩) .

(٥) أورده بنحوه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٨٠) .

أَيْنَ ٱكْتَسَبَ ٱلْمَالَ . . لَمْ يُبَالِ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِهِ مِنْ أَيْنَ يُدْخِلُهُ ٱلنَّارَ »[١]) .

وفي الحديثِ : « مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ مَأْثَمٍ ، فَوَصَلَ بِهِ رَحِماً ، أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ ، أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ . . جُمِعَ لَهُ ذَلِكَ جميعاً ، ثُمَّ قُذِفَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ »[٢] .

وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنها تقولُ : (إنَّكم لَتغفُلونَ عنِ الورعِ وهو أفضلُ العبادةِ)[٣] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لو صلَّيتُم حتىٰ تكونوا كالحنايا ، وصمْتُم حتىٰ تكونوا كالأوتادِ . . ما تقبَّلَ اللهُ تعالىٰ ذلكَ منكم إلا بورعٍ حاجزٍ)[٤] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أدركَ مَنْ أدركَ مِنَ القومِ إلا لكونِهِ يعقلُ ما يدخلُ جوفَهُ)[٥] ؛ **يعني** : رغيفَهُ مِنَ الحلالِ .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ عرفَ كلَّ ما يدخلُ جوفَهُ . . كُتبَ عندَ اللهِ صدِّيقاً ، ومَنْ لم يصحبْهُ الورعُ في فقرِهِ . . أكلَ الحرامَ المحضَ ولا يشعرُ)[٦] .

---

(١) رواه المروذي في « أخبار الشيوخ » (٢٠٥) مرسلاً عن سعيد بن هلال ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٣٩٩) موقوفاً من قول سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٢٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٧٢٠) مرسلاً من حديث القاسم بن المخيمرة رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٣٥٢) ، ورواه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٧٩٨) .

(٤) سبق تخريجه (ص٤٩٥) عن أرطاة عن سيدنا عيسى عليه السلام ، وقد نسبه المصنف إلى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٦٩) .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٩٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٣٩٣) .

وكانَ بشرٌ الحافي يقولُ : (الورعُ هو تركُ التَّأويلِ ، وتركُ الأخذِ بالرُّخَصِ عندَ الضروراتِ) .

وكانَ يونسُ بنُ عبيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنَّا نجدُ درهماً مِنْ حلالٍ لَـكُنَّا نشتري بهِ قمحاً ، ونطحنُهُ ونُحْرِزُهُ عندَنا ، فكلُّ مَنْ عجزَ الأطباءُ عن مداواتِهِ داويناهُ بهِ ، فخَلَصَ مِنْ مرضِهِ لوقتِهِ)[1] .

وكانَ مِسْعَرُ بنُ كِدامٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (ما أعلمُ اليومَ في زمانِنا هـٰذا حلالاً إلا ما يشربُهُ الرجلُ بيدِهِ مِنَ الدجلةِ)[2] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كسبُ الحلالِ أشدُّ مِنْ نقلِ جبلٍ إلىٰ جبلٍ)[3] .

وكانَ وهيبُ بنُ الوردِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (لو قامَ أحدُكم حتىٰ صارَ مِثْلَ هـٰذهِ الساريةِ . . ما تقبَّلَ اللهُ منهُ ذلكَ حتىٰ يعلمَ ما يدخلُ جوفَهُ)[4] .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (مَنْ تصدَّقَ مِنْ حرامٍ أو أنفقَهُ في طاعةٍ . . فهو كمَنْ يطهِّرُ ثوبَهُ بالبولِ)[5] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٩٨) .

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧٢ـ ٣٧٣) .

(٣) سبق تخريجه (ص٣٧٢) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٢٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٥٤) .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٣٥٣) .

وكانَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (لا تكفِّرُ الصدقةُ شيئاً مِنَ الذنوبِ إلا إنْ كانَتْ مِنْ حلالٍ) .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (لا يقبلُ اللهُ تعالىٰ صلاةَ أحدِكم وفي جوفِهِ شيءٌ مِنَ الحرامِ)(١) .

قالوا : وإنَّما أقامَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ في الشامِ أربعاً وعشرينَ سنةً لأجلِ طلبِ الحلالِ ، ولم يقمْ بها لجهادٍ ولا غيرِهِ ، وكانَتْ إقامتُهُ في جبلِ لبنانَ ، وكانَ يأكلُ مِنْ فواكهِ المباحةِ التي لم تدخلْ في مِلكِ أحدٍ مِنَ الخلقِ(٢) .

وكانَ بشرٌ الحافي رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (تَرَّبَ معبدٌ رضيَ اللهُ عنهُ مرةً كتاباً مِنْ حائطٍ بغيرِ إذنٍ مِنْ مالكِهِ(٣) ، فسمعَ في الليلِ قائلاً يقولُ لهُ : سيعلمُ المستخِفُّ بالترابِ ما يلقاهُ غداً مِنْ سوءِ الحسابِ)(٤) .

وكانَ السلفُ الصالحُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهم أجمعينَ يسافرونَ لتعلُّمِ الورعِ ؛ كما يسافرونَ لطلبِ العلمِ والحجِّ رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

فاعلمْ يا أخي ذلكَ ، ودقِّقْ في الورعِ ، وهيهاتَ أنْ تصلَ إلىٰ شبهاتِ السلفِ الصالحِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٣٥٣) .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (١٩٤٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٦٨ ، ٣٧٣) .

(٣) **تَرَّب الكتاب** : جعل عليه التراب ؛ ليجف حبره . انظر « المصباح المنير » (ت ر ب) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٣٣٠) من غير نسبة .

[السرور بالفقر وضيق المعيشة]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : سرورُهم بالفقرِ وضيقِ المعيشةِ ، وغمُّهم بالغنىٰ إذا أقبلَ .

وهٰذا الخلُقُ لا يوجَدُ اليومَ إلا في أفرادٍ مِنَ الفقراءِ الذين صدقوا في محبةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقد أدركْتُ بحمدِ اللهِ جماعةً مِنْ أشياخِ مصرَ كانوا ينشرحونَ للفقرِ وضيقِ المعيشةِ ، ويُكثِرونَ مِنَ الحمدِ والشكرِ علىٰ ذلكَ ؛ منهم سيدي محمدُ بنُ عِنانٍ ، وسيدي عليٌّ الخواصُ ، وسيدي محمدٌ المنيرُ ، والشيخُ محمدٌ العدلُ رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

ولهٰذا الخُلُقِ لذَّةٌ عظيمةٌ أشدُّ مِنْ لذَّةِ الغنىٰ كما ذقْنا ذلكَ ، والحمدُ للهِ علىٰ ذلكَ ، ولٰكنْ لا يحصلُ ذلكَ إلا لمَنْ كمَلَ زهدُهُ في الدنيا كما تقدَّمَ بسطُهُ في أماكنَ مِنْ هٰذا الكتابِ(١) .

وقد كانَ رأسُ الزاهدينَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . يقولُ : « ٱللَّـٰهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً »(٢) ، وفي روايةٍ : « كَفَافاً »(٣) ؛

---

(١) انظر (ص٣٤٥ـ ٣٥٠) .

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم (١٠٥٥/ ١٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وهو الذي لا يفضلُ عن غدائِهم ولا عشائِهم شيءٌ منهُ .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ ـ أي : نفسِهِ ـ مُعَافىً فِي جِسْمِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ . . فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا »(١) .

وقيلَ لمحمدِ بنِ واسعٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ مرةً : ألا تأتي السلطانَ فتسألَهُ شيئاً تأكلُهُ ؛ فإنَّا نخافُ عليكَ أنْ تموتَ مهزولاً ! فقالَ : لَأَنْ ألقى اللهَ تعالىٰ مؤمناً مهزولاً . . خيرٌ لي مِنْ أَنْ ألقاهُ منافقاً سميناً(٢) .

وقالوا مرةً لإبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمَهُ اللهُ : بمَ نلْتَ هٰذهِ الحكمةَ التي نراكَ تنطقُ بها ؟ فقالَ : ببدنٍ عارٍ ، وقلبٍ خائفٍ ، وبطنٍ جائعٍ ، وفي روايةٍ : نلْتُها بقلَّةِ الأكلِ ، وقلَّةِ النومِ ، وقلَّةِ الكلامِ ، وعدمِ ادِّخارِ شيءٍ لغدٍ .

وقيلَ لذي النونِ المصريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : مَنْ أقربُ الناسِ إلى الوقوعِ في الكفرِ ؟ فقالَ : شخصٌ ذو فاقةٍ وعيالٍ ، ولا صبرَ لهُ .

قلْتُ : ووقوعُ مثلِ هٰذا في الكفرِ يكونُ بالألفاظِ التي ظاهرُها السخطُ علىٰ مقدورِ اللهِ .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (صاحبُ الدرهمَينِ أشدُّ حباً للدنيا مِنْ صاحبِ الدرهمِ الواحدِ)(٣) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦) ، وابن ماجه (٤١٤١) من حديث سيدنا عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٠٤٢) من طريق المدائني فيما يحكيه عن رجلٍ من الصالحين .

(٣) رواه بنحوه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٦/٢٨٦) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٣١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/٢١٠) ، كلاهما بنحوه من =

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِ افتقرَ أحدُكم فلا يجعلْ فقرَهُ فيما بينَهُ وبينَ الناسِ ، ولْيجعلْهُ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ ؛ لئلا يهونَ في أعينِ الناسِ ، ويحزنَ بذلكَ الصديقُ ، ويُسَرَّ بهِ العدوُّ)[1] .

وكانَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ : (لو كشفَ اللهُ تباركَ وتعالى الحجابَ عن قلبِ العبدِ إذا ضُيِّقَ عليهِ المعيشةَ ، ورأىٰ ما أعدَّ اللهُ لهُ في الجنةِ .. لسألَ ربَّهُ أنْ يضيِّقَ عليهِ المعيشةَ في الدنيا) .

وجاءَ رجلٌ إلىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ بعشرةِ آلافِ درهمٍ فلم يقبلْها منهُ ، وقالَ لهُ : (أتريدُ أنْ تمحوَ اسمي مِنْ ديوانِ الفقراءِ بدراهمِكَ هٰذهِ ، وتحبسَني عن دخولِ الجنةِ قبلَ الأغنياءِ بخمسِ مئةِ عامٍ ؟! اذهبْ عافاكَ اللهُ)[2] .

وأوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (يا موسىٰ ؛ إذا رأيتَ الدنيا مقبلةً عليكَ فقلْ : هٰذا ذنبٌ عُجِّلَتْ لي عقوبتُهُ)[3] .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**ثلاثةٌ يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ** : رجلٌ أرادَ أنْ يغسلَ ثوبَهُ فلم يجدْ لهُ خَلَقةً يلبسُها ، ورجلٌ لم

= قول سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(١) أورد نحوه ابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣١٩) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٩٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٣٨) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٦٦١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ١٤٦) .

يَنصِبْ علىٰ مُستوقَدِهِ قِدْرَينِ ، ورجلٌ طلبَ شرابَهُ فلا يقالُ لهُ : أيَّهما تريدُ ؟)[١] .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (رأيتُ في منامي محمدَ بنَ واسعٍ ويوسفَ بنَ أسباطٍ وهما واقفانِ علىٰ بابِ الجنَّةِ ، فنظرْتُ : أيُّهما يدخلُ أولاً ، فإذا هو يوسفُ بنُ أسباطٍ ، فقلْتُ لمَلَكٍ هناكَ : لِمَ دخلَ هـٰذا قبلَ هـٰذا ؟ فقالَ : لأنَّهُ كانَ لهُ قميصٌ واحدٌ ، وكانَ لهـٰذا قميصانِ)[٢] .

ووقعَ مرةً حريقٌ بالبصرةِ ، فخرجَ الناسُ بما لهم مِنَ الأمتعةِ ، وخرجَ مالكُ بنُ دينارٍ ومصحفُهُ معلَّقٌ في عنقِهِ ، وقالَ : (هكذا نخرجُ مِنْ قبورِنا يومَ القيامةِ)[٣] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ : (مَنْ أكرمَ الغنيَّ ، وأهانَ الفقيرَ . . فهو ملعونٌ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (حبُّ الفقراءِ مِنْ أخلاقِ المرسلينَ ، والفرارُ مِنْ صحبتِهِم مِنْ صفاتِ المنافقينَ)[٤] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ الفقراءُ في مجلسِ الثوريِّ كالأمراءِ ، وجاءَهُ مرةً فقيرٌ فجلسَ بعيداً عنهُ ، فقالَ : تقرَّبْ إليَّ

---

(١) رواه الدينوري في « القناعة » (٤٨) مرفوعاً من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأورده موقوفاً الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٣٦ـ٣٧) .
وفي هامش (ج) : (أي : لم يكن عنده [لونان] من الشراب . انتهىٰ) .

(٢) أورده بنحوه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٥٨٠) من غير نسبة للفضيل ، وفيه : (مالك بن دينار) بدل (يوسف بن أسباط) .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٨) .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٥) من قول حاتم الأصم رحمه الله تعالىٰ .

يا أخي ، فلو أنَّكَ كنتَ غنياً ما قرَّبْتُكَ منِّي)[1] .

وكانَ أبو حازمٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ خافَ مِنَ الفقرِ لم يُرفعْ لهُ إلى السماءِ عملٌ)[2] ؛ أي : لأنَّهُ ما خافَ الفقرَ إلا لتهمتِهِ لربِّهِ عزَّ وجلَّ ، والمتَّهِمُ للهِ عزَّ وجلَّ عدوٌّ للهِ .

وفي الحديثِ : « جَاهِدُوا نُفُوسَكُمْ بِٱلْجُوعِ وَٱلْعَطَشِ ؛ فَإِنَّ ٱلْأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ ٱلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ »[3] .

وفي الحديثِ أيضاً : « لَا تُمِيتُوا ٱلْقَلْبَ بِٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ ؛ فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ كَٱلزَّرْعِ ؛ يَمُوتُ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ »[4] .

وفي الحديثِ : « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ ٱللهِ ـ وفي روايةٍ : والصلاةِ ـ ، وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ ـ يعني : مِنْ غيرِ ذكرٍ ـ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ »[5] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إيَّاكم والبطنةَ ؛ فإنَّها ثِقَلٌ في الحياةِ ، ونَتْنٌ في المماتِ)[6] .

---

(١) رواه بنحوه الدينوري في « المجالسة » (٢٩٥١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٤٩) .
(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « القناعة والتعفف » (ص٤٩) .
(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٨٦) ، وقال الحافظ العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (ص٩٦٥) : (لم أجد له أصلاً) .
(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٨٨) ، وقال الحافظ العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (ص٩٦٦) : (لم أقف له على أصل) .
(٥) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٥٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٦٤٤) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .
(٦) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة على مؤلفه رضيَ اللهُ عنهُ**) ، والخبر رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٨١) ، وأبو نعيم في « الطب النبوي » (١٢٧) .

وفي الحديثِ أيضاً : « شِرَارُ أُمَّتِي ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ مُخَّ ٱلْحِنْطَةِ »[1] .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (آلةُ العبادةِ الجوعُ ؛ فإنَّ المعدة إذا امتلأَتْ قعدَتِ الأعضاءُ عنِ العبادةِ)[2] .

وكانَ فتحٌ الموصليُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا اشتدَّ بهِ المرضُ والجوعُ يفرحُ بذلكَ ، ويُكثِرُ مِنَ الشكرِ[3] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (قلْتُ لمحمدِ بنِ واسعٍ : طوبىٰ لمَنْ كانَ لهُ قوتٌ يغنيهِ عنِ الناسِ ، فقالَ محمدٌ : طوبىٰ لمَنْ أصبحَ جائعاً ، وأمسىٰ جائعاً ، وهو عن ربِّهِ راضٍ)[4] .

ومكثَ عتبةُ الغلامُ رضيَ اللهُ عنهُ يأكلُ الخبزَ بالماءِ ثلاثينَ سنةً ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يأتدمُ في بعضِ الأحيانِ بالملحِ أوِ البقلِ أوِ الخلِّ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يعجِنُ عجينَهُ ويقرِّصُهُ في الشمسِ ، فإذا جمَدَ أكلَهُ ، ويقولُ : (المرادُ مِنَ الأكلِ : أنْ يردَّ عنِّي كَلَبَ الجوعِ)[5] .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (جوعُ الصدِّيقينَ كرامةٌ لهم ،

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٣٢٩) ، وقال عنه الحافظ العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (ص٩٧٧) : (لم أجد له أصلاً) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٩٤) ضمن خبرين منفصلين ؛ أحدهما من قول شقيق البلخي ، والثاني من قول لقمان لابنه .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٢٩٥) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٩٢) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥٩٤) .

(٥) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٢٩) .

وجوعُ الزاهدينَ جوعُ حكمةٍ)[1] .

وكانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (الجوعُ عندَ اللهِ في خزائنِهِ ؛ لا يعطيهِ إلا لمَنْ أحبَّ)[2] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أحلىٰ ما تكونُ العبادةُ لي إذا لصِقَ بطني علىٰ ظهري)[3] .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لَأَنْ أتركَ لقمةً مِنْ عشائي أحبُّ إليَّ مِنْ قيامِ ليلةٍ إلى الصباحِ)[4] .

وكانَ وهبُ بنُ منبِّهٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (التقىٰ مَلَكانِ في السماءِ الرابعةِ ، فقالَ أحدُهما للآخرِ : مِنْ أينَ جئتَ ؟ فقالَ : أُمرْتُ بسَوقِ حوتٍ في البحرِ إلىٰ فلانٍ اليهوديِّ ليأكلَهُ ، فقالَ الآخرُ : ومِنْ أينَ جئتَ ؟ فقالَ : أُمرْتُ أنْ أُريقَ زيتاً اشتهاهُ فلانٌ العابدُ ؛ خوفاً أنْ يأكلَهُ ؛ فينقصَ حظُّهُ في الآخرةِ)[5] .

وفي الحديثِ : « طُوبَىٰ لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً وَقَنِعَ »[6] .

ورأىٰ بعضُ الملوكِ فقيراً جلسَ في ظلِّ قصرِهِ ، فأكلَ كِسرةً يابسةً بلَّها

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٦٧) ضمن خبر طويل .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٢٦) .

(٣) سبق تخريجه (ص٣٤٦) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٤) .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/ ٤٨٥) من قول يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى .

(٦) رواه الترمذي (٢٣٤٩) من حديث سيدنا فَضالة بن عبيد رضي الله عنه .

بالماءِ ، ثمَّ شربَ ونامَ ، فلمَّا استيقظَ طلبَهُ السلطانُ وقالَ لهُ : لمَّا أكلْتَ الكِسرةَ ، وشربْتَ عليها الماءَ ، ونمْتَ . . كنتَ راضياً عن ربِّكَ ؟ فقالَ : نعم ، فدارَتِ الكلمةُ فيهِ[1] ، ثمَّ خرجَ عن ملكِهِ ، ولبسَ المسوحَ ، وخرجَ سائحاً[2] .

ومرَّ رجلٌ بعامرِ بنِ قيسٍ وهو يأكلُ ملحاً وبقلاً ، فقالَ لهُ : يا بنَ قيسٍ ؛ رضيتَ مِنَ الدنيا بهٰذا ؟! فقالَ : نعم ، ولٰكنْ أدلُّكَ علىٰ مَنْ رضيَ بأيسرَ مِنْ هٰذا ؟ فقالَ : نعم ، فقالَ : مَنْ رضيَ بالدنيا عنِ الآخرةِ[3] .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ رضيَ اللهُ عنهُ يُخرِجُ خبزاً يابساً ، ويبلُّهُ بالماءِ والملحِ ، ويأكلُهُ ، ويقولُ : (مَنْ رضيَ مِنَ الدنيا بهٰذا لا يحتاجُ إلى الناسِ)[4] .

ودقَّ هارونُ الرشيدُ بابَ الفضيلِ بنِ عياضٍ بمكةَ لمَّا حجَّ هارونُ . . فلم يفتحْ لهُ ، فقالَ جعفرٌ البرمكيُّ : افتحْ لرجلٍ يجبُ عليكَ طاعتُهُ ، فعلمَ الفضيلُ أنَّهُ الرشيدُ ، ففتحَ لهُ ، فتحادثا طويلاً ، ثمَّ أمرَ لهُ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ، فلم يقبلْها الفضيلُ ، فقالَ لهُ : فرِّقْها على المساكينِ ، فقالَ : مَنْ

---

(١) في هامش (ج) : (دارت الكلمة ؛ أي : حاكت وأثرت فيه ، سماعاً عن بعض المصريين . انتهىٰ) .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢٨٧) فيما ينقله عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٤٢-٤٣) ، وفيه : (عامر بن عبد قيس) بدل (عامر بن قيس) ، **ولعله الصواب** ، وفيه أيضاً : (بشرٍّ) بدل (بأيسر) .

(٤) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٣) .

جمعَها فهو أحقُّ بتفريقِها ، ثمَّ غافلَهُ وهربَ ، وتركَ الرشيدَ في البيتِ ، فما ظهرَ الفضيلُ حتىٰ خرجَ الرشيدُ مِنْ مكةَ[1] .

وتقدَّمَ قولُ سفيانَ الثوريِّ : (تعفَّفوا عنِ الأكلِ مِنْ أطعمةِ الناسِ جهدَكم ؛ فإنَّهُ ما وَضعَ رجلٌ يدَهُ في قصعةِ رجلٍ إلا ذلَّ لهُ) انتهىٰ[2] .

فاعلمْ ذلكَ يا أخي ، واقتدِ بأشياخِ الطريقِ حسبَ طاقتِكَ ، واستغفرْ مِنْ تقصيرِكَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٥) .

(٢) انظر (ص٥٩٠) .

(٣) في هامش (أ) بلاغان ؛ أحدهما : (**بلغ**) ، والثاني : (**بلغ قراءة على مؤلفه رضيَ اللهُ عنهُ ، آمين**) .

[كثرة الحزن على التفريط في جنب الله تعالى]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : كثرةُ الحزنِ علىٰ تفريطِهم في جنبِ اللهِ تعالىٰ ، لا سيَّما عندَ رؤيتِهمُ المقابرَ وتذكُّرِهم أهوالَ يومِ القيامةِ ، وخوفُهم مِنَ الفتنةِ ما داموا في هـٰذهِ الدارِ .

وقد كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمُرَّ ٱلرَّجُلُ بِقَبْرِ ٱلرَّجُلِ فَيَقُولَ : لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَكَ » انتهىٰ[1] .

فخافوا ـ أعني : القومَ ـ أنْ يدركوا ذلكَ الزمانَ ، فلا يصحَّ لهم فيهِ صبرٌ ، ويقعَ منهم سخطٌ ؛ فيهلِكوا .

ولمَّا رأىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قبرَ أمِّهِ بكىٰ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : « أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ ٱلْوَلَدَ مِنَ ٱلرِّقَّةِ »[2] .

وكانَ قدِ استأذنَ ربَّهُ في أنْ يستغفرَ لها ، فلم يأذنْ لهُ[3] .

قلْتُ : نقلَ الحافظُ السيوطيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ وغيرُهُ مِنَ الحفَّاظِ .. صحَّةَ إحياءِ أبوَيِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ آمَنَا بهِ ، ثمَّ رجعَا إلى القبرِ ،

---

(١) رواه البخاري (٧١١٥) ، ومسلم (١٥٧) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٩٨١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٣٦) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم (٩٧٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

قالَ : (وبذلكَ قالَ جماعةٌ مِنَ الحفَّاظِ ؛ منهمُ : ابنُ ناصرٍ والدمياطيُّ والحافظُ السِّلَفِيُّ رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ)[١] .

وكانَ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا مرَّ بقبرٍ بكىٰ حتىٰ يبلَّ لحيتَهُ بدموعِهِ[٢] .

ومرَّ عمرُو بنُ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ مقبرةٍ ، فنزلَ وصلَّىٰ ركعتَينِ قريباً مِنَ القبورِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنِّي رأيتُهم قد حيلَ بينَهم وبينَ الصلاةِ ؛ فأحببْتُ أنْ أتقرَّبَ إلى اللهِ تعالىٰ بركعتَينِ بينَهم ؛ استغناماً للعمرِ)[٣] .

وكانَ مجاهدٌ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : (أولُ ما يكلِّمُ الميتَ حفرتُهُ ؛ فتقولُ لهُ : أنا بيتُ الغربةِ ، أنا بيتُ الظلمةِ ، أنا بيتُ الدودِ ، هـٰذا ما أعددْتُهُ لكَ ، فأينَ ما أعددْتَهُ لي ؟!)[٤] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لمَّا ماتَ هَرِمُ بنُ حيانَ جاءَتْ سحابةٌ ، فظلَّلَتْ علىٰ سريرِهِ ، فلمَّا واريناهُ رأيناها رشَّتْ علىٰ قبرِهِ حتىٰ ساحَ الماءُ ، ولم ينزلْ علىٰ مَنْ حولَ قبرِهِ قطرةٌ)[٥] .

---

(١) انظر « الحاوي للفتاوي » للسيوطي (٢/ ٢٤٤) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٦٧) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠) من فعل سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) روىٰ نحوه الترمذي (٢٤٦٠) مرفوعاً من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٤٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٢٢) .

وقد سُئلَ الإمامُ النوويُّ عن ذلكَ فقالَ : (صحيحٌ ذلكَ) .

وكانَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ألا أخبرُكم بيومِ فقري ؛ يومٌ أوضعُ في قبري)[1] .

وكانَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ يقعدُ بينَ القبورِ كثيراً ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (إنَّهم يذكِّروني معادي ، وإذا قمْتُ مِنْ عندِهم لم يغتابوني)[2] .

وكانَ جعفرُ بنُ محمدٍ رضيَ اللهُ عنهما يأتي المقابرَ ويناديهم ، فلا يَجيبونَهُ ، فيقولُ : (كأنَّكَ يا جعفرُ وقد صرْتَ مثلَهم لا تجيبُ داعياً) ، ثمَّ يصفُّ قدمَيهِ للصلاةِ إلى الفجرِ[3] .

وكانَ يزيدُ الرَّقاشيُّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا وقعَ بصرُهُ على قبرٍ . . يصرخُ كما يصرخُ الثورُ[4] .

وكانَ حاتمُ الأصمُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (مَنْ مرَّ بالمقابرِ ، ولم يتفكَّرْ في نفسِهِ ، ولم يدْعُ لنفسِهِ ولهم . . فقد خانَ نفسَهُ وخانَهم)[5] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٨٣١) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٤٤٣) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١١) من قول الحسن رحمه الله تعالى .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٤٤٣) .

(٤) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٤٤٤) ، وعبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٥) .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٤٤٤) ، وعبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٥) .

وكانَ كُرْزُ بنُ وبرةَ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ قبراً بكىٰ ، وقالَ : (ليتَ أمِّي كانَتْ عقيماً ؛ فإنَّ لولدِها في القبرِ حبساً طويلاً ، ومِنْ بعدِ ذلكَ أهوالاً عِظاماً يشيبُ منها الأطفالُ)[1] .

وكانَ الحسنُ بنُ صالحٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأى القبورَ يقولُ : (ما أحسنَ ظواهرَكِ ! إنَّما الدواهي في بواطنِكِ)[2] .

وفي الحديثِ : « مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا وَمُنَادٍ يُنَادِي : يَا أَهْلَ ٱلْقُبُورِ ؛ مَنْ تَغْبِطُونَ ٱلْيَوْمَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَغْبِطُ أَهْلَ ٱلْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَصُومُونَ وَلَا نَصُومُ ، وَيُصَلُّونَ وَلَا نُصَلِّي ، وَيَذْكُرُونَ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَلَا نَذْكُرُهُ »[3] .

وكانَ عطاءٌ [السَّليميُّ] رضيَ اللهُ عنهُ إذا جنَّهُ الليلُ يخرجُ إلى المقابرِ ، فلا يزالُ يناجيهم وهم صموتٌ حتىٰ يصبحَ[4] .

وكانَ شقيقٌ البلخيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (القبرُ روضةٌ مِنْ رياضِ الجنةِ علىٰ مَنْ كانَ يذكرُهُ ، وحفرةٌ مِنْ حُفَرِ النارِ علىٰ مَنْ نسيَهُ)[5] .

وحفرَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ قبراً في دارِهِ ، فكانَ كلَّما وجدَ في قلبِهِ قساوةً . .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المتمنين » (٤٨) من قول بكر العابد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) سبق تخريجه (ص٢٩٠) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢٠٧/٤) ، وقال عنه الحافظ العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (ص٦٧٣) : (لم أجد له أصلاً) .

(٤) رواه بنحوه أبو يعلى الموصلي في « المعجم » (٢٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٢٣/٦) .

(٥) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤٤٥/٩) ، وعبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٥ـ ١٩٦) ، كلاهما بنحوه من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

ينزلُ فيهِ ، ويتفكَّرُ في أمرِهِ وما يلاقيهِ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ ، فلا يزالُ كذلكَ حتىٰ يصبحَ .

ونزلَ فيهِ مرةً ، وصارَ يردِّدُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٩٩ـ١٠٠] ، ثمَّ يقولُ : يا ربيعُ ؛ قدِ ارتجعْناكَ ، وها أنتَ في الدنيا ، فقمْ للصلاةِ ، فيقومُ[١] .

وكانَ أحمدُ بنُ حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ الأرضَ لتتعجَّبُ مِنْ رجلٍ يمهِّدُ فراشَهُ للنومِ في دارِ الدنيا ، وتقولُ لهُ : ألا تذكرُ طولَ رقادِكَ في بطني مِنْ غيرِ أنْ يكونَ بيني وبينَكَ فراشٌ ؟!)[٢] .

وكانَ ثابتٌ البنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (دخلْتُ المقابرَ ، فلمَّا أردْتُ الخروجَ منها إذا أنا بصوتٍ حزينٍ يقولُ : يا ثابتُ ؛ لا يغرَّنَّكَ صموتُ أهلِها ؛ فكم مِنْ نفسٍ معذَّبةٍ فيها !)[٣] .

وخرجَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ في جنازةِ امرأةِ الفرزدقِ الشاعرِ ، فقالَ الحسنُ للفرزدقِ : ماذا أعددْتَ لهٰذا اليومِ ، فقالَ : أعددْتُ لهُ شهادةَ (أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ) منذُ ستينَ سنةً ، فقالَ : أفلحْتَ يا فرزدقُ إنْ متَّ عليها[٤] .

---

(١) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (١١/ ٣١١ـ٣١٢) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٤٤٥) ، وعبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٦) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١٤ ، ١٠٧) .

(٤) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٨٢) ، وابن أبي الدنيا في « القبور » (١٠٩) .

ووقفَ محمدُ بنُ سليمانَ رحمَهُ اللهُ على قبرِ ابنِهِ ، وقالَ : (اللهمَّ ؛ أصبحْتُ أرجوكَ لهُ ، وأخافُ عليهِ كما أخافُ على نفسي ، فحقِّقْ رجائي فيكَ يا أرحمَ الراحمينَ)[1] .

ووقفَ أبو سنانٍ رضيَ اللهُ عنهُ على قبرِ ولدِهِ ، فقالَ : (اللهمَّ ؛ إنِّي قد عفوتُ عنهُ وغفرْتُ لهُ ما وجبَ لي عليهِ ، فاغفرْ لهُ يا ربِّ ما وجبَ لكَ عليهِ يا أكرمَ الأكرمينَ)[2] .

وجاءَ حوشبُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ إلى مالكِ بنِ دينارٍ فقالَ[3] : (إنِّي رأيتُ البارحةَ كأنَّ منادياً ينادي : أيُّها الناسُ ؛ الرحيلَ الرحيلَ ، فما رأيتُ أحداً ارتحلَ سريعاً إلا محمدَ بنَ واسعٍ) ، فصاحَ مالكٌ صيحةً ، وخرَّ مغشياً عليهِ[4] .

وكانَ سفيانُ بنُ عيينةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ماتَ أخٌ لي ، فرأيتُهُ بعدَ موتِهِ ، فقلْتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي كلَّ ذنبٍ استغفرْتُهُ منهُ ، وما لم أستغفرْهُ منهُ لم يغفرْهُ لي)[5] .

---

(١) رواه المدائني في « التعازي » (١٥٦) .

(٢) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/ ٤٥٤) .

(٣) قوله : (حوشب بن مالك) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، ولعلَّ الصواب : (حوشب بن مسلم أبو بشر) ، ويبدو أن منشأ التحريف ما جاء في « الزهد » للإمام أحمد (١٩٠٨) عند تخريجه للخبر : (ذكرَ حوشبٌ عند مالك بن دينار) ، فانقلبت (عند) إلى (ابن) سهواً ، وقد روى أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٩٧) عن حوشب بن مسلم أبي بشر ما يشبه الخبر المذكور .

(٤) سبق تخريجه (ص ٤٦٠) .

(٥) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٦٨) .

وكانَ صالحُ بنُ بشيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأيتُ عطاءً [السَّليميَّ] بعدَ موتِهِ ، فقلْتُ لهُ : يرحمُكَ اللهُ ، لقد كنتَ طويلَ الحزنِ في دارِ الدنيا ، فما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أعقبَني ذلكَ الحزنُ راحةً طويلةً وفرحاً شديداً)[1] .

قالَ : (ورأيتُ الفضيلَ بنَ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ بعدَ موتِهِ فقلْتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ؟ فقالَ: لم أرَ شيئاً أفضلَ مِنْ تأديةِ الفرائضِ ؛ فعليكم بها)[2] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رأيتُ محمدَ بنَ يسارٍ في المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقلْتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فدمعَتْ عيناهُ ، وقالَ : رأيتُ ـ واللهِ ـ أهوالاً وزلازلَ عِظاماً شداداً ، ثمَّ شهقَ مالكٌ شهقةً ، وخرَّ مغشياً عليهِ ، وكانَ يقعُ لهُ ذلكَ كلَّما حكىٰ هٰذهِ الحكايةَ ، ثمَّ حكاها يوماً ومرضَ ، فماتَ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ)[3] .

ورُئِيَ منصورُ بنُ عمارٍ رحمَهُ اللهُ بعدَ موتِهِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : قالَ لي : يا منصورُ ؛ قد غفرْتُ لك علىٰ تخليطٍ كثيرٍ كانَ منكَ ؛ إلا أنَّكَ كنتَ تحرِّضُ الناسَ علىٰ كثرةِ ذكري[4] .

وكانَ الحارثُ المحاسبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ لا يزالُ يذكرُ أهوالَ يومِ القيامةِ ، ويقولُ لأصحابِهِ : (اجعلوا الأهوالَ التي بينَ أيديكم علىٰ بالِكم ؛ لتتوبوا

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٥٦) ، والدينوري في « المجالسة » (٣٥٧٧) .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٣٤) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٣٠) ، والدينوري في « المجالسة » (١٤٠) ، وفيهما : (مسلم بن يسار) بدل (محمد بن يسار) .

(٤) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/ ٣٤٠) .

عنِ المعاصي قبلَ موتِكم ؛ فإنَّ أحداً لم يعصِ ربَّهُ إلا وهو ناسٍ للحسابِ ومقاساةِ الأهوالِ) .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أحذِّرُكم وأحذِّرُ نفسي مِنْ يومٍ آلى اللهُ تعالىٰ فيهِ علىٰ نفسِهِ ألا يتركَ عبداً حتىٰ يسألَهُ عن عملِهِ كلِّهِ ؛ دقيقِهِ وجليلِهِ ، سرِّهِ وعلانيتِهِ ، فانظروا : بأيِّ بدنٍ تقفونَ بينَ يديهِ معَ هَولِ ذلكَ الموقفِ ، وبأيِّ لسانٍ تجيبونَ ؛ فأعِدُّوا للسؤالِ جواباً ، وللجوابِ صواباً)(١) .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كم مِنْ فضيحةٍ يكشفُها الحسابُ غداً !)(٢) .

وكانَ أبيُّ بنُ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (يؤتىٰ بالنارِ يومَ القيامةِ تُقادُ بسبعينَ ألفَ زمامٍ علىٰ صورةِ الجاموسِ ، يقودُ كلَّ زمامٍ منها سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ، مصفدةً أبوابُها ، عليها ملائكةٌ سودٌ ، معَهمُ السلاسلُ الطوالُ ، والأنكالُ الثِّقالُ ، وسرابيلُ القطرانِ ، ومقطَّعاتُ النيرانِ ، لأعينِهم لمعانٌ كلمعِ البرقِ الخاطفِ ، ولوجوهِهم لهبٌ كالنارِ ، شاخصةٌ أبصارُهم ، لا ينظرونَ إلىٰ ذي العرشِ جلَّ جلالُهُ ؛ تعظيماً لهُ ، فإذا دنَتِ النارُ وكانَ بينَها وبينَ الخلائقِ نحوُ خمسِ مئةِ عامٍ . . زفرَتْ زفرةً ، فلا يبقىٰ أحدٌ إلا جثا علىٰ ركبتيهِ ، وأخذَتْهُ الرِّعدةُ ، وصارَ قلبُهُ معلَّقاً إلىٰ حَنْجرتِهِ ؛ لا يخرجُ ولا يرجعُ إلىٰ مكانِهِ ، وذلكَ قولُ اللهِ تعالىٰ : ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ

---

(١) رواه الشجري كما في « ترتيب الأمالي الخميسية » (٤٠٨) .

(٢) أورده بنحوه ابن الجزري في « الزهر الفائح » (ص ١٠٦) من قول الفضيل رحمه الله تعالىٰ .

كَٰظِمِينَ﴾ [غافر : ١٨] ، وينادي إبراهيمُ الخليلُ وغيرُهُ مِنَ الأنبياءِ : اللهمَّ ؛ لا تُهلِكْ عبادَكَ بخطيئاتِنا ، ثمَّ توضعُ النارُ عن يسارِ العرشِ ، ثمَّ يؤتىٰ بالميزانِ ، فيوضعُ بينَ يدي الجبارِ جلَّ جلالُهُ ، ثمَّ يُدعى الخلائقُ للحسابِ ، فلو أنَّ للرجلِ مثلَ عملِ سبعينَ نبياً ما ظنَّ أنَّهُ ينجو مِنْ شدَّةِ ذلكَ اليومِ)[١] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنِّي لأودُّ أنَّ حسناتي تفضلُ علىٰ سيئاتي ولو مثقالَ ذرَّةٍ ، ولو أنَّهم أوقفوني بينَ الجنةِ والنارِ وقالوا لي : تمنَّهْ . . لتمنَّيْتُ أنْ أكونَ تراباً)[٢] .

وكانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو أنِّي خُيِّرْتُ بينَ أنْ أُبعَثَ وأحاسبَ ، ثمَّ أدخلَ الجنةَ بعدَ ذلكَ . . لاخترْتُ ألَّا أُبعَثَ)[٣] .

وكانَ الحسنُ البصريُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ لآدمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يومَ القيامةِ : أنتَ اليومَ عدلٌ بينَ ذريتِكَ وبيني ، فمَنْ رجحَ خيرُهُ علىٰ شرِّهِ مثقالَ ذرَّةٍ دخلَ الجنةَ ؛ حتىٰ تعلمَ أنِّي لا أعذبُ إلا ظالماً لنفسِهِ)[٤] .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أولُ مَنْ يُدعىٰ إلى الحسابِ

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي زمنين في « تفسير القرآن العزيز » (٤/ ١٢٩) .
(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠٠٥) ، والهاء في قوله : (تمنَّه) للسكت .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٨٤) .
(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٠٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٤٥٥) .

يومَ القيامةِ البهائمُ ؛ فتُجعلُ القَرْناءُ جَمَّاءَ[١] ، والجمَّاءُ قرناءَ ؛ فيُقتصُّ لبعضِها مِنْ بعضٍ ، ثمَّ يقالُ لها : كوني تراباً ، فعندَ ذلكَ يقولُ الكافرُ : يا ليتني كنتُ تراباً)[٢] .

وكانَ أبو عمرانَ الجَوْنيُّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رأَتِ البهائمُ بني آدمَ يومَ القيامةِ وقد تصدَّعَتْ رؤوسُهم مِنْ طولِ الوقوفِ للحسابِ . . قالَتِ : الحمدُ للهِ الذي لم يجعلْنا مِثْلَكم يا بني آدمَ ؛ فلا جنةً نرجو ، ولا ناراً نخافُ)[٣] .

وكانَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ خوفَ الحسابِ لم يتركْ على بدني لحماً) .

وكانَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [النور : ٣٧] : (إنَّ تقلُّبَ القلوبِ هو انتزاعُها مِنْ أماكنِها ، وإنَّ تقلُّبَ الأبصارِ هو أنْ تتقلَّبَ مِنَ الكحلِ إلى الزُّرقةِ ، ومِنَ الإبصارِ إلى العَمىٰ)[٤] .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا سيقَ العصاةُ إلىٰ جهنَّمَ وهم عطاشٌ . . فأولُ ما يُتحفونَ بهِ في النارِ بسمٍّ العقاربِ والحياتِ ؛ فتذوبُ أبدانُهم) .

---

(١) في هامش (ج) : (الجمَّاء : التي لا قرن لها . انتهىٰ) .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ إعادة نظر) ، والخبر رواه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣١٦) من قول سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣١١) .

(٤) أورده عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص٢٦٨) .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ [الغاشية : ٦] : (هو الشوكُ اليابسُ يقفُ في حلقِهم)(١) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ يقولُ : (يرسلُ اللهُ تباركَ وتعالىٰ على العصاةِ البكاءَ ، فلو أنَّ السفنَ أُجريَتْ في دموعِهم لجرَتْ)(٢) .

وكانَ مجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا ﴾ [المزمل : ١٢] : (**الأنكالُ** : قيودٌ لا تنحلُّ أبداً)(٣) .

وتقدَّمَ في هـٰذا الكتابِ قولُ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : (كم مِنْ وجهٍ صبيحٍ ، ولسانٍ فصيحٍ . . بينَ أطباقِ الثرىٰ يصيحُ !)(٤) .

وأقاويلُ السلفِ في الخوفِ كثيرةٌ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

---

(١) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٣٨٥) من قول ابن زيد رحمه الله تعالىٰ ، وروىٰ قبله عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّه شجر من نار .

(٢) رواه بنحوه ابن ماجه (٤٣٢٤) مرفوعاً من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٩٨) .

(٤) انظر (ص١٩٠ـ١٩١) .

[كثرة الاستشهاد بما في الكتب السالفة من الآداب]

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم : كثرةُ استشهادِهم في تربيةِ المريدينَ وتأديبِهم بما أدَّبَ اللهُ تعالىٰ بهِ عبادَهُ المقرَّبينَ مِنَ الأنبياءِ والصالحينَ في الكتبِ السَّالفةِ ؛ ليعلِّموا المريدَ أنَّ تقوى اللهِ تعالىٰ لم تزلْ مأموراً بها في كلِّ شريعةٍ .

وكانَ سيدي عليٌّ الخوَّاصُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ أكثرُ استشهادِهِ لشريعتِنا بما في الزبورِ مِنَ القوارعِ والزواجرِ ، وكثيراً ما يخاطبُ اللهُ تعالىٰ فيهِ نبيَّهُ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ والمرادُ بهِ غيرُهُ ؛ نظيرُ قولِهِ تعالىٰ لنبيِّنا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر : ٦٥] ، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب : ١] ، ونحوِ ذلكَ .

فكانَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ يقولُ لنا : (إياكم أنْ تجالسوا المغتابينَ ، أو تصاحبوا النمَّامينَ ؛ فقد أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : يا داودُ ؛ طوبىٰ لِمَنْ لا يقفُ في مواقفِ الخطَّائينَ ، ولا يجلسُ في مجالسِ المستهزئينَ ، ولا يجالسُ المغتابينَ ، ولا يصاحبُ النمَّامينَ .

يا داودُ ؛ مَنْ ذكرَ عيوبَ الناسِ ، أو همَّ أنْ يذكرَ عيوبَهم . . فضحْتُهُ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ يومَ القيامةِ .

يا داودُ ؛ مَنْ غضَّ طرفَهُ ، وصانَ فرجَهُ ، وحفظَ لسانَهُ . . فهو عندي مِنَ المقرَّبينَ) .

وسمعْتُهُ رضيَ اللهُ عنهُ مرَّةً يقولُ لبعضِ العلماءِ : (يا أخي ؛ عليكَ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ؛ فإنَّ ذلكَ مِنْ زكاةِ العلمِ ، فقد أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : إذا تركَ العلماءُ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ . . ذهبَتِ الهَيبةُ منهم ، وصارَتْ في السفهاءِ والأشرارِ .

طوبىٰ للمنفردينَ عنِ الناسِ الصامتينَ عن عيوبِهم ، طوبىٰ لِمَنْ تركَ فراشَهُ في الليلِ وقامَ يناجيني في شدَّةِ البردِ والناسُ نائمونَ تحتَ لُحُفِهم ، طوبىٰ لقومٍ عظَّموني فلم ينظروا إلىٰ فروجِ الحرامِ خوفاً منِّي .

يا داودُ ؛ إنَّ أهونَ ما أصنعُ بالزناةِ أنْ أُذهِبَ بهجةَ النضارةِ مِنْ وجوهِهم ، وأمحَقَ بركةَ عمرِهم .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : كيفَ تغفُلونَ عنِّي والأقلامُ جاريةٌ لا تغفُلُ ؟! وقلْ للذينَ أغلقوا أبوابَهم ، وأرخَوا ستورَهم عندَ المعاصي : إنِّي لو شئْتُ لأهلكْتُهم ، وخسفْتُ بهمُ الأرضَ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : يخافوني . . أُلبِسْ وجوهَهمُ الهيبةَ والقبولَ ، وأجعلْ عدوَّهم تحتَ قدمِهم ؛ كالكبشِ تحتَ السكينِ .

يا داودُ ؛ علامةُ مَنْ أحببتُهُ أنْ يَقِلَّ كلامُهُ ، ويكثُرَ استغفارُهُ .

يا داودُ ؛ غُضَّ طرفَكَ عن حُرَمِ المؤمنينَ . . تأتِكَ الدنيا وهي راغمةٌ .

يا داودُ ؛ قد أحاطَ سخطي بالزناةِ الذين يفسدونَ حُرَمَ المؤمنينَ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : لا يعصوني سراً ، ويجعلوني في أعينِهم أهونَ مِنْ عبادي ؛ فإنِّي أعذِّبُهم في النارِ) .

وسمعْتُهُ كثيراً يقولُ : (ربَّما كانَتِ النِّعَمُ على العبدِ استدراجاً لهُ) .

قالَ : (وقد أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : قلْ للعقلاءِ : يخافوا منِّي إذا ترادفَتْ عليهم نعمتي ، ويُكثروا مِنَ النَّوحِ كلَّما زادَتْ عليهمُ النِّعَمُ ؛ فإنَّ ذلكَ استدراجٌ لهم ، ولو أنِّي أحببْتُهُم لجرَّدْتُهم عنِ الدنيا .

يا داودُ ؛ كنْ لليتيمِ كالأبِ الشَّفيقِ . . أُكثِرْ رزقَكَ ، وأكفِّرْ ذنبَكَ .

يا داودُ ؛ ما عظَّمَني مَنْ عصاني .

يا داودُ ؛ إذا مرَّتْ بكَ امرأةٌ ذاتُ جمالٍ . . فاذكرْ عَرْضَكَ عليَّ يومَ القيامةِ .

يا داودُ ؛ مَنْ لقِيَني وهو يُراعي غيري دوني سقطَ مِنْ عينِ رعايتي .

يا داودُ ؛ إنْ وضعْتُكَ فمَنْ ذا الذي يرفعُكَ ؟! وإنْ رفعْتُكَ فمَنْ ذا الذي يضعُكَ ؟!

يا داودُ ؛ لا تُجالسْ مَنْ يحبُّ الرياسةَ ، ولا مَنْ يصحبُكَ لنفسِهِ .

يا داودُ ؛ اتلُ علىٰ بني إسرائيلَ نبأَ رجلٍ غريبٍ نزلَ بفقيرٍ ، فآواهُ إلىٰ منزلِهِ ، وأطعمَهُ وسقاهُ ابتغاءَ وجهي ، فلمَّا تناومَ الفقيرُ أكثرَ النظرَ إلىٰ حُرَمِهِ ؛ كالمتلصِّصِ ، فمسخْتُهُ خنزيراً ، وأعددْتُ لهُ عذاباً أليماً ، وذلكَ جزاؤُهُ عندي .

يا داودُ ؛ اتلُ علىٰ بني إسرائيلَ نبأَ امرأتَينِ وقعَ بينَهما شرٌّ ، فقالَتْ إحداهما للأخرىٰ : عليكِ بابنِكِ الأجذمِ ، فأولدَها اللهُ تعالىٰ ولداً مجذوماً حينَ عابَتْ علىٰ صاحبتِها .

يا داودُ ؛ مَنِ التفتَ إلىٰ حُرَمِ المؤمنينَ سلَّطْتُ علىٰ عَقِبِهِ مَنْ يكثرُ الالتفاتَ إليهنَّ .

يا داودُ ؛ غُضَّ طرفَكَ ، وصُنْ لسانَكَ ؛ فإنِّي لا أحبُّ الفاسقينَ ، وأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ لنفسِكَ وللخاطئينَ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : لا يقعوا في أعراضِ الناسِ ؛ فإنَّ الوقيعةَ فيهم تزيدُ القلبَ عمىً وموتاً ، طوبىٰ لِمَنْ نظرَ في عيبِ نفسِهِ ، فأصلحَهُ .

يا داودُ ؛ انقطِعْ إليَّ أنكِّسْ لكَ رؤوسَ الملوكِ ، وأُلبِسْ وجهَكَ المهابةَ .

يا داودُ ؛ عجباً لِمَنْ يعلمُ أنِّي أسألُهُ عنِ النقيرِ والقطميرِ والفتيلِ . . كيفَ تقَرُّ عينُهُ في الدنيا ؟!

يا داودُ ؛ كنْتَ حسنَ الصوتِ قبلَ أنْ تعصيَ ، وكانَ نورُ الحكمةِ في صدرِكَ ، فلمَّا عصيتَني تغيَّرَتْ أحوالُكَ (١) .

يا داودُ ؛ نُحْ علىٰ نفسِكَ ؛ كالمرأةِ الثكلىٰ علىٰ ولدِها .

يا داودُ ؛ كم مِنْ ركعةٍ طويلةٍ بكىٰ صاحبُها وخشعَ . . لا تزِنُ عندي جناحَ

---

(١) العصمة واجبة في حقِّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما ورد من نسبة المعصية إليهم إما مؤول أو غير ثابت .

بعوضةٍ ؛ لأنِّي رأيتُهُ إذا مرَّتْ بهِ امرأةٌ نظرَ إليها ، واستلذَّ بكلامِها ، وإنِ استأمَنَهُ جارُهُ علىٰ عيالِهِ راودَهنَّ عن أنفسِهنَّ ، وسارقَهنَّ بالنظرِ .

يا داودُ ؛ طهِّرْ ثيابَكَ الباطنةَ ؛ فإنَّ الظاهرةَ لا تنفعُكَ عندي) .

وسمعتُهُ مرَّةً أخرىٰ يقولُ لتاجرٍ تحوَّلَتْ عنهُ الدنيا : (أبشرْ بخيرٍ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ قد أحبَّكَ) .

قالَ : (وقد أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : **يا داودُ** ؛ لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يَذِلَّ الأشرافُ ، وترتفعَ الأذلَّاءُ ، ويُهجرَ كتابي فلا يُتلىٰ ، ويَكثُرَ فيهِ رزقُ العاصي والفاجرِ ، ويقلَّ فيهِ رزقُ المؤمنِ الطائعِ الفاضلِ ، فإذا صارَ الأمرُ إلىٰ ذلكَ حبَّبْتُ الدنيا إلىٰ أهلِ ذلكَ الزمانِ ، ومنعْتُهم مِنْ محبةِ الآخرةِ ، فإذا فعلوا ذلكَ سلَّطْتُ عليهم سيفَ النقمةِ ، وأغليْتُ أسعارَهم ، وجعلْتُ الصغيرَ لا يوقِّرُ الكبيرَ ، وابتليتُهم بالفسقِ والفجورِ ، وذلكَ جزاؤُهم عندي .

يا داودُ ؛ كم مِنْ لسانٍ فصيحٍ أخرسْتُهُ عنِ النطقِ بالشهادةِ عندَ الموتِ ؛ لكثرةِ وقيعَتِهِ في الناسِ !

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : إنْ لم تهجروا أباكم وأخاكم وولدَكم مِنْ أجلي . . فلا أقبلُ لكم صلاةً .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : يردُّوا التَّبِعاتِ التي عليهم قبلَ الموتِ ؛ فإنِّي أقسمْتُ علىٰ نفسي أنْ أبعثَ صاحبَ التَّبِعاتِ وفي عنقِهِ طوقٌ مِنْ نارٍ ، يكويهِ بكلِّ تبعةٍ كيَّةً .

يا داودُ ؛ انظرْ بعينِكَ إلىٰ بهيمةٍ ماتَتْ ، وانتفخَتْ وتورَّمَتْ ، وصارَتْ جيفةً ، معَ أنَّهُ ليسَ عليها ذنبٌ واحدٌ ، ولو أنَّ ذنوبَكَ وُضِعَتْ على الجبالِ الراسياتِ لهُدَّتْ ، فاستحِ يا داودُ مِنْ نظري إليكَ .

يا داودُ ؛ ليسَ كلُّ مَنْ صلَّىٰ قُبلَتْ صلاتُهُ ، ولا كلُّ مَنْ عبدَ رُفعَتْ عبادتُهُ) .

وسمعْتُهُ رضيَ اللهُ عنهُ مرةً يقولُ لبعضِ الإخوانِ : (يا ولدي ؛ إيَّاكَ أنْ تعصيَ ربَّكَ ، وتقولَ : ربُّنا غفورٌ رحيمٌ ؛ فإنَّ ذلكَ ربَّما كانَ مِنْ تسويلاتِ النفسِ وكَيْدِ إبليسَ .

وقد أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : **يا داودُ** ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : كم مِنْ ليلةٍ جاهرْتُموني بالمعاصي ، ثمَّ أصبحْتُم تخادعوني بالاستغفارِ مِنْ غيرِ إقلاعٍ عنها ؛ كأنَّكم تعاملونَ مَنْ يغيبُ عنهُ مكرُكم وخداعُكم !

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : صونوا أحداقَكم ؛ فكم مِنْ ناظرٍ نظرَ إلىٰ أخيهِ وهو علىٰ فاحشةٍ ؛ فأشاعَها عنهُ ، وقد أتىٰ هو أكبرَ منها ، ولم أفضحْهُ ، ولو شئْتُ لفضحْتُهُ !

يا داودُ ؛ مَثَلُ مَنْ يخادعُني كمَثَلِ امرأةٍ حمَلَتْ مِنَ الزنىٰ ، وأهلُها لا يعلمونَ ، فلمَّا جاءَها المخاضُ افتضحَتْ ، وهكذا يفتضحُ مَنْ خادعَني يومَ القيامةِ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : كيفَ يأتمنُكم أخوكُم علىٰ عيالِهِ ،

ويسافرُ ، فتخونونَهُ ، وأنا خليفتُهُ في حفظِ حُرَمِهِ أرىٰ ما تصنعونَهُ ؟! أتخادعوني بالاستغفارِ بعدَ المعصيةِ وأنا خالقُ الخداعِ ؟!

يا داودُ ؛ مَنْ مزحَ معَ حريمِ الناسِ فقد باءَ بغضبي .

يا داودُ ؛ اتلُ علىٰ بني إسرائيلَ نبأَ امرأةٍ خدعَتْ ولياً مِنْ أوليائي ، فلمَّا تفخَّذَها أو كادَ . . نظرْتُ إلىٰ قلبِهِ ، فلم أجدْهُ يساعدُهُ على المعصيةِ ، فعصمتُهُ منها ومِنْ غيرِها ، هيهاتَ ، تعملونَ بالمعاصي وتخادعوني ؟! ما هـٰكذا يكونُ أوليائي .

يا داودُ ؛ مَنْ طلبَ العلمَ لغيرِ وجهي أدخلْتُهُ بهِ النارَ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : كم تعاهدوني ألَّا تعصوني ، ثمَّ تنقضونَ عهدي ! أَمَا يخشىٰ أحدُكم أنْ أوقِفَ اللُّقمةَ مِنَ الحرامِ في حَنْجرتِهِ حتىٰ يموتَ ، أو أشبِكَ ذَكَرَهُ في فرجِ الزانيةِ حتىٰ يراهُ الناسُ ، أو أسلِّطَ عليهِ ضَرَبانَ المفاصلِ ؛ فلا يلتذَّ بمنامٍ ولا طعامٍ ؟! هَبُوا أنَّ الأموالَ تردُّونَها ؛ فكيفَ بفروجِ الحرامِ ؟! ابكوا الدمَ والقيحَ بعدَ الدموعِ علىٰ ما فرَّطْتُم في جنبِ ربِّكم .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : إنَّ ممَّا أعددْتُ لكم في النارِ إذا زنيتُم . . أنْ آمرَ الزبانيةَ ، فيعلِّقونَكم بفروجِكم ، ويضربونَكم عليها بمقامعَ مِنْ حديدٍ مِنْ نارٍ ، فإنِ استغثْتُم مِنَ العذابِ نادَتْكُمُ الزبانيةُ : أينَ كانَ هـٰذا الصوتُ وقتَ الزنىٰ ؟! هلَّا كنتُم سألتُمُ اللهَ الإقالةَ .

يا داودُ ؛ كم مِنْ متصدِّقٍ لعنْتُهُ بصَدَقَتِهِ ؛ لأنَّهُ لم يُرِدْ بها وجهي !

يا داودُ ؛ أتدري ما الذي يهتزُّ عرشي مِنْ أجلِهِ ؟ تلامسُ الفروجِ في الحرامِ .

يا داودُ ؛ ثيابُ المعاصي لها ذلٌّ على الأبدانِ ، ووسخٌ على الوجهِ لا يزولُ بالماءِ ، وإنَّما يزولُ بالمغفرةِ ، طوبىٰ للذينَ باطنُهم أحسنُ مِنْ ظاهرِهم .

يا داودُ ؛ مَنْ عملَ بالمعاصي ، وسترَها عنِ المخلوقينَ . . هل يقدرُ علىٰ سترِها منِّي ؟!

يا دواڈُ ؛ كيفَ تطلبُ بنو إسرائيلَ مني أنْ أوسِّعَ عليهمُ الرزقَ ، وكلَّما وسَّعْتُهُ عليهم تقوَّوا بذلكَ علىٰ معصيتي ؟! فكيفَ يطلبونَ الزيادةَ ممَّا يُهْلكُهم ؟!

يا داودُ ؛ أصلحْ بمرهمِكَ جرحَ نفسِكَ ، فإنْ برئْتَ فداوِ بعدَ ذلكَ مَنْ شئْتَ .

يا داودُ ؛ رائحةُ الجيفةِ تغيِّرُها الأيامُ وتزولُ ، ورائحةُ الذنوبِ لا تزولُ إلا بالتوبةِ النصوحِ .

يا داودُ ؛ وعزَّتي وجلالي ؛ مَنْ كنْتُ عليهِ لا ينفعُهُ عملٌ .

يا داودُ ؛ قلْ للعاصي المتمرِّدِ عليَّ : أَعِدَّ للبلاءِ تِجفافاً(١) ، وللمناقشةِ جواباً .

يا داودُ ؛ رُبَّ حَسَنِ العلانيةِ عندَ المخلوقينَ سيِّئُ السريرةِ عندي ، ما كلُّ مَنْ نكَّسَ رأسَهُ كانَ مِنَ الصالحينَ ، إنَّما الصالحُ مَنْ أَحمَدُ أنا ذكرَهُ ، وأشغلُهُ بعيبِهِ عن عيوبِ الناسِ ، وأقيمُهُ بينَ يديَّ في الظلامِ إذا ما الناسُ

---

(١) سبق بيان معنى التجفاف تعليقاً (ص٣٦٢) .

هَجَعُوا ؛ أقولُ لهُ يومَ القيامةِ : تمنَّ عليَّ ما شئْتَ أعطِهِ لكَ .

يا داودُ ؛ طوبىٰ للذينَ يستحيونَ مني أنْ يعصوني في الخَلَواتِ ، طوبىٰ للذينَ استعظموا ذنوبَهمُ الصغيرةَ عندَ غيرِهم ، وأضمروا ألا يذنبوا ، أفأَمِنَ العاصي في جوفِ بيتِهِ أنْ أُطبِقَ عليهِ بيتَهُ ؛ فأهلكَهُ مِنْ ساعتِهِ ؟!

يا داودُ ؛ اتلُ علىٰ بني إسرائيلَ نبأَ رجلٍ أكثَرَ مِنَ الالتفاتِ إلىٰ حُرَمِ المؤمنينَ ، فأبليتُ حُرَمَهُ وذرِّيتَهُ بالفسقِ فيهم ، وكشفْتُ أستارَهُ ، وكتبْتُ علىٰ بابِهِ : هـٰذا جزاءُ مَنِ اغترَّ بحلمِ اللهِ عليهِ .

يا داودُ ؛ قلْ لعصاةِ بني إسرائيلَ : أنتم أقوىٰ أمِ الحجرُ ؟ أَمَا رأيتمُ النَّارَ وقد قطَّعَتْهُ قطعاً ، ثمَّ جعلَتْهُ جمراً ؟! أنتم أقوىٰ أمِ الحديدُ ؟ أَمَا رأيتمُ النارَ وقد صيَّرَتْهُ ماءً ؟!

يا داودُ ؛ لو رأيتَ شفاهَ مَنْ يأكلُ الحرامَ وقد خِيطَتْ بكلاليبَ مِنْ حديدٍ ، وسُجِرَ أصحابُها في جهنَّمَ .

يا داودُ ؛ اتلُ علىٰ بني إسرائيلَ نبأَ قومٍ يخرجونَ في آخرِ الزمانِ ؛ ينكحُ الرجلُ الرجلَ ؛ لا يستحيونَ منِّي ، ولا يكتفونَ بما أبحْتُ لهم مِنَ الحلالِ ، تلعنُهم بيوتُهمُ التي عصَوا فيها ، وعزَّتي وجلالي ؛ لأذيقنَّهمُ العذابَ الأليمَ .

يا داودُ ؛ قلْ لفلانٍ : كم تسألُني ألا أجمعَ بينَكَ وبينَ أُوريا جَوراً ، تسألُني ثلاثاً ! وعزتي وجلالي ؛ لأوقفنَّهُ وخصمَهُ بينَ يديَّ ، وأحكمُ بينَهما ، وأنا أحكمُ الحاكمينَ[1] .

---

(١) يُروىٰ في هـٰذا السياق قصة باطلة من الإسرائيليات في حقِّ سيدنا داود عليه الصلاة =

يا داودُ ؛ مَثَلُ الذي يعظُ الناسَ وينسىٰ نفسَهُ . . كمثلِ مَنْ معَهُ طِيبٌ يُطيِّبُ بهِ الناسَ وهو زَفِرٌ[1] .

يا داودُ ؛ اصحبِ النوَّاحينَ[2] ، واتركِ البطَّالينَ ، وقلْ لعصاةِ بني إسرائيلَ : كيفَ يستحيونَ مِنْ عبادي دوني وجلالي لكم أظهرُ مِنْ جلالتِهم ؛ لأني سيِّدُهم ؟!

يا داودُ ؛ جروحُ الأبدانِ تبرأُ ، وجروحُ الذنوبِ لا تبرأُ إلا بتوبةٍ أقبلُها أنا .

يا داودُ ؛ أتدري لِمَ مسخْتُ بني إسرائيلَ قردةً وخنازيرَ ؟ لأنَّهم كانوا يُعظِّمونَ الأغنياءَ ، ويحتقرونَ الفقراءَ .

يا داودُ ؛ مَنْ أكلَ الحرامَ عوَّجْتُ وجهَهُ إلىٰ قفاهُ في النارِ .

يا داودُ ؛ ما أقبحَ لساناً يُملي رسلي الكلامَ الفاحشَ ليقرؤوهُ عليَّ !

يا داودُ ؛ أكبرُ عبادي معصيةً مَنْ يدلُّهم على الطريقِ ويقعُ هو في المعاصي .

يا داودُ ؛ مَنْ تعرَّضَ لحُرَمِ الرجالِ سلَّطْتُ أراذِلَ الناسِ علىٰ حُرَمِهِ ، وقلْ لبني إسرائيلَ : كيفَ تستحيونَ مِنْ أمثالِكم أنْ ينظروا إلىٰ فروجِكم ،

= والسلام ، وقد ذكر ملخصها الإمام الرازي ، وردَّها من أوجه متعددة . انظر « مفاتيح الغيب » (٢٦/ ١٨٩) .

(١) في هامش (ج) : (أي : كريه الرائحة . انتهىٰ) ، وهي عامية بهـٰذا المعنى . انظر « معجم تيمور الكبير » (٤/ ٣٢) .

(٢) في هامش (ج) : (أي : الذين ينوحون علىٰ ذنوبهم ويبكون عليها . انتهىٰ) .

ولا تستحيونَ مني وأنا ناظرٌ إليكم ؟! ولٰكنَّ حسابَكم مؤخَّرٌ ، وسوفَ تنطقُ فروجُكم بما فعلْتُم .

يا داودُ ؛ إنِّي لا أنظرُ إلىٰ زانٍ ، ولا إلىٰ طالبِ رياسةٍ ، ولا متردِّدٍ إلىٰ أبوابِ الأمراءِ(١) .

يا داودُ ؛ ليسَ المُخلِصُ مَنْ كَثُرَ ثناءُ الناسِ عليهِ ، ولٰكنَّ المخلصَ مَنِ اطَّلَعْتُ علىٰ سريرتِهِ فوجدْتُها موافقةً لعلانيتِهِ سواءً .

يا داودُ ؛ قلْ لعلماءِ بني إسرائيلَ : إنِّي أعددْتُ منابرَ مِنْ نارٍ ، وكراسيَّ مِنْ نارٍ لعلماءِ السوءِ الذين يتكلَّمونَ بالهوىٰ ، وحقِّ مكَّةَ وبيتِ المقدسِ ؛ لا أرضىٰ عنهم حتىٰ يُحِدُّوا السيفَ للمخالفينَ ، ويطعموا الطعامَ للمساكينِ) .

وسمعْتُهُ رضيَ اللهُ عنهُ مرةً أخرىٰ يقولُ لشخصٍ لا يعيشُ لهُ ولدٌ : (قلِ : الحمدُ للهِ الذي لم يشغلْني بأهلٍ ولا ولدٍ ، وقد أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : **يا داودُ** ؛ لا تطلبِ الأولادَ ؛ فليسَ كلُّ الأولادِ ينفعُ ، رُبَّ ولدٍ أشغلَ والدَهُ عن ربِّهِ ، وأشعلَ عليهِ قبرَهُ ناراً .

يا داودُ ؛ أنا أَولىٰ بكَ مِنَ الناسِ ؛ لأنِّي أسترُ عليكَ زلَّاتِكَ إذا وقعْتَ فيها ، ولا أفضحُكَ بها علىٰ رؤوسِ الأشهادِ إذا غضبْتُ عليكَ ، بخلافِ الناسِ .

يا داودُ ؛ احفظْني بظهرِ الغيبِ أحفظْكَ في الملأِ ، وأَكْثِرْ مِنْ ذكري أُكْثِرْ لكَ مِنَ الرزقِ .

---

(١) في هامش (أ) : (**بلغ قراءة علىٰ مؤلِّفه فسح له في مدته ، آمين**) .

يا داودُ ؛ لا تبغِ علىٰ مَنْ بغىٰ عليكَ ؛ فتتخلَّفَ نُصرتي عنكَ(١) .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : تعصوني في الظلامِ ؟! تَسْتَخْفُونَ مِنَ الناسِ ولا تَسْتَخْفُونَ مني ؟! فإنَّ الظلامَ لا يسترُكم عني ، أَمَا تخافونَ أنْ أخسفَ بكمُ الأرضَ حينَ استهنْتُم بنظري إليكم ؟!

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : أراكُم تتمنَّونَ عليَّ الجنةَ ، أَلِأعمالِكمُ الزكيةِ ؟! أم لِهجرانِكم أهلَ المعاصي مِنْ أجلي ؟! أم لتركِكم أكلَ الحرامِ ؟! كلَّا ؛ سوفَ تعلمونَ إذا نوقِشَتِ الوحوشُ والبهائمُ عن زلَّاتِها ، ثمَّ صارَتْ تراباً .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : كيفَ تسوِّفونَ بالتوبةِ النصوحِ حتىٰ تموتوا مصرِّينَ على الذنوبِ ؟! أَمَا تخافونَ مِنْ سطوةِ غضبي ؟!

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : كم تعلمونَ أنَّ الدنيا فانيةٌ ، وتُتعِبونَ جوارحَكم في جمعِها !

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : يكفُّوا عنِ الزنىٰ ، وأَعلِمْهم أنَّ أهونَ ما أنا صانعٌ بالزاني أنْ أكويَ حدقتَيهِ بمكاوٍ مِنْ نارٍ ، وأُشعِلَ فرجَهُ ناراً ، هبْ أنَّهُ اغتسلَ وتطهَّرَ مِنَ الجنابةِ الظاهرةِ ؛ فكيفَ بالجنابةِ الباطنةِ ؟!

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : يسبلُ أحدُكم سترَهُ بينَهُ وبينَ الناسِ إذا عصىٰ ، ويَدَعُ السِّترَ مكشوفاً بيني وبينَهُ ؟! أَمَا تستحيونَ مني يا عبيدَ السوءِ ؟! سوف ترَوْنَ ما أصنعُ بمَنْ عصاني .

---

(١) في هامش (أ) : (الحمد لله رب العالمين ، بلغ نظراً ، وكتبه مؤلفه) .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : أَمَا يخشىٰ أحدُكم إذا عصىٰ أنْ أقبضَهُ علىٰ تلكَ الحالةِ قبلَ التوبةِ ، فيلقاني وأنا غضبانُ عليهِ ، فأورِدَهُ النارَ ، وبئسَ المصيرُ ؟!

يا داودُ ؛ لو شئتُ لأمرْتُ السماءَ أنْ تقعَ على العاصي ، أو أمرْتُ الأرضَ أنْ تبتلعَهُ .

يا داودُ ؛ مَنْ جلسَ مِنِ امرأةٍ مجلسَ الرجلِ مِنِ امرأتِهِ ، ثمَّ خافَني ؛ فتركَ الزنىٰ ، واستحيا مني . . بنيتُ لهُ غرفةً متصلةً بعرشي ، وكتبْتُ لهُ علىٰ بابِها : هـٰذا جزاءُ مَنْ خافَ علىٰ دينِهِ وفرَّ إلىٰ ربِّهِ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : قد أصححْتُ لكم جسمَكم ، ورزقْتُكمُ الأموالَ والأولادَ والبساتينَ ، فجعلْتُم ذلكَ عوناً علىٰ معصيتي ؛ كأنَّكم تتلاعبونَ بعقوبتي !

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : إذا أردْتُمُ المعصيةَ . . فاذكروا صَوْلَةَ الزبانيةِ ، وضِيقَ الأغلالِ في طباقِ النيرانِ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : يتستَّرُ أحدُكم بالثوبِ وهو عندي عُريانٌ حالَ معصيتِهِ ، ثمَّ يصبحُ يخادِعُني ، ويُظهِرُ للناسِ النسكَ والعبادةَ والخشوعَ ؛ كأنَّهُ باتَ سهرانَ في طاعتي ؟!

يا داودُ ؛ طلبُ الثوابِ والمغفرةِ بالمخادعةِ لي . . يورثُ الحرمانَ .

يا داودُ ؛ إذا حدَّثَتْكَ نفسُكَ بالنومِ في الليلةِ الباردةِ . . فاذكرْ مصارعَ أهلِ النارِ ، وصَوْلةَ الزبانيةِ . . يذهبْ عنكَ النومُ ، ولا تحكمْ عليَّ قطُّ بأنِّي قد غفرْتُ لكَ حتىٰ تلقاني .

يا داودُ ؛ لوِ اطَّلعَ عبادي علىٰ غضبي عليهم إذا عصَوني لماتوا ، ولـٰكنِّي أخفيتُ عنهم غضبي ؛ رحمةً بهم .

يا داودُ ؛ ضعْ خدَّكَ على الترابِ وناجِني .

يا داودُ ؛ مَنْ قامَ بينَ يديَّ في الظلامِ والبردِ ، وتركَ زوجتَهُ وفراشَهُ . . فهو عبدي حقاً .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : أنتمُ الذينَ ذهبَتْ هيبةُ اللهِ مِنْ قلوبِكم حتىٰ عصيتموهُ ، يا رؤساءَ الخطَّائينَ ؛ لو رأيتُم ضربَ مالكٍ لأهلِ النارِ . . لتقطَّعَتْ أوصالُكُم مِنْ هـٰذهِ الدارِ ، فاخلِطوا طعامَكم بالرَّمادِ وكلوهُ ؛ مِنْ أجلِ معصيتِكم ، فلعلَّ اللهَ يرحمُكم .

يا داودُ ؛ وعزَّتي وجلالي ؛ لأوقفَنَّ فلاناً معَ خصمِهِ أُورِيا موقفاً ترتعدُ منهُ الأرضُ (١) ، وتنشرُ فيهِ الملائكةُ أجنحتَها .

يا داودُ ؛ أبوكَ آدمُ مِنْ أكرمِ الناسِ عليَّ ؛ لم يمسَّ فرجُهُ الحرامَ ، ولم يقتلْ نفساً ، وإنَّما نهيتُهُ عنِ الأكلِ مِنَ الشجرةِ ، فأكلَ منها ناسياً ، فتطايرَتِ الحُلَلُ مِنْ علىٰ بدنِهِ ، وسقطَ التاجُ عن رأسِهِ ، وأوقفْتُهُ موقفَ الندمِ ، فكيفَ بمَنْ مسَّ فرجُهُ حراماً ، أو قتلَ نفساً ؟! سبحاني ! ما أرأفَني بكم أيُّها الخلقُ ! وما أقلَّ حياءَكم مني ! تعصوني وعيني ترعاكم ، ولو أنَّ أحداً مِنْ عبادي رآكُم لذبتُم حياءً منهُ ، وأنا أولىٰ بالحياءِ .

يا داودُ ؛ ما لي أراكَ مطمئناً ؛ لا تبكي معَ الباكينَ ، ولا تنوحُ معَ

---

(١) انظر ما تقدم تعليقاً (ص٧٩١ـ ٧٩٢) .

النائحينَ ؟! فلو رأيتَ النارَ وزبانيتَها ، وما أعددْتُ للزناةِ فيها . . لذُبْتَ كما يذوبُ الرصاصُ في النارِ .

يا داودُ ؛ لَخِدمَتُكَ علىٰ وجهِكَ في الثلجِ . . أهونُ عليكَ مِنْ مناقشتي لكَ في الحسابِ ، وعزَّتي وجلالي ؛ لأوقفَنَّ الخصومَ وأسألُ أحدَهم عن وزنِ الخردلةِ .

يا داودُ ؛ قلْ لبني إسرائيلَ : ترمُقونَ وتزنونَ بأعينكم ؛ كأنَّكم تظنُّون أنِّي لا أراكم ؟!

يا داودُ ؛ مَنْ عصاني في الخلواتِ أطلعْتُ المخلوقينَ علىٰ مساوي أعمالِهِ ، وفضحْتُهُ وأدخلْتُهُ النارَ) انتهىٰ ما سمعْتُهُ مِنْ مواعظِ الزبورِ .

وقد جمعْتُ مواعظَهُ كلَّها في جزءٍ ؛ فاطلبْهُ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

[خاتمة الكتاب]

وليكنْ ذلكَ آخرَ كتابِ « تنبيهِ المغترِّينَ أواخرَ القرنِ العاشرِ على ما خالفوا فيهِ سلفَهمُ الطَّاهرَ » ، والحمدُ للهِ الذي هدانا لهٰذا ، وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللهُ .

ولمَّا شرعْتُ في خطبةِ الكتابِ كنتُ في حَصَرٍ عظيمٍ مِنْ عدمِ وجودِ الموادِّ التي أستمدُّ منها في الكتابِ ، فدخلَ عليَّ شخصٌ بكتابٍ عتيقٍ مخرومٍ مِنَ الأولِ بخطٍّ كوفيٍّ ، تاريخُ كتابتِهِ خمسُ مئةِ سنةٍ وشيءٌ ، فوجدْتُهُ مشحوناً بأحوالِ السلفِ الصالحِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ ، ورأيتُ مؤلِّفَهُ يروي عن وكيعِ بنِ الجراحِ مِنْ أقرانِ الإمامِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، ففرحْتُ بذلكَ أشدَّ الفرحِ ، فشيَّدْتُ بهِ أخلاقَ هٰذا الكتابِ ، وكأنَّ مَنْ يطالعُهُ صحبَ الصحابةَ والتابعينَ وتابعَ التابعينَ ، ورأىٰ أقوالَهم وأفعالَهم وورعَهم وزهدَهم وخوفَهم وخشيتَهم مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وسمعَ أقوالَهم رضيَ اللهُ عنهم أجمعينَ .

وقد ذكرْنا في خطبتِهِ أنَّ كلَّ مَنْ طالعَهُ بإنصافٍ . رأىٰ نفسَهُ قدِ انسلخَتْ مِنْ أخلاقِ الصالحينَ ؛ كما تنسلخُ الحيَّةُ مِنْ جلدِها .

فأسألُ اللهَ تعالىٰ مِنْ فضلِهِ أنْ ينفعَ بهِ الإخوانَ ومَنْ بعدَهم ، ويختِمَ لنا ولهم بالحسنىٰ ، وأنْ يجعلَ آخرَ كلامِنا في هٰذهِ الدارِ : أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ

وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ ، آمينَ اللهمَّ آمينَ[1] .

(١) إلى هنا ينتهي كتاب « تنبيه المغترين » ، وما وُجد في خواتيم النسخ (ج ، د ، هـ) من زيادةٍ . . فإنما هو من كتاب « الأخلاق المتبولية » للمصنف ، وهو ما صرَّحت به هذه النسخ ؛ ففيها : (وسنذكر من كلام المؤلف من « الأخلاق المتبولية » من آخر الكتاب الخاتمةَ وما يتعلق بها إن شاء الله تعالى) ؛ ولذلك لم نثبت تلك الزيادة في خاتمة هذا الكتاب .

خواتيم وسماعات النسخ الخطية

خاتمة النسخة (أ)

قال ذلك وكتبه مؤلِّفه العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالىٰ : عبدُ الوهَّاب بن أحمد الشعرانيُّ الشافعيُّ خادمُ الفقراء والمساكين ، في سابع عشرين رمضانَ سنةَ إحدىٰ وستين وتسع مئة(١) ، بمصر المحروسة ، حامداً مصلِّياً مسلِّماً .

خاتمة النسخة (ب)

وكان الفراغ من نسخ هـٰذا الكتاب المبارك في يوم السبت المبارك ، ثالث شهر شعبان المكرَّم من شهور سنة أربع عشرة وألف من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، علىٰ يد كاتبه محمد بن عامر بن إبراهيم بن علي البويني بلداً ، الشافعي مذهباً ، الخرشي طريقة ، غفر الله لهم أجمعين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم(٢) .

خاتمة النسخة (ج)

وكان الفراغ من نسخ هـٰذا الكتاب المبارك سابع عشر شهر جمادى الأولىٰ من شهور سنة ست وعشرين وألف من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها

---

(١) قوله : (عشرين رمضان) كذا رسمت ، ولعل الأنسب : (عشري رمضان) ، وكذا رسم مثلها في بعض خواتيم النسخ الأخرىٰ كما سيتبين لاحقاً .

(٢) وقع في هامش هـٰذه النسخة : (بلغت علىٰ قدر الاستطاعة ، وأسأله سبحانه من فضله أن يرزقني حسن الطاعة ، وكتب الفقير إلى الله محمد الطاهر العياشي ، جمع الله شمله المتلاشي) .

أفضل الصلاة والسلام ، علىٰ يد أفقر عباد الله تعالىٰ إليه ، وأحوجهم إلىٰ فضله ومغفرته ؛ مرعي بن الحاج أحمد ، البلسفوري بلداً ، المالكي مذهباً ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وأصدقائه ومحبِّيه ، ولمن دعا له ولهم بالمغفرة والرحمة ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك قريب مجيب الدعوات ، يا أللهُ ؛ آمين .

بعد قولي : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الجنة حقٌّ ، وأنَّ النار حقٌّ ، وأن الصراط حقٌّ ، وأن الميزان حقٌّ ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . . اللهمَّ ؛ أحينا علىٰ هـٰذا الإيمان ، وأمتنا عليه ، وابعثنا عليه ، بحولك وقوتك وقدرتك وعظمتك وجلالك يا أللهُ ، يا حيُّ يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ، بحق نبيِّك محمدٍ صلى الله عليه وسلم عليك ألا تفتنَّا عند الموت ، وهوِّن علينا سكرات الموت ، وما قبل الموت ، وما بعد الموت ، وافعل ذلك بجميع الإخوان والأصحاب ، بقدرتك يا ربَّ الأرباب ، يا معتق الرقاب ، يا مسيِّر السحاب ، آمين اللهمَّ آمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمد ؛ خاتم النبيين والمرسلين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، والله أعلم .

يا من غدا ناظراً فيما كتبتُ وقد ... أضحىٰ يردِّد فيما قلتُه النظرا

سألتُكَ اللهَ إن عاينتَ لي خطأً ... فاستر عليه فخيرُ الناس من سترا

دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين[1] .

خاتمة النسخة (د)

وكان الفراغ من تعليق هـٰذه النسخة المباركة في يوم الخميس خامس عشر ربيع الثاني المبارك ، من شهور سنة سبع وثلاثين وألف من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وذلك علىٰ يد الفقير كاتبه : أحمد بن علي الشعراني الشافعي غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيها ودعا .

وإن تجد عيباً فسد الخللا   جل من لا فيه عيبٌ وعلا

خاتمة النسخة (هـ)

تمَّ كتاب « تنبيه المغترِّين في القرن العاشر فيما خالفوا فيه سلفَهمُ الطاهرَ » بحمد الله وعونه وحُسنِ توفيقه .

وكان الفراغُ من نسخه يومَ الاثنين المبارك عند الزوال تاسعَ عشرين شهرَ [ذي] القعدة الحرام[2] ؛ الذي هو من شهور سنة أربع عشرة سنة ومئة وألف

(١) وقع في هامش هـٰذه النسخة : (طالعه العبد مع التحشية للمواضع المحتاجة إليها وتصحيح لألفاظه المحرَّفة راجياً من الله الثواب ، وأنا الفقير خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مراد خان ، أحسن الله عواقبه ، وأنال ما يرجوه في الدنيا ودار الجنان ؛ إنه أكرم مسؤول ، وحسبي الله ونعم الوكيل) .

(٢) انظر ما ورد تعليقاً (ص٨٠٣) .

من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، علىٰ يد مَنْ كتبه لنفسه ولذريته ونسله وعقبه من بعده بيده الفانية ؛ الفقير موسى بن سعيد ، الكوميّ بلداً ، المالكيّ مذهباً ، الرفاعيّ خرقة وتبعاً ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ؛ الأحياء منهم والأموات ، ولمن رأىٰ فيه خللاً وأصلحه ، ودعا لكاتبه بالعفو والغفران .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّمَ ، آمين .

[سماعات النسخة (أ)]

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، **يقول مؤلِّفُهُ عبد الوهَّاب بن أحمد** : بلغ الشيخُ الصالح العالم العلَّامة الوَرِع الزاهد الشيخ : نور الدين النجَّاري ثمَّ الأزهري . . قراءةً عليَّ لجميعِ هـٰذا الكتابِ ، قراءةَ فهمٍ وتدقيقٍ ، وأجزْتُ لهُ روايتَهُ عنِّي وإقراءَهُ لمن يراه أهلاً للاتِّعاظ والعمل .

وحضرَ مجلسَ خَتْمه الشيخُ الصالح الشيخ : عبد الكريم الشَّطَّنَوْفيُّ ، وولدُهُ سيدي إبراهيم ، وسيدي شرفُ الدين ابنُ الأمير ؛ التاجرُ بسوق أمير الجيوش ، وسيدي يحيى الماورديُّ ، وولدُ العمِّ أحمدُ بن الشيخ عبد المحسن ، والشيخُ أحمد بن محمد الضريرُ البساتينيُّ المعريُّ ، وأجزتُهم الجميعَ بروايتِهِ بتاريخ خامسَ عشرَ رجبٍ ، سنة اثنتين وتسعين وتسع مئة ، وكتبه عبدُ الوهاب بن أحمد عفا الله عنه .

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، قرأ كاتبُهُ الفقيرُ إلى الله تعالىٰ : محمدُ بن يحيى الترجمان . . جميعَ هٰذا الكتاب علىٰ مؤلِّفه فسحَ الله في مدَّته ، وحضر مجلسَ الختم جماعةٌ من الفقراء ؛ وهم : الشيخُ عليُّ بن الشيخ موسىٰ سبط سيدي عليٍّ المرصفيِّ ، والشيخُ عبد السلام ابن عمِّ المؤلف ، والشيخُ علي شقير ، والشيخُ أحمد المنشاويُّ ، والشيخُ أحمد الدوينيُّ ، والشيخُ محمد الشعراويُّ المؤذنُ ، والشيخُ أبو النصر التفهنيُّ ، والشيخ علي السوسيُّ المؤذنُ ، والشيخُ علي البنبيُّ ، والشيخُ علي السنجرجيُّ البصيرُ ، والشيخُ أحمدُ المحلاويُّ البصيرُ ، والشيخُ محمد البرساويُّ ، والشيخُ عبد القادر السبكيُّ ، والشيخُ عبد الرحمٰن الطنيحيُّ ثم الغَمْريُّ ، والشيخُ علي الدوي البصيرُ ، والشيخُ العالمُ الفاضلُ الورعُ الزاهد نورُ الدين النجاريُّ الشافعي ، والشيخُ يحيى بن محمد المنزلاويُّ ، والشيخُ أبو بكر الدُّشْطُوطيُّ ، والشيخُ جمال الدين الشَّطَّنَوفيُّ ، والشيخُ علي التعزيُّ اليمنيُّ ، والشيخُ أحمد الشعيبيُّ الإمامُ ، والشيخُ عبد القادر بن محمد المَلِيجيُّ ، والشيخُ الصالح شهاب الدين السميعيُّ ، والسيدُ الشريف معن الهوائي ، والشيخُ الصالح محمد الشبليُّ ، والشيخُ الصالح شهاب الدين صهرُ الشيخ نور الدين الشونيُّ ، والشيخُ الصالح علي بن خليفة الأبياريُّ ، وسيدي الشيخُ أبو النصر الشراليُّ التاجرُ بسوق الجملون ؛ صهرُ سيدنا ، وابن سيدنا المؤلف رضيَ اللهُ عنهم ، والشيخُ الصالحُ الزاهد أحمد البحير ، والشيخُ الصالح علي المنوفيُّ ، والشيخُ شحاتة البطاوي البصير ، والشيخُ عبد الله الصصعليُّ ، والشيخُ محمد بن الشيخ عثمان الكتانيُّ ، والشيخُ

يوسف بن أحمد المسيريُّ ، والشيخُ ناصر الدين بن عمر المنشاويُّ ، والشيخُ شريف بن كمال الدين المليجيُّ ، والشيخُ محمد بن مؤمن الخياريُّ ، والشيخُ الصالح الذاكر بالمئذنة منصورٌ ، والشيخُ إسماعيل بن علي الناموليُّ ، والشيخُ عبيد بن علي الشعراويُّ ، والشيخُ محمد بن عمار المنشاويُّ ، والشيخُ يوسف بن عمر المنشاويُّ ، والشيخُ محمد بن أحمد الشعبيُّ ، والشيخُ إسماعيلُ بن السيرجانيِّ ، والشيخُ أبو الفتح المؤذن المنوفيُّ ، والشيخُ عبد النبي فقيه العميان بالزاويةِ ، والشيخُ خضر بن قاسم القلهاويُّ ، والشيخُ شحاتة بن الشيخ عوض الرفيتي ، والشيخُ أبو الحسن بن محمد الشيبينيُّ ، والشيخُ عمرانُ بن يوسفَ البحيرُ ، والشيخُ سالمُ بن حسن الأبيجيُّ ، والشيخُ عبد الله بن محمد التفهنيُّ ، والشيخُ أحمد بن جمال الدين القصبيُّ ، وعبد الرحمـٰن بن عبد القادر السبتريسيُّ ، والشيخُ عبد الواحد وأخوه عبد الوهاب ولدا الشيخِ عبد القادر أخي المؤلف ، والشيخُ علي بن أحمد القصبيُّ ، والشيخُ علي بن ناصر السنظبصطي ، والشيخُ علي بن عبد القادر الشعراويُّ ، وعبدُ القادر بن أبي الخير ، والشيخُ علَّام المنذريُّ الضرير ، والشيخُ منسي بن ناصر الدين الدهمشيُّ ، والشيخُ عبد السلام والشيخ أحمد بن عبد الرحمـٰن الدنشانيُّ ، والشيخ أحمد البوسيُّ ، والشيخ فخرُ الدين البهناويُّ(١) .

---

(١) تم إثبات الأسماء كما ورد رسمها في (أ) .

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

- الإبانة الكبرى، للإمام المحدث أبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري البغدادي (ت٣٨٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الراية، الرياض، السعودية.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت٨٤٠هـ)، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الآثار، للإمام قاضي قضاة الدنيا الفقيه الأصولي المحرر الحافظ البحر أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري البغدادي (ت١٨٢هـ)، تحقيق أبي الوفا الأفغاني، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق شرف محمود القضاة، ط٢، (١٤٠٥هـ)، دار الفرقان، عمان، الأردن.
- إحياء علوم الدين، للإمام المجدد حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للإمام القاضي الفقيه أبي عبد الله الحسين بن علي الصيمري (ت٤٣٦هـ)، ط٢، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- أخبار الشيوخ وأخلاقهم، للإمام الفقيه المحدث أحمد بن محمد بن الحجاج أبي بكر المَرُّوذي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق عامر حسن صبري، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- أخبار القضاة، للإمام القاضي أبي بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي البغدادي الملقب بوكيع، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، ط١، (١٣٦٦هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

- **الإخلاص والنية**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق إياد خالد الطباع، ط١، (١٤١٣هـ)، دار البشائر، بيروت، لبنان.
- **الأخلاق المتبولية**، للإمام الفقيه المربي أبي المواهب **عبد الوهاب** بن أحمد **الشعراني** (ت٩٧٣هـ)، تحقيق منيع محمود، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.
- **أخلاق النبي وآدابه**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف **بأبي الشيخ الأصبهاني** (ت٣٦٩هـ)، تحقيق صالح الونيان، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار المسلم، الرياض، السعودية.
- **الإخوان**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، للإمام الفقيه الأصولي شمس الدين أبي عبد الله محمد **بن مفلح** المقدسي الصالحي (ت٧٦٣هـ)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.
- **أدب الدين والدنيا**، للإمام الفقيه القاضي المفسر الأديب **أبي الحسن** علي بن محمد **الماوردي** (ت٤٥٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب**، للإمام الفقيه الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله **ابن عبد البر** النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
- **الأذكار**، المسمى: «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار»، لشيخ الإسلام **محيي الدين** أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، ط١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، للإمام المقرئ الحافظ المتفنن **شهاب الدين** أبي العباس أحمد بن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٩٠٥هـ - ١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.
- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، للإمام الأديب المؤرخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري **التلمساني** (ت١٠٤١هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد العظيم شلبي، طبع سنة (١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالتعاون مع المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، مصر.

- **الاستذكار**، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد **ابن عبد البر النمري** القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق سالم عطا ومحمد معوض، ط١، (١٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم **ابن الأثير الجزري** (ت٦٣٠هـ)، طبع سنة (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **الأسماء والصفات**، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

- **الإشراف في منازل الأشراف**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق نجم خلف، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- **اصطناع المعروف**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- **إصلاح المال**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد عطا، ط١، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- **الاعتبار وسلوة العارفين**، للإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل **الجرجاني** الحسني، تحقيق عبد السلام الوجيه، ط٢، (٢٠٠٨م)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، اليمن.

- **اعتلال القلوب**، للإمام الحافظ **أبي بكر** محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق حمدي الدمرداش، ط٢، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، السعودية.

- **الإعجاز والإيجاز**، للإمام اللغوي الأديب **أبي منصور** عبد الملك بن محمد **الثعالبي** (ت٤٢٩هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، طبع سنة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- **اقتضاء العلم العمل**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، (١٣٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ النسابة مغلطاي بن قليج البكجري (ت٧٦٢هـ)، تحقيق عادل بن محمد وأسامة بن إبراهيم، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

- أمالي المحاملي - رواية ابن يحيى البيع -، للإمام القاضي الفقيه المحدث أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي (ت٣٣٠هـ)، تحقيق إبراهيم القيسي، ط١، (١٤١٢هـ)، المكتبة الإسلامية، عمان الأردن، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي الحسين محمد بن أحمد البغدادي المعروف بـابن سمعون الواعظ (ت٣٨٧هـ)، تحقيق عامر صبري، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي القاسم عبد الملك بن محمد ابن بشران البغدادي (ت٤٣٠هـ)، تحقيق أحمد بن سليمان، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

- الإمتاع والمؤانسة، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ)، ط١، (١٤٢٤هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- أمثال الحديث، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بـأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ط٢، (١٤٠٨هـ ١٩٨٧م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق صلاح بن عايض الشلاحي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للإمام المحدث المفسر أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت٣١١هـ)، تحقيق يحيى مراد، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الأموال، للإمام الحافظ أبي أحمد حميد بن مخلد ابن زنجويه الخراساني (ت٢٥١هـ)، تحقيق شاكر فياض، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، من منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية.

- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، للإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أهوال القبور، للإمام العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق عاطف شاهين، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر.
- الأهوال، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، طبع سنة (١٤١٣هـ)، مكتبة آل ياسر، مصر.
- الأولياء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد السعيد زغلول، ط١، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، دار الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- الإيثار بمعرفة رواة الآثار، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، للإمام الفقيه الأصولي زين الدين بن إبراهيم بن محمد ابن نجيم المصري (ت٩٧٠هـ)، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.
- البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام الفقيه الأصولي المحقق المتفنن بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، ط١، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، دار الكتبي.
- البدء والتاريخ، للإمام المؤرخ مطهر بن طاهر المقدسي (ت بعد ٣٥٥ هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر.
- البداية والنهاية، للإمام الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، طبع سنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.
- البدع، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن وضاح المرواني (ت٢٨٦هـ)، تحقيق محمد دهمان، ط١، (١٤١١هـ)، دار الصفا، القاهرة، مصر.
- البر والصلة، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- بستان العارفين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط٦، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- بستان الواعظين ورياض السامعين، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي

ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق السيد الجميلي، دار الريان، القاهرة، مصر.
- **البصائر والذخائر**، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق وداد القاضي، ط١، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **البناية شرح الهداية**، للإمام الفقيه المتفنن أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق أيمن شعبان، ط١، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط٢، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **البيان والتبين**، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت٢٥٥هـ)، تحقيق علي بوملحم، ط١، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، للإمام الفقيه القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي (ت٥٢٠هـ)، تحقيق محمد حجي وآخرين، ط٢، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، ط١، (١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
- **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، لعبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري أبي زرعة الدمشقي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.
- **تاريخ أصبهان**، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **تاريخ الطبري**، المسمى: «تاريخ الرسل والملوك»، للإمام المجتهد المفسر المؤرخ المتفنن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط٢، (١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م)، دار التراث، بيروت، لبنان.

ـ **تاريخ بغداد**، للإمام الحافظ المؤرخ **أبي بكر** أحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **تاريخ جرجان**، للإمام الحافظ المؤرخ **أبي القاسم** حمزة بن يوسف القرشي السهمي **الجرجاني** (ت٤٢٧هـ)، تم تحقيقه تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، ط٤، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ **تاريخ داريا**، لأبي علي عبد الجبار بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن داود الخولاني الداراني **ابن مهنا** (ت٣٧٠هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، طبع سنة (١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م)، مطبعة البرقي، دمشق، سورية.

ـ **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين **أبي القاسم** علي بن الحسن **ابن عساكر** الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو العمروي، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ **التبصرة**، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **تخريج أحاديث الإحياء**، المسمى: «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، للإمام الحافظ **زين الدين** أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين **العراقي** (ت٨٠٦هـ)، ط١، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ **التدوين في أخبار قزوين**، للإمام الفقيه المحقق المحدث المتفنن **أبي القاسم** عبد الكريم بن محمد **الرافعي** القزويني (ت٦٢٣هـ)، طبع سنة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **التذكرة الحمدونية**، للإمام العلامة اللغوي محمد بن الحسن **ابن حمدون** (ت ٥٦٢هـ)، ط١، (١٤١٧هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، للإمام الفقيه المفسر المتفنن **أبي عبد الله** محمد بن أحمد بن أبي بكر **القرطبي** (ت٦٧١هـ)، تحقيق الصادق بن إبراهيم، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية.

ـ **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري**، للقاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي **العبشمي**

(ت٦١٠هـ)، تحقيق محمد حسن إسماعيل، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك**، للإمام الحافظ أبي حفص عمر بن أحمد **ابن شاهين** البغدادي (ت٣٨٥هـ)، تحقيق محمد حسن إسماعيل، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **تعزية المسلم عن أخيه**، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن **ابن عساكر** الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، مكتبة الصحابة، جدة، السعودية.

- **تعظيم قدر الصلاة**، للإمام الحافظ أبي عبد الله **محمد بن نصر** بن الحجاج **المروزي** (ت٢٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، (١٤٠٦هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- **تفسير ابن أبي حاتم**، المسمى: «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين»، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد **ابن أبي حاتم الرازي** (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية.

- **تفسير ابن المنذر**، للإمام **أبي بكر** محمد بن إبراهيم **بن المنذر** النيسابوري (ت٣١٩هـ)، تحقيق سعد بن محمد السعد، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار المآثر، المدينة المنورة، السعودية.

- **تفسير التستري**، للإمام الصوفي العارف بالله أبي محمد **سهل** بن عبد الله **التستري** (ت٢٨٣هـ)، جمع أبي بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **تفسير الثعلبي**، المسمى: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، للإمام المفسر أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم **الثعلبي** (ت٤٢٧هـ)، تحقيق أبي محمد بن عاشور، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **تفسير السلمي**، المسمى: «حقائق التفسير»، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية **أبي عبد الرحمن** محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **التفسير الوسيط**، المسمى: «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد **الواحدي** (ت٤٦٨هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **تفسير عبد الرزاق**، للإمام الحافظ المفسر أبي بكر **عبد الرزاق** بن همام **الصنعاني** (ت٢١١هـ)، تحقيق محمود محمد عبده، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **تكملة المعاجم العربية**، للأستاذ رينهارت بيتر آن **دوزي** (ت١٣٠٠هـ)، عربه محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، ط١، (٢٠٠٠م)، من منشورات وزراة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق.
- **تلبيس إبليس**، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **تنبيه الغافلين**، لإمام الهدى الفقيه المفسر المتكلم **أبي الليث** نصر بن محمد **السمرقندي** (ت٣٧٥هـ)، تحقيق السيد العربي، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر.
- **تنوير الغبش في فضل السودان والحبش**، للإمام **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دار الشريف، الرياض، السعودية.
- **التهجد وقيام الليل**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصلح الحارثي، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، للإمام شيخ الإسلام **محيي الدين** أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، تحقيق مصطفى عطا، طبع سنة (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **التواضع والخمول**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي، تحقيق محمد عطا، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **التوبة**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، ط١، (١٩٩١م)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.
- **التوبيخ والتنبيه**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف **بـأبي الشيخ الأصبهاني** (ت٣٦٩هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان، القاهرة، مصر.

- **التوكل على الله**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- **الثقات**، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **جامع العلوم والحكم**، للإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط٧، (١٤٢٢هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن**، للإمام الحافظ المفسر المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الملك الدهيش، ط٢، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، دار خضر، بيروت، لبنان.

- **جامع بيان العلم وفضله**، للإمام الفقيه الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

- **الجامع في الحديث**، للإمام الفقيه المحدث أبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت١٩٧هـ)، تحقيق مصطفى حسن أبو الخير، ط١، (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.

- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

- **الجامع لشعب الإيمان**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.

- **الجامع**، للإمام الحافظ الفقيه أبي عروة معمر بن راشد الأزدي (ت١٥٣هـ)، تحقيق حبيب

الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ)، من منشورات المجلس العلمي، باكستان، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- **الجرح والتعديل**، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد **ابن أبي حاتم الرازي** (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١، (١٢٧١هـ - ١٩٥٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، للإمام القاضي الفقيه الأديب أبي الفرج **المعافى بن زكريا** النهرواني (ت٣٩٠هـ)، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- **جمل من أنساب الأشراف**، للإمام المؤرخ أحمد بن يحيى بن جابر **البلاذري** (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، للإمام العلامة عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ)، تحقيق محمد علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، (١٤١٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **الجوع**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- **حاشية ابن عابدين على الدر المختار**، للإمام الفقيه الأصولي المحقق المتفنن السيد محمد أمين بن عمر **ابن عابدين** أفندي الدمشقي (ت١٢٥٢هـ)، طبع سنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار الفكر، دمشق، سورية.

- **الحاوي للفتاوي**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، طبع سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٠م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك**، للإمام المحدث المفسر **أبي بكر** أحمد بن محمد بن هارون **الخلال** (ت٣١١هـ)، ط١، (١٤٠٧هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

- **حسن الظن بالله**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مخلص محمد، ط١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- **حفظ العمر**، للإمام **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، ط١، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للإمام الحافظ المؤرخ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله بن أحمد **الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي الصادرة سنة (١٣٥٧هـ)، لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **الخصائص الكبرى**، أو المسمى: «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب» للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد خليل هراس، طبع سنة (١٣٨٧هـ)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر.
- **الخطب والمواعظ**، للإمام اللغوي المحدث الفقيه **أبي عبيد القاسم بن سلام** الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.
- **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، للأستاذ علي باشا مبارك (ت١٣١١هـ)، ط١، (١٣٠٦هـ)، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، مصر.
- **خلاصة الأثر**، للعلامة المؤرخ الباحث الأديب محمد أمين بن فضل الله **المحبي** (ت١١١١)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**، للإمام الفقيه المفتي المحقق المتفنن **شهاب الدين** أحمد بن محمد بن علي **بن حجر الهيتمي** المكي (ت٩٧٤هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام الحافظ الفقيه النحوي البلاغي المتفنن **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، ط١، (١٤٣٣هـ - ٢٠١١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **الدعاء**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دار الريان، القاهرة، مصر.

- **دلائل النبوة**، للإمام الحافظ المؤرخ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله بن أحمد **الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، ط٢، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار النفائس، بيروت، لبنان.
- **الدلائل في غريب الحديث**، للإمام المحدث اللغوي أبي محمد **قاسم** بن ثابت بن حزم العوفي **السرقسطي** (ت٣٠٢هـ)، تحقيق محمد القناص، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
- **الذرية الطاهرة النبوية**، للحافظ المؤرخ الوراق أبي بشر محمد بن أحمد **الدولابي** (ت٣١٠هـ)، تحقيق سعد المبارك الحسن، ط١، (١٤٠٧هـ)، الدار السلفية، الكويت، الكويت.
- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف **بالراغب الأصفهاني** (ت٥٠٢هـ)، تحقيق أبي زيد العجمي، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار السلام، القاهرة، مصر.
- **ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات**، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية **أبي عبد الرحمن** محمد بن الحسين الأزدي **السلمي** (ت٤١٢هـ)، تحقيق محمود الطناحي، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- **ذم البغي**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م)، دار الراية للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض.
- **ذم الدنيا**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- **ذم الغيبة والنميمة**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق بشير عيون، ط١، (١٤١٣هـ)، مكتبة دار البيان، دمشق، سورية. مكتبة المؤيد، الرياض، السعودية.
- **ذم الهوى**، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق خالد العلمي، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر

الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

ـ الرسالة القشيرية، للإمام الصوفي الأصولي المتكلم الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ رسائل الجاحظ، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت٢٥٥هـ)، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، ط١، (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ الرضا عن الله بقضائه، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق ضياء الحسن السلفي، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

ـ الرقة والبكاء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط٣، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دمشق، سورية. عمان، الأردن.

ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد حمزة ومحمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد محب الدين الطبري (ت٦٩٤هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الزهد الكبير، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط٣، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ـ الزهد والرقائق، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع سنة (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، طبعة مصورة عن

طبعة المجلس العلمي في الهند لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **الزهد وصفة الزاهدين**، للإمام المؤرخ المحدث **أبي سعيد** أحمد بن محمد **ابن الأعرابي** البصري (ت٣٤٠هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- **الزهد**، للإمام الحافظ أبي سفيان **وكيع بن الجراح** الرؤاسي (ت١٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- **الزهد**، للإمام المجتهد أبي عبد الله **أحمد** بن محمد **بن حنبل** الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق محمد شاهين، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح**، للإمام المقرئ القاضي شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد **ابن الجزري** (ت٨٣٣هـ)، تحقيق محمد عطا، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **سراج الملوك**، للإمام الحافظ الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن الوليد **الطرطوشي** (ت٥٢٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **سنن ابن ماجه**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد **ابن ماجه** القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- **سنن أبي داود**، للإمام الحافظ **أبي داود** سليمان بن الأشعث **السجستاني** (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- **سنن الترمذي**، للإمام الحافظ **أبي عيسى** محمد بن عيسى **الترمذي** (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- **سنن الدارقطني**، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر **الدارقطني** (ت٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **سنن الدارمي**، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن **الدارمي** (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، السعودية.

- **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي**

(ت٤٥٨هـ)، ط١، (١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

ـ السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ سير أعلام النبلاء، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام المؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. دار ابن كثير، بيروت، لبنان.

ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق أحمد الغامدي، ط٨، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

ـ شرح مشكل الآثار، للإمام الحافظ محدث الديار المصرية وفقيهها أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المصري (ت٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ شرف أصحاب الحديث، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد سعيد أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، تركيا.

ـ الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبده كوشك، ط١، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الفيحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

ـ الشكر، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق بدر البدر، ط٣، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، الكويت.

ـ الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، للإمام الأديب المؤرخ أبي منصور عبد الملك بن

محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق إلهام عبد الوهاب المفتي، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للعلامة أبي سعيد نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت٥٧٣هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان. دار الفكر، دمشق، سورية.

- الصبر والثواب عليه، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- صحيح البخاري، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، مصورة عن الطبعة السلطانية اليونينية، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان. دار المنهاج، جدة، السعودية.

- الصداقة والصديق، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان. دمشق، سورية.

- صفة الصفوة، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمود فاخوري ومحمد قلعه جي، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- الصمت وآداب اللسان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الطب النبوي، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الأولياء، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق نور الدين شريبه، ط٢، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الحنابلة، للإمام أبي الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشاذلية الكبرى، المسمى: «جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية»، لأبي علي الحسن بن محمد الكوهن الفاسي المغربي (ت١٣٤٧هـ)، تحقيق مرسي علي، ط٢، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعية الكبرى، للإمام الأصولي قاضي القضاة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الصوفية، للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الطبقات الكبرى، المسمى: «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»، للإمام الرباني المربي الفقيه المحدث أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط١، (١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ الطبقات الكبرى، للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط٢، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ الطبقات الوسطى، المسمى: «لواقح الأنوار القدسية في طبقات العلماء والصوفية»، للإمام الرباني المربي الفقيه المحدث أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط١، (١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م)، دار ضياء الشام، دمشق، سورية.

ـ الطيوريات، انتخبه: الإمام الحافظ صدر الدين أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (ت٥٧٦هـ)، من أصول: الإمام المحدث أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف

بـابن **الطيوري** (ت٥٠٠هـ)، تحقيق دسمان معالي وعباس الحسن، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية.

ـ **العاقبة في ذكر الموت**، للإمام الحافظ الفقيه الأديب أبي محمد **عبد الحق** بن عبد الرحمن **الإشبيلي** المعروف **بابن الخراط** (ت٥٨١هـ)، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مكتبة دار الأقصى، الكويت.

ـ **العزلة والانفراد**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مسعد السعدني، ط١، (٢٠٠٥م)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

ـ **العزلة**، للإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد ابن الخطاب المعروف **بالخطابي** (ت٣٨٨هـ)، ط٢، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

ـ **العظمة**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف **بأبي الشيخ الأصبهاني** (ت٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

ـ **العقد الفريد**، للإمام الأديب الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد **بن عبد ربه** بن حبيب **الأندلسي** (ت٣٢٨هـ)، تحقيق مفيد قميحة وعبد المجيد الترحيني، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **العقل وفضله**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

ـ **عقلاء المجانين**، للإمام الأديب الواعظ المفسر أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب **النيسابوري** (ت٤٠٦هـ)، تحقيق عمر الأسعد، ط١، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، دار النفائس، بيروت، لبنان.

ـ **العقوبات**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ **العمر والشيب**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق نجم عبد الله خلف، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

ـ **عمل اليوم والليلة**، للإمام المحدث الرحالة **أبي بكر** أحمد بن محمد بن إسحاق **ابن السني**

الدينوري (ت٣٦٤هـ)، تحقيق كوثر البرني، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

ـ عيوب النفس، للإمام العارف أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط٢، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.

ـ عيون الأخبار، للإمام اللغوي الأديب المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، (١٩٩٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

ـ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للعلامة الفقيه شمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، ط٢، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، مؤسسة قرطبة، مصر.

ـ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، للإمام الأديب برهان الدين أبي إسحاق محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط (ت٧١٨هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ غريب الحديث، للإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، طبع سنة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، دار الفكر، دمشق، سورية.

ـ الفتن، للإمام المحدث الفرضي أبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت٢٢٨هـ)، تحقيق سمير الزهيري، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة التوحيد، القاهرة، مصر.

ـ الفردوس بمأثور الخطاب، للإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي (ت٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ فضائل الصحابة، للإمام الحافظ المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله محمد عباس، ط١، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ الفقيه والمتفقه، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط٢، (١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للعلامة الشريف المحدث المسند محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني (ت١٣٨٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط٢، (١٩٨٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- فوائد ابن نصر عن مشايخه، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عمر بن نصر بن محمد الشيباني السامري ثم الدمشقي البزاز (ت٤١٠هـ)، تحقيق أبي عبد الله حمزة الجزائري، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، مكتبة دار النصيحة، المدينة النبوية، السعودية.

- فوائد أبي يعلى الخليلي، للإمام القاضي الفقيه الحافظ أبي يعلى خليل بن عبد الله القزويني الخليلي (ت٤٤٦هـ)، تحقيق طلعت بن فؤاد الحلواني، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار ماجد عسيري، جدة، السعودية.

- الفوائد والأخبار، لأعلم الشعراء وأشعر العلماء اللغوي البارع أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، ط٢، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام الفقيه الحافظ زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري المناوي (ت١٠٣١هـ)، ط١، (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

- القاموس الفقهي، للدكتور سعدي أبو جيب، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، دار الفكر، دمشق، سورية.

- القاموس المحيط، للإمام اللغوي المتبحر مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزابادي (ت٨١٧هـ)، طبع سنة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة (١٣٠٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، مصر.

- القبور، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق طارق محمد سلكوع العمود، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

- القدر، للإمام أبي بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١هـ)، تحقيق عبد الله المنصور، ط١، (١٤١٨هـ)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

- قرى الضيف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عبد الله المنصور، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية.

- القصاص والمذكرين، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن

الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد لطفي الصباغ، ط٢، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ قصر الأمل، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط٢، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، للإمام الزاهد العارف شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت٣٨٦هـ)، (١٣١٠هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط١، (١٤٠١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

ـ الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الكنى والأسماء، للحافظ المؤرخ الوراق أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ت٣١٠هـ)، تحقيق نظر محمد الفاريابي، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للإمام المتبحر المتفنن زين الدين محمد عبد الرؤوف ابن تاج العارفين الحدادي المناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط٣، (٢٠١٢م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، للإمام المؤرخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق خليل المنصور، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ لباب الآداب، للإمام المؤرخ البلاغي الأديب مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة ابن منقذ الكناني (ت ٥٨٤)، تحقيق أحمد شاكر، ط٢، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، مكتبة السنة، القاهرة، مصر.

ـ لسان العرب، للإمام اللغوي الحجة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، المشهور بـ «المنن الوسطى»، للإمام الرباني المربي الفقيه المحدث المتفنن شيخ الإسلام أبي المواهب عبد الوهاب ابن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق معاذ عبد الرحمن الهواش، ط١، (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، المشهور بـ «المنن الكبرى» للإمام الفقيه الصوفي المربي أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق معاذ عبد الرحمن الهواش، ط١، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف، للإمام الحافظ أبي موسى محمد بن عمر الأصبهاني المديني (ت٥٨١هـ)، تحقيق محمد علي سمك، ط١، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللطائف والظرائف، للإمام الأديب اللغوي الناقد أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، دار المناهل، بيروت، لبنان.
- اللمع، للإمام الصوفي الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود وطه سرور، ط١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر. مكتبة المثنى، بغداد، العراق.
- المتمنين، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- مجابو الدعوة، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق زياد حمدان، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- المجالسة وجواهر العلم، للإمام الفقيه المحدث أبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق مشهور آل سلمان، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

- محاسبة النفس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم وعبد الله الشرقاوي، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق عمر الطباع، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.
- المحبة لله سبحانه، للإمام الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الختلي (ت نحو ٢٧٠هـ)، تحقيق عادل الزرقي، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الحضارة، الرياض، السعودية.
- المحتضرين، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للإمام أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت٣٦٠هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط٣، (١٤٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- المحصول، للإمام المتكلم المفسر الأصولي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طه العلواني، ط٣، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- المحن، لمحمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي أبي العرب (ت٣٣٣هـ)، تحقيق عمر سليمان العقيلي، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، دار العلوم، الرياض، السعودية.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام اللغوي الحجة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، ط١، (١٤٠٢هـ، ١٩٨٤م)، دار الفكر، دمشق، سورية.
- مختصر قيام الليل، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت٢٩٤هـ)، باختصار المقريزي، تحقيق محمد إلياس عبد القادر، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار حديث أكاديمي، فيصل آباد، باكستان.
- المخلصيات، للإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن المخلص (ت٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل جرار، ط١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

ـ مداراة الناس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ المدخل إلى السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

ـ المدخل، للإمام الفقيه الصوفي الزاهد أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج العبدري (ت٧٣٧هـ)، دار التراث، القاهرة، مصر.

ـ المدهش، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق مروان قباني، ط٢، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ المرض والكفارات، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عبد الوكيل الندوي، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

ـ مساوئ الأخلاق ومذمومها، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق مصطفى الشلبي، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مكتبة السوادي، جدة، السعودية.

ـ المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ط١، (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

ـ مسند إبراهيم بن أدهم، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن منده العبدي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق مجدي إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

ـ مسند ابن الجعد، أو «الجعديات»، للإمام المحدث أبي الحسن علي بن الجعد الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط١، (١٤١٠هـ)، مؤسسة نادر، بيروت، لبنان.

ـ مسند الإمام أبي حنيفة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق نظر الفاريابي، ط١، (١٤١٥هـ)، مكتبة الكوثر، الرياض، السعودية.

ـ مسند الإمام أحمد، للإمام الحافظ المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، طبع سنة (١٣١٣هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

ـ مسند البزار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق

مجموعة من المحققين، ط١، بدأت سنة (١٩٨٨م) وانتهت سنة (٢٠٠٩م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الحارث بن أبي أسامة، المسمى: «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث»، للإمام الحافظ أبي محمد الحارث بن محمد التميمي البغدادي المشهور بابن أبي أسامة (ت٢٨٢هـ)، تحقيق حسين الباكري، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للإمام اللغوي أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، بعناية وتحقيق أيمن الشوا، ط١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، دار الفيحاء ودار المنهل ناشرون، دمشق، سورية.

- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.

- المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

- معجم السفر، للإمام الحافظ صدر الدين أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت٥٧٦هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- المعجم الصغير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق محمد شكور أمرير، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، لبنان.

- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

- معجم المؤلفين، للأستاذ البحاثة عمر بن رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ)، ط١، (١٤١٤هـ -

١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، للمؤرخ الأديب أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا (ت١٣٤٨هـ)، تحقيق حسين نصار، ط٢، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- المعجم، للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، ط١، (١٤٠٧هـ)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.
- المعجم، للحافظ المحدث أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي ابن المقرئ الأصبهاني (ت٣٨١هـ)، تحقيق عادل بن سعد، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- معرفة الثقات، للحافظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي (ت٢٦١ هـ)، تحقيق عبد العليم البستوي، ط١، (١٤٠٥هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.
- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط١، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- المعرفة والتاريخ، للإمام الحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- المغرب في ترتيب المعرب، للإمام الفقيه اللغوي الأديب برهان الدين أبي الفتح ناصر بن عبد السيد الخوارزمي المُطَرِّزي (ت٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، ط١، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المغني في الضعفاء، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق نور الدين عتر، دار إحياء التراث، قطر.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط١، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- المقلق، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.

- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أيمن البحيري، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

- مكارم الأخلاق، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مكارم الأخلاق، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مجدي إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري وأبو الوفا الأفغاني، ط٣، (١٤٠٨هـ)، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.

- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الله التركي، ط٢، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

- مناقب الشافعي، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أحمد صقر، ط١، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

- المناقب الكبرى، المسمى: «تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب»، للعلامة محيي الدين أبي الأنس محمد بن عبد الرحمن المليجي، طبع سنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م)، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، مصر.

- المنامات، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الموطأ، برواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني، لإمام دار الهجرة المجتهد أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

- الموطأ، لإمام دار الهجرة المجتهد أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الميزان الشعرانية المدخلة لجميع مذاهب المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية، المسمى: «الميزان الكبرى»، للإمام الرباني المربي الفقيه المحدث المتفنن أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمود السعدي، ط١، (١٤٤٣هـ، ٢٠٢٢م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الناسخ والمنسوخ، للإمام المفسر النحوي أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المصري (ت٣٣٨هـ)، تحقيق محمد عبد السلام محمد، ط١، (١٤٠٨هـ)، مكتبة الفلاح، الكويت.

- نثر الدر، للوزير المؤرخ الأديب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي الرازي (ت٤٢١هـ)، تحقيق خالد محفوظ، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للمؤرخ الأديب عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت٨٩٤هـ)، طبع سنة (١٢٨٣هـ)، المطبعة الكاستلية، القاهرة، مصر.

- النصيحة للراعي والرعية، لأبي الخير بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي (ت٦٣٦هـ)، تحقيق عبيد الله الأثري، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للإمام الأديب المؤرخ المتفنن أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- النفقة على العيال، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق نجم خلف، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، للإمام المؤرخ الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري البكري (ت٧٣٣هـ)، ط١، (١٤٢٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام اللغوي مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق توفيق التكلة، ط١، (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- **نواسخ القرآن**، للإمام **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد أشرف المليباري ط٢، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.
- **الهم والحزن**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، دار السلام، القاهرة، مصر.
- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، للإمام الحافظ النحوي البلاغي المتفنن أبي الفضل **جلال الدين** عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
- **الوجل والتوثق بالعمل**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، ط١، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- **الورع**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد الحمود، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، الدار السلفية، الكويت.
- **اليواقيت والجواهر**، للإمام الفقيه الصوفي المربي أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد **الشعراني** (ت٩٧٣هـ)، طبع سنة (١٣١٧هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

محتوى الكتاب

البَابُ الرَّابع